

مجلة دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد
العدد (٨٢) لشهر آب لسنة ٢٠٢٢

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الإلكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٨٢) لشهر آب لسنة ٢٠٢٢

عدد الصفحات : ٨١٦ صفحة

تصميم واخراج

علا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكاشم للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم – شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير : أ.د. جواد مطر الموسوي
مدير التحرير : أ.د. باسمة جليل عبد المعموري

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. انعام مهدي علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصي صبحي عباس	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عادل شابث جابر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. فاضل مهدي بيات	تركيا
أ.د. حسين القهواني	الاردن
أ.د. مارجريتا فان أيس	المانيا
أ.د. والتر زلابيرجر	المانيا
أ.د. بيتر ميكلوس	المانيا
أ.م.د. فاروق محمد علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ليث مجيد حسين	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ماجدة حسو منصور	كلية التربية / جامعة المستنصرية

التصحیح اللغوي للغة العربية: أ.م.د. لمى فائق جميل
التصحیح اللغوي للغة الانكليزية: أ.م.د. سناء لازم حسن

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث ما يأتي:
 - أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
 - ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
 - ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
 - د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط (١٢) .
 - هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكمبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لا يتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
- أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).
 - ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦)
الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث
الاخري الخط (١٤) .
 - ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft
Office Word.
٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة
لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على
وفق التقارير المرسله اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (١٥)
يوم.
١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة
على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .
١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع
والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار .
١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :
jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في
الموقع ثم رفع طلب للنشر .

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.

رئيس التحرير

فهرس العدد (٨٢)

الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث	ت
٢٠-٣	أ.د قصي صبحي عباس الجميلي د. جنان عبد الرضا عبد الحسين المشكور	أختام أسطوانية من تلول البقرات دراسة فنية	١.
٤٤-٢١	أ.م.د رجاء كاظم عجيل	آلة الطبل الايقاعية في حضارة بلاد الرافدين	٢.
٩٤-٤٥	أ.م. د. حمزة ملغوث البديري	تغلغل نفوذ إمبراطورية النمسا - المجر في البلقانية (١٨٦٧-١٨٧٩)	٣.
١٢٠-٩٥	أ.م. د عبدالله علي محمد التميم	مادة zakāru (الذِكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية ودلالية مقارنة مع اللغة العربية	٤.
١٥٢-١٢١	أ.م. د. أمين عبد النافع أمين	السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة	٥.
١٨٠-١٥٣	د. زينب خالد حسين	موقف صحيفة الأهرام من مؤتمر الطائف ١٩٨٩	٦.
٢١٨-١٨١	د.م. ميسون عباس حسين	سياسات الشاهات الصفويين و اثرها في انهيار دولتهم عام ١٧٣٦ م	٧.
٢٣٦-٢١٩	سعاد عبد الرزاق فتاح أ.د. عريبة قاسم احمد	عصر ابن الجوزي وعلاقته بالخلافة العباسية	٨.
٢٦٦-٢٣٧	رقية نهاد الجبوري أ.م. زنيّدة محمد مرزوقي	مدارس الحديث العراقية وجهود علمائها في خدمة علوم الحديث في القرون الهجرية الثلاثة الأولى	٩.
٢٨٨-٢٦٧	سمر عباس عبد الكريم عطية أ.م. د. ليث مجيد حسين	رسائل من العصر الأكدّي القديم	١٠.
٣١٦-٢٨٩	أ.م. شاهين سهام عبدالرزاق	المراة واثرها في العهد القاجاري	١١.
٣٤٠-٣١٧	سعد احمد عبد مصطفى أ.د. عبد الرحيم حنون عطية	صيانة وترميم لوح حجري إسلامي من العصر العثماني المتأخر	١٢.
٣٦٢-٣٤١	م. د. محمد فيحان موسى الدليمي	العلاقات الايرانية . الصينية ١٩٧٩-١٩٩٧ م	١٣.
٣٩٢-٣٦٣	م.د. صدام حسين خضير عباس السعدي	بعض مظاهر الفساد في المجتمع في عصر الماليك البرجية (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م)	١٤.
٤٢٠-٣٩٣	أ.د. يحيى محمد علي	الزواج في الاقتصاد الاسلامي	١٥.
٤٥٠-٤٢١	عمر زين سليمان أ.م.د. فاروق محمد علي	البيوت التراثية في محلة السنك شارع الرشيد من سنة (١٩٠٠ - ١٩٥٨ م) (دراسة ميدانية) نماذج مختارة	١٦.

٤٨٠-٤٥١	م.د. فاتن سعد عوده	النشاط الأثري للبعثات الأمريكية في العراق ١٩٤٨-١٩٧٤ "دراسة تاريخية"	١٧.
٥٠٤-٤٨١	أ.م. د. نادية ياسين عبد	ثنائية الدين والعلم في الفكر العثماني اواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٤	١٨.
٥٢٠-٥٠٥	م.د. احمد نشمي جواد العلياوي	رحالة المشرق ودورهم في التدوين التاريخي	١٩.
٥٣٨-٥٢١	م. زامل صالح جاسم	قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الأمريكية	٢٠.
٥٦٠-٥٣٩	د.م. عبدالسميع خلف عبد	الوحدة الوطنية في منظور عدد من الصحف العراقية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ - ١٧ تموز ١٩٦٨ (الأكراد انموذجاً)	٢١.
٥٧٨-٥٦١	أ.م.د. انعام حسين احمد المحمدي	شواهد القبور في الاندلس " دراسة تاريخية "	٢٢.
٦١٤-٥٧٩	أ.م.د. نادية كاظم محمد العبودي	محاولات التسوية في الصين: مؤتمر شنغهاي للسلام ١٩١٩-١٩٢٠	٢٣.
٦٣٨-٦١٥	أ.د. ناهض عبد الرزاق دفتار أ.د. سهيلة مزيان حسين	تطور مدينة سامراء العتبة العسكرية المقدسة أنموذجاً	٢٤.
٦٥٢-٦٣٩	حنان عبد الواحد صولاغ أ.د. قصي صبيحي عباس	تصوير العمائم والعبي والحجاب والقبعات في فنون بلاد الرافدين	٢٥.
٦٧٤-٦٥٣	زينب فاضل أ.د. سعد سلمان فهد	البساتين والادب (الاساطير انموذجاً)	٢٦.
٧٠٢-٦٧٥	رياض عدنان محمد أ.م.د. نيراس فوزي جاسم حسن	الاستشارة والنصح في عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٣-٧٥٥م)	٢٧.
٧٣٤-٧٠٣	م. جواد كاظم حسن	الدولة الفاطمية نشأتها وتطورها وتوسعاتها	٢٨.
٧٧٠-٧٣٥	سعاد عبد الرزاق فتاح أ.د.عربية قاسم احمد	الرواية التاريخية عن الأمراء والملوك في كتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي	٢٩.
٧٨٦-٧٧١	م.د. هيفاء أحمد عبد	الثلج استخداماته وطرق خزنه في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية	٣٠.
٨٠٤-٧٨٧	أ.م.د. بان علي محمد	الأثر العلمي والفكري للفييه ابو عمران الفاسي في المغرب (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)	٣١.
٨١٦-٨٠٥	ايمان سفاح كوري أ. د. رفاه جاسم حمادي	مسجد مدينة باجة (ميرتولا) في البرتغال	٣٢.

أختام أسطوانية من تلول البقرات دراسة فنية

Cylinder seals from Tūlūl Al-Baqarat Technical
study

أ.د قصي صبحي عباس الجميلي

Prof. Dr. Qusai Subhi Abbas Al-Jumaili

د. جنان عبد الرضا عبد الحسين المشكور

Dr. Jinan Abd Al-Ridha Abd Al-Hussien Al-
Mashkour

Jenan.abd77@ yahoo.com

Tel. 07711709039

أختام أسطوانية من تلول البقرات دراسة فنية

أ.د. قصي صبحي عباس الجميلي

د. جنان عبد الرضا عبد الحسين المشكور

ملخص

الختم عبارة عن قطعة صلبة من الطين اوالحجر اوالمعدن اوأي مادة اخرى عضوية، وتكون الختام على نوعين منبسطة واسطوانية ، ينفذ المشهد المراد بواسطة الحفر على سطح الختم بالنحت الغار بشكل معكوس وعند طبعه على الطين يظهر المشهد المنفذ بشكل بارز وبصورة صحيحة ،وفي الغالب يحتوي الختم على ثقوب لتعليقه،ويستعمل الختم كثيرا في الحياة اليومية،فضلا عن اهميته بالدراسات الاثرية.

Abstract

The seal isa solid piece of clay,stone,metal or any other organic matter.Seals on tow flat and cylinder types.the desired scene is carried out by digging on the surfaceof the seal with sunken sculpture invertedly. When printed on clay, the executed scene appears prominently and correctly, often the seal contains a hole to hang it.theseal is used a lot in daily life, as wellas its importance in archaeological studies.

الأختام في موقع تلول البقرات

الموقع

يعد موقع تلول البقرات الأثري أحد المواقع المهمة في شمال الجزء الجنوبي لبلاد الرافدين، وذلك في الجزء الجنوبي الشرقي للمنطقة الوسطى من السهل الرسوبي، على بعد (٤٥ كم) إلى الشرق من قضاء الكوت مركز محافظة واسط حالياً، وهذا أكسبه موقعاً استراتيجياً مهماً ربما يكون

حلقة وصل بين مدن بلاد الرافدين القديمة في الجنوب والوسط وبين الاقاليم المجاورة في شرق أو غرب بلاد الرافدين .

الأختام (Seals)

الختم هو عبارة عن قطعة صلبة من الطين أو الحجر أو المعدن أو أي مادة عضوية (عظم ، عاج ، صدف)، أخترع الختم لأول مرة في عصر حسونة (٦٥٠٠ - ٦٠٠٠ ق.م)، ثم أستمر وشاع أستعماله في العصور اللاحقة والأختام نوعان المنبسط والأسطوانية، ينفذ المشهد المراد بوساطة الحفر على سطح الختم بالنحت الغائر بشكل معكوس وعند طبعه على الطين يظهر المشهد المنفذ بشكل بارز وبصورة صحيحة، والختم على الأغلب يكون مثقوباً في بروز القفا أو أحد الجوانب في الختم المنبسط بينما يكون طولياً في وسط الختم الأسطوانية، يسهل عملية تعليقه بوساطة خيط أو سلك لحمله (صبي أنور رشيد ، ١٩٦٩ ، ص٧)، وعرف الختم في اللغة السومرية بالمصطلح ((KIŠIB)) وفي اللغة الأكديّة بالكلمة (kunkku) و(CAD , K , p. 451 – 543 ; Halloran , J.A. , , 2006, kiŠibbu) . (p. 146 , Abz , P. 129 ; AHW , 1 , P. 507) .

للختم أهمية كبيرة في الدراسات الأثرية فمن خلال دراسة مشاهدته وطريقة صنعه ونوعية مادته ، فضلاً عن بعضها تحمل كتابات تنقش عليه فهو بذلك يقدم معلومات مهمة عن الموقع والعصر الذي يؤرخ له الختم ويساعد في معرفة المظاهر الحضارية لذلك العصر فضلاً عن المساعدة في التعرف على تاريخ الموقع الذي عثر عليه فيه وتحديد تاريخ طبقاته،(صبي أنور رشيد ، ١٩٦٩ ، ص ١٧) .وبالتالي تتكون لدينا فكرة عن الموقع أو المدينة التي أنتجت تلك الأختام مع الأستعانة بدراسة المكتشفات الأخرى، (هاله كريم ابراهيم ، ٢٠١٤ ، ص ١٨ - ١٩)، أيضاً (سامي سعيد الأحمد ، ١٩٨١ ، ص ٣٠١) .

، للختم أستعمالات متعددة في مختلف مجالات الحياة اليومية فقد أستعمل في ختم السدادات الطينية على الجرار التي تستعمل لخرن المواد الغذائية كالحبوب والسوائل، كذلك استعمل كبطاقات تعريفية للعمال تدون عليها معلومات خاصة بهم ، كما أستعمل الختم في ختم النصوص المسماة ذات المضامين المختلفة مثل العقود والمعاملات الأقتصادية والأدارية والقانونية والمعاهدات والرسائل الرسمية والشخصية للحفاظ على مصداقية هذه النصوص وعدم تحريفها، فضلاً عن أستعماله في ختم الأبواب بعد أغلاقها بوضع طينة على عقدة الحبل الذي تغلق الباب

بواسطته وختم هذه الطينة حتى يتأكد عدم التلاعب بها وفتح الباب (سماح علي خلف محسن ، ٢٠١٠، ص ٣٤ - ٤٤)، أيضاً يعد الختم وسيلة يعبر بها عن ملكية الأشخاص فهو بمثابة هوية لصاحبه وأصبح من المقتنيات الشخصية الضرورية للرافديني القديم فهو يقوم مقام التوقيع الشخصي في وقتنا الحاضر (عادل ناجي ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢١)، وأستعمل الختم أحياناً حرزاً أو تميمة لدفع الشر عن حامله وتمنع الأذى عنه، (رضا جواد الهاشمي، ، ١٩٩٩-٢٠٠٠ ، ص ٣٨٨)، وذلك من خلال مايصور عليه من بعض الرموز الدينية للألهة الحامية أو من خلال طبيعة مضمون المشهد الفني المنفذ، (سيناء محسن كاظم عباس الوائلي، ، ٢٠١٥ ، صص ٥٧ - ٦٣)، (سيناء محسن كاظم عباس الوائلي، ٢٠١٩، ص ٢٠).

أمدتنا التنقيبات الأثرية في موقع تلول البقرات بمجموعة من الأختام الأسطوانية، ومن عصور مختلفة تنحصر ما بين عصر الوركاء وجمدة نصر إلى العصر البابلي الحديث تم تناولها وصفاً وتحليلاً ومقارنة وحدة موضوعاتها وتسلسلها الزمني وكما يلي :

الأختام الأسطوانية (Cylinder Seals)

ظهرت الأختام الأسطوانية منذ عصر الوركاء، إذ عُثر على عدد من الأختام الأسطوانية في الطبقة الرابعة من مدينة الوركاء، (بصمة جي ، فرج ، الاختام الاسطوانية في المتحف العراقي ، ص ٧٥)، في الدور نفسه الذي ظهرت فيه الكتابة. أصبح الختم الأسطواني شائعاً منذ هذا العصر، تمتاز الأختام الاسطوانية بأن نحت المشهد يتم على سطحه الأسطواني وعند طبعه ينتج مشهداً متسلسلاً مستمراً، والأختام الأسطوانية غالباً ما تتقّب ثقباً طويلاً وبعضها بدون ثقب وأخرى تتقّب ثقباً غائراً غير نافذ يثبت به حلقة أو سلك للتعليق ، فضلاً عن ذلك أن الأختام الأسطوانية أكثر ملائمة من الختم المنبسط في طبعه على الطين الطري لذلك أستمر استعماله في بلاد الرافدين على مر العصور (عادل ناجي ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢١).

أما المواضيع التي نحتت على سطوح الاختام الاسطوانية فهي متنوعة ما بين الزخرفة والمشاهد الدينية ومشاهد الحياة اليومية المختلفة ومشاهد الطبيعة والمشاهد الأسطورية نقشت بواسطة طرائق وأساليب متنوعة ومميزة لكل عصر.

تضمنت أختام الدراسة عدد من الاختام الاسطوانية مختلفة في نوع المادة التي صنعت منها وفي أحجامها ومواضيعها ومضامينها وهي تعود الى عصور مختلفة، تم تصنيفها ودراستها وفق التسلسل التاريخي وكما يلي :

ختم اسطواني مثقوب طولياً، منفذ من حجر المرمر، ذو لون أحمر فاتح يضم الختم مشهداً حيوانياً، اذ يظهر حيوان العنكبوت بحركة كأنه يتسلق شيئاً ما، يظهر بدنه كأنه جره بيضوية ذات عنق طويل تستند إلى قاعدة وهي الأرجل الاربعية، إلا أن وضعية أطرافه الثمانية تجزم بأن هذا العمل يمثل حيوان العنكبوت، (ظهر حيوان العنكبوت كثيراً على مشاهد الاختام في الوركاء وعصر جمدة نصر التي تبين صناعة النسيج والتي صورت المشاهد المراحل التي تجري فيها تلك الصناعة ، ريا محسن ، ١٩٩٨ ، ص ١٤٤) .

١- ، ويظهر رأسه بشكل دائري صغير تبرز منه لوامس الفم كما في الجانب الأيمن، (شكل ١) ، نفذ الشكل بالحفر الغائر، ويؤرخ الى عصر جمدة نصر (Collon , D. , 1987 , fig. 23) .، اذ ظهر هذا الشكل على الكثير من اختام ذلك العصر، عثر على ما يماثله في اور (Amiet , P., (Legrain , L., Cylinder , 1951 , p. 11 , fig. 16)، وتلو، (N. 344 , 1961 ، فسر هذا الشكل على انه ربما كان الامر مرتبطاً بأفكار أسطورية سومرية على أنه يمثل أحد الآلهة.

هناك رأي آخر يفسره على أنها عبارة عن جرة موضوعة على قاعدة ، وآخر يصوره على أنه يمثل امرأة بوضعية القرفصاء تصور بشكل عنكبوت (Frankfort, H., The Ancient Near (fig . F) ونرى أن الامر يمكن أن يكون له علاقة بعملية النسيج إذ إن المعروف عن العنكبوت بأنه يقوم بنسج بيته فضلاً عن أستعمال ما ينتجه من خيوط للدفاع عن نفسه أي استعمالها لحماية نفسه وكذلك لاصطياد فريسته، بمعنى أن فكرة نسيج الخيوط أخذها الانسان القديم من العنكبوت لسد حاجاته اليومية، الامر الذي يعزز رأينا هذا هو ظهور العنكبوت في مشاهد بعض أختام عصر جمدة نصر وبجانبه لفائف كبيرة من الخيوط، وفي ختم آخر يظهر وهو يتوسط ما بين امرأة تقوم بعمل ما وحيوان الماعز وبجانبه الايسر جهة الماعز قطعة نسيج وتمتد أطرافه بشكل مبالغ فيه، (ريا محسن عبد الرزاق ، ١٩٩٨ ، ص ٤٨٩ ، شكل ٤٨٠)، ربما تصويره بهذا الشكل اذ يبدو بحجم أكبر من باقي اشكال الختم دلالة على التبرك والوفرة في الانتاج .

٢- ختم أسطوانى مثقوب ثقب طولى غائر، نفذ من حجر رصاصى اللون مائل للجوزى، يضم الختم مشهداً هندسياً، عبارة عن حزوز هندسية على شكل خطوط مائلة بشكل نصف دائرى ويقتررب الى الشكل الهلالى. نفذ العمل بالقشط والتحزيز، ربما يمثلى المشهد زخارف هندسية، (شكل ٢)، شاعت مثل هذه المشاهد كثيراً فى عصرى جمدة نصر وعصر فجر السلالات الأولى، (محمد صبرى ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٥).

استخدمت الزخارف الهندسية فى تزىن سطوح الجرار الفخارية من عصور حسونة وسامراء وحلف وأستمرت للعصور اللاحقة، (Von Oppenheim , B.M , 1933 , p. 2). يرى بعض الباحثين أن العناصر الزخرفية التى تزىن الأعمال الفنية ما هى الا رموز لقوى الطبيعة التى كانت مبعثاً للخوف فى نفس الانسان القديم ، ولكى يحمى نفسه من غضب الطبيعة رسم صوراً ترمز لها وبمرور الزمن أختزلت تلك الصورة وربما نسي الانسان أصل الرمز وأصبحت عناصر زخرفية ينفذها الفنان لتزىين أعماله على شكل خطوط مائلة أو متقاطعة مشكلة أشكال هندسية أخرى مثل المثلثات والمربعات وأنصاف الدوائر وأشربة تحصر بينهما خطوط متموجة، (مهدي نورى السبهان، ٢٠١٠ ، ص ١١٦ - ١١)، فضلاً عن أن تلك الزخارف تعطى قيمة جمالية للأعمال الفنية، (غسان مردان ، ٢٠١٢ ، ص ١٨٩)، عثر على ما يماثل هذا الختم فى مواقع تل اجرب، (Porada , E., 1948 , Pl. 7 , Fig. 827)، وخفاجى، (Frankfort , H. , 1955 , OIP , p. 127 , Pl. 17)

٣- ختم أسطوانى الشكل مثقوب ثقباً نافذاً طولياً ، نفذ من مركب القار، اسود اللون، نفذ عليه مشهد بشكل رمزى، فهو غير واضح فقط خطوط متموجة بشكل مائل لانعرف إذا كانت تمثل أفاعى ذات رؤوس مدببة أو قروناً لحيوان ولكنها تبدو أقرب الى شكل الأفاعى وهى تتحرك، نفذ العمل بطريقة القشط والحزوز، (شكل ٣)، يعود الختم الى عصر الوركاء او الى عصر جمدة نصر.

يذكر أن الكثير من النتاجات الفنية من القار لفترة الوركاء لاسيما ان القار استعمل فى صناعة الكثير من الاشياء ذات الوظائف المختلفة ومنها فى الاختام وسدادات الجرار ذات أشكال هندسية متنوعة، (Van Ess , M . and Pedde , F., 1992 , p. 127 - 133)، هكذا مشاهد تعطى طابعاً نسيجياً حصيرياً، (ريا محسن عبد الرزاق ، ١٩٩٨ ، ص ٣٠٨) .

تجدر الإشارة الى أن المواضيع الزخرفية الهندسية على الأختام الاسطوانية تتشابه الى حد كبير بين عصر الوركاء وعصر جمدة نصر وحتى فجر السلالات الأول إذ أن التفريق بين أختام هذين العصرين يبدو عسيراً، (صبحي انور رشيد ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨). عثر على ما يشابهه في كيش إلا أنه يؤرخ الى عصر جمدة نصر ومصنوع من حجر المرمر الوردية، (صبحي انور رشيد ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨ لوح ٤ : ١٢)، وهذا ما يدل على الاستمرارية والتواصل بين العصرين كذلك عثر على ما يشابهه في تل المقادبية يؤرخ الى عصر جمدة نصر، (ريا محسن عبد الرزاق ، ١٩٩٨ ، شكل ٣٢٨).

٤- ختم اسطواني مثقوب طولياً ثقباً نافذاً صغير الحجم، من الحجر الجيري اسود اللون، نفذ عليه موضوع هندسي يعرف بـ (النسيج الحصري) ، يصور خطوطاً عديدة متلاقية ومتقاطعة مع بعضها بشكل غير منتظم مكونة اشكالاً هندسية مختلفة مثل المستطيلات والمثلثات والمربعات، (شكل ٤) ، يعود الى عصر فجر السلالات الأول، عثر على ما يماثله في منطقة ديبالى، (ريا محسن ، ١٩٩٨ ، ص ٣٠٦ : ٣١٩ ، ص ٣٠٧ : ٣٢٠)، وتل اسود ، (سيناء محسن كاظم الوائلي، ٢٠١٥ ، ص ١٥٤ : شكل ٣٨).

ختم أسطوانية مثقوب طولياً ، منفذ من الفخار ذو لون رصاصي غامق لتعرضه للحرق الشديد، يضم الختم مشهد تقديم آله ثانوي لإله رئيس و نفذ المشهد بأسلوب تجريدي، إذ يظهر على يمين الختم احد الالهة في حال جلوس على كرسي العرش وأمامه دكة القرايين خلفه تظهر السنبله والعمود ذو الحلقة النصف دائرية (الصولجان)، الكرسي صور بشكل مستطيل وبدون مسند خلفي وصور بشكل الطلعات والدخلات التي كانت تزين واجهة المعابد، يظهر الاله الجالس بمنظر جانبي للرأس والأطراف السفلى ومنظر أمامي للجذع ، يده اليمنى ممدودة الى الامام وهي تحمل أو يمسك بها شيئاً غير واضح والثانية مضمومة للصدر، يعلو المشهد بمستوى وجه الاله الجالس شكل هلال مسنناً ، (الهلال : هو رمز الاله (ننا - سين) اله القمر يعتقد الباحثون ان الهلال قدس كرمز للاله سين منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور التاريخية فضلا عن ان القمر له مكانة خاصة لدى السومريين اذ تم اتخاذه تقويمياً للزمن من الفترات التي يمر بها من الهلال والبدر ثم المحاق . لتقسيم الشهر الى اربعة اسابيع ، والاله سين هو سيد النور والضياء ، RLA , p. خزعل الماجدي، ١٩٩٨، ص ١١٢ . ايضاً : ساكز ، هاري، ١٩٧٩ ، ص ٣٧١ 485) .

، وتحت الهلال حيوان على الأرجح غزالة رابضة تحاول النهوض، والاله يعتمر تاج الالهية عليه زوج من القرون وهو ما يعرف بالتاج المقرن، الملامح غير واضحة ويبدو أنه يرتدي ثوباً طويلاً يصل القدمين، وربما يكون الاله (ننا - سين) اله القمر وهو من الالهة الرئيسية في مجمع الالهة، (مجمع الالهة : عرف في اللغة السومرية بالمصطلح (UKKIN) يقابله في اللغة الاكدية كلمة (puhrum) ، ويعني مجمع ، استعمل للدلالة على (مجمع الالهة) أو مجلس المدينة أو مجلس القضاء ، مجمع الالهة هو انجاز فكري لرجال الدين من السومريين ، يعود تاريخه الى قرابة منتصف الالف الثالث ق.م وهو نظام كوني هرمي الشكل مقدس جامع لكل الكيانات من ظواهر طبيعية متمثلة بالالهة فهو اقرب الى ما يعرف (بدولة الالهة) ، جاكوبسن ،

ثوركلويد واخرون ، ١٩٦٠ ، ص ١٥٨ ; CAD , p. 485 : a and AHW , P. 810

Hook , S. H., 1962, p. 15 ; Jacobsen , Th., Primitire , JNES- II 1943 , P. 188) .

وفق الفكر الديني الرافديني القديم، يقف أمامه شخصية غير واضحة المعالم على الأرجح إله ثانوية بالمنظر الجانبي للرأس والأطراف السفلى، يدها اليسرى مرفوعة الى الأعلى بمستوى الوجه للدلالة على اداء التحية، ويدها اليمنى مثنية الى الخلف تمسك باليد اليسرى للاله الثانوي، ترتدي رداءً طويلاً يصل الى كاحل القدمين، ربما يكون مزيناً بطيات كما هو مألوف على الأختام، نلاحظ في الجانب الأيسر من الختم شخصية إله بحالة وقوف جانبية وهو يعتمر التاج المقرن وقد أمسك الاله الثانوي بيده اليسرى، وخلفه عنصر زخرفي نباتي هو شكل السنبله، (شكل ٥)، يؤرخ على الأرجح الى العصر الأكدي، عُثر على ما يماثله تقريباً في مثل هذا المشهد من مواضيع المثول في مواقع عدة منها تل شमित، (محمد صبري ، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ ، ص ٢١٥ ، لوح ١٦)، موقع بزبخ، (حيدر فرحان الصبيحاوي، ٢٠٠٣-٢٠٠٤ ، ص ١٩١ ، شكل ٢٨) . (بزبخ : او زابالام يقع في محافظة ذي قار جنوب العراق على بعد ٢٩٠ كم من العاصمة بغداد تابع لناحية سكر ، ويبدو انه استوطن منذ اواخر عصر فجر السلالات ذكر باسم زابالام في احد النصوص الادبية، المصدر نفسه ، ص ١٦٩)، تل الذهب، (علي احمد التميمي، ٢٠١٧ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ، شكل ٨٨)، ومواقع عدة من منطقة ديالى، . (Moller , E. , 1986 , Pl. II , p. 60).

كذلك تميزت مشاهد الأختام الأسطوانية في معظم العصور بأنها تضم رسوماً جانبية لحيوانات أو الانسان الراقص ذو الساقين المعقوفة وهذه الرسوم تكون صغيرة لملى الفراغ وتنتشر بين العناصر الرئيسية للموضوع الرئيس للختم، (علي احمد التميمي، ٢٠١٧ ، ص ٨٢)، وهذا ما صور

في مشهد ختم الدراسة اذ ظهر شكل الحيوان متمثل بالغزالة الرابضة وفوقها شكل الهلال، فضلاً عن شكل السنبله هذه العناصر وظفها الفنان لملاً الفراغات.

٥. ختم اسطواني مثقوب طولياً ، منفذ من الفخار، ذو لون بني، يضم الختم مشهد مثل امام شخصية غير واضحة على يمين الختم، وهو بمنظر وقوف جانبي يتجه يسارا، يمسك بيده اليمنى صولجاناً على شكل عصا يعلوها شكل هلال، ويده اليسرى مضمومة للصدر، يرتدي ثوباً طويلاً يغطي القدمين، امامه شكل المعول رمز الآله مردوخ، يقابله شخص يظهر بمنظر جانبي يتجه يمينا الملامح غير واضحة، ربما اليد اليسرى مرفوعة للأعلى بوضعية التحية واليد اليمنى ممدودة مع الجسم وهي تبدو تمسك بعصا، اما الشخصية الثالثة في يسار الختم فهي بوضعية جانبية يتجه يمينا، ويبدو أنه يمسك بيده اليسرى صولجان برأس حيوان مقرن رمز الآله مردوخ، أذن الموضوع هو مثل أمام شخصية ربما ملكية تحمل صولجاناً. (شكل ٦) ، يؤرخ الى العصر (Collon , D., , 1986 , Pl. XXXVIII : 537).البابلي القديم

٦. مجموعة من الاختام الاسطوانية منفذة من حجر الكلس، (او ما يعرف بـ (اللايمستون) حجر جيرى يغلب عليه اللون الابيض ويكون اصفر او اسمر أو رمادي أو اسود او احمر وذلك تبعا لنوع ومقدار المواد الغربية المختلطة به وتماسكها يجعله حجر املس غير مسامي ، وهو من نوع الحجر الهش والضعيف جدا ، متوفر بكثرة في بلاد الرافدين . وعرف في اللغة السومرية ، عبد الله الصباح aben / plu يقابله في اللغة الاكدية كلمة NA- BUR^{NA4} بالمصطلح ، Moorey , P.R.S. , واخرون ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٩ ؛ دانيال دي بوتس ٢٠٠٦ ، ص ١٦١ ، (1994 , p. 21- 38 ; CAD , p. 274) .

، اللون اصفر محمر مثقوبة طولياً بثقب نافذ، مختلفة الأحجام، غير منحوتة (شكل ٧).

أشارت دراستنا لموضوع الأختام الأسطوانية الى عدد من النقاط التي نود أن نثبتها وهي :

١- تنوع العصور التي تعود اليها الأختام فهي تتحصر ما بين عصر الوركاء والعصر البابلي الحديث، وهذا يدل على أن موقع تلول البقرات قد استوطن طيلة تلك العصور وواكب جميع التغييرات والتطورات التي حصلت خلال مر العصور، لكن يجب أن نضع في الالذهان أن هذه الاعداد القليلة من الأختام هي بالتأكيد جزء من مجموعة أكبر ضمن الموقع الذي تناولته التنقيبات الاثرية بشكل جزئي فضلا عن تعرضه بشكل كبير لاعمال النيش والتخريب.

٢- تنوعت كذلك المشاهد المنفذة على الأختام الأسطوانية، إذ تكثر عليها المشاهد الدنيوية متمثلة بالمشاهد الحيوانية فضلاً عن الزخرفية والهندسية، فضلاً عن المشاهد الدينية التي شملت رموز بعض الألهة فضلاً عن مشهد المثل امام الالهة وهو ما كان لها الاثر الكبير في انتاج تلك المواضيع.

٣- أختلفت المواد التي صنعت منها الأختام فضلاً عن تنوع أحجامها أو قياساتها، يعطي صورة واضحة عن المستوى المعيشي لسكان الموقع بصورة خاصة وسكان بلاد الرافدين بصورة عامة، إذ إن بعضها تم صنعه من مواد ثمينة وربما غير متوافرة قد تكون مستوردة وأخرى صنعت من مواد متوافرة بكثرة مثل الفخار.

٤- تنوعت الاساليب الفنية المستخدمة على الأختام ما بين الزخرفي والتجريدي والواقعي، غير أن الاسلوب التجريدي كان الأكثر شيوعاً، وعدم الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة بالنسبة لاغلب أختام الدراسة مع الأخذ بعين الاعتبار ان الموقع لم ينقب بالكامل فضلاً عن تعرضه للسرقة والتخريب ربما أدى ذلك الى ضياع الكثير من القطع الفنية أو تلفها.

٥- تعدد الأدوات المستعملة في صناعة الأختام، فبعضها كان بسيطاً وبأستخدام ادوات بسيطة لتنفيذ المشهد كما هو الحال بالأختام الفخارية، والأخرى استخدمت ادوات كالمقاشط والازميل والمثاقب في عملها إذ نحتت بطريقة القشط المتدرج والتحزيز مما يدل على وجود ورش لعمل ذلك، سيما ماأظهره الموقع من عدد الأختام غير المكتملة التي كانت تنتظر دورها في الأنجاز.

- 1-Sobhi Anwar Rashid,History of Art in Ancient Iraq,The Art of Cylinder Seals,C1,(Baghdad,1969),p.7
- 2-Adel Naji,"The Cylinder Seals",Civilization of Iraq,Vol.4,(Baghdad,1985),p.220.
- 3-CAD , K , p. 451 – 543 ; Halloran , J.A. , Sumerian Lexicon Dictionary Guide to the Ancient Sumerian Language , (Los Angeles , 2006) , p. 146 , Abz , P. 129 ; AHW , 1 , P. 507 .
- 4- Sobhi Anwar Rashid, 1969,p.17.
- 5-Hala Karim Ibrahim,Religious Topics in Cylinder Seals from the Warka Period to the Neo-Sumerian Period,Unpublished Master's thesis, university of Baghdad,College of Arts,Department of Antiouities,(Baghdad,2014) p.18-19.
- 6-Sami saeed AL-Ahmad,"Historical and Heritage of the Cylinder seals",AL-Murd,Vol 1, (Baghdad,1981),p.301.
- 7-Samah Ali Khalaf Mohsen,Analytical study of unpublished fleet seals from the Old Babylonian Period, Unpublished Master's thesis, university of Baghdad,College of Arts,Department of Antiouities, (Baghdad,2010),p.34-44.
- 8- Adel Naji,1985,p.221.
- 9-Reda Jawad AL-Hashimi,"an introduction to the study of seals in theArabian Gulf", (Baghdad,1999-2000),p.388.
- 10- Sinai MohsenKazem Abbas aL-Waeli, Cylinder Seals discovered in Tel Aswad, Unpublished Master's thesis, university of Baghdad,College of Arts,Department of Antiouities,(Baghdad,2015) ,p.57-63.
- 11- Sinai Mohsen Kazem Abbas aL-Waeli,Labona animals on the scenes of the seals of Mesopotamia until 539, Unpublished doctoral thesis, university of Baghdad,College of Arts,Department of Antiouities,(Baghdad,2019) ,p.20.
- 12-Faraj Basma J, Cylinder Seals at the Iraqi Museum,p.75.

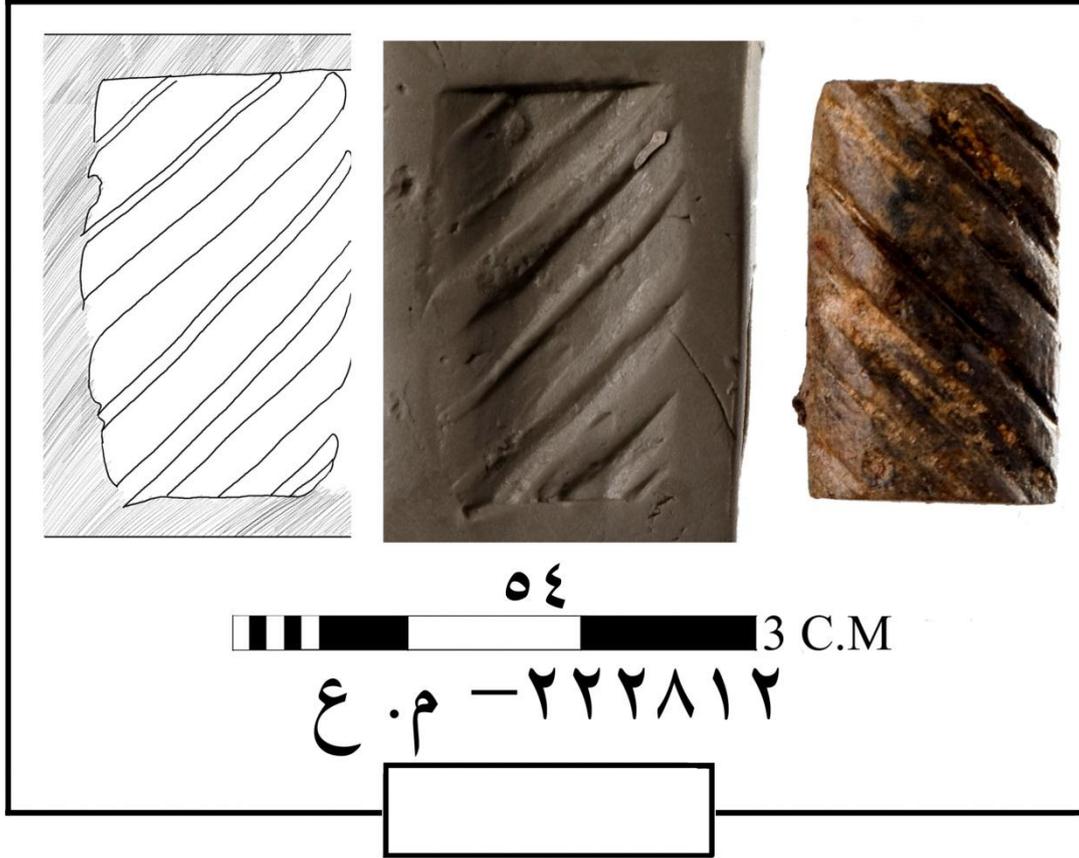
- 13- Adel Naji,1985,p.221.
- 14-Raya Mohsen Abdul Razzaq AL-Hajj,Dawn of Sumerian Civilization in the Light of theSeals of Warka and Jumadat Naser, Unpublished doctoral thesis, university of Baghdad,College of Arts,Department of Antiouities,(Baghdad,1998) , p.144.
- 15-Collon , D. , 1987 , fig. 23 .
- 16- Legrain , L., Ur Excavation , Vol. X Seal Cylinder , (New York , 1951) , p. 11 , fig. 16 .
- 17-Amiet , P., 1961 , N. 344 .
- 18-Frankfort , H., The Ancient Near , fig . F .
- 19- Raya Mohsen Abdul Razzaq AL-Hajj,1998,p.489,fig 480.
- 20-Mohamed Sabri Abdel Rahim,Excavations at the Schmidt sit,Vol 52,(Baghdad ,2003-2004),p.215.
- 21-Von Oppenheim , B.M , Tell Halaf A new Culture in Oldest Mesopotamia , (USA , 1933) , p. 2 .
- 22-Mahdi Nuri Al-Sabhan,Aesthetics of Decorative shapesin Contemporary Iraqi Ceramics , Unpublished Master Thesis,University of Basra,Faculty of Fine Arts,(Basra,2010),p.116-119.
- 23-Ghassan Mardan,"Engineering Decorations in Ancient Sumerian Art",Journal of Mesopotamia Antiquities,No.1,(Mosul,2012),p.189.
- 24-Porada , E., The Collection of the Pierpont Library , (Washington , 1948) , Pl. 7 , Fig. 827 .
- 25-Frankfort , H. , 1955 , OIP , p. 127 , Pl. 17 .
- 26-Van Ess , M . and Pedde , F., 1992 , p. 127 – 133 .
- 27-Daniel Potts de, Mesopota,ia civilization,the Physical foundation ,translated by Kazem Saad al-Din,(Baghdad, 2006),p.158.
- 28- Raya Mohsen Abdul Razzaq AL-Hajj,1998,p.308.
- 29- Sobhi Anwar Rashid, 1969,p28.
- 30-Ibid,fig4:12.
- 31- Raya Mohsen Abdul Razzaq AL-Hajj,1998,fig328.
- 32-Ibid,p,306:319,p307:320.
- 33- Sinai Mohsen Kazem Abbas aL-Waeli,2015,p154:fig38.
- 34-Khazal AL-Majidi,Matun Sumer,(Jordan,1998),p.122.
- 35-Sakes Harry,Greatness of Babylon,translated by:Amer Suleiman,(Mosul,1979),p.371.
- 36-RLA , p. 485 .
- 37-CAD , p. 485 : a and AHW , P. 810 ;

- 38-Jacobson Thorclade and Others,Pre-Philosophym, ranslated by:Jabra Ibrahim Jabra,(Baghdad,1960),p.158.
- 39-Hook , S. H., Babylonian and Assyrian Religion (Oxford , 1962) , p. 15
- 40- Jacobsen , Th., Primitire , " Democracy in Ancient Mesopotamia " , JNES- II ,(Chicago , 1943) , P. 188 .
- 41- Mohamed Sabri Abdel Rahim,2003-2004,p.215:16.
- 42-Haidar farhan AL-Subhawi,Archaeological excavations at the site of Bozikh,Sumer,Vol 52(Baghdad, 2003-2004),p191,fig:28.
- 43- Ibid,p.169.
- 44-Ali Ahmed AL-Tamimi, the Location of Tell al-Dahab in the light of archaeological sites, Unpublished Master's thesis, university of Baghdad,College of Arts,Department of Antiouities,(Baghdad,2017),p.126-127,fig:88.
- 45-Moller , E. , " Cylinder Seals from The Horniman Museum " , Iraq , Vol. 48 , (London , 1986) Pl. II , p. 60 .
- 49--Ali Ahmed AL-Tamimi,2017,p.82.
- 46-Collon , D., Cylinder Seals III Isin – Larsa and Old Babylonian , Periods , (British , 1986) , Pl. XXXVIII : 537.
- 47-Abdullah AL-Sabah and others,Geology of Iraq,(Baghdad,1982),p.199.
- 48- Daniel Potts de,2006,p.161.
- 49- Moorey , P.R.S. , Ancient Mesopotamia Materials and Industries , (USA , 1994) , p. 21- 38 ; CAD , p. 274 .

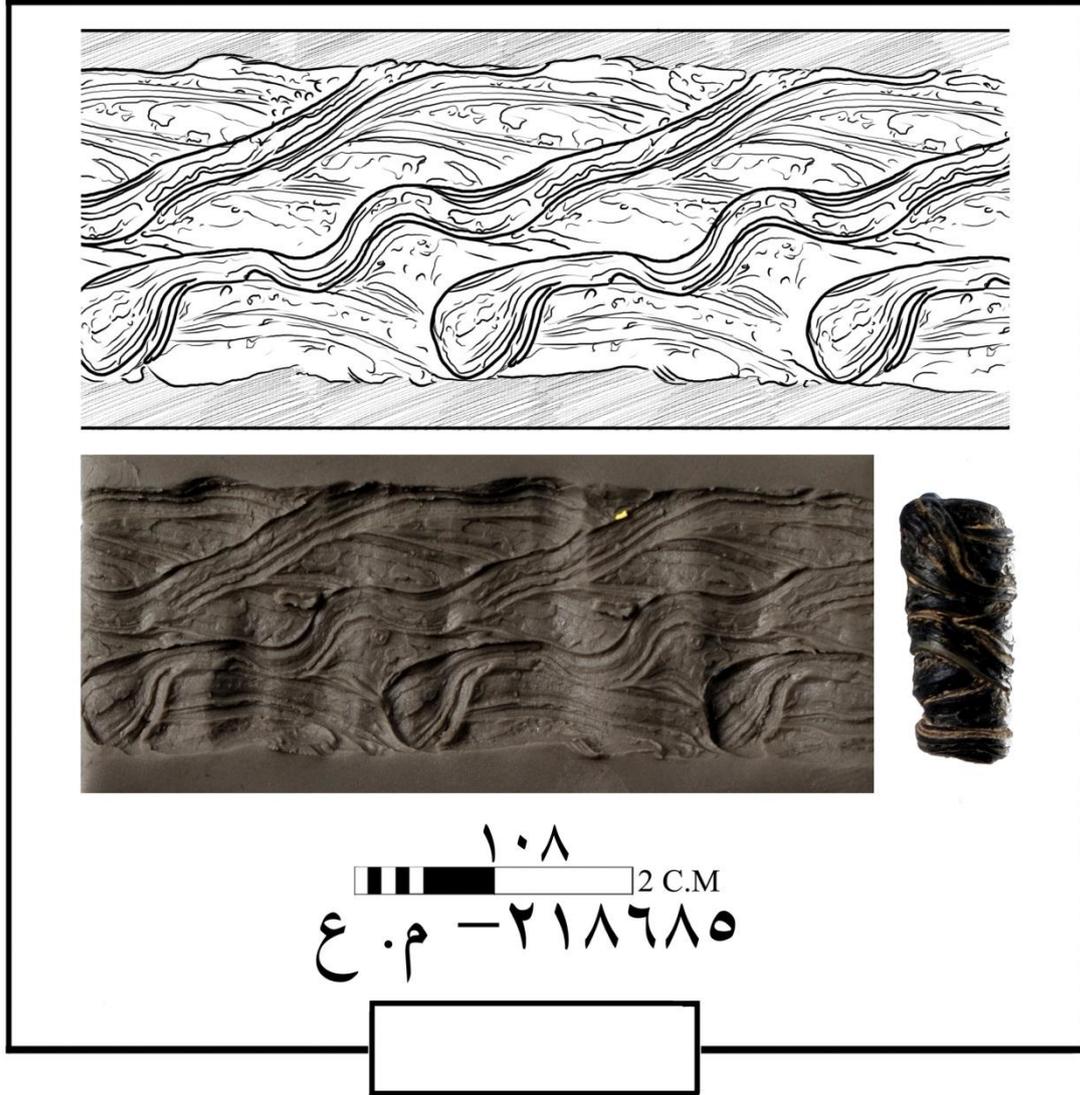
الاشكال



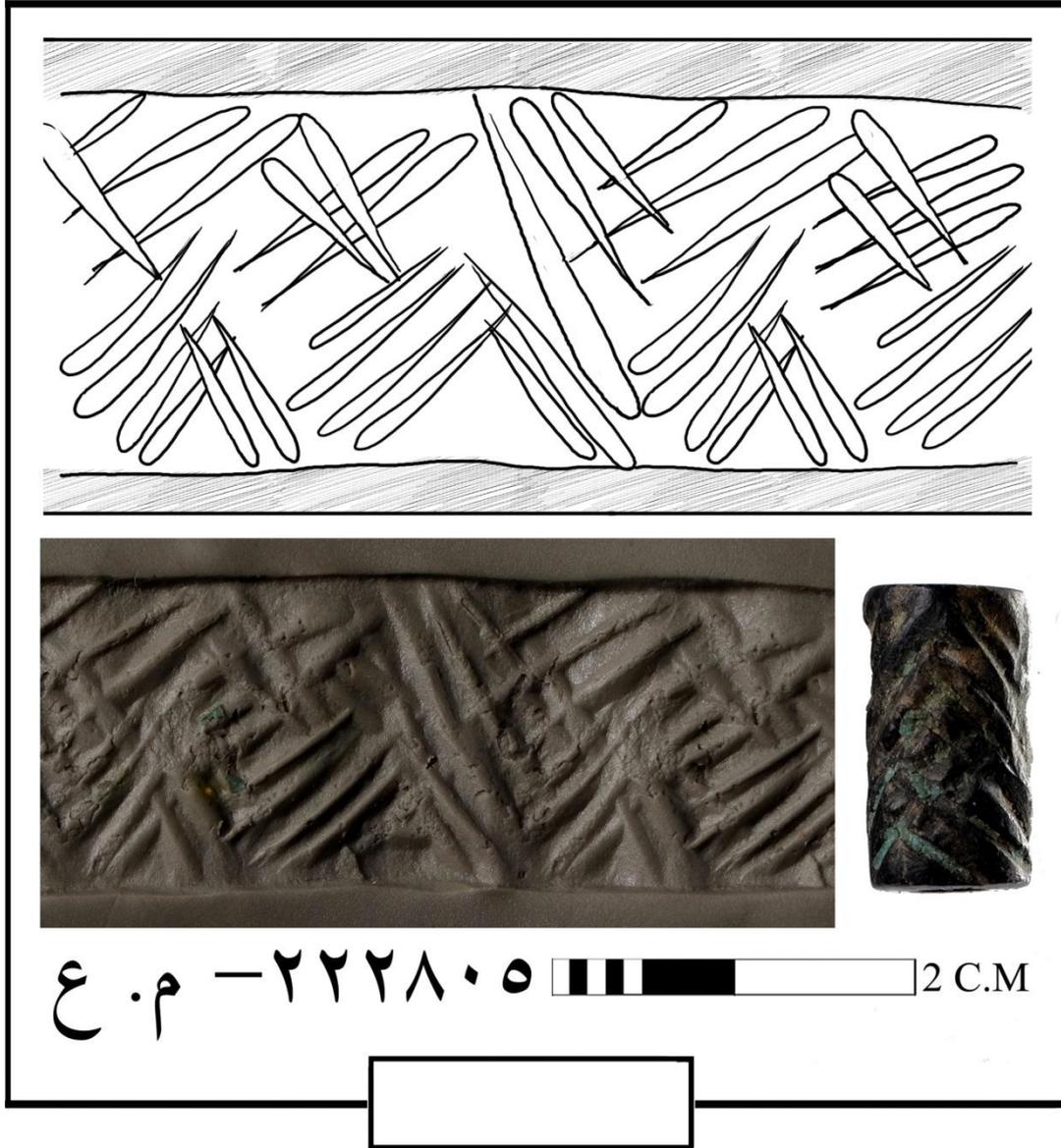
شكل رقم (١)



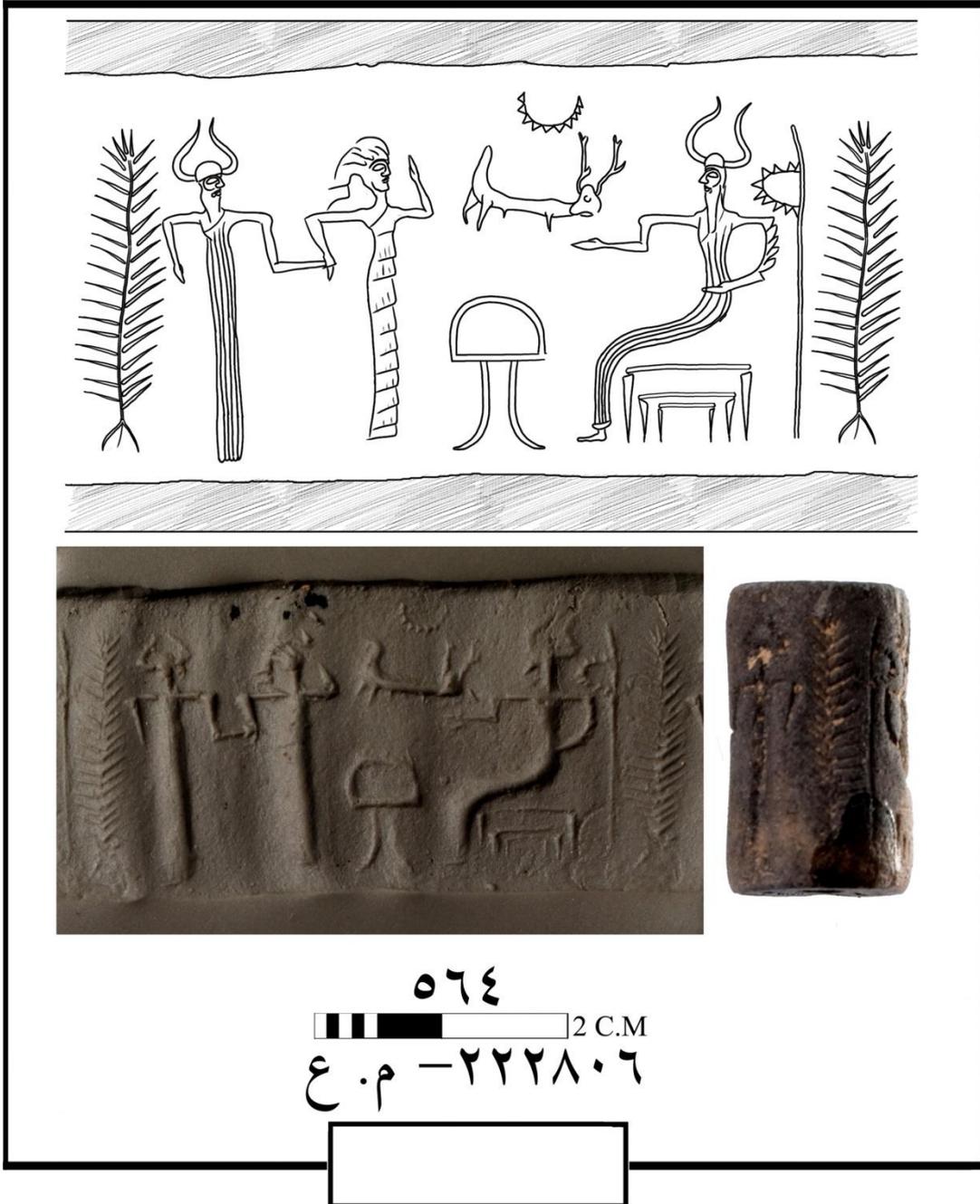
شكل رقم (٢)



شكل رقم (٣)

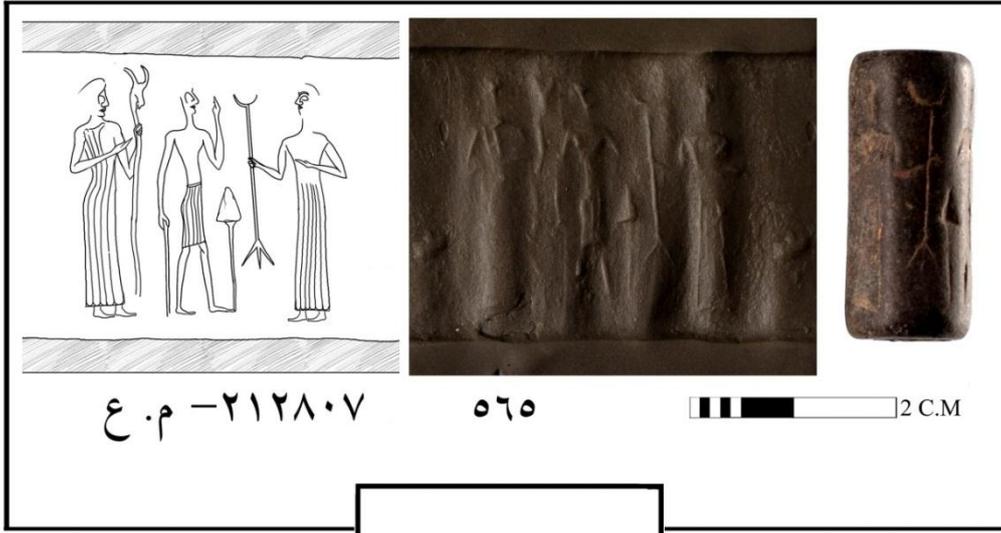


شكل رقم (٤)



شكل رقم (٥)

أختام أسطوانية من تلول البقرات دراسة فنية



شكل رقم (٦)



رقم (٧)

آلة الطب الایقاعیة فی حضارة بلاد الرافدین

أ.م.د. رجاء كاظم عجلیل

جامعة ذي قار/كلية الآداب

آلة الطبل الايقاعية في حضارة بلاد الرافدين

أ.م.د. رجاء كاظم عجيل

لقد أفرزت لنا حضارة بلاد الرافدين العديد من المظاهر الحضارية المهمة والتي كانت نتاجات عمل الإنسان عبر مر العصور، فقد تفاعل الإنسان العراقي القديم مع البيئة التي يعيش بها واحاط بكل مقوماتها الايجابية والسلبية، واستطاع ان يتعامل معها بما يضمن له استمرار بقائه ونموه.

وابتداءً من العيش في الكهوف وصولاً إلى سكنه في بيوت مستقلة، اختط هذا الإنسان عبر هذه المراحل نظماً لحياته بتفاصيل دقيقة ومهمة ابرزتها لنا نتائج التنقيبات الأثرية التي شرعت في العديد من المواقع الأثرية القديمة، وكذلك ما أفرزته لنا الكتابات المسمارية من مضامين حضارية متنوعة ومهمة ساعدت دراستها في إعطاء صورة واضحة عن حياة بلاد الرافدين سواء اكانت متعلقة بالجانب الديني وهو الأكثر شيوعاً أو الدنيوي.

وفي ضوء استقراء النصوص المسمارية التي تضمنت مواضيعها ألونا متنوعة من حضارة بلاد الرافدين ابتداءً من النصوص الدينية التي أفرزت لنا معلومات مهمة عن ديانة بلاد الرافدين وأهم الآلهة التي عبدت في هذه الحضارة وأهم المعابد التي بنيت وأهم الممارسات والطقوس الدينية التي مارسها سكان بلاد الرافدين ارضاءً لآلهتهم وطلباً للسلامة والأمن والازدهار، وصولاً إلى النصوص الاقتصادية التي أفرزت لنا واقع الحياة اليومية الاقتصادية التي مورست في هذا البلد المعطاء.

وفي ضوء التنوع الحضاري الذي اتسمت به حضارة بلاد الرافدين واصالتها وتأثيرها على الحضارات الأخرى، ارتأى الباحث ان يشرع بموضوع الموسيقى وتأثيرها ودورها في حضارة بلاد الرافدين وتحديداً جزئية منها وهو آلة الطبل الموسيقية؛ إذ مارس سكان بلاد الرافدين العزف على الآلات الموسيقية وكذلك مارسوا الغناء المصاحب لهذه الموسيقى، وكان لهم دوافع عديدة لهذه الممارسات بيد أن أهم هذه الدوافع كان الدافع الديني بحسب ما أوردته لنا النصوص المسمارية المتنوعة والتي حوت في مضامينها الموسيقى والآلات الموسيقية المتعددة وما يرتبط بها من

معلومات قيمة عرفتنا بهذا اللون الحضاري المهم وانعكاساته على المجتمع في حضارة بلاد الرافدين وكذلك عززت لنا الفهم العام للموسيقى والآلات الموسيقية وما يرتبط بها من موروث حضاري كان ولا يزال مستعملا حتى وقتنا الحاضر .

تأتي أهمية دراسة الموسيقى والآلات الموسيقية من خلال ارتباطها ارتباطا وثيقا بوجودنا ومشاعر الإنسان وارتباطها أيضاً بالجانب الديني الذي كان وما يزال مؤثرا وموجها لحياة الإنسان .
اتبع الباحث الأسلوب النظري في منهج البحث العلمي المعتمد بالدرجة الأساس على ما تضمنته النصوص المسمارية من معلومات ترتبط بنحو أو بآخر بالموسيقى والآلات الموسيقية ومنها على وجه الخصوص آلة الطبل .

The percussive drum in the Mesopotamian civilization

Abstract

The civilization of Mesopotamia has produced for us many important aspects of civilization, which were the products of human work throughout the ages.

And by reading the cuneiform texts whose subjects included a variety of fields from the civilization of Mesopotamia, starting from the religious texts that gave us important information about the Mesopotamian religion and the most important deities that were worshiped in this civilization and the most important temples that were built and the most important religious practices and rituals practiced by the inhabitants of Mesopotamia to please their gods and request For safety, security and prosperity, down to the given economic texts that gave us the reality of daily economic life practiced in this country.

Through the cultural diversity that characterized the civilization of Mesopotamia, its authenticity and its impact on other civilizations, the researcher decided to initiate the subject of music, its impact and its role in the Mesopotamian civilization, specifically a part of it, which is the musical drum . Music, and they had many motives for these practices, but the most important of these motives was the religious motive, according to what was reported to us by the various cuneiform texts, which contained music and multiple musical instruments and the valuable information associated with them that introduced us to this important civilized feild and its repercussions on society in the civilization of Mesopotamia, as well as It has enhanced our general understanding of music and musical instruments and the cultural heritage associated with them that was and is still in use until the present time.

The importance of studying music and musical instruments comes through its close connection with the conscience and feelings of man, and its connection also with the religious aspect that was and is still influential and directing human life.

المختصرات المستعملة في البحث

المختصر	اسم المصدر
AfO	Archiv für Orientforschung
BIN	Babylonian Inscriptions in the Collection of J. B. Nies
BRM	Babylonian Records in the Library of J. Pierpont Morgan
CAD	The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago
CT	Cuneiform Texts from Babylonian Tablets
OECT	Oxford Editions of Cuneiform Texts.
SAOC	studies in ancient oriental civilization
TCL	Textes cuneiformes du Louvre
TuL	E. Ebeling, Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier
ZA	Zeitschrift Für Assyriologie and Vorderasiatische Archäologie, Leipzig & Berlin (1886 ff).

نبذة عن تاريخ الموسيقى بلاد الرافدين:

إنَّ حضارة بلاد الرافدين امتازت بتنوعها وثراء جزئياتها، ولكل من هذه الجزئيات والمعطيات الحضارية لابد ان تكون لها بداية قبل ان تتطور بمراحلها المتعددة، وينطوي ذلك أيضاً على الموسيقى فمتى بدأت الموسيقى في حضارة بلاد الرافدين وما هو السبب وراء ابتكار وتصنيع الأنواع المختلفة من الآلات الموسيقية؟

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال يستلزم امورا عديدة ومن اهمها الدليل الاثري للآلات الموسيقية وكذلك الدليل الكتابي، وفيما يتعلق بالدليل الكتابي فإنَّ أهم المعلومات تشير إلى استعمال الطبول يرقى إلى عصر فجر السلالات (رشيد، ١٩٧٠، ص ٢٤٤-٢٤٥)، واما الدليل الاثري فهو يشير إلى أقدم ما تم الكشف عنه من الآلات الموسيقية وهي القيثارة الذهبية التي تم العثور عليها في مدينة أور (Woolley, 1934, p.1934ff)، أما قبل هاتين المدينتين فيصعب الإجابة عن ذلك فهو يحتاج إلى دليل مادي ملموس أو دليل كتابي أقدم.

تعددت مصادر معلوماتنا حول الآلات الموسيقية فالبعض منها تم ايجاده أبان التنقيبات الأثرية وخاصة في المقبرة الملكية في مدينة أور (Pollock, Woolley, 1934, p.1934ff)

(No Date, PP.129-158)، أما المصدر الآخر فهو يمثل تلك المشاهد الفنية التي عبرت عن واقع الحياة اليومية الاجتماعية في حضارة بلاد الرافدين ومنها القرع على الطبول واستعمال أنواع مختلفة من الآلات الموسيقية (Parrot, 1962, Fig.241) (Strommenger, 1961, p.310, Fig). أما أهم مصادر معلوماتنا حول الآلات الموسيقية فهو ما أفرزته النصوص المسمارية من معلومات جمة حول الآلات الموسيقية.

التسميات:

لم يكن للتسمية التي تطلق على الأشياء في حضارة بلاد الرافدين اعتبارية، بل أنها ارتبطت بشكل مباشر بماهية ومدلول الأسماء، فعلى سبيل المثال كان لأسماء الأشخاص تأثيراً دينياً كبيراً على تلك الأسماء فضلاً عن التأثيرات الاجتماعية الأخرى، وينطبق الشيء ذاته على بقية الجوانب الحضارية المهمة في حضارة بلاد الرافدين.

وفيما يتعلق بالطبل الآلة الموسيقية الرائدة في حضارة بلاد الرافدين فقد ارتبطت معها تسميات متعددة فضلاً عما ابرزته النصوص المسمارية من معلومات جمة تعلقت بنحو أو بآخر بهذا العنصر الحضاري المهم في حضارة بلاد الرافدين.

أطلق على الطبل المعمول من الخشب المصطلح السومري $GI\check{S}.A_2.LA_2$ والذي يقابله بالأكدية $al\bar{u}$ (CAD, A/1, P. 377:b) (Christiaan, 1997, P.165) (رشيد، ١٩٧٠، ص ٢٤٤-٢٤٥)، ويعد هذا الطبل من أهم أنواع الطبول وأكثرها استعمالاً وورداً في النصوص المسمارية وخاصة النصوص التي تتعلق بحالات الحزن والرثاء والنواح (Tinney, 1996, p.130) (Lambert, 1969, p. 120) (الاسود، ٢٠٠٢، ص ٢٨)، واطلق على الجلد المستعمل كجزء من هذه الآلة المصطلح السومري $KU\check{S}.A_2.LA_2$ والذي يقابله بالأكدية $ma\check{s}ak al\bar{i}$ (Mittermayer, 1959, p.221:126a) (Landsberger, 1959, p.105) (2019, p.173:28). وكذلك ارتبط المقطع الأكدي $kippatum$ مع طبل الالو $al\bar{u}$ وقد ورد على نحو $kippatum al\bar{i}$ ويعني حلقة الطبل أو دائرة الطبل (Landsberger, 1959, p.105)، أما السلسلة الرابطة لطبل الالو فقد وردت بالمصطلح السومري $E\check{S}_2.A_2.LA_2$ والذي يقابله بالأكدية $\check{s}irit al\bar{i}$ (CAD, A/1, P.377:b)، أما الشخص الذي ينقر على هذا الطبل فقد عرف بالمصطلح السومري $lu_2KU\check{S}.A_2.LA_2$ والذي يقابله بالأكدية $\check{s}a al\bar{e}$ (Reiner, and Civil, 1969, A 247f) واطلق على الطبل أيضاً المصطلح السومري $KU\check{S}.GU_4.GAL-u$ والذي يقابله بالأكدية $ku\check{s}gugal\bar{u}$ (Pongrantz-leisten, and Sonik, 2015, p.61)، كما

اطلق على نوع آخر من الطبل المصطلح السومري **AB₂.ME.EN** والذي يقابله بالأكدية **manzû** (Linssen, Leiden,2004,p.114) (Rosen,2004,p.78)، أما المصطلح السومري **URUDU.ZA.AM.ZA.AM** فقد اطلق على الطبل أيضاً والذي يقابله بالأكدية **samsammu** (Richard,1994,p.86) (Dumbrill, 2005,p.363). وأشار المصطلح السومري **URUDU.NIG₂.KALA.GA-e** إلى الطبل أيضاً ويرادفه بالأكدية **nigkalagû** (Langdon, 1934,p.54)، وقد وصف هذا النوع من الطبول بأنه محارب الاله انو، وعادة ما كان يستعمل في الطقوس الدينية وخاصة في المعابد إذ اعتقد سكان بلاد الرافدين ان قرع الطبول وخاصة هذا النوع من الطبول في المعابد له انعكاسات تطهيرية وخاصة طرد الشرور والشياطين لذا قرعت الطبول في المعابد كما أشار إلى ذلك أحد نصوص (...صوتك(صوت) طبل النككالكو في المعبد...))، (Thureau-dangin,1921,140:342) ولا يقتصر التطهير باستعمال آلة الموسيقى الطبل في المعابد بل تعدى ذلك إلى بقية المرافق العمارية ومنها القصور أيضاً كما أشار إلى ذلك النص المسماري الآتي (...انت تطهر القصر بواسطة طبل النككالكو (وأدوات موسيقية أخرى)...). (CAD,N/2,P.215).

أما الفعل الذي استعمل في التعبير عن تغطية فتحة الطبل بالجلد أو القماش فهو جذر الفعل السومري **SI** والذي يقابله بالأكدية **arāmu** (Cooper, CAD,A/2,P.228:a) (1975,p.249).

وهناك نوع آخر من الطبل عرف باللغة السومرية بالمصطلح **AB₂XME.EN** وكذلك المصطلح السومري **URUDU.SI.IM** والذي يقابله بالأكدية **halhallatu** (Ebeling, (Kutzer, 2017,p.59) (Mirelman, 2014,p.159) (3:60, 1910)، وتغطي فتحة هذا الطب بالجلد وقد ورد هذا الجلد مع هذا النوع من الطبل بالمصطلح السومري **KUŠ.SIM** والذي يقابله بالأكدية **mašak hulhallatu** (Goodnick, and others, 2014,p.108).

كما استعمل المصطلح السومري **ABXME.EN** والذي يقابله بالأكدية **huppu** للتعبير عن جلد طبل الليليسو **lilissu** (Dumbrill,2005,p.416) (CAD,H,p.239:a).

إن العزف على آلة الطبل قد يكون منفرداً دون آلة أخرى وقد يصاحبه آلات متعددة والموسيقى المصاحبة لآلة الطبل سميت باللغة الأكدية على نحو **ēpiš balaggi** (Henshaw and Male, 1994,P.107) (Dumbrill, 2005,p.456) (Nissinen, and Schramm,2008,p.28) (Prophecy,2003,p.191)، وتتراوح اصوات الطبول من طبل إلى

آخر بحسب الحجم وبحسب نوعية الجلود المستعمل فيه، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى تلك الطبول التي تدوي ويكون صوتها مرتفعاً (...الطبل الذي هو صوته عال...) (Meier, 1944, 146:120)، وفي إشارة أخرى (...دقات الطبل المدممة...) (Lambert, 1969, p.204)، كما ان تلك الطبول الكبيرة تحوي على عرواي أو مقابض وقد سميت باللغة السومرية بالمصطلح $\check{S}EG_9.KA\check{S}_4.KA\check{S}_4.ME$ والذي يرادفه بالأكدية **tahhû** (Linssen, 2004, p.92)، في حين اطلق على الطبل الصغير المصطلح السومري UB_3 والذي يقابله بالأكدية **uppu** (Stephan, 2020, p.140) (Gabbay, 2018, p.38). ويبدو ان هذا النوع من الطبول كان يتم استعمال جلد الحيوانات فيه أكثر من ان يكون استعمال المعادن فيه كما ان الناقر عليه يكون شخصاً واحداً وليس بشكل جماعي (Stephan, and Hooper, 2020, p.140)، وقد عرف هذا النوع من الطبول منذ مدة العصر الأكدى القديم مروراً بالعصور الأخرى ووصولاً إلى العصر البابلي الحديث (CAD, U/W, P.185:a).

عمل الطبول:

استعمل في عمل الطبوع مواد متنوعة البعض منها ارتبط بالحيوانات كالجلود والآخر ارتبط بالمعادن، كما استعمل الفخار أيضاً في عمل الطبول فضلاً عن أدوات رابطة كالسلاسل والحبال وعود أو عصا النقر.

لقد اشارت لنا المصادر الكتابية عن معلومات تتعلق بهذه المواد المستعملة في عمل الطبول، فقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى فتحة الطبل (دائرة الطبل) التي عادة ما يشد حولها الجلد وتثبت تثبيتها قويا تمهيدا لاستعمالها في النقر، ان مثل هذه الفتحات تسد بأنواع خاصة من الجلود وخاصة جلد الثور وتشد أيضاً إلى بدن الطبل بواسطة سلاسل من الحبال أو الحبال، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب وكالاتي (...انت تحيط فتحة الطبل بالياف من الجلد...) (Ebeling, 1910, 60, r:9)، كما اشارت النصوص المسمارية إلى نوعية الجلد المستعمل للطبول والذي عادة ما كان يؤخذ من الثور وخاصة الثور الاسود (امين، ٢٠٠٥، ص ٣)، إذ أشار أحد النصوص المسمارية أخذ هذا الجلد من الثور وتحيدا من أحد افخازه ولعل هذه المنطقة من الجلد تكون ارطب واقوى وأكثر ملائمة من بقية اجزاء جسم الثور وكالاتي (...تقوم بإغلاق فتحة طبل اليليسو بقطعة وتر (من جلد) الفخذ الايسر للثور...) (Thureau-dangin, 1921, 14, ii:30)، ولاشك ان مثل هذه الجلود الموضوعة على فتحات الطبل تخضع قبل وضعها إلى عملية الغسل والدباغة والقص تمهيدا إلى وضعها في الطبل، كما أنها تستعمل لكافة

أنواع الطبول صغيرة كانت أم كبيرة، وقد اقتص بصناعة مثل هذه الآلات الموسيقية اناس حرفيين يعملون مثل هذه الطبول بأحجامها المختلفة.

إنَّ القرع على الطبول ينقسم إلى قسمين الأوَّل بواسطة يد الإنسان والآخر بواسطة عصي الطبل، وان هذه العصا تكون بأبعاد أو اطوال متنوعة وعادة ما تصنع من أخشاب متلائمة مع الغرض من صناعتها(وهو النقر)، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى استعمال خشب شجرة الطرفاء المقدسة* لعمل ثلاث عصي من الطبل وكالاتي (...ثلاث عصي طبل من خشب شجرة الطرفاء...)(Thureau-dangin, 1921,18:24)، ولا يقتصر خشب شجرة الطرفاء على عمل عصي الطبول بل تعدى ذلك إلى استعمال أنواع أخرى من الأخشاب ومنها الخشب المعروف باللغة السومرية **GIŠ.MES.MA₂.GAN.NA** والذي يقابله باللغة الأكديّة **musukkanu** *، وكذلك خشب البقس الذي ورد باللغة السومرية على نحو **GIŠ.TUG₂** ويقابله بالأكديّة **taskarinnu**. (Hurowits, 1992,p.214) وهذا النوع من الأخشاب استعمل في زخرفة وتزيين المظاهر العمارية وكذلك عمل الاثاث الخشبية الفاخرة أمّا نشارته فتستعمل للأغراض الطبية والسحرية بعد ان يتم احراقها(CAD,T,P.281ff)، وهذا النوع من الأخشاب يتواجد في اوغاريت وفي مدينة تعرف باسم زالخي(Liverani, 1988,p,339)، وكذلك خشب الارز الذي عرف بصيغته السومرية **GIŠ.ERIN** والذي يقابله بالأكديّة **erēnu** (Rochberg, 1996,p.99) (Kwasman, 1988,p.494) وعادة ما تجلب هذه الأنواع من الأخشاب من جبال الامانوس في تركيا الموطن الرئيس لشجر السيدار وكذلك في لبنان(CAD,E,P.274)، إذ دأب ملوك بلاد الرافدين في جلب هذا النوع من الأخشاب من هناك. (Messerschmidt, 1911., 2، 68:17) أمّا النوع الاخر من الأخشاب المستعمل في الطبول فهو خشب الابنوس والذي كتب باللغة السومرية بالمصطلح **GIŠ.KAL** والذي يقابله بالأكديّة **ušû** (Bottéro, 2004,P.21) (Raine, 2015,p.1308) وعادة ما يتواجد هذا الخشب في اشجار الابينوس التي تنمو في المناطق المنخفضة (Gadd, 1926.(CT,39), 11 : 53)، كل هذه الأنواع من الأخشاب التي سبق ذكرها استعملت في عمل الطبول وخاصة الطبل المسمى بالليليسو **lilissu** وقد أشار أحد

* حول هذه الشجرة وماهيبتها يُنظر: (المعموري و فهد، ٢٠٢١، ص ص ١٣٣-١٦٠). (Brunner, 1980, pp. 191-202)

* وهو نوع من أنواع الاشجار التي لا تتوفر في بيئة حضارة بلاد الرافدين ويتم جلبها من الشرق، ويلاحظ ارتباط الاسم السومرية لهذه الشجرة بمدينة مكان، يُنظر: (Mariana, ,2008, p.57 ff)

النصوص المسمارية إلى هذا الجانب وكالاتي (..عصى الطبل(معمول من) خشب الموسكانو وخشب البقس، وخشب السيدار والابنوس لطبل الليسو ilissu...)). (Thureau-dangin, 1921,4,ii :27)

بعد ان يتم اكمال الطبل أو بدن الطبل بشكل نهائي تضاف له بعض اللمسات التي تجعل منه أكثر تأثيراً ورونقاً، وخاصة فيما يتعلق بالألوان التي كانت لها مدلولاتها الخاصة في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين، ولإضفاء نوع من الجمالية والرمزية على آلة الطبل شرع الصناع في اضافة بعض الألوان لأجزاء معينة من الطبول وقد أشار إلى هذا الجانب أحد النصوص المسمارية وكالاتي (...سوف يقرعون الطبل الذي يسمى البقرة الكبيرة متعددة الألوان، والذي غلافه متعدد الألوان، سوية مع النقارة...) (Clay,1923.(BRM,4),25:13) ومن خلال هذه النص المسماري نستشف بان بعض الطبول يطلق عليها تسميات غير تسميتها الاصلية مثل هذه التسمية التي أشار اليها النص وهو اسم البقرة الكبيرة، ولا يعرف على وجه الدقة الغرض من هذه التسميات ولعلها ترتبط بنحو أو بأخر بأفكار دينية معينة سيما وان النص يتعلق بالطبوس الدينية، ومن خلال النص أيضاً نجد ان النص أشار إلى تعدد الألوان التي استعملت في تزيين الطبل وهي اشارة واضحة إلى ان الطبول ممكن ان تلون بأكثر من لون واحد، وعلى الرغم من ان النص لم يوضح ماهية هذه الألوان الا أنها ممكن ان ترتبط بمعتقدات دينية بحثه أو ان تلك الألوان مستمدة من ألوان البقرة التي أخذ تسمية الطبل منها في هذا النص.

استعمل النحاس أيضاً في عمل الطبول، وخاصة تلك الطبول التي تمتاز بصوتها القوي والمدوي، وعادة ما يستعمل مثل هكذا نوع من الطبول لإزالة الشرور وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا النوع من الطبول (...الطبل النحاسي الذي يزيل كل الشرور عن طريق صوتها المرعب...) (=CT,16), 24, i :25f). (Thompson, (1911). وهناك ملاحظة مهمة هو ان الطبول بكافة تسمياتها ممكن ان تصنع من الأخشاب أو من المعادن أي ليس شرطاً ان تصنع من مادة معينة لكي تسمى طبلا المهم ان تكون هذه الآلة الموسيقية تؤدي غرضها وتصدح الصوت المطلوب، فهناك العديد من أنواع الطبول استعمل النحاس في صناعتها كما أشار إلى ذلك النص المسماري الاتي (...طبل الخخالو مصنوع من البرونز وطبل المانزو مصنوع من البرونز والنقارية مصنوعة من البرونز...) (Clay, 1923, 6:42)، وفي اشارة أخرى (...القرع على الطبل البرونزي...) (Zimmern, 2018, P.???????) كما عملت الطبول أيضاً من معدن الفضة على الرغم من اثمانه الباهظة وقد اشارت النصوص المسمارية إلى هذا الجانب

وكالاتي (...خمسـة منا و ٥٨ شيقيل من الفضة لعمل) الطبل...), (Dangin, 1925,(TCL,13), (6: 156).

إنَّ عمل الطبول وصناعتها يستلزم الحرفية والخبرة، وان بعض ممن يقومون بصناعة الطبول في احيان معينة يتفاخرون بصنعهم لظبول خاصة تمتاز بجودتها وزينتها وعادة ما تقدم مثل هذه الطبول إلى الالهة تكريما لها وطلبا لإرضائها وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب وكالاتي (...عملت طبلا يجعلني مشهورا واعطيته إلى الاله الفلاني والفلاني في المعبد...) (Scheil,1900, 28, p.29:3) ومن خلال هذا النص يستطيع القارئ ان يستشف ان هناك أنواع متباينة في عملية صناعة الطبول فالبعض منها يمتاز بجودته وعادة ما يخصص مثل هذا النوع إلى المعابد والقصور، والبعض الاخر اقل جودة وهو الذي يخصص لعامة الناس.

الطبل والكهنة:

كان للكهنة دورا كبيرا في حضارة بلاد الرافدين، وقد برز هذا الدور من خلال ارتباط الكاهن بالمعبد وبالآلهة إذ عد الكهنة خدمة الالهة وعن طريقهم تتم اقامة الممارسات العديدة بشكلها المناسب والذي يرضي الالهة التي بحسب فكرهم عينت مثل هؤلاء الكهنة.

لقد برز الكاهن في مجمل العصور التاريخية في بلاد الرافدين، بيد اننا نرى ان الكاهن في المدد التصاعديـة لحضارة بلاد الرافدين اصبح له تخصص في مجال عمله، إذ حوى المعبد على مجموعة من الكهنة ولكل واحد منهم دوره الخاص به، مع الأخذ بنظر الاعتبار التسلسل الهرمي الوظيفي لهم، ولعل هؤلاء الكهنة جميعهم في المعبد يكون مسؤول عليهم أحد الكهنة الكبار الذي يكون مرتبطا ارتباطا مباشرا بالقصر لكي يتم التنسيق ما بين المؤسسة الدينية المتمثلة بالمعبد وبين المؤسسة الدنيوية المرتبطة بالقصر* .

لقد اشترك الكهنة في العديد من الاعياد والمناسبات سواء اكانت هذه المناسبات تتعلق بالأفراح أو الأحزان، وسواء أكانت دينية أم دنيوية، ومن هؤلاء الكهنة الذين مارسوا الطقوس الدينية في المعابد وكان لهم دورا كبيرا في مجمل حضارة بلاد الرافدين الكهنة الذين عرفوا باللغة الأكديـة بكهنه الكالو kalû* والذي يقابله بالسومرية GALA وقد اختص هذا الكاهن

* حول العلاقة ما بين القصر والمعبد يُنظر: (Van der P.?????) (McCormick, 2012, spek,2004,pp.303-332)

* حول هذا الكاهن ودوره في حضارة بلاد الرافدين، يراجع:

(Gabbay,2014,pp.115-144.) (Zaia, 2019,pp.152-169) (Gabbay, 2008,PP. 49–56).

بالنواح،(CAD,K,P.91ff) وفي أحد النصوص المسمارية الذي يتعلق بأداء طقوس معينة مصاحبة بالغناء والآلات الموسيقية ومنها آلة الطبل ذكر هذا الكاهن بارتدائه بنوع من الثياب عرفت باللابارو **labāru** والتي تعني القديمة أو الرثاء وكالاتي (...طالما ان مغني الكالو **kalû** لابس ثياب اللوبارو **lubāru** عليه ان لايجلس بجانب طبل الليسو **lilissu** ...) (Linszen , (2004, P.93)، ان هذا النص يشير إلى حيثيات الجلوس والترتيب التي لابد ان تراعى حينما يتم الشروع ببدء الأعمال الطقسية التي يصاحبها الغناء أو الترتيل المصاحب بالموسيقى .

وعادة ما يبدأ النواح بمعزوفة تسمى باسم معين ولعل اسمها ينتخب من الاسم الأول للمعزوفة نفسها، وان مثل هذه المعزوفات عادة ما يستعمل معها الآلات الموسيقية المتنوعة ومنها الطبل وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى مرثية تعلقت بالإله انليل وقد استعمل فيها الطبل المعروف باسم طبل الخخلاتو **halḫallatu** واسم معزوفة النواح أو المرثية في هذا النص هو ارسى-ما-شي (...).**كاله الكالو kalû** سوف يعزف النواح الذي يبدأ ب ارسى-ما-شي **IR.SI.MA.ŠE** على طبل الخخلاتو للاله انليل (...). (CAD,H, P.41:a) ومن الجدير بالذكر ان هناك رثاءً أيضاً عرف بالكالا ذلك الرثاء الذي كان للإله انكي دورا كبيرا في صنعه إذ أشار أحد النصوص إلى ذلك وأشار أيضاً إلى ان هذا الإله قد حمل في احدا يديه طبل الليسو والأخرى حمل بها طبل الاوبو وهي اشارة واضحة إلى ان الالهة في احيان معينة وبحسب فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين يشاركون الموسيقيين وعامة الناس بالمناسبات الدينية وخاصة تلك المتعلقة بالنواح كما هو موضح في النص الاتي:

٢٠- انكي سمع هذه الكلمات....

٢١- صنع لها الكالا **gala**، ذلك الرثاء (المتعلق ب)القلب الهادئ

٢٢- هو نصب له الرثاء المعروف بارشانيشا **eršaneša**

٢٣- هو وضع في يده طبل الليلس وطبل الابو (Masculinities and Third,2016,p.64).

إنّ النص اعلاه ارتبط بالإلهة اينانا، فقد ابدى الاله انكي انزعاجه لغضب الاله اينانا، وبالتالي ومن خلال سطور المرثية وجد الحل بان يقيم لها حفلا للرثاء يشترك به جزء من كهنتها وهم كهنة الكالا ليردوا مرثية باستعمال الطبول التي تتسجم مع مثل هكذا طقوس، ومن خلال ما تقدم نرى ان هناك طقوس دينية تؤدي وتنظم رغبة من قبل الالهة وان البعض من هذه الطقوس لها وقعها النفسي والتأثيري حتى على الالهة نفسها، فمرثية أور انشدت على قرع الطبول اثناء تدمير بقايا الجدران المدمرة ورفع اسسها ووضع اللبنة الأولى من حجر الأساس من أجل استرضاء

إله المعبد وتهديته، لأن النياح يعد جزء من التقدمات المقدمة للإله (الأسود، ٢٠٠٢، ص ٢٨)، إذ أوديت هذه المرثية من قبل مجموعة من الكهنة وقد وصفتهم المرثية بانهم ينوحون برثاء مر وكالاتي (الأسود، ٢٠٠٢، ص ٢٨):

٣٦. إلى أي يوم سوف يتجاهلها (انليل)؟ بالدموع، بالنعيب والكآبة والبأس.

٣٧. إلى أي وقت تحترق روحه (بالغضب) دون أن يهدأ بها؟

٣٨. أولئك الذين دقوا طبل SEM وطبل ala.

٣٩- لماذا ينحبون طوال الوقت برثاء مر؟

ولا يقتصر الاشتراك في طقوس الرثاء والنواح على كهنة الكالو دون غيرهم فقد أشار أحد النصوص إلى كهنة الرثاء دون تعيين محدد لهؤلاء الكهنة للمشاركة في طقوس معينة باستعمال طبل الخلخالو لتؤدي هذه الطقوس للإله انليل (... واحد من مغني كهنة الرثاء ، بمرافقة طبل الخلخالو halhallatu واريشوما eršemma الإله انليل...) (CAD,H, P.93:a) ولا تقتصر المرثية على ذكر اله واحد ففي احيانا معينة تذكر في المرثية الواحدة الهة متعددين لكي يكون الطقس أكثر شمولية من حيث الوجود الالهي والذي بالتأكيد سيكون مفعما بأجواء الخشوع والخوف مادامت تلك الالهة متجسدة وحاضرة في هذه الطقوس كما أشار إلى ذلك النص المسماري (... كاهن الرثاء عليه ان يغني بمصاحبة طبل الخلخالو للإله ايا وشمش ومردوك...) (CAD,K, p.93:a)، وتشترك الآلات الموسيقية معا في أداء الطقوس الدينية الخاصة وكذلك يشترك الكهنة والالهة في أداء مثل هذه الطقوس وكلما كان الطقس مهما وكبيرا كلما زاد من أنواع الآلات الموسيقية ومشاركة الكهنة والحضور الالهي (...دع كاهن الرثاء ان يقتلها (الامة) بطبل المانزو، بمصاحبة طبل الخلخالو والمانزو وقيثارة البلاك المقدسة...) (Haupt, 1992, p. 120 r. 17f) | (Dumbrill, 1925,p.435)

وقد تجرى بعض الطقوس الدينية بأوقات معينة مثل حدوث العوارض الفلكية كالخسوف والكسوف، وان التحضير لمثل هذه الطقوس يكون سريعا ويستلزم الأداء اثناء حدوث العارض الفلكي، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى الاسراع بجلب أدوات الطبل من المخازن في يوم حدوث خسوف القمر (...في يوم خسوف القمر سوف يحضرون (من بيت أموشمو ammušmu طبل halhallatu من البرونز، طبل المانزو manzû ، و طبل من البرونز...) (Clay, 1923 , 6:42)

ارتبط آلة الطبل بالبكاء وعادة ما كانت هذه الآلة تفرح بالمناسبات الاجتماعية الحزينة التي تستلزم البكاء وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى مصاحبة الطبل مع البكاء والحزن (...خذ

الطبل إلى حيث يزداد البكاء...)(Thompson, 1911(CT,16),, 24, i: 29 f) ، كما أنها ارتبطت أيضاً بتلك المقطوعات المديحية والتي عادة ما تتعلق بمدح الالهة والملوك (...الصوت الصاعد لمديح شجاعته على الآلة الموسيقية مانزو **manzû** وطبل الخخالو ...) (Ebeling, 1910, 360:4f) ، كما ان آلة الطبل ممكن لها ان تنزل لعناتها على الأشخاص طالما أنها مرتبطة بالالهة وبالطقوس الدينية وقد أشار أحد النصوص إلى مثل هذه اللعنات التي يطلقها كل من طبل الخخالو وطبل المانزو (...اللعة من خلال طبل المانزو وطبل الخخالو ...) (CAD,H, p.41:b)

الطبل والالهة:

إنَّ المتتبع لمجتمع بلاد الرافدين يجده بانه مجتمع متدين، إذ شكل الدين عاملاً رئيساً في بلورة الحياة العامة لسكان بلاد الرافدين، وراح يؤثر في معظم مفاصلها سواء اكانت على الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو العسكري، وقد ارتبطت آلهة بلاد الرافدين بفكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين، فجعلوا من الالهة مرتكزا مقدسا تدور حوله معظم الجوانب الدينية الأخرى، وبالتالي ارتبطت بهذه الالهة وكذلك بديانة بلاد الرافدين الموسيقى والآلات الموسيقية ومنها آلة الطبل، فتشير النصوص المسمارية بان الالهة الالهة (عشتار) قامت بصناعة نوع من الآلات من أحد اقسام شجرة (خلبو) حيث صنعت من قسمها العلوي آلتين غريبتى الاسم اولاهما (بكو) وثانيتها (مكو) يمكن ترجمتهما بالطبل والمدقة وقامت بإهدائها إلى كلكاشم وهذه الآلات من قبيل الطبل والمدقة والكرسي والسرير هي مظاهر مقدسة للحضارة والمدنية عدت حسب هذه المعطيات من صنع الالهة (عشتار) وانها اهدت بعضها للبشر (القيسي، ٢٠٠٦، ص١٣٨)، كما ارتبط الطبل ارتباطا وثيقا بالآله ادد إذ اعتقد سكان بلاد الرافدين ان الدوي الذي يحدثه البرق ماهو إلى صوت الاله ادد والذي يشبه صوت طبل الالو وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى ذلك (... اعدائك سقطوا أمامي مثل شبكة الالوخابو * **alluhappu**، والرعد أمامي كطبل الالي **ali** ...) ،

(Weidner, 1959.(AFo,12),143:13) لقد ظن سكان بلاد الرافدين ان هذا الاله (أي ادد) كان يحمل بيده طبلا كبيرا يدوي به فوق البيوت حينما يولد صاعقته، وبالتأكيد فإنَّ مثل هذا البرق وقوة صوت الرعد له وقعته على نفوس السامعين إذ يولد الخوف والخشية من هذا الاله، وقد أشار إلى ذلك أحد النصوص المسمارية الذي أكد حمل الاله ادد طبلا يقرع به فوق بيوت

* وردت شبكة الالوخابو **alluhappu** باللغة السومرية على نحو SA.AL.HAB وهي تستعمل للصيد وخاصة

في الحروب للمزيد يراجع: (Hinke, 2009,P.81) (Cooper, 1978,p.79)

الساكنين (... اد رب الصواعق يحمل طبلا ويدوي به فوق البيوت...) ، (Meier, 1944, AFO,14,PP.139-152) وفي نص آخر اشارة ايضا إلى ما يحدثه هذا الاله من دوي مربع وشبه هذا الدوي بدوي طبل الخلالاتو (...ادد يرعد مثل طبل الخلالاتو halhallatu ...) (CAD,H, p.41:b) ان هذا الصوت المدوي الذي يصدره الاله ادد بحسب فكر ومعتقد بلاد الرافدين ناتج عن قرعه لطبل الالو وان شدة وقوة الصوت ناتجة من حجم وكبر الطبل المحمول فكلما كان الطبل كبيرا واستعمل به جلدا مميزا كلما اثر ذلك على قوة الصوت.

وتتشد المدائح بحق الالهة في المعابد ويقوم أحد المغنين بإلقائها بمصاحبة طبل الالو كما أشار إلى ذلك النص المسماري (...دع المغني الرئيسي) يعني مديحك مع طبل الالو alû (... (Langdon,1929, OECT, Vol.6), pl. 16 K.3228 r. 8f) ان هذه المديح الذي يرتبط بالآلهة لا يكتمل ادائه الا بمصاحبة طبل الالو وبالتالي فإن هذا الطبل ارتبط ارتباطا مباشرا بالآلهة، وفي اشارة أخرى إلى ارتباط الالهة بالطبول ما أشار إليه أحد النصوص من وضع هذه الطبول أمام الآلهة أما لأغراض الاطلاع عليها من قبل الاله بحسب فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين لئيباركها وتنال الرضا من قبل الاله ايدانا باستعمالها في الطقوس الدينية، أو ان النص يشير إلى وضع الآلات الموسيقية أمام الالهة كترتيب متبع قبل الشروع في البدء بالطقوس الدينية المصاحبة لقرع الطبول وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب وكالاتي (...انت جلبت الطبل النحاسي أمام الاله شمش...) ، (Thureau-dangin, 1921,16, iii: 16) وفي اشارة أخرى لوصف أحد الطبول نرى بان الكاتب قد اضاف القدسية والطهارة وحيوية البقاء لأحد الطبول والذي بحسب النص عمل جلده من أحد الثيران التي خلقها الإله نن-كش-زيدا * NIN.GIŠ.ZI.DA ، وقد اراد الكاتب باضفاء المخلوق (الثور) وجعله مقدسا ليصنع من جلده الطبل المقدس أيضاً وليبقى بحسب تعبير الكاتب إلى الابد (...ننكشزيدا قد خلق ثورك بمعنى ان جلدك والذي عمل منه الطبل سيبقى إلى الابد...) (Thureau-dangin,1921,26, i :21).

ويُشير أحد النصوص إلى جزء من الحثيات والحركات التي كانت تؤدي في الطقوس الدينية التي تشتمل على حركة اليد المتجانسة وحركة الارجل (الخطوات) تكون صحيحة وكذلك

* أحد الاله المختصة بالعالم الاخر أو عالم ما بعد الموت عد ابنا للاله نن-ازو ولعل اسمه يعني سيد الاشجار الطبية، للمزيد يراجع: (السعدي، ١٩١٨، ص ص ١٥٩-١٦٠) (لابات، ١٩٦٨، ص ١٩٤) (الماجدي،

١٩٩٨، ص ص ٨٢-٨٣). (Black, 1992,pp.138-139).

النطق بالعبارات والكلمات يكون صحيحا وبطريقة مؤثرة فضلا عن قرع الطبول الذي لا بد أيضاً ان يكون بالطريقة الصحيحة، ان مثل هذه الحركات اذا ما كانت تؤدي من الجموع فإنها تحتاج إلى تنسيق وترتيب عاليين يستلزم في احيان معينة إلى التدريب لعمل مثل هكذا حركات وأداء وبالتالي كلما كان الأداء منظماً ومرتباً كلما كان له وقعا أكثر في نفوس السامعين والحاضرين، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب وكالاتي (...دع (مناجاة Ea) تكون اليد صحيحة، دع الخطوة تكون صحيحة، دع الكلمات تكون صحيحة، دع صوت طبل اليلسو lilissu يكون صحيحاً...)(CAD,E, p.361:b) ، ان هذا النص يشير إلى مناجاة الاله ادد اله الرعد وهذه المناجاة استعملت فيها الايدي والادعية وحركات معينة من الجسم فضلا عن طبل اليليسو، ومن خلال هذا النص نستشف ان الالهة تتعلق وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأنواع المتعددة من الطبول، كما أشار نصاً آخر إلى بعض الحركات ونوعية الأداء بمصاحبة الطبل (...هي ركضت معي وهي تفرع (بالطبل وعصا الطبل)...)(CAD,M/1, P.15:b).

ويلحظ ان القرع على الطبول لا يختص به الذكور دون الاناث وخاصة فيما يتعلق بؤلائك الذين يقيمون المراسيم الدينية في المعابد، إذ عملت النساء أيضاً، وقد تتباين اعداد هؤلاء النسوة من معبد إلى آخر تبعاً لماهية المعبد وكبر حجمه ونوعية الطقس المقام فضلاً عن اعداد النسوة الموجودة في المعبد، وقد أشار أحد النصوص المسمارية تعيين عدد كبير من النساء لقرع الطبول في أحد المعابد وكالاتي (...لقد عينت في ذلك المعبد (?) مائتي امرأة عازفة طبل، (لأداء) موسيقى رائعة، موسيقى مناسبة، مناسبة لإلهتها العظيمة...)(Otten, 1978, 115:53) أوضحت لنا النصوص المسمارية الكثير من المعلومات المتعلقة بالآلهة، ومن جملة تلك المعلومات هي عملية الاسر التي تتعرض لها الالهة وخاصة عندما تتعرض البلاد إلى عملية غزو من قبل الأعداء، وقد اعتاد الملوك المنتصرين ان يقوموا باسر الالهة شانهم بذلك شأن الجنود المغلوبين وتعكس فكرة اسر الالهة عملية الاذلال والتحقير لآلهة الأعداء وخاصة عندما يؤسر أي الهة يوضع بطريقة مهينة أمام تمثال اله الملك أو البلاد الغالبة وقد أشار أحد نصوص الفال إلى هذا الجانب وكالاتي (...سوف تهزمه وسوف تأخذ الهته كغنيمة...)(Ebeling, 1910, 434,r) وفي أحد النصوص المسمارية إلى ارتباط الالهة الماسورة بالموسيقى وتحديدًا بالطبل، إذ أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب (...الآلهة المأسورة عيونهم على الطبل البرونزية...)(CAD,M/1, p.239:b) ، ان عملية النظر أو التحديق بالة الطبل الموسيقية من قبل الالهة الماسورة هو اشارة إلى مكانة هذه الآلة الموسيقية لدى الالهة في فكر

ومعتقد سكان بلاد الرافدين، فكان الكاتب اراد ان يشير إلى تلك العلاقة المتبادلة بين آلة الطبل ومكانة الالهة وعظيم شأنها وما كانت تؤديه هذه الآلة الموسيقية من دور كبير في عملية الطقوس الدينية التي عادة ما كانت ترضي الالهة وتدخل الفرح والبهجة في نفوسها، كما يتم الدعاء أيضاً بالآلات الموسيقية، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى الدعاء بالقيثارة وطبل الخلخالو وان هاتين الآلتين بحسب مقتضى النص يفرحان ويبهجان قلب الآلهة (... عسى الـ --- القيثارة وطبل الخلخالو المحبوب لقلب الهك (ان يبهج قلبك)...) (Ebeling, 1910, 98, r. 12)، ان وقع صوت الطبول على النفوس له دلالات وتأثيرات عدة الكثير منها ارتبط بالجانب العاطفي الوجداني المتعلق بالحزن، أمّا النوع الاخر فهو ذلك الصوت الذي يولد راحة في النفوس وتهدة للقلب ويسمع مثل هكذا نوع من المعزوفات على الطبول في حالات الفرح وحالات الراحة والاستجمام (... دعونا نسمع قرع الطبل في أوقات الراحة...) (Lambert, and Millard, 1969, 58, iv: 214)

لقد كان سكان بلاد الرافدين يتحاشون ويخافون الشياطين والعفاريت، التي بحسب فكرهم تؤدي الإنسان عن طريق تمريضه أو جلب النحس اليه أو حتى القضاء عليه، وبالتالي فقد عملوا التعاويذ والصلوات العديدة التي لها مفعولا كبيرة لطرد هذه الأرواح الشريرة وعلقوا العديد من النماذج الفنية التي تعكس افكار ومعتقدات دينية عند بوابات بيوتهم وادعوها عند اسسهم، كما عمدوا إلى تدوين العديد من هذه التعاويذ بغية ترتيبها بطقوس خاصة عدت لهذا الغرض، ومن بين الأشياء التي استعملت في التعاويذ وطرد الأرواح الشريرة هي الطبل فقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب (... أنت تحيط القصر عن طريق الماعز (المصمم لـ) طرد الأرواح الشريرة، والشعلة، والأغنام الحية، والنحاس القوي (الجرس)، وإخفاء الثور الكبير (الطبل؟) (و) ببذور الشعير...) (Zimmern, 2018, No. 26, i: 23)، لقد امن سكان بلاد الرافدين إلى ان صوت الطبول له اثره الكبير على الشياطين والعفاريت وطرد الشرور (... الطبل الكبير) kettle drum الذي يقضي على كل شرير بصوته المرعب المخيف...) (Thompson, 1911 (CT, 16), 16, 24, i: 25)

أمّا فيما يتعلق بالقرابين فقد دأب سكان بلاد الرافدين إلى تقديم القرابين اليومية والمنظمة والسنوية لآلهتهم ورموزها وبعض الأشياء المقدسة المتعلقة بالآلهة، ومن الأشياء التي كانت تقدم لها القرابين أيضاً هي الآلات الموسيقية ومنها الطبول، وقد اشارت لنا النصوص المسمارية إلى هذا الجانب بيد ان أهم ما يتعلق بذلك هو ارتباط هذه الطبول بالقدسية وارتباطها بالآلهة والمعزوفات والاغاني الاناشيد الدينية، وقد أشار أحد النصوص المسمارية إلى هذا الجانب

وكالاتي (... X سيلا من التقدّمات المنتظمة لطلب الليسو lilissu قرابين للآلهة بيليت وعشتار...) (Keiser, 1918, (BIN,1), 152:1) الطبل والتشبيه:

يعد التشبيه واحد من المظاهر اللغوية المهمة في حضارة بلاد الرافدين وقد عمد سكان بلاد الرافدين على استعمال التشبيه لغايات بلاغية هدفها ايصال فكرة أو معلومة للمتلقّي بصورة بلاغية بسيطة على نحو أكثر وقعا وتأثيرا عليه، وان أهم ما يقال على التشبيه في حضارة بلاد الرافدين ان الكاتب أو الذي استعمل التشبيه استنبط مفرداته من الحياة البيئية لحضارة بلاد الرافدين لتكون مفهومة عند المتلقّي*، وواحدة من المفردات الحضارية التي استعملت في التشبيه هي الآلات الموسيقية ومنها الطبل، الذي شبه فك الإنسان بالة الطبل (... طبل المانزو هو فكه الاسفل...) (Ebeling, 1931, (TuL), P.32)

وعدّ القسم واحد من المظاهر الحضارية المهمة في بلاد الرافدين، وقد استعمل القسم لأغراض عديدة وخاصة في النصوص القانونية والاقتصادية، وعادة ماكن يتم القسم بالإله الرئيس للمدينة وكذلك الملك، كما انهم اقسّموا أيضاً بأشياء عديدة أخرى كلها تحمل في ملامحها ابعادا مقدسة (Izumi, 1994, pp.94-119) (Mercer, 1913, pp. 33-50)، وواحدة من الأشياء التي تم القسم بها هي الأدوات الموسيقية وخاصة تلك التي تدخل في الادعية والترانيم والصلوات والنواح والرتاء، ولا يقتصر القسم على بنوا البشر بل أيضاً هناك اشارات إلى ان الشياطين أو العفاريت تقسم أيضاً وفي اشارة إلى أحد النصوص المسمارية إلى قسم الشيطان أمام النهر وان صوت هذا القسم كان مدويا وشبهه بالة الطبل الالو وكالاتي (... صوت قسم الشيطان أمام النهر مثل طبل الالو alû ...) (CAD, A/1, p.338:a).

واستعمل التشبيه أيضاً للطبل واقترانه بالحروب، إذ شبه تساقط جنود الاعداء أمام الملك مثل تساقطهم في الشبكة أمامه وان هذا التساقط يحدث ضجة ودويا يشبه دوي الطبل (... أنتم (أعدائي) تسقطون عليّ مثل شبكة، فتحدثون ضجة أمامي مثل طبل الالو ...) (Weidner, 143, ii: 14) (=AFo, 12), 1959، كما استعمل التشبيه لأعضاء الانساء أيضاً إذ شبهت الامعاء في بعض النصوص بطبل الخخالو (... الامعاء تبدو) مثل طبل الخخالو halhallatu (... (Clay, 1923, (BRM,4), 13:51)

* حول التشبيه وأهدافه وغاياته وماهيته، يراجع: (جواد، ٢٠١٨، ص ٤٤٤٤؟) (سعيد، ٢٠٠٩، ص ص ٦٣ - ٧٢).

الاستنتاجات:

- ١- لقد مارس سكان بلاد الرافدين الموسيقى ومارسوا العزف على الآلات الموسيقية منذ أزمان مبكرة ترقى إلى عصر فجر السلالات، وان اقد النماذج الموسيقية المادية التي وصلت اليينا من خلال التقيبات الأثرية هي القيثارة الذهبية التي تم العثور عليها في المقبرة الملكية في مدينة أور.
- ٢- إن مصادر معلوماتنا حول الآلات الموسيقية تأتي من خلال ثلاث جوانب، الأول هو اللقى الأثرية التي يتم العثور عليها ابان التقيبات الأثرية، والثاني من خلال المشاهد الفنية التي أفرزتها فنون بلاد الرافدين والتي نفذت على الأختام الأسطوانية والألواح الفخارية والمسلات والافاريز الجدارية.
- ٣- حملت الطبول تسميات عديدة وكل تسمية من هذه التسميات لها شكلها الخاص بها، وان أهم أنواع الطبول وأكثرها تأثيرا في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين هو طبل الالو alû، أما الطبال فقد عرف بالمصطلح الأكدي ša alî الذي يعني حرفيا ذو طبل الالو.
- ٤- استعملت الطبول لغايات كثيرة ومتنوعة وكان أهم هذه الغيات وأكثرها شيوعا هو الغايات الدينية إذ اشترك الطبول في المعزوفات الدينية تعلقت بشكل كبير بالمراثي والنواح، كما استعملت أيضاً لأغراض التطهير ومنها تطهير المعابد فضلا عن استعمالها في الجوانب الاجتماعية من خلال تأثير صوتها على راحة النفس واستجمامها.
- ٥- إن القرع على آلة الطبل قد يكون منفردا (أي بالة الطبل وحدها) وقد يكون مصاحبا مع الآلات موسيقية أخرى، وقد يؤدي الرقرع من قبل فرد واحد أو عدة أشخاص، وقد يكون الطبال رجلا وقد تكون انثى.
- ٦- استعمل في عمل الطبول أدوات والات متعددة ومنها الفخار والمعادن، وقد شكلت الجلود أهم هذه الأنواع إذ عادة ما كانت تغطي فتحة الطبل بها واستعمل جلود الثور الاسود لهذا الغرض، أما فيما يتعلق بالأخشاب التي استعملت أيضاً في عمل الطبول فقد استعملت أنواع متعددة من الأخشاب ومنها خشب شجرة الطرفاء المقدسة، وخشب البقس وخشب السيدار، وقد عمد ملوك بلاد الرافدين إلى توافر بعض هذه الأنواع من الأخشاب من الخارج واستعمالها في أعمال كثيرة ومنها عمل الطبول، كما اختص في عمل هذه الطبول عمال حرفيون اعدوا لمثل هذا الغرض.
- ٧- زينت بعض الطبول ورصعت بالأحجار الثمينة ولونت بألوان معينة تنم على فكر ومعتقدات سكان بلاد الرافدين بماهية هذه الألوان واضفاء نوع من الجمالية والرمزية عليها.

٨- تباينت أعمال الطبول من حيث الجودة والنوعية ومن حيث شدة الصوت وقوته وعادة ما كانت تتركس الطبول ذات النوعية الجيدة للمعابد والآلهة، أما الطبول الاعتيادية فقد خصصت منها لعامة الناس.

٩- أدى الكهنة دورا كبيرا في ديانة بلاد الرافدين، إذ مارسوا العديد من الطقوس الدينية المتنوعة، وقد كان البعض من هؤلاء الكهنة موسيقيين قرعوا على آلة الطبول في المناسبات والطقوس الدينية وخاصة تلك المتعلقة بالنواح والمراثي الدينية، وأهم هؤلاء الكهنة الذين قرعوا على الطبول هو كاهن الكالو kalû والذين عادة ما كانوا يرتدون الملابس الرثة في أدائهم للطقوس الدينية.

١٠- مارس سكان بلاد الرافدين العديد من المعزوفات والتي كانت تسمى بأسماء معينة ترتبط بنحو أو بآخر بمدلولات دينية بحته ومنها معزوفة ارسى-ما-شي IR.SI.MA.ŠI التي كانت تؤدي بمصاحبة طبل الخخالنو.

١١- ارتبطت الطبول ارتباطا وثيقا بالآلهة وعدت الإلهة اينانا واحدة من الالهة الرائدتين في مجال فكرة خلق الطبل، كما عد الاله اد من أهم الآلهة التي ارتبطت بالطبل، إذ إنَّ الصوت الذي يحدثه هذا الإله وهو الرعد ظنه سكان بلاد الرافدين انه صادر عن طبل كبير يحمله بيده الإله اد وأنه يدمدم فيه فوق بيوت الساكنين اثناء رعه.

١٢- قد تجرى الطقوس الدينية في أوقات معينة وخاصة تلك التي تتعلق بالكوارث الطبيعية كالكسوف والخسوف والتي تستلزم اقامة طقوس خاصة تشترك بها الآلات الموسيقية ومنها الطبل.

١٣- ارتبطت آلة الطبل ارتباطا وثيقا بالحزن أكثر من الفرح، وفي فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين ان هذه الآلة الموسيقية تعد من الآلات المقدسة التي ممكن لها ان تنزل لعناتها على الأشخاص غير الطائعين للآلهة طالما أنها ترتبط بالآلهة وبالطقوس الدينية.

١٤- اتبع الموسيقيين والمؤدين للطقوس الدينية حركات ووضعيات معينة في أداء الطقوس الدينية وقد شملت هذه الحركات حركات اليد المتجانسة وخطوات الأرجل الصحيحة وعملية النطق بالعبارات والكلمات الصحيحة وكذلك اتباع الطرائق الصحيحة في قرع الطبول وهذا الأمر يستلزم تنسيق وترتيب عالي يحتاج بالتأكيد إلى عملية تدريب على مثل هذه الحثيات.

١٥- استعمل الطبل في التعاويذ وطرد الأرواح الشريرة، إذ أمن سكان بلاد الرافدين ان لصوت الطبول اثره الكبير في طرد الشياطين والعفاريت والأرواح الشريرة.

- ١٦- عمد سكان بلاد الرافدين إلى تقديم القرابين المتنوعة إلى آلهتهم لكسب رضاها وإدخال البهجة والسرور لقلوبها، كذلك قدموا القرابين والنذور إلى الأشياء المقدسة والرموز المرتبطة بالآلهة والقضايا الدينية ومنها الآلات الموسيقية وبخاصة الطبول.
- ١٧- استعمل سكان بلاد الرافدين مبدأ التشبيه على نطاق واسع في حياتهم وكان للطبول حظوة في هذا التشبيه أيضاً.

المصادر

المصادر العربية:

- ١- الاسود، حكمت بشير مجيد، (٢٠٠٢). ادب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار.
- ٢- امين، سعد عمر محمد، (٢٠٠٥). القرابين والنذور في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار.
- ٣- جواد، عذراء كامل، (٢٠١٨). الوصف والتشبيه في الحوليات الاشورية الملكية خلال العصر الاشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، قسم التاريخ.
- ٤- رشيد، صبحي انور، (١٩٧٠). تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، بيروت.
- ٥- السعدي، حسين عليوي عبد الحسين، (١٩١٨). وظائف الالهة في بلاد الرافدين، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار.
- ٦- سعيد، صفوان سامي، (٢٠٠٩). "التشبيه في الحوليات الاشورية"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٢، العدد.
- ٧- القيسي، محمد فهد حسين، (٢٠٠٦). قصص الخليفة في العراق القديم بين المعطيات المسمارية والكتاب المقدس والقرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، قسم التاريخ.
- ٨- لابات، رينيه، (١٩٦٨) "الطب البابلي والاشوري"، مجلة سومر، العدد ٢٤.
- ٩- الماجدي، خزعل، (١٩٩٨). الدين السومري، عمان.
- ١٠- المعموري، فاطمة عباس، وفهد، سعد سلمان، (٢٠١٢) "شجرة الطرفاء في ضوء الكتابات المسمارية"، مجلة اثار الرافدين، المجلد السادس، الجزء الثاني.

المصادر الاجنبية:

1. Black, Jand Green, A., (1992). Gods, demons and symbols of ancient Mesopotamia, London .
2. Bottéro, J., (2004). The Oldest Cuisine in the World: Cooking in Mesopotamia, Chicago.
3. Brunner, C.J., (1980) "The Fable of the Babylonian Tree Part I: Introduction", Journal of Near Eastern Studies, Vol. 39, No. 3. Jul.
4. Christiaan, V.N., (1997). Elementary education at Nippur. The lists of trees and wooden objects, University of Groningen.
5. Clay, A.T., (1975). Epic, hymns, omen and other texts, yale university, 1923. (BRM, 4).
6. Cooper, J.S., "The Conclusion of Ludlul II", Journal of Cuneiform Studies, Vol. 27, No. 4, Oct.
7. _____, (1978). The return of ninurta to nippur, Roma.
8. Danguin, F.T., (1925). Les cylindres de goudea, Paris, (TCL, 13).
9. Dumbrill, R.J., (2005). The Archaeomusicology of the Ancient Near East, Canada.
10. Ebeling, E., (1910) Keilschrifttexte aus assur religiosen in halts, Leipzig.
11. _____, (1931). Tod und leben nach den vorstellungen der babylonien, Leipzig (TuL).
12. Gabbay, U., (2008). "The Akkadian Word for Third Gender: The kalû (gala) Once Again," Studies in Ancient Oriental civilization, Vol. 62, Chicago.
13. _____, (2018). Drums, Hearts, Bulls, and Dead Gods: The Theology of the Ancient Mesopotamian Kettledrum", Journal of Ancient near Eastern Religions, Vol. 18.
14. Gabbay, U., (2014). "The kalû Priest and kalûtu Literature in Assyria", ORIENT, Vol. 49.
15. Gadd, c. j., (1926). Cuneiform texts from Babylonian tablets in the british museum, London, (CT, 39).
16. Gelb, I, J, and others, (1964ff). the Assyrian dictionary, Chicago. (=CAD).
17. Goodnick, J., and others, (2014). Music in Antiquity: The Near East and the Mediterranean, Berlin.
18. ḥar-ra=ḥubullu, Teblots V-VII, Rome, 1959.
19. Haupt, P., (1992). Akkadische und summerische keilschrifttexte, Leipzig.
20. Henshaw, R.A., (1994). Female and Male: The Cultic Personnel: The Bible and the Rest of the Ancient near east, Pickwick Publication.
21. Hinke, W.J., (2009). A New Boundary Stone of Nebuchadrezzar I from Nippur with a Concordance of Nebuchadrezzar I, U.S.A.
22. Hurowits, V., (1992). I Have Built You an Exalted House: Temple Building in the Bible in Light of Mesopotamia and northwest semitic writing, England.

23. Izumi, Y., (1994). Oaths in Sumerian archival texts: A case study of Ur III Nppur, Yale university.
24. James, P., and others, (2008). "Zigurrats, Colors, and Planets: Rawlinson Revisited", Journal of Cuneiform Studies, Vol. 60.
25. Keiser, C. E., (1918). Letters and Contracts From Erech Written In The Neo-Babylonian Period, New Haven, London, Oxford, (BIN, 1),
26. Kohen, M. E., (1988). Sumerian Hymnology: The Eršemma. Hebrew Union College Annual Supplements, 2. Cincinnati: Hebrew Union College.
27. Kutzer, E. E., (2017). The Socio-Cultural Value and Function of Music, unich.
28. Kwasman, T., (1959). Neo-Assyrian Legal Documents in the Kouyunjik Collection of the British Museum, Roma, 1988. ḫar-ra=ḫubullu, Tablets VIII-XII, Romem.
29. Lambert, W. G., and Millard, A. R., ATRA-ASIS, (1969). The Babylonian Story of the Flood, Oxford, (Lambert Millard Atra-ḫasis).
30. _____, (1960). Babylonian Wisdom Literature, Oxford.
31. Landsberger, B., (1959). Materialien zum sumerischen lexicon, Band, 7, The series
32. Langdon, S., (1929). Babylonian penitential psalms, London. (OECT, Vol. 6).
33. _____, (1934). "Babylonian and Hebrew Demonology with reference to the supposed borrowing of Persian Dualism in Judaism and Christianity", Journal of the Royal Asiatic Society Of Great Britain and Ireland, Vol. 66.
34. Linssen, M. J. H., (2004). The Cults of Uruk and Babylon: The Temple Ritual Texts As Evidence for Hellenistic cult, Leiden.
35. Liverani, M., (1988). The Ancient Near East: History, Society and Economy, London and New York.
36. Mariana, G., (2007). The Assyrian Sacred Tree: A History of Interpretations, Germany.
37. Masculinities and Third Gender, (2016). The Origins and Nature of an Institutionalized Gender Otherness in the Ancient Near East, Alter Orient und Altes Testament, Band 435, Munster.
38. McCormick, C., (2012). Palace and temple, A Study of Architectural and Verbal Icons, Deutsch.
39. Meier, G., (1944). Die zweite tafel der serie bīt mēseri", Archiv für Orientforschung, band 14.
40. Mercer, S. A., (1913). "The Oath in Cuneiform Inscriptions", Journal of the American Oriental Society, Vol. 33.
41. Messerschmidt, L., (2014). Keilschrifttexte aus Assur historischen Inhalts, Leipzig.
42. Mirelman, S., The Ala-Instrument: Its Identification and Roles, Magnes Press.
43. Mittermayer, C., (2019). "Was sprach cler eine zum anderen?", Ergänzungsbände zum Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie, Band, 15.

44. Nissinen, M., (2003).Prophets and Prophecy in the Ancient Near East,Atlanta.
45. Otten,V.,(1978).“Textanschlüsse und Duplikate von Boğazköy-Tafeln”, ZA, Vol.68.
46. Pollock, S.,(No Date).“Chronology of the Royal Cemetery of Ur”, Iraq, Vol.47, 985.
47. Pongrantz-leisten, B, and Sonik, K, (2015).The Materiality of Divine Agency, Berlin.
48. Ragavan,D., (2013). “ Entering Other Worlds: Gates, Rituals, and Cosmic Journeys in Sumerian Sources”, The university of Chicago,oriental institute seminars, Number, 9,Chicago.
49. Raine, A.F., (2015).The El-Amarna Correspondence (2 vol. set): A New Edition of the Cuneiform, Leiden.
50. Reiner,E.,and Civil,M, (1969).Materialien zum sumerischen lexicon,Band ,12, Roma.
51. Richard,H.A.,(1994). Female and Male: The Cultic Personnel: The Bible and the Rest of the Ancient near east,USA.
52. Rochberg, F., (1996). Before Nature: Cuneiform Knowledge and the History of Science, Chicago.
53. Rosen,R.M.,(2004).Time and Temporality in the Ancient World,Pennsylvania.
54. Scheil,V.,(1900).Mémoire de la delegation en perse,Vol.2,Paris.
55. Schramm,W., (2008).Ein Compendium sumerisch-akkadischer Beschwörungen, Göttinger Beiträge zum Alten Orient, Band 2,Deutsche.
56. Stephan,M.,and Hooper,L., (2020). Figurines in Hellenistic Babylonia: Miniaturization and Cultural Hybridity,Camberidge.
57. Strommenger E, and Hirmer M, Funf Jahrtausende.(1961). Mesopotamien, Verlag, 1962,Fig.241;Parrot, A.,Assur, Paris.
58. Thompson, R. C., . (1911). Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum, London. (=CT,16),
59. Thureau-dangin,F., (1921). Rituels accadiens,paris.
60. Tinney,S., (1996).The nippur lament,Philadelphia.
61. Van der spek,RJ, (2004). “palace, temple and market in Seleucid Babylonia”,Topoi,Supp. ,Vol.6.
62. Weidner,E.F., (1959). Die inschriften Tukulti-Ninurtas I und seiner nachfolger, German.(AFo,12).
63. Woolley,C.L., (1934). Ur Excavation, the royal cementery, New York.
64. Zaia,S.,(2019).“Kings, Priests, and Power in the Neo-Assyrian Period”, Journal of Ancient Near Eastern Religions,Vol.19,Brill.
65. Zimmern,H., (2018).Beiträge zur kenntnis der babylonischen religion, Germany.

تغلغل نفوذ إمبراطورية النمسا – المجر في البلقانية

(١٨٦٧-١٨٧٩)

أ. م. د. حمزة ملغوث البديري

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية

الجامعة – أقسام الديوانية

البريد الإلكتروني Dr.hamca222Qgmail.com

رقم الهاتف: ٠٧٨٠٤٢٦٥٢٤٥

تغلغل نفوذ إمبراطورية النمسا – المجر في البلقانية (١٨٦٧-١٨٧٩)

أ. م. د. حمزة ملغوث البديري

الملخص باللغة العربية:

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على تغلغل نفوذ إمبراطورية النمسا- المجر في البلقان، منذ وحدتهما عام ١٨٦٧ وموقفها من الأزمة البلقانية الكبرى (١٨٧٥-١٨٧٨)، والمعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها مع روسيا القيصرية والدولة العثمانية لاجل تثبيت نفوذها في البلقان وموقفها من اندلاع الأزمة والحرب الروسية – العثمانية، والمكاسب التي حققتها النمسا – المجر خلال مشاركتها مع بقية الدول الأوروبية الكبرى في مؤتمر برلين وصولاً إلى إحتلالها للبوسنة والهرسك عام ١٨٧٩.

الكلمات المفتاحية:

الكونت أندراسي – النمسا- المجر – سان ستيفانو – البوسنة والهرسك – غورتشاكوف – بسمارك – الأزمة البلقانية.

الملخص باللغة الإنكليزية:

The Research attempts of Shedlight on the Penetration of the influence of the Austria Hungary Empire in the Balkan its Position on the Balkan Crisis (1875-1878), The Treaties and Agreements it Concluded with Russia and The Ottoman Empire its objection to the Treaty of San – Stefano, its participation in the Berlin Conference and the gains it Achieved Represented by it's occupation of Bosnia and Herzgovina and The expansion of its spheres of Fulence in the Balkan until 1879.

key word.

Counl Andracy – Austria- Hungary- San- stefane- Bosnia and Herzgovina- Gorchakov- Bamarck- The Balkan Crsis.

المقدمة:

حضيت منطقة جنوب شرقي أوروبا، أو ما تعرف بـ(البلقان) بأهتمام كبير من قبل الدول الأوروبية الكبرى ، لاسيما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك بسبب أهمية موقعها الجغرافي وطبيعة تركيبة سكانها القومية والدينية، فضلاً عن خضوعها لسيطرة الدولة العثمانية والتي كانت خلال تلك المدة تمر بمرحلة من التداعي والانهيار بسبب أزدیاد تدخل الدول الأوروبية الكبرى في شؤونها الداخلية وتكالب القوى الاستعمارية على إقتسام أملاكها ومن بين تلك الدول إمبراطورية النمسا – المجر.

كانت النمسا تتخذ فيما سبق كلاً من إيطاليا وألمانيا مجالاً حيويّاً لها، إلا انها وتحديداً بعد خسارتها لتلك المناطق، لاسيما ألمانيا بعد هزيمتها أمام بروسيا عام ١٨٦٦، وقيام وحدتها مع المجر عام ١٨٦٧ أخذت توجه أنظارها صوب البلقان، لكي تعوض خسارتها في الأراضي الإيطالية والألمانية. وقد جاء ذلك التوجه صوب البلقان بفعل عوامل عدة، يأتي في مقدمتها دعم ألمانيا لها وحثها النمسا بالتغلغل في البلقان، لكي تأمن ألمانيا شرها وتحول دون قيامها بأية محاولة لاستعادة أملاكها التي خسرتها بعد هزيمتها أمام بروسيا في حرب عام ١٨٦٦. إلا أن ذلك التوجه جعلها تصبح على خط المنافسة مع روسيا القيصرية، ذات المصالح القديمة في البلقان، مما أدى إلى زيادة حدة التوتر بينهما، ووصولهما إلى مرحلة القطيعة والتصادم لولا تدخل ألمانيا وسعيها الدئوب لردء الصدع في الخلافات بين النمسا – المجر وروسيا.

حاولت النمسا – المجر إستغلال أندلاع الأزمة البلقانية الكبرى في صيف عام ١٨٧٥، لأجل تأدية دوراً دبلوماسياً كبيراً في حلها، عن طريق مستشارها (أندراسي)، والذي حاول في بداية الأزمة إيجاد الحلول الجذرية للأزمة، من خلال إصداره لمذكرته (مذكرة أندراسي). ومن ثم مذكرة برلين، التي وجهت للدولة العثمانية بغية حثها على إصلاح أوضاع رعاياها في البلقان، إلا أن تلك المذكرتين لم يجداً أذنأ صاغية من لدن الدولة العثمانية، مما أدى إلى قيام النمسا – المجر للإشتراك في مؤتمر القسطنطينية (١١ كانون الأول ١٨٧٦ - ٢٢ كانون الثاني ١٨٧٧)، وبعد توتر الأوضاع وعدم التوصل إلى حلول مرضية لجميع الأطراف عملت النمسا – المجر على الاتفاق مع منافستها في البلقان (روسيا) وعقد إتفاقيات عدّة، حتى تأمن الأخيرة من حياد النمسا – المجر في حال اضطرت للدخول في حرب مع الدولة العثمانية. وذلك ما حدث فعلاً في إتفاقيتي (الرايخشتاد وبنديسرات)، اللتان ضمننت روسيا بموجبها حياد النمسا – المجر من الحرب المحتمل وقوعها بينها وبين الدولة العثمانية.

عارضت بعد ذلك النمسا - المجر قيام روسيا بالاعتداء على الدولة العثمانية واعلانها الحرب على الأخيرة في (٢٤ نيسان ١٨٧٧)، فضلاً عن ذلك فقد عارضت حكومة فيينا المكاسب التي حققتها روسيا على حساب الدولة العثمانية بعد عقدها لمعاهدة (سان ستيفانو ٣ آذار ١٨٧٨)، والتي جاءت بالصد من مصالح وأهداف النمسا - المجر في البلقان، لاسيما في البوسنة والهرسك، لذا سعت النمسا - المجر للتعاون مع بريطانيا لأجل أرغام روسيا على تعديل بنود تلك المعاهدة وإعادة صياغتها بما يخدم مصالح النمسا - المجر في البلقان، وذلك ما حققت في مؤتمر برلين (١٣ حزيران - ١٣ تموز ١٨٧٨)، والذي عدّ نصراً دبلوماسياً كبيراً للنمسا - المجر، إذ حصلت على مبتها وضمنت من خلال ذلك المؤتمر إحتلالها للبوسنة والهرسك، دون أن تطلق رصاصة واحدة، أو ان تضحي بحياة جندي واحد من جنودها. وبذلك تكون الدبلوماسية التي مارستها تجاه روسيا وتعاونها مع بريطانيا والمانيا، فضلاً عن تعاطفها مع الدولة العثمانية قد أتت أكملها، ومكنتها من الحصور على موطن قدم في البلقان، الا انها جنت من وراء ذلك عداوة روسيا وتخوفها منها، الأمر الذي أدى إلى زيادة حدة التنافس بينها وبين الأخيرة على البلقان، الأمر الذي أستمر حتى إندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

سنحاول من خلال هذا البحث الأجابة على التساؤلات التالية:

لماذا أختارت النمسا بعد وحدتها مع المجر عام ١٨٦٧ البلقان كمجالاً حيويماً لها؟ هل كانت ألمانيا وراء تغلغل نفوذ النمسا - المجر في البلقان؟ لماذا كانت النمسا - المجر ترغب بالمحافظة على بقاء الدولة العثمانية وعدم تركها تحت رحمة روسيا القيصرية؟ لماذا أصدر المستشار النمساوي - المجرى أندراسي مذكرته الإصلاحية؟ ولماذا رفضت تلك المذكرة من قبل بعض الدول الأوروبية الكبرى؟ (بريطانيا وروسيا)؟ ولماذا وقفت النمسا - المجر على الحياد في بداية الحرب الروسية - العثمانية؟ وما هو المقابل الذي حصلت عليه من روسيا لقاء حيادها؟ لماذا عارضت النمسا - المجر معاهدة سان ستيفانو ورفضتها وطالبت بتعديلها؟ وما هي المكاسب التي حصلت عليها النمسا - المجر في مؤتمر برلين؟ جميع هذه التساؤلات وغيرها سوف يتم الإجابة عليها في سياق هذا البحث.

The Penetration of The Influence of The Austria-Hungary Empire in The Balkan Crisis (1867-1879)

Assist prof.Hamza Malghouth Al-Budairy
Imam Al.Kadham College for Islamic Seinces
Departments of Al Qadislyan
(Dr.hamca222Qgmail.com)

Abstract:

During the Second half of the Nineteenth Century, Austria Suffered Major Defeats that Led to the loss of its colonial center and Areas of influence in Italy and Germany, due to the wars of Unity and Independence for it in the Balkans after Unifying its throne with Hungary in 1867, but it clashed with Russia, with its possessions of the Ottoman Sultan in the Balkan.

Austria- Hungary tried to agree with Russia through their Mutual Friend (Germany), in order to Share. When the Great Balkan Crisis of (1875-1878), erupted Austria-Hungary tried to find appropriate Solutions to it through the Andriassy Memorandum and the Beylin Memorandum, but the Great Powers Rejected them, which led to the Failure of Austria-Hungary to Resolve the Crisis.

Austria-Hungary took a neutral position on the Russian-Ottoman war on (24 April 1877- 3 March 1878), after it concluded with Russia the Reichstag Agreement and the Budapest pact, in which Russia pledged to give Bosnia and Herzegovina to Austria – Hungary Empire. Its expansionist goals in the Balkans. It called on the Great European Powers to intervene and amend the Provisions of the Treaty of San-Stefano, in an international congress to be held in Berlin, and That Conference was held on 13 June 1878, and Austria – Hungary Empire obtained the possibility of its annexation of Bosnia and Herzegovina under Article (25. No.), of the Treaty of Berlin (13 July) of the same Year, and thus it was able to from achieving its expansionist goals in the Balkan, without firing a single shot.

المبحث الأول

بدايات تغلغل نفوذ النمسا – المجر في البلقان حتى عام ١٨٧٥

مرت الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بمرحلة من الضعف والتردي، على كافة الجوانب والإصعدة، ما جعلها مطمعاً للدول الأوروبية الكبرى، الراغبة بالاستيلاء على أملكها وتقسيم تركتها، لاسيما في البلقان^(١). وكانت النمسا من أبرز تلك

الدول^(٢). إذ كان بعض الساسة النمساويين يرون ضرورة بقاء الدولة العثمانية وإستمرارها، لاسيما وأنها تضم شعوب وقوميات مختلفة، كما هو الحال بالنسبة للنمسا. وكان المستشار النمساوي (كليمنس فينزل نيومول لوثر غرست فون مترنيخ **Kpemens Wenzel Nepomuk Lothar Furst von Metternich** ١٧٧٣-١٨٥٩/١٨٠٩-١٨٤٨)^(٣) يعتقد أنه من الضروري الإبقاء على وجود الدولة العثمانية، حتى لاتنفرد روسيا القيصرية بالإستحواذ عليها^(٤). لذا كان من أوليات السياسة الخارجية النمساوية هو التوجه نحو البلقان. لأجل تعويض خسارتها لأملاكها في إيطاليا (لومباديا - والبندقية)^(٥)، ولتعويض خروجها من الدايت الألماني^(٦)، بعد هزيمتها العسكرية أمام بروسيا في معركة (سادوا Sadwa ٣/تموز ١٨٦٦)^(٧)، ومن ثم جاءت وحدتها السياسية مع المجر، بعد عقدها لإتفاقية (أوزكلاخ Awsgleich في شباط عام ١٨٦٧)^(٨)، والتي أصبحت بموجبها تعرف بـ (المملكة الثنائية Dual Monrchy)^(٩) لاسيما وانها أصبحت بعد تلك الوحدة تضم العديد من الإقلييات، أمثال السلاف الجنوبيين والذين حاولوا الاتصال مع روسيا القيصرية، بعد قيام الأخيرة بتبني مشروع (الجامعة السلافية The Pan Slavia)^(١٠)، فضلاً عن قيام المستشار الألماني (أتو فون بسمارك **otto Von Bismarck** ١٨١٥-١٨٩٨/١٨٧١-١٨٩٠)^(١١) بإغراء وتشجيع النمسا - المجر لأجل التغلغل في مناطق البلقان والتوغل في مناطق جنوب شرقي أوروبا، حتى لاتحول القيام بأي عمل ضد ألمانيا والتأثر لهزيمتها أمام الأخيرة في معركة سادوا، التي فقدت على أثرها مناطق نفوذها في الأراضي الألمانية^(١٢).

إقتنعت إمبراطورية النمسا - المجر بذلك التعويض، إذ أطلقت يدها للتغلغل في أملاك السلطان العثماني في البلقان، وذلك لإدراك كبار ساستها وعلى رأسهم الإمبراطور (فرانسو جوزيف **Franz Joseph** ١٨٣٠-١٨٤٨/١٩١٦-١٩١٦)^(١٣) عدم قدرة بلادهم من تحقيق أي إنتصار عسكري على قوة عسكرية كبيرة مثل ألمانيا، فضلاً عن قناعة ساسة الإمبراطورية النمساوية - المجرية بأن أهداف بلادهم التوسعية في البلقان سوف تتحقق بسهولة بدعم من ألمانيا^(١٤). لذا كانت من أولويات السياسة الخارجية للنمسا - المجر هو الحفاظ على وحدة وسلامة الدولة العثمانية، لاسيما على الوضع القائم في البلقان، فضلاً عن المحافظة على التوازن الدولي (The Balance of Power)^(١٥) لذا عدّ المستشار النمساوي - المجري (الكونت يوليوس إندراسي **Count Julius Andrassy** ١٨٢٣-١٨٩٠/١٨٧١-١٨٧٩)^(١٦) الدولة العثمانية دولة أوتوقراطية، تضم عدداً كبيراً من القوميات والأقلييات، التي ما أن حصلت على إستقلالها في حال إنهيار الدولة العثمانية فإن الأمر ذاته سوف يحصل مع الاقلييات والشعوب

الخاضعة لإمبراطورية النمسا-المجر^(١٧). لذا فقد ازداد تغلغل نفوذ النمسا - المجر في البلقان بصورة كبيرة بعد عام ١٨٦٧^(١٨).

أثار تغلغل النمسا - المجر في البلقان حفيظة ألمانيا، لاسيما وان روسيا القيصرية تعتبره مجالاً حيويًا لها، إذ خشيت حكومة برلين من حدوث مشاكل بين روسيا والنمسا - المجر بسبب ذلك التغلغل، قد تؤدي في نهاية المطاف لاندلاع الحرب بينهما، قد تخسر ألمانيا بسببها صداقتها مع روسيا، لذا عمل بسمارك على تقريب وجهات النظر بين الطرفين من خلال توصله لعقد (عصبة الإباطرة الثلاثة League of The Three Emperors)^(١٩)، في الثاني والعشرين من تشرين الأول ١٨٧٣^(٢٠). وقد كان مصير الدولة العثمانية لايشكل اية أهمية لدول تلك العصبة. وأضحى إنحلالها وتفككها أمراً لا مفر منه وان أقتسام ممتلكات السلطان العثماني في البلقان أصبح من ضروريات حفظ السلام في أوروبا^(٢١)، لاسيما بعد توصل روسيا والنمسا - المجر إلى إتفاق لأجل تسوية المشاكل الإستعمارية بينها في البلقان، بموجب مقررات عصبة الإباطرة الثلاثة. وبذلك أصبحت الدولة العثمانية في عزلة دولية شبه تامة، لاسيما وانها كانت دائماً ما تستفيد من الصراع بين روسيا والنمسا - المجر وتنافسهما الإستعماري، لأجل البقاء لاطول مدة ممكنة. إذ كانت حكومة الباب العالي تعدّ ذلك الصراع افضل ضمان لسلامة إملاك السلطان في البلقان^(٢٢). وقد جاءت الاحداث اللاحقة بما يتناغم مع تطلعات النمسا - المجر لاسيما بعد إندلاع الثورة في البلقان وتحديداً في كلاً من بلغاريا والبوسنة والهرسك، في حزيران عام ١٨٧٥^(٢٣)، والتي عدتها حكومة فيينا فرصة كبيرة لأجل التدخل وحل المسألة الشرقية بصورة ودية مع روسيا، حتى لايمتد لهيب تلك الثورة ويصل إلى أراضيها^(٢٤).

المبحث الثاني

موقف إمبراطورية النمسا - المجر من الأزمة البلقانية الكبرى ١٨٧٥-١٨٧٧

لم تفي حكومة الباب العالي بالوعود التي قطعتها على نفسها بموجب معاهدة (باريس في ٣٠ آذار ١٨٥٦)^(٢٥)، لأجل إجراء الإصلاحات وتحسين أحوال رعايها في البلقان، ولعل السبب وراء ذلك هو وصولها إلى مرحلة من التدهور والضعف، مما حال دون تمكنها من فرض سيطرتها على الإمارات البلقانية، التي رفعت راية التمرد والعصيان ضد السيطرة العثمانية عام ١٨٧٥^(٢٦). حاولت الدول الأوروبية الكبرى، لاسيما إمبراطورية النمسا - المجر التدخل وإستغلال تلك الأزمة، لتحقيق أهدافها وأطماعها التوسعية في مناطق جنوب شرقي أوروبا. إذ حاولت في بداية

الأمر التوسط بين السلطان العثماني ورعاياه، من خلال قيام وزير خارجيتها إندراسي بتقديم مجموعة من المقترحات لحل الأزمة، وذلك في الثلاثين من كانون الأول من العام نفسه، عرفت بـ(مذكرة أندراسي **Andrassy Memorandum**)^(٢٧)، وذلك خلال الاجتماع الذي عقدته دول عصابة الأباطرة الثلاثة في برلين. وكانت الغاية من ذلك الاجتماع منع إندلاع الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، بسبب أحداث البلقان، وتجنب أي صدام محتمل الوقوع بين روسيا والنمسا – المجر بسبب تلك الثورة^(٢٨). وتضمنت مذكرة إندراسي الأمور التالية:

١- على حكومة السلطان ضمان الحريات الدينية لكافة رعاياها في البلقان، لاسيما في البوسنة والهرسك.

٢- إلغاء نظام جباية الضرائب القديم وان تتم جبايتها بصورة عادلة وان تساعد الحكومة العثمانية الفلاحين في تلك المناطق وتخلصهم من تعسف الأقطاعيين وكبار ملاكي الأراضي وان تشكل لجان عن السكان المحليين من (المسلمين والمسيحيين)، لأجل الأشراف على تطبيق ذلك وتحقيق العدالة في مسألة الضرائب.

٣- على السلطان العثماني التعهد امام الدول الأوروبية الكبرى بالقيام بالأصلاحات وعلى كافة الجوانب في الولايات والامارات العثمانية الواقعة في البلقان. وعليه أيضاً ان يفي بالوعود السابقة التي قطعها على نفسه امام الدول الأوروبية الكبرى لأجل ذلك^(٢٩).

يتضح مما سبق أن مذكرة أندراسي جاءت لأجل ضمان حقوق رعايا السلطان المسحيين في أقليمي البوسنة والهرسك، تمهيداً لعملية ضمها إلى إمبراطورية النمسا – المجر في أقرب فرصة، لاسيما بعد إتهام بعض الدول الأوروبية للإمبراطور فرانسو جوزيف بأن بلاده كانت هي السبب وراء إندلاع تلك الثورة، على أثر قيامه بزيارة منطقة (دلماشيا) في ربيع العام نفسه، مع مجموعة من كبار القادة والمسؤولين العسكريين في جيش الإمبراطورية الثنائية^(٣٠).

لم يكن أندراسي من خلال تلك المذكرة ينوي فعلاً تحسين أحوال مسيحيو البوسنة والهرسك، لأن ذلك ان حصل فعلاً فسوف يؤدي إلى تهدئة الأوضاع فيهما، وهو بغير صالح النمسا – المجر ، إذ أن تحقيق ذلك الهدوء والسلام من شأنه أن يحول دون حدوث أي تدخل من لدن بلاده في شؤون البلقان. وان تلك المذكرة إنما أريد منها جعل النمسا – المجر الحامي والمدافع عن حقوق المسيحيين في حال قبل طرفي النزاع تطبيق ما جاء بها من بنود، وإبعاد أي تدخل من قبل روسيا القيصرية المنافس الأول للنمسا – المجر في البلقان^(٣١).

أما عن موقف الدول الأوروبية الكبرى من تلك المذكرة، فقد تردد رئيس الحكومة البريطانية (بنجامين دزرائيلي Benjamin Disraeli ١٨٠٤-١٨٨١ / ١٨٧٤-١٨٨٠)^(٣٢) في بداية الأمر في الموافقة عليها. إذ أراد معرفة موقف المستشار الألماني بسمارك منها، والذي لم يشترك مع أندراسي في تقديمها، على الرغم من كونهما عضوين في عصبة الأباطرة الثلاثة، إذ انه لم تكن لألمانيا - حتى ذلك الحين - أية مطامع أو مصالح في أملاك السلطان العثماني. فضلاً عن عدم رغبة بسمارك بأثارة الخلافات بين روسيا والنمسا - المجر، بسبب التنافس بينهما في البلقان، إلا أنه (بسمارك)، أخبر دزرائيلي في نهاية الأمر بموافقة عليها^(٣٣). فضلاً عن ذلك فقد أبدت كلاً من فرنسا وإيطاليا موافقتهما على ما جاء في تلك المذكرة. في حين رفض وزير الخارجية الروسي (الكسندر مكالوفيتش جورتشاكوف Alexander Mikhailovich Gorchakov ١٧٩٨-١٨٨٣ / ١٨٥٦-١٨٨٢)^(٣٤)، وسفير بلاده في أسطنبول (نيكولاي بافلوفيتش إجناتيف Nikolay Pavlovich Ignatyev ١٨٣٢-١٩٠٨ / ١٨٦٤-١٨٧٧)^(٣٥)، ماجا في مذكرة أندراسي، ودعى جورتشاكوف إلى عقد إجتماع لدول عصبة الإباطرة الثلاثة في برلين، وذلك في الحادي عشر من أيار عام ١٨٧٦ بزعامة بسمارك. وقدم جورتشاكوف خلال ذلك الاجتماع مقترحاً يقضي بوجوب تدخل الدول الأوروبية الكبرى، لأرغام السلطان العثماني على تطبيق الإصلاحات بصورة عامة لكافة رعاياه في البلقان. وتشكيل لجنة من الدول الست الكبرى لأجل مراقبة ذلك^(٣٦). إلا أن ذلك الطلب رفض من قبل أندراسي لآخوفه من إحتمالية قيام روسيا بتكوين دولة سلافية في البلقان، وتحديدأ في البوسنة والهرسك، تعمل على عرقلة وتهديد مصالح النمسا - المجر هناك^(٣٧).

أما الدولة العثمانية فقد أعلنت موافقتها على ما جاء في مذكرة إندراسي، وذلك في الحادي عشر من شباط من العام نفسه^(٣٨). وقام السلطان (عبد العزيز ١٨٣٠-١٨٧٦ / ١٨٦١-١٨٧٦)^(٣٩) بإصدار عفواً عاماً عن الثوار، مع إستثنائهم من دفع الضرائب لمدة سنتين وأصدار فرماناً بذلك^(٤٠). إلا أن السلطان أعلن في الوقت نفسه عن عدم قدرة بلاده على تطبيق جميع بنود مذكرة إندراسي، وذلك لان الدولة العثمانية كانت تمر بإزمة مالية خانقة، ما دفع الثوار لمواصلة تمردهم وعدم ثقتهم بوعود السلطان، نتيجة لحصولهم على الدعم والمساندة من قبل السفير الروسي في أسطنبول إجناتيف^(٤١).

قدم وزير خارجية إمبراطورية النمسا - المجر أندراسي عرضاً للدولة العثمانية، لأجل مساعدتها في تنفيذ الإصلاحات التي وردت في مذكرته السابقة الذكر، تمثل بقيام بلاده بالضغط

على الثوار ومنع وصول الأسلحة إلى مناطقهم، وذلك بتكليف قناصل النمسا – المجر في كلاً من دلماشيا وزغرب وموستار^(٤٢). كما إقترح أندراسي على حكومة الباب العالي القيام بإستمالة بعض قادة التمرد إلى جانبها. وطلب من أمير الجبل الأسود (نيكولا الأول بيتروفيتش **The Prinee Nicholas I Petrovic** ١٨٤١-١٩٢١ / ١٨٦٠-١٩١٠)^(٤٣)، التوسط بين الثوار والسلطات العثمانية. وتمكن الأخير من الضغط على الثوار وأوقفوا تمردهم في مطلع شهر أذار عام ١٨٧٦، ولمدة عشرة ايام، على أثر تكبدهم لخسائر فادحة أمام القوات العثمانية^(٤٤).

أمر أندراسي على أثر ذلك حاكم دلماشيا (البارون روجج **Baron Rudge**)، باللقاء مع بعض قادة الثورة في (ستورينا **Sutorina**) وذلك في السادس والعشرين من الشهر نفسه، وقام بتسليمه مذكرة تضمنت أبرز مطالب الثوار لأجل إنهاء التمرد. تضمنت قيام الباب العالي بإعطاء المسيحيين ثلث مساحة الأراضي التي بحوزة المسلمين في البوسنة والهرسك، وأن تقوم الدولة العثمانية بتقديم المساعدات المادية للمتضررين من الحرب وان يتم إعفائهم من دفع الضرائب لمدة ثلاث سنوات، وأن ينسحب الجيش العثماني من أراضي البوسنة والهرسك، وأن تضمن الدول الأوروبية الكبرى تنفيذ الدولة العثمانية لتلك المطالب، بمتابعة وتوجيه من قبل النمسا – المجر وروسيا^(٤٥).

لم يبد أندراسي أي حماس لتلك المطالب، كما أن حكومة الباب العالي لم ترد عليها، وإستمرت عمليات ملاحقة المتمردين من قبل القوات العثمانية النظامية^(٤٦). إلا أن ما زاد الأمور تعقيداً وإحراجاً لموقف النمسا – المجر من تلك الاحداث هو إمتداد لهيب الثورة إلى بلغاريا، التي أعلنت الثورة على الدولة العثمانية في نيسان من العام نفسه. فضلاً عن إحتماالية قيام كلاً من صربيا والجبل الأسود بإعلانها الحرب على الباب العالي، مما قد يحتم على روسيا – المنافس الأول للنمسا – المجر في البلقان التدخل في تلك الحرب لصالحهما، مما يهدد مناطق نفوذ الإمبراطورية الثنائية في البلقان^(٤٧).

حاولت حكومة فيينا تدار الأمور قبل أن تفلت من قبضتها، لاسيما بعد توسع دائرة الثورة ورفض روسيا لما جاء في مذكرة إندراسي من بنود، لذا قام أندراسي في الثالث عشر من أيار من العام نفسه بإصدار مذكرة جديدة، بدليلة لمذكرته السابقة عرفت بـ(مذكرة برلين **Berlin Menorandun**)^(٤٨)، تضمنت بعض مطالب الثوار السابقة الذكر، مع وجوب قيام الدولة العثمانية بإعادة إعمار الدور والقرى التي دمرت بسبب أحداث الثورة وإعفاء الأهالي من دفع الضرائب لمدة ثلاث سنوات ومساعدة أسر الضحايا وتعويضهم، وان تنسحب القوات النظامية

العثمانية من البوسنة والهرسك. فضلاً عن ذلك فقد أكدت مذكرة برلين على وجوب قيام قناصل الدول الأوروبية الكبرى بمراقبة الحكومة العثمانية وحثها على تنفيذ تلك الأمور، وفي حال تهاونت ولم تعمل على تنفيذها، فإن لدول عصبة الأباطرة الثلاثة الحق في استخدام القوة معها، لأجل ارغامها على تنفيذ تلك المطالب (٤٩).

أعلنت بريطانيا إعتراضها على ما جاءت به مذكرة برلين من قرارات . وعدها رئيس الحكومة البريطانية دزرائيلي بأنه قد تمت صياغتها من قبل دول عصبة الأباطرة الثلاثة فقط، دون إستشارة بريطانيا متجاهلين دورها كدولة كبرى. وقام دزرائيلي بإرسال بريقة إلى سفراء دول عصبة الأباطرة الثلاثة في لندن، وذلك في الخامس عشر من الشهر نفسه، إبّلمهم فيها بـ(إنكم تتعاملون مع بريطانيا العظمى وكأنها البوسنة أو الجبل الأسود، وأنه من السخرية ان يتم الاتفاق ما بين دول عصبة الأباطرة الثلاثة ويتخذون القرارات بمفردهم، ثم يدعون بقية الدول للعمل بصورة مشتركة لحل الأزمة!) (٥٠).

كانت بريطانيا تخشى من إحتمالية قيام النمسا – المجر أروسيا بالاستحواذ على ممتلكات السلطان العثماني في البلقان من خلال مذكرة برلين. وذلك ما أكده سفير حكومة صاحبة الجلالة في إسطنبول (هنري اليوت Henry Eliot ١٨١٧-١٩٠٧/١٨٦٧-١٨٧٧) (٥١)، لحكومة بلاده. وعلى أثر ذلك حاول أندراسي إقناع نظيره البريطاني (أدورد جورج ستانلي ديربي Edward George Gerofly Stanly Derby ١٧٩٩-١٨٨٩/١٨٧٤-١٨٧٦) (٥٢)، لأجل قبول عقد هدنة بين الثوار وحكومة الباب العالي، إذ أبلغ اندراسي دربي بـ "أنه في حال إستمرار ذلك التمرد فإن روسيا سوف تتدخل لامحالة وأن صربيا والجبل الأسود قد يعلنان الحرب على الباب العالي مما يزيد الأزمة تعقيداً أكثر وقد يكون سبباً لعدم إستمرار التفاهم بين النمسا – المجر وروسيا، مما يؤدي إلى الصدام بينهما، من أجل المحافظة على مصالحهما في البلقان، مما يهدد السلام والإستقرار في القارة الأوروبية ... " (٥٣).

أعلنت الحكومة البريطانية في التاسع عشر من أيار من العام نفسه رفضها لوساطة أندراسي ولمقررات مذكرة برلين. وهنا إقترح أندراسي على نظيره البريطاني ديربي ضرورة التعاون بينهما للتوصل إلى حل مرض لجميع الأطراف وللحيلولة دون إنفراد روسيا في البلقان. إلا أن ديربي رفض جميع مقترحات أندراسي لعدم ثقته به (٥٤). إلا أن رئيس الحكومة البريطانية دزرائيلي رحب بفكرة التفاهم مع النمسا – المجر، من أجل إبعادها عن روسيا، وبالتالي دق أسفين الفرقه بين دول عصبة الأباطرة الثلاثة (٥٥).

أزدادت الأمور تعقيداً على أثر قيام دزرائيلي بتحريك بعض قطعات الأسطول البريطاني إلى خليج (بيسكا Besika في الدردنيل)، للحيلولة دون أفراد النمسا- المجر أو روسيا في أحداث الأزمة البلقانية، على الرغم من إعتراض العديد من أعضاء الحكومة البريطانية على تلك الخطوة، التي عدتها الملكة (فكتوريا **Queenvictoria** ١٨١٩-١٩٠١ / ١٨٣٧-١٩٠١)^(٥٦) بانها سوف تجعل الدولة العثمانية تعتمد على بريطانيا في مجابهة الاطماع الروسية والنمساوية – المجرية في ممتلكاتها. مما يجعل بريطانيا تتدخل في نزاع مع دول عصابة الأباطرة الثلاثة، بسبب الأزمة البلقانية^(٥٧). إلا أن دزرائيلي برر ذلك العمل بسعي حكومة صاحبة الجلالة للمحافظة على بنود معاهدة (٣٠ آذار ١٨٥٦)^(٥٨)، التي أكدت على عدم السماح للسفن الحربية بعبور المضائق العثمانية في أوقات السلم، لاسيما الروسية منها^(٥٩).

دعى دزرائيلي في الوقت نفسه الدول الأوروبية الكبرى لعقد مؤتمر دولي في العاصمة العثمانية أسطنبول، لأجل حل الأزمة البلقانية، ومنع أفراد النمسا – المجر أو روسيا بها^(٦٠). ورحبت النمسا – المجر بالفكرة وقام أندراسي، بتكليف كلاً من البارون (**B.Calice كاليس**) وسفير بلاده في أسطنبول (الكونت **زنجي Count Zinchy**) لأجل تمثيل النمسا – المجر في ذلك المؤتمر^(٦١).

بدأ المؤتمر أعمالهم وإجتماعاتهم بصورة رسمية في الحادي عشر من كانون الأول عام ١٨٧٦، في مقر السفارة الروسية في أسطنبول، دون حضور أي ممثل عن الدولة العثمانية. وتمت مناقشة قضية البوسنة والهرسك، فضلاً عن مسألة الثورة في بلغاريا^(٦٢). إذ إقترح ممثل روسيا في المؤتمر تكوين دولة بلغارية مستقلة أسوةً بنظيرتها صربيا التي حصلت على استقلالها بموجب مقررات مؤتمر باريس لعام ١٨٥٦^(٦٣). إلا أن ممثل النمسا – المجر كاليس رفض ذلك الأمر، لانه كان متخوفاً من إحتمالية أن تصبح بلغاريا منطقة نفوذ روسي في البلقان، ومن المحتمل ان تتخذها روسيا منطلقاً لتوسعاتها في بقية الامارات البلقانية الأخرى^(٦٤). وقدم كاليس وبعد تشاوره مع أندراسي مقترحاً يقضي بتقسيم بلغاريا إلى قسمين (شرقي وغربي)، على ان تمتد حدودها إلى أدرنه وموناستير، للحيلولة دون إمتدادها إلى بحر إيجه. وبالتالي وقوعها تحت تأثير روسيا، وإتخاذها من قبل الأخيرة منفذاً على ذلك البحر، لأجل الوصول والسيطرة على المضائق العثمانية^(٦٥). فضلاً عن ذلك أقترح كاليس أيضاً توحيد البوسنة والهرسك في ولاية واحدة، تكون تابعة لسلطة الباب العالي، تمهيداً لعملية ضمهما إلى النمسا – المجر في اقرب وقت^(٦٦).

نقل ممثلو الدول الأوروبية الكبرى بعد ذلك مقر إجتماعاتهم من مقر السفارة الروسية في أسطنبول إلى وزارة الحربية العثمانية، وبحضور ممثلين عن الدولة العثمانية، وتمت المصادقة على قرارات مؤتمر القسطنطينية في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٨٧٧. وطلب ممثلوا الدول من السلطان (عبد الحميد الثاني ١٨٤٢-١٩١٨/١٨٧٦-١٩٠٩) الموافقة على قرارات المؤتمر^(٦٧). إلا أن الأخير رفض ذلك، لإدراكه لحجم الخلافات والتنافس بين روسيا والنمسا – المجر على البلقان، فضلاً عن تمكن القوات النظامية العثمانية من تحقيق بعض الانتصارات على الثوار في بلغاريا والبوسنة والهرسك^(٦٨). بالإضافة إلى وجود دعم خفي للدولة العثمانية من قبل رئيس الحكومة البريطانية دزرائيلي، الذي كان قد التقى مع السفير العثماني في لندن (موزوريس باشا)، إذ طلب منه دزرائيلي حث الصدر الأعظم (مدحت باشا ١٨٢٢-١٨٨٢/١٨٧٦-١٨٧٧)، على رفض مقررات مؤتمر القسطنطينية، فضلاً عن تشجيع السفير البريطاني هنري اليوت للأخير على ذلك الأمر^(٦٩).

أثارت رفض السلطان العثماني وحكومته لمقررات مؤتمر القسطنطينية حفيظة روسيا القيصرية، إلا أنها لم تقم بإتخاذ أية خطوة تصعيدية تجاه الدولة العثمانية، إلا بعد معرفة موقف النمسا – المجر من ذلك الرفض. لذا حاول غورتشاكوف وزير الخارجية الروسي الإتصال ببسمارك والطلب منه ضمان حياد النمسا – المجر في حال قيام روسيا باعلان الحرب على الدولة العثمانية، إلا أن بسمارك أعلن حياد بلاده وعدم ميلها إلى اية طرف، على الرغم من موافقته المسبقة على ضرورة إطلاق يد روسيا في البلقان، دون المساس بمصالح النمسا – المجر هناك^(٧٠). وعلى أثر ذلك قام غورتشاكوف بالاتصال بأندراسي، لأجل التفاهم معه على مصالح بلديهما في البلقان في حال تدخل روسيا المباشر في الأزمة البلقانية عسكرياً وإعلان الحرب على الدولة العثمانية. وعلى أثر ذلك توصل الطرفين في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٨٧٧ إلى توقيع (ميثاق بودابست Budapest Converntion)^(٧١)، الذي أكد أندراسي من خلاله على وقوف النمسا – المجر على الحياد، في حال قيام روسيا بالتدخل العسكري في الأزمة واعلانها الحرب على الدولة العثمانية، مقابل حصول النمسا – المجر على حق ضم البوسنة والهرسك إليها^(٧٢). مع تأكيد الطرفين على التزامهما بما جاء من بنود في إتفاقية (الرايخشتاد The Reichstade Agreeemnt)^(٧٣) التي وقعها الطرفان في الثامن من تموز عام ١٨٧٦^(٧٤)، بعد اللقاء الذي جمع الإمبراطور النمساوي – المجرى فرانسو جوزيف مع نضيره الروسي (الكسندر الثاني Alexasander II ١٨١٨-١٨٨١/١٨٥٥-١٨٨١)^(٧٥) في منطقة رايخسناد (أحدى

أعمال مقاطعة بوهيميا^(٧٦). وبذلك تكون روسيا قد ضمنت حياد النمسا - المجر من حربها المرتقبة مع الدولة العثمانية، والتي عدتها فرصة مناسبة لإستعادة ما خسرت في حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)، لاسيما منطقة بيسارابيا الجنوبية^(٧٧).

المبحث الثالث

موقف النمسا - المجر من الحرب الروسية - العثمانية ومعاهدة سان ستيفانو (٢٤ نيسان

١٨٧٧ - ٣ آذار ١٨٧٨)

أعلنت روسيا في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٨٧٧ الحرب على الدولة العثمانية، بعد ان ضمنت حياد النمسا - المجر وبقية الدول الأخرى قبل ذلك^(٧٨). كما قامت أيضاً قبيل ذلك وتحديدًا في السادس عشر من الشهر نفسه بعقد إتفاقية عسكرية مع رومانيا^(٧٩)، تعهد بموجبها الأمير الروماني (كارول الأول Carol I ١٨٣٩-١٩١٤ / ١٨٦٦-١٨٨١)^(٨٠)، بتقديم بلاده العديد من التسهيلات للقوات الروسية، مقابل الحصول على الإستقلال التام من التبعية للباب العالي في حال تمكن روسيا من الأنتصار في تلك الحرب^(٨١).

كانت خطة روسيا في الحرب تتمثل بإنزال هزيمة ساحقة بالجيش العثماني والوصول إلى أسطنبول في اقصر وقت ممكن والسيطرة عليها، ومن ثم فرض شروط الصلح على السلطان العثماني، وجعل الدول الأوروبية الكبرى، لاسيما بريطانيا والنمسا - المجر أمام الأمر الواقع^(٨٢). واعلنت أغلب الدول الأوروبية الكبرى حيادها من تلك الحرب، لاسيما بعد الطريقة التي تعاملت بها حكومة الباب العالي مع الثوار ورفضها لقرارات مؤتمر القسطنطينية^(٨٣). وحاولت النمسا - المجر الإلتزام ببنود إتفاقية بودابست واعلنت التزامها بالحياد الودي. وقد رحبت ألمانيا بذلك الحياد، لأجل ضمان عدم حدوث خلافات بينها وبين روسيا، قد تسبب التفرقة بين دول عصبة الأباطرة الثلاثة^(٨٤). أما فرنسا فلم تكن لها أية مصلحة من تلك الحرب ولم يكن لها مطامع في البلقان، إلا انها لم تنسى موقف روسيا منها في حرب السبعين (١٨٧٠-١٨٧١)^(٨٥). والتزمت إيطاليا موقفاً حيادياً أيضاً من تلك الحرب وحاولت الأبتعاد قدر المستطاع عن تداعيات وأحداث المسألة الشرقية - حتى ذلك الوقت - على اقل تقدير^(٨٦). في حين ابدت بريطانيا أسفها لقيام روسيا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية وقيامها بخرق بنود معاهدة باريس لعام ١٨٥٦. وحاول رئيس الحكومة البريطانية دزرائيلي ارسال بعض وحدات الأسطول البريطاني إلى البحر الأسود، لأجل حماية العاصمة العثمانية من السقوط بيد الجيوش الروسية، إلا أن مجلس الوزراء البريطاني رفض ذلك

الأمر، وعبر وزير الخارجية البريطاني اللورد ديربي بعد قيام روسيا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية بالقول: " أن قيام القيصر الكسندر الثاني بأعلان الحرب قد أدى إلى عزل بلاده عن بقية الدول الكبرى وعن المجتمع الدولي ... " (٨٧).

على الرغم من حياد النمسا – المجر من الحرب الروسية – العثمانية، إلا أن أندراسي كان متخوفاً من إحتمالية إنتقال شرارة الثورة البلقانية إلى ممتلكات الإمبراطورية الثنائية. ومن ان تقدم القوات الروسية تجاه أسطنبول سوف يفسح المجال لروسيا بفرض سيطرتها على مدخل نهر الدانوب، الذي يمثل الشريان الحيوي لتجارة النمسا – المجر مع البلقان، فضلاً عن ذلك فقد خشي أندراسي من قيام روسيا بإنشاء دولة بلغاريا الكبرى والتي من المحتمل أن تصبح موطناً قدم لروسيا وتمكنها من السيطرة على بقية الإمارات البلقانية، مما يهدد مصالح النمسا – المجر هنالك (٨٨).

ومع تطور أحداث الحرب ومحاولات بعض الدول الكبرى التدخل فيها، إلا أن النمسا – المجر حافظت على موقفها الحيادي. والتزمت بما جاءت به إتفاقية بودابست، ما دامت روسيا ملتزمة بها هي الأخرى. وحاول رئيس الوزراء البريطاني دزرائيلي الإتصال بإندراسي لأجل التعاون بينها لحل الأزمة وإنهاء الحرب، إلا أن أندراسي رد على دزرائيلي في التاسع عشر من ايار عام ١٨٧٧، معلناً رفض بلاده لاي تدخل منفرد من قبل إحدى الدول الكبرى في شؤون البلقان ووجوب إحترام المصالح الروسية في مناطق جنوبي البلقان، مع الإبقاء والمحافظة على وجود الدولة العثمانية (٨٩). ومع أصرار أندراسي ورفضه لتدخل بريطانيا في الحرب الروسية – العثمانية حاول بعض الدبلوماسيين البريطانيين جس نبض الإمبراطور فرانسو جوزيف ومعرفة إمكانية موافقته على تدخل النمسا – المجر إلى جانب بريطانيا لأجل إنهاء تلك الحرب، إلا أن الأخير كان مصراً أيضاً على بقاء بلاده على الحياد وعدم التدخل في تلك الحرب (٩٠).

بدأت نتائج الحرب الروسية – العثمانية تثير حفيظة النمسا – المجر التي خشيت من إنفراد روسيا بالمسألة الشرقية من خلال إستحواذها على كافة ممتلكات السلطان العثماني في البلقان. وعلى أثر ذلك عقد الإمبراطور فرانسو جوزيف وأندراسي إجتماعاً ضم كبار القادة العسكريين في جيش الإمبراطورية الثنائية، لأجل مناقشة نتائج تلك الحرب ومعرفة مدى تأثيرها على مصالح النمسا – المجر في البلقان. واقترح بعض القادة على الإمبراطور تحشيد بعض القطعات العسكرية على الحدود مع رومانيا وعلى منطقة غاليسيا الحدودية مع روسيا. وأكد أندراسي أن ذلك سوف يفرض على روسيا الإنسحاب من الأراضي التي ضمتها لها خلال تلك الحرب (٩١).

حاولت حكومة الباب العالي بعد تطور أحداث الحرب وقيام روسيا وحليفاتها بمحاصرة مدينة (بلفنة Plevna)^(٩٢). الإتصال بالنمسا – المجر وذلك في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام ١٨٧٧، والطلب من أندراسي التوسط بينها وبين القيصر الروسي لأجل إيقاف الحرب، إلا أن أندراسي لم يستجب لذلك، حتى لاتظن روسيا أن النمسا – المجر تتصلت عما تعهدت به سابقاً في إتفاقية بودابست وبدأت تضغط على روسيا لاجل إيقاف الحرب^(٩٣). وعلى أثر ذلك حاولت الدولة العثمانية التواصل مباشرة مع روسيا، وتم توصل الطرفان إلى التوقيع على هدنة أدرنه، في العشرين من كانون الثاني ١٨٧٨^(٩٤).

اثارت بنود هدنة أدرنه بعد توقيعها بصورة نهائية في الحادي والثلاثين من كانون الثاني حفيفة النمسا – المجر، إذ إستاء الرأي العام في الإمبراطورية الثنائية من بنودها، وأبدت بعض الأقليات، لاسيما السلاف الجنوبيين إبتهاجم بالانتصارات والنتائج التي حققتها روسيا القيصرية بموجب بنود تلك الهدنة، التي من الممكن أن تتيح لهم الفرصة للتحرر من هيمنة النمسا المفروضة عليهم منذ عام ١٨٦٧^(٩٥). وعلى أثر ذلك صريح أندراسي في الثالث من شباط من العام نفسه بأن هدنة أدرنه تعد منافية للمعاهدات والمواثيق المعقودة بين الدول الأوروبية الكبرى. وحاول تعبئة الجيش النمساوي – المجري، لأجل الضغط على روسيا ومنعها من المضي في تطبيق شروط تلك الهدنة^(٩٦). ودعى أندراسي في الوقت نفسه الدول الكبرى لعقد مؤتمر دولي في فيينا، لأجل مناقشة وتعديل تلك الشروط^(٩٧).

رحبت بريطانيا بمقترح أندراسي لعقد مؤتمر، إلا انها حبذت عقده في مدينة بادن السويسرية^(٩٨). في حين رفضت روسيا ذلك الأمر، وطالبت بأن يعقد ذلك المؤتمر في برلين أو في بروكسل أو في أي مدينة محايدة غير فيينا وعلى أن يكون على مستوى وزراء خارجية الدول الكبرى^(٩٩)، إلا انها أصرت في الوقت نفسه على إتمام عقد الصلح مع الدولة العثمانية، دون تدخل أية دولة من الدول الكبرى، مما أدى إلى فشل فكرة عقد ذلك المؤتمر، فضلاً عن ذلك فقد كان المستشار الألماني بسمارك لا يحبذ عقده، إلا انه كان يخشى من عدم التوصل للحلول المرضية لجميع الأطراف، لاسيما لدول عصبة الأباطرة الثلاثة^(١٠٠).

إستمر أندراسي بمعارضته العلنية ورفضه لهدنة أدرنه، في حين تمسكن روسيا بها، مما أثر على طبيعة العلاقات السياسية بين النمسا – المجر وروسيا. وهنا حاول بسمارك الضغط على أندراسي لأجل القبول بشروط الهدنة. وعبر غورتشاكوف عن رغبة بلاده في إجراء مباحثات مباشرة مع النمسا – المجر بواسطة بسمارك. وهنا حذر وزير الخارجية الألماني (برنارد ارنست فون بولو

Bernhard Ernsd Von Bulow ١٨١٥-١٨٧٩/١٨٧٣-١٨٧٩^(١٠١) أندراسي من أن المسؤولية سوف تقع على عاتق بلاده في حال تعرض روسيا لهزيمة سياسية من قبل الدول الكبرى، لاسيما من بريطانيا، بعد المكاسب الكبيرة التي حققتها في حربها ضد الدولة العثمانية، لذا عليه القبول بشروط الهدنة، لأجل الحفاظ على وحدة دول عصبة الأباطرة الثلاثة^(١٠٢).

بدأت في تلك الاثناء مفاوضات السلام النهائية بين روسيا والدولة العثمانية وتحديداً في الحادي عشر من شباط من العام نفسه في مدينة أدرنة، لأجل التوصل لعقد معاهدة نهائية مع الدولة العثمانية. وعلى أثر ذلك إنتقلت المفاوضات بين الطرفين من أدرنة إلى قرية (سان ستيفانو **San-stefano - على مقربة من العاصمة أسطنبول**)^(١٠٣)، وتم التوصل لتوقيع معاهدة سان ستيفانو التي تكونت من (٢٩) بنداً، في الثالث من آذار من العام نفسه^(١٠٤).

أعلن أندراسي حال سماعه بذلك رفض بلاده لما جاء في معاهدة سان ستيفانو جملةً وتفصيلاً، لاسيما المادة رقم (١٤) منها، التي تخص البوسنة والهرسك^(١٠٥). فضلاً عن ذلك فقد عدّ أندراسي إقامة دولة بلغاريا الكبرى تهديداً مباشراً لكيان الدولة العثمانية في البلقان ولتوازن القوى الكبرى في أوروبا، إذ عدّ تكوين روسيا لدولة بلغارية كبرى موحدة خطراً على مصالح بلاده في البلقان، معتبراً انها سوف تكون إداةً طيعة بيد روسيا وتطور في فلك الأخيرة وتحقق أهدافها التوسعية، وهي مخالفة لما تم الإتفاق عليه سابقاً بين بلاده وبين روسيا في ميثاق بودابست^(١٠٦). ومن جانبه عدّ الإمبراطور فرانسو جوزيف معاهدة سان ستيفانو تمهيداً لأنشاء روسيا لما يعرف بالجامعة السلافية، مما يحول بين النمسا – المجر وبين مناطق نفوذها في جنوب شرقي أوروبا . لذا طالب الإمبراطور النمساوي – المجرى بتدخل الدول الكبرى، لاسيما بريطانيا، لأجل تعديل بنود تلك المعاهدة، من خلال عقد مؤتمر دولي تحضره جميع الدول الأوروبية الموقعة على معاهدة باريس لعام ١٨٥٦ ومعاهدة لندن لعام ١٨٧١^(١٠٧)، وعدم ترك المسألة الشرقية منحصرة بين روسيا والدولة العثمانية^(١٠٨).

طلب أندراسي من سفير بلاده في لندن (**الكونت فرديريك فرديناند فون بوست Friedrich Ferdinand Von Beust** ١٨٠٩-١٨٩٦/١٨٧١-١٨٧٨)^(١٠٩) في الثالث عشر من آذار من العام نفسه معرفة موقف الحكومة البريطانية من بنود معاهدة سان ستيفانو، قبل أن تجتمع الدول الأوروبية الكبرى لمناقشتها في مؤتمر دولي^(١١٠). وعلى أثر ذلك عقدت الحكومة البريطانية في الثامن عشر من الشهر نفسه إجتماعاً أكد دزرائيلي من خلاله بأن النمسا – المجر تشعر بالقلق من التوسع الروسي في البلقان ومن المكاسب التي حققتها من خلال تلك المعاهدة. وأكد في

الوقت نفسه على وصول العلاقات بين دول عصابة الأباطرة الثلاثة، لاسيما بين روسيا والنمسا – المجر إلى حالة من التردّي والأرتباك، بسبب رفض أندراسي لتلك المعاهدة. وأبدى درزائيلي تأييده لمقترح أندراسي لأجل عقد مؤتمر دولي تشارك فيه الدول الأوروبية الكبرى، لأجل إعادة النظر بينود معاهدة سان ستيفانو^(١١١). كما أعتبرت الملكة فكتوريا أنه من الممكن التعاون مع النمسا – المجر وعقد مؤتمر دولي يعيد لبريطانيا العظمى مكانتها في القارة الأوروبية^(١١٢).

حاول أندراسي التدخل لأجل إنقاذ الدولة العثمانية من محنتها التي خلفتها الحرب ومعاهدة سان ستيفانو، إلا أن الإمبراطور فرانسو جوزيف وقادة الجيش رفضوا الدخول في حرب ضد روسيا، وقد جاء ذلك الموقف رداً على موقف بريطانيا التي تهيئت لإعلان الحرب على روسيا، مالم توافق الأخيرة على عرض جميع بنود معاهدة سان ستيفانو على الدول الأوروبية الكبرى في مؤتمر دولي يعقد في العاصمة الألمانية برلين^(١١٣).

أبدت روسيا قلقها من احتمالية تعاون بريطانيا والنمسا – المجر ضدها ، لذا حاول غودتشاكوف المحافظة على حياد النمسا – المجر، وقام بارسال إجناتيف إلى فيينا في الرابع والعشرين من آذار من العام نفسه، لأجل توضيح بنود معاهدة سان ستيفانو لأندراسي وأقناعه بقبولها، فضلاً عن معرفة موقف أندراسي في حال اندلاع الحرب بين روسيا وبريطانيا العظمى، بسبب بنود تلك المعاهدة^(١١٤).

حاول أندراسي إستغلال موقف روسيا المحرج وأحتمالية قيام بريطانيا باعلان الحرب عليها وقام بوضع عدّة شروط على إجناتيف كثمن لحياد النمسا – المجر من تلك الحرب – في حال حدوثها. ومن أبرز تلك الشروط هي:

- ١- أن توافق روسيا على ضم النمسا – المجر للبويسنة والهرسك وسنجق نوفي بازار بعد موافقة الدولة العثمانية على ذلك وان تقوم القوات النمساوية البحرية بأحتلال تلك المناطق بصورة مباشرة في حال عدم عقد مؤتمر دولي.
- ٢- أن توافق روسيا على تعديل حدود الجبل الأسود، مما يسهل على الأخيرة حرية الملاحة في بحيرة أشقودة.
- ٣- عدم السماح لروسيا بتوسيع صربيا غرباً، وتمنح عوضاً عن ذلك أقليمي (فرانيا Vrania وترن Trn) ، عوضاً عن مشاركتها في الحرب على الدولة العثمانية. وأن تمنح النمسا – المجر أمتياز إنشاء ومد السكك الحديدية في صربيا^(١١٥).

- ٤- توافق النمسا – المجر على قيام روسيا بضم منطقة جنوبي بسارابيا وتدعم حكومة فيينا ذلك الضم أمام الدول الكبرى والدول البلقانية والدولة العثمانية على حدّ سواء.
- ٥- يجب أن تقوم روسيا بتعديل حدود بلغاريا وفقاً لما جاء في مقررات مؤتمر القسطنطينية، إذ تكون الحدود الشرقية لها بين منطقتي (قرك - كليسا Kirk-Kellissi) وأسطنبول وبذلك تترك الأجزاء المطلّة على البحر الأسود للدولة العثمانية. فضلاً عن ذلك يجب أن يتم إعادة ترسيم حدود بلغاريا الغربية من خليج (أورفانو Orfano) إلى منطقة فراننا وأن تمنح المنطقة المتبقية وراء ذلك الحد حكماً ذاتياً وأدارياً مستقلاً عن بلغاريا بعد توحيدها مع ولاية سلانيك العثمانية باسم (مقدونيا Macedonia)^(١١٦).

- ٦- يجب على روسيا إنهاء إحتلالها لبلغاريا في مدة لا تتجاوز الستة أشهر وأن تقوم أيضاً بإخلاء الأراضي الأخرى التي إحتلتها في البلقان وتخفيض عدد قواتها المتواجدة هناك إلى ألفين جندي فقط^(١١٧).

رفض إجناتسييف تلك الشروط جملةً وتفصيلاً، لاسيما تلك الخاصة بالجبل الأسود، لأهميتها بالنسبة للقيصر الروسي الكسندر الثاني. وحاول إجناتسييف إجراء تعديلات على تلك المطالب، لأجل إقناع أندراسي بالقبول بمعاهدة سان ستيفانو. كما قام السفير الروسي في فيينا (نوفكوف Novikov) بتقديم مذكرة إلى أندراسي في الرابع والعشرين من آذار من العام نفسه، تضمنت موافقة القيصر الروسي وحكومته على بعض شروط أندراسي، إلا أن الأخير رفض ذلك الأمر أيضاً، مما أدى لحصول القطيعة بين البلدين نتيجةً لتمسك روسيا بمعاهدة سان ستيفانو^(١١٨). لذا شعرت روسيا بعزلتها بعد عدم تمكنها من التوصل إلى تسوية مع النمسا – المجر، لعدم إقتناع الأخيرة ببنود المعاهدة من جهة، وإحتمالية قيام بريطانيا باعلان الحرب ضدها والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية من جهة أخرى. لذا حاولت روسيا مساومة النمسا – المجر قدر المستطاع، لأجل المحافظة على المكاسب التي حققتها بموجب معاهدة سان ستيفانو^(١١٩).

حاول أندراسي حينما أدرك بان علامات الحرب بين روسيا وبريطانيا بدأت تلوح في الأفق، تبني سياسة التعويض، إذ أدرك إستحالة المحافظة على وحدة الدولة العثمانية وسلامة أراضيها، وأراد أندراسي أن تحافظ النمسا – المجر على علاقاتها الودية مع الجميع، لاسيما مع روسيا، إذ أنه وقع تحت تأثير بسمارك الذي اراد المحافظة أيضاً على العلاقات الودية بين روسيا والنمسا – المجر^(١٢٠). لذا حاول أندراسي حل الخلافات مع روسيا التي تعاضمت بعد حرب الأخيرة وانتصارها على الدولة العثمانية وتحقيقها لمكاسب كبيرة بموجب معاهدة سان ستيفانو، وذلك من خلال عقد

مؤتمر دولي بدلاً من التعاون مع بريطانيا والخروج من عصابة الأباطرة الثلاثة. إلا أن فشل المبعوث الروسي إجناتيف في مهمته الدبلوماسية التي أرسل بها إلى فيينا حال دون تفاهم الطرفين، بسبب تمسك روسيا بمعاهدة سان ستيفانو ورفضه للشروط التي اقترحها أندراسي، حال دون توصل النمسا – المجر وروسيا إلى حل الخلافات بينهما وأدى إلى ازدياد تعقد العلاقات وتدهورها بين الطرفين^(١٢١).

أخبر أندراسي السفير البريطاني الجديد في فيينا هنري اليوت في التاسع والعشرين من أذار من العام نفسه بأنه لم يطلب من المبعوث الروسي إجناتيف سوى ثلاثة أمور، تمثلت بوجوب تقليص حدود بلغاريا وتقليل عدد القوات العسكرية الروسية المحتلة لها والموافقة على قيام بلاده بضم البوسنة والهرسك لها، لأجل تطبيق الإصلاحات اللازمة فيها، بعد أن عجزت الدولة العثمانية عن القيام بذلك، إلا أن إجناتيف رفض تلك المطالب، ما أدى لعدم التوصل لحل مرضي بين روسيا والنمسا – المجر^(١٢٢).

وعلى أثر ذلك أرسل أندراسي مساعده الأول (بنجامين كالي Benjamin Kallay) إلى العاصمة العثمانية أسطنبول في مهمة رسمية، لأجل أقناع السلطان العثماني وحكومته بضرورة التنازل عن البوسنة والهرسك لصالح النمسا – المجر^(١٢٤). إلا أن حكومة الباب العالي رفضت ذلك الأمر في الثامن عشر من نيسان من العام نفسه^(١٢٥).

جرت في تلك الاثناء وتحديدًا خلال شهري نيسان وأيار لقاءات عدّة بين الدبلوماسيين الروس والبريطانيين، لأجل التوصل إلى حل مرضٍ وأنها حالة التوتر التي حصلت بين بريطانيا وروسيا نتيجة لعقد الأخيرة لمعاهدة سان ستيفانو^(١٢٦). لاسيما بين السفير الروسي في لندن (الكونت بول أندريفيج شوفالوف Count Paul Andreevich Shuvalov ١٨٢٧-١٨٩٩ / ١٨٧٤-١٨٧٩)^(١٢٧)، وبعض الدبلوماسيين وعضء الحكومة البريطانية. وكان

أندراسي على دراية بتلك المفاوضات، إذ اعتبر ان روسيا تحاول التوصل إلى تفاهم مع بريطانيا، حتى لا تقدم بعض التنازلات للنمسا – المجر. وعدّ اندراسي أن هدف روسيا من تلك المفاوضات إنما هو لأجل عزل النمسا – المجر عن بريطانيا^(١٢٨). لذا طلب أندراسي من وزير الخارجية

البريطاني (اللورد روبرت آرثر تالبوت غاسكوين سالز بيرري Robert Arthur Talbot Gascoyne Salisbury ١٨٣٠-١٨٣٠ / ١٨٧٨-١٨٨٠)^(١٢٩)، وجوب التوصل إلى إتفاق بين الطرفين من خلال مساندة النمسا – المجر لبريطانيا في مسألة بلغاريا وتقليص حدودها ومساحتها، مقابل وقوف بريطانيا إلى جانب النمسا – المجر ودعم وتأييد مطالبها بضم البوسنة

والهرسك وساحل البحر الادرياتيكي، كما طلب أندراسي من سالزيرري أيضاً أن تقوم بريطانيا بأقناع الدولة العثمانية لأجل قبول تلك المطالب. إلا أن سالزيرري رفض ذلك، لانه كان يعلم أن اندراسي يحاول أن يستغل بريطانيا لأجل الضغط على روسيا والحصول على مبتغى بلاده بضمها لتلك المناطق إلى ممتلكاتها، على حساب الدولة العثمانية (١٣٠).

لقد شكك سالزيرري بنوايا أندراسي، الذي أراد التقرب من بريطانيا لأجل أبعاد خطر روسيا والحد من توسعاتها في البلقان. لذا قرر وزير الخارجية البريطاني التعامل مع روسيا بشكل مباشر وبمعزل عن النمسا - المجر وتم على أثر ذلك توصل الطرفان (بريطانيا وروسيا) إلى إتفاق في الثالث عشر من أيار من العام نفسه، لأجل تسوية الخلافات بينهما الناتجة من أحداث الأزمة البلقانية وأنهاء التصعيد بين البلدين. وحاول السفير البريطاني في فيينا هنري اليوت اللقاء مع أندراسي، لأجل أطلاعه على مسودة الاتفاق البريطاني - الروسي، حتى لاتسوء العلاقات بين بريطانيا والنمسا - المجر، ما يؤدي إلى عودة الأخيرة إلى التقارب مع روسيا تحت مظلة عصابة الأباطرة الثلاثة (١٣١).

توصلت بريطانيا على أثر ذلك في السادس من حزيران من العام نفسه إلى عقد إتفاقية مع النمسا - المجر بصورة سرية، تعهد من خلالها هنري اليوت لأندراسي بمنع بريطانيا لتكوين دولة بلغارية كبرى في البلقان واعطاء البوسنة للنمسا - المجر فقط، إذ رفض اليوت إدراج الهرسك وسنجق نوفي بازار ببود تلك الإتفاقية، على أمل التوصل إلى إتفاق تام بين جميع الأطراف الأخرى، لأجل سيطرة النمسا - المجر على كامل اراضي البوسنة والهرسك، على ان تبقى إدارتهما تحت السيادة الإسمية للدولة العثمانية (١٣٢). إذا ما تم التوصل إلى إتفاقاً تام على تلك المسائل في المؤتمر الدولي المزمع عقده في برلين، لأجل إنهاء جميع المشاكل الناجمة عن الأزمة البلقانية والحرب بين روسيا والدولة العثمانية وبنود معاهدة سان ستيفانو (١٣٣).

حاول سفير النمسا - المجر في اسطنبول في تلك الأثناء إبلاغ حكومة الباب العالي أن بلاده حريصة على سلامة أراضي الدولة العثمانية ووحدتها، ولأجل منع أندلاع حرب جديدة بينها وبين صربيا أو الجبل الأسود أو إيطاليا، فانه من الأفضل أن يسمح السلطان العثماني للنمسا - المجر بضم البوسنة والهرسك، على ان تبقى تحت السيادة الأسمية للباب العالي (١٣٤). ووافق السلطان على ذلك فيما بعد، لان بلاده كانت خارجة منهكة القوى من حربها مع روسيا والامارات البلقانية. وتم بعد ذلك الترتيب لعقد مؤتمر لأنهاء الأزمة البلقانية في برين وليس في فيينا، لاسيما

بعد قيام بسمارك بتوجيه دعوة إلى الدول الأوروبية الكبرى والدولة العثمانية لعقد مؤتمر في الثالث من حزيران من العام نفسه، لأجل التوصل إلى تسوية نهائية للمسألة الشرقية^(١٣٥).

المبحث الرابع

دور النمسا – المجر في مؤتمر برلين وأبرز المكاسب التي حققتها

دعى المستشار الألماني بسمارك الدول الكبرى للحضور والمشاركة في مؤتمر دولي لحل الأزمة البلقانية في برلين، على أن تبدأ الاجتماعات الفعلية في الثالث من حزيران من العام نفسه^(١٣٦). ووافقت روسيا على عرض بنود معاهدة سان استيفانو على الدول الكبرى، لأجل تعديلها في ذلك المؤتمر^(١٣٧)، وقام القيصر الكسندر الثاني بأيفاد كلاً من وزير الخارجية غورتشاكوف والسفير الروسي في لندن شوفالوف إلى برلين لاجل تمثيل بلادهما في المؤتمر. ومثل الدولة المضيفة كلاً من المستشار بسمارك ووزير الخارجية بولو، ومثل بريطانيا رئيس الحكومة وزرائي ووزير خارجيته سالزبري فضلاً عن السفير البريطاني في برلين (اللورد أدو رسل **Odo Russell** ١٨٢٩-١٨٨٤/١٨٨٤-١٨٧١/١٨٨٤)^(١٣٨). ومثل أندراسي بلاده في المؤتمر برفقة سفير النمسا – للمجر في برلين (الكونت كارولي **Count Karolyi**) ، فضلاً عن السفير النمساوي – المجري في روما (البارون هانيسريش كارل فون هايمر **Heinrich Kar von Haymerle** ١٨٢٨-١٨٨١/١٨٧٣-١٨٧٩)^(١٣٩). أما فرنسا فمثلها وزير خارجيتها (وليم هنري ودنغتون **William Henry Waddington**)^(١٤٠) والسفير الفرنسي في برلين (تشارلز ريموند دي سانت فاليري **Charles Raymond De Saint- Vallier** ١٨٣٣-١٨٨٦/١٨٧٧-١٨٨١)^(١٤١) ، فضلاً عن رئيس الدائرة السياسية في وزارة الخارجية الفرنسية (مونسير ديسبري **Monsieur Desprey**). أما إيطاليا فمثلها وزير خارجيتها (الكونت لودفيكو كورتى **Lodovico Corti** ١٨٢٣-١٨٨٨ / ١٨٧٨-١٨٧٩)^(١٤٢)، فضلاً عن السفير الإيطالي في برلين (الكونت دي لوني **Lount Delaunay**) أما الدولة العثمانية فمثلت منه قبل سفيرها في برلين (سعد الله بيك ١٨٣٨-١٨٩١/١٨٧٧-١٨٨١)، فضلاً عن وزير الخارجية (الكسندر كاراتيو دوري باشا **Alexander Karatheodori Pasha** ١٨٣٣-١٩٠٦/١٨٧٨-١٨٧٩)^(١٤٣)، والقائد العسكري العثماني (المشير محمد علي باشا). أحد القادة الذين شاركوا في قيادة القوات العثمانية في الحرب العثمانية – الروسية^(١٤٤). فضلاً عن ذلك فقد سمح بسمارك بحضور ممثلين عن الامارات البلقانية، لاسيما في رومانيا وصربيا والجبل الأسود واليونان^(١٤٥).

بدأت أعمال المؤتمر بصورة فعلية في الثالث عشر من حزيران واستمرت لغاية الثالث عشر من تموز من العام نفسه. وتم عقد إجتماعات بين وفود الدول المشاركة خلال تلك المدة عشرين مرة^(١٤٦).

حاول أندراسي خلال جلسات المؤتمر مناقشة مسألة البوسنة والهرسك ورفض ما جاءت به معاهدة سان ستيفانو بخصوصيهما، إذ أكدت تلك المعاهدة على وجوب منحهما حكماً ذاتياً. وعبر أندراسي للمؤتمرين عن إستعداد النمسا – المجر لإحتلالهما وأدارتهما، وأيد ممثلوا كلاً من ألمانيا وبريطانيا ذلك، لكن رئيس الوفد الروسي غورتشاكوف رفض ذلك المقترح. لذا حاول أندراسي أقناع غورتشاكوف بأن احتلال بلاده للبوسنة والهرسك سيكون مؤقتاً وبموافقة الدولة العثمانية^(١٤٧).

أصر ممثل روسيا على رفض مقترح أندراسي، إلا أن وقوف ممثلي بريطانيا وألمانيا إلى جانب أندراسي جعل موقف غورتشاكوف حرجاً، مما أضطره في نهاية الأمر إلى الموافقة على مطالب أندراسي^(١٤٨).

توصلت الدول الكبرى والدولة العثمانية بعد ذلك إلى توقيع معاهدة برلين وإنهاء أعمال المؤتمر في الثالث عشر من تموز من العام نفسه. وتكونت تلك المعاهدة من (٦٤ مادة)^(١٤٩). ونصت المادة الخامسة والعشرين منها على " أن تقوم النمسا – المجر بإحتلال البوسنة والهرسك وإدارتهما، دون تحديد مدة زمنية معينة لذلك الإحتلال، مع التأكيد على بقائهما تحت السيادة الإسمية للباب العالي... فضلاً عن ذلك فقد أكدت المادة ذاتها ايضاً على السماح للنمسا – المجر بالإحتفاظ ببعض القطعات العسكرية في الإقليمين (البوسنة والهرسك)، لأجل حماية الطرق التجارية بينها وبين بقية أقاليم الدولة العثمانية. بالإضافة إلى ذلك فقد أكدت المادة ذاتها على احقية النمسا – المجر بالإحتفاظ بنفس القوات العسكرية في سنجق نوفي بازار، على أن يتم الاتفاق في المستقبل بين حكومتي فيينا وأسطنبول على تفاصيل عملية الإحتلال النمساوي المجرى، مع مراعاة حقوق الباب العالي في سنجق نوفي بازار^(١٥٠).

ومن المكاسب الأخرى التي حققتها النمسا – المجر في مؤتمر برلين هو حصول الجبل الأسود على الاستقلال عن الدولة العثمانية وفقاً للمادة (٢٩) من المعاهدة، وان عليه التواصل مع النمسا – المجر لأجل طلب المساعدة في إنشاء وتطوير السكك الحديدية. وإعطائها الحق في الإفادة من تلك السكك في المستقبل، فضلاً عن ذلك فقد منحت النمسا – المجر وفقاً للمادة ذاتها

حقوق حماية السواحل البحرية للجبل الأسود وملاحته التجارية، على ان تلتزم الأخيرة بالقوانين والأنظمة الملاحية للنمسا – المجر (١٥١).

كان أندراسي متردداً في موضوع إحتلال بلاده للبوسنة والهرسك في مؤتمر برلين، ولعل ذلك الأمر عائد إلى معارضة بعض الدوائر المدنية في الإمبراطورية الثنائية، لاسيما البحرية منها، التي خشيت من فقدان التوازن العرقي بين مكونات الإمبراطورية لصالح الجرمان على حساب السلاف وبقية المكونات العرقية الأخرى للإمبراطورية الثنائية (١٥٢).

كان مؤتمر برلين بمثابة نصراً دبلوماسياً كبيراً لأندراسي، إذ تمكنت بلاده من الحصول على مناطق نفوذ واسعة في البلقان من وجهة، وتمكنت من إبعاد منافستها روسيا وتحجيم خطرها نهائياً على المصالح النمساوية – المجرية في البلقان من جهة أخرى، دون أن تطلق رصاصة واحدة أو ان تهدر قطرة دم واحدة، لاجل الحفاظ على مصالحها في البلقان (١٥٣).

حاولت النمسا – المجر بعد ذلك التواصل مع الدولة العثمانية والإتفاق معها لاجل تطبيق بنود المادة الخامسة والعشرين من معاهدة برلين والسماح للنمسا – المجر بإحتلال البوسنة والهرسك، إلا أن الباب العالي طلب من أندراسي تأجيل ذلك الأمر، بسبب وجود اضطرابات في البوسنة وحدثت بعض الاحتجاجات بين سكانها تطالب بمقاومة ورفض دخول القوات النمساوية المجرية ورفض قرارات مؤتمر برلين (١٥٤). إلا أن أندراسي لم يعر لطلب الحكومة العثمانية أية أهمية. وأمر قوات بلاده بدخول البوسنة في مطلع تشرين الأول عام ١٨٧٨ (١٥٥).

واجهت النمسا – المجر مقاومة كبيرة من قبل أهالي البوسنة والهرسك، الذين عارضوا مقررات مؤتمر برلين، لاسيما تلك التي تؤكد على أحتلال النمسا – المجر لبلادهم، فضلاً عن ذلك فقد عارض البرلمان في الإمبراطورية الثنائية (الوفود Delegations) عملية الإحتلال، لعدم إستعداده لتحمل مهام إدارة تلك الأقاليم. وظل ذلك الأمر حتى شهر آذار عام ١٨٧٩، إذ تم إلقاء مهمة إدارة البوسنة والهرسك على عاتق وزارة المالية في الإمبراطورية الثنائية (١٥٦).

أدكرت الدولة العثمانية بعد ذلك صعوبة المواجهة مع النمسا – المجر ومنع إحتلالها للبوسنة والهرسك، بسبب وقوف بريطانيا ومانيا إلى جانبها، وحثهما لحكومة الباب العالي بوجود الإلتزام بمقررات مؤتمر برلين، وتحديدأ المادة رقم (٢٥) منه التي أكدت على إحتلال النمسا – المجر للبوسنة والهرسك. وعلى اثر ذلك عقدت الدولة العثمانية مع النمسا – المجر معاهدة في الحادي والعشرين من نيسان عام ١٧٨٩ ، لأجل توضيح مصالح الطرفين في البوسنة والهرسك، مع التأكيد على وجوب التزام الدولة العثمانية بتطبيق المادة رقم (٢٥) من معاهدة برلين، التي

نصت على وجوب بقاء البوسنة والهرسك تحت السيادة الأسمية للباب العالي فقط. فضلاً عن ذلك فقد أكدت تلك المعاهدة على وجوب إحترام النمسا – المجر لحقوق المسلمين في البوسنة والهرسك والسماح لهم بممارسة طقوسهم الدينية. وأن يتم إنفاق واردات البوسنة على تطوير المشاريع الداخلية فيها، والإبقاء على العملات العثمانية لأجل المداولة فيها^(١٥٧).

لم تلتزم النمسا – المجر ببنود تلك المعاهدة وعملت إلى تحويل البوسنة والهرسك إلى أراضي ومقاطعات تابعة لها تمهيداً لعملية ضمهما بصورة رسمية في أقرب فرصة^(١٥٨). وبذلك تكون النمسا – المجر حققت مكاسب كبيرة في البلقان وجاءت عوضاً لما خسرتها سابقاً في أوروبا، لاسيما في إيطاليا عام ١٨٦١ وفي ألمانيا عام ١٨٦٦، وأزداد تغلغل نفوذها في البلقان بعد ذلك. إلا أن ذلك الأمر سوف يعمل على إشعال روح التنافس الاستعماري بينها وبين روسيا من جهة وبينها وبين الامارات البلقانية من جهة أخرى، لاسيما صربيا، والذي سوف يستمر لسنوات لاحقة ويكون أحدى أهم الأسباب المباشرة لأندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤^(١٥٩).

الخاتمة والإستنتاجات:

- ١- بدأت النمسا بالتوجه صوب مناطق البلقان بعد خسارتها لمناطق نفوذها في إيطاليا والمانيا، بفعل حروب الاستقلال التي شهدتها تلك المناطق خلال العقد السادس من القرن التاسع عشر. وأخذت بعد توحيد عرشها مع المجر عام ١٨٦٧ تبحث عن مناطق جديدة للنفوذ والسيطرة، عوضاً عن تلك التي خسرتها في أوروبا ووجدت ضالتها في البلقان.
- ٢- عملت ألمانيا في عهد مستشارها بسمارك (١٨٧١-١٨٩٠)، على تشجيع النمسا – المجر على التوجه صوب مناطق جنوب شرقي أوروبا وأتخاذها مجالاً حيويّاً لها، لأجل إبعاد خطرهما والحيلولة دون قيامها بأية محاولة لأجل إستعادة مكانتها في الأراضي الألمانية التي أخرجت منها بالقوة على يد بروسيا عام ١٨٦٦.
- ٣- إستغلت النمسا – المجر حالة الضعف التي كانت الدولة العثمانية تمر بها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدأت تحاول مد نفوذها صوب إملاك السلطان العثماني في البلقان. الا انها وبعملها هذا اصطدمت مع روسيا ذات المصالح القديمة في البلقان، ما أدى لحدوث تنافساً إستعماريّاً بينها وبين روسيا، أثر بشكل كبير على العلاقات الدولية بين جميع الدول الكبرى خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر.

- ٤- حاولت إمبراطورية النمسا - المجر إستغلال إندلاع الأزمة البلقانية الكبرى عام ١٨٧٥، لأجل تأدية دور الوسيط في حلها والحصول على مكاسب في البلقان، لذا قام مستشارها أندراسي بتقديم وصياغة مذكرة إلى الدول الكبرى لتحسين أحوال السكان المحليين في الإمارات البلقانية (مذكرة أندراسي)، إلا انها رفضت من قبل بعض الدول ما دفعه لأصدار لائحة إصلاحية أخرى عرفت بـ(مذكرة برلين).
- ٥- اثار تدخل روسيا القيصرية المباشر في أحداث الأزمة البلقانية مخاوف النمسا - المجر من إحتتمالية إنفرادها في السيطرة على البلقان، والذي من شأنه تهديد مصالح النمسا - المجر هناك، لاسيما في البوسنة والهرسك، إلا أن روسيا تجنبت الصدام مع النمسا- المجر وحاولت إعطائها بعض الضمانات في إتفاقية الرايخشتاد وميثاق بودابست. وبذلك ضمنت روسيا حياد النمسا - المجر من حربها مع الدولة العثمانية (٢٤ نيسان ١٨٧٧ - ٣ آذار ١٨٧٨)، إلا انها إبدت إعتراضها على بنود معاهدة سان ستيفانو، لأنها أطلقت يد روسيا في البلقان وتحديداً في بلغاريا على حساب مصالح النمسا - المجر هناك.
- ٦- توصلت النمسا - المجر لأتفاق مع بريطانيا لاجل رفض معاهدة سان ستيفانو ودعت الدول الكبرى للضغط على روسيا، لأجل تعديل تلك المعاهدة، لذا وافقت جميع الدول الكبرى على مقترح النمسا - المجر لعقد مؤتمر دولي في برلين لاجل ذلك.
- ٧- حصلت النمسا - المجر في مؤتمر برلين، وتحديداً في المادة رقم (٢٥) منه على حق الاستحواذ على البوسنة والهرسك، وهذا ما كانت تطمح لتحقيقه منذ بداية الأزمة. وبذلك يكون مؤتمر برلين قد مثل نصراً دبلوماسياً كبيراً بالنسبة لها، إذ حصلت على مناطق نفوذ في البلقان دون أن تطلق رصاصة واحدة لاجل ذلك. كما تمكنت من تحجيم دور روسيا والتقليل من خطر المواجهة معها في البلقان.
- ٨- إعترضت الدولة العثمانية على ما جاء في المادة رقم (٢٥) من معاهدة برلين ورفضت تنفيذها والسماح لدخول القوات النمساوية - المجرية إلى البوسنة والهرسك وسنجد نوفي بازار، إلا أن الدول الكبرى وتحديداً بريطانيا وألمانيا مارسا ضغطاً عليها لأجل السماح بذلك.
- ٩- لم تبال النمسا المجر بمعارضة الدولة العثمانية وباشرت بإحتلال البوسنة والهرسك في تشرين الأول عام ١٨٧٨، الأمر الذي أثاره حفيظة الحكومة العثمانية، إلا أن النمسا -

المجر توصلت لعقد معاهدة مع الأخيرة لاجل الاعتراف والموافقة على ذلك الاحتلال، بعد تعهد حكومة فيينا بالابقاء على بعض حقوق السلطان العثماني في تلك الأقاليم. ١٠- أن عملية سيطرة النمسا - المجر على البوسنة والهرسك ما هي إلا تمهيداً لضمهما بصورة رسمية لأملاك الإمبراطورية الثنائية وفي اقرب فرصة، لأجل توسيع املاكها في البلقان، وذلك ما حدث فعلاً بعد قيام ثورة الإتحاديين عام ١٩٠٨.

الهوامش والإحالات

(١) **البلقان**: وهو شبه جزيرة كبيرة تقع في جنوبي شرق أوروبا، يمتد من رأس البحر الادرياتيكي نحو الجنوب الشرقي إلى شبه جزيرة المورة في اليونان. ويمتد شرقاً من المضائق العثمانية (البسفور والدردينيل) ومصب نهر الدنيستر. أما حدوده الشمالية فتبدأ من رومانيا ويوغزلافيا وكرواتيا وسلوفينيا، ويضم إقليم البلقان كلاً من الدول بلغاريا واليونان والباانيا ومقدونيا والبوسنة والهرسك وكرواتيا ورومانيا وكوسوفو وصربيا والجبل الأسود، فضلاً عن الأراضي التركية التي تطل على بحر مرمرة والتي تسمى بـ(تراقيا الشرقية). للتفاصيل عن جغرافية البلقان أنظر:

Ferdinand Schevill, History of Balkan Peninsula fromth Earliest Time to PresentDay, (New York, 1966), PP.13-25.

(2) J. A. R. Marriott, The Eastern Questim, Ahistorical study in European Diplomacy, (Oxford University Press, 1969), P.328.

(٣) **مترنيخ**: سياسي ودبلوماسي نمساوي، ولد في الخامس عشر من ايار عام ١٧٧٣ في مقاطعة (كوبلنز – Oblenz) احدى اعمال الراين في ألمانيا، شغل العديد من المناصب السياسية إذ اصبح في عام ١٨٠١ سفيراً للنمسا في سكسونيا. ثم انتقل إلى برلين، ثم عمل سفيراً لبلاده في باريس (١٨٠٦-١٨٠٧)، ثم اصبح مستشاراً للنمسا عام ١٨٠٩، ساهم في القضاء على نابليون بونابرت وترأس مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، مارس سياسة القمع تجاه الحركات الثورية في أوروبا، إلا أنه أطيح به في ثورات عام ١٨٤٨ ونفي على اثرها إلى لندن وتوفي في الحادي عشر من حزيران عام ١٨٥٩ في فيينا. للتفاصيل أنظر :

The New Encyclopedia Brilanmca, 15th , ed., (Chicago Encyclopedia Britannica, Inc., 1988), Vol. 8, PP.75-77.

(٤) محسن حمزة حسن العبيدي، الأزمة البلقانية (١٨٧٥-١٨٧٨) دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوروبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص ٣٧.

(5) G.E. Mitton, Austria – Hungary, (London, 1915), P.32.

(6) L. Cecil Jane, From Metternich t, Bismarck, Atextbook of European History 1815-1878, (Oxford, 1910), PP. 212-217.

كانت النمسا عضواً في الدايت الألماني الذي شكل عام ١٨١٥ بعد الاتفاق بين الدول الأوروبية الكبرى على اختزال عدد الدويلات الألمانية إلى (٣٨) دويلة مستقلة واصبح ذلك الاتحاد تحت زعامة

النمسا وبروسيا، إلا أنها أخرجت من ذلك الاتحاد بعد حرب الأسابيع السبعة مع بروسيا عام ١٨٦٦ لتفقد بعد ذلك مكانتها السياسية في ألمانيا. للتفاصيل أنظر:

Marshall Dill, Germany Amodern History, (Michigan University Press, 1961), P.89.

(٧) سادوا: وتعرف أيضاً حرب الاسابيع السبعة The Seven Weeks War دارت بين الولايات الألمانية بزعمارة النمسا ضد بروسيا في السادس عشر من حزيران ولغاية الثالث من تموز عام ١٨٦٦، خسرت النمسا بموجبها نفوذها في الديات الألمانية وتنازلت عن (سلزفيك وهولشتاين) لصالح بروسيا، كما تنازلت عن البندقية لصالح إيطاليا. وتسببت بتوجه النمسا نحو البلقان وأتخاذة مجالاً حيويًا (Lebensraun) لتوسعاتها ، مما أدى إلى تصادمها مع مصالح روسيا القيصرية هناك. للتفاصيل أنظر:

L. Woodward, Prelude to Modern Europe 1815-1914, (London, 1972), PP.118-120; Percy Ashley, Europe from walerloo to Saragjevo, Asketch of Political Development, (New York, 1925), PP.184-157.

(٨) إتفاقية أوزكلاخ: إتفاقية عقدتها النمسا مع المجر في شباط عام ١٨٦٧، لأجل توحيد البلدين، إذ صارت النمسا تعرف ب(إمبراطورية النمسا-المجر) وتتألف من دولتين مستقلتين أحدهما عن الأخرى ويحكمهما ملك واحد يلقب (الإمبراطور) أو امبراطور النمسا وملك المجر. وكان لكل منهما وزارته الخاصة وبرلمانه الخاص ولغة رسمية واحدة وكان أيضاً هناك وزارات مشتركة (الخارجية والمالية والحربية). اما الشؤون ذات المصالح المشتركة فكانت من مسؤوليات مجلس يعرف بـ (الوفود The Delegations)، ويتكون من مجلسين أحدهما نمساوي والأخر مجري، ويتألف كل واحد منهما من (٦٠) عضواً على ان لايتصل احدهما بالآخر إلا عن طريق تبادل المذكرات والوثائق الرسمية. ولم تعد تلك التسوية إتفاقاً بين حكومتي النمسا والمجر، وإنما عبارة عن عقد تم أبرامه من كلا الطرفين مع صاحب العرش (الإمبراطور فرانسو جوزيف Franzo Joseph ١٨٤٨-١٩١٦). ووفقاً لتلك الإتفاقية قسم رعايا الإمبراطور إلى أربع قوميات مختلفة هم الألمان والسلاف واللاتين والرومان. للتفصيل أنظر:

A.J. Taylor, The Habsbary Morurchy 1809-1918, (London, 1964), PP. 141-152; Lulgi Albertini, The Origine of the war of 1914, Translated and Ediled by Isabella. M. Massery, (Oxford, 1952), PP.1-2;

هـ. أ. ل، فشر، تاريخ أوروبا الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، (القاهرة، ١٩٧٢)، ص ٣١٣-٣٦٥.

(٩) Edward Cran Shaw, The fall of the Habsburg, (London, 1964), PP.141-146;

كارتن هيز، التاريخ الاوروبي الحديث (١٧٨١-١٩١٤)، ترجمة: فاضل حسين، ط ١، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٢٠٥.

(١٠) **الجامعة السلافية:** وهي عبارة عن حركة فكرية وقومية ظهرت في أوروبا الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وترزعتها روسيا القيصرية. ونشأت برغبتها في توحيد جميع الاقليات ذات العرق السلافي في البلقان التي تدين بالمذهب الأرثوذكسي في دولة واحدة تكون بزعامة القيصر الروسي وتحرير الشعوب السلافية من الهيمنة العثمانية. وتجلت تلك الفكرة خلال سنوات الأزمة البلقانية الكبرى (١٨٧٥-١٨٧٨) وما أعقبها من سنوات، ثم تحولت إلى صراع للزعامة بين روسيا و صربيا الطامحة بإنشاء دولة السلاف الكبرى (صربيا الكبرى) ، واستمر ذلك الصراع حتى إندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤. للتفاصيل أنظر:

Jane Burbank and other (eds.), Russia Empire 1700-1930, Space, People, Power, (Indian University press, 2007), PP.494-500.

(١١) **بسمارك:** سياسي الماني، ولد في ١٨ نيسان عام ١٨١٥ في مقاطعة براند بنيرغ ان أسرة بروسية عريقة. تولى العديد من المناصب السياسية ومنها تمثيله لبروسيا في الدايت الألماني (١٨٥١-١٨٥٩)، ثم أصبح سفيراً لبروسيا في سان بطرسبورغ (١٨٥٩-١٨٦٢)، ثم سفيراً في باريس (١٨٦٢-١٨٦٣)، ثم مستشاراً لبروسيا ووزيراً للخارجية (١٨٦٢-١٨٧٠)، ثم اصبح أول مستشاراً للأمبراطورية الألمانية بعد توحيدها (١٨٧١-١٨٩٠)، تمزيت سياسته الخارجية بكثرة تشكيل التحالفات الأوروبية لأجل تطويق فرنسا ومنعها من الانتقام من ألمانيا، دخل في خلاف مع القيصر الألماني (وليم الثاني William II ١٨٨٩-١٩١٨)، فقام الأخير بعزله في مطلع عام ١٨٩٠، توفي في ٣٠ تموز عام ١٨٩٨ في برلين. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 3, PP.714-722.

(12) M. Busch, Bismarck, Some Secret pages of History, Vol. III, (London, 1898), P.237;

يقظان سعدون العامر ، أهمية روسيا في سياسة بسمارك الخارجية (١٨٧١-١٨٨٧)، مجلة الأستاذ، العدد (٢٤)، كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ٩٧.

(١٣) **فرانسو جوزيف:** امبراطور النمسا (١٨٤٨-١٩١٦)، ولد في فيينا في ١٨ تموز عام ١٨٣٠، تولى الحكم بعد ثورة عام ١٨٤٨، توج ملكاً على المجر بعد توحيد الإمبراطورية الثنائية عام ١٨٦٧، تمسك بالمبادئ الاوتوقراطية في حكم البلاد وتعدّد مدة حكمه من أطول فترات حكم أباطرة أوروبا أدخل بلاده الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، توفي في ٢١ تشرين الثاني عام ١٩١٦. للتفاصيل أنظر:

Encyclopedia Americana, (New York, 1976), Vol. II, PP.756-757.

(14) Mihallo. D. Stojanovic, The Great Powers and the Balkans (1815-1878), (Cambridge University Press, 1968), P.10;

أنس إبراهيم خلف العبيدي، أزمة البوسنة (١٩٠٨-١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ٣٤.

(١٥) التوازن الدولي: وهو نظام دولي يعمل على عدم السماح لأي دولة من الدول الأوروبية من الهيمنة على بقية الدول الأخرى، بحيث تكون جميع الدول متساوية بالقوة والامكانيات . للتفاصيل أنظر: M.S. Anderson, The Ascendancy of Europe 1815-1914, Aspects of European History, (London, 1977), P.1;

كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، ط ١، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ١٩٥.

(١٦) أندراسي: سياسي ودبلوماسي مجري، ولد في بودابست في ٨ آذار عام ١٨٢٣، ساهم في ثورة المجر عام ١٨٤٨ وهاجر بعد فشلها إلى فرنسا وبقي فيها لعدة سنوات، أصبح مستشاراً لامبراطورية النمسا – المجر بعد توحيدهما عام ١٨٦٧ طوال المدة (١٨٦٧-١٨٧١)، ثم أصبح وزيراً للخارجية (١٨٧١-١٨٧٩)، عمل على تطوير علاقات بلاده مع ألمانيا ، تدخل في الأزمة البلقانية لعام ١٨٧٥ وتمكن من خلال سياسته في مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ من ضم بعض الأقاليم البلقانية إلى بلاده، توفي في ١٨ شباط عام ١٨٩٠. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britanica, Vol. I. P. 388.

تذكر بعض المصادر أن أندراسي كان يولي الدولة العثمانية أهمية خاصة، إذ يقول: " ان وجود الدولة العثمانية هو بمثابة المنفعة الألهية أوجدتها السماء للنمسا – المجر، فهي تعمل على المحافظة على الوضع الراهن في الإمارات البلقانية الصغيرة من خلال كبحها للنزعات القومية في تلك الإمارات، ولولا وجود حكومة الباب العالي لتحملت النمسا – المجر اعباء تلك القوميات، ولو أن صربيا تمكنت من ضم البوسنة والهرسك أو أن الجبل الأسود قام بضمهما، فلن يكون بمقدور النمسا – المجر منع قيام الوحدة بين تلك الإمارات، ولأصابتنا الدمار ، ولأصبحت النمسا – المجر هي رجل أوروبا المريض. بدلاً عن الدولة العثمانية ". للتفاصيل أنظر:

Marriott, Op. Cit., P.422; Robert Bideleux and Ian Jeffries, AHistory of Eastern Europe, Crisis and Change, 2nd. Ed., (New York, 2007), P.121.

(17) Albertini, Op. Cit., P.2.

كانت الإمبراطورية الثنائية تتكون من خليط غير متجانس من الاقليات، إذ كان السلاف من التشيك والسلوفاك يقدرون بنحو (عشرة ملايين نسمة)، والالمان ب (تسعة ملايين نسمة) والمجريين ب(تسعة ملايين أيضاً)، والبولنديين وعددهم أربعة ملايين، والصرب – الكروات ب(ثلاثة ملايين) والرمانيين ب(ثلاثة ملايين) وأيطاليين ويبلغ عددهم (سبعة آلاف نسمة). للتفاصيل أنظر:

Ibid., PP.1-2;

ميسون ناصح جواد محمد، القضية الألبانية (١٨٧٨-١٩٠٨) ودراسة في جانبيها السياسي والثقافي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢١، ص ٥٣.

(18) M.S.Anderson, The Great Powers and the Near East (1114-1923), Document of Modern History, (London, 1970), P.256.

(19) **عصبة الأباطرة الثلاثة: تحالف سياسي وعسكري تشكل في نيسان عام ١٨٧٣**، ضم أباطرة كلاً من روسيا القيصرية والمانيا والنمسا – المجر. كانت الغاية من تشكيلها هو لأجل توحيد الجهود بين تلك الدول وحل خلافاتها بالطرق الدبلوماسية، فضلاً عن عزل فرنسا ومنعها من التحالف مع أي دول من تلك الدول حتى لاتشن حرب ضد ألمانيا، وحل الخلافات والتنافس الاستعماري بين النمسا – المجر وروسيا في البلقان، إلا أن الخلافات أدت لأنحلال تلك العصبة في صيف عام ١٨٨٧ بعد إنسحاب روسيا ورفضها لتجديدها. للتفاصيل أنظر:

F.R.Bridge, From Sadowa, to Sarajevo, The Foreign Policy of Austria-Hungary 1866-1914, (London, 1972), PP. 399-402;

حسن زغير حزيم، سياسة التحالفات الأوروبية وأثرها في العلاقات السياسية الأوروبية (١٨٧٩-١٩٠٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ٩-١٥.

(20) محمد يحيى أحمد عباس، العلاقات السياسية بين بريطانيا والمانيا ١٨٧١-١٨٨٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢٢؛

Medlicott and D. K. Coveney, Bismarck and Europe, (London, 1971), P.400.

(21) William Alma, Abdul Hamid, The Shadows of God, Translated From Germany by Norman Denney, (London, 1940), PP.135-137.

(22) Stojanevic, Op. Cit., P.12.

(23) للتفاصيل عن أسباب إندلاع تلك الثورة ، أنظر:

Al. Amir, Yakthan Sadoun, British Recation to Germany's ottoman Policy (1870-1885), Astudy of thottoman Policies Pursued by British and German Government and their Political and Commerical Consequences During the Period 1870-1895, Thesis of Doctor School of Social Sciences University of Brad Forad, England, 1978, Vol.I, PP. 70-79;

العبيدي، محسن حمزه حسن، المصدر السابق، ص ٦٧-٧٠.

(24) M.S.Anderson, The Eastern Question (1774-1923), Astudy in International Relation, (London, 1955), P.180;

أنس إبراهيم خلف العبيدي، المشكلة المقدونية (١٨٧٨-١٩٠٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص ٣٩.

(٢٥) للتفاصيل عن معاهدة باريس وبرز بنودها أنظر: حمزة ملغوث البديري، الدبلوماسية الأوروبية خلال حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (إبن رشد) للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص ١٩٦-٢٠٢.

(٢٦) هاشم صالح التكريتي، الصراع بين الدول الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الأزمة البلقانية ١٨٧٥-١٨٧٨ أنموذجاً)، ط ١، (بغداد، ٢٠٠٨)، ص ١.

(27) G.D., Clayton, Britain and the Eastern Question, Missolongni to Galipoli, (London, 1974), PP.132-133.

(28) Stan ford shaw and Ezelkural show . History of the ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. 2, Refrom, Revolution and Republic, the Rise of Modern Turkey 1808-1975, (Cambridge University Press 1977), P.159.

(٢٩) العبيدي، محسن حمزة حسن، المصدر السابق، ص ٧٨.

(٣٠) أ. ج. ب، تايلور، الصراع على سيادة أوروبا (١٨٤٨-١٩١٨)، ترجمة: فاضل جكتر، ط ١، المركز الثقافي العربي، (أبو ظبي، ٢٠٠٩) ص ٣٣٣.

(31) H, seton Watson, Disraeli, Gladstone and the Eastern Question , Astudy in Diplomacy of party Politics, (London, 1962), P.17; Stojanovic, Op. Cit., P.41.

(٣٢) **دزرائيلي**: سياسي ورجل دولة بريطاني، ولد في ١٢ كانون الأول ١٨٠٤ من عائلة يهودية ذات أصول إيطالية. دخل الحياة السياسية منذ عام ١٨٣١ وأنضم إلى حزب المحافظين عام ١٨٣٧، ثم دخل مجلس العموم البريطاني، ثم أصبح رئيساً للحكومة مرتين، الأولى (شباط - كانون الأول ١٨٥٢)، والثانية (شباط ١٨٧٤ نيسان ١٨٨٠)، توفي في ١٩ نيسان ١٨٨١ في لندن. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 4, PP.898-901.

(33) Anderson, The Eastern Question ..., P.188.

(٣٤) **جوريتشاكوف**: سياسي ودبلوماسي روسي، ولد في ٤ حزيران ١٧٩٨ دخل السلك الدبلوماسي عام ١٨٢٠ وشارك في مؤتمري (لايباخ عام ١٨٢١ ومؤتمر فيرونا عام ١٨٢٢)، أصبح سفيراً لبلاد في فيينا عام ١٨٥٤، ثم مثل بلاده في مؤتمر باريس لعام ١٨٥٦، ثم أصبح وزيراً للخارجية طوال المدة (١٨٥٦-١٨٨٢)، توفي في ١١ آذار ١٨٨٣ في مدينة بأدن الألمانية. للتفاصيل أنظر:

Alan Palmer, An Encyclopedia of Napolon's Europe, (London, 1984), PP. 141-142; The New Encyclopedia Britannica, Vol. IV, P.633.

(٣٥) **إجناتييف**: سياسي ورجل دولة روسي ولد في موسكو في ايلول ١٨٣٢، عمل جنرالاً في الجيش الروسي بعد ان تخرج من كلية الأركان العامة في سان بطرسبورغ، عمل بعد ذلك في السلك الدبلوماسي وعمل سفيراً لبلاد في الصين، ثم مديراً

للشؤون الاسيوية في وزارة الخارجية، ثم أصبح سفيراً لبلاده في أسطنبول (١٨٦٤-١٨٧٧). أرسل في عام ١٨٧٧ في مهمة دبلوماسية إلى فيينا وبعدها إلى لندن، لاجل ضمان حياد بريطانيا والنمسا – المجر من الحرب الروسية العثمانية. شارك في صياغة بنود معاهدة سان ستيفانو وكان من اشد دعاة الجامعة السلافية ثم شارك في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، ثم أصبح وزيراً للداخلية (١٨٨١-١٨٨٢)، توفي في آذار ١٩٠٨. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. V, P.291.

(36) David Harris, Diplomatic History of the Balkan crisis (1875-1878), (London, 1963), PP. 239-241.

(37) تايلور، المصدر السابق، ص ٣٢٧.

(38) Harris, Op. Cit., P.188.

(39) **السلطان عبد العزيز**: ولد في ٩ شباط ١٨٣٠ وهو ابن السلطان محمود الثاني، تولى عرش السلطنة في ٢٥ حزيران ١٨٦١ بعد وفاة أخيه السلطان عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١)، وكان عمره ٣١ عاماً. عزل عن الحكم في ٣٠ أيار عام ١٨٧٦، وتوفي في ٤ حزيران من العام نفسه. للتفاصيل أنظر: ساهرة حسين حمود الصامري، أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) إصلاحاته والتطورات في البلقان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠، ص ٥٤، ١٨٧، ١٩٥.

(40) Shaw, Op. Cit., P. 160.

(41) حمزة ملغوث البديري، مؤتمر القسطنطينية (١١ كانون الأول ١٨٧٦ - ٢٢ كانون الثاني ١٨٧٧)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٥٨)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص ٥٠٩.

(42) Stajanovic, Op. Cit., P. 52.

(43) **نيقولا الأول بيتروفيتش**: أمير الجبل الأسود، ولد في ٧ كانون الأول ١٨٤١، أصبح أميراً على الجبل الأسود بعد استقلالها الإسمي عن الدولة العثمانية عام ١٨٦٠ حتى عام ١٩١٠، وقف إلى جانب روسيا في حربها ضد الدولة العثمانية، ثم أصبح ملكاً طوال المدة (١٩١٠-١٩١٨)، قام بالعديد من الإصلاحات، الإدارية والعسكرية وتمكن من ضمان استقلال بلاده التام في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨. توفي في ٢ آذار ١٩٢١. للتفاصيل أنظر:

Wikipedia, Nicholas I king of Montenegro.

(44) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(45) Harris, Op. Cit., P.249.

(46) Anderson, The Eastern Question, PP. 182-183.

(47) Tsonko Genov, The Russo-Turkish war (1877-1878), and the Liberation of Boulgaria, (Sofia, N.D.), P.10.

(48) Anderson, The Great Powers ..., PP.88-90.

(49) Harris, Op. Cit., P. 298.

(50) Quoted in: Anderson, The Eastern Queslion ..., P. 183;

الدسوقي، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

(٥١) **اليوت:** ولد في لندن في ايلول عام ١٨١٧، شغل العديد من المناصب الدبلوماسية، أصبح سفيراً لبلاده في الدنمارك (١٨٥٨-١٨٥٩)، ثم قنصلاً عاماً في نابلس (١٨٥٩-١٨٦٣)، ثم سفيراً في روما (١٨٦٣-١٨٦٧)، ثم سفيراً في أسطنبول (١٨٦٧-١٨٧٧) ثم في فيينا (١٨٧٧-١٨٨٤)، توفي في آذار ١٩٠٧. للتفاصيل أنظر:

Coeffry Hicks and others (eds.), Document on Consevative Foreign Policy (1852-1878), Vol. 14, (New York, 2012), P. 374.

(٥٢) **ديري:** سياسي ودبلوماسي بريطاني، ولد في ٢١ تموز ١٩٢٦، عين وكيلاً في وزارة الخارجية عام ١٨٥٢، أصبح بعد ذلك وزيراً للمستعمرات (شباط - حزيران ١٨٥٨) ثم أصبح وزيراً للهند (أيلول ١٨٥٨ - حزيران ١٨٥٩)، ثم تولى منصب وزير الخارجية (تموز ١٨٦٦-١٨٦٨)، ثم شغل المنصب ذاته طوال المدة (شباط ١٨٧٤ - نيسان ١٨٧٨)، ثم أصبح وزيراً للمستعمرات مرة ثانية (كانون الأول ١٨٨٢ - حزيران ١٨٨٥)، توفي في ٢١ نيسان ١٨٩٣. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 7, PP. 274-276.

(53) Quoted in: Stojanovic, Op. Cit., P.65.

(54) Ibid., P.66.

(55) J. Evansi, the Victolian Age 1815-1914, (Loncon, 1975), P. 261.

(٥٦) **الملكة فكتوريا:** ملكة بريطانيا وأيرلندا وأمباطورة الهند، ولدت في ٢٤ أيار عام ١٨١٩ وهي الابنة الوحيدة للأمير البرت دوق كنت Kent ورابع أبناء الملك (جورج الثالث George III ١٧٦٠-١٨٢٠)، اعتلت العرش في ٢٠ حزيران عام ١٨٣٧ - وتوفيت في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٠١. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 10, P. 421.

(٥٧) البديري، مؤتمر القسطنطينية ... ، ص ٥٣٢.

(٥٨) للتفاصيل عن معاهدة باريس (٣٠ آذار ١٨٥٦)، أنظر:

Lonis Snyder (ed.), Fifty Major Documents of the Niaeteenth Century, (New York, 1955), PP.90-92;

البديري، الدبلوماسية الأوروبية ... ، ص ١٩٧-١٩٨.

(٥٩) عباس، المصدر السابق، ص ١١١.

(٦٠) البديري، مؤتمر القسطنطينية ... ، ص ٥٣٤.

(61) Stojanovic, Op. Cit., P.117.

للتفاصيل عن مؤتمر القسطنطينية، أنظر: البديري، مؤتمر القسطنطينية ... ، ص ٥١١-٥١٧.

(62) Weslex. M. Geweller, The Rise of Nationalism in the Balkan 1800-1930, (New York, N.D.), P.82.

(63) Al. Amir, Op. Cit., P. 94.

أكدت المادة رقم (٢٨) من معاهدة باريس لعام ١٨٥٦ على إقرار الحكم الذاتي لصربيا، الذي كانت قد حصلت عليه منذ عام ١٨٣٢ وبضمانة الدول الكبرى وعلى ان تحافظ الدولة العثمانية على سيادة الحكومة الصربية وحرية شعبها. في حين أكدت المادة رقم (٢٩) من المعاهدة ذاتها على عدم تدخل الدولة العثمانية عسكرياً في صربيا ومهما كانت الأسباب، دون الحصول على إذن بذلك من قبل الدول الأوروبية الكبرى. للتفاصيل أنظر:

J. C. Hurewitz (ed.), The Middle East and North Africa in world Politics, A Documentary Record, Vol. I, European expansion, (1535-1914), 2nd. ed. (London, 1975), PP.129-130;

البديري ، الدبلوماسية الأوروبية ... ، ص ٢٠١.

(64) Stojanovic, Op. Cit., P.132.

(٦٥) البديري، مؤتمر القسطنطينية ... ، ص ٥١٣.

(66) Geweller, Op. Cit., P.85.

(٦٧) تايلور، المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(٦٨) التكريتي، المصدر السابق، ص ٨٤.

(69) Rose. J. Halland, The Development of the European Nations 1870-1914, (London, 1919), P.183.

(70) Watson, Op. Cit., P.21.

(71) W.L.Langer, European Allinces and Alignments 1871-1890, (New York, 1979), PP. 113-114.

عدّ أندراسي ميثاق بودابست بمثابة نصراً كبيراً لبلاده، إذ أعطيت الحق في ضم البوسنة والهرسك، فضلاً عن إمكانية سيطرة النمسا – المجر على الجزء الغربي من البلقان، مقابل بقائها على الحياد، وفي مقابل ذلك تمكنت روسيا القيصرية من تأمين حدودها الغربية، فضلاً عن ضمانها حياد ألمانيا التي كانت المسألة الشرقية لاتعني لها شيء - حتى ذلك الوقت - على أقل تقدير. للتفاصيل أنظر:

Stephen Pierce Hayden Duggan, The Eastern Question, A study in Diplomacy, (New York, 1970), P.114;

العبيدي ، أزمة البوسنة ... ، ص ١٨.

(72) Stojanovic, Op. Cit., PP. 135-136.

(73) Anderson, The Great powers ..., PP.88-92.

تعدّ إتفاقية الرايخشتاد من أهم الإتفاقيات السرية التي عقدت بين روسيا والنمسا – المجر والمانيا في الثامن من تموز عام ١٨٧٦. إذ تعهد الطرفان (روسيا والنمسا – المجر) بموجبها على تقسيم سنجق نوفي بازار بين الجبل الأسود وصربيا، في حال تمكن الأخيرة من تحقيق الإنتصار على الدولة العثمانية. وان تحصل النمسا – المجر على القسم الأكبر من البوسنة والهرسك مقابل إستعادة روسيا لبسارابيا وأن تمنح بلغاريا الروميلي الشرقية وأن تحصل البانيا على إستقلالها وان تعوض اليونان بمنحها بعض الجزر وأن تصبح أسطنبول مدينة حرة. للتفاصيل أنظر:

Agreement of the Reichstade, 8, July, in: Michael Hurst (ed.), key Treaties of the Great powers 1815-1914, Vol. II, (Devon, 1972), PP. 509-511; Anderson, The Great powers, PP. 89-92.

(٧٤) العامر، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٧٥) الكسندر الثاني: إمبراطور روسيا وملك بولندا، ولد في ٢٩ نيسان ١٨١٨ في سان بطرسبورغ، خلف والده نيقولا الأول في الحكم في ٢٢ آذار ١٨٥٥. أجرى العديد من الإصلاحات الداخلية لاجل تجاوز هزيمة بلاده في حرب القرم، ومنها تحرير الاقنان عام ١٨٦١، كما أهتم بالجيش وعمل على تطوير مشاريع السكك الحديدية في عموم الإمبراطورية، خرق معاهدة حياذ البحر الأسود لعام ١٨٥٦ في مؤتمر لندن ١٨٧١، كما ساهم في دعم فكرة ومشروع الجامعة السلافية وقمع الإنتفاضة البولندية الكبرى لعام ١٨٦٣، تدخل في الأزمة البلقانية وخاض حرباً ضد الدولة العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨)، لاجل ذلك. إغتيل على يد طالب يهودي بولندي بواسطة قنبلة يدوية في ١٣ آذار ١٨٨١. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. I, P.243; W.E., Mosse, Alexander II and The Modemization of Russia, (Loncon, 1958), PP. 12-23.

(٧٦) العبيدي، محسن حمزه حسن، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(77) Anderson, The Easten Question ..., PP. 183-186;

العبيدي، أنس إبراهيم، المشكلة المقدونية ... ، ص ٤٣٠.

(78) Marriott, Op. Cit., P.334.

(79) Barbara Jelavich, Russia and the Rormation of Romaniau, National State 1821-1878, (Cambridge University Press, 1984), PP.240-245.

حصلت روسيا بموجب تلك الإتفاقية على حرية مرور قواتها العسكرية عبر الأراضي الرومانية وإستخدام السكك الحديدية وطرق المواصلات والتلغراف، فضلاً عن موافقة رومانيا على السماح للجيش الروسي ببناء الثكنات العسكرية ومحطات ومستشفيات على كافة أراضيها، باستثناء العاصمة بوخارست. للتفاصيل عن تلك الإتفاقية وأهم بنودها أنظر: فهد عويد عبد عايد، التطورات السياسية

في إمارتي الدانوب (ولاشيا - مولدافيا) والموقف الدولي منهما ١٨٤٨-١٨٨١، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٤، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٨٠) **كارل الأول**: أمير الماني من عائلة هوهنزولرن، وأسمه كارل أتيك فريدريك Karl Eitek Friedrich، ولد في ٢٠ نيسان عام ١٨٣٩ في بوهيميا، ألتحق في عام ١٨٦٤ بالجيش البروسي، أختير أميراً على رومانيا بعد حصولها على الاستقلال الأسمي من الدولة العثمانية طوال المدة (١٨٦٦-١٨٨١)، أنضم إلى جانب روسيا في حربها ضد الدولة العثمانية، قام بالعديد من الإصلاحات الداخلية، توج ملكاً على رومانيا طوال المدة (١٨٨١-١٩١٤)، توفي في ١٠ تشرين الأول عام ١٩١٤. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. II, P. 579.

(81) A. J., Schem, The war in the Cast anliustrated History of the Conflict Between Russia and Turkey with areview of the Eastern Question, (New York, 1978), PP.222-223.

(82) Marriott, Op. Cit., P.334.

(83) دموع علي راجي الفتلاوي، الحرب الروسية – العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠١٥، ص ١١١؛

Arthur Ponsonby, Wars and Treaties 1815-1914, (London, 1919), PP. 58-60.

(84) حسين حماد عبد رجب الدليمي، العلاقات السياسية البريطانية – الألمانية (١٨٨٠-١٩١٤)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الأنبار، ٢٠٢١، ص ٣٣.

(85) للتفاصيل عن موقف روسيا من حرب السبعين (١٨٧٠-١٨٧١) بين بروسيا وفرنسا أنظر:

Huch Selon Watson, The Russian Empire 1801-1917, (oxford University Prees, 1967), PP. 437-438.

(86) Stojanovic, Op. Cit., P.249.

(87) Ibid., P. 155.

(88) Roumen Daskalov, The Making of Nation in the Balkan, Historiography of the Bulgarian Revival, (New York, 2004), PP.199-202.

(89) Stojanovic, Op. Cit., P.167.

(90) العبيدي، محسن حمزه حسن، المصدر السابق، ص ١٩٩.

(91) Watson, Disraeli, Gladston ..., P.294.

(92) **بلغاريا**: مدينة صغيرة تقع في شمالي بلغاريا، تميزت بموقعها الجغرافي المطل على عدّة طرق، مما اعطاها أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة لبلغاريا . للتفاصيل أنظر: الفتلاوي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(93) Stojanovic, Op. Cit., P.189.

(94) Marriott, Op. Cit., PP.375-378.

تضمنت هدنة أدرنة بعض الأمور المهمة ولعل من أهمها هو منح اليوسنة والهرسك حكماً ذاتياً مع قيام الدولة العثمانية بالإصلاحات اللازمة لأجل تحسين أحوال سكانها المسيحيين. وذلك يتنافى مع ما أكدته روسيا من قبل في إتفاقية الرايخشتاد وميثاق بودابست من وجوب اعطاء اليوسنة والهرسك للنمسا – المجر، لقاء بقائها على الحياد من الحرب الروسية – العثمانية. للتفاصيل أنظر: العبيدي ، محسن حمزه حسن، المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(95) Bridge, Op. Cit., PP.84-86.

(96) Adrian Gilson, The Czar and the Sultan, Nicholas II and Abdul Hamid, Harper and Brothers, (New York, 1953), P.16.

(97) Andrassy to karolyi, 28 January 1878, in : E. T. S., Dugdale (ed.), German Diplomatic Documents (1871-1890), Vol. I, Bismarck Relations with England (1871-1890), New York, 1969), PP.61-63.

(98) عباس ، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(99) Anderson, the Eastern Question ..., P. 362.

(100) عباس ، المصدر السابق، ص ١٧٤؛

Al.Amir, Op. Cit., P.78.

(101) بولو: دبلوماسي وسياسي ورجل دولة ألماني من أصول دنماركية، ولد في ٢ آب ١٨١٥ في قرية (سيزمار-Cismar شمالي ألمانيا)، درس القانون في جامعة برلين وبدأ حياته السياسية في الدنمارك وعمل في وزارة الخارجية ودوائر أخرى طوال المدة (١٨٤٢-١٨٥٠)، وفي عام ١٨٦٢ انتقل إلى شمالي ألمانيا وتسلم رئاسة حكومة دوقية (مكلنبورغ، Meckenburg) للمدة (١٨٦٢-١٨٦٧)، ثم اقنعه بسمارك بتولي وزارة الخارجية للمدة (١٨٧٣-١٨٧٩)، توفي في ٢٠ تشرين الأول عام ١٨٧٩ في مدينة فرانكفورت Frankfurt وسط غربي ألمانيا. للتفاصيل أنظر:

Erik Grimmer-Solem, Learning Enpire: Globalization and the German Quest for world status 1875-1919, (Cambridge University press, 2019), PP.165-212.

(102) J. A. R., Marriott, England Since waterloo, (London, N.D.) , P. 459.

(103) العبيدي، محسن حمزة حسن، المصدر السابق، ص ٣١١. وللتفاصيل عن معاهدة سان ستيفانو أنظر:

Preliminan Treaty of San-Stefano 19 February-3 March 1878, Doc. No. 108, in: Hurst, Op. Cit., Vol. 11, PP.528-546; Frank Moloy Anderson and Amos shartle Hershey, Handbook for the Diplomatic History of Europe Asia, and Africa 1870-1914, (New York, 1969), Appendix, I.

(104) الدسوقي، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(105) Watson, Russia Empire ..., P. 457.

أكدت المادة رقم (١٤) من معاهدة سان ستيفانو والخاصة بالبوسنة والهرسك على وجوب قيام الدولة العثمانية بتطبيق الإصلاحات التي اقرت في مؤتمر القسطنطينية في الولايتين. وان تقوم الدولة العثمانية بإنفاق جميع إيرادات البوسنة والهرسك المالية على احتياجات سكانها فقط، منذ توقيع معاهدة سان ستيفانو (٣ آذار ١٨٧٨) إلى شهر آذار من عام ١٨٨٠. ثم يتم بعد ذلك التأريخ تحديد المبلغ المالي الذي يتوجب على السكان المحليين دفعه إلى خزينة الباب العالي وبالاتفاق مع روسيا والنمسا – المجر. للتفاصيل أنظر:

R.B.Mowat., M.A., AHistory of Enropean Diplomacy 1815-1914, (London, 1927), P. 231; Rene Albrecht Carrie, ADiplomatic History of Europe Since the Congress of Vienna, (New York, 1969), PP. 167-168.

(106) Hans Kohn, The Habsburg Empire 1804-1918, (Princoton, 1961), P.87.

(١٠٧) للتفاصيل عن معاهدة لندن (١٣ آذار ١٨٧١) ، أنظر:

Treaty between Great Britain, Germany, Austria, France, Italy Russia and Turkey Signed at London and Modifying the treaty of paris 1856, 13 March 1871, in: Jole. H. wiener (ed.), Great Britain: foreign policy and The Span of Empire 1689-1971, ADocumentary History, Vol. III, (New York, 1972), PP. 2440-2442; Treaty between Great Britain, Austria, france, Germany (Prussia) llaly, Russia and Turkey, for the Revision of certain stipulations of the Treaties of 30 March 1856 Relative to the Blacksea and Danube, singed at London 13th March 1871, in: Hurst, Op. Cit., Doc. No. 97, PP. 767-471.

(١٠٨) الدسوقي، المصدر السابق، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(١٠٩) بوست: سياسي ورجل دولة نمساوي ولد في عام ١٨٠٩ في درسدن، تولى العديد من المناصب

السياسية، أصبح وزيراً للخارجية (١٨٤٩-١٨٦٦)، ثم وزيراً للتعليم (١٨٤٩-١٨٥٣)، كما تولى منصب وزير الداخلية (كانون الأول ١٨٦٦- تشرين الثاني ١٨٧١)، ثم أصبح سفيراً للنمسا – المجر في لندن (١٨٧١-١٨٧٨)، ثم في باريس (١٨٧٨-١٨٨٢)، توفي في ايلول ١٨٨٦. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britanniea, Vol. II, P.875.

(110) Al.Amir, Op. Cit., P.159.

(١١١) عباس، المصدر السابق، ص ١٨١.

(112) Al.Amir, Op. Cit., P.137.

(113) Ibid., P.139.

(114) Anderson, The Eastern Question ..., P.205.

(115) Stojanovic, Op. Cit., PP. 238-239.

(١١٦) العبيدي، محسن حمزة حسن، المصدر السابق، ص ٣١٨.

تكونت ولاية سلانيك من ثلاث وحدات إدارية تعرف ب(السنجق) وهي سنجق سلانيك والذي الحق به (١٣) قضاءً و(١١) ناحية و (١٠٧٦) قرية. وسنجق سيروز والذي تكون من (٧) أفضية وناحيتين و (٥٧٩) قرية. وسنجق درامه ويتكون من (٣) أفضية و (٣) نواحي و(٢٠٥) قرية. للتفاصيل أنظر: العبيدي، المشكلة المقدونية، ص ٥١-٥٢.

(117) Stojanovic, Op. Cit., P.239.

(118) Ibid., P.241.

(١١٩) الدسوقي، المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(120) Bridge, Op. Cit., P.87.

(121) Ibid., PP. 88-89.

(122) Stojanovic, Op. Cit., P.246.

(١٢٣) كالي: سياسي ودبلوماسي مجري ، ولد في ٢٢ كانون الأول ١٨٣٩ في بودابست، تولى العديد من المناصب ومنها وزيراً للمالية عام ١٨٨٢ وقبلها أصبح قنصلاً عاماً في بلغراد عام (١٨٦٩-١٨٧٥)، ثم شغل منصب السكرتير المفوض في البوسنة (١٨٨٢-١٩٠٣) ، ثم عين عام ١٨٧٩ رئيساً لأحد الاقسام في وزارة الخارجية، ثم اصبح وزيراً للخارجية عام ١٨٨١. كان له دور كبير في تطوير مشاريع السكك الحديدية وتحسين الخدمات الطبية والمدنية في الإمبراطورية الثنائية، كما تميز بتعاطفه من السلاف الجنوبيين ، توفي في ١٣ حزيران ١٩٠٣. للتفاصيل أنظر:

<https://deiphpages. Wikipedia. Benjamin kallay>.

(124) William Miller, M.A., The ottoman Empire and its Successors, 1801-1922, (Cambridge University Press, 1923), P.370.

(125) Stojanovic, Op. Cit., P.248.

(١٢٦) العبيدي، محسن حمزة حسن، المصدر السابق، ص ٣٣١.

(١٢٧) شوفالوف: سياسي روسي، ولد في سان بطرسبورغ في ٢٧ تموز عام ١٨٢٧، دخل الجيش الروسي عام ١٨٤٥ وشارك في حرب القرم وتولى قيادة أحد ألوية سلاح الفرسان الروسي ومنح رتبة رائد في الجيش. ثم دخل في مجالات العمل الدبلوماسي وكان أحد أعضاء الوفد الروسي المشارك في مؤتمر باريس لعام ١٨٥٦. اصبح في عام ١٨٥٧ مديراً لشرطة العاصمة سان بطرسبورغ، ثم أصبح مديراً عاماً للشرطة السياسية في وزارة الداخلية الروسية طوال المدة (١٨٦١-١٨٦٤)، ثم عين سفيراً لبلاده في لندن (١٨٧٤-١٨٧٩)، مثل روسيا في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨، توفي في ٢٢ اذار عام ١٨٨٩. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 20, P. 459.

(١٢٨) العبيدي، محسن حمزه حسن، المصدر السابق، ص ٣٣١.

(١٢٩) **سالزبيري**: سياسي ورجل دولة بريطاني، ولد في لندن في ٣ شباط عام ١٨٣٠، أصبح في عام ١٨٥٤ عضواً في مجلس العموم البريطاني عن حزب المحافظين، ثم أصبح وزيراً للهند (تموز ١٨٦٦-١٨٦٧)، ثم تولى منصب وزير الخارجية (١٨٧٨-١٨٨٠) ثم أصبح زعيماً لحزب المحافظين بعد وفاة دزرائيلي في نيسان عام ١٨٨١. تولى منصب رئيس الوزراء ثلاث مرات، الأولى (حزيران ١٨٨٥- شباط ١٨٨٦)، والثانية (تموز ١٨٨٦- آب ١٨٩٢)، والثالثة والأخيرة في (حزيران ١٨٩٥- تموز ١٩٠٣)، توفي في ٢٢ آب ١٩٠٣. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. III, P. 812.

(130) Stojanovic, Op. Cit., PP. 260-261.

(131) Al.Amir, P.147.

(132) Bridge, Op. Cit., PP. 89-90; W.N. Medicott, The Congress of Berlin and After, Adiplomatic History of The Near Eastern Settlement 1878-1880, (London, 1938), PP. 23-28.

للتفاصيل عن الإتفاقية بين روسيا وبريطانيا أنظر:

The Anglo-Rossian Agreement of 30 May 1878, in: Anderson, The Great Powers, PP.103-105.

(133) Kohn, Op. Cit., P.87.

(134) Stojanovic, Op. Cit., P.261.

(135) D.E.Lee., Great Britan and The Cyprus Convention Policy of 1878, (Harvard University Press, 1904), P.87.

(١٣٦) الدسوقي، المصدر السابق، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(137) Lee. Op. Cit., P.87.

(١٣٨) **آدورسُل**: سياسي ودبلوماسي بريطاني من أصول إيطالية ولد في ٢٠ شباط ١٨٢٩ والتحق بالسلك الدبلوماسي منذ عام ١٨٤٩، عمل ملحقاً في السفارة البريطانية في فيينا طوال المدة (١٨٥٠-١٨٥٩)، ثم ملحقاً ثقافياً في باريس لمدة شهرين، ثم عمل في السفارة البريطانية في أسطنبول، ثم أصبح أول سفير لبريطانيا في برلين طوال المدة (١٨٧١-١٨٨٤)، توفي في بوتسدام في ٢٥ آب ١٨٨٤. للتفاصيل أنظر:

<http://wikipedia.org.wiki> odo Russell, 1st Baron Amptill.

(١٣٩) **هايمر**: سياسي ودبلوماسي نمساوي. ولد في فيينا عام ١٨٢٨، شارك في ثورة عام ١٨٤٨،

التحق بعد ذلك بالسلك الدبلوماسي وعمل سفيراً لبلاده في أثينا، ثم في كوينهاكن عام ١٨٦٤. مثل النمسا - المجر في مؤتمر برلين، ثم أصبح وزيراً للخارجية للمدة (١٨٧٩-١٨٨١)، توفي في آب ١٨٨١. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 4, P. 967.

(١٤٠) **ودنغتون**: سياسي ورجل دولة فرنسي، ولد في عام ١٨٢٦، سافر إلى بريطانيا ، ودرس في جامعة كامبردج، تولى منصب وزير الخارجية للمدة (١٨٧٧-١٨٧٩)، ثم أصبح رئيساً للوزراء (٤ شباط - ٢٨ كانون الأول ١٨٧٩)، ثم أصبح سفيراً لبلاده في لندن للمدة (١٨٨٣-١٨٩٣)، توفي في حزيران ١٨٩٤. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 10, P. 507.

(١٤١) **سانت فالير**: دبلوماسي وسياسي فرنسي، ولد في عام ١٨٣٣، عمل سفيراً لبلاده في برلين (١٨٧٧-١٨٨١)، مثل فرنسا كمندوب ثانٍ في مؤتمر برلين، ثم أصبح بعد ذلك عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي للمدة (١٨٧٦-١٨٨٦)، توفي في ايلول ١٨٨٦. للتفاصيل أنظر:

<http://wikipedia.org.wiki..Charles Raymodn De Saint Vallire>.

(١٤٢) **كورتني**: سياسي ورجل دولة إيطالي، ولد في ٢٤ تشرين الأول ١٨٢٣، تولى العديد من المناصب ومنها ملحقاً في وزارة الخارجية (١٨٤٦-١٨٤٨)، ثم سكرتيراً في لندن عام ١٨٥٠، ثم وزيراً مفوضاً في واشنطن (١٨٦٦-١٨٧٥)، ثم شغل منصب وزير الخارجية (١٨٧٨-١٨٧٩)، ثم أصبح سفيراً لاطاليا في أسطنبول (١٨٧٥-١٨٧٧)، ثم سفيراً في لندن (١٨٧٩-١٨٨٧)، توفي في روما في ١٩ شباط ١٨٨٨. للتفاصيل أنظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. 3, P.169.

(١٤٣) **كاراثيرودوري باشا**: دبلوماسي عثماني من أصول يونانية، ولد في أسطنبول عام ١٨٣٣ وكان والده الطبيب الشخصي للسلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩)، درس القانون في باريس وتولى العديد من المناصب السياسية منها سفيراً في روما للمدة (١٨٧٤-١٨٧٨)، شارك في المفاوضات مع روسيا حول عقد معاهدة سان ستيفانو، ثم أصبح في نفس العام حاكماً على كريت، ثم أصبح وزيراً للخارجية في كانون الأول ١٨٧٨ حتى ايلول ١٨٧٩، ثم أعيد لتولي منصب حاكم كريت في عام ١٨٩٥، توفي في اسطنبول في حزيران عام ١٩٠٦. للتفاصيل أنظر:

<Http://:Wikipedia.Alexander karatheodori pasho>.

(144) Quotedin: Henry. F.Pmunro, The Berlin Congress, (Washington, 1914),PP.7-10.

(١٤٥) للتفاصيل عن ممثلي الامارات البلقانية في مؤتمر برلين أنظر: العبيدي، محسن حمزه حسن، المصدر السابق، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(146) Pmunro, Op. Cit., P.25.

(147) Ibid., P.28.

(148) Albertini, Op. Cit., PP.20-27.

(١٤٩) للتفاصيل عن معاهدة برلين (١٣ تموز ١٨٧٨). أنظر:

The Traety of Berlin, 13 July 1878, in: G. A. Kertesz (ed.), Documents in The Political History of the European Continent (1815-1939), (Oxford University Press, 1968), PP.207-209; Anderson, The Great Powers ..., PP.108-112.

(150) Quoted in: G. Drage, Austria-Hungary, (London, 1959), Appendix.III.

(١٥١) العبيدي، أزمة البوسنة، ص ٢١-٢٢.

(152) Stojanovic, Op. Cit., P.266.

(153) J.A.R. Marriott, The Remaking of Modern Europe from the outbreak of the French Revolution to the Treaty of Berlin, (London, 1941), PP. 178-180.

(154) Bridge, Op. Cit., P.44.

(155) Al-Amir, Op. Cit., P.188.

(156) Nicholas. D. Bagdasarian, The Austro-German Repprochement (1870-1879), from the Battle of Sadowr to the Duall Allince, (London, 1976), PP. 260-263.

(157) Drage, Op. Cit., Appendix III.

الزمت معاهدة أسطنبول (٢١ نيسان ١٨٧٩) النمسا – المجر وجوب الإبقاء على الوظائف الدينية بيد المسلمين العثمانيين كالقاضي والمفتي على ان يكون ارتباطهم مباشراً مع السلطان العثماني، فضلاً عن إبقاء رفع العلم العثماني على الدوائر الحكومية والمساجد، كما أشرتت وجوب بقاء إدارة سنجق نوفي بازار المدينة بيد الدولة العثمانية. أما من الناحية العسكرية فتكون مناطة بوجود قوات عسكرية من كلا الطرفين (العثماني، والنمساوي – المجري)، على أن تكون تلك القوات متساوية من حيث العدد والعدة. للتفاصيل أنظر:

Albertini, Op. Cit., P.27; Hans, Op. Cit., P.88.

(158) Arthur Bullard, The Diplomacy of the Great war, (New York, 1917), P.114.

(159) Marrin Benjamin fried, Austoro-Hungarian war Aims in the Balkan During world war I, (New York, 2014), P.86.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق المنشورة والكتب الوثائقية:

1- Anderson, M.S., (ed.), The Great powers and the Near East (1774-1923), Document of Modern History, (London, 1970).

2- Hicks, Ceoffry and others (ed.), Document on Consevative Foreign Policy (1852-1878), Vol.14, (New York, 2012).

3- Snyder, Lohis (ed.), Fifty Major Document of the Ninteenth Century, (New York, 1955).

- 4- Hurewitz, J. C. (ed.), The Middle East and North Africa in world politics, Adocumentary Record, Vol.I, European Expansion 1535-1914, 2nd. Ed., (London, 1975).
- 5- Hurst, Michael (ed.). Key Treaties of the Great powers 1815-1919, Vol. II, (Deron, 1972).
- 6- Dugdale, E. T. S. (ed.), German Diplomatic Documents (1871-1890), Vol. I. Bismarck Relations with England (1871-1890), (New York, 1969).
- 7- Anderson, Frank Moloy and Hershcy, Amons shartle, Handbook for the Diplomatic History of Europe-Asia, and Africa 1870-1914, (New York, 1969).
- 8- Wiener, Jole. H., (ed.), Great Britain: Foreign Policy and the Span of Empire (1689-1917), Adocumentary History, Vol. III. (New York, 1972).
- 9- Kertesz, G. A., (ed.), Documents in the Political History of the European Continent (1815-1939), (Oxford University Press, 1968).

الرسائل والاطاريج الجامعية غير المنشورة:

أ- العربية:

- ١- البديري، حمزة ملغوث، الدبلوماسية الأوروبية خلال حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية - ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٤.
- ٢- حزيم، حسن زغير، سياسة التحالفات الأوروبية وأثرها في العلاقات السياسية (١٨٧٩-١٩٠٨) دراسة في الدبلوماسية الأوروبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.
- ٣- عباس، محمد يحيى أحمد، العلاقات السياسية بين بريطانيا والمانيا ١٨٧١-١٨٨٠، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.
- ٤- الدليمي، حسين حماد عبد رجب، العلاقات السياسية البريطانية - الألمانية (١٨٨٠-١٩١٤)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الانبار، ٢٠١٢.
- ٥- العبيدي، أنس خلف إبراهيم، أزمة البوسنة (١٩٠٨-١٩٠٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨.
- ٦- ، المشكلة المقدونية (١٨٧٨-١٩٠٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.
- ٧- العبيدي، محسن حمزة حسن، الأزمة البلقانية (١٨٧٥-١٨٧٨) دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوروبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.
- ٨- محمد، ميسون ناصح جواد، القضية الألبانية (١٨٧٨-١٩٠٨)، دراسة من جانبها السياسي والثقافي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢١.

- ٩- الصامري، ساهرة حسين حمود، أوضاع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦٧-١٨٧٦) إصلاحاته والتطورات في البلقان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠.
- ١٠- عبد عايد، فهد عويد، التطورات السياسية في إمارتي الدانوب (ولاشيا ومولدافيا) والموقف الدولي منهما (١٨٤٨-١٨٨١)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٤.
- ١١- الفتلاوي، دموع علي راجي، الحرب الروسية – العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، ٢٠١٥.

ب- الأجنبية:

- 1- Al.Amir, Yakthan Sadoum British Recation to Germany's ottoman Policy (1870-1885), Astudy of ottoman Policies Pursned by British and German Gornment and Their Political and Commerical Conseqnences During the Period 1870-1885, Thesis of Doctor School of Social Sciences University of Brad ford, England, 1978, Vol.I.

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة:

- ١- تايلور، أ. ج. ب، الصراع على سيادة أوروبا (١٨٤٨-١٩١٨)، ترجمة: فاضل جكتر، ط١، المركز الثقافي العربي، (أبو ظبي، ٢٠٠٩).
- ٢- التكريتي، هاشم صالح، الصراع بين الدول الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الأزمة البلقانية أنموذجاً (١٨٧٥-١٨٧٨)، ط١، (بغداد، ٢٠٠٨).
- ٣- الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٦).
- ٤- فشر، ه. أ. ل، تأريخ أوروبا الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط١، (القاهرة، ١٩٧٢).
- ٥- نعمة، كاظم، العلاقات الدولية، ط١، (بغداد، ١٩٨٧).
- ٦- هيز، كارتون، التأريخ الأوروبي الحديث (١٧٨٩-١٩١٤)، ترجمة: فاضل حسين، ط١، (بغداد، ١٩٨٧).

رابعاً: الكتب الأجنبية:

- 1- Ashley, Percy, Europe from Waterloo to Sarajevo, A sketch of Political Development, (New York, 1925).
- 2- Anderson, M. S., The Eastern Question, (1774-1923), A study in International Relation, (London, 1965).
- 3- ———, The Ascendancy of Europe 1815-1914, Aspects of European History, (London, 1977).
- 4- Schevill, Ferdinand, History of Balkan Peninsula from the Earliest time to Present Day, (New York, 1966).
- 5- Marriott, J. A. R., The Eastern Question A Historical study in European Diplomacy, (Oxford University Press, 1969).
- 6- ———, England Since Waterloo, (London, N.D.).
- 7- ———, The Remaking of Modern Europe from the outbreak of the French Revolution to the Treaty of Berlin, (London 1941).
- 8- Mitton, G. E., Austria – Hungary, (London, 1915).
- 9- Jane, L. Cecil, From Metternich to Bismarck, A textbook of European History 1815-1878, (Oxford University Press, 1910).
- 10- Dill, Marshall, Germany A Modern History, (Michigan University Press, 1961).
- 11- Woodward, L., Prelude to Modern Europe 1815-1914, (London, 1972).
- 12- Taylor, A.J., The Habsburg Monarchy 1809-1918, (London, 1964).
- 13- Albertini, Luigi, The Origin of the war of 1914, Translated and Edited by Isabella. M. Massery, (Oxford, 1952).
- 14- Shaw, Edward Cran, The Fall of the Habsburg, (London, 1964).
- 15- Burbank, Jane and other (eds.), Russia Empire 1700-1930, Space, People, Power, (Indian University Press, 2007).
- 16- Busch, M., Bismarck, Some Secret pages of History, Vol. III, (London, 1898).
- 17- Stojanovic. Michallo. D., The Great Powers and the Balkan (1875-1878), (Cambridge University Press, 1968).
- 18- Bidleut, Robert and Jeffries, Idn, A history of Eastern Europe, Crisis and change, 2nd. Ed., (New York, 2007).
- 19- Bridge, F. R., From Sadowa to Sarajevo, the Foreign Policy of Austria – Hungary (1866-1914), (London, 1972).
- 20- Medlicott and Coveney, D.K., Bismarck and Europe, (London, 1971).
- 21- Alma, William, Abdul Hamid, the Shadows of God, Translated from Germany by Norman Denney, (London, 1940).
- 22- Clayton, G.D., Britain and the Eastern Question, Missolonghi to Galipoli, (London, 1974).

- 23- Shaw, Stanford and Show, Ezelkural, History of Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol. II. Refrom, Revolution, and Republic, The Rise of modern Turkey 1808-1975), (Cambridge University Press, 1977).
- 24- Watson, H. Stom Disraeli, Gladston and the Eastern Question, Astudy in Diplomacy of Party Politicalcs, (London, 1962).
- 25- — , Russia Empire 1801-1917, (Oxford University Press, 1967).
- 26- Harris, Divid, Adiplomatic History of the Balkan crisis (1875-1818), (London, 1963).
- 27- Genov, Tsonto, The Russo – Turkish war (1877-1878), and the Liberation of Bonlgaria, (Sofia, N.D.).
- 28- Evans, J., The Victorian Age 1815-1914, (London, 1975).
- 29- Geweller, weslex. M, the Rise of Nationalism in the Balkan 1800-1930, (New York, N.D.).
- 30- Halland, J., Rose, the Development of the European Nations 1870-1914, (London, 1919).
- 31- Lange, W.L., European Allinces and Alignment 1871-1890, (New York, 1979).
- 32- Duggan, Stephen pier Hayden, the Eastern Question, Astudy in Diplomacy, (New York, 1970).
- 33- Mosse, W.E., Alexsander II and Modernization of Russia, (London, 1958).
- 34- Jelavich, Barbara, Russia and the Rormation of Romanian, National state (1821-1878), (Cambrldge University press, 1984).
- 35- Schem, A. J., the war in the East anlilustrated History of the Conflict Between Russia and Turkey with areview of the Eastern Question, (New York, 1878).
- 36- Ponsonby, Arthur, wars and Treaties 1815-1914, (London, 1919).
- 37- Daskalov, Roumen, the Making of Nation in the Balkans, Historiography of the Bulgarian Revival, (New York, 2004).
- 38- Glison, Adrian, the czar and the Sulton, Nicholas II and Abdul Hamid, Harper and Brothers, (New York, 1953).
- 39- M.A., Mowat, AHistory of European Diplomacy 1815-1914, (London, 1927).
- 40- Carrie, Renc Albrecht, ADiplomatic History of Europe since the Congress of Vienna, (New York, 1969).
- 41- Kohn, Hans, the Habsbnrg Empire 1804-1918, (Princoton, 1961).
- 42- Miller, William, The Ottoman Empire and its Successors 1801-1922, (Cambridge University Press, 1923).

- 43- Medicott, W.N., the Congress of Berlin and After ADiplomatic History of the Near Eastern settlement (1878-1880), (London, 1938).
- 44- Lee, D. E., Great Britan and the Cyprus Convention Policy of 1878, (Harvard University Press, 1904).
- 45- Pmunro, Henry. F., the Berlin Congress, (Washington, 1914).
- 46- Drage, G., Austria-Hungray, (London, 1959).
- 47- Bagdasarian, Nicholas, D., the Austoro – German Repprochement (1870-1879), from the Battle of Sadowa to the Duall Allince, (London, 1976).
- 48- Bullard, the Diplomacy of the Great war, (New York, 1917).
- 49- Gried, Marrvin Bejamin, Austoro-Hungarian war Aims in the Balkan During world war I, (New York, 2014).
- 50- Erik Grimmer Solem, Learning Empire: Globalization and the German Quest for world status 1875-1919 (Cambridge University , Press, 2019)

خامساً: البحوث والدراسات:

- ١- البديري، حمزة ملغوث ، مؤتمر القسطنطينية (١١ كانون الأول ١٨٧٦-٢٢ كانون الثاني ١٨٧٧)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٥٨)، كلية الآداب، جامعة بغداد، آذار ، ٢٠١٧.
- ٢- العامر، يقظان سعدون، أهمية روسيا في سياسة بسمارك الخارجية (١٨٧١-١٨٨٧)، مجلة الأستاذ، العدد (٢٤)، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠١.

سادساً: الموسوعات:

- 1- Palmer, Alan, An Encydopedia of Napolon's Europe, (London, 1984).
- 2- The New Encyclopedia Britannica, 15the ed, (Chicago, Inc., 1988), Vols. 1, 2, 3, 4, 5, 7, 10, 11,20.
- 3- Encyclopedia Americana, (New York, 1976), Vol. 2.

سابعاً: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

- 1- Wikipedia-Nicholast, king of Montenegro.
- 2- <https://deiphpages>. Benjamin Kallay.
- 3- <http://wikipedia.org.wiki.odo> Russell.
- 4- — , Charles Raymond De. Sanit-vallire.
- 5- — , Alexander karatheodori pasha.

مادة *zakāru* (الذِكر) في اللغة الاكدية

دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربية

أ.م. د عبدالله علي محمد التميم

Assistant Professor Dr. Abdullah Ali Muhammed Altameem

استاذ اللغات العراقية القديمة المساعد / Assistant Professor of Ancient Iraqi

Languages

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الآثار / Tikrit University/ College of Arts

/Department of Archeology

الاختصاص العام /آثار قديمة/ Antiques/ General Jurisdiction

الاختصاص الدقيق/ دراسات مسمارية / Cuneiform / Exact Specialization

Studies

E-mail : abdllah_tameem@tu.edu.iq

mobile:07702320770

أ. م. د عبدالله علي محمد التميم

الكلمات المفتاحية : مادة، الذكر، الاكديّة، صوتية، دلالية

keywords: Material, Advertisement, Akkadian ,semantic ,Approach.

ثبت مختصرات المصادر

المصدر	مختصره
AHw	Von Soden, W., Akkadiseches Handwörterbuch, (Wiesbaden), 1959-1981
BWL	Lambert ,W.G., Babylonian Wisdom Literature Indiana , 1996.
CAD	The Assyrian Dictionary of the oriental institute of the University of Chicago,ff 1956.
CDA	A Concise Dictionary of Akkadian , (Wiesbaden),2000.
GAG	Von Soden,W., Grundriss der Akkadischen Grammatik, Rome, 1952
SAACT	State Archives of Assyria Cuneiform Texts , (Finland)
YOS	Yale Oriental Series ,Babylonian Texts,(New Haven)1915ff.

ثبت المختصرات والرموز العامة

المختصر والرمز	المعنى	ت
()	تحصر الكلمات والعبارات المضافة للتوضيح	.١
[]	تحصر المقاطع الناقصة جزئياً من النص المسماري	.٢
< >	تحصر الكلمات الاصلية قبل الادغام او الابدال او القلب	.٣
(())	تحصر معلومات المصادر والمراجع	.٤
[.....]	تشير إلى علامات مفقودة او غير واضحة ، او علامات لم نورد قراءتها لعدم حاجتنا اليها في الامثلة	.٥
<i>a, i, e, u</i>	تدل على حركة قصيرة وتقابلها في العربية الفتحة والكسرة و الكسرة الممالة و الضمة	.٦
<i>ā, ī, ē, ū</i>	الخط الافقي فوق حروف العلة يدل على الحركة الطويلة الاصلية يقابلها بالخط العربي الالف والياء و الياء الممالة والواو	.٧
<i>â, î, ê, û</i>	تدل على حركة طويلة غير اصلية نتيجة دمج حركتين مختلفتين وقد استعملت الاشارة نفسها فوق حروف العلة العربية للدلالة على المعنى نفسه	.٨
,	الهمزة (ء)	.٩
<i>h</i>	الخاء (خ)	.١٠
<i>š</i>	الشين (ش)	.١١
<i>ṣ</i>	الصاد (ص)	.١٢
<i>t</i>	الطاء (ط)	.١٣
<i>q</i>	القاف (ق)	.١٤
<i>ḏ</i>	الذال (ذ)	.١٥
DN	اسم إله (Divine Name)	.١٦

RN	اسم ملكي (Royal name)	.١٧
PN	اسم شخص (Personal name)	.١٨

ملخص البحث

تكمن اهمية البحث في التركيز على التقارب الصوتي، والدلالي في المعنيين الاكدي، والعربي من خلال اعطاء المعنى الاساس للمفردة المستعملة في النص الاكدي، وتجنب اللجوء الى تراجم، ودراسات اعتمدت على لغات بعيدة عن اللغة الاكديّة كالألمانية، والانكليزية، والفرنسية؛ كونها تُفقد النص الاكدي معناه الاساس الذي وُضِعَ لأجله، وارتكز المنهج البحثي المتبع على استقراء النصوص الاكديّة، واستنباط المعاني، وتوجيه الدلالات بالاعتماد على المقاربات الصوتية كلما وجدنا الى ذلك سبيلا، ومتى ما دفعت الحاجة الى ذلك من غير عبثٍ بفحوى النص، وتم الاعتماد في توجيه المعنى على ما يتطلب السياق من استيحاء للأفكار، وتقمص الايدلوجية الاكديّة في توجيه المعاني البلاغية الهادفة، مع توخي الدقة، والتجرد من الميول العاطفية، والقومية، والدينية، والتركيز بالدرجة الاساس على اعتماد النصوص، واستقراءها، واستنباط الاحكام منها، والاحتكام اليها.

Abstract

The importance of the paper lies in focusing on the phonetic and semantic approximation in the Acadian and Arabic Meanings by giving the basic meaning of the vocabulary used in the Acadian text and to avoid using translations and studies have adopted languages away from the Acadian, such as German, English, French, where they lose the Acadian text its basic meaning that has been set for. The method used in the paper was based on the induction of the Acadian text, the deduction of meanings and tabulating the meanings by relying on the relevant phonetic whenever we have done so without violating the original text. We relied in tabulating the meaning on the need of context of the ideas, transmigrating the Acadian ideology in tabulating the rhetorical midpoint meanings, following the accuracy, the revolution of the emotional, national and religious meanings focusing basically on the texts, inducting and deducting them and finding rules of them.

المقدمة

مما لا شك فيه أن دراسة التقارب اللفظي ، والدلالي لمصادر المفردات يشكل أهمية كبيرة في حقل الدراسات المقارنة ؛ لما يقدمه من تجذير لأصل المفردات، والمساهمة في إيصال المادة المعرفية الى المتلقي ، وتجاوز المعوقات التي تخلفها الترجمة من لغة الى اخرى - والتي من شأنها اضعاف التماسك النسيجي ، والتناغم الصوتي، وتفقد الالفاظ جوهرها الموسيقي المتجانس عند محاولة ترجمتها الى لغة اخرى، او محاولة صبها في قالب لهجة اخرى- إذ أنّ دراسة المقاربات الصوتية، واللفظية، والدلالية ستقربنا من التلاحح اللغوي، والانسجام الموسيقي لألفاظ تلك اللغات التي تنتمي الى عائلة واحدة، وهذا ما نحاول الوصول اليه، والولوج من خلاله لفهم اكثر وضوحا للنصوص الاكديّة عن طريق الاصول اللغوية للمفردات العربية لكون اللغتين الاكديّة، والعربية لهما ذات الاصل المشترك ؛ ولان اللغة الاكديّة هي اقدم اللغات السامية تدويننا لذلك يُعوّل على نصوصها في ترسيخ المفاهيم السياقية، والصيغ اللفظية، والتراكيب الصوتية، وتأصيل المفردات من خلال الاستعانة بالأساليب المناظرة لها في اللغة العربية ؛ ومن اجل ان نتمكن من فهم المقصود من النصوص الاكديّة بصورة اكثر وضوحا، بات لزاما علينا ان نبدأ بدراسات مقارنة لكثير من جذور المفردات الاكديّة ، وهذا ما دأبنا عليه، وشرعنا في تنفيذه ليكون خطوة في ذلك الطريق الطويل الذي يحتاج الى ابحاث، وكتب، ومجلدات لإحصاء المفردات المتطابقة بين الاكديّة، والعربية، وقد سار الاتجاه نحو اختيار موضوع (مادة *zakāru* الذُكْر في اللغة الاكديّة دراسة صوتية ودلالية مقارنة مع اللغة العربية) لما تحمله هذه المادة من مقاربات صوتية متداخلة ، وما تجمعها من صور صوتية ، فهي تحمل في بنائها اكثر من صورة صوتية لمعنى واحد، وهذا ناتج بطبيعة الحال عن قوانين التطور الصوتي، و الايضاح الدلالي، والاتفاق (السمت) التاريخي المتجذر في خصوصيات اللغات التي تنتمي لعائلة واحدة مُدْ كانت لهجات في لغة واحدة ، فضلا عن المعاني المتعددة التي تؤدّيها هذه المادة في سياق النص الاكدي على وفق ما توضحه الصيغ البنائية للألفاظ المشتقة من هذه المادة.

تكمن أهمية البحث في التركيز على التقارب الصوتي، والدلالي بين المعنيين الاكدي، والعربي على الرغم من اننا لسنا بصدد عقد المقارنات، والمقاربات إلا في الحدود التي نستطيع من خلالها اعطاء المعنى الاساس للمفردة المستعملة في النص الاكدي ، وتجنب اللجوء الى تراجم،

ودراسات اعتمدت على لغات بعيدة كل البعد عن اللغة الاكديّة كالألمانية، والانكليزية والفرنسية ؛ كونها تفقد النص الاكدي معناه الاساس الذي وُضِعَ لأجله بحسب رأينا.

اما المنهج البحثي المتبع هنا فهو قائم على استقراء النصوص الاكديّة ، واستنباط المعاني، وتوجيه الدلالات بالاعتماد على المقاربات الصوتية كلما وجدنا الى ذلك سبيلا ، ومتى ما دفعتنا الحاجة الى ذلك غير عابئين بفحوى النص، واعتمدنا في توجيه المعنى على ما يتطلبه السياق مستحضرين الفكر، ومتقمصين الشخصية الاكديّة في توجيه المعاني البلاغية الهادفة ، متوخين الدقة، ومتجردين من الميول العاطفية، والقومية، والدينية مركزين بالدرجة الاساس على الاعتماد على النصوص، واستقرائها، واستنباط الاحكام منها، والاحتكام اليها، واعتمدنا بالدرجة الاساس في ايراد الامثلة الاكديّة على القاموس الاكدي لجامعة شيكاغو ومختصره (CAD) ؛ فضلا عن اعتمادنا لبعض المصادر الاخرى المهمة التي اغنت مادة البحث كالمعاجم الاكديّة الاخرى مثل (AHw و CDA) بالإضافة الى بعض المعاجم العربية الخاصة باللغة الاكديّة كقاموس اللغة الاكديّة العربية، وبعض المعاجم الخاصة باللغة العربية مثل لسان العرب ، فضلا عن بعض المصادر التي تعنى بالدراسات الصوتية.

ومن الله السداد والتوفيق

المقاربة الصوتية والتقارب اللفظي

ان مادة *zakāru* في اللغة الاكديّة تدل على اصلين يتفرع عنهما كل معانيها الاول : الذكر الذي هو مقابل الانثى ((CAD,Z,p.23:a)) ، والثاني الذكر الذي هو خلاف النسيان ((CAD,Z,p.16-22 ، الجبوري ، علي ياسين ، قاموس اللغة الاكديّة العربية ، ص ٧٢١ .)) ، والاصل الثاني هو الاكثر ورودا وهو الذي عليه مدار حديثنا، وبحثنا.

وما وجدناه من خلال البحث والاستقراء ان مادة *zakāru* في الاكديّة تقابل مادة ذُكْر في العربية ؛ لذلك سوف نقوم بإدراج مقارنة صوتية توضح لنا كيفية تحول صوت (Z) الزاي الاكديّة الى صوت (d) الذال العربية، ومنه تحول اللفظة الاكديّة *zakāru* الى المفردة العربية ذكر.

لقد اتخذت اللغات السامية طريقة معينة تعاملت فيها مع صوت (d) الذال عن طريق اعادة مخرج الصوت الى الورا قليلا مع الحفاظ على صفتي الجهور، والاحتكاك ، فتحوّلت الذال بين الاسنانية المجهورة الاحتكاكية الى صوت الزاي اللثوي الاسناني المجهور الاحتكاكي ينظر: ((الزعيبي، ٢٠٠٥ ، ص ١١٨ .)) ، ونذكر طائفة من امثلة هذا التحول، والتطابق لبعض المفردات من الاكديّة، والعربية لبرهنة ذلك: وردت المفردة الاكديّة *zību* في مقابل كلمة ذئب العربية ((قاموس اللغة الاكديّة -العربية، ص ٧٢٧)) ، وكلمة *zumbu* الاكديّة في مقابل كلمة ذباب العربية ((قاموس اللغة الاكديّة-العربية ص ٧٣٢)) ، وتحوّلت كلمة *zebû* الاكديّة الى ذبح العربية ((قاموس اللغة الاكديّة-العربية ص ٧٢٥)) ، إذ تحول الذال الى زاي وضاعت الحاء الحلقية فيها ، وفي مقابل *zarû* الاكديّة وردت ذراً في العربية، وهو بمعنى زرع، ونثر الحبوب، ويبدو ان الذي حدث فيها هو ما حدث في العربية ذراً / زرع بابدال الذال زايا، والمبالغة في تحقيق الهمزة متولد عنها العين او تخفيف الهمزة فنتج عنها اللفظ *zarû*. ينظر: ((الزعيبي، ٢٠٠٥ ، ص ١١٩ .)) ، ويقابل الكلمة الاكديّة *ziqnu* ذقن العربية. ينظر: ((الجبوري، ٢٠١٠ ، ص ٧٢٩ .)) ، وفي مقابل الاكديّة *zakû* استعملت ذكا العربية. ينظر: ((الجبوري، ٢٠١٠ ، ص ٧٢١)) ، ووردت المفردة الاكديّة *zêru* بمعنى كره في مقابل مفردة ذار في العربية بمعنى صار كريها. ينظر: ((الزعيبي، ٢٠٠٥ ، ص ١٢٠ .)) ، وتأسيسا على ما سبق وجدنا ان التوجه في الاكديّة ركز على استعمال الزاي بدل الذال، وكان التغيير، او التوجيه فيها مطلقا على الارجح، اما العربية فقد حافظت عليه (اي الذال) ، ويبدو ان العربية في تاريخها الطويل قد سارت في الطريق الذي سارت فيه اخواتها السامية، واتجهت نحو ابدال الذال زايا، ولكنها لم تصل الى حد الاطلاق بل ظلت في

حدود ما يسمى بالتغيير الصوتي المقيد، ومن ذلك البذر (كل حب ينثر او يبذر) على الارض للنبات، ونقول بذرتة بالذال، وبزرتة بالزاي، ومنها حاذ يحوذ حوذاً، وحاز يحوز حوزاً بمعنى حاط يحوط حوطاً، ورجل احوذي، واحوزي اي نسيج وحده ، والزيور هو الكتاب، ومنه زيرت الكتاب: كتبتة ، وذبرته : قرأته ، ومنها ايضا ذرف على الخمسين اي زاد عليها ، اذ يقال ذرف وزرف، ونجد الزعاق والذعاق : المر بالزاي، والذال ، ويقال ماء زعاق وذعاق، وموت ذاعط، وزاعط بمعنى ذابح، وموت زعاف وذعاف اي الموت الشديد((الزعيبي ، ٢٠٠٥ ، ص١١٨-١٢٢)).

اما عن ورود مادة (*zakāru*) بصيغة (*saqāru*). ينظر: ((CAD,Z,p.16:a)) ، فالقول في ذلك انه ليس بين السين، والزاي إلا صفة الجهور، والهمس؛ ولولا صفة الهمس؛ لكانت السين زايًا، فكلاهما صوت لثوي احتكاكي، والسين صوت مهموس، والزاي مجهور، وإن عدّه بعض المعاصرين صوتاً اسنانياً، والراجح عند دراسة التطور الصوتي ان اللغة تسعى احيانا الى التقليل من الجهد العضلي المبذول بطرق، ووسائل متعددة، ومنها التخلص من الجهر، والاتجاه الى الهمس فاذا حدث ذلك، فينبغي التخلص من الزاي المجهور الى السين المهموس، وهناك امر ينبغي الاشارة اليه، وهو ان التغيير قد يكون عكسياً من السين المهموس الى الزاي المجهور، وغالبا ما يكون هذا الامر سياقياً تركيبياً في اول الامر، ولكنه يتخذ الاتفاق (السمت) التاريخي؛ لان اللغة تتبنى صورتين صوتيتين لكلمة واحدة ، احدهما بالسين، والاخرى بالزاي. ينظر: ((الزعيبي، ٢٠٠٥، ص ٨٩-٩١)). وهذا ما حصل في الاكديّة، والعربية على حدٍ سواء، فقد جاءت في الاكديّة (*zuqtu*) و (*suqtu*) بمعنى ذقن، و (*zibbatum*) و (*sibbatum*) بمعنى ذنب او ذيل ، و (*zikrum*) و (*siqrum*) بمعنى ذُكْر. ينظر: ((صابر، ٢٠٢١، ص ١٤٢، وكذلك ((CDA,p.447:b;AHw,p.1539:a))، و (*zakāru*) و (*sakāru*) بمعنى ذُكْر، ومنه في العربية السفّ، والزفت بمعنى واحد، والشأز، والشأس، والشرز، والشرس. ينظر: ((الزعيبي، ٢٠٠٥، ص٨٩-٩١))، ومنه ايضا قولهم زقر في سقر. ينظر: ((العبيدي ، ٢٠١٠ ، ص ٢٤٣)). إلا اننا لم نلاحظ ورود الصيغة (*sakāru*) في معاجم اللغة الاكديّة على الرغم من ذكرها في مصادر اخرى ينظر: ((الزعيبي، ٢٠٠٥، ص٩١)). وفيما يتعلق بورود اللفظ (*zakāru*) في بعض الاحيان بصوت القاف (q) بعد تحول الصوت الاول من الزاي الى السين بالصيغة (*saqāru*) فذلك كون الكاف صوت انفجاري، وهو من الاصوات الاقصى حنكية، وهو قريب المخرج من القاف، فمخرج القاف من اقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الاعلى، واما الكاف فمخرجه من اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، وما يليه من الحنك الاعلى، والفرق بينهما

ان القاف صوت مجهور، والكاف مهموس، وكلاهما صوت شديد(انفجاري)، ومعنى ذلك ان القاف هو النظير المجهور للكاف، وهما متقاربان جدا من الناحية التاريخية، فيما وصفت الدراسات الحديثة القاف على انه صوت مهموس وهو ما يزيد التقارب بينه، وبين الكاف، ولعل التقارب في المخرج بين الصوتين هو ما اوجد الكثير من الانماط اللغوية التي اجازت استخدام الصوتين احدهما مكان الاخر في بنية الكلمة مما ادى الى وجود صورتين للكلمة، فيقال عربي كح، وقح، ويقال قهرت الرجل، وكهرته، وقشطت عنه الجلد ، وكشطته. ينظر: ((الزعيبي، ٢٠٠٥، ص ٦١-٦٥، وكذلك العبيدي ، ٢٠١٠ ، ص ٢٦٠.))، ومن ذلك في الاكديّة (*kaṣāru* و *qaṣāru*) بمعنى ربط، و(*kaqqaru* و *qaqqaru*) بمعنى أرض ، و(*zukaqqīpu* و *zuqaqqīpu*) بمعنى عقرب. ينظر: ((صابر، ٢٠٢١، ص ١٦٧.))، و(*kaqqadu* و *qaqqadu*) بمعنى رأس. ينظر: ((صبري، ٢٠١٨، ص ٢٤٩.))، وفيما يتعلق بورود مادة (*zakāru*) بصوت الشين بدل الزاي ، والقاف بدل الكاف بالصيغة (*ṣaqāru*) ؛ فذلك من خصائص اللهجة الاشورية حيث ورد لنا المثال الاتي:

<p><i>ša Aššurana mu'irrūt kibrāt arba' i šumšu ana dāriš iṣ-qu-ru</i> (CAD,Z,p.18:b.)</p>	<p>الذي <u>سَمَّاه</u> اشور لحكم الجهات الاربعية(العالم) الى الابد</p>
---	--

وهذا اللفظ (*ṣaqāru*) الذي ورد بالصيغة (*iṣ-qu-ru*) يختلف بطبيعة الحال، وبحسب السياق النصي عن اللفظة (*zaqāru*) التي ترد في بعض الاحيان بالصيغة (*saqāru*) التي تعني ببني عالياً، والذي اخذ منها اسم الزقورة. ينظر: ((صابر، ٢٠٢١، ص ١٤١ ، وكذلك الجبوري، ٢٠١٠، ص ٧٢٣.، وكذلك: CDA,p.444:b,448:b.))، وما نميل اليه في تفسير ظاهرة ابدال الزاي، والشين، في هذه المادة هو ان نضعها في اطار الاصوات المتداخلة تاريخياً، ضمن تغيير ارتدادي من الزاي الى السين ومنها الى الشين، وتفسير ذلك هو وجود الكثير من الانماط اللغوية المتحدة في المعنى غالباً، والتي يكون احد مكوناتها الصوتية مرة بالسن، ومرة بالشين، وهذا قطعاً غير ناتج عن قانون الميل الى السهولة، والحركة الميكانيكية لتطور الاصوات من السين الى الشين؛ لان السين اكثر سهولة من الشين. بل هو ناتج عن وجود صوت ثالث قريب من السين، والشين معاً، ونتيجة عدم وجوده في بعض اللغات؛ لذلك نراها تورده في بعض الفاظها مرة بالسين، وتارة بالشين، ومن ذلك في الاكديّة (*rikistum* و *rikištum*) بمعنى معاهدة او مرسوم ، و (*naplaštum* و *naplaštum*) بمعنى نظرة، و (*piristum* و *pirištum*) بمعنى مؤامرة . ينظر

مادة *zakāru* (الذِّكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربيّة

: ((صابر، ٢٠٢١، ص ١٢٨.)) ومنه في العربيّة: تجسم الامر وتجشّمه اذا حمل نفسه عليه ،
والخاسف والخاشف: الغلام النشيط ، والعشق والعسق: اللزوم للشيء وعدم مفارقتة. ينظر:
((الزعيبي، ٢٠٠٥، ص ١٥٢-١٥٤.))، ونجد بعض الالفاظ يرد بصوت السين في لغة معينة،
وبصوت الشين في لغة اخرى من نفس العائلة اللغوية، ومن ذلك المفردة الاكديّة (*mušu*) بمعنى
امس او مساء بالعربيّة((الجبوري، ٢٠١٠، ص ٣٧٢.))، و(*šāmu*) الاكديّة بمعنى سام، يسوم
من الشراء بالعربيّة((الجبوري، ٢٠١٠، ص ٥٧٦.))، و(*bussuru*) الاكديّة، ويقابلها بِشَرَ
بالعربيّة. ينظر: ((الجبوري، ٢٠١٠، ص ٩٨.))، واستنادا الى ذلك فنحن نعتقد ان الصوت الذي
بين السين، والشين هو من اصوات الصفير قريبة الصفة من الزاي لذلك نجد اللفظة الواحدة ترد
في مجمل اللغات السامية متأرجحة بين الشين، والسين، والزاي .

الدراسة الدلالية

انطوت المادة (*zakāru*) موضوع البحث على العديد من المعاني التي أفرزتها التراكيب البنائية
للمفردة ضمن التركيب السياقي للنص، وسنتناول هذه المعاني وفق ما وردت في النصوص
المسمارية بصيغها البنائية المختلفة ، ونوضح قدر المستطاع المعاني التي حققتها المادة ، استنادا
الى ما ورد من نصوص اكديّة مختلفة .

١- **الاعلان والتصريح** : من المعاني التي جاءت لهذه المادة هي الاعلان، والتصريح، وذكر
الاشياء، ونجد ذلك المعنى في الامثلة الاتية :

<i>ša'āl mamman la ta-za-kà-ar</i> ((CAD,Z,p.16:b.))	ما احدٌ سائل (ف) لا تُصَرِّح
--	-------------------------------------

والمقصود انه اذا لم يسالك احد فلا تصرح بشيء.

<i>lemnēti e tatamme damiqta ti-is- qar</i> ((BWL,104:128.; CAD,Z,p.21:a.))	تكلم بالخير ، لا تتحدث بالسوء
---	--------------------------------------

...

<i>zēr šangūtišu ana manzaz Eḫursagkurkurra ana dāriš tas-</i>	اعلنت (الالهة ان) ذرية كهنته(اي المعبد)
--	--

مادة *zakāru* (الذِّكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربية

<i>qu-ra</i> ((CAD,Z,p.16:b.))	في مركز الايخورساك كوركور را الى الابد (سبيقون)
-----------------------------------	--

والمراد ان الالهة صرحت، واعلنت ان نسل كهنة المعبد سيستمرون في توارث مهنة السدانة والخدمة التي بدأها اسلافهم ، وهذا يعد تصريحاً من الالهة ، واعترافاً منها بأحقيتهم لشغل تلك المناصب.

awatam iqabbi šamriš i-za-qá-ar ((CAD,Z,p.16:b.))	يقول كلاماً (و) يُصَرِّح بعنف
---	--------------------------------------

....

[mimmū] a-zak-ka-ru-ka šunnâ ana šâšunu ((CAD,Z,p.16:b.))	كرر لهم كل شيء اذكره لك
--	--------------------------------

٢- تسمية الاشخاص وتعيينهم كملوك وولاية : من خلال الاطلاع على النصوص وجدنا ان مادة (*zakāru*) وردت بمعنى تعيين الاشخاص وتسميتهم في المناصب الادارية، ويتضح ذلك من خلال الامثلة الاتية :

<i>mār šarri ša ana šarrūti zak-ru</i> <i>ina kakki</i> ١ <i>imaqqut</i> ((CAD,Z,p.16:b.))	ابن الملك المسمى للملوكية سقط في المعركة
--	--

والمراد ان ابن الملك الذي سُمِّي او تم تسميته ليكون ملكاً قد سقط في المعركة .

<i>ša Marduk ilum bānūšu ina šum</i> <i>damiqti šumšu iz-ku-[ru-ma]</i> ((CAD,Z,p.18:b.))	الذي مردوخ الاله خالقه بالرحمة ذُكِر اسمه (عينه او سماه)
---	--

والمعنى المقصود من النص هو ذكر لصفات الملك بانه الملك الذي خلقه الاله مردوخ، وايداه بعنايته الالهية وجعله ملكاً على البرية.

<i>īnum Marduk.... šumam dāria iz-</i> <i>ku-ra ana šarrūti</i>	عندما مردوخ ذُكِر اسمي ابدياً للملوكية
--	---

مادة *zakāru* (الذِّكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربية

((CAD,Z,p.18:b.))

اي عندما مردوخ سماني او عيني ملكا بصورة ابدية.

*ša Marduk...ana zanān māhāzī u
uddušu ešrēti šumšu kīniš iz-ku-
ru ana šarrūti*
((CAD,Z,p.18:b.))

الذي مردوخ ذُكِر (ه) للحفاظ على الملوكية ، لتحقيق الرفاهية للمدن وتجديد المقدسات

اي هو الملك الذي عينه مردوخ بصورة ثابتة ليحقق الرفاهية للمدن، ويجدد المقدسات.

*ippalsannima ina māti šum
damqa ana šarrūti iz-ku-úr*
((CAD,Z,p.18:b.))

(عندما مردوخ) اختارني وعلى البلاد
فضلني(ي) وللملوكية ذُكِر(ي)

والقصود اختارني، وفضلني على كل الناس في البلاد، وسماني او عيني ملكا عليهم .

*ana šarrūti māt Aššur šumu ša
[šarri] bēlija iz-za-kar*
((CAD,Z,p.18:b.))

لملوكية بلاد اشور ذُكِر اسم الملك سيدي

...

*ša Aššur u Sin ... ultu ūmī rūqūti
nbīt šumišu iz-ku-ru ana šarrūti*
((CAD,Z,p.20:b.))

الذي منذ زمن بعيد اشور وسين ذُكِرُوا اسمه
بذاته (اختاروه) للملوكية

...

*ša ilu ana šarrūti iz-ku-ru
zikiršun*
((CAD,Z,p.20:b.))

الذي ذُكِرَ الاله ذُكِرَهُ (اسمه) للملوكية

والمقصود الذي رشحه الاله ليكون ملكاً.

٣- القسم او الحلف او تأدية اليمين : من خلال الاطلاع على بعض النصوص تبين لنا ان مادة (*zakāru*) خرجت لمعنى القسم، او الحلف بالمقدسات، ويتضح ذلك من خلال الامثلة الاتية :

<i>bēl awâtija PN ina 3 awâtim ša<in> na-ru-a-im laptani <u>li-iz-ku-ra-am</u> ((CAD,Z,p.16:b.))</i>	ليقسم خصمي س بالكلمات الثلاثة المنقوشة على اللوحة
--	--

...

<i>ina bīt DN kī'am <u>iz-ku-ur</u> ((CAD,Z,p.16:b,17:a;YOS, 8,63:16.))</i>	في بيت الاله هكذا أقسم
---	------------------------

...

<i>ina huḥar^d Šamaš <u>a-za-ak-ka-ra-kum</u> ((CAD,Z,p.16:b.))</i>	استحلفكم بشراك الاله شمش
---	--------------------------

...

<i>nīš DN DN2 ilānišu u RN šarri... <u>iz-zak-ru</u> ((CAD,Z,p.20:a.))</i>	اقسموا بحياة "س"، "ص" الالهة، و "ع" الملك
--	--

...

<i>ipaṭṭaru qaqqassunu <u>i-zak-ka-ru</u> māmīt ((CAD,Z,p.20:a.))</i>	يرفعوا رؤوسهم ويقسموا
---	-----------------------

...

<i>nīš ilāni u šarri <u>ú-šá-az-ki-ru-šú- nu-tu</u> ((CAD,Z,p.21:b.))</i>	حلفوهم بحياة الالهة والملك
---	----------------------------

اي جعلوهم يقسموا بحياة الالهة، والملك ، وفي هذا المجال تم رصد صيغة غريبة بعض الشيء في ورود مادة (*zakāru*) ، نذكرها في المثال الاتي:

<i>šunu nīš ilāni <u>ú-ša-aš-gi-ru</u> ((CAD,Z,p.21:b.))</i>	هم اقساموا بحياة الالهة
--	-------------------------

مادة *zakāru* (الذُكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربية

ويبدو ان صوت ال(z) الزاي في المادة(*zakāru*) تحول الى (ḏ) الشين بتأثير صوت ال(ḏ) السببية ، اما صوت (k)الكاف فقد تحول الى (g) الكاف الثقيلة او ما تسمى بالجيم القاهرية؛ كونهما صوتين متقاربين في المخرج، والصفة.

٤- اعطاء الاوامر: ظهر معنى (*zakāru*) في النصوص المسمارية بمعنى ذكر الكلام بصيغة الامر، وتوجيه الكلام الى المقصودين به، ويظهر ذلك من خلال الاتي :

<i>herē nārišu zaqāp šippātešu ul iz-</i> <i>kur</i> ((CAD,Z,p.16:b,17:a))	لم يأمر بحفر انهاره وزراعة بساتينه
--	------------------------------------

...

<i>ana mitlukti ašpuršunūtima kī'am az-</i> <i>kur-šu-nu-ti</i> ((CAD,Z,p.16:b,17:a))	ارسلت اليهم للمشاورة وهكذا امرتهم
---	-----------------------------------

٥- ذكر الاشياء والايخبار عنها وتذكرها : وهذا المعنى يتضمن بعض الشمولية لاحتوائه على معاني متعددة، ومتفرعة كذكر بعض الامور المادية الملموسة، او المعنوية المحسوسة، والايخبار عن اماكن تواجد الاشياء، والافصاح عنها، وكذلك التذكر الذي يراد به استحضار الشيء بعد النسيان ، ونلتمس ذلك في النصوص الاتية :

<i>i-za-ak-ka-ar-ši innišī inabbi</i> <i>šumša</i> ((CAD,Z,p.17:a.))	تذكرها البشرية ويظهر اسمها
--	----------------------------

...

<i>ašsumi kaspim ša šīm bītī ša</i> <i>ammakam ša taz-ku-ra-<ni></i> <i>tērtakama ula ittalkam</i> ((CAD,Z,p.17:a.))	لم تصلني معلومات بخصوص الفضة كسر لذلك البيت الذي ذكرت(ه) لي هناك
---	---

...

LÚ.ME-šú-nu ša ina la annišunu <u>zak-ru</u> KAR.MEŠ ((CAD,Z,p.17:a.))	سيحجز رجالهم <u>المتهمين</u> (المذكورين بدون ذنب)
--	---

والمقصود انه سيتم احتجاز الرجال الذين ورد ذكرهم في القضية بدون ذنب سوى انهم متهمين.

ekallum <u>i-za-ak-ka-ar-šu</u> ((CAD,Z,p.17:a.))	سيذكره القصر
--	--------------

...

sippī šigārī mēdelū dalātu ša Ebabbar damqātū`a la naparkā <u>li-iz-ku-ru</u> maḥarka ((CAD,Z,p.17:a.))	<u>لتذكر</u> (ني) عندك بالحسنى، الابواب، والاقفال، والقضبان، وبوابات الايبار (المعبد) بلا توقف
--	--

...

šumki galatu ina šamê <u>i-za-kar-</u> <u>ma</u> eršeti iḥâl ((CAD,Z,p.17:a.))	(عندما) <u>يذكر</u> اسمك المفزع في السماء ترتعث الارض
--	--

...

kātu amatka ina eršeti <u>i-za-kar-</u> <u>ma</u> Anunnaki qaqqaru unaššaqu ((CAD,Z,p.17:a.))	(عندما) <u>تذكر</u> كلمتك انت على الارض ، الانوناكي يُقبل التراب
---	---

...

ammakam PN ša`alma šumi šībī <u>li-iz-ku-ra</u> ((CAD,Z,p.19:b.))	هناك اسأل س <u>ليذكر</u> اسماء الشهود
---	---------------------------------------

...

ana <u>za-qar</u> šumeja danni malkī...išubbu ((CAD,Z,p.19:b.))	يهتز الحكام <u>لذكر</u> قوة اسمي (جبروتي)
---	---

...

<i>mannum šībūka... maḥar anniūtīm <u>zu-uk-ra-šu-nu</u> ((CAD,Z,p.17:b.))</i>	من هم شهودك؟ <u>أذكرهم</u>
--	----------------------------

...

<i>atta eṭemmu la mammanama ša qēbira u <u>sa-qí-ra</u> la tēšû ((CAD,Z,p.18:b.))</i>	انت شبح بدون عائلة لا يوجد من يدفئك ويذكر (ك)
---	--

...

<i><u>i-za-kir</u> KA.MEŠ abbija ((CAD,Z,p.22:a.))</i>	<u>أذكر</u> كلمات ابي
--	-----------------------

...

<i>liḥšušmi <u>ia-az-ku-ur-mi</u> šarri bēlija ((CAD,Z,p.22:b.))</i>	همس اسمي <u>ليتذكرني</u> الملك سيدي
--	-------------------------------------

...

<i>apla <u>za-kir</u> šumi irašši ((CAD,Z,p.18:b.))</i>	سيكون له ولدا <u>لذكر</u> اسم(ه)
---	----------------------------------

٦- **الدعوة** : ويراد بها استمالة الشيء اليك بالقول، والانتظار من الغير الاجابة. ينظر: ((مجموعة من المؤلفين، دون تاريخ، ص ١٩٤٥.))، وقد تم رصد هذا المعنى من خلال النصوص المسمارية بتكوين مادة (*zakāru*) مع المفردة الاكديّة (*šumu*) في الغالب؛ لتعطي معنى دعوة ، دعا ، يدعو، ولتوضيح ذلك نورد النصوص الاتية :

<i>ilū ša šumšunu <u>az-ku-ru</u> limḥuru lišmi`u</i>	(عسى) الالهة التي <u>دعوت</u> ليلبوا وليسمعوا
---	---

مادة *zakāru* (الذُكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربية

((CAD,Z,p.18:a.))

...

*ina paššūr mākalē ilī rabūti
šumka az-kur*
((CAD,Z,p.18:a.))

دعوتك الى الوليمة المعدة للآلهة العظيمة

وفي بعض الاحيان ترد مادة (*zakāru*) مركبة مع المفردة (*nibītu*) لتعطي معنى الدعوة المخصصة اي تحديد شخصيات بعينها ، كما في المثال الاتي :

*ina qibīt ilī rabūti ša az-ku-ra
nibīssun*
((CAD,Z,p.20:b.))

بامر الالهة العظماء الذين دعوتهم (هم)
بذاتهم (بانفسهم)

وفي مواضع اخرى وردت مادة (*zakāru*) منفردة للإشارة الى معنى الدعوة كما في الاتي :

kī ša...ina mākalē ištari la zak-ru
((BWL,38:13;CAD,Z,p.18:a.))

كالذي لم يستدع عشتار الى المائدة

...

ilšu la iz-kur ēkul akalšu
((CAD,Z,p.18:a.))

اكل طعامه ولم يدعو الهه

٧- الدعاء والتضرع : التمسنا هذا المعنى في المواضع الاتية من النصوص المسماية :

*ašar kajān šumē i-zak-ka-ru (i-
zaq-qa-ru)*
((CAD,Z,p.18:a.))

اينما كان احد يتضرع (الي)

والمقصود ما من احد إلا ويتضرع الي ويدعوني.

ša ušamsaku DN ša ina ikribīšu

الذي يزدري (الوثيقة) يذكر لاله ننورتا عند

مادة *zakāru* (الذِّكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربيّة

<i>zak-ru litūr līninšu</i> ((CAD,Z,p.18:a.))	الصلاة له لينتقم وليعاقبه
--	---------------------------

والمراد بان من يسب، او يشتم، او يزدري الوثيقة يتم الدعاء عليه في الصلاة، ويتم الطلب من الالهة ننورتا لمعاقبته مرارا، وتكرارا.

ويدخل ضمن مفهوم الدعاء والتضرع ، الدعاء بالسوء على بعضهم البعض اثناء المشاجرات والمخاصمات ، ويمكن تلمس ذلك من خلال الاتي:

<i>[ša] ina šaltišina šu[m i]li ana masikte <u>ta-zak-ru-u-ni</u></i> ((CAD,Z,p.18:a.))	اللاتي في مخاصماتهن يذكرن اسم الاله اثناء المشاجرة
--	--

والمقصود يدعين على بعضهم البعض ويطلبن من الاله الغضب والعقاب لبعضهن البعض.

<i>[šu-u]m šarri ina šalte la <u>i-za-kar</u> šu-u]m ili lu la <u>i-za-kar</u></i> ((CAD,Z,p.18:a.))	لا يذكر اسم الملك في المخاصمات، ولا يمكن ان يذكر اسم الاله
---	--

والمقصود لا يجوز الدعاء على بعضهم البعض بجاه الملك او الالهة

٨- اطلاق الاسماء او التنويه لذكرها: اتضح لنا هذا المعنى من خلال الاتي:

<i>āla šuātu ana eššūti ašbat URU Dūr-Nabū šumšu <u>az-kur</u></i> ((CAD,Z,p.19:a.))	انشأت تلك المدينة وذكّرت اسمها (اسميتها) دور نابو
---	---

...

<i>šapliš ammatu šuma la <u>zak-rat</u> /ru)</i> ((CAD,Z,p.19:a.))	في الاسفل الارض غير مذكورة/ لم تذكر (لم تسم)
---	--

...

<i>gammalē ša šunnâ <u>za-kar-ru-u-ni</u></i> ((CAD,Z,p.19:a.))	الجمال المذكورات (المسماة) ذو السنامين
--	--

...

<i>šumī iz-ku-ra-ku-ma</i> ((CAD,Z,p.19:a.))	ذَكَر لك اسمي (سماني)
---	-----------------------

...

<i>parakku...ša ana nibīt šnmija</i> <i>zak-ru</i> ((CAD,Z,p.19:a,b.))	الحرم الذي سُمِّي باسمي
--	-------------------------

٩- الاخبار بالأشياء، وذكر وقوع الاحداث: ورد هذا المعنى في النصوص المسماة على وفق الاتي :

<i>PN abat šarri ina panija i-za-kar</i> <i>mā abūa ina māt nakri mēti</i> ((CAD,Z,p.20:b.))	س ذكر امامي المرسوم الملكي بموت ابي في بلاد العدو
--	---

والمقصود اخبرني بفحوى المرسوم الملكي المتضمن موت ابي في البلاد المعادية.

<i>a-mat šarri ina muḥḥišunu iz-za-kar</i> <i>mā iqṭibiu mā</i> ((CAD,Z,p.20:b.))	المرسوم الملكي انذرك امامهم وأعلن
---	-----------------------------------

...

<i>bītu ana Marduk bēlija damiḳti</i> <i>ti-iz-ka-ar-am</i> ((CAD,Z,p.21:a.))	يا زعيم انذرنى بالخير عند سيدي مردوخ
---	--------------------------------------

وتجدر الاشارة الى ان الصيغة (*is-sà-qá-ar-šū*) وردت في الستاندر البابلي بصوت ال(z) وليس بال(s) في جميع الابنية التي جاءت عليها ، لكننا فضلنا ذكر الصيغة في المثال السابق كونها اشارة لإمكانية ورودها بال(s) بدل (z) ، وهو ما يعطيها نوع من الندرة في الاستعمال على المستوى النصي . (للمزيد حول ورود مادة (*zakāru*) بال(z) في ملحمة ايتانا ينظر: ((Novotny,2001,p.49.))

مادة *zakāru* (الذِّكْر) في اللغة الاكديّة دراسة صوتية و دلالية مقارنة مع اللغة العربية

١٠- المدح والثناء : وجدنا ان هذا المعنى اقرب ما يكون لمعنى لهج في العربية، واللهج هو الولوج بالشيء والمثابرة عليه واعتياده. ينظر: ((ابن منظور، ١٤١٤ هـ، ج٢، ص٣٥٩))، ومنه لهج بذكر ربه، وقد لمسنا ذلك في النصوص المسمارية من خلال الامثلة الآتية:

<i>šumēšunu ta-za-na-kàr</i> ((CAD,Z,p.21:a.))	بأسمائهم يلهج
---	----------------------

ولابد من التوضيح بان الصيغة *ta-za-na-kàr* هي في الاصل (tazatanakar) كونها من الصيغة الثانوية الثانية لصيغة الفعل الاساسية المعروفة لدى المتخصصين ب(Gtn)

<i>tanit<ti> qurādi Adad lu-sa-qar</i> ((CAD,Z,p.21:a.))	لألهج تمجيداً بادد البطل
---	---------------------------------

...

<i>etqannima lu-us-sà-qá-ar<.></i> <i>nīška lutmā</i> ((CAD,Z,p.21:a.))	اعتقني لألهج باسمك
---	---------------------------

...

<i>niširtam ikaššad u šumšu iz-za-ak-ka-ar</i> ((CAD,Z,p.22:a.))	سيد كنزاً و ينذكر اسمه (يُثنى عليه)
---	--

والمعنى انه سيتم مدحه والثناء عليه لأنه عثر على الكنز.

<i>epšēt qurdija lultamme tanatti li'ūtija li-taš-qa-ar</i> ((CAD,Z,p.21:b.))	ليجمع اخبار محاربيني و ليذكر بالخير انجازاتي
--	--

والمقصود يثنى على انجازاتي.

<i>šumī damqam ūmišam kīma ili za-ka-ra-am.....in pī nišī lu aškum</i> ((CAD,Z,p.19:a.))	ليستمر نكر اسمي يوميا بالخير في افواه الناس
---	---

....

<i>šū-mi i-na da-mi-iq-tim a-na da-ar li-iz-za-ki-ir</i> (سليمان، ٢٠٠٢، ص٢٠٤.)	ليذكر اسمي بالخير الى الابد (ليمجد اسمي الى الابد)
---	--

...

<i>[šum] bēlini bania i ni-iz-ku-ur-ma</i> (CAD,Z,p.19:a.)	لنذكر بالمودة اسم سيدنا (لنتهي على سيدنا)
---	---

١١- **الذم والهجاء** : ورد هذا المعنى في النصوص المسمارية من تلاحح المفردات الدالة على السوء مع مادة (*zakāru*) في السياق النصي ، وتم رصد الامثلة الاتية :

<i>šumka kabtu qalliš [a]z-za-kar</i> (CAD,Z,p.18:a.)	اذكر اسمك المبجل باستخفاف
--	---------------------------

والمقصود ازدري اسمك.

<i>Ninmaḥ ina maḥar Bēl Bēltija limuttašu lit-tas-qar</i> (CAD,Z,p.21:b.)	ننماخ امام رب الارباب ليذكره بسوء
--	-----------------------------------

والمراد يهجيّه او يذمه.

<i>erreta marulta ...li-it-ta-áš-qar</i> (CAD,Z,p.21:b.)	ليذكر (لينطق) العنة الشريرة
---	-----------------------------

١٢- **التحاور والتحدث**: تم تحديد هذا المعنى من خلال الامثلة الاتية:

<i>Gilgāmeš ana muttabbilāti...amata i-zak-[ka-ra]</i> (CAD,Z,p.20:b.)	كلكاش يتحدث مع الخادما
---	------------------------

...

الحارس يتحدّث الى سيده	<i>atû ana bēlišu amatam i-zak-kar</i> (CAD,Z,p.20:b.)
------------------------	---

...

النسر فتح فمه الى الافعى يحدثه(يحاوره)	<i>Á.MUŠEN KA-šu i-pu-šá-am-ma</i> <i>a-na MUŠ i-zak-kar-šú</i> (Novotny,2001,p.18,L.114.)
--	--

...

ايتانا فتح فمه الى النسر يحاوره	<i>Etana pāšu īpušamma ana</i> <i>erīmma is-sà-qá-ar-šu</i> (CAD,Z,p.21:a.)
---------------------------------	---

ولا يفوتنا ان نذكر في هذا المقام ان مادة (*zakāru*) تدخل ضمن التركيب البنائي للأسماء الشخصية ويمكن تتبع ذلك من خلال الاتي: (*Sin-šum-is-qur*) . ينظر ((CAD,Z,p.19:a.))، وربما كان معناه: (الاله سين يسمي، او الاله سين يذكر، أو الاله سين يهب الاسم)، وكذلك (*Marduk-za-kir-šumi*^d) . ينظر: ((CAD,Z,p.19:a.)) ، وربما كان يعني (الاله مردوخ يسمي، او يهب الاسم، او الاله مردوخ ذاكرا اسمي).

الخلاصة والاستنتاجات

بعد دراسة المادة وتدقيق ما ورد من امثلة في النصوص المسمارية، وتبويبها، وترجيح المقبول من التراجم، ومطابقة الاساليب اللغوية المشتركة بين الاكديّة، والعربية ، اتضح لنا الاتي:

١- ان مادة (*zakāru*) مادة غنية من حيث الصيغة البنائية، والمعاني البلاغية، اذ تمكنا من ترجيح اثنا عشر معنى لهذه المادة قابلة للزيادة طالما ان هناك نصوص قيد الدراسة.

٢- وجدنا ان مادة (*zakāru*) مطواعة في تأدية المعنى، ويمكن ان تؤدي معاني متجددة كلما تم تركيبها مع او اضافتها الى مفردة اخرى مثل (*šumu*)، (*nīš*)، (*amatu*) (*māmītu*)، (*nibītu*) ، وغيرها من المفردات، وكما مرينا في الامثلة التي اوردناها في ثنايا البحث.

٣- قابلية اللغة الاكديّة على انتاج المعاني السياقية، وابتكار الاساليب البلاغية تبعاً للسياق المعتمد في النص، وبما يتلاءم مع ماهية النص، وفحواه .

٤- المرونة العالية في امكانية ترجمة النص من الاكديّة الى العربية دون ان يكون هناك خلل او تباعد في الالفاظ، والاصوات ، وعدم الحاجة للجوء الى زيادة عدد المفردات للوصول الى المعنى المطلوب، بل وجدنا ان هناك تطابق حتى في عدد المفردات المكونة للنص الاكدي مع المفردات العربية المستعملة في الترجمة

٥- تعددت المعاني اللفظية لمادة (*zakāru*) بحسب حاجة النص ووجدناها تراوحت بين الذكر، والاخبار، والتصريح، والاعلان، والقسم، والامر، والمدح، والذم، والترقية، والمخاطبة، والتسمية، وغير ذلك من المعاني التي ذكرت في طيات البحث.

٦- ان دخول مادة (*zakāru*) ضمن تركيب الاسماء الشخصية يجعلنا متأكدين من اهميتها على المستويين اللفظي، والبلاغي، اذ ان هذه الصفة غير متاحة في جميع المفردات الاكديّة.

قائمة المصادر

١. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين، (١٤١٤هـ)، لسان العرب المحيط. (ج٢، ط٣)، دار صادر: بيروت
٢. الجبوري ، علي ياسين. (٢٠١٠)، قاموس اللغة الاكديّة - العربية ،(ط.١)، دار الكتب الوطنية، ابوظبي : الامارات العربية المتحدة.
٣. الزعبي ، امنة .(٢٠٠٥)، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية ،(ط١)، دار الكتاب الثقافي، اربد: الاردن.
٤. سليمان ، عامر ،(٢٠٠٢)، نماذج من الكتابات المسمارية ،(ج١)، المجمع العلمي العراقي: بغداد.
٥. صابر ، عباس ابراهيم، الابدال والاعلال في اللغة الاكديّة دراسة مقارنة مع اللغة العربية ،(٢٠٢١)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، قسم الآثار ، كلية الآداب، جامعة بغداد.

٦. صبري، رونق جندي، (٢٠١٨)، "ظاهرة الابدال في اللغتين الاكديّة والعربية - دراسة مقارنة"، مجلة اثار الرافدين، (المجلد ٣، العدد ١)، جامعة الموصل: العراق.
٧. العبيدي، عبدالجبار عبدالله، (٢٠١٠)، "الابدال في اللهجات واثّر الصوت فيه"، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد ٣، جامعة الانبار: العراق.
٨. مجموعة مؤلفين، (د.ت)، نظرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم، (ج٥، ط٤) دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة: المملكة العربية السعودية.

List of Sources

1. A group of authors, Nadrat AL-Naeem fi Makarim Ethics of the Noble Messenger, Vol.5, 4th ed., Dar AL-Wasila for publishing and Distribution, Jeddah: Saudi Arabia.
2. Al-Jubouri, A. Y.(2010), Dictionary of the Akkadian-Arabic Language. 1st ed, National Book House, Abu Dhabi : United Arab Emirates .
3. AL-Obeidi, Abdul Jabbar Abdullah(2010), "Substitution and the impact of dialects on it", Anbar University Journal of Languages and Literature, No.3, University of Anbar: Iraq.
4. Al-Zugbi, A.(2015), The Historical Change of Sounds in Arabic and Semitic Languages. 1st ed. Dar Al-Kitab AL-Thaqafi, Irbid : Jordan .
5. Blak, J., George, A., Postgate, J.N., (2000), A Concise Dictionary of Akkadian , 2nd ed. , (CDA) : Wiesbaden .
6. Faust, D.E., (1941), Contracts From Larsa, dated in the Reign of RIM-SIN, (YOS 8): Newhaven.
7. Ibn Mandhor, Abu AL- Fadhl Jamal AL-Din, (1414A.H), Arabs in the ocean, Vol.2, 3rd ed. , Dar Sader: Beirut.
8. Lambert, W.G., (1960), Babylonian Wisdom Literature, (BWL): oxford.
9. Novotny, J.R., (2001), Etana Epic, (SAACT), Vol. 2: Finland .
10. Oppenheim, A.L., and Others, (1956ff), The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, (CAD): Chicago .
11. Saber, A. I. , (2021) Letters Substitution and Vowel Letters Change in the Akkadian Language : A Comparative Study with the Arabic Language. Unpublished PhD. Thesis. Department of Archeology, College of Arts, University of Baghdad: Iraq.

- 12.Sabri, Rawnaq Jundi ,(2018),The phenomenon of substitution in both languages Akkadian and Arabic comparative study, Journal of Athar AL-Rafidain, Vol.3,No.1, University of Mosul : Iraq
- 13.Suleiman, A. ,(2002), Models of Cuneiform Writings. Vol.1., Iraqi Scientific Academy,Baghdad: Iraq.
- 14.Von soden , W.,(1995), Gundriss der Akkadischen Grammatik , (**GAG**) :Roma.
- 15.Von Soden,W.,(1959-1960), Akkadisches Handwörterbuch, (**AHw**): Wiesbaden.

**السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك
اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة**

أ.م.د. أمين عبد النافع أمين

جامعة الموصل - كلية الآثار - قسم اللغات العراقية القديمة

amen_abdulnafea@uomosul.edu.iq

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

أ.م.د. أمين عبد النافع أمين

الكلمات المفتاحية: اللغة الأكديّة، السياق النحوي، المشترك اللفظي، تصريف الأفعال،

علم الدلالة.

Keyword: Akkadian language, context, homonymy, conjugation verb, semantic.

- مقدمة: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الصادق الامين وعلى آله الطاهرين واصحابه الراشدين وبعد:

لما كان للسياق الدور المهم في تحديد المعنى المقصود من الصيغ ذات المعاني والدلالات المتعددة فقد خصصنا هذه الدراسة لدراسة أثر السياق النحوي في تحديد معاني المشترك الصرفي والنحوي في اللغة الأكديّة وقد اعتمدنا المنهج الوصفي سبيلا لإعداد هذه الدراسة التي تناولت موضعا مهما يجمع بين النحو والبلاغة، وقد عالجت الدراسة مواضيع عدة منها دور السياق في بيان المشترك اللفظي والصرفي وأسباب حدوث المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة وأنواعه، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الموضوع لم يدرس سابقاً بهذه الصيغة ولم أجد له عنوانا مستقلا في كتب النحو الأكدي وإنما هي مواضيع متفرقة جمعتها ووضعت لها التعاريف والشواهد لينتفع بها الطلبة والباحثين في هذا المجال والله وليّ التوفيق.

- تمهيد:

أ- السياق لغة واصطلاحاً: السياق لغة من سوق^(١) مصدر ساقه، وأصله سواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين^(٢)، فالسين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَذُو الشّيء، يقال ساقه يسوقه سوقاً، وقد انسأقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت^(٣)، المساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضها، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه^(٤). وقد قال الزمخشري (ومن المجاز: هو يسوق الحديث

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكاديمية

أحسن سياق وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: أي سرّده^(٥). وبذلك فإن السياق يدل على التابع والحدو للإبل وهو المعنى الحسي للكلمة ثم انتقل عن طريق المجاز للدلالة على تتابع مكونات الحديث والنص.

وفي التعريف الاصطلاحي للسياق هو إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط ، وقد عرّفه آخرون بأنه مجموع ما يحيط بالنص من عناصر مقالیه ومقامية توضح المراد وتبين المقصود.^(٦) ويستعمل لفظ السياق مقابلاً للمصطلح الإنجليزي context وهو من مقطعين text و con ، أي "مع النسيج" ثم أصبح يستعمل بمعنى مع النص^(٧) ويقصد بهذا التعبير البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية أو الوحدة البنوية الصغرى، أو بالكلمة أو بالجملة^(٨) ، والسياق عند الأصوليين هو قرينة تعين على فهم النص وتزيده وضوحاً وذلك من خلال اقترانها باللفظ، وهو كما يقول عنه فندريس: "الذي يفرض قيمة واحدة على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها ان تدل عليها"^(٩) وقد قسم علماء الدلالة السياق إلى أربع شُعب : السياق اللغوي ، والسياق العاطفي ، والسياق الثقافي ، والسياق غير اللغوي ، والسياق اللغوي يتمثل في الأصوات ، والكلمات، والجمل، متتابعة في حدث كلامي معين أو نص لغوي، كما يعرف السياق اللغوي بالوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة، والسياق اللغوي هو دراسة النص من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض والأدوات المستعملة للربط بين الألفاظ ،وما يترتب على تلك العلائق من دلالات^(١٠) وقُسم السياق اللغوي على أربعة أقسام هي : السياق الصوتي و السياق الصرفي و السياق النحوي و السياق المعجمي .

والسياق النحوي :هو الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية، وتعود أهمية السياق النحوي إلى أن دلالة السياق النحوي تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقيت مختلفة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه ، وفي هذا دلالة على أن للسياق دوراً بارزاً في التنوع الذي يحصل في الجمل نفسها ، إذ أن التغيير في البنية النحوية وعلاقة الكلمات ووظائفها ومواقعها وترتيبها من شأنه أن يبدل المعنى ، فالسياق النحوي يحدد العنصر الدلالي في الجملة أو النص بالمعنى.^(١١)

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

أ- مستقسم^(١٢) والصَوُّغُ : مصدر صاعَ الشيء يَصوغُهُ صَوَّغاً وصِيَاغَةً ورجل صَوَّغٌ: يَصوغُ الكلامَ وَيُزَوِّرُهُ ، وهذا صوغٌ هذا أي على قَدْرِهِ.^(١٣) والصيغة الصيغَةُ الصرفية: الصاد والواو والغين أصل صحيح ، وهو تهيئة شيءٍ على مثال اصطلاحا هي القالب الذي تصاغ الكلمات على قياسه أو هي الهيئة التي تشترك فيها مجموعة من الألفاظ بعدد من الحروف الأصلية مع مراعاة ترتيبها وحركاتها وسكونها وحروفها الزائدة^(١٤) وقد قال الاستربادي المراد من بناء الكلمة وزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزوائد والأصلية كل في موضعه^(١٥).

ب- علاقة الصيغ الصرفية الأكديّة بالسياق:

إن معرفة مادة الصيغة الأكديّة وأصلها الاشتقاقي قد لا يكفي لتحديد معنى الصيغة تحديداً دقيقاً، لذلك فقد لجأ النحاة إلى السياق ليكون أداة تكشف عن مادة الصيغة ويحدد المراد ويعين المقصود من الصيغ الصرفية، وقبل الحديث عن دور السياق في تحديد مبنى ومعنى الصيغ الصرفية، لابد من القول أن الكلام والالفاظ الأكديّة كما هو الحال في اللغات العاربة بعامة يُقسّم إلى ثلاثة أقسام: اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين وذلك أكثر الكلام كرجل وفرس، واختلاف اللفظين والمعنى واحد كالسيف والمهند والحسام، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين نحو عين الماء عين المال وعين السحاب وعين الرجل^(١٦)، وهنا تتجلى أهمية السياق في أنه يسهم بدور كبير في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة أو الصيغة فعلى مستوى المفردات يساعد السياق على تحديد معاني الكلمات ولاسيما المشترك اللفظي والصرفي الذي يحمل معاني متعددة مثل الفعل "وجد" الذي يدل على العثور على الشيء في نحو "وجدت الضالة" وعلى الغضب في نحو "وجدت عليه مَوْجِدَةً"^(١٧) والاشتراك في مفهومه العلمي نوعان: اشتراك لفظي و اشتراك صرفي وقد عدّ البعض الاشتراك الصرفي صورة من صور الاشتراك اللفظي وعرفه : بأنه اشتراك أكثر معنى صرفي في صيغة واحدة^(١٨) وسنبيّن في هذه الدراسة الصيغ الصرفية التي اتفق واشترك لفظها واختلف معناها فهي تحتاج إلى قرينة السياق ليتحدد المعنى ويتعيّن المقصود، ومن خلال دراسة احصائية قمنا بها أحصينا فيها الصيغ الأكديّة التي اتفق لفظها واختلف معناها وجدنا أنّ الصيغ المشتركة كانت كما يأتي:

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

ت- **الاشتراك** : الاشتراك لغة من الشَّركة والشَّركة سواء: مخالطة الشَّرِكين، يقال اشترَكنا بمعنى تشاركنا، وأشرك بالله: جعل له شريكاً.^(١٩) وفي الاصطلاح فإن المشترك وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر على السواء عند أهل تلك اللغة^(٢٠) فهو يحتاج إلى قرينة السياق لبيان المعنى المقصود^(٢١) والاسم المشترك الذي تشترك فيه معانٍ كثيرة^(٢٢) وعرفه ابن فارس : الاشتراك أن تكون اللفظة الواحدة محتملة لمعنيين أو أكثر أو هو ما اتحدت صورته واختلف معناه^(٢٣) كدلالة لفظ العين على الباصرة وعلى الجاسوس والبنر ودلالة لفظ الخال على أخ الأم والشامة في الوجه والسحاب^(٢٤)

وقد اختلفت نظرة العلماء في وقوع المشترك اللفظي حيث أثبتته الكثير منهم في حين انكره آخرون وضيّق البعض منهم مفهوم المشترك تضيقاً شديداً واخرجوه من الكثير من الكلمات^(٢٥) ومن أهم أسباب نشوء المشترك في اللغة هو اختلاف اللهجات والمجاز والتطور الصوتي والعوارض التصريفية والاستعارة من اللغات الأخرى^(٢٦) وفيما يأتي شرح مفصل لأنواع المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة ودور السياق النحوي في تحديد المعنى المقصود:

أولاً: المشترك اللفظي: وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر على السواء عند أهل تلك اللغة^(٢٧) وهو أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز^(٢٨) فهو يحتاج إلى قرينة السياق لبيان المعنى المقصود، ويسمى الجنس أيضاً وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى^(٢٩) ومنه قوله تعالى ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ))^(٣٠) وقول الشاعر : **وَسَمِيئُهُ يَحْيَى لِيَحْيَى فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ**^(٣١) ويطلق عليه في اللغة الإنجليزية مصطلح homonymy أو homology ويدل على تطابق كلمة مع كلمة أخرى في اللفظ مع اختلافهما في المعنى^(٣٢) والحقيقة أن احد أهم أسباب تعدد المعاني للفظ الواحد هو اختلاف اللهجات الأكديّة واختلافها في استعمال الكلمات، ومن أمثلة هذا الاستعمال في العربية الفعل "وجد" الذي يدل على العثور على الشيء في نحو "وجدت الضالة" وعلى الغضب في نحو "وجدت عليه موجدة"^(٣٣). وقد واجهت اللغة هذا التعدد في المعاني للفظ الواحد بالاعتماد على السياق أو القرينة الخارجية لتحديد المعنى المراد، إذ أدى الاعتماد على السياق إلى أن تعيش كثير من كلمات المشترك اللفظي جنباً إلى جنب في اللغة الواحدة دون أن يسبب ذلك غموضاً أو سوء فهم،

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

و في بعض الاحيان نجد أن الاحتكاك اللغوي يؤدي إلى فقدان أو هجر أحد المعنيين لتصادمه مع المعنى الآخر، خصوصا إذا كانت الكلمتان مستعملتين في نفس المجال اللغوي وفي طبقة اجتماعية واحدة وفي فترة زمنية واحدة.^(٣٤) وعند دراستنا للمعاجم الأكديّة نلاحظ وجود المشترك اللفظي في الأسماء والأفعال وأن عدداً من الأسماء والأفعال يتفق لفظها ويختلف معناها فهي تقع في باب المشترك اللفظي ومن أمثلة ذلك في الأكديّة: الأسم *īnu* بمعنى " العين ،وعين التنور(الفتحة في التنور)،الفرجة، محور(سرّة) العجلة، الينبوع، حصة بشكل العين"^(٣٥) كذلك الأسم *idu* بمعنى " يد، الحافة، الحد، المقبض، الشبر(وسيلة قياس)،الجناح والقوة " ^(٣٦) ومن الفاظ المشترك اللفظي الأسم *rēšu* بمعنى " الرأس ،العبد(الخادم)، رأس الماشية أو الحيوانات، القمة، رأس المال ،المرتبة الأولى، الأساس"^(٣٧)

ومن الشواهد على دور السياق في التمييز بين معاني المشترك اللفظي نقراً:

re-šum innabbitma "العبد سيهرب"^(٣٨)

وفي سياق آخر ترد الكلمة مع الفعل *uzuzzum* وتعني "يهتم بشخص، يكون تحت تصرفه " إذ نقراً:

nēmel ina re-šu-uš-šu azzizuni " لأنني كنت أعتني به(حرفياً: أف (على) رأسه)"^(٣٩) وهكذا فإن الكلمة الواحدة لها عدة معانٍ ولكل معانٍ من المعاني سياق خاص يدل عليه دون أن يسبب ذلك غموضاً أو سوء فهم لدى السامع أو القارئ.

وفي باب الأفعال فإننا نجد أن بعض الأفعال لها عدة معاني مختلفة ومنها الفعل *alāku* بمعنى " يذهب، يهلك، يتقدم، يؤدي خدمة، تقلب الاسعار، هبوب الرياح ،هطول المطر، يذهب في رحلة أو حملة عسكرية " والكثير من المعاني الأخرى التي يحددها لنا السياق النحوي الذي يأتي فيه الفعل^(٤٠) فضلاً عن ذلك فإن المعاجم الأكديّة تستعمل الأرقام أو الاحرف A. B. C. أمام الأفعال التي لها أكثر من معنى أو انها مشترك لفظي في أكثر من لهجة ، والحقيقة أن تمييز المعاني الدقيقة لهذه الأفعال يكون بالاعتماد على السياق النحوي وكما هو مبين في الأفعال الآتية:

الفعل الأكدي *ḥabātum A.* يعني " يسلب، ينهب" ويصرف بحسب المعجم الأكدي *iḥbut- iḥabbat* حيث نقراً:

šumma awīlum ḥubtam iḥ-bu-ut-ma

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكادية

" إذا قام رجل بالصوصية " (٤١)

في حين أن الفعل *ḥabātum B.* يعني "يستعير، يقترض" وهو أيضا يُصرف بحسب المعجم الأكدي *iḥbut- iḥabbat* حيث نقرأ:

PN KI PN₂ iḥ-bu-ut

" PN استعار من PN₂ " (٤٢)، كذلك الحال مع الفعل *banû A.* بمعنى " يبني، يُشيد" ويصرف بحسب المعجم الأكدي *ibni-ibanni* حيث نقرأ:

ālam mari ilum ib-nu-ú

" الاله بَنَتْ مدينة ماري " (٤٣)

في حين أن الفعل *banû B.* يعني "ينمو، يتصرف كرجل" وهو أيضا يُصرف بحسب المعجم الأكدي *ibni-ibanni* حيث نقرأ:

"ليت الزرع لا ينمو" (٤٤) *zēra a-a ib-ni*

كذلك الفعل *ḥamātu* يأتي بلفظ واحد *iḥmuṭ* في الزمن الماضي ومعانٍ مختلفة

الأول يدل على سرعة الفعل نحو *da-ba-ba-šū iḥ-mu-uṭ* " يسرع في كلامه" (٤٥) بينما يدل المعنى الثاني على الاحتراق إذ نقرأ: *iḥ-mu-ṭa kabbattuš* "احترق كبده" (٤٦) و تجدر الإشارة إلى أن كثير من الأفعال المتفقة لفظا قد تختلف حركة عين الفعل فيها حيث يمكن لحركة العين أن تعين في تحديد الفعل المقصود في بعض الأزمنة وكما يأتي:

iḥmuṭ- iḥammuṭ من باب ضم- ضم ويعني " خمط، يُسرع " بينما الفعل :

iḥmuṭ- iḥammaṭ من باب ضم- فتح يعني " يحرق ، يشعل " (٤٧)

كذلك الفعل الاكدي *abarumṣ*

iṣbur-iṣabbur من باب ضم- ضم ويعني " يدور ، ثرثر، " (٤٨)

iṣbur-iṣabbar من باب ضم- فتح ويعني "ينحني، يميل" (٤٩)

ثانياً: **الاشتراك البنيوي**: ويكون هذا الاشتراك في بناء واحد يأتي للدلالة أكثر من معنى صرفي، والسياق هو الذي يحدد المعنى الصرفي المراد. (٥٠) ومن صور هذا النوع من الاشتراك في اللغة الاكادية :

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

أ- اشتراك صورة الفعل الماضي والمضارع المسند إلى ضمائر مختلفة:

وذلك في عدة مواضع:

١- صيغة الفعل للمخاطب المفرد المذكر taprus-taparras تشترك هذه الصيغة مع صيغة الغائب المفرد المؤنث taprus-taparras أنت: تَكْتُبُ وهي: تَكْتُبُ، وصيغة الغائب المفرد المذكر iprus وصيغة المخاطبة المؤنثة وبما أن الأكديّة استعملت ضمير الفاعل أو مقطع المضارعة عند صياغة الزمن الماضي والمضارع فقد تشابه المبنى في الزمنين في الأفعال معتلة الأول بالهمزة أو المهموزة 'I- يظهر لدينا المشترك الصرفي بين صيغة الفعل الماضي للشخص المتكلم وصيغة فعل الامر للشخص المخاطب إذ ترد بصيغة مشتركة بسبب الإعلال في الأفعال ومثال ذلك الأفعال الآتية:

فعل الامر amur " إِفحص، إقرأ" ، الفعل الماضي āmur " فحست، قرأت"، كذلك فعل الامر akuš " تَحْرِكُ " الفعل الماضي kušā " تَحْرَكْتُ " (٥١) حيث يتم تمييز المعنى من خلال السياق النحوي وكما يأتي:

" قرأت في كتابات أورنمو " (52) ina musarē ša RN... a-mur-ma

وفي سياق آخر نقرأ فعل الامر بنفس الصيغة وكما يأتي:

" إقرأ هذا النص الحجري " (53) narā annā a-mur-ma

وقد يشترك الماضي والمضارع في الصورة اللفظية في العربية بسبب قواعد الإعلال وذلك في موضعين الأول: إذا اخذ من الفعل الاجوف اليائي من باب فِرِح كـ "خاف وهاب" إذا اسند إلى الف الاثنين أو واو الجماعة فنقول: الرجالن خافا الأسد، و يا رجالن خافا الأسد، والرجال خافوا الأسد، والموضع الثاني إذا أخذنا من اجوف مسند إلى نون النسوة فنقول: النساء قُلْنَ خيراً، و يا نساء قُلْنَ خيراً (٥٤)

٢- في الأفعال معتلة الأول بالهمزة أو المهموزة 'I- مثل الأفعال amāru و epēšu وعند تصريف الفعل للأشخاص الذين يبدأ ضمير الفاعل أو مقطع المضارعة بصوت علة (المتكلم والغائب) فإن الفعل المضارع يكتب عادة بصيغة i-ma-ar من دون تشديد الحرف الثاني أو مع التشديد بصيغة i-im-ma-ar وهي صيغة غير موحدة عادة، ولذلك وفي الأفعال التي تكون حركة عين الفعل فيها متساوية في الماضي والمضارع (u/u, a/a,i/i) فإن صيغة المضارع غير المشدد i-ma-ar تشترك صرفياً بين صيغة الفعل الماضي والمضارع وكما يأتي:

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

قد تكون المضارع arrik أو الماضي ārik (للشخص المتكلم a-ri-ik
قد تكون المضارع errub أو الماضي ērub) للشخص الغائب والمتكلم e-ru-ub
إن مثل هذا الاشتراك الصرفي قد يقع مع بقية الأشخاص الفاعلين إذا كان الفعل متساوياً في
حركة عينه في الماضي والمضارع نحو:

١- (المضارع tezzibā أو الماضي tēzibā) المخاطبة المؤنثة te-zi-ib الماضي
والمضارع وهذا التشابه موجود في اللغات العاربة في صيغة الفعل المضارع فقط، ويلاحظ أن
الأكديّة في العصر البابلي القديم قد استعملت صيغة مشتركة للغائب المفرد المذكر والغائب
المفرد المؤنث وهي iprus حيث بطل استعمال ضمير الفاعل أو مقطع المضارعة ta
للمؤنث، في حين أن بعض اللهجات اللاحقة فرقت بينها واستعملت صيغة (٥٥) taprus وهي
صيغة مُثَبِّتة منذ العصر الاكدي القديم (السرغوني) (٥٦)، ففي اللهجة الأشورية الحديثة
استعملت صيغة taprus عندما يكون الفاعل من البشر أو الالهة في حين استعملت صيغة
iprus كما في البابلية عندما يكون الفاعل من غير العاقل أو الجماد (٥٧) نحو:
tallik (هي) أو (أنت) تذهب، بينما illik قد تعني يذهب (هو) أو هي تذهب، ومن الشواهد على
ذلك نقراً:

um-ma [ti-am-]at a-lit-ta-ni i-zir-ra-ni-ši

" الأم تيامة والدتتا تَكْرَهُنَا " (٥٨)

وفي سياق آخر نقراً أيضاً: iš-me-ma ti-amat بمعنى " سمعت تيامة " (٥٩)
وفي نص آخر نقراً:

id-din-šum DUB.NAM.MEŠ

" أعطته لوح الأقدار " (٦٠)

وفي نص آخر نقراً ذات الفعل بصيغة الغائب المفرد المذكر :

2 išṣīya ikkisma ana PN iddin

" قطع اثنتين من أشجاري ، وأعطاهما لـ PN " (٦١)

فكما هو ملاحظ فإن الأفعال السابقة تدل على الشخص الغائب المفرد المذكر والغائبة المؤنثة ،
وفي جميع الاحوال يبقى السياق النحوي هو الفيصل في التمييز بين الصيغتين.
ومن صور المشترك الصرفي في العربية الفعل " تَفَعَّل " إذ يكون الفعل محتملاً معنى الخطاب
والغيبية في الأفعال المضارعة المبدوءة بالتاء ومن ذلك قوله تعالى:

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"^(٦٢) فيجوز في جملة "تطهرهم وتزكّهم tuṭahiruhum, tuzakīhim" أن يكون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والغيبة للصدقة^(٦٣) وقد يحتمل الفعل معنأً آخر هو التذكير والتأنيث أيضاً كما في قوله تعالى:

"لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ"^(٦٤) فقد احتمل الفعل فيها معنيين من جهتين مختلفتين هما التذكير والتأنيث فقد يكون التقدير لاتسمع (tasma'u) أنت، وأما التأنيث فعلى معنى "لا تسمع (tasma'u) هي الوجوه"^(٦٥)

٢- الصيغ الفعلية المسندة للشخص المتكلم المفرد والجمع في جميع الأزمنة ومن جميع الصيغ الفعلية G,D,Š,N تكون مشتركةً صرفياً بين المذكر والمؤنث إذ يكون الفعل مُتَرَدِّداً بين التذكير والتأنيث وعلى النحو الآتي:

aprus –aparras للمذكر والمؤنث

niprus–niparras للمذكر والمؤنث

٣- جميع صيغ الأفعال المسندة للشخص المخاطب الجمع المذكر والمؤنث وفي جميع الأزمنة ومن جميع الصيغ الفعلية G,D,Š,N مشتركةً صرفياً بين المذكر والمؤنث، فيغدو الفعل بعد دخول ضمير الفاعل ta واللاحقة ā على آخره غير مُعَيَّنٍ للجنس مُتَرَدِّداً بين التذكير والتأنيث وعلى النحو الآتي:

taprusāالفعل الماضي مشتركة للمذكر والمؤنث

taparrasāالفعل المضارع مشتركة للمذكر والمؤنث

ومن صور ذلك في العربية أن يشترك المضارع المسند إلى ضمائر مختلفة الدلالة وذلك في حالتين: الأولى: في المضارع من الناقص الواوي إذا اسند إلى واو الجماعة أو نون النسوة غياباً أو حضوراً نقول: "هم يَدْعُونَ (yad'ūna) وهنَّ يَدْعُونَ (yad'ūna)" و"انتم تدعون (tad'ūna) وأنتن تدعون (tad'ūna)" والحالة الثانية تتعين في المضارع من الناقص اليائي المسند إلى ياء المخاطبة ونون النسوة نقول: أنت تَرْمِينِ tarmīna وأنتن تَرْمِينِ tarmīna^(٦٦).

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

ج- الاشتراك المبني على تأثير الإعلال:

الإعلال مظهر من مظاهر طلب الخفة في الألفاظ، وفيه يكون العدول عن أصل وضع اللفظ إلى لفظ أخف لتحقيق الانسجام الصوتي^(٦٧) وفيما يأتي أبرز مواضع الاشتراك المبني على الاعلال:

وان اختيار الزمن المناسب للصيغة يعتمد على السياق النحوي والقرائن المحيطة به^(٦٨) ومن الشواهد على ذلك نقرأ:

šumma PN la ašib pn₂ ina bitatešu **e-ru-ub**

"إذا PN غير حاضر PN₂ سيدخل بيته"^(٦٩)

وفي سياق آخر ورد الفعل بنفس اللفظ ودلّ على الزمن الماضي:

ultu elamti ihīšamma qereb šuanna **e-ru-ub**

"اندفع من عيلام ودخل بابل"^(٧٠) فضلا عن ذلك فقد يشترك الغائب والمتكلم باللفظ ذاته وكما يوضح المثال الآتي :

"دخلت في عرش ابي" **e-ru-ub** ana kussī bīt abiya⁽⁷¹⁾

٣- صيغة الزمن الماضي والمضارع للفعل معتل الأصل الأول بالواو I-w تتطابق فيه صيغة الشخص الغائب المفرد المذكر والمتكلم المفرد بسبب تشابه قوانين الإعلال في هذه الأفعال بين ضمير الفاعل (مقطع المضارعة) للغائب i والمتكلم a وبذلك اشتركت صورة الأفعال وكما يأتي:

iwšib > ušib-uššab الغائب المفرد المذكر

awšib > ušib-uššab الشخص المتكلم^(٧٢)

وفيما يأتي سياق نحوي يدل على ذلك:

šumma amēlu ina ka-lak-ki **ušib**⁽⁷³⁾

"إذا سَكَنَ الرجل في مخزن"

وفي سياق آخر نقرأ: **ušib** ina qereb ekallija

وتعني "سَكَنْتُ في قصري"^(٧٤)

٤- في الأفعال معتلة الحرف الثاني بالهمزة ' - II تتطابق صيغة الفعل الماضي والمضارع في الأفعال التي لا تلحقها ضمائر أو لواحق في آخر الفعل (الغائب، المتكلم، المخاطب، المتكلمون)

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

بسبب تشابه قوانين الإعلال في هذه الأفعال ، خصوصاً وأن تضعيف الحرف الثاني في الزمن المضارع قد لا يكون مُثَبِّتاً في النص من قبل الكاتب وكما يأتي:

ama'šī - am'šī > išām - išām الماضي والمضارع

ikwun- ikūan } ikawwan > ikūn- ikān الماضي والمضارع

وكما يأتي: **išām** eqlam ana kaspim "اشترى الحقل بالفضة"^(٧٥)

وفي سياق آخر نجد نقراً :

Riksat mātišu upaṭṭarma aḥita **išām**^(٧٦)

" سيلغي عقود مدينته و يُأسس (يشترى) غيرها"

أمّا إذا لحق الفعل المضارع لواحق أو ضمائر في آخره فعندئذٍ يتم تضعيف الحرف الأخير من جذر الفعل وهذا ما يميز الفعل المضارع عن الماضي نحو:

išāmmū^(٧٧)

٥- الأفعال معتلة الحرف الثالث بالياء e-III قد يشترك فيها البناء الصرفي للفعل الماضي والمضارع من الصيغة الثانية المضعفة D وكما يأتي:

ú-ṭe-eḥ-hi قد تكون صيغة المضارع **uṭeḥḥe** والماضي **uṭeḥḥi**^(٧٨)

٦- وفي الأفعال المعتلة الأصل الثالث وبسبب قواعد الحذف أو الإدغام الصوتي contraction وهي عملية تحويل صوتيين إلى صوت واحد مشدّد^(٧٩) يتساوى الزمن الماضي والمضارع للشخص المخاطب المفرد المؤنث والغائب الجمع المذكر عند إضافة الضمائر إلى آخر الفعل^(٨٠) وكما يأتي:

tumalli-ī > tumallī فعل ماضي أو مضارع للشخص المخاطب

umalli-ū > umallū فعل ماضي أو مضارع للشخص الغائب الجمع المذكر^(٨١).

٧- في الفعل **edûm** بمعنى "يعرف" و **išûm** بمعنى "يملك" يتطابق الفعل الماضي للشخص الغائب المفرد المذكر والمتكلم عند التصريف وذلك بسبب تشابه قوانين الإعلال في هذه الأفعال بين ضمير الفاعل (مقطع المضارعة) للغائب **i** والمتكلم **a** والحرف الأول، وبذلك اشتركت صورة الأفعال وكما يأتي:

īde / išu الغائب

īde / išu المتكلم^(٨٢)

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

وكما يبيّن لنا السياق الآتي:

atta la tidê kima allān PN mamman la īšū

"أنت لا تعلم بأني لا أملك احد باستثناء PN" (٨٣)

وفي سياق آخر نقراً:

Mali īšū uḫallaq "سيخسر كل ما يملك" (84)

وهنا تتجلى أهمية السياق النحوي في معرفة المقصود وتحديد معنى الفعل والشخص الفاعل.

د- الاشتراك الصوتي: وهو نوع من الاشتراك اللفظي تتفق فيه الالفاظ صوتياً وتختلف في الكتابة homophony وهو أن تتطابق كلمة مع كلمة اخرى في اللفظ وتختلف عنها في المعنى والكتابة مثال ذلك الأسم meat "لحم" والفعل meet "يلتقي" (٨٥) وقد أطلق عليه البعض الجنس اللفظي أو الجنس المفروق وهو ما اتفق ركناه لفظاً لا خطأً (٨٦) نحو قول الشاعر:

قالت لقد هِنَّا هُنَّا مولاي أين جاهُنَّا قلت لها إلهُنَّا صَيَّرنا إلى هُنَّا

جانس بين إلهُنَّا و إلى هُنَّا

ومن أمثلة ذلك في الاكديّة نقراً:

١- في الأفعال المعتلة الحرف الأول أو معتلة الحرفين الأول والثالث يشترك صرفياً الفعل الماضي

وفعل الامر من الصيغة المضعفة D (٨٧) إذ تتفق فيه الالفاظ صوتياً وتختلف في الكتابة وكما يأتي:

uḫhiz فعل ماضي من الصيغة المضعفة D أُحَذَّ

uḫhiz فعل الامر من الصيغة المضعفة D حُذْ

urrik فعل ماضي من الصيغة المضعفة D طال

urrik فعل الامر من الصيغة المضعفة D طُلْ

uppiš فعل ماضي من الصيغة المضعفة D عمل

uppiš فعل الامر من الصيغة المضعفة D اِعْمَلْ

وللتمييز بين الأفعال المشتركة صوتياً استُعْمِلَت الصيغة ú-ur-ri-ik أو ú-ri-ik

للتعبير عن صيغة الماضي، أما الامر فقد جاء بنفس لفظ الماضي ولكن بصيغة ur-ri-ik ولكن

ليس بصيغة ú-ur-ri-ik (٨٨)

15 šēpē ú-ri-ik " طال ١٥ قدم"

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

Ipirta ur-ri-ik š "أخّر الرسالة"^(٨٩)

هـ - الاشتراك بسبب تأثير الحذف والإدغام:

الإدغام عملية صوتية تهدف إلى تقريب صوت من صوت ثم النطق بهما دفعة واحدة تخفيفاً على اللسان، وقد يتسبب الإدغام في نشوء المشترك الصرفي بين صيغتين مختلفتين في المعنى لكنهما متفتحتين في الصورة اللفظية ومن صور المشترك الصرفي بسبب الإدغام نقراً:

١- عند كتابة الفعل التام من الأفعال التي تبدأ بحرف d الدال أو الطاء ṭ أو السين s أو الصاد ṣ أو الزاي z (كذلك من الأفعال التي تبدأ بحرف التاء مثل takālu) قد يحدث بعض الإرباك والتشابه بين الفعل التام والمضارع إذا لم يُثبت الكاتب التضعيف^(٩٠) وكما يأتي:

i-ṭa-ra-ad ربما تكون المضارع iṭarrad أو التام iṭṭarad

ta-ṣa-bat ربما تكون المضارع taṣabbat أو التام taṣṣabat

مع ملاحظة أن الفعل التام تسقط فيه حركة عين الفعل عند إضافة لواحق إلى آخر الفعل بينما لا تسقط هذه الحركة في الفعل المضارع نحو:

iṭarradū الفعل المضارع

iṭṭardū الفعل التام لأن حركة عين الفعل حُذفت

٢- صيغة الفعل المضارع من الحالة الثانوية الأولى Gt للأفعال التي يكون فيها الحرف الأول من جذر الفعل حرف d دال أو طاء ṭ أو سين s أو صاد ṣ أو زاي z، حيث تدغم هذه الأحرف مع حرف التاء المزيد وتشكل حرفاً مضعفاً وبذلك تشترك صرفياً مع صيغة الفعل المضارع من الحالة الرابعة المبنية للمجهول^(٩١) وعلى النحو الآتي:

iṣṣabbat مضارع الصيغة الرابعة المبنية للمجهول

iṣṣabbat مضارع الصيغة الثانوية الأولى Gt

issaḥḥar مضارع الصيغة الرابعة المبنية للمجهول

issaḥḥar مضارع الصيغة الثانوية الأولى Gt

izzakkar مضارع الصيغة الرابعة المبنية للمجهول

izzakkar مضارع الصيغة الثانوية الأولى Gt

وكما هو مبين في السياق الآتي الذي ورد الفعل فيه من صيغة المبني للمجهول N:

ša ina mūšim ina bītim iṣ-ṣa-ab-ba-tu⁽⁹²⁾

"الذي يُقبض عليه ليلاً في البيت"

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

وفي سياق آخر ورد الفعل بنفس اللفظ من الصيغة المزيدة بالتاء Gt نقرأ :

ummānī u ummān nakrim pirīt pirīt iṣ-ṣa-ab-ba-tu⁽⁹³⁾

" جيشي وجيش أعدائي سيواجه الواحد الآخر "

وهنا يتبين لنا أهمية السياق النحوي في تحديد معنى المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة.

٣- تتطابق صيغة الفعل الماضي من الحالة الثانوية الثانية المزيدة بالمقطع tan مع مضارع الصيغة الثانوية الأولى المزيدة بالتاء t بسبب إدغام حرف النون في المقطع tan مع الحرف الصحيح الذي يليه، وكما يأتي:

iptarras مضارع الصيغة الثانوية الأولى المزيدة بالتاء t: Gt

iptarras > iptanras الفعل الماضي من الحالة الثانوية الثانية المزيدة

بالمقطع tan⁽⁹⁴⁾: Gtn

فقد ورد الفعل maḥāṣu من الصيغة الثانوية الأولى Gt في الزمن المضارع بصيغة imtaḥḥaṣ وهي ذات الصيغة للزمن الماضي من الصيغة الثانوية الثانية Gtn، لذلك فقد توجب على القارئ أن يرجع للمعاجم اللغوية للتفريق بين الصيغتين من خلال المعنى في السياق وكما يأتي:

Kīmē šar ḥatti im-ta-aḥ-ḥa-aṣ

"عندما يحارب الملك الحثي"⁽⁹⁵⁾

ولأن النص يقع في السياق الحربي لذلك فقد وجب ترجمة الصيغة بهذا المعنى واعتبارها صيغة الزمن المضارع Gt ، أما إذا كان المعنى العام للسياق يعطي دلالة تكرار وقوع الحدث من الصيغة المجردة G فعلياً عندئذ أن نعدّ الفعل ماضياً من الصيغة الثانوية الثانية Gtn لأن المعنى المعجمي يدل على ذلك⁽⁹⁶⁾

و - الاشتراك المبني على التشابه الوضعي:

أي تشابه اللفظين المشتركين صرفياً في أصل وضعهما ويكون التمييز بينهما من خلال السياق النحوي وكما يأتي:

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

١- جميع صيغ الفعل الماضي المزيد بالتاء من الصيغة الثانوية الأولى Gt, Dt, Št وصيغة الماضي من الصيغة المزيدة بالمقطع tan من الصيغة الرابعة تشترك صرفياً مع صيغة الفعل التام من الصيغ الرئيسية الأربعة وكما يأتي:

الصيغة	الفعل التام	الماضي المزيد	الماضي المزيد بالمقطع
الأولى البسيطة	iptaras	Gt iptaras	tan
الثانية المضعفة	uptarris	Dt uptarris	—
الصيغة الثالثة	uštapis	Št uštapis	—
الصيغة الرابعة	ittapas	—	Ntn ittapras

وهنا على الباحث الاعتماد على السياق النحوي لتحديد المعنى الدقيق للصيغة وبما يتلائم مع السياق والنص، ومما تجدر الإشارة إليه أن المعاجم الأكديّة ومنها (CAD, AHW, CDA) قد حددت هذه المعاني وبيّنتها بشكل مفصل لكل فعل، وفيما يأتي توضيح لأهم المعاني التي تحملها هذه الصيغ^(٩٧):

الفعل التام	المعنى	الماضي المزيد	المعنى
Iptaras	دلالة زمنية	Gt iptaras	معنى متبادل، إنعكاسي، انفصال ومباعدة
Uptarris	دلالة زمنية	Dt uptarris	المبني للمجهول من المضعف D، وفي أحيان قليلة معنى متبادل أو انعكاسي من الصيغة المضعفة
Uštapis	دلالة زمنية	Št uštapis	١- المبني للمجهول من الصيغة الثالثة السببية Š ٢- المعنى المعجمي ويضم جميع المعاني التي لاتقع في المعنى الأول

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

معنى تكرار واستمرار وقوع الحدث من الصيغة الرابعة N	Ntn ittapras	دلالة زمنية	Ittapras

ومن أمثلة المعنى العام للفعل magāru بمعنى "وافق" من الصيغة المجردة G إذ نقرأ المثال الآتي:

"التفت إلى فلان وقد وافقتي(وافق)" ⁽⁹⁸⁾ ana PN apūnama im-ta-ag-ra-ni

أما في صيغة الـ tG المزيدة بالتاء فإن الفعل يعني "توافق الواحد مع الآخر" أي أنّ الفعل متبادل أو انعكاسي وكما هو مبين في السياق الآتي:

PN u PN₂ im-ta-ag-ru-ma maḥar DN ... iddinu

"PN u PN₂ توافقوا (الواحد مع الآخر)، أمام الإله ... دفعوا"

فإذا صادفنا الفعل imtaḥaṣ من المصدر maḥāṣu فإن المعنى المجرد G هو "ضرب" نظرنا في النص فإذا وجدنا الكلمة جاءت في السياق الزمني التام والمعنى المجرد فإن المعنى سيكون كالاتي:

Aššatija PN₂ im-ta-ḥa-aṣ-ma

"PN₂ قد ضرب زوجتي" ⁽⁹⁹⁾

أما إذا وجدنا أنّ الكلمة جاءت في سياق حربي عسكري فعلينا أن نَعُدّها من الصيغ الثانوية المزيدة بالتاء ⁽¹⁰⁰⁾ فالفعل imtaḥaṣ السياق المعجمي من الصيغة المزيدة Gt يعني "حارب"، خاض المعركة" وكما يأتي:

im-ta-ḥa-aṣ [u-ṣi]-ma وتعني "حارب وفرّ" ⁽¹⁰¹⁾

ومن أمثلة الصيغة السببية نجد الفعل uš-ta-am-ri-iṣ وهو فعل يتفق لفظه بين صيغة الفعل التام من الصيغة السببية Š والماضي من صيغة Št في السياق الآتي:

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

adi māt ina ṭuppī šitappurim uš-ta-am-ri-iš

" إلى متى أعاني من ارسال الرسائل " (١٠٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكثير من الأفعال قد لا تحتوي على الشواهد المعجمية للمزيدة بالتاء Gt وعندها يتوجب علينا أن نعد الفعل مجرداً تماماً لعدم وجود الشواهد المعجمية من المزيد بالتاء ومن هذه الأفعال على سبيل المثال habālu ، damāqu كما أن الصيغ المزيدة بالتاء Gt, Dt, Št هي صيغ نادرة ترتبط بمجموعة محدودة من الأفعال. (١٠٣)

٢- تشترك صيغة الفعل الماضي من الصيغة الثانوية الثانية المزيدة بالمقطع Nt من الحالة الرابعة مع صيغة الفعل التام من الصيغة الرابعة N (١٠٤) فيتشابه اللفظان صرفياً في أصل وضعهما وكما يأتي:

المبني للمجهول من الصيغة G، انعكاسي أحياناً	الفعل تام N	Ittapras
تكرار واستمرار وقوع الحدث من الصيغة الرابعة N	ماضي Ntn	Ittapras

ويتطلب التمييز بين الفعلين الرجوع إلى المعنى المعجمي للصيغة لتحديد الصيغة الصحيحة، فإن كان الفعل دالاً على المبني للمجهول كان الفعل من الصيغة N أما إن دلّ على تكرار وقوع الحدث واستمراره فهو من الصيغة الثانوية الثانية Ntn وكما في المثال الآتي :

išittašu ittabit nišūšu it-tak-mar

" دُمِّرَ كنزه ويُعثر شَعْبُهُ " (١٠٥) وهنا يوجهنا السياق النحوي إلى أن دلالة الفعل هي للزمن التام من الصيغة الرابعة N بحسب معنى النص.

٣- تشترك الصيغة الثانوية الثانية المزيدة بالمقطع tan من الصيغة المضعفة Dtn مع أبنية الأفعال من الصيغة الثانوية الأولى المزيدة بالتاء من الصيغة المضعفة Dt باستثناء الفعل المضارع (١٠٦) فيتشابه اللفظان صرفياً في أصل وضعهما إذ تدعم النون المزيدة في الحرف الذي يليها أو تحذف نهائياً كيلا يتوالى ثلاثة صوامت (١٠٧) وكما يأتي:

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

الصيغة	الزمن	الزمن	الزمن
uptanrris>uptarris	تام من صيغة D	ماضي Dt	ماضي Dtn
uptatanrris>uptatarris	—	تام Dt	تام Dtn
putanrris>putarris	—	امر Dt	امر Dtn
putanrrus>putarrus	—	صيغة مستمرة Dt	صيغة مستمرة Dtn
>muptarrisum muptanrrisum	—	أسم فاعل Dt	أسم فاعل Dtn

وللتفريق بين الأبنية الفعلية المتفقة لفظاً علينا الاعتماد على الدلالة المعجمية والسياق النحوي للنص إذ أنّ الصيغة الثانوية الأولى من الصيغة الثانية Dt تدل على معنى المبني للمجهول من الصيغة المضعّفة D في حين أنّ الصيغة الثانوية الثانية Dtn تدل على تكرار وقوع الحدث من الصيغة المضعّفة D، أما إذا كان الفعل يدل على دلالة زمنية فيجب علينا عندئذ اعتبار الفعل تام من الصيغة D، مع ملاحظة أنّ الصيغ الثانوية قليلة الاستعمال مقارنة بالفعل التام وكما يوضح لنا السياق الآتي:

Šumma alpam u lu immeram ša innadnū[šum] uḥ-ta-al-li-iq

" إذا (كان) قد ضيّع الثور والأغنام التي أُعطيت له" (١٠٨)

في هذا النص من قانون حمورابي ورد الفعل uḥtalliḳ وهو فعل يشترك صرفياً في ثلاثة أبنية (الماضي التام، ماضي Dt، ماضي Dtn) ولأن السياق الذي ورد فيه الفعل كان يدل على الزمن التام فقد اعتبرنا الفعل تاماً، أما إذا كان السياق يدل على المبني للمجهول فيجب اعتبار الفعل من صيغة الماضي Dt، في حين إذا دلّ السياق النحوي على تكرار وقوع الحدث من الصيغة المضعّفة D وجب علينا تصنيف الفعل على أنه من صيغة الماضي Dtn (١٠٩).

وفي سياق آخر نقرأ الفعل paḥāru في صيغة المبني للمجهول Dt إذ نقرأ:

elišunu up-ta-aḥ-ḥi-ru-ma

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

بمعنى " (إذا شوهدَ النمل في بيت) مُجتمع بعضه فوق بعض " (١١٠) إنّ السياق النحوي للنص هو من رشح الصيغة لهذه الدلالة.

٤- جميع أبنية الأفعال من الصيغة الثانوية الثانية المزيدة بالمقطع tan من الصيغة السببية štn تتشابه صرفياً في أصل وضعهما وتتشترك صرفياً مع أبنية الأفعال من الصيغة الثانوية الأولى المزيدة بالتاء من الصيغة السببية štn باستثناء المضارع (١١١) وكما يأتي:

الصيغة	الزمن š	الزمن štn	الزمن štn
Uštapis	تام من الصيغة š	štn ماضي	štn ماضي
Uštapis	—	štn تام	štn تام
Utapisš	—	n štn امر	n štn امر
utapisš	—	صيغة مستمرة/ štn	صيغة مستمرة/ štn
tapisšmu	—	أسم فاعل /štn	أسم فاعل štn

وللتفريق بين الأبنية الفعلية المتفقة لفظاً علينا الاعتماد على الدلالة المعجمية والسياق النحوي للنص إذ أنّ الصيغة الثانوية الأولى من الصيغة الثالثة štn تدل على معنى المبني للمجهول من الصيغة الثالثة š في حين أنّ الصيغة الثانوية الثانية štn تدل على تكرار وقوع الحدث من الصيغة الثالثة š ، أما إذا كان الفعل يدل على دلالة زمنية فيجب علينا عندئذ اعتبار الفعل تاماً من الصيغة الثالثة السببية š ، مع ملاحظة أنّ الصيغ الثانوية štn, štn قليلة الاستعمال مقارنة بالفعل التام وكما يوضح لنا السياق الآتي:

ina warkitim nu-uš-ta-am-gi-ir-š-nu-ma rugummātšunu nikbusma

بمعنى " في وقت لاحق أتفقنا معهم والغينا قضيتهم " (١١٢)

وفي سياق آخر نجد فيه الفعل uš-tam-gi-ir وهو فعل تنفق فيه ثلاث صيغ هي الفعل التام من الصيغة š وصيغة الماضي štn و štn إذ نقراً:

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

uš-tam-ḥi-ir-ma miḥrit apsī šubat DN

" جعل (مسكنه) مثل جهنم، مسكن أيا" (١١٣)

وبما أنّ السياق هنا معجمي ويتطلب معنا خاص فإن هذه الصيغة تعد صيغة الفعل الماضي št ، في حين أننا نقرأ في سياق آخر الفعل ذاته لكنه يدل على الزمن التام من صيغة š وكما يأتي: anāku u PN ana girrim ša PN₂ nu-uš-tam-ḥi-ir-ma

" أنا و PN قد قدمنا (تضحيات) في الحملة ضد PN₂ " (١١٤)

إنّ السياق النحوي في هذا النص يدل على أن الفعل له دلالة زمنية فهو فعل تام من الصيغة السببية š.

وفي سياق آخر ورد الفعل الاكدي uš-ta-tam-ḥi-ir وهو يمثل صيغة الفعل التام من الصيغتين št و štn لكن السياق النحوي يحدد لنا الدلالة المطلوبة في النص وهي صيغة štn كون الصيغة تعطي معنى تكرار الحدث من الصيغة السببية ولا تدل على معنى المبني للمجهول من الصيغة السببية وكما يأتي:

Šumma amtam šī itti bēltiša uš-ta-tam-ḥi-ir

" إذا استعلت تلك الأمة على سيدتها (بشكل مستمر)" (١١٥)

وقد يتفق أسم الفاعل صرفياً بين صيغتين هي الصيغة الثانوية الأولى št والثانية štn فيرد بصيغة واحدة إذ نقرأ:

lštar muš-tam-ḥi-ša-at aḥḥē mitgurūti

"عشتار مسببة العدا بين الاخوة (من الالهة) المتفقين" (١١٦) ولأن السياق دلّ على معنى التسبب في وقوع الفعل من الفاعل المعلوم (عشتار) فقد رشحنا أن تكون الصيغة هي الثانوية الأولى št وليست من الصيغة الثانوية الثانية štn التي تعطي معنى تكرار وقوع الحدث.

٥- في اللغة الأكديّة صيغتان من الحالة الثانوية الأولى من الصيغة الثالثة št الأولى مبنية للمجهول والثانية معجمية št₂ وهاتان الصيغتان تتشابهان صرفياً في أصل وضعهما وتتشركان صرفياً في جميع الأبنية الفعلية والأسمية باستثناء الفعل المضارع (١١٧) وكما يأتي:

الصيغة	الزمن š	الزمن št	الزمن št ₂
uštapis	تام من صيغة š	ماضي مجهول št	ماضي معجمي št ₂
uštatis	—	تام مجهول št	تام معجمي št ₂

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكادية

amrمعجمي من صيغة št ₂	امر من صيغة št	—	utaprisš
صيغة مستمرة št ₂ معجمية	صيغة مستمرة št	—	utaprusš
المصدرالمعجمي št ₂	المصدر št	—	utaprusmš
أسم الفاعل št ₂	أسم الفاعل št	—	muštaprisu

وللتمييز بين الصيغتين لابد لنا من الرجوع إلى المعنى المعجمي ودلالة السياق النحوي لمعرفة دلالة الصيغة، وفيما يأتي أهم المعاني التي تدل عليها كل من هذه الصيغ :

الصيغة	المعنى
št المبنى للمجهول	تدل على المبنى للمجهول من الصيغة السببية
št ₂ الصيغة المعجمية	تعطي معنى السببية من الصيغة Gt ، الانعكاسية من الصيغة السببية št ₂ ، كما أن هذه الصيغة لها معا عدة لا يمكن التنبئ بها يمكن معرفة بعضها من خلال المعاجم اللغوية

وفيما يأتي بعض الشواهد على ذلك:

lā tušamrašniāti ana 6 GIN nu-uš-tam-gi₅-ir-šu-nu

" لا تزعجنا لقد جعلناهم يوافقون على ٦ شيقلات (فضة)"^(١١٨)

أنّ السياق النحوي يحدد لنا معنى الفعل uštamgir بأنه من صيغة الماضي المعجمي št₂ لأنه دل على معنى التسبب في وقوع الفعل من الصيغة الثانوية الأولى Gt.

وفي سياق آخر نقرأ الفعل maḥāṣu وهو في سياق الماضي المبنى للمجهول من الصيغة št :

u šunūti šālma kīma ašrimu u uš-ta-am-ḥi-šú liqbûnikkum

" (أسالهم) وهم ليخبروك بأنني قد ضُربْتُ"^(١١٩)

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

٦- تشترك صيغة **أسم** الفاعل من الصيغة الثانوية الثانية من الحالة الأولى البسيطة Gtn صرفياً مع صيغة **أسم** الفاعل من الصيغة الثانوية الأولى والثانية من الصيغة المضعفة Dtn, Dt إذ تتشابهان صرفياً في أصل وضعهما وكما يأتي:

muptarrisum **أسم** الفاعل من صيغة من Gtn و Dtn, Dt^(١٢٠)

كما وتشترك أيضاً صيغة **أسم** الفاعل في الأفعال معنلة الحرف الثاني من الصيغة الثانوية الأولى والثانية Dtn, Dt وعلى النحو الآتي:

muktīn وهذه الصيغة تشترك صرفياً أيضاً مع **أسم** الفاعل من الصيغة الثانوية الأولى Gt: muktīn^(١٢١) وبذلك تتشابهان صرفياً في أصل وضعهما.

٧- تشترك صيغة **أسم** الفاعل والصيغة المستمرة والصفة الفعلية المشتقة من أفعال الحركة في حالة الإضافة إذ تكون الصيغة في أقصر حالة، وترد بالخط المسماري المقطعي على النحو الآتي:

(**أسم** فاعل)=pāris(صفة فعلية . أو صيغة مستمرة) Pa-ri-is= paris

وعندئذ يجب ان يراعى السياق النحوي والمعنى لتحديد الصيغة، إذ تكون الصيغة المستمرة المشتقة من الأفعال المتعدية مبنية للمجهول بينما يكون **أسم** الفاعل مبنياً للمعلوم نحو:

"ممسوك" ṣabit

"ماسك" ṣābit

أما الصيغ المشتقة من أفعال حركة لازمة فيكون التمييز بين الصيغ من خلال هيئة الفعل (aspect) إذ تدل الصيغة المستمرة والصفة الفعلية على تمام الحدث: wašib "بعد أن جلس" في حين أنّ صيغة **أسم** الفاعل تدل عدم تمام الحدث āšibw "جالس"^(١٢٢). وفيما يأتي مثال على ذلك:

IGI PN ṭupšarrim ma-ḥi-iš sikkatim⁽¹²³⁾

"أمام فلان ضارب العلامات (الكاتب)" وفي سياق آخر نقرأ الصيغة المستمرة بذات اللفظ: la-

ḥu.MEŠ-šu ina GIŠ.PA ma-ḥi-iš u dama muššur

"فكاه مضروبة (ضربت) بحديدة ودمه يسيل"^(١٢٤) وهنا نلاحظ ان للسياق النحوي والقرائن النحوية الدور في تحديد المعنى المقصود.

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

وفيما يأتي جدول يبيّن لنا الأبنية الفعلية والأسمية المجردة والمزيدة من الفعل الثلاثي الصحيح في اللغة الأكديّة وقد قمنا بتظليل الأبنية المشتركة صرفياً:

الصيغة	الماضي	المضارع	التام	الأمر	الصيغة المستمرة	أسم الفاعل
G	iprus	iparras	iptaras	purus	paris	pārisum
D	uparris	uparras	uptarris	purris	purrus	muparrisum
Š	ušapris	ušapras	uštapis	šupris	šuprus	mušaprisu
N	ipparis	ipparras	ittapras	napris	naprus	mupparsum
Gt	iptaras	iptarras	iptatras	pitras	pitrus	muptarsum
Gtn	iptarras	iptanarras	iptatarras	pitarras	pitarrus	muptarrisum
Dt	uptarris	uptarras	uptatarris	putarris	putarrus	muptarrisum
Dtn	uptarris	uptanarras	uptatarris	putarris	putarrus	muptarrisum
Št	uštapis	uštapi ^{١٢٠} ras uštaparras	uštatapris	šutapis	šutaprus	muštapisu
Štn	uštapis	uštanapras	uštatapris	šutapis	šutaprus	muštapisu
Ntn	ittapras	ittanapras	ittatapas	itapas	itaprus	muttaprisu

إذا ما نظرنا في الجدول السابق يتضح لنا وجود المشترك صرفي في الصيغ الفعلية الأكديّة ولاسيما في الأفعال المزيدة بالتاء t أو التاء والنون tan والفعل التام وقد بلغ عددها ٢٩ تسع وعشرون صيغة وكما يأتي :

١. إن جميع الصيغ الثانوية الأولى من الصيغ الفعلية الأربع في الزمن الماضي تشترك صرفياً مع صيغة الفعل التام :

التام (زمن)	الماضي من الثانوية الأولى	الماضي من الثانوية الثانية
(G) iptaras	(Gt) iptaras	-
(D) uptarris	(Dt) uptarris	(Dtn) uptarris
(Š) uštapis	(Št) uštapis	(Štn) uštapis
(N) ittapras	(Ntn) ittapras	-

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

٢. ان صيغة الفعل الماضي من الصيغة الثانوية الثانية من الصيغة البسيطة Gtn تتطابق مع المضارع من الحالة الثانوية الأولى Gt :

المضارع	الماضي
(Gtn) iptarras	(Gt) iptarras

٣. يلاحظ أنّ جميع الصيغ الفعلية من الصيغتين الثانية والثالثة تشترك صرفياً عند صياغتهما من الصيغ الثانوية باستثناء الفعل في الزمن المضارع إذ يحتفظ بحرف النون n، وكما يأتي :

الزمن	Dt	Dtn	Št/ Št ₂	Štn
الماضي	uptarris	Uptarris	uštapis	Uštapis
التام	uptatarris	uptatarris	uštatapris	Uštatapris
الأمر	putarris	Putarris	šutapis	Šutapis
الحالة المستمرة	Putarrus	putarrus	šutaprus	Šutaprus
أسم الفاعل	muptarrisum	muptarrisum	Taprisšmu	Taprisšmu

وتشير كتب النحو الأكدي إلى أنّ التمييز بين الصيغ المشتركة صرفياً يكون عن طريق السياق النحوي مع ملاحظة ان الصيغ الثانوية نادرة الاستعمال^(١٢٦).

الاستنتاجات

لقد خلّصَ البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها هي:

- ١- أنّ الاشتراك الصرفي واللفظي واقع في اللغة الأكديّة، والصيغ المشتركة كثيرة وقد جاء في باب الأفعال والأسماء .
- ٢- تتجلى أهمية السياق في اللغة الأكديّة في أنه يُسهم بدور كبير في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة، فعلى مستوى المفردات يساعد السياق على تحديد معاني الكلمات ولاسيما المشترك اللفظي والصرفي.
- ٣- يَظْهَرُ أثر السياق على المستوى الصرفي في اللغة الأكديّة في أنه يظهر دلالة الصيغ المتفكّقة لفظاً والمختلفة في معانيها، فيحدد لنا المعنى المقصود من الصيغة في اللغة الأكديّة.

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

- ٤- بينت الدراسة أن لبعض الظواهر الصرفية في اللغة الأكديّة أثر في حدوث المشترك اللفظي والصرفي منها الإعلال والحذف والإدغام والتشابه الوضعي والإسناد إلى الضمائر.
- ٥- إن صور المشترك اللفظي المبني على قوانين الإعلال تغلب في الأفعال.
- ٦- بينت الدراسة أنّ اللغة الأكديّة قد عرفت عدة أنواع من صيغ الاشتراك اللفظي والصرفي منها الاشتراك المبني على تأثير قوانين الإعلال والاشتراك البنيوي والاشتراك الصوتي والاشتراك المبني على التشابه الوضعي.
- ٧- بيّنت الدراسة الاشتراك المبني على التشابه الوضعي في الأكديّة كان كبيراً فقد ظهر لدينا ما يقرب من ٢٩ صيغة من الفعل الثلاثي الصحيح والمزيد مشتركة صرفياً وقد بيّنا ذلك في متن البحث.
- ٨- أظهرت الدراسة أن الأكديّة قد عرفت الاشتراك المبني على الاعلال على نطاق واسع وقد بيّنا ذلك في متن البحث.
- الحواشي السفلية:

- ١ (ابن فارس ،أبي الحسن أحمد أبين فارس بن زكريا، مجمل اللغة ،داراحياء التراث العربي،ص٣٢٥
- ٢ (ابن منظور، لسان العرب ،مادة (سوق) ص ٢١٥٤
- ٣ (ابن منظور، لسان العرب ،مادة (سوق) ص ٢١٥٤، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،ج٣،ص ١١٧.
- ٤ (المعجم الوسيط، ص ٤٨٣
- ٥ (الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، لبنان ١٩٩٨، ط١، ج١، ص ٤٨٤.
- ٦ (علي، ياسر عتيق محمد، الدلالة السياقية ونظائرها عند الأصوليين وأهميتها في فهم مقصود الخطاب، مجلة الدراسات الاجتماعية، ع٣٥، ٢٠١٢، ص ٢٩٢.
- ٧ (الطليحي، ردة الله، دلالة السياق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ، م١، ص ٤٠ ؛ كذلك ينظر: لحمادي، فطومة، السياق والنص- استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصّي، الجزائر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني والثالث ، ٢٠٠٨، ص ٤
- ٨ (مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، بيروت ، ١٩٩٥، ص ٦١.
- ٩ (علي، مروة عباس حسن، أثر السياق في دلالة الصيغة الصرفية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة ديالى ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٣، ص ١٥-١٦.

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكاديمية

- ^{١٠} (محاميدة، سميحة، دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة خيضر بسكرة، ٢٠١٣، ص ١٢-١٣)
- ^{١١} (علي، مروة عباس حسن، مصدر سابق، ص ١٧-٢٠ .
- ^{١٢} (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص ٣٢١ .
- ^{١٣} (ابن منظور، لسان العرب، مادة (صوغ) ، ص ٢٥٢٧
- ^{١٤} (علي، ناصر حسين، الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة اشتقاقاً ودلالةً دمشق، ١٩٨٩، ص ٨٨؛ علي، مروة عباس حسن، مصدر سابق، ص ٢٥ .
- ^{١٥} (الاسترياذي، شرح شافية ابن الحاجب، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص ٢-٣ .
- ^{١٦} (السيوطي، عبد الحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة، المكتبة العصرية، بيروت، دت، ج١، ص ٣٦٩ .
- ^{١٧} (محمد، ضياء الدين فهمي، أثر السياق في البنية الصرفية المصادر والمشتقات نموذجاً، ص ٢٩٦٧ .
- ^{١٨} (الزهراني، عبد العزيز بن سعيد مجحود، اشتراك الصيغ الصرفية في العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٢٠، ص ٢٠ .
- ^{١٩} (ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، دت، ص ٢٢٤٨-٢٢٤٩ عبد الله، ياسر رجب، المشترك اللغوي باتفاق المباني وافتراق المعاني في كتاب الترجمان عن غريب القرآن / لليمانى (ت ٧٣٤هـ) جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنوفية، دت، ص ١٧ .
- ^{٢٠} (السيوطي، عبد الحمن جلال الدين، المصدر نفسه .
- ^{٢١} (السيوطي، عبد الحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة، المكتبة العصرية، بيروت، دت، ج١، ص ٣٦٩ .
- ^{٢٢} (ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، دت، ص ٢٢٤٨-٢٢٤٩ .
- ^{٢٣} (الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، ١٩٨٧، ص ٣٠٢؛ كذلك ينظر:
- ^{٢٤} (عبد الله، ياسر رجب، مصدر سابق، ص ١٧ .
- ^{٢٥} (المصدر السابق، ص ٣١-٣٣ .
- ^{٢٦} (المصدر نفسه؛ الزهراني، عبد العزيز بن سعيد مجحود، اشتراك الصيغ الصرفية في العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٢٠، ص ١٦٦-١٩٨ .
- ^{٢٧} (السيوطي، عبد الحمن جلال الدين، المصدر نفسه .
- ^{٢٨} (وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، القاهرة، ٢٠٠٤، ط٣، ص ١٤٥ .

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

^{٢٩}) على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، ١٩٩٩، ص٢٦٣.

^{٣٠}) الروم : ٥٥

^{٣١}) المصدر نفسه.

^{٣٢}) مبارك، مبارك، معجم المصطلحات اللسانية، بيروت ١٩٩٥، ص١٣٢.

^{٣٣}) محمد، ضياء الدين فهمي، مصدر سابق، ص٢٩٦.

^{٣٤}) عمر، احمد مختار، من قضايا اللغة والنحو، الكويت ١٩٧٤، ص٣١-٣٤.

^{٣٥}) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكديّة-العربية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ٢٠١٠، ص٢٢١

CAD,I,p.153 ؛

^{٣٦}) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكديّة-العربية، ص٢١٢.

^{٣٧}) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكديّة-العربية، ص٤٩٤.

^{٣٨}) CAD,R,p.280.

^{٣٩}) CAD,R,p.279.

^{٤٠}) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الأكديّة-العربية، ص٤٠. CAD,A1,p300.

^{٤١}) CH:22.

^{٤٢}) CAD,H,p11.

^{٤٣}) CAD,B,p,85.

^{٤٤}) CAD,B,p,91.

^{٤٥}) CAD,h,p,62.

^{٤٦}) CAD,h,p,64.

^{٤٧}) CAD,h,p,63.

^{٤٨}) للمزيد من التفصيل حول حركة عين الفعل يُنظر : أمين، أمين عبد النافع، حركة 2. CAD, s,p,2. عين الفعل في اللغات العاربة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ٢٠٢٠.

^{٤٩}) CAD,s,p,4.

^{٥٠}) الزهراني ، عبد العزيز بن سعيد مجهود، مصدر سابق، ص٢٢.

^{٥١}) GAKK,p.616.

^{٥٢}) CAD,A2, p.18.

^{٥٣}) CAD,A2, p.18.

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

^{٥٤} (الزهراني ، عبد العزيز بن سعيد مجحود، مصدر سابق، ص ١٨٣.

⁵⁵) IAKK,p. 26

⁵⁶) OAKK, p. 157.AKKV,p.50.

⁵⁷) GAKK, p.601.

⁵⁸)SAA,4, 3:125.

⁵⁹)SAA,4,1:15

⁶⁰) SAA,4, 3:47.

⁶¹) CAD,N,p,172.

^{٦٢} (النّوبة:١٠٣

^{٦٣} (الزهراني ، عبد العزيز بن سعيد مجحود، مصدر سابق،ص ١٩٩.

^{٦٤} (الغاشية: ١١

^{٦٥} (عرار ،مهدي،المشترك الصرفي في القرآن الكريم: دراسة دلالية استشرافية ، مجلة الدراسات القرآنية،

المجلد ١١،العدد١،ص٢٥.

^{٦٦} (الزهراني ، عبد العزيز بن سعيد مجحود،مصدر سابق، ص ١٨٤-١٨٥.

^{٦٧} (حسان، تمام، الخلاصة النحوية،ط١، عالم الكتب،ص٢١.

⁶⁸) GAKK, p.107.

⁶⁹) CAD,E,p.267.

⁷⁰) CAD,E,p.260.

⁷¹) CAD,E,p.264.

^{١6}) GAKK, p. 78;132,AHB,p56. MAKK,p10

⁷³) CAD,K, p.63.

⁷⁴) CAD,P, p366.

⁷⁵) CAD,P, p,374.

⁷⁶) CAD,AI ,p,212.

¹⁷) GAKK, p.122.

⁷⁸) GAKK,p,255,

^{٧٩} (مبارك، مبارك، مصدر سابق، ص ٦٣.

⁸⁰) GAKK,p,255

⁸¹) GAKK,p,255,

⁸²) GAKK, p.283

⁸³) CAD,i- J,p.290.

⁸⁴) CAD,i- J,p.290.

⁸⁵) لاينز، جون، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة واخرون، كلية الآداب جامعة البصرة، ١٩٨٠، ص١٦؛ مبارك، مبارك، مصدر سابق، ص٣٠؛ مبارك، مبارك، معجم المصطلحات اللسانية، بيروت ١٩٩٥، ص١٣٢.

⁸⁶) عكاوي، إنعام فوّال، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٩٦، ٢، ص٥١٩.

⁸⁷) GAKK,p,271,616

⁸⁸) GAKK,p,271,AHB,p70-71

⁸⁹) CAD, A,II,225.

⁹⁰) GAKK,p,155-156,

⁹¹) GAKK, p.390.

⁹²) LE,13:42.

⁹³) CAD,S, p.34.

⁹⁴) GAKK, p.409.

⁹⁵) CAD,M1,p.81.

⁹⁶) CAD,M1,p.82.

⁹⁷) GAKK,p,393; 424;434; IAKK,p,40;45;46.

⁹⁸) CAD,M1,p35.

⁹⁹) CAD,M1,p.73.

¹⁰⁰) كابس، ريتشارد ، المقدمة التمهيدية للغة الأكديّة، ترجمة عبد الرحمن دركزلي، حلب ١٩٩٥، ص٤٦.

¹⁰¹) CAD,M1,p.81.

¹⁰²) CAD,M1,p.276.

¹⁰³) GAKK, p.393.

¹⁰⁴) GAKK,p,450,

¹⁰⁵) CAD,k,p.113.

السياق النحوي وأثره في تحديد معاني المشترك اللفظي والصرفي في اللغة الأكديّة

- ¹⁰⁶) GAKK, p.424,
¹⁰⁷) كابلس، ريتشارد، المقدمة التمهيدية للغة الأكديّة، ترجمة عبد الرحمن دركزلي، حلب دت، ص ٧١.
- ¹⁰⁸) CH:363:96.
- ¹⁰⁹) CDA,p.101, GAKK, p.423.
- ¹¹⁰) CDA,P ,p.32
- ¹¹¹) GAKK,p,436,14-
- ¹¹²) CAD,M,p.42.
- ¹¹³) CAD,M,p.70.
- ¹¹⁴) CAD,M1,p68.
- ¹¹⁵) CH: 145:42.
- ¹¹⁶) CAD, M,p.84.
- ¹¹⁷) GAKK,p,433,
- ¹¹⁸) CAD,M1,p. 42.
- ¹¹⁹) CAD,M1,p.84.
- ¹²⁰) GAKK,p,409,423-24,
- ¹²¹) GAKK,p,624,392,424.
- ¹²²) أمين، أمين عبد النافع، أسم الفاعل بين الأسمية والفعلية: دراسة مقارنة في ضوء GAKK,p,197; الفصحى واللغات العاربية، مجلة آداب الرافدين، ع١٠٢٠١٠٦، ص٤٨٧.
- ¹²³) CAD,M1,p.76.
- ¹²⁴) CAD,M1,p.74.
- ¹²⁵) هناك صيغتان للفعل المضارع من هذه الصيغة الأولى معجمية والثانية مبنية للمجهول.
- ¹²⁶) GAKK , p . 390 .

موقف صحيفة الأهرام من مؤتمر الطائف ١٩٨٩

د. زينب خالد حسين

Dr. Zainab Khalid Hassain

Email:Dr-Zainabkhalid@yahoo.com

جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

موقف صحيفة الأهرام من مؤتمر الطائف ١٩٨٩

د. زينب خالد حسين

المستخلص:

تناول البحث موقف صحيفة الأهرام من مؤتمر الطائف ١٩٨٩ الذي كُرس لوضع حل للقضية اللبنانية وانهاء الصراع الطائفي فيها وذلك بدعوة النواب اللبنانيين للمؤتمر في الطائف بالمملكة العربية السعودية وبإشراف اللجنة الثلاثية التي يمثلها وزراء خارجية الجزائر والمغرب فضلاً عن وزير خارجية الدولة المضيفة وبحضور شخصيات سياسية عربية ولبنانية مثلت كل طوائف المجتمع اللبناني وبعد نقاشات وجهود مضيئة استمرت لمدة ٢٣ يوماً توصل المؤتمر إلى توقيع وثيقة الوفاق الوطني في الخامس من تشرين الثاني ١٩٨٩ ومن ثم المصادقة عليها في مطار القليعات شمال لبنان في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٨٩ وبالتالي اوجد جواً سياسياً ايجابياً لانتخاب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيساً للوزراء، وازاء هذه الفعاليات فقد غطت صحيفة الأهرام وبحيادية كل ما جرى للاعداد وجلسات المؤتمر في كلاً من المملكة العربية السعودية ولبنان وأدت دوراً ريادياً في تفاعل الشعوب العربية مع هذا الحدث الأبرز:

الكلمات المفتاحية: صحيفة الأهرام، مؤتمر الطائف، وثيقة الوفاق الوطني، دوراً، القضية اللبنانية.

Abstract

Abstract. The research dealt with Al-Ahram newspaper's position on the Taif Conference in 1989, which was devoted to finding a solution to the Lebanese issue and ending the sectarian conflict in it by inviting the Lebanese deputies to the conference in Taif in the Kingdom of Saudi Arabia and under the supervision of the tripartite committee represented by the foreign ministers of Algeria and Morocco as well as the Minister of Foreign Affairs of the host country in the presence of Arab and Lebanese political figures All sects of Lebanese society were represented. After strenuous discussions and efforts that lasted for 23 days, the conference led to the signing of the National Accord Document on November 5, 1986, and its ratification at Qleiaat Airport in northern Lebanon on November 13,

1989, and thus creating a positive political atmosphere for the election of the President of the Republic and the President As for these events, Al-Ahram newspaper impartially covered everything that happened to the numbers and conference sessions in both the Kingdom of Saudi Arabia and Lebanon, and played a pioneering role in the people's interaction with this most prominent event. . Keywords: Al-Ahram newspaper, the Taif Conference, the National Accord Document, performance, the Lebanese cause.

المقدمة:

تُعد صحيفة الأهرام واحدة من أقدم الصحف التي تصدر في البلاد العربية وحظيت بمتابعة الملايين من العرب والاجانب ولاسيما المهتمين بالشأن الثقافي وكانت تغطي الاحداث والفعاليات المختلفة بحيادية، ومن الأهمية بمكان ان نبرز موقفها من مؤتمر الطائف ١٩٨٩ الذي عُدَّ من المؤتمرات التي وضعت الأسس الصحيحة لمجرى العملية السياسية في لبنان، من هنا جاءت فكرة البحث في هذا الموضوع، إذ سلط الضوء على الجهود التي بذلتها اللجنة الثلاثية المنبثقة عن مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الدار البيضاء في ايار ١٩٨٩ وبالتالي كانت مكملة لعمل لجان أخرى حاولت درء الصدع الذي حدث بين الطوائف اللبنانية ابان الحرب الأهلية اللبنانية ومحاولة المؤتمر التوصل إلى حل سياسي من شأنه انهاء الحرب الأهلية اللبنانية، وبجهود مميزة من المملكة العربية السعودية الراعية للمؤتمر تمكنت من تهيئة الأجواء المناسبة للنواب اللبنانيين لتوقيع وثيقة الوفاق الوطني وبالتالي إعادة العملية السياسية في لبنان إلى وضعها الطبيعي.

ولتغطية الموضوع وجبَّ عليّ تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة عكست نتائجها الجهد المبذول لاعداد البحث ... عسى اكون قد وفقت فيما سعيت ومن الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول

الجهود العربية والدولية ازاء الأزمة اللبنانية عشية انعقاد مؤتمر الطائف

واكبت صحيفة الأهرام {الأهرام، العدد ٣٧٥٧ في ١٥ آب ١٩٨٩}؛ {ليث بدر يوسف محمد الراوي، ٢٠٠٥، ص ٩٨}؛ {رياض صيداوي، ٢٠٠٠، ص ٥١} الاحداث المؤلمة في

لبنان والتي استمرت نحو خمسة عشر عاماً، بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٨٩ والتي عدت واحدة من أطول الحروب الأهلية التي شهدتها المنطقة العربية في التاريخ المعاصر، وقد تباينت الآراء واختلفت حول بداية الصراع وحول الأسباب التي أدت إلى نشوب هذه الحرب ما بين عوامل داخلية وأقليمية ودولية، أتى في مقدمتها ما جاء به الانتداب الفرنسي من قوانين ودساتير كرست لضرب الوحدة الوطنية اللبنانية برسم المعالم السياسية من خلال اسناد رئاسة الجمهورية (للمسيحيين) عموماً (والموارنة) خاصة، ومنحت رئاسة الوزراء (للمسلمين السنة)، واسندت رئاسة مجلس النواب (للمسلمين الشيعة) {فوزية طرشي، ٢٠١٤، ص ٢٠}؛ {زين العابدين شمس الدين نجم، ٢٠١١، ص ٢٢٥}.

بيد ان السبب المباشر لاندلاع الحرب الأهلية اللبنانية كان يكمن في حادثتين أولهما: الاشتباك الذي وقع في صيدا بين متظاهرين من الصيادين احتجاجاً على تأسيس شركة بروتين مع قوات الجيش اللبناني مما أدى إلى وقوع عدد من القتلى والجرحى وتطورت إلى اشتباكات بين الفدائيين الفلسطينيين والجيش اللبناني، وثانيهما: محاولة اغتيال بيار الجميل {عارف عبد الحسين عباس الفتلاوي، ٢٠١٤، ص ٩٠} رئيس حزب الكتائب في الثالث عشر من نيسان ١٩٧٥ بعد ان اطلق مجهولين النار عليه لكنه نجى من محاولة الاغتيال، وعلى اثرها قام عناصر من حزب الكتائب بأرتكاب مجزرة ضد الفلسطينيين بعد تصديهم لباص يحمل أعضاء في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مما أدى إلى مقتل ٢٧ فلسطينياً فسميت هذه الحادثة بحادثة (عين الرمانة) وسرعان ما اندلعت الاشتباكات بين الجانب الفلسطيني وميليشيات الكتائب في انحاء المدينة {وهيب أبي فاضل، ٢٠٠٨، ص ٣٦٩}.

استمرت الحرب الأهلية في لبنان دون التمكن من إيجاد حل شامل يرضي اطراف النزاع بعد أن نحت منحاً طائفياً مريراً على الرغم من المبادرات والمؤتمرات الدولية والاقليمية والعربية، بيد ان تحولاً واضحاً طرأ على الساحة اللبنانية في نهاية عام ١٩٨٨ وبداية عام ١٩٨٩ إثر تحرك دولي سعت اليه الولايات المتحدة الأمريكية بعد ان رمت بثقلها خلف الدول العربية المعتدلة لايجاد حل نهائي مقبول من سوريا ورفقاء الحرب اللبنانيين {فايز قزي، ٢٠٠٣، ص ١٩٥}؛ {عبد الرؤوف سنو، ٢٠٠٨، ص ٧٤٢}.

تألفت لجنة سداسية عربية انبثقت عن مجلس جامعة الدول العربية، الذي عقد في الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٨٩ في تونس والذي كان على مستوى وزراء خارجية الدول العربية

وكان على جدول اعمالها بند أساسي هو القضية اللبنانية {مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥، ص ٢٤-٢٥}.

حققت اللجنة السداسية تقدماً ملموساً في عملها ولاسيما فيما يتعلق بوضع هدنة ووقف الاقتتال في العاشر من آيار ١٩٨٩ وتوقف القتال نوعاً ما على الرغم من حدوث خروقات متكررة لعل من اهمها الانفجار الضخم بسيارة مفخخة استهدفت مفتي الجمهورية حسن خالد {عبد الوهاب الكيالي وآخرون، د. ت، ص ٥٣٥-٥٣٦} في اثناء اداء مهمته لوأد الفتنة الطائفية وتهدة الأوضاع في لبنان فأردته قتيلاً في السادس عشر من آيار ١٩٨٩ {شادي خليل أبو عيسى، ٢٠٠٩، ص ٦٥}.

ازاء هذه الاحداث المتفاقمة والتي عبرت عن اخفاق مساعي اللجنة الوزارية السداسية في التوصل لصيغة وفاق بين الأطراف المتصارعة رافقت رغبة دولية حول ضرورة انهاء هذه الأزمة، فقد تعززت فكرة رفع مستوى المبادرة العربية لتتماشى مع خطورة الموقف في لبنان، فعقد مؤتمر قمة غير عادي في مدينة الدار البيضاء بين الثالث والعشرين والسادس والعشرين من آيار ١٩٨٩ على مستوى وزراء الخارجية في اليومين الأوليين والقادة في اليومين الاخيرين تكلم أولاً بعودة مصر إلى جامعة الدول العربية بناءً على رغبة خليجية وفي مقدمتهم المملكة العربية السعودية دون حضور ممثل عن لبنان للمؤتمر {الأهرام، العدد ٣٧٤٢٠، في ٢٧ آيار ١٩٨٩}؛ {احسان حلاق، ٢٠١٠، ص ٧٨}.

تمخضت القمة العربية عن مقررات كان ابرزها تشكيل لجنة ثلاثية عربية عليا ومقرها مدينة جدة لتحل محل اللجنة السداسية وتألفت من الملك فهد بن عبد العزيز {عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ١٩٧٤، ص ٦١١} وملك المغرب الحسن الثاني {عبد الوهاب الكيالي وآخرون، د. ت، ص ٥٣٣} والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد {عبد الوهاب الكيالي وآخرون، د. ت، ص ٤٢٦}.

عقدت اللجنة الثلاثية العربية أول اجتماعاتها في الرباط عاصمة المغرب في الرابع من حزيران ١٩٨٩ ووضعت خطة عمل واسعة على الصعيدين الأمني والسياسي، ودعت إلى وقف فوري لكل أعمال العنف والحصارات وفتح المعابر {حسن أبو طالب، ١٩٨٩، ص ٤٣} وتمحورت مهمة اللجنة على جمع الأطراف المعنية في لبنان بهدف توفير المناخ الملائم لدعوة أعضاء

مجلس النواب اللبناني لأقرار ومناقشة وثيقة الإصلاحات السياسية والتي عدت أساساً للحوار والوفاق الوطني {بطرس بطرس غالي، ١٩٩١، ص ٢٥١-٢٥٢}، ومساندة الشرعية اللبنانية القائمة على الوفاق، وتعزيز جهود لبنان لانتهاء الاحتلال "الإسرائيلي" وبسط سلطة الدولة كاملة على كافة التراب اللبناني بهدف حماية أمنها واستقرارها بقواها الذاتية تمهيداً لاعادة اعمار لبنان وتمكينه من استئناف دوره الطبيعي ضمن الأسرة العربية {عبد السلام محمد السعدي، ٢٠١١، ص ٢١٧}.

اصطدمت اللجنة الثلاثية بتعنت سوري وتدخلات أخرى امريكية وسوفيتية لصالح هذا الطرف أو ذاك حالت كلها دون توصل اللجنة إلى اية نتيجة ايجابية، لذا أعلنت بوصولها إلى طريق مسدود في الحادي والثلاثين من تموز ١٩٨٩ وعلقت اعمالها واتهمت سوريا بعرقلة دبلوماسية السلام وحملتها مسؤولية اخفاق وساطتها {دار الكتب والوثائق ببغداد، رقم الملف ١١٤/٢٣٤، رقم الوثيقة ٣٣، ص ٢}.

اغتاظت أغلب الدول الكبرى ما حلّ بعمل اللجنة الثلاثية ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا ودول مجلس الامن الأخرى، إذ أبلغت الولايات المتحدة اللجنة الثلاثية بأن تسترضي سوريا من جديد خشية تدهور الأوضاع في لبنان، الذي حصل بالفعل ولاسيما ما جرى في سوق الغرب في (الثامن عشر من آب ١٩٨٩) الذي نفذه عناصر الحزب التقدمي الاشتراكي المدعوم من سوريا لايقال رسالة اللجنة الثلاثية بعدم تجاهل سوريا في اتخاذ اية صيغة حل للقضية اللبنانية {الأهرام، العدد ٣٧٥٤٣ في ٢٢ أيلول ١٩٨٩}؛ {ثيودور هاتف، ١٩٩٣، ص ١٠٩}.

ازاء ذلك وبضغط دولي عاودت اللجنة الثلاثية عملها وبدأت أولى خطوات التفاهم بين اللجنة الثلاثية وسوريا في الأول من ايلول ١٩٨٩ بعد اللقاء بين الشاذلي بن جديد والرئيس السوري حافظ الاسد {عبد الوهاب الكيالي وآخرون، د.ت، ص ١٥١}؛ {الأهرام، العدد ٣٧٥٢٣ في ٢ أيلول ١٩٨٩} الذي قرب وجهات النظر بين اللجنة الثلاثية وسوريا {الأهرام، العدد ٣٧٥٢٤ في ٣ أيلول ١٩٨٩}؛ {سعيد سلمان، ١٩٩٠، ص ١٢-١٣}.

واصلت اللجنة الثلاثية العربية جهودها على الرغم من العقبات التي اعترضتها وأجرت تعديلاً على مشروع الوثيقة المقترحة لانتهاء الأفتتال في لبنان فاستبدلت النص القديم " تقوم القوات

السورية في مدة أقصاها ستة أشهر، تتجمع خلالها القوات السورية وتتمركز في منطقة البقاع " بنص جديد تقوم القوات السورية مشكورة بمساعدة القوات الشرعية اللبنانية لبطط سلطة الدولة اللبنانية في فترة زمنية اقصاها سنتين " {الأهرام، العدد ٣٧٥٣٨ في ١٧ أيلول ١٩٨٩}؛ {البيير منصور، ١٩٩٣، ص ٢٩}.

اصدرت اللجنة الثلاثية العربية في السابع والعشرين من ايلول ١٩٨٩ من جدة بياناً عرف ببيان النقاط السبع الذي اعاد رسم الحل العربي وكان ذلك ايداناً بالسلام في لبنان {عبد السلام متعب عيدان الربيعي، ٢٠١٥، ص ٣٤٦}.

أختيرت مدينة الطائف مكاناً لاجتماع النواب اللبنانيين وبحث مسألة الاصلاحات في لبنان، وكان وراء ذلك أسباب جوهريه اولها ابعاد النواب عن الأجواء اللبنانية والضغط عليهم من مختلف الأطراف هناك فضلاً عن الاعتبارات الأمنية والتأكيد على دور المملكة العربية السعودية كراعية للوافق اللبناني، فضلاً عن التحكم بوسائل الاعلام ومساها اثناء انعقاد المؤتمر {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٠ في ٢٩ أيلول ١٩٨٩}.

أما النواب اللبنانيين فقد رأوا ان المملكة العربية السعودية هي الأصلح كونها أقرب جغرافيا وادارة المؤتمر تكون اسهل فضلاً عن دور المملكة الذي كان دوراً مركزياً ومتواصلأ في اثناء الأزمة اللبنانية إلى جانب الثقة التي كانت تتمتع بها المملكة كوسيط في النزاعات العربية {البيير منصور، ١٩٩٣، ص ٢٩}.

تابعت صحيفة الأهرام بعددها الصادر في التاسع والعشرين من ايلول ١٩٨٩ موافقة النواب اللبنانيون الذين يقيمون في القطاع الشرقي من بيروت وهم (٢١) نائباً مسيحياً و(٣) من النواب المسلمين على الاشتراك في اجتماع النواب اللبنانيين المقرر عقده في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية بدعوة من اللجنة الثلاثية العربية إذ كرسوا مطالبهم على انسحاب القوات السورية من لبنان أو وضع جدول زمني لأنسحابها وبالتالي موافقتهم على مشروع الوفاق الوطني الذي وضعتة اللجنة الثلاثية العربية، والذي نص على " تشكيل حكومة لبنانية جديدة وانتخاب رئيس الدولة قبل إعادة انتشار القوات السورية في شرقي لبنان {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٠ في ٢٩ أيلول ١٩٨٩}.

وبدا واضحاً رغبة أغلب الأطراف اللبنانية المتصارعة على الساحة اللبنانية في التوصل لحل منصف يضمن للجميع حقوقهم السياسية أولاً ومن ثم ضمان الحقوق الأخرى لضمان الاستقرار والأمن على الساحة اللبنانية والأبتعاد عن الدعوات المشبوهة المتمثلة بالأجندات الخارجية ولاسيما التي تتضمن في فحواها جنبة طائفية مقيتة، فضلاً عن قناعة الوطنيين اللبنانيين بأن الصراع لن ينتهي الا بدعم عربي أولاً ودعم دولي ثانياً.

المبحث الثاني

مؤتمر الطائف ١٩٨٩

وصل إلى مدينة الطائف في التاسع والعشرين من ايلول ١٩٨٩ ثلاثة وستون نائباً لبنانياً من اصل ٧٣ وهو العدد المتبقي من مجلس النواب الذي كان مؤلفاً من ٩٩ نائباً، إذ كان بعضهم في المنفى وتغيب احدى عشر نائباً ثمانية منهم لأسباب سياسية وثلاثة قاطعوا المؤتمر {الأهرام، العدد ٣٧٥٥١ في ٣٠ أيلول ١٩٨٩}.

أظهر ذلك العدد ان أغلب النواب اللبنانيون كانوا متحمسين لايجاد حل يحقق التوافق الوطني لإنهاء الحرب الأهلية في لبنان واعادة اعمارها بدعم غربي ودولي على الرغم من التأثيرات التي احيطت بهم قبل وبعد توجههم إلى المملكة العربية السعودية آخرها الاجتماع الذي عقده رفيق الحريري مع النواب المغادرين الـ ٦٣ نائباً عشية سفرهم إلى المملكة العربية السعودية، بيد ان ما كان ينتظرهم في الطائف أكبر بكثير من التأثيرات الفئوية التي ما فتئت ان تسود المشهد السياسي اللبناني.

افتتح الأمير سعود الفيصل {عبد الوهاب الكيالي وآخرون، د.ت، ص ١٦٩} اعمال مؤتمر الطائف في الثلاثين من ايلول ١٩٨٩ نيابة عن الملك فهد بن عبد العزيز تحت شعار " القتل ممنوع " ، إذ ناشد الأمير سعود الفيصل المؤتمرين بأسم اللجنة الثلاثية العربية " أملنا أن يتحقق على ايديكم ما نصبوا اليه جميعاً وهو إعادة السلام والوئام إلى لبنان الشقيق" ... أن الآوان إلى الانتقال من التراشق بالمدافع والتهم إلى التسابق إلى صناعة السلام بالحكمة والصبر {سعيد سلمان، ١٩٩٠، ص ٢٧-٢٩}؛ {الأهرام، العدد ٣٧٥٥١ في ٣٠ أيلول ١٩٨٩}، وحضر المؤتمر (٦٣) نائباً من اصل (٧٣) نائباً لبنانياً لبحث مشروع الوفاق الوطني اللبناني في اطار المرحلة الثانية من خطة السلام في لبنان برعاية المملكة العربية السعودية واللجنة الثلاثية العربية،

إذ عدت هذه الجولة هي المرة الأولى التي يجتمع نواب لبنان خارج بلادهم . وصرح حسين الحسيني {Wikipedra ... https//m facebook com org. 2021/12/21} رئيس مجلس النواب قائلاً " لسنا هنا لنأخذ من فئة ونعطي فئة بل لنأخذ من كل الفئات لنعطي دولة واحدة لكل اللبنانيين " ، وقال الحسيني " انه ليس هناك وقت محدد لانتهاء اجتماعات الطائف إذ ان الهدف هو التوصل إلى نتيجة بصرف النظر عن الوقت الذي تستغرقه الجلسات" وأشار إلى ان اجتماع الطائف سيركز على بحث أربع نقاط أساسية هي موضع الخلاف بين النواب اللبنانيين وهي: سلطات الرئيس اللبناني وتحديد موعد لأنهاء الطائفية السياسية وتحديد جدول زمني لأنسحاب القوات السورية التي تحتل ثلثي أراضي لبنان إلى وادي البقاع الشرقي ثم تحديد طبيعة العلاقة بين لبنان وسوريا، وفي نهاية الجلسة الافتتاحية وزعت على النواب نسخة من وثيقة الوفاق الوطني المطروحة للنقاش بأسم اللجنة العربية الثلاثية {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٢ في ١ تشرين الأول ١٩٨٩}.

باشر مجلس النواب اللبناني في الأول من تشرين الأول ١٩٨٩ بدراسة مشروع وثيقة الوفاق الوطني في أول جلساته بعد الجلسة الافتتاحية وانقسم النواب في الطائف إلى عدة محاور سياسية وكانت تحسم لحظة وصولها إلى رئيس المجلس حسين الحسيني الذي أدى دوراً كبيراً في التوصل إلى صيغة مقبولة بين الآراء {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٣ في ٢ تشرين الأول ١٩٨٩} إذ تحدث في الجلسة المذكورة عشرة نواب لبنانيون من أصل (٦٣) نائباً، وعلى الرغم من الاختلاف في وجهات النظر إلا أن الجميع تحدثوا بمبادئ أساسية تهتم الوطن واتخذوا قراراً بالاستمرار في طرح افكارهم بعيداً عن مسمع ومرأى الصحفيين، إذ ساد ذلك الاجتماع السرية التامة وما تسرب هو فقط يتعلق بنقاشات مشروع الوفاق الوطني، رافق ذلك نشاط سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي الذي صرح بأن اللجنة الثلاثية العربية قد حصلت على ضمانات دولية لتطبيق انسحاب القوات " الاسرائيلية " من لبنان {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٣ في ٢ تشرين الأول ١٩٨٩}، فضلاً عن تطبيق قرارات مجلس الامن الدولي ولاسيما القرار (٤٢٥) واتفاق الهدنة الموقع بين لبنان " واسرائيل " عام ١٩٧٨ (الأهرام، العدد ٣٧٥٥٤ في ٣ تشرين الأول ١٩٨٩) واهم هذه الضمانات تعهد الرئيس الأمريكي جورج بوش (الأب) Georg Push } Encyclopedia of {nationalism, 2001, P.536} فيما بعد بتحقيق الانسحاب " الاسرائيلي " من جنوب لبنان خلال مدة اقصاها ثلاثة اشهر {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٤ في ٣ تشرين الأول ١٩٨٩}.

تزامن هذا الحدث التاريخي المهم مع تصدعات في الجبهة اللبنانية إذ زار وليد جنبلاط {عدنان محسن ظاهر ورياض الغمام، ٢٠٠٨، ص ١٠٣-١٠٤} زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي في لبنان ونبيه بري {<https://ar.m.wikipedia.org/2022/2/7>} زعيم حركة أمل زارا طهران لاجراء مباحثات بشأن الأزمة اللبنانية على خلاف ما صرحت به اللجنة الثلاثية العربية حول تكاتف الجميع لاقرار وفاق بجمع كل الأطراف اللبنانية، والادهى من ذلك ان نبيه بري ووليد جنبلاط صرحوا من هناك ان مشروع الإصلاح السياسي المقترح في لبنان لايلبي مطالب المسلمين اللبنانيين وانه يتضمن امتيازات طائفية تكرر لتقسيم لبنان واعلنوا بأن القوى الإسلامية الوطنية على حد وصفهم لاتقبل خطه الإصلاح المقترحة {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٤ في ٣ تشرين الأول ١٩٨٩}.

يبدو ان الدول الإقليمية كانت على تماس مع التشرذم الطائفي في لبنان وحاولت عرقلة الجهود الرامية لتحقيق الاصلاحات السياسية واعادة لبنان إلى وضعه الطبيعي مثلما كان قبل اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، بيد ان ما حققته اللجنة الثلاثية العربية وبأسناد دولي كبير أطاحة بكل مخططاتها وبيددت آمالها الداعية إلى استمرار التوتر على الساحة اللبنانية من خلال استقطاب اتباعها من مختلف الاطياف اللبنانية والأملاء عليهم بذرائع التقسيم وغيرها.

فُسِمَ النواب اللبنانيين الموجودين في الطائف إلى مجموعات متعددة شددت على المواد والقضايا التي تعنيها مباشرة، فالمجموعة المسيحية دافعت عن صلاحيات رئيس الجمهورية تمثلت بالنواب جورج سعادة، بطرس حرب، عن الموارنة المستقلين أما مجموعة النواب السنة أكدت على صلاحيات رئيس مجلس الوزراء تمثلت بالرئيس صائب سلام ونزيه البرزي وجميل كيني، وركزت مجموعة النواب الشيعة على صلاحيات رئيس مجلس النواب وتمثلت بـ حسين الحسيني وعادل عسيران وعلي خليل في حين مثل جبهة الأحزاب الوطنية زاهر الخطيب، توفيق عساف أما ما تبقى من النواب فقد كان همهم للوصول إلى صيغة تعديلات دستورية معتدلة ومقبولة تؤمن المساواة بين المواطنين وتحفظ سيادة الدولة وتنتهي الاعمال الحربية {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٦ في ٥ تشرين الأول ١٩٨٩}؛ {البيير منصور، ١٩٩٣، ص ٢٠-٢١}.

ازاء ذلك دأب الأمير سعود الفيصل ورفيق الحريري والحسيني لتشكيل لجنة صياغة تناقش البنود الإصلاحية عرفت بلجنة العتالة ومهمتها التسريع بالتوصل لحلول مرضية لكل الأطراف

وضمت ثمانية عشر عضواً ترأسها حسين الحسيني إذ تمثلت فيها كل الطوائف لمناقشة تفاصيل مشروع الوفاق الوطني والاعداد لصيغتها النهائية {البير منصور، ١٩٩٣، ص ٣١-٣٢}.

عبرت صحيفة الأهرام عن تفاؤلها بقرب التوصل لحل وسط بين نواب لبنان للمصلحة الوطنية وانهاء السيطرة الطائفية ذلك من خلال مانشرته بعدها الصادر في الرابع من تشرين الأول ١٩٨٩، إذ نشرت بأن الجلسة السادسة خصصت لمناقشة ميثاق مصالحة وطنية جديدة تستهدف تحقيق التوازن بين قوى النظام السياسي اللبناني، وأكدت الصحيفة بأن الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي نجح في تحويل اهتمام النواب اللبنانيين عن مسألة انسحاب القوات السورية من لبنان قبل الموافقة على أية اصلاحات وحثهم على التركيز على مسألة توزيع السلطات من الحكومة اللبنانية، إذ أشار العدد نفسه بان أعضاء البرلمان اللبناني توصلوا لاتفاق مبدئي قضى بتقسيم مقاعد البرلمان بين المسلمين والمسيحيين بالتساوي في لبنان وذلك وفقاً لما منصوص عليه بوثيقة الوفاق الوطني التي اقترحتها اللجنة الثلاثية العربية {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٥ في ٤ تشرين الأول ١٩٨٩} أملاً منها لانتهاء ما كان يعرف بالطائفية السياسية.

أشارت الأهرام بعدها الصادر في السادس من تشرين الأول ١٩٨٩ إلى تخلي النواب اللبنانيين في جلستهم السادسة في الطائف عن مناقشة المشكلة الشائكة الخاصة بالانسحاب السوري من لبنان التي كانت مدرجة على اعمال الجلسة المذكورة جاء ذلك على لسان النائب المسيحي " فريد سيرحال " الذي صرح " بأن قضية الانسحاب السوري من لبنان تتجاوز إمكانيات النواب، إذ انها تتعلق بعنصر أجنبي ولذلك فأنها تكون من اختصاصات اللجنة الثلاثية العربية التي ينبغي أن تتولى نقل اراءتنا للأطراف الخارجية " {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٧ في ٦ تشرين الأول ١٩٨٩} كما أشار بأنه ليس هناك خلاف بين النواب اللبنانيين على مسألة السيادة ولكن الخلاف يتعلق بالجدول الزمني الذي ستحققه هذه السيادة طبقاً له ، ومن جانب آخر أشار سعود الفيصل إلى " ان اتفاق المصالحة المعروض يمثل فرصة ذهبية لا بد من انتهازها وانه اذا تمت التعديلات الدستورية لصالح المسلمين فأن سوريا تنفذ الجزء الخاص بها المتمثل بالانسحاب من لبنان " {الأهرام، العدد ٣٧٥٥٧ في ٦ تشرين الأول ١٩٨٩}.

تعثرت المفاوضات في الطائف بسبب آلية انسحاب القوات السورية من لبنان وزيادة صلاحيات رئيس الجمهورية على الرغم من التطمينات التي أوردها صائب سلام رئيس الوزراء اللبناني الاسبق خلال مؤتمر صحفي عقده في الرياض في السادس من تشرين الأول ١٩٨٩ الذي

بدد مخاوف اللبنانيين والصحافة اللبنانية عندما قال بأنه لا يتصور أي احتمال للفشل، وذكر بأن حسين الحسيني واصل جمع حصيلة المناقشات للعمل على صياغتها مع لجنة الصياغة المؤلفة من سبعة عشر نائباً لبنانياً في وثيقة الوفاق الوطني {الأهرام ، العدد ٣٧٥٦١ في ١٠ تشرين الأول ١٩٨٩} ففي التاسع من تشرين الأول ١٩٨٩ أنهت اللجنة الخاصة بمناقشة وصياغة صلاحيات رئيس الجمهورية مناقشاتها بعد أن حسمت صلاحيات رئيس الجمهورية ولاسيما الفقرة الخاصة بجواز أن يرأس رئيس الجمهورية مجلس الوزراء وقتما شاء، وقد تم تعديل هذه الفقرة لتكون رئاسة رئيس الجمهورية لمجلس الوزراء استثنائية وعند الضرورة، كما تم تعديل الفقرة الخاصة بحق رئيس الجمهورية في إصدار عفو خاص دون الرجوع إلى مجلس الوزراء، كما اتفقت اللجنة أيضاً على زيادة عدد مقاعد مجلس النواب اللبناني من ٩٩ مقعداً إلى ١٠٨ مقاعد بحيث تخصص المقاعد التسعة الجديدة للأعضاء بهدف تحقيق المناصفة بين المسلمين والمسيحيين {الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٢ في ١١ تشرين الأول ١٩٨٩}.

وصفت صحيفة الأهرام ما توصل اليه النواب اللبنانيون في الطائف بأنه انفراجاً كبيراً عندما اتفقت مجموعة العمل البرلمانية على مشروع اتفاق حول اصلاح النظام السياسي في لبنان وآلية انسحاب القوات السورية من الأراضي اللبنانية على وفق مقترحات جامعة الدول العربية التي قضت بأعادة انتشار القوات السورية في وادي البقاع اللبناني على مدى عامين من تاريخ اجراء التعديلات الدستورية التي تعطي المسلمين نصيباً أكبر في السلطة، تزامن ذلك مع ضغط اللجنة الثلاثية العربية الشديد لضمان انسحاب قوات الاحتلال الصهيوني من الشريط الحدودي في جنوب لبنان من خلال اتصالات مكثفة مع اطراف أقليمية ودولية لأزالة العقبات المحتملة التي تواجه الوفاق الوطني {الأهرام، العدد ٣٧٥٦٤ في ١٣ تشرين الأول ١٩٨٩}.

ووصف " أحمد نافع " في مقال أورده في صحيفة الأهرام بعددها الصادر في الثالث عشر من تشرين الأول ١٩٨٩ تحت عنوان الفرصة الأخيرة للبنان، وناشد النواب اللبنانيين ان الفرصة سانحة لتصديق ما ورد في ميثاق الوفاق الوطني الذي يصدر عن مؤتمر الطائف من خلال الضمانات التي تعهدت بها اللجنة الثلاثية، وعدّ أحمد نافع ان تخطي مسألة الانسحاب السوري والغاء الطائفية السياسية هما كفيلاً للتوصل إلى الوفاق المنشود {الأهرام، العدد ٣٧٥٦٤ في ١٣ تشرين الأول ١٩٨٩}.

بيد ان انعطافاً طراً على سير المفاوضات في الثالث عشر من تشرين الأول ١٩٨٩، بعد أن اشترط النواب المسيحيون بالبرلمان اللبناني بربط مباشر بين الاتفاق على سحب القوات السورية من لبنان بالموافقة على الاصلاحات السياسية آنفة الذكر والتي تعطي للمسلمين حقوقاً أكبر في السلطة، جاء ذلك على لسان " جورج سعادة" {عدنان محسن ظاهر ورياض الغنام، ٢٠٠٨، ص ١٩٤-١٩٥} زعيم الجبهة البرلمانية المسيحية في مباحثات الطائف، إذ طالب بمزيد من الضمانات حول انسحاب القوات السورية من غرب لبنان معللاً ما ذكره بأن ميثاق الوفاق الوطني الذي اعدته جامعة الدول العربية كلٌ لايتجزأ ولايمكن الموافقة على شيء منه ورفض شيء آخر، في حين ذكر النواب المسلمين ان الخلاف بدأ عندما حاولوا استيضاح مسألة الجدول الزمني لألغاء النظام الطائفي اللبناني تاركين مسألة الانسحاب السوري لجهود اللجنة الثلاثية المبذولة لتذليل هذه العقبة. والتوصل إلى اتفاق مع الجانب السوري لإعادة نشر القوات السورية شرق لبنان خلال عامين من بدء الاصلاحات السياسية المعتمدة {الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٥ في ١٤ تشرين الأول ١٩٨٩}.

وعلّل النواب المسيحيين شرطهم المذكور بأن أي اتفاق لايتضمن ضمانات مؤكدة على الانسحاب السوري بأنه عديم الجدوى وركزوا على ضرورة أن يتضمن اتفاق المصالحة على بند ينص على الإسراع بالانسحاب السوري، إذ أوضح النائب الماروني " بيير داكاش " ان النواب المسيحيين وافقوا على الاصلاحات المعدة على الرغم من ادراكهم انها لا تلبي طموحاتهم كونها لم تكن هي الأسباب الأساسية وراء أزمة لبنان {الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٦ في ١٥ تشرين الأول ١٩٨٩}.

طمأن الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي النواب اللبنانيون ولاسيما النواب الموارنة بعد ان التقى مع وفد منهم. في الثامن عشر من تشرين الأول ١٩٨٩ وعدّ ذلك بادرة جديدة للانفراج في مباحثات الطائف إذ ركز سعود الفيصل بأن اللجنة الثلاثية وبالتنسيق مع الرياض من جهة ومع واشنطن وباريس من جهة ثانية ضمنت بسط السيادة اللبنانية وانسحاب القوات السورية من لبنان تزامن ذلك مع مانشرته صحيفة تشرين السورية بعددها الصادر في الثامن عشر من تشرين الأول ١٩٨٩ والذي نقلته الأهرام بأن وجود القوات السورية في لبنان هو " ضمان لتحقيق الوفاق في لبنان " { الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٩ في ١٨ تشرين الأول ١٩٨٩}؛ {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٠ في ١٩ تشرين الأول ١٩٨٩}.

يبدو ان ما تحقق من تقدم في المفاوضات بشأن انهاء الأزمة اللبنانية كان بجهود اللجنة العربية الثلاثية مسنوداً بدعم دولي واضح ولاسيما الدعم المقدم في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا اللتان حرصتا على تشجيع سوريا بوضع آلية مقبولة من الأطراف اللبنانية لسحب قواتها من لبنان بعد الأقرار النهائي لمشروع الوفاق الوطني.

ازاء ذلك قام الأمير سعود الفيصل بزيارة إلى دمشق في الثامن عشر من تشرين الأول ١٩٨٩ حمل خلالها رسالة من الملك فهد بن عبد العزيز إلى الرئيس حافظ الاسد للمساعدة في تجاوز الصعوبات التي عرقلت جهود اللجنة الثلاثية العربية ولاسيما ما يتعلق بالانسحاب السوري من لبنان بيد ان الجانب السوري اشترط تحقيق هذا المطلب بعد تحقيق الاصلاحات السياسية والدستورية وقيام حكومة وطنية قادرة على الحفاظ على وحدة لبنان أرضاً وشعباً وتحقيق المساواة بين جميع اللبنانيين {الأهرام، العدد ٣٧٥٧١ في ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٩}.

عبر الأمير سعود الفيصل عن تفاؤله في انهاء المشكلة المتعلقة بانسحاب القوات السورية من لبنان وذلك في العشرين من تشرين الأول ١٩٨٩ عقب انتهاء زيارته لدمشق ولاسيما بعد تجاوب الحكومة السورية مع الأمير سعود الفيصل بشأن الحصول على ضمانات تطمئن النواب المسيحيين التي وضعت كشرط أساس لقبول مشروع الوفاق الوطني الذي نص على إعادة نشر الجيش السوري في لبنان خلال عامين يتحقق على وفق خطوات تكون الأولى منها إقامة منطقة أمينة في بيروت خالية من القوات السورية وخاضعة لقوات من المملكة العربية السعودية والجزائر والمغرب وهي الدول الثلاث أعضاء اللجنة الثلاثية العربية المكلفة لحل المشكلة اللبنانية {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٢ في ٢١ تشرين الأول ١٩٨٩}، بيد ان تلك الخطوة لم تتحقق لمعارضة الجانب السوري عليها الذي رأى بأن تشكل لجنة عسكرية مشتركة من اللبنانيين والسوريين تشرف على الانسحاب وان تحل محلها قوات لبنانية ضماناً لسيادة لبنان وللاشراف على عملية انسحاب الجيش السوري {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٣ في ٢٢ تشرين الأول ١٩٨٩}.

التقى الأمير سعود الفيصل حال عودته من دمشق إلى الطائف بكل من حسين الحسيني رئيس مجلس النواب اللبناني وصائب سلام رئيس مجلس النواب السابق ونواب من كتل مختلفة فضلاً عن أعضاء اللجنة السداسية، وعرض الأمير سعود الفيصل في هذه اللقاءات التعديلات المقترحة على وثيقة الوفاق الوطني والتي تتعلق ببند الانسحاب والسيادة وتمكن من اقناع النواب

المسيحيين بالتعديلات التي طرأت على بعض بنود الوفاق الوطني {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٣ في ٢٢ تشرين الأول ١٩٨٩}.

وصفت صحيفة الأهرام بعدها الصادر ليوم الثالث والعشرين من تشرين الأول ١٩٨٩ بأن مؤتمر النواب اللبنانيين الذي عقد في الطائف على مدى ٢٣ يوماً قد وصل إلى نهاية ناجحة، بعد ان كشف عن النصوص النهائية لبند سيادة الدولة اللبنانية على كامل التراب اللبناني وبند العلاقات اللبنانية - السورية في وثيقة الوفاق الوطني المعدلة، ونص البند الأول على ان تضع حكومة الوفاق الوطني خطة أمنية مفصلة مدتها عام واحد بهدف بسط سلطة الدولة اللبنانية تدريجياً على كامل أراضي لبنان بواسطة قواتها الذاتية، كما تضمنت الخطة حل جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية وتعزيز قوى الامن الداخلي {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٤ في ٢٣ تشرين الأول ١٩٨٩}.

وأكد البند الثاني من خطة الوفاق الوطني على واقع العلاقات التي كانت تربط سوريا بلبنان والتي اريد لها ان تقوم على ابداء المساعدة من القوات السورية إلى القوات اللبنانية لبسط سلطة الدولة اللبنانية في مدة زمنية محددة أقصاها سنتان تبدأ بعد التصديق على وثيقة الوفاق الوطني وانتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل حكومة الوفاق الوطني وقرار الاصلاحات السياسية بصورة دستورية، يعقبها إعادة تمركز القوات السورية في منطقة البقاع الغربي، واذا دعت الضرورة في نقاط أخرى يتم تحديدها بواسطة لجنة عسكرية لبنانية سورية مشتركة {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٤ في ٢٣ تشرين الأول ١٩٨٩}.

نشرت صحيفة الأهرام وعلى صفحتها العاشرة نص وثيقة الوفاق الوطني اللبناني في الرابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٨٩ بعد اقرارها من النواب اللبنانيين، وذكرت الأهرام أيضاً ان ردود الفعل تجاه وثيقة الوفاق تباينت بين مؤيد ومعارض على الرغم من ان الوثيقة حظيت بترحيب أغلب القوى اللبنانية وان الشعب اللبناني يرنوا انظاره إلى الجلسة الختامية التي تعقد في جدة برئاسة الملك فهد بن عبد العزيز للاعلان الرسمي عن الوثيقة {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٥ في ٢٤ تشرين الأول ١٩٨٩}.

عقدت الجلسة الختامية في الرابع والعشرين من تشرين الأول ١٩٨٩ في قصر السلام الملكي برعاية الملك فهد وحضور وزراء خارجية اللجنة الثلاثية والاخضر الابراهيمي، وبعد

انقضاء حفل الاختتام عقد الأمير سعود الفيصل مؤتمراً صحفياً في قصر منصور بحضور نظيره الجزائري والمغربي تلا خلاله التقرير النهائي للجنة الثلاثية الذي تضمن تحديد السابع من تشرين الثاني ١٩٨٩ موعداً للانتخابات الرئاسية كمهلة قصوى {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٦ في ٢٥ تشرين الأول ١٩٨٩}؛ {البيير منصور، مصدر سابق، ١٩٩٣، ص ٢٦٩}.

يبدو ان تحديد موعد الانتخابات في السابع من تشرين الثاني ١٩٨٩ كان مدروساً خشية على ما تحقق من نتائج طيبة في مؤتمر الطائف وأجمع المهتمين بالقضية اللبنانية على استثمار ما تحقق وعدم التفريط به ورأوا انه من الأهمية بمكان اجراء الانتخابات بموعدها ذلك سيؤول بنتائج طيبة كان ينتظرها الشعب اللبناني بوجه خاص والشعوب العربية بوجه عام بشغف كبير أملين عودة لبنان إلى محيطه العربي والدولي.

وفي خضم تصريحات المعارضين لوثيقة الطائف ومنهم ميشيل عون، اعلن حسين الحسيني رئيس البرلمان اللبناني ان النواب قد يعقدون اجتماعهم خارج بيروت اذا منعتهم قوى المعارضة من عقد اجتماع لانتخاب الرئيس المقرر عقده في السابع من تشرين الثاني ١٩٨٩، وطالب الحسيني الجزائر والمغرب وقوى أخرى بتوفير الحماية للنواب مؤكداً انهم لن يكونوا رهينة لمسألة تحديد مكان معين لاجتماع النواب لأن المهم هو بقاء لبنان {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٧ في ٢٦ تشرين الأول ١٩٨٩}.

تابعت صحيفة الأهرام زيارة الاخضر الابراهيمي مبعوث اللجنة الثلاثية العربية إلى لبنان ولقائه مع ميشيل عون الذي أعلن عن معارضته للبند المتعلق بوضع القوات السورية بلبنان الوارد في وثيقة الطائف والتقى الابراهيمي بشخصيات أخرى من مختلف الطوائف لتهيئة الأجواء لعقد اجتماع مجلس النواب اللبناني والمصادقة على وثيقة الوفاق الوطني على الرغم من الاشتباكات المسلحة التي دارت على خط التماس بين شطري العاصمة والتي اسفرت عن مصرع واصابة أربعة اشخاص {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٨ في ٢٧ تشرين الأول ١٩٨٩}؛ {الأهرام، العدد ٣٧٥٧٩ في ٢٨ تشرين الأول ١٩٨٩}.

وفي تلك الاثناء تباينت ردود الفعل العربية والاجنبية بصدد وثيقة الطائف فقد رحبت أغلب الدول العربية بمخرجاتها وفي مقدمتها جمهورية مصر العربية في حين حاولت إيران ودول أخرى

عرقلة اجراءات التصديق على الوثيقة من خلال اذرعها الموجودة في لبنان {الأهرام، العدد ٣٧٥٨٠ في ٢٩ تشرين الأول ١٩٨٩}.

ومما تجدر الإشارة اليه ان اللجنة الثلاثية قد كلفت الاخضر الابراهيمي بمهمة الاشراف على انشاء منطقة أمنية دائرية حول البرلمان اللبناني اثناء انعقاد الجلسة الرسمية لمجلس النواب وانتخاب رئيس الجمهورية وذلك بأئسحاب القوات السورية منها على أن تحل محلها قوات من الشرطة اللبنانية وذلك تنفيذاً لما ورد في وثيقة الوفاق الوطني في الطائف {الأهرام، العدد ٣٧٥٨١ في ٣٠ تشرين الأول ١٩٨٩}.

بيد ان الميشال عون قد أحبط كل الجهود التي بذلت لإنشاء المنطقة الأمنية المتفق عليها بعد اعلانه عن حل مجلس النواب في مؤتمر صحفي عقده فجر الرابع من تشرين الثاني ١٩٨٩ في مبنى الرئاسة المهدم في بيروت ودعا إلى اجراء انتخابات عامة جديدة تجري خلال شهر كانون الثاني (١٩٩٠) وجاء هذا القرار قبل ساعات من الاجتماع الذي كان مقرراً عقده صباح الرابع من تشرين الثاني لمجلس النواب في قصر منصور ببيروت لأقرار اتفاق الطائف وانتخاب رئيس للبلاد ورئيس لمجلس النواب اللبناني {الأهرام، العدد ٣٧٥٨٧ في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩}.

أنتخب مجلس النواب اللبناني رينيه معوض {عدنان محمد ظاهر ورياض الغنام، ٢٠٠٨، ص ٤٨٤-٤٨٥} رئيساً للبنان في الخامس من تشرين الثاني ١٩٨٩ بعد أن ظل لبنان بدون رئيس لمدة عام وشهر و ١١ يوماً، وصدّق المجلس على اتفاق الطائف في الخامس من تشرين الثاني ١٩٨٩ لأنهاء الأزمة اللبنانية الذي وقع عليه اعضاؤه في الشهر الماضي بعد مؤتمر استمر ٢٣ يوماً، وأعاد مجلس النواب انتخاب حسين الحسيني رئيساً له لدورة خامسة، إذ انعقد المجلس في مطار القليعات العسكري بشمال لبنان الخاضع لسيطرة القوات السورية بحضور ٥٧ نائباً من اصل ٧٣ نائب {الأهرام، العدد ٣٧٥٨٨ في ٦ تشرين الثاني ١٩٨٩}.

وفي الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٨٩، كلف رينيه معوض رئيس الجمهورية اللبنانية المنتخب حديثاً سليم الحص {زيد محمد فياض، ٢٠١٨، ص ١٥٢} بتشكيل الحكومة اللبنانية بعد مشاورات استمرت اسبوعاً كاملاً مع القيادات السياسية والدينية ومع النواب اللبنانيين {الأهرام، العدد ٣٧٥٩٦ في ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٩}.

على الرغم من الاحداث التي اعقبت تكليف سليم الحص بتشكيل الحكومة اللبنانية وكان ابرزها اغتيال الرئيس المنتخب رينيه معوض في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨٩، إلا أن ما اتفق عليه في وثيقة الوفاق الوطني بشأن لبنان قد جنى ثماره واعاد الأمور إلى نصابها في لبنان بدعم عربي ودولي كبيرين ذلك ما تابعتته صحيفة الأهرام قبل واثناء وبعد مؤتمر الطائف وكان لها دوراً بارزاً في تغطية كل الفعاليات المتعلقة بالمؤتمر ودعواتها المتكررة عبر صفحاتها لأنهاء ملف القضية اللبنانية . ولتعود سيادة لبنان على اراضيه كافة ولتلقى المصالحة الوطنية التي هي من أهم مخرجات مؤتمر الطائف ضلالها على حياة وكرامة الشعب اللبناني.

ومما اظهرته وثيقة الوفاق الوطني من خلال صحيفة الأهرام بأنها عدت أول وثيقة دستورية كرست المناصفة بين المسلمين والمسيحيين بعد ان كان العرف سائراً على رجحان كفة المسيحيين ولاسيما الطائفة المارونية، كما اظهرت الوثيقة إعطاء الضوء الاخضر لبسط سلطة الدولة اللبنانية سيادتها على اراضيها بجيش وطني وشرطة تحفظ الأمن في الداخل وانهاء عمل ما سواها.

الخاتمة:

توصل البحث إلى الاستنتاجات الآتية:

- كشفت صحيفة الأهرام من خلال متابعتها مجريات الحرب الأهلية اللبنانية عن ظاهرة انتشار السلاح بشكل مخيف بين مليشيات توزعت بين المناطق المسيحية الشرقية والمناطق الغربية ودأبت تلك القوى الصراع عن النفوذ والمصالح ومحاولة كل منها فرض سلطة الأمر الواقع بدعم واضح من دول اقليمية كانت توجب الصراع الطائفي في لبنان، وحثت الصحيفة الأطراف المتنازعة كافة إلى ضبط النفس وتجنب ممارسة العنف لأحتواء الأزمة.
- أبدت صحيفة الأهرام تفاعلاً غير مسبوق بمخرجات مؤتمر القمة العربية في الدار البيضاء في ايار ١٩٨٩ ولاسيما انبثاق اللجنة الثلاثية عنه وما رافق ذلك من اهتمام كبير من المملكة العربية السعودية بدعم عربي واقليمي ودولي بعد ان كشفت الصحيفة عن تناغم بين المملكة العربية السعودية وسوريا والولايات المتحدة الأمريكية بضرورة وضع حد للحرب الأهلية اللبنانية ودعم جهود اللجنة الثلاثية لتجاوز المعوقات التي تعرضت لها في اثناء عملها.
- ادرك المهتمين بالشأن اللبناني ممن كان يتابعون الاحداث التي كانت تدور رحاها على الساحة اللبنانية وكانوا يعبرون عن ارائهم في صفحات الأهرام المختلفة ادركوا بأن ما تحقق

من توافق بين النواب اللبنانيين في مؤتمر الطائف لم يلبي طموح اللبنانيين بالوصول إلى صيغة ترضي جميع طوائف المجتمع اللبناني وتطلعاتهم، بيد ان الصحيفة عدت ما تحقق كان افضل المتاح للخروج من الأزمة.

- على الرغم من قناعة الأهرام بأن اتفاق الطائف لم يلغي الطائفية السياسية في لبنان وقناعتها بأن مخرجات مؤتمر الطائف لربما تكون سبباً في تغذية الصراع الطائفي الا انها حققت بعض التوازن بين القوى المتحاربة وعلى الساحة اللبنانية ولاسيما موضوع المناصفة في اعداد النواب بين المسلمين والمسيحيين ، كما كشفت الأهرام عن تراجع الدور السوري واخلاء بيروت واعتقدت بأن ذلك سيمهد لمرحلة استقرار في لبنان.
- شككت صحيفة الأهرام بمصداقية بعض الدول الإقليمية التي كانت تدعم أذرعها في لبنان بالمال والسلاح عندما أظهرت تلك الدول نوايا حسنة عند تطبيق مقررات مؤتمر الطائف على ارض الواقع، بيد ان الاحداث التي رافقت تطبيقها واهمها اغتيال رئيس الجمهورية المنتخب رينيه معوض بعد أيام من انتخابه قد أكد ما ذهبت اليه الصحيفة لكن اصرار المجتمع الدولي والدول العربية وجهود اللجنة الثلاثية قد سرّع بانتخاب الرئيس الياس الهراوي رئيساً للبنان بعد يومين من الحادث قد أحبط المخططات الرامية لاغتيال لبنان من جديد.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- هي صحيفة مصرية تأسست في الإسكندرية و صدر العدد الأول لها في ١٥/آب/١٨٧٦ وكانت فكرة تأسيسها تعود إلى الأخوين (سليم نقلا) و(بشارة نقلا) بعد ان قدما طلباً إلى الحكومة المصرية حينذاك للحصول على موافقة لإنشاء مطبعة الأهرام، وكان صدورها بادئ الأمر اسبوعياً بأربع صفحات وكانت تصدر في يوم السبت من كل اسبوع بطبعتين عربية وفرنسية ، وفي الأول من تشرين الأول ١٨٩٩ إنتقلت الصحيفة إلى مقرها الجديد في القاهرة، استمر ورثة نقلا تولي ادارتها حتى عام ١٩٥٧ بعد ان قاموا بتوقيع عقد مع الكاتب والصحفي المصري محمد حسنين هيكل ليتولى رئاسة تحريرها في السادس من نيسان ١٩٥٧، إذ عد ذلك نقطة تحول في مسار الصحيفة فأزدهرت وتطورت ووصل عدد النسخ التي توزع ٥٠٠ ألف نسخة يومياً بعد ان اصبح صدورها يومياً وكان هيكل يكتب

مقالاً كل يوم جمعة بعنوان (بصراحة) ووصل عدد النسخ في مطلع السبعينيات من القرن الماضي إلى مليون نسخة.

وفي الحادي والثلاثين من شباط ١٩٧٤ غادر هيكل الصحيفة ليتسلم بعده علي أمين، احسان عبد القدوس، يوسف السباعي و ابراهيم نافع الذي تسلم مهمة رئيس التحرير في مطلع عام ١٩٧٩ واستمر لغاية عام ٢٠٠٥م. الأهرام، العدد ٣٧٥٧ في ١٥ آب ١٩٨٩؛ ليث بدر يوسف محمد الراوي، المقال الصحفي في الصحافة العربية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاعلام - جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٩٨؛ رياض صيداوي، هيكل والملف السري للذاكرة العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٥١.

٢- فوزية طرشي، الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٨٩) ودور دول الجوار فيها (سوريا - اسرائيل)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠١٤، ص ٢٠؛ زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار السيرة، عمان، ٢٠١١، ص ٢٢٥.

٣- ولد في لبنان في ٦ تشرين الثاني ١٩٠٥، سياسي لبناني ومؤسس حزب الكتائب، كان من ابرز السياسيين اللبنانيين لأكثر من اربعين عاماً، وكان من ابرز اركان الجبهة اللبنانية اثناء الحرب الأهلية اللبنانية، شغل عدة مناصب وزارية، إلى وفاته عام ١٩٨٤، انتخب عضواً في المجلس النيابي ١٩٦٠، ١٩٦٤، ١٩٦٨، ١٩٧٢، توفي ٢٩ آب ١٩٨٤؛ عارف عبد الحسين عباس الفتلاوي، بيار الجميل ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٥-١٩٨٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠١٤، ص ٩٠.

٤- وهيب أبي فاضل، لبنان في مراحل تاريخه الموجزة، مكتبة انطوان، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨، ص ٣٦٩.

٥- فايز قزي، من ميشال عفلق إلى ميشال عون تجارب علاقة مستحيلة، دار رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٩٥؛ عبد الرؤوف سنو، حرب لبنان ١٩٧٥-١٩٩٠، تفكك الدولة وتصعد المجتمع، مج١، مفارقة السياسة والنزاعات المسلحة والتسوية، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص ٧٤٢.

- ٦- ترأس اللجنة السداسية وزير خارجية الكويت صباح الاحمد الصباح وعضوية كل من وزراء خارجية الامارات العربية المتحدة، الأردن ، الجزائر، تونس، السودان وشارك في اعمال هذه اللجنة الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية . الاخضر الابراهيمي، للمزيد ينظر: مركز دراسات الوحدة العربية، يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٩-١٩٩٣، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص ٢٤-٢٥.
- ٧- ولد في بيروت عام ١٩٢١ ، اكمل دراسته الأولية فيها، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس هناك أصول الدين في جامعة الأزهر، عين بعد تخرجه استناداً في كلية الشريعة في بيروت عام ١٩٥٤، ومن ثم عين نائب قاضي بيروت الشرعي ثم قاضياً شرعياً لقضاء عكار وأختير عام ١٩٦٦ لمنصب الأفتاء في لبنان وهو منصب يشغله صاحبه مدى الحياة، أعتيل في أيار ١٩٨٩. للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، د.ت، ص ٥٣٥-٥٣٦.
- ٨- شادي خليل أبو عيسى، الولايات غير المتحدة اللبنانية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص٦٥.
- ٩- الأهرام ، العدد ٣٧٤٢٠، في ٢٧ أيار ١٩٨٩؛ احسان حلاق، دراسات في العلاقات العربية - العربية، صفحات من تاريخ الوطن العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٧٨.
- ١٠- ولد في الرياض عام ١٩٢١ تلقى تعليمه في مدرسة الأمراء التي كان قد انشأها والده الملك عبد العزيز آل سعود داخل قصره لتعلم ابناءه أصبح ولياً للعهد عام ١٩٧٥ وهو أول ولي عهد للمملكة العربية السعودية بعد مبايعة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود وزيراً للداخلية عام ١٩٦٢ فضلاً عن منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، اصبح ملكاً بعد وفاة الملك خالد في عام ١٩٨٢، توفي عام ٢٠٠٥ بعد عزله بسبب مرضه. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ج٤، مطبعة المتوسط، بيروت، ١٩٧٤، ص ٦١١.
- ١١- هو الحسن بن محمد بن يوسف (الحسن الثاني) ولد عام ١٩٢٩ وهو ملك المملكة المغربية وتمتد اصوله إلى الأسرة العلوية، حكم المغرب ١٩٦١-١٩٩٩ ساهم برفقة والده الملك محمد الخامس في تحرير المغرب من الاحتلال الفرنسي، إذ عرف بدهائه السياسي وحنكته منذ ريعان شبابه، استطاع قيادة المغرب بقبضة من حديد وتوجيهه لبلاده نحو المعسكر

- الرأسمالي. للتفاصيل ينظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ج٢، المصدر السابق، د.ت، ص ٥٣٣.
- ١٢- ولد في قرية صغيرة بالقرب من مدينة عنابة مشرق الجزائر عام ١٩٢٩م، انخرط بالجيش الفرنسي حتى ١٩٥٤، وفي عام ١٩٥٥ انضم إلى مناضلي جبهة هوارى بومدين وعينه وزيراً للدفاع بعد أن أيد انقلاب بومدين على أحمد بن بلا، وعينه عضو في مجلس الثورة ومن ثم نائباً لرئيس الجمهورية، وبعد وفاة بومدين أصبح ثالث رئيس للجمهورية الجزائرية في شباط ١٩٧٩. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ج٣، المصدر السابق، د.ت، ص ٤٢٦.
- ١٣- حسن أبو طالب، قمة الدار البيضاء وعودة مصر، مجلة السياسة الدولية، العدد ٩٧، تموز ١٩٨٩، ص ٤٣.
- ١٤- بطرس بطرس غالي، السياسة الخارجية المصرية ١٩٨١-١٩٩٠، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٥١-٢٥٢.
- ١٥- عبد السلام محمد السعدي، جامعة الدول العربية والحرب الأهلية اللبنانية، ١٩٧٥-١٩٨٩، بغداد، ط١، ٢٠١١، ص ٢١٧.
- ١٦- دار الكتب والوثائق ببغداد، تقارير وكالة الانباء العراقية، رقم الملف ١١٤/٢٣٤، رقم الوثيقة ٣٣، ص ٢.
- ١٧- الأهرام ، العدد ٣٧٥٤٣ في ٢٢ أيلول ١٩٨٩؛ ثيودور هاتف، لبنان تعايش في زمن الحرب، ترجمة موريس صليبا، مركز الدراسات العربي - الأوربي، باريس، ١٩٩٣، ص ١٠٩.
- ١٨- ولد حافظ الاسد في محافظة اللاذقية عام ١٩٣١، وهو سياسي عسكري سوري، اكمل تعليمه الثانوي في اللاذقية، انضم إلى حزب البعث عام ١٩٤٦ وأصبح رئيساً للتنظيمات الطلابية لكنه لم يستطيع اكمال دراسة لتردي اوضاعه المادية، لذا التحق الأكاديمية العسكرية ١٩٥٢ وأصبح عضواً قيادياً في التشكيلات العسكرية لحزب البعث ١٩٦٠، قاد القوات الجوية ١٩٦٣، ووزيراً للدفاع عام ١٩٦٦ وأصبح رئيساً للجمهورية ١٩٧١، توفي بسبب اصابته بمرض السرطان عام ٢٠٠٠. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ج٢، المصدر السابق، د.ت، ص ١٥١؛ الأهرام، العدد ٣٧٥٢٣ في ٢ أيلول ١٩٨٩.
- ١٩- الأهرام ، العدد ٣٧٥٢٤ في ٣ أيلول ١٩٨٩؛ سعيد سلمان، لبنان والطائف واثاره، وكالة المطبوعات اللبنانية، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٢-١٣.

- ٢٠- الأهرام، العدد ٣٧٥٣٨ في ١٧ أيلول ١٩٨٩؛ للأطلاع على النقاط المختلف عليها الواردة في مشروع الوثيقة آنفة الذكر. ينظر: البير منصور، الانقلاب على الطائف، دار الجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ٢٩.
- ٢١- للتفاصيل ينظر: عبد السلام متعب عيدان الربيعي، الموارنة واثرم في التطورات السياسية الداخلية اللبنانية ١٩٥٨-١٩٧٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية - الجامعة المستنصرية، ٢٠١٥، ص ٣٤٦.
- ٢٢- الأهرام، العدد ٣٧٥٥٠ في ٢٩ أيلول ١٩٨٩.
- ٢٣- البير منصور، مصدر سابق، ص ٢٩.
- ٢٤- الأهرام، العدد ٣٧٥٥٠ في ٢٩ أيلول ١٩٨٩.
- ٢٥- النواب الذين تغيّبوا لاسباب سياسية هم كل من عبده عويدات، فؤاد الطحيني، اريروانيان، سوين خان اميريان، راشد الخوري، رائف سمارة، باخوس حكيم. ولتفاصيل أخرى ينظر: الأهرام، العدد ٣٧٥٥١ في ٣٠ أيلول ١٩٨٩.
- ٢٦- ولد سعود الفيصل في الطائف عام ١٩٤٠ وهو ابن الملك فيصل بن عبد العزيز شغل مناصب حكومية متعددة ومهمة منها وزير البترول ووزير الشؤون الخارجية، ثم أصبح وزيراً للخارجية منذ عام ١٩٧٥، وعُدّ سعود الفيصل عميد الدبلوماسية السعودية وبرز نجمه وسطع في سماء البلاد العربية والعالمية كونه شخصية عربية معروفة وطموحة في أسرة آل سعود، توفي في كاليفورنيا في التاسع من حزيران ٢٠١٥. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٩.
- ٢٧- سعيد سلمان، مصدر سابق، ص ٢٧-٢٩؛ واعلن تجمع النواب الموارنة المستقلين (ان الاجتماع النيابي سيعقد تحت شعار " الخلاص ممنوع" واكد انه لاعودة إلى لبنان الا بعد الاتفاق على المواضيع والقضايا المطروحة، ينظر: الأهرام، العدد ٣٧٥٥١ في ٣٠ أيلول ١٩٨٩.
- ٢٨- ولد حسين الحسيني في محافظة البقاع قضاء زحلة، ترأس مجلس النواب في لبنان منذ العام ١٩٨٤ ولغاية ١٩٩٢ بعد نهاية الحرب الأهلية اللبنانية وكانت له مساهمة كبيرة بالتوصل إلى اتفاق الطائف وحل الأزمة اللبنانية. تاريخ الزيارة للموقع ٢١/١٢/٢٠٢١.
- Wikipedra ... <https://m.facebook.com/org>

- ٢٩- الأهرام، العدد ٣٧٥٥٢ في ١ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٣٠- المصدر نفسه.
- ٣١- الأهرام، العدد ٣٧٥٥٣ في ٢ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٣٢- الأهرام، العدد ٣٧٥٥٤ في ٣ تشرين الأول ١٩٨٩. تبنى مجلس الامن القرار ٤٢٥ الذي دعا " إسرائيل " إلى الانسحاب الفوري من لبنان إقامة قوة مؤقتة تابعة للامم المتحدة في لبنان، إذ صدر القرار في ١٩ آذار ١٩٧٨ بأغلبية (١٢) صوت مع القرار وصوتان ضد القرار وامتنع واحد عن التصويت، وجاء القرار بعد احتلال إسرائيل لجنوب لبنان على خلفية العملية الفدائية الفلسطينية بقيادة ولال مغربي في ١١ آذار ١٩٧٨ على حافلتين اسرائيليتين قرب تل أبيب مما اسفر عن مقتل ٣٧ إسرائيلياً وجرح ٧٦. للمزيد ينظر: wikipedia. Org. https//ar.m.

تاريخ الزيارة للموقع ١٠ شباط ٢٠٢٢.

- ٣٣- ولد جورج بوش (الأب) في ١٢ حزيران ١٩٢٤ في ولاية ميلتون ماسانوشوستس، وهو الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٨٩ إلى ١٩٩٣، وسبق ذلك تسنمه منصب نائب الرئيس ١٩٨١-١٩٨٩ شغل مناصب عديدة منها عضواً في الحزب الجمهوري، عضواً في الكونغرس وسفيراً ومديراً للمخابرات المركزية سمي ببوش الأب تمييزاً له عن ولاية ابنة جيب بوش، (توفي في عام ٢٠١) فيما بعد. Encyclopedia of nationalism, Academic prees, London, 2001, P.536.

- ٣٤- الأهرام، العدد ٣٧٥٥٤ في ٣ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٣٥- ولد وليد جنبلاط في المختارة قضاء الشوف عام ١٩٤٩، بدأ حياته السياسية بعد اغتيال والده كمال جنبلاط فأنتخب رئيساً للحزب التقدمي الاشتراكي ثم رئيساً للمجلس السياسي المركزي في الحركة الوطنية، تولى مناصب وزارية عديدة بعد وثيقة الوفاق الوطني في الطائف وشارك في جميع مؤتمرات الحوار التي عقدت في لبنان وفي مؤتمر الدولة الذي عقد عام ٢٠٠٨. للمزيد ينظر: عدنان محسن ظاهر ورياض الغنام، المعجم الوزاري اللبناني سيرة وتراجم وزراء لبنان ١٩٩٢-٢٠٠٨، دار بلال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٠٣-١٠٤.

٣٦- ولد نبيه بري في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٨ في سيراليون وترعرع في مدينة نجفين في جنوب لبنان واكمل دراسته هناك واصبح محامياً، مارس المحاماة في عقد الستينيات من القرن الماضي وانضم إلى حركة أمل بعد تعرضه على موسى الصدر وترأسها في عام ١٩٨٠ بعد اختفاء الصدر المفاجيء في ليبيا، اصبح رئيساً لمجلس النواب اللبناني عام ١٩٩٢. للمزيد ينظر:

<https://ar.m.wikipedia.org>.

تاريخ الزيارة ٧ شباط ٢٠٢٢.

٣٧- الأهرام ، العدد ٣٧٥٥٤ في ٣ تشرين الأول ١٩٨٩.
٣٨- الأهرام، العدد ٣٧٥٥٦ في ٥ تشرين الأول ١٩٨٩؛ البير منصور، مصدر سابق، ص ٢٠-٢١.

٣٩- البير منصور، مصدر سابق ، ص ٣١-٣٢.

٤٠- الأهرام ، العدد ٣٧٥٥٥ في ٤ تشرين الأول ١٩٨٩.

٤١- الأهرام ، العدد ٣٧٥٥٧ في ٦ تشرين الأول ١٩٨٩.

٤٢- المصدر نفسه.

٤٣- الأهرام ، العدد ٣٧٥٦١ في ١٠ تشرين الأول ١٩٨٩.

٤٤- الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٢ في ١١ تشرين الأول ١٩٨٩.

٤٥- الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٤ في ١٣ تشرين الأول ١٩٨٩.

٤٦- المصدر نفسه.

٤٧- جورج سعادة: ولد عام ١٩٣٠ في مدينة شبليين، إسمه جورج حنا سعادة، حصل على الدكتوراه في الأدب من اسبانيا، انتسب إلى حزب الكتائب في سن الخامسة عشرة من عمره، انتخب نائباً لرئيس الحزب في ايلول ١٩٨٤ ثم اصبح رئيساً له في عام ١٩٨٦ وأعيد انتخابه مرات عدة، اصبح رئيساً للجبهة اللبنانية بعد وفاة الرئيس كميل شمعون بعد عام ١٩٨٧، تسنم مناصب وزارية منها وزيراً للتعمير في حكومة الرئيس صائب سلام عام ١٩٧٣ ووزيراً للاشغال العامة والنقل عام ١٩٧٤ في حكومة رشيد الصلح، بعد مؤتمر الطائف عين وزيراً للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية في حكومات سليم الحص وعمر كرامي، ورشيد الصلح. ينظر: عدنان محسن ظاهر ورياض الغنام، مصدر سابق، ص ١٩٤-١٩٥.

- ٤٨- الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٥ في ١٤ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٤٩- الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٦ في ١٥ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٥٠- الأهرام ، العدد ٣٧٥٦٩ في ١٨ تشرين الأول ١٩٨٩؛ الأهرام، العدد ٣٧٥٧٠ في ١٩ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٥١- الأهرام، العدد ٣٧٥٧١ في ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٥٢- الأهرام، العدد ٣٧٥٧٢ في ٢١ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٥٣- الأهرام، العدد ٣٧٥٧٣ في ٢٢ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٥٤- المصدر نفسه.
- ٥٥- الأهرام، العدد ٣٧٥٧٤ في ٢٣ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٥٦- المصدر نفسه.
- ٥٧- الأهرام، العدد ٣٧٥٧٥ في ٢٤ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٥٨- الأهرام، العدد ٣٧٥٧٦ في ٢٥ تشرين الأول ١٩٨٩؛ البير منصور، مصدر سابق، ١٩٩٣، ص ٢٦٩.
- ٥٩- الأهرام، العدد ٣٧٥٧٧ في ٢٦ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٦٠- الأهرام، العدد ٣٧٥٧٨ في ٢٧ تشرين الأول ١٩٨٩؛ الأهرام، العدد ٣٧٥٧٩ في ٢٨ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٦١- الأهرام، العدد ٣٧٥٨٠ في ٢٩ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٦٢- الأهرام، العدد ٣٧٥٨١ في ٣٠ تشرين الأول ١٩٨٩.
- ٦٣- الأهرام، العدد ٣٧٥٨٧ في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٩.
- ٦٤- ربنيه معوض: ولد في ١٧ آذار ١٩٢٥ في زغرتا ببلبنان وتخرج عام ١٩٤٧ من كلية الحقوق في جامعة القديس يوسف للأباء اليسوعيين، عمل محامياً ودخل المعتزك السياسي عام ١٩٥١ وانتخب نائباً للمرة الأولى عام ١٩٥٧ واعد انتخابه للاعوام ١٩٦٠-١٩٦٤-١٩٦٨-١٩٧٢ تولى عدة مناصب وزارية منها وزيراً للبريد والبرق والهاتف عام ١٩٦١، ووزير للاشغال العامة والنقل عام ١٩٦٩ ووزير في حكومة رشيد كرامي ووزير للتربية الوطنية والفنون الجميلة ١٩٨٠ في حكومة الرئيس شفيق الوزان. وانتخب رئيساً للجمهورية في ٤ تشرين الثاني ١٩٨٩ بعد مؤتمر الطائف. للمزيد ينظر: عدنان محمد ظاهر ورياض الغنام، مصدر سابق، ص ٤٨٤-٤٨٥.

- ٦٥- الأهرام، العدد ٣٧٥٨٨ في ٦ تشرين الثاني ١٩٨٩.
- ٦٦- سليم الحص: سياسي وأكاديمي اقتصادي لبناني، ولد في بيروت في ٢٠ كانون الأول عام ١٩٢٩، أكمل دراسته الابتدائية ولاتانوية في مدارس المقاصد ثم انتقل إلى الجامعة الأمريكية في رأس بيروت ليكمل دراسته الجامعية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليكمل دراسته العليا بالتخصص نفسه في جامعة لوزيانا، فنال شهادة الدكتوراه ثم عاد إلى بيروت وعين استاذاً جامعياً مساعداً في عام ١٩٦٤، ثم مستشاراً للصندوق الكويتي للتنمية العربي، ثم عين رئيساً للوزراء عام ١٩٧٦ وفي تشرين الثاني ١٩٨٩ بعد الوفاق الوطني في الطائف عين رئيساً للوزراء في عهد الرئيس ياس الهراوي. ينظر: زيد محمد فياض، العلاقات السياسية السعودية اللبنانية ١٩٦٩-١٩٨٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الانبار، ٢٠١٨، ص ١٥٢.
- ٦٧- الأهرام، العدد ٣٧٥٩٦ في ١٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.

**سياسات الشاهات الصفويين و اثرها في انهيار
دولتهم عام ١٧٣٦ م**

د. ميسون عباس حسين

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

**The policies of the Safavid Shahs and its impact on
the collapse of their state in 1736**

Dr. Maysoon Abbas Hussein

**Al-Mustansiriya University / College of of Basic
Education**

dr.maysoon.j@uomustansiriyah.edu.iq

سياسات الشاهات الصفويين و اثرها في انهيار دولتهم عام ١٧٣٦ م

د.م. ميسون عباس حسين

ملخص البحث

أدت سياسات شاهات الدولة الصفوية الى اضعاف دولتهم و اغراء اعدائها للتخطيط لغزوها و الاستيلاء على الحكم فيها ، فخوف الشاه على عرشه من منافسة ابناءه و اخوته وحتى اعمامه دفعه للقضاء على بعضهم و أعاقه الآخر و نفي ما تبقى منهم ، كما أن الدسائس التي كانت تحاك من قبل المتنافسين على العرش و نساء البلاط الشاهي ادخلت الدولة في دوامة و شغلتها عن اعدائها و اضعفتها فعدم استمرار الشاه في الحكم لمدة مناسبة و ذلك لقتله والمجيء بآخر أدى الى عدم استقرار اوضاع البلاد ، كما أن سياسة الشاهات القاسية تجاه اتباعهم حولت الاخيرين الى أعداء أضافيين داخل الدولة الصفوية و بالمجمل كانت سياسات الشاهات الصفوية سببا رئيسيا في سقوط دولتهم .

كلمات مفتاحية: الدولة الصفوية ، شاهات ، عوامل ضعف ، سقوط ، سياسة .

Abstract

The policies of the Shahs of the Safavid state led to the weakening of their state and tempted its enemies to plan its invasion and seize the rule in it. Before the contenders for the throne and the women of the Shah's court, the state was plunged into a spiral and distracted from its enemies and weakened it. The Shah's failure to continue in power for an appropriate period of time to kill him and bring another one led to the instability of the country's situation, and the Shahs' harsh policy towards their followers turned the latter into additional enemies. Within the Safavid state and in general, the policies of the Safavid Shahs were a major reason for the fall of their state.

Keywords: the Safavid state, Shahs, factors of weakness, fall, politic.

المقدمة

يعدّ تأريخ الدولة الصفوية تاريخاً حافلاً بالأحداث السياسية والعسكرية فضلاً عن بعض التطورات الاقتصادية التي غطت مواردها نفقات الجيش ولكثرة هذه الأحداث التي شملت أطرافاً أخرى كالدولة العثمانية والاوزبك وبعض الدول الأجنبية (بريطانيا، هولندا، البرتغال) فضلاً عن روسيا وحتى فرنسا، وبذلك كانت المدن الفارسية خصوصاً الحدودية منها ميداناً للصراع بين تلك القوى ولاسيما الاوزبك والدولة العثمانية، فكانتا كلما وجدتا في بلاد فارس حكومة ضعيفة تقدمتا داخل أراضيها وغزتها، وكلما كانت حكومة فارس قوية طردتهم من أراضيها، وتقدمت داخل أراضيها.

اضطربت اوضاع الدولة الصفوية بعد وفاة الشاه عباس الاول عام ١٦٢٩ م حيث بذّر هذا الشاه أول بذور ضعف الدولة الصفوية بقتله أبناءه و اقاربه خوفاً من منافسته على عرش الدولة الصفوية فخلفه العديد من الشاهات الضعاف وكان عهد كل منهم (باستثناء عهد الشاه عباس الثاني) يتقدم بالدولة الصفوية نحو الهاوية، سأحاول هنا بيان احوال الشاهات الصفويين، واطلاع البلاد خلال فترة حكمهم ابتداء من عهد الشاه صفي وصولاً الى عهد الشاه طهماسب الثاني، في محاولة لاستعراض اسباب انهيار الدولة الصفوية ولو بشكل مختصر.

سيكون البحث مقسم الى مبحثين تحدثت فيهما عن عهود شاهات الدولة الصفوية الضعفاء او اللذين اسأوا الحكم فتدهورت احوال البلاد في عهدهم وصولاً الى انهيار الدولة الصفوية. ففي المبحث الاول تحدثت عن عهود كل من الشاه صفي ميرزا ١٦٢٩ ١٦٤٢ م ثم الشاه عباس الثاني ١٦٤٢ ١٦٦٦ م ثم صفي ميرزا الذي غير اسمه الى (سليمان) ١٦٦٦ ١٦٩٤ م .

اما المبحث الثاني فكان عن الشاه حسين بن سليمان ١٦٩٤ ١٧٢٢ م ثم الشاه طهماسب الثاني ١٧٢٢ ١٧٣٢ م، فضلاً عن عرض لاسباب انهيار الدولة الصفوية. واخيراً الخاتمة.

المبحث الاول : (الشاهات الاوائل للدولة الصفوية)

يُعد تأسيس الدولة الصفوية بداية التأريخ الحديث في ايران ، وتنتسب هذه الأسرة الى الشيخ (صفي الدين اسحق الأردبيلي)^(١) (١٢٥٢-١٣٣٤) والذي كان شيخاً لطريقه صوفيه وله زاوية في مدينة اردبيل ضمن إقليم اذربيجان وهي اسرة تركية تخصصت في الوعظ والارشاد^(٢).

وكان لسقوط هذه الدولة عوامل عديدة يأتي في مقدمتها الشاهات الضعاف الذين خلفوا الشاه (عباس الكبير)^(٣) و(الفترة الاخيرة من عهد الشاه عباس الثاني) . وفيما يأتي أستعرض لعهود الشاهات الذين خلفوا الشاه (عباس الكبير) ، وأولهم الشاه (صفي).

عندما توفي الشاه عباس الاول لم يكن احد من اولاده، ولا أخوته، صالحاً ليخلفه، حيث أمر الشاه بقتل قادته وأقربائه و ابنائه لاصغر الحجج^(٤) . كان الشاه عباس يقتل بفضاعه وذرائع وحيل بائسة ، ولم يكن الرجل الذي يُضح بابنائهِ و يبعثهم الى الموت لأسباب حقيقية^(٥)، حيث قتل ابنه (صفي ميرزا) لأن أحد منجمي البلاط نصحه بذلك، في حين سمل عين ابنه الآخر (خدا بنده ميرزا) حتى لا ينافسه الى الحكم^(٦)، لسوء حظ الدولة الصفوية أن الشاه عباس كان يسيئ معاملته أولاده ولم يهتم بتربيتهم وتنشئتهم خلف جدير له ، فلا عجب ان يؤول التاج الصفوي بعده بأيدي شاهات ضعاف، حين اخذ الشاه يحتضر اوصى ان يخلفه (سام ميرزا) ابن (صفي ميرزا) وكان عمره (سبعة عشر عاماً)^(٧).

لم يدرك الشاه عباس ما ستجره سياسته الشديدة تلك من كوارث على أسرته ودولته من واقع افتقارها الى رجل كفاء يتولى الحكم من بعده ، وهذا ما حدث فعلاً حينما خلفه حفيده (صفي) (سام ميرزا) وكان شخصية معقدة وكان متأثراً بقسوة جده وتعامله الغير انساني مع افراد أسرته^(٨).

لم يتمكن صفي ومن جاء من بعده الى الحكم من ايقاف الانحلال السياسي ، بسبب الوهن الذي اصاب المؤسسات التي أسسها الشاه عباس الكبير ، فلم يثبت الشاه (صفي) اي جدره في ادارته للحكم^(٩). بل على العكس لم يعر أي اهتمام لأمرور الدولة لأنه كان مدمناً على الكحول و المخدرات^(١٠).

تميز عهده بالفساد والظلم وانتهاك الحرمات طيلة فترة حكمه البالغة (أربعة عشر عاماً) ومصادر أخرى تقول (ثلاثة عشر عاماً) قضاها في اللهو والعبث والذبح ، فقد قتل جميع أمراء الاسرة المالكة وعدداً من اميراتها حتى يثبت عرشه ، ولم يكتف بذلك بل اعدم عدداً من قواد

ومستشاري جده المخلصين ، كان من ضمنهم (أمام قلي خان) فاتح(هرمز) وقتل كذلك أبناءه الصغار حتى لا يطالبوا في المستقبل بثأر أبيهم^(١١).

لهذا وصف أحد المؤرخين عهده قائلاً "ان عهده كان من أتعس العهود التي عرفتھا الامة الفارسية في تاريخھا الحافل بالازدراء والالام ، ذلك أنه سعى بوصفه طاغية عاجزاً، الى ان يُمكن لسلطته في الداخل عن طريق الاعمال الوحشية المتكررة "، ففي السنة الاولى من حكمه قتل عمه الاعمى (أمام قلي ميرزا) بحجة ان بعض الامراء كانوا يخططون لأختيائه حاكماً للبلاد، في عام ١٦٣٠ م وقتل قائد الجيوش (زينل خان شاملو) بفعل تقصيره في الحرب مع العثمانيين ولم تشفع له انتصاراته في معارك عده^(١٢).

مع كل تلك الاوضاع لم تشهد بلاد فارس أي تطور عمراني أو استقرار سياسي في عهد الشاه صفي فتحول بلاطه الى مركز للدسائس والمؤامرات و تميز عهده بتنامي حركة الانتفاضات الداخلية ضد حكمه الجائر ، وظل صفي بعيداً عن التعليم والاهتمامات الثقافية وفنون القتال والفروسية ولم يظهر في عهده مفكر كبيراً أو أديب مبدعاً ، ولم يكن يعرف شيئاً عن إدارة الحكم ، وانشغل بشرب الخمر و الفساد ، وانتفض ضده أبناء كرمان وأبناء كرجستال في عام (١٦٣٠-١٦٣٣) م. الا ان الشاه قمع انتفاضاتهم بقسوة متناهية^(١٣).

كان قلما تدخل في شؤون الحكومة حيث امضى الشاه مجمل حياته ان لم يكن بكاملها مع زجاجاته وزوجاته وممارسة الصيد ، اما الحرير الذي عدّ في وقت من الاوقات القضية الفارسية فقد حلت بتجارته كارثة ، حيث سلبت محلات الحرير الملكي من ناحية و تبعثر ما ينتج منه عبر تركيا وروسيا من ناحية ثانية ، وانعدام المُخزن منه من ناحية ثالثة^(١٤)،

تأسيساً على ما تقدم ادى تدهور تجارة الحرير وهي مصدر مهم من مصادر الثروة للدولة الصفوية الى تدهور اقتصادها ، و أزيد اوضاع البلاد سواء .

ادى ضعف الشاهات الذين خلفوا الشاه عباس الكبير و انفاقهم الاموال على ملذاتهم الخاصة الى ان يحظى الاوربيون بامتيازات اقتصادية كبيرة في الدولة الصفوية ، فقد وصلت اعداد كبيرة منهم الى المدن الصفوية لتحظى برعاية خاصة من لدى الحكام ورجال الحاشية و البلاط ، فانتشرت الرشوة بشكل كبير بين الحكام و المتنفذين من أجل الحصول على هذه الامتيازات حتى وصلت الى الشاه صفي نفسه^(١٥).

أدى حصول الأوربيين على الامتيازات الاقتصادية الى تدني الانتاج الحرفي الصفوي ، و اصابته بالكساد ، فبحكم كون الانتاج الصناعي الاوربي افضل نوعاً و اجود انتاجاً مقارنة بالانتاج الحرفي الصفوي أدى لتوقف المعامل الصغيرة و اعلن قسم منها افلاسه وتسريح رجال الاعمال في بعض المدن الصفوية لأعداد من عمال معاملهم نتيجة توقف الانتاج الحرفي^(١٦).

اما الامتيازات الاجنبية فقد استمرت ولم يحصل ان تنكر احد من الشاهات الصفويين لتلك الامتيازات لذا جرت العادة ان تُجدد و يُيسر " فتجديد فرمان الشاه عباس لعام ١٦٣١م، قد حُصل عليه من قبل الشاه صفي دون عناء يُذكر"^(١٧)

و وصف أحد المختصين حالة السوق الصفوية اواخر عهد الشاه صفي مؤكداً ان التجارة باتت راكدة ، وتراجع التبادل التجاري كثيراً بسبب الرشاوى التي كان يطلبها جامعوا الضرائب ، فضلاً عن الهدايا التي كان الشاه صفي يطلبها من التجار مقابل المراسيم التي كان يصدرها^(١٨). فضلاً عن ذلك

اعتقد ان ضعف الامن شجع السراق وقطاع الطرق (للصوص) على زيادة سرقاتهم وقّلت من ممارسة التجارة لعدم توفر الامن في الطرق.

ان شاهاً ضعيفاً كهذا اغرى به جيرانه ، لذا نشبت الحروب من جديد تلك التي غذتها حالة العداء الشديد المستتر تارة والمتفجر تارة اخرى^(١٩). كغارات الازريك (الاحدى عشر) غارة في عهد صفي وحده ، وسقوط بغداد بيد العثمانيين عام ١٦٣٨م^(٢٠).

توفي صفي لكثرة افراطه في الشراب ١٦٤٢ م ، وقيل أنه مات مسموماً. تولى العرش بعده ابنه عباس الثاني لم يتجاوز العاشرة من العمر ، فأستغل ميرزا تقي رئيس الوزراء الصفوي صغر سن عباس الثاني فأخذ يُدير امور الدولة بالشكل الذي يخدم مصالحه دون ان يردعه رادع ، إلا ان الشاه عباس الثاني حين بلغ سن الرشد امسك بزمام الامور و ادارة الدولة وكان قوياً واثبت جداره في حكمه^(٢١). وكان من القوة بحيث انه جند حملة واستعاد قندهار عام ١٦٤٩ م من ايدي المغول الذين كانوا قد احتلوها في عهد صفي ، وفشلت محاولات مستميتة من المغول لاستعادة المدينة إلا ان الشاه عباس الثاني احبطها جميعاً واثبت الجيش الصفوي تفوقاً عسكرياً على الجيش المغولي^(٢٢).

إلا ان السنوات الاخيرة من عهد الشاه عباس الثاني شهدت ظاهرة تحكم الغلمان والنساء بأمور الدولة ، فقد كانت أغلب الشؤون الادارية ، ومفاصل الدولة في أصفهان والمقاطعات الصفوية الاخرى تحت تصرفهما ، إذ لم يكن بيد مجلس الوزراء شيء وكانت القرارات تتخذ من قبل الشاه فقط ، دون الرجوع الى المستشارين الا انه خضع فيما بعد لتأثير النساء حتى قال عنه أحد المؤرخين " أنه عاش بين مطرقة الغلمان وسندان النساء ، حيث كان الغلمان خلال الفترة ١٦٦٠ م حتى وفاته ١٦٦٦ م يتمتعون بسلطة سياسية كبيرة ، إذ شغلوا معظم المناصب الرئيسية المهمة في الدولة وكانوا من أبرز مستشاري الشاه في القصر ، وقادته في الميدان ، كما انهم اشرفوا باستمرار على تعليم الامراء الشبان ويمكن ان تُرجع الكثير من الدسائس والمؤامرات والاغتيالات التي شهدتها فارس خلال تلك الفترة الى مكائدهم وطموحاتهم^(٢٣).

اعتقد ان كل الامور التي كان يقوم بها القزلباش قام بها الغلمان فبدلاً من اعتماد الشاه على القزلباش أخذ يعتمد على الغلمان في حين كان القزلباش يعدون أنفسهم من مؤسسي الدولة الصفوية و انها قامت بسواعدهم لأنهم هم من ساند الشاه اسماعيل الاول في حروبه الاولى لتأسيس الدولة الصفوية ، ولكن الغلمان أخذوا مكانتهم لدى الشاه مما أدى الى حدوث تنافس وتناظر فيما بينهم انعكس في كثرة المؤامرات في تلك الفترة والفترات اللاحقة ، فضلاً عن ان الولاء للشاه تغير حيث كان القزلباش اشد ولاء للشاه والدولة الصفوية وكان ولائهم مطلق له ، ولكن هؤلاء الغلمان كانوا من أصول مختلفة (كرج-ارمن- شركس)، وكان ولائهم موزع على اصولهم ومصالحهم لا للشاه كما أنهم لم يؤلّوهوا الشاه ، وهذا يؤكد لنا واحدة من أهم أسباب تدهور السلطة الصفوية وانحلالها يعود الى الدور الذي اداه هؤلاء على حساب سلطة الشاه المركزية نفسها في أواخر عهد الشاه عباس الثاني

وبعد وفاة الشاه عباس الثاني عام ١٦٦٦ م انقسمت القوى المتحكمة بالبلاط الصفوي الى مجموعتين أحدهما تحيزت لصفى ميرزا ، والثانية تحيزت لحمزة ميرزا أبني الشاه . ثم ما لبث التنافس ان اظهر الغلام "اغا مبارك". وهو احد الخوارج المعروفين الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في البلاط الصفوي ، رفض اقتراحهم وهدد بقتل حمزة ميرزا ان لم ينصبوا صفى ميرزا الذي لُقّب فيما بعد بشاه سليمان (بناءً على نصح المنجمين) بتغيير أسمه لأنه كان دائم المرض فادعوا ان أسمه لا يلائمه و الافضل تغييره و اصبحت شاهاً على الدولة الصفوية^(٢٤).

كان الشاه سليمان شخصية ضعيفة وقع تحت تأثير الامراء والمستشارين و افراد حاشيته ، وساد البلاد في عهده التدهور و الانحلال ، فقد كان ميالاً لمخالطة النساء ، ولم يرضى مصالح الناس و انما أهمل شؤون العامة ولم يكن يهتم سوى بقائه في الحكم ، مما شجعت حالة الانحلال والتدهور التي كانت تعاني منها الدولة الصفوية عدد من الشخصيات والقوميات غير الصفوية التي ادت دوراً مهماً في تأريخ ايران نتيجة انفصالها واحتفاظها بحالة الاستقلال عن مركزية الدولة الصفوية منها تشجع سليمان خان الاردلاني للانفصال في منطقة كردستان التابعة للدولة الصفوية بعد حصوله على دعم عثماني ألا ان الشاه أراد ان لا يجعل من تلك الحالة بادرة خطيرة للقوميات غير الصفوية فقام بتجهيز حملة بقيادة قائد معروف بأسم رستم الذي قتل سليمان خان واستعاد امارته الى السيادة الصفوية (٢٥).

فضلاً عن غارات قبائل الاوزبك في المناطق الشرقية من ايران وما سببته من دمار في الاقاليم الفارسية ، الا ان الشاه لم يحرك ساكناً ، فضلاً عن غارات التتر و التركمان الذين شجعهم ضعف السلطة للقيام بتلك الغارات (٢٦).

فضلاً عن تفشي الرشوة بين موظفي الدولة الكبار والصغار ومن الأمثلة على الفساد الاداري ما قام به موظفوا الديوان الشاهاني في تزوير السجلات المتعلقة بالجند فبينما كان عدد الجند حسبما تبينه السجلات (تسعون ألفاً) كانت الحقيقة غير ذلك حيث كان العدد موجود فقط في السجلات ، وكانت الحكومة تدفع لهؤلاء الجند الرواتب على شكل حوالات فقد كان القسم الاكبر من هذه الحوالات يذهب لمزوري السجلات من الموظفين ، اما الشاه فكان غافلاً او متغافلاً عما يجري ، ومشغولاً بمقتنياته الثمينة التي ارهقت ميزانية الدولة ، فكان يمتلك فيروز لا مثيل له وستمائة قطعة الماس وخمسون كيس ذهب زنة الواحدة خمسة وعشرون كيلو غرام (٢٧).

فضلاً عن ان حركة تصدير الحرير الصفوي في عهد الشاه سليمان لم تكن مزدهرة كما كانت من قبل ، فالهولنديين مثلاً قللوا من استيراده ، كما ان الحكومة الجوركانية في الهند منعت وصوله الى الهند ، كما انه لم يكن رائجاً في الدولة العثمانية في ذلك الوقت وبذلك يتم استهلاك الحرير محلياً (٢٨). كما تدنت قيمة العملة ، فالشاهي أصبح يوازي ربع المبلغ (قلت قيمته)، الشاه سليمان علم بذلك و لم يعالج بعد وفاة الشاه سليمان ترك سبعة اولاد أكبرهم حسين ميرزا البالغ من العمر ستة وعشرون عاماً ، وكان الشاه المتوفى قد أوصى بأن يخلفه ابنه الثاني عباس ميرزا البالغ من العمر (ثلاثة وعشرون عاماً) والذي اتصف بالحكمة بالرزانة و التعقل ، على عكس

أخيه الأكبر الذي اتصف بضعف النفس والميل الى الانزواء والابتعاد عن المجتمع ، على الرغم من انهما نشئا في الحريم السلطاني وبين الغلمان، كانت مسألة الاختيار بيد الامراء والقادة ، وقد رفعوا سلطان حسين الى العرش في اصفهان ليستأثروا بشؤون الحكم فُنصّب عام ١٦٩٤ م^(٢٩).

المبحث الثاني : الشاه حسين بن سليمان ١٦٩٤ - ١٧٢٢

والشاه طهماسب الثاني ١٧٢٢ - ١٧٣٢

كانت شخصية الشاه حسين بعيدة عن كل صفات الملك الذي يدير دولة كبيرة كالدولة الصفوية ، كان يقضي وقته في الصيد واللهو وفي جناح الحريم او في المطالعة ، اشتهر بالملأ ، لقد ترك شؤون دولته للعلماء وبعض المسؤولين التافهين ، لقد كان الرجل نائماً ولم يكن هناك من يوقظه ، اشتهر بلقب "باخش در" تعني باللغة التركية "حسناً" لان جوابه عن كل ما يطلب منه حسناً^(٣٠).

تميز بضعفه وخموله وعدم قدرته على تصريف الامور السياسية و كان مؤمناً بالخرافات و الأساطير ، فاستغل ذلك رجال حاشيته الذين هيمنوا على جميع الشؤون الدينية والدينية للبلاد ، لذا يصف لنا احد المؤرخين الفارسيين اوضاع البلاد في ظل حكم الشاه حسين قائلاً "اهتم هذا الشاه ببناء القصور وتزيينها، وسعى لجمع الاف الفتيات الجميلات من جميع انحاء المعمورة للاستمتاع بهن ، ونسيان ما كان يدور في بلاده من مظالم وجور..."^(٣١).

ولضعف هذا الشاه انتشر قطاع الطرق بين المدن الايرانية الرئيسية ولم يعد الاستقرار و الامن موجوداً ، وبدأ الوضع يسير نحو الانحلال الكلي بسبب وجود شخصية ضعيفة على رأس السلطة الصفوية^(٣٢).

كما وصف احد المؤرخين الشاه " بأنه واحد من اجبن الشاهات الصفويين ، فترك أمور الحكم الى حاشيته ورجال بلاطه الغارقين في الفساد ، فلا عجب مع هذه الحال ان تصبح الدولة الصفوية عرضة للغزو الاجنبي^(٣٣)،

كما قرب اليه المشايخ و العلماء ، و اعطاهم المناصب العليا و حرم القادة و الامراء منها ووصف المؤرخين الشاه حسين "أنه لم يمتلك ايه خصلة تؤهله لتولي السلطة ، فقد كان رجلاً طيباً و عطوفاً وكانت طبيته تصل الى تصديق كل ما يقال له ، فضلاً عن كونه لا يعاقب احداً ، مما

تسبب في انتشار الفساد لدى افراد رعيتِهِ ، مع غياب العقاب ، لنفوذهم داخل الدولة ، وهو على هذا لم يؤدي شخص معيناً بل اذى البشرية بأجمعها اي الدولة الصفوية (٣٤)

ابتدأ الشاه حسين حياته السياسية بمساندة شيخ الاسلام محمد بكير المجلسي الفقيه المشهور وقد وجههُ نحو عمل الخير والابتعاد عن الانغماس في الشهوات (٣٥) ، وقيل انه عند تتويج الشاه حسين ، رفض ان يتلقى سيف الحكم من الصفوية ، كما تقضي التقاليد ، واستدعى محمد بن باقر . محمد تقي المجلسي ليتولى ذلك بنفسه ، وبعد الاحتفال سأله الشاه ، ماذا يطلب مقابل تلك الخدمة ، فطلب ان يمنع شرب الخمر واللعب بالحمام ، فأصدر الشاه امراً بتنفيذ رغبة شيخ الاسلام ، و اجابه لطلب المجلسي ، أمر بطرد جميع الصفوية من "أصفهان" ، كما منع أقامه الاذكار وحرّم كل ما يتعلق بالتصوف ، ثم مضى المجلسي يتتبعهم في الدولة الصفوية بقيه عمره (٣٦).

واعتقد انه فعل ذلك لأنه لم يُرد ان يتعاضم نفوذهم على حساب نفوذه او نفوذ الشاه لان رجال الصفوية اتخذوا من التصوف منفذاً لهم الى لعبه السياسة.

مصادر أخرى تشير الى أن كلاً من رجال الدين الشيعة والسنة اساءوا اصطناع السلطة و امعنوا في التنكيل بمواطنيهم من أهل السنة (٣٧)، لكن حسب ما ذكرنا آنفاً كان التنكيل للجميع ولم يُفرق بين احد لمذهب معين.

وقد احتدم الصراع بين علماء الدين في عهد الشاه حسين وانعكس هذا على أيمان الناس و تزلزت العقائد التي كانت ذات يوم راسخة في نفوسهم وانقسم المجتمع الايراني تبعاً للانقسام الذي طال رموزهم الدينية (٣٨).

تأسيسا على ما تقدم رجال الدين هؤلاء كانوا مستفيدين من قريهم من الشاه خلال تأثيرهم على الشاه وعلى الناس و كانوا يحققون اطماعهم ومصالحهم الشخصية الدنيوية وانشغلوا بتحقيق نفوذهم وابتعدوا عن الدين ولما أبعدوا عن الشاه ضرب نفوذهم وضربت مصالحهم فأخذوا يثيرون الفتن والقتال مع السنة .

حيث حدثت اعتداءات واضطرابات داخلية اودت بحياة قادة مخلصين ففي عام ١٦٩٩ م شن رجال قبيلة البلوج حملات عده على كرمان أدت الى خراب المدينة ، واندلعت بعد عامين

اضطرابات في قندهار قام بها الغلزيون (قبيلة بشتونية كبيرة مركزها جنوب غرب افغانستان بين قندهار و غزنة و تمتد مناطقها الى الشرق نحو سلسلة جبال سليمان داخل باكستان) بعد ازدياد عددهم وارتفاع شأنهم شهدت اصفهان عام ١٧٠٧ م انتفاضة كبرى ، بسبب المجاعة القاسية التي اصابت المدينة وقد طالب المنتفضون اطلاق سراح عباس ميرزا شقيق الشاه حسين وتعيينه شاهاً على البلاد ، وازدادت الخلافات خصوصاً مكائد الغلمان الذين فرضوا سيطرتهم على الشاه. فضلاً عن ذلك فان الضرائب المفروضة على الفلاح كانت باهضة جداً فقد وصلت الى ضعفين او ثلاثة اضعاف ، كما ان الحكومة صادرت العديد من الاراضي الزراعية ، وهذا مما سبب سخطاً ليس للفلاح و انما لأصحاب الاراضي ، ان الاحداث التي شهدتها بلاد فارس والمتمثلة في وجود شاه ضعيف و اوضاع اقتصادية متدهورة ، دفعت الغلزيين في قندهار الى المطالبة باستقلالهم و ادارة شؤونهم بعيداً عن سيطرة الاسرة الصفوية (٣٩).

دخلت مدينة قندهار عاصمة الاقليم اصفهان في عهد جديد كقوة بارزة على المسرح السياسي الدولي، وذلك بتسلم الحكم فيها كوركين خان الكرجي المعروف بـ(الذئبي)، راح هذا الوالي بوصفه تابعاً لدولة شيعية المذهب يضيق الخناق على الافغان الغلزيين السنة (٤٠). وكان كركينخان (كما تسميه مصادر أخرى) قد سار بجيش قوامه عشرون ألف مقاتل الى قندهار في عام ١٧٠٧ م أغلبهم جورجيين ولم يبد الغلزيين ايه مقاومة تذكر ، بل قدّموا فروض الطاعة والولاء. الا ان كركين أساء معاملتهم اذ عدهم عصاه مارقين وقام جنوده بابتزازهم والتكيل بهم ، فشكى الغلزيون كركين خان الى الشاه بارسال الرسل اليه ، الا ان كركين خان كان قد ارسل في ذات الوقت وفداً الى الشاه يخبره بأن الغلزيين يعملون على اثاره الفوضى في قندهار، فوبخهم الشاه واعتبرهم فوضيين (٤١).

على أثر ذلك ازداد كركين خان تنكياً و قسوه بالغلزيين لاسيما قادتهم اذ اعتقل الامير أويس رئيس شرطة قندهار ، وهو من اشهر العائلات الافغانية ، وعدة الاهالي حاكمهم الشرعي و ارسله الى اصفهان مكبلاً بالقيود مع رساله جاء فيها " هذا الامير هو زعيم العصاه والذين يدبرون للملكة المكائد وانه مادام في اصفهان فلا خوف على البلاد من اعوانه و اما اذا عاد من اصفهان فلا بد من الثورة العظيمة " (٤٢).

لكن استطاع مير أويس التقرب من الشاه حسين حتى عفا عنه و اصبح رجله المفضل وحصل منه على أذن بالذهاب الى الحجاز لأداء فريضة الحج فأستغل وجوده في مكة واجتمع

بفنائها وحصل منهم على فتوى تجيز محاربة الصفويين والقضاء عليهم لأنهم أصبحوا يشكلون خطراً على المنطقة^(٤٣).

لما عاد مير أوبس الى اصفهان وجد مبعوث القيصر الروسي (بطرس الاكبر) ١٦٨٩- ١٧٢٥م ارشيل وهو أخو كوركين ، يتفاوض مع الشاه حسين باسم سيده لمنح روسيا بعض الاراضي التي توصلها الى الهند والخليج العربي، اذ كانت سياسة بطرس الاكبر تفضي بالاقتراب من استانبول وممالك الهند والاستيلاء على الدولة الصفوية و اعادة فتح طريق التجارة القديم بين الشام والهند، غير ان أرشيل لم يحصل الا على موافقة الشاه بمنح التجار الروس الامتيازات التجارية^(٤٤).

استغل مير أوبس هذه المسألة واخذ يؤلب الشاه ضد كركين وبتهمه بميله الى الروس ، فأمر الشاه بتعيين مير أوبس رئيساً لشرطه قندهار ومراقباً لاعمال كركين^(٤٥). فأراد الاخير الانتقام من مير أوبس فطلب منه ان يزوجه بابنته غير ان مير أوبس ارسل اليه بنتاً اخرى على انها أبنته فأرضاه مؤقتاً (اعتقد ان عدم رغبة مير اوبس بتزويج ابنته من كركين لان الاخير مسيحي فضلاً عن تخمينه لرغبة كركين بالانتقام منه من خلال الزواج بابنته) . الا ان كركين رفض الا ان يحسم الخلاف بحد السيف ، فقرر مير أوبس التخلص منه ، فقتله غدرًا أثناء وليمه اعدّها وذلك في عام ١٧٠٩ م وتسلم حكم قندهار بدلاً منه^(٤٦).

عاد الشاه حسين ليكلف خسرو خان ابن أخ كركين خان بقياده حمله عسكرية ضد الافغان ولم يأتي تكليفه بهذه المهمة اعتباراً ، بل كان ذلك رغبة من الشاه حتى يثار خسرو خان من قاتل عمه مير أوبس فيندفع بشكل كبير في قتاله ضده ، كما لمحّ الشاه لخسرو خان بأنه سيكافأه اذا ما حقق الانتصار، فقاد خسرو خان قوة من القزلباش الجورجين عام ١٧٠٩ م باتجاه قندهار ، فحاصرها حصاراً شديداً بعد ان التحقت به قبيلة الافغان الابدالية نكايه بقبيلة الغلزائية التي كان يقودها مير أوبس ودام حصاره للمدينة عام ونصف^(٤٧). مصادر اخرى تذكر مدة الحصار (خمسة اشهر فقط) تحت وطأة الحر الشديد ونقص الامدادات وشيوع مرض (الذنتري) اضطر خسرو خان الى التحول من الهجوم الى الدفاع^(٤٨).

حيث نمت بين افراد الجيش روح الاستياء و الرغبة في فك الحصار عن المدينة و العوده الى اصفهان ، هاجم مير أوبس الجزء الصفوي عند ضفة نهر هيومنند، فاضطر خسرو خان

للانسحاب من المواجهه مع الافغان بعد الخسائر التي وقعت بين صفوف جيشه في السادس والعشرون من كانون الاول عام ١٧١٢ م. الا ان الافغان استمروا بتعقب القوات الصفوية المنسحبة و انزلوا الهزيمة بهم حتى ان خسرو خان وقع في كمين نصبه له الافغان وتم قتله فيه، كان من نتائج المعركة ان خسر الصفويون حوالي (اربعة وعشرون ألفاً) من مقاتليهم ، فضلاً عن قائدهم^(٤٩).

يبدو ان ذلك الانتصار انعكس سلباً على معنويات الصفويين ، وارتفعت سمعة مير أويس بين الافغانيين ، كما كسب الافغان المدافع و الاسلحة التي تركها الجيش الصفوي في ساحة المعركة في أثناء انسحابه باتجاه الدولة الصفوية.

احدثت هزيمة الجيش الصفوي على يد الافغان ومقتل خسرو خان اضطراباً كبيراً لدى الشاه حسين الذي ادرك تعاظم قوة مير أويس وتحولهُ الى خطر حقيقي على السلطة الصفوية ، فقرر ارسال حمله اخرى بقيادة رجل مسن اسمه محمد زمان ، فتحرك الاخير بجيشه نحو قندهار الا ان المنيه وافته في الطريق فدفن بالقرب من هرات وتمزق جيشه قبل الدخول في أي معركة ضد الافغان^(٥٠).

مصادر اخرى تذكر الحملة بقيادة محمد رستم و انها تعرضت للدمار على ايدي القوات الافغانية ، اتاحت هذه الانتصارات لمير أويس ان يثبت حكمه في قندهار واستمر كذلك حتى وفاته عام ١٧١٥ م ، جعل مير أويس من أمانة قندهار قوة كبيرة في المنطقه دفعت خلفاءه الى التطلع الى ما وراء حدودها^(٥١).

تولى الحكم عبد الله خان بعد أخيه مير أويس، ولم يكن جريئاً وشجاعاً بل أراد إعادة السلطة الصفوية على قندهار، فأرسل الى الشاه حسين يدعوهُ الى إعادة السيادة الصفوية على المدينة مقابل (التخلي عن مطالبته بالضريبة السنوية التي كانت قندهار تدفعها الى الحكومة الصفوية ، وعدم ارسال جيش فارسي الى قندهار واعتراف الشاه بحكم عبدالله خان وأولاده من بعده على المدينة) ، هذا الموقف يدل على عدم قدرة عبد الله خان على قتال الصفويين ، وطموحه (بجعل الحكم له و لأولاده من بعده)، و ادراكه بان الصفويين لن يتخلوا عن قندهار وسيارسلون القوات لأعادتها^(٥٢). فأثار بعمله هذا ثائرة ابن أخيه المير محمود وقتل عمه واستولى على حكم البلاد ، بعد ان أعلن نفسه حاكماً مطلقاً لقندهار^(٥٣).

وبذلك فتح باب التحدي بينه وبين البلاط الصفوي الذي أعد عام ١٧١٧ م حملة للقضاء عليه ، لكن حين وصلت الانباء باستيلاء العثمانيين بقيادة (سيف بن سلطان) على جزيرة البحرين أمر الشاه بتغيير وجهتها الى البحرين ولما امتنع البرتغاليون عن نقل جنود الحملة الى الجزيرة لعدم دفع الحكومة الصفوية الخراج المترتب عليها ، رجعت الحملة دون ان تحقق الغاية لها^(٥٤).

استطاع مير محمود تثبيت اركان سيطرته على مدن قندهار ، مستغلاً انشغال الصفويين بمواجهة الابدالين الذين تحالفوا مع الاوزبك عام ١٧١٩ م من اجل غزو خراسان الخاضعة للحكم الصفوي ، وكانت القبائل الابدالية تحت قيادة أسد الله ، الذي استطاع تحشيد خمسة آلاف مقاتل وضمهم الى القوات الاوزبكية البالغ عددها اثني عشر الف مقاتل^(٥٥). وعلى الرغم من عدم التكافؤ بين جيش أسد الله والجيش الصفوي المجهز بالمدفعية فقد تم تشتيت الاخير من خلال اشاعات عن حصول خيانة في الجانب الصفوي بين صفوف رجال المدفعية الصفويين الذين أخذوا برمى مقاتليهم بقذائفهم ، فُدمر الجيش من جراء ذلك وبذلك حصل الابداليون على استقلالهم^(٥٦).

لم يكن بإمكان محمود الغلزائي السكوت ازاء الانتصار الذي حققه أسد الله الابدالي على القوات الصفوية على الرغم من انهما كانا يقاتلان قوة واحدة ، لان ميدان المنافسة بينهما كان يدفع احدهما للانفراد بالسيطرة لا على افغانستان فحسب ، و انما من اجل اسقاط الدولة الصفوية و اقامه امبراطوريه واسعة تلبي طموحاتهما الشخصية ، لذلك سعى محمود للتخلص من منافسه و احكام سيطرته على الافغانيين ، ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين بالقرب من هرات ، انتصر فيها محمود وقتل أسد الله . لم يكتف محمود بقتله بل ارسل رأسه الى الشاه حسين فأعتقد الاخير ان هذا العمل تعبير عن وفاء محمود الغلزائي ، ولم يفهم الرسالة بشكلها الحقيقي ، فأرسل الشاه هدايا فاخره نادرة الى محمود الافغاني و امر بتثبيته والياً على الافغان نجح محمود في خداع الشاه، كما ارسل محمود الافغاني رسالة الى الشاه حسين بيّن فيها ولاءه وطاعته وان حربه ضد أسد الله كانت من اجل حماية الدولة الصفوية وحكومة الشاه وله شخصياً حيث انه اراد ان يرتب اوضاعه ثم يحقق اطماعه^(٥٧).

اجتاحت عشائر الليغزيان في عام ١٧٢٠ م مدينة شماخي مركز شيروان وعلى الرغم من تصدي والي كرجستان لهم غير ان عدم مسانده الشاه له سهل نهب المدينة (سبب قيام الليغزيان بهذه الغارة هو انقطاع المعونات السنوية التي كان الشاه عباس وعد بها وتدفع بشكل منتظم لهم شرط حفاظهم على ولائهم للدولة الصفوية ، وفي عهد الشاه حسين ، أختلس الوزراء والموظفون

الاموال المخصصة للغزيان مما دفعهم للغزو والنهب) . وحصلت انتفاضة في لورستان وكرديستان واعلن مالك محمود حاكم تون استقلال المدينة عن الشاه. أن الفتن و الدسائس التي كثرت في بلاط الشاه وطالت اعوانه المخلصين كانت اشد فتكاً بالحكم الصفوي من الاضطرابات والانتفاضات فقد قام الشاه بفتح عيني وزيره فتح علي خان اثر وشاية من اعداء الوزير. كما طرد عدد آخر من المخلصين له بسبب الدسائس^(٥٨).

وعلى الرغم من فداحة الخسائر التي تعرضت لها الدولة الصفوية ، ومعظم الاخطار المحدقة بها ، بدا الشاه حسين ورجاله عاجزين عن تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، كما ان معنويات الشعب الصفوي كانت مزعزعة بسبب التدهور السياسي والاقتصادي وتعرض البلاد للكوارث الطبيعية مثل الزلازل ، الامر الذي اعطى مير محمود الفرصة لمهاجمة الاقاليم الشرقية لأيران^(٥٩).

فأغار اولاً على الابداليين (كما وضحت في فقره اعلاه) ، ثم تقدم الى كرمان واستولى عليها عام ١٧٢٠ م . على الرغم من المقاومة التي ابدتها حاكمها علي خان ثم هاجم يزد ، المدينة المؤدية الى اصفهان فسقطت في يده ، وفتح امامه الطريق المؤدي الى غربي العاصمة ، لكنه توقف في كرمان^(٦٠).

قضى في كرمان ما تبقى من الصيف حتى بداية الربيع(ومصادر أخرى تذكر أنه بقي تسعة أشهر عمل على جمع جيش ضخم وتوفير المستلزمات الضرورية له ، لقد قام بتنفيذ اجراءاته بشكل جيد جداً، وهكذا وفي كانون الاول عام ١٧٢١ م وجد انه يمتلك جيشاً ضخماً على أهبة الاستعداد ، مجهز جيداً بكل ما يحتاج اليه ، وترك اخوه في قندهار لقيادة الاقليم في غيابه ولكي يرسل اليه التجهيزات اللازمة والمجندين الذين يطلبهم^(٦١).

إلا انه اضطر الى العوده الى قندهار ثانيه لأسباب اختلف فيها المؤرخون منها قيام اعتماد الدولة لطق علي خان بتهيئه قوات كبيرة هزمت القوات الافغانية و اجبرتها على العوده الى قندهار، مصادر أخرى تؤكد قيام انتفاضة افغانية في قندهار ضد محمود لأنه أخذ معظم شباب المدن واجتاز بهم صحراء لوط وبقي في كرمان عده اشهر دون فائدة ، ومصادر أخرى تُرجع عودته لقيامه بتعيين بشيرن سلطان حاكم على قندهار لان شقيق محمود صغير السن و لا يمتلك خبره كافيه لوضعه بدلاً عنه وقام بشيرن بالتمرد على محمود والادعاء بأنه افضل لحكم الافغان ،

فرجع محمود وقتله ورتب الاوضاع لصالحه^(٦٢). و الاصح ان كل الاسباب اعلاه مجتمعه كانت سبباً في عودته . جدد محمود زحفه نحو بلاد فارس فقد سار بجيش قوامه أربع وخمسون الف(اختلفت المصادر حول عدد جيش محمود الافغاني ، فقد قيل في البعض منها انه خمسة آلاف او عشرة آلاف) وكان ذا تسليح وموئن وذخائر اكثر من الحملة السابقة واتخذ الطريق الصحراوي للوصول الى اصفهان ، فدخل كرمان في تشرين الاول عام ١٧٢١ م ولم يجد صعوبة في تنصيب نفسه سيداً على المدينة ، لكنه فشل في بسط سيطرته على القلعة التي دافع عنها حاكمها رستم محمد سعدلو ببساله ، اذ كبد الافغان خسائر قُدرت بنحو(الف و خمسمائة قتيل)، كاد على اثرها ان ينسحب محمود الافغاني بجيشه المكون من الغلزائيين و الهازار و البلوش الى قندهار لكن وفاه رستم محمد سعدلو غيرت الاحداث ، فقد عرض خليفته مبلغ خمسة الاف جنيه استرليني ، مقابل رفع الحصار، في الوقت الذي كان محمود برى بأن يسحب قواته ويعيدها الى قندهار، لذلك وافق على الطلب واتجه نحو يزد^(٦٣). فسقطت في يده ، كما استولى على فرح آباد بسهولة بعد ان فرت الحاميه الصفوية منها ، واخضع جُلغا الواقعة على الضفة الغربية لنهر زابنده رود بعد انقسام سكانها الارمن والفرس والعرب على أنفسهم ، تجاه هذا التقدم الافغاني ، ارسل الشاه حسين سفارة الى مير محمود عرضت عليه مبلغاً كبيراً من المال لقاء عودته الى أفغانستان ، فأعتقد الزعيم الافغاني بان الصفويين لم يقدموا على هذه الخطوه الا لانهم عاجزين عن التصدي له ووقف زحفه مما شجعه على التقدم الى اصفهان^(٦٤).

مصادر أخرى تذكر لما كانت هناك قلعه و اسوار في يزد منعت عبور القوات الافغانية من هناك فقد قرر محمود ان يعبر صحراء ريكزار ويهجم على اصفهان المتاخمة لها وقد بنى معسكره في ككتاباد على بعد ثلاثة فراسخ من تلك المدينة ، وقد نال المهاجمين فخ كبير هناك وهددوا العاصمة من هناك ، عقد الشاه اجتماعاً للوزراء و الاعيان وبعد مناقشات بشأن الغزو الافغاني، اقترح محمد قلي خان التحصن داخل اسوار العاصمة ومحاربتهم بالصبر حتى يضجرون ويقتل بعضهم لطول المدة ، "أن الافغانيين ضعفاء في حصار المدن ، الا ان والي عريستان محمد بن عبدالله كان على خلاف مع محمد قلي خان.اذ رفض الخطه بوصفها دليلاً على الخوف والجبن وأكد على ضرورة الخروج لمقاتلة الافغانيين وتحقيق النصر ، فشن رستم خان هجوماً عنيفاً في الثامن من آذار على القوات الافغانية ، ففشلت القوات الصفوية في هذا الهجوم واجبر محمد قلي خان على الانسحاب والتراجع نحو اصفهان^(٦٥).

ثم تمكن الافغان من الحاق هزيمة مهمة بالجيش الصفوي في الثامن من آذار ١٧٢٢ م ، مصادر أخرى تقول في التاسع من آذار في موقعه كُناباد على مسافة قليلة من مشرق العاصمة أصفهان ، ثم بدأوا بفرض الحصار على العاصمة. وقد نجح احد ابناء الشاه حسين وهو طهماسب الثاني من اختراق الحصار ليله السابع والثامن من حزيران عام ١٧٢٢ م متوجهاً الى قزوین مع ستمائة رجل على امل تجهيز قوة عسكرية هناك لنجدة العاصمة المحاصرة ، لكنه اخفق في ذلك وكتب الى أبيه يدعوهُ الى الهرب من العاصمة التي كان وضعها يزداد سوءاً بسبب الحصار^(٦٦).

وقد ادى سوء الاوضاع التي عانى منها الاهالي الى ظهور القحط الشديد حتى بدأ الناس يأكلون الجمال والبغال والحمير ولم يعد هناك انواع لحوم أخرى في الاسواق ، ثم اصبحوا يأكلون الكلاب والقطط وبسببها تسمم الكثيرين ، ولكثرة اكلها لم يبق منها شيء في المدينة ، الاشجار الكثيرة التي كانت في المدينة تبدو وكأنها غابة أُسقط كثير منها في المجاعة ، وكانت تباع جذور الاعشاب وتؤكل في الوجبات ، كما أصبح جلد الاحذية لفترة من الوقت غذاء ، وظهر آكله لحوم البشر ، لكثرة الجثث التي كانت في الشوارع كان يتم قطع الارجل بالسر ، وتم معاقبة هؤلاء لكن الخوف من العقوبة لم يردع لدرجة اخذت الامهات تأكل أطفالها^(٦٧).

ولم يجد الشاه مفرأً من الاستسلام وفق شروط مير محمود وهي التنازل عن الحكم والزواج بابنته^(٦٨).

جلس محمود الافغاني في الثاني والعشرون منتشرين الاول عام ١٧٢٢ م في احد قصور الشاه بفرح آباد وأستقبل الشاه بتكبر وخاطبه الشاه "ياولدي ان اله الكائنات لا يريدان احكم زماناً اكثر من هذا وقد جاءت ساعة صعودك على عرش بلاد فارس فأنا انتازل لك عنه وعن السلطة جعل الله حكمك سعيداً" . ثم نزع العمامة المملوكيه ووضعها على رأس الامير محمود، وبذلك أنهى حكم الاسره الصفويه من بلاد فارس بعد ان استمر زهاء مئتان و اربعة عشر عاماً^(٦٩).

كان محمود قاسياً جداً مع الضباط وكان جنوده يخافونه اكثر مما يحبونه كانوا يقدرون جرأته لكن لم يكونوا يتمنون له الخير لأنه كان يعمل على أخذ الغنائم منهم وكان يعاملهم بقسوة شديده ، كما انه نظر اليهم باحتقار شديد^(٧٠).

مهمة الشاه محمود الافغاني في السيطرة على الدولة الصفوية لم تكن سهله المنال فقد كان عليه ان يُجابه قوى متعددة حين تتاح الفرص المناسبة للانقضاض على البلاد ، كانت روسيا تتطلع في عهد قيصرها بطرس الكبير ١٦٨٢-١٧٢٥ م الى جعل بحر قزوين بحيرة روسية لتوسيع تجارتها بحيث تمر تجارهُ بلاد فارس والهند عبر بلادها(وضع يدها على الحرير الصفوي وصولاً الى الهند عبر بخارى و خيوه)، فوجدت في الاوضاع المتدهورة للبلاد المحتل فرصه سهله لتحقيق اهدافها ، في حين ان الدولة العثمانية وجدت نفسها احق من غيرها في السيطرة على المدن الصفويه (٧١).

كذلك كان طهماسب بن الشاه حسين يرى ان تنازل والده عن العرش غير شرعي ، وانهُ الوريث الوحيد لعرش الدولة الصفوية فأعلن نفسه في الرابع والعشرون من تشرين الاول ١٧٢٢ م شاهاً على البلاد في قزوين وسك عمله نقدية بأسمه و ارسل مرسوماً الى أنحاء البلاد كافه يعلن فيه تنصيب نفسه ، ايمن الشاه الافغاني خطوره تكالب القوى عليه (٧٢). لذلك قرر اولاً قتال طهماسب ميرزا ، فأرسل في اواخر تشرين الثاني عام ١٧٢٢ م حملة مؤلفه من ثمانية آلاف مقاتل بقيادة إمان الله خان لاحتلال قزوين مقر طهماسب ، إلا ان المحاولة لم تكلل بالنجاح على الرغم من دخول القادة الافغانيين قزوين دون مقاومه ، حيث هرب طهماسب ميرزا الى (شيراز)، وهذا يتطلب قوات اضافيه عليه جلبها من قندهار لان الصفويون لا يحبون الانتماء لجيش يقوده افغاني لذا ارسل عدد من اتباعه ومعهم ثلاثمائة ألف جنيه استرليني الى قندهار لجمع المقاتلين ، لكن حاكم سيستان اعترضهم ونهب الاموال مما جعل عليه الامر أكثر صعوبة (٧٣).

وفي الوقت الذي كان فيه الشاه محمود الافغاني منشغلاً بمتابعة طهماسب ميرزا ، وصل الى اصفهان مبعوث روسي كان قد توجه من روسيا الى الدولة الصفوية أثناء الحصار الافغاني لأصفهان . حيث بعث بطرسبورغ بمندوب الى البلاط الايراني في اصفهان طالباً تعويضاً مالياً عما لحق من اضرار بعدد من التجار الروس في مدينة شماخي الأذرية الشمالية على أيدي اللزكين (٧٤). الذين كانوا في ثورة ضد الفرس وعندما وصل السفير الى اصفهان وجد الشاه حسين الصفوي قد تركها، وان الغازي الافغاني محمود يحتل فارس، ورفض الاستجابة للطلب الروسي قائلاً " ان على القيصر حماية تجارته بنفسه تحول هذا الموضوع الى السبب المباشر لتنظيم الحملة التي دخلت التاريخ باسم " الحملة الفارسية الاولى أو " حملة بطرس على الدولة الصفوية والتي عجل في أمرها تدخل الاتراك النشط في شؤون منطقة شيروان حينذاك حاول بطرس تبرير

حملته في بيان له بالتأكيد على ضرورة معاقبة اللزكين " وحماية مسيحي ما وراء القفقااص جورجيين و ارمن وقد قاد القيصر الروسي بنفسه حمله قواته على الدولة الصفوية (٧٥).

وفي أواخر عام ١٧٢٢ م انزل بطرس اسطول حربي كبير في نهر الفولغا وكان مؤلفاً من تسعة و اربعون ألف مقاتل ، و اعلن انه لم يزحف على بلاد فارس طمعاً بأراضيها ، و انما لينقذها من الطاغية الافغاني ، فتقدم باتجاه الجنوب صوب دريند وهزم القوات الداغستانيه واستولى عليها ومن ثم اتجه نحو شماخي بهدف السيطرة عليها ، ألا ان مبعوثاً عثمانياً وصل بطرس وهو في طريقه اليها يُعلمه باحتلال المدينة من قبل الجيش العثماني ويحذره من عواقب الاستمرار بالتقدم نحوها معتبراً ذلك حرباً ضد العثمانيين(٧٦).

وكان والي بغداد حسن باشا قد ارسل مبعوثاً من قبله الى اصفهان مير محمود عندما استقر على الحكم في ايران للوقوف على نواياه تجاه السلطنة العثمانية ، فابدى هذا ولاءه لها و ارسل سفيراً من قبله الى بغداد هو محمد صادق خان لتأكيد هذا الولاء والطلب من حسن باشا توفير الدعم العثماني للأفغان للاستيلاء على جميع الممتلكات الصفويه فأرسل حسن باشا تقريراً مفصلاً بذلك الى استانبول ، وبناءً على تقرير والي بغداد قرر الباب العالي الاستيلاء على مناطق الاطراف(ايروان-تبريز- كنجه- تفليس) لتحصين الجبهة الشرقية و امر ولاءه(ارضروم- قارص- وان- جلدز- الموصل- شهرزور- البصرة- بغداد) باجتياح الاراضي الصفوية الواقعة تحت سيطرة الصفويين فقط ، فأعد حسن باشا حمله عسكرية نجحت في السيطرة على كرمنشاه(٧٧).

قرر القيصر الروسي الانسحاب من دريند الى استرا خان قبل حلول فصل الشتاء ومن هناك عاد الى بطرسبورغ بعد ان عهد بقيادة الحملة الى الجنرال م.أ. مايتو شكين. كما ترك حاميتين ، الاولى في دريند ، والثانية في حصن استراتيجي قريب بناه حديثاً و اطلق عليه اسم"الصليب المقدس ، وقبل ان يغادر بطرس استرا خان جاءه مندوب زعيم كيلان يقترح عليه تسليمه مدينة رشت مقابل تعاون الطرفين لردع الغزو الافغاني الذي بدأ يهدد المناطق الشماليه للدولة الصفويه، فوافق القيصر ودخل مدينة رشت في كانون الاول عام ١٧٢٢ م، ثم بعدها دخل باكو بعد قصف مدفعي استمر أربعة أيام ، سُر بطرس ب(باكو) كثيراً ، لأنه يعتبرها "مفتاح لكل أهدافه"(٧٨).

اعتبرت الدولة العثمانية توغل القوات الروسية في الاراضي الصفوية تهديداً لنفوذها في تلك المناطق التي استولى عليها العثمانيون ، فأرسل السلطان احمد الثالث رسالة الى بطرس الكبير

يعلمه ان تجاوز القوات الروسيه على مدينة شماخي وباكو لا يعني الا الحرب على الدوله العثمانيه، ولعدم رغبة بطرس بالحرب مع الدوله العثمانيه آثر التوقف عن الزحف حفاظاً على باكو ودريند، بعدها اعلنت الدوله العثمانيه الحرب على الدوله الصفويه و اجتاحت جيوشها الاراضي الصفويه^(٧٩).

احتلت الدوله العثمانيه جورجيا، وازاء هذا الوضع اصبح الشاه طهماسب مهدداً بالاطار من جميع الجهات ، فاضطر الى عقد تحالف مع روسيا في الثالث والعشرين ايلول عام ١٧٢٣ م اعترف بموجبه:

١- عائدية مدينتي دريند وباكو و ما يتبعها من مناطق لروسيا الى الابد ، كما تنازل له عن مدن كيلان و مازندران و استرياد الى روسيا الى الابد.

٢- يتعهد القيصر الروسي بتقديم مساعدات عسكريه له ضد الغزو الافغاني والتهديد العثماني^(٨٠).

٣- يتعهد الشاه بتزويد القوات الروسيه التي تدخل اراضي ايران المون والجمال.

٤- اقامة علاقات ود ثابتة بين البلدين وضمان حرية التجارة والتنقل لأتباع كل واحد منهما لدى الطرف الآخر^(٨١).

يلاحظ ان المعاهده الروسيه - الصفويه تعكس في بنودها مدى انحلال الحكم الصفوي، فبنودها غير متكافئة، كما انها مؤشراً لنجاح روسيا في تحقيق اهدافها واطماعها في ايران وخطوة في طريق توجهاتها من اجل تحقيق مكاسب جديده لاحقه.

اتبعت هذه المعاهده مكاسب آنيه جديده في اطار آخر لموازن القوى في المنطقه نفسها ، ففي البدايه توترت العلاقات بين بطرسبورغ واستانبول اكثر من السابق ، مما دفع الاتراك للتوغل في المناطق الشماليه الغربيه للدوله الصفويه، واحتلال مدينه كرمنشاه الكرديه ، وكاد ان يؤدي ذلك الى اندلاع نيران حرب جديده بين روسيا والدوله العثمانيه^(٨٢).

ويبدو ان هذا التنازع كان يضر بمصالح فرنسا التجاريه في الشرق ، لذلك تدخلت لحل النزاع بينهما سلماً ، و ارسلت سفيرها دي بوناك De-Bonag السفير الفرنسي في القسطنطينيه لقمع اسس الاختلاف بين الدولتين الروسيه و العثمانيه ونجح في ذلك وتم عقد معاهده بينهما في الرابع والعشرين من حزيران عام ١٧٢٤ م سميت بمعاهده اسطنبول التي تم بموجبها الاتفاق على

ان تمنح كل من داغستان و شمال شيروان و الولايات الساحليه لبحر الخزر و كيلان و مازندران الى روسيا ، وان تحتفظ (الدوله العثمانيه بالنواحي و الاطراف) التي تسيطر عليها في شمال غرب ايران ويعني بها جنوب شيروان و كنجه و ايروان و مغان و قره باغ و انريجان و العراق ، وان تتم مراعاة حقوق الشاه طهماسب واحترامها اذا قبل بمعاهده اسطنبول، واذا رفض فأن كلا الدولتين ستقوم بمفاوضات لانتخاب شاهاً آخر للحكومة الصفوية^(٨٣). ويكون الخط الممتد من تركستان شرقاً الى ملتقى نهر الكروالرس الى دريند حداً فاصلاً بين ممتلكات الدولتين العثمانيه والروسية ، يحتفظ الشاه طهماسب الثاني بما تبقى من اراضي ايرانية شرط ان يعترف بنصوص هذه المعاهده، لقد تعرّض السلطان العثماني احمد الثالث الى نقد من قبل علماء الدين بتحالفه مع دوله نصرانيه ضد دوله مسلمه واقتسام اراضيها وتجاهلت المعاهده الوجود الافغاني في ايران. وبهذه المعاهده حقق الروس هدفاً استراتيجياً حال دون وصول العثمانيين الى شواطئ بحر قزوين، زجت المعاهده العثمانيه - الروسية مير محمود بمشكلات لم يستطع تجاوزها و ادت الى نهايته فبعد ان كان نشاطه مقصوراً في قلب الدولة الصفوية ، اخذت المشكلات تتوالى عليه من اطرافها متمثلة بـ :

- الضغط الدولي المتمثل بالدولتين العثمانيه و الروسية وممارساتهما في اقتطاع اراضي صفويه واسعة .

- تعرض جيشه لهزائم متكررة في مناطق عده داخل الدولة الصفوية.

- هجوم الاكراد اليزيديين على معسكره.

حيث ارهقت هذه التطورات الداخليه و الخارجية مير محمود مادياً وعسكرياً وذهنياً وانعكس ذلك على قدراته العقلية.

ونتيجةً لسياسة العنف والقسوه التي اتسم بها محمود حتى مع الافغان فأنهم لم يستطيعوا تحمل شخصيته المجنونه و المريضة ، لم يستطيعوا تحمله وسياسته تل ، فقتله الافغان انفسهم في عام ١٧٢٥ م و كان بعمر سبعة وعشرون عاماً، وتم تعيين أشرف ابن أخ مير ويس ابن مير عبد الله الذي قُتل بيد ويأمر من محمود وكان الاخير قد قتل من الامراء الصفويين مائه شخص^(٨٤).

وطالت مذابحه كبار القادة الافغان ، كما فرض ضرائب جديدة على الاراضي التي ارهقت كاهل الاهالي. فكان على مير أشرف مواجهه الازمات الكبيره التي يتعرض لها الوجود الافغاني في الدولة الصفوية و الناتجه عن الصراعات الاقليمية المتمثلة بالصفويين بقياده

الشاه طهماسب الثاني الذي عدّ نفسه صاحب الحق الشرعي في العرش ، وكان مركزه في مازندران والذي اكتفى بمراقبه ما كان يجري، لكنه بانضمام زعيم القاجار فتح علي خان أصبح قادراً على المشاركة في توجيه الاحداث في عمق الاراضي الايرانية بقيادة احمد باش والي بغداد. ابدى مير أشرف في بدايه حكمه حنكه سياسييه فعمد الى اخراج الشاه حسين من السجن وتزوج ابنته ليكتسب شرعيه هو بأمر الحاجه لها، كما اراد غدر طهماسب الثاني الا انه هرب الى طهران. وفي عام ١٧٢٥ م تم توقيع اتفاقية بين أشرف الافغاني والباب العالي نصت على:-

- ١- يعترف مير أشرف بتبعيته للدولة العثمانية.
 - ٢- تعترف السلطة العثمانية بمير أشرف حاكماً على ايران.
 - ٣- تكون المناطق الغربية من ايران (كرمنشاه، اورستان، حمدان، نهاوند، نخجوان، زنجان، تفليس، تبريز) تحت حكم السلطنة المباشر.
 - ٤- تدخل الاهواز ضمن حكم الدولة العثمانية مباشرةً.
 - ٥- تبادل السفراء بينهم.
 - ٦- مرور الحجاج الايرانيين عبر اراضي الدولة العثمانية.
 - ٧- عدم التدخل في شؤون الاراضي الواقعة تحت سلطة كل منهما.
 - ٨- الاتفاقية اساس للصلح وتُعد نافذه منذ لحظه توقيعها.
- وقعت في همدان في الرابع من تشرين الاول ١٧٢٧ م وعرفت بمعاهده همدان^(٨٥).

ان السبب الذي دفع أشرف الى طلب عقد معاهده صلح مع العثمانيين هو التهديد الذي اخذ يمثله طهماسب الثاني بالنسبة للاحتلال الافغاني ، حيث ثبتّ طهماسب الثاني مركزه في استراباد شمال شرق ايران حيث دعمته قبيله القاجار القوية^(٨٦).

يُلاحظ على هذه المعاهده انها وضعت الدولة الصفوية تحت الوصاية العثمانيه الاسمية ، وهذا ما كان يهدف اليه مير أشرف ، مناطق الاطراف الاستراتيجية أصبحت لدى العثمانيين الذين اصبحوا كحاجز يفصل بينه وبين الروس الطامعين في الاراضي الفارسيه وكان هذا لصالحه ، لانه لم يستطيع تأمين الحماية والدفاع عنها بقواه الذاتية ، دخول الاهواز لأول مره في الحكم العثماني دليل على ضعف الحكم الافغاني في بلاد فارس وهكذا ظلت بلاد فارس مقسمه بين الصفويين و الافغان و العثمانيين و الروس على الرغم من الجهود التي بذلها مير أشرف^(٨٧).

كان مير أشرف يخوف قبائل الاكراد من استيلاء العثمانيين على أصفهان العاصمة آنذاك لأنهم سيصبحون رعايا مستعبدين مع انه لم يختلف عن العثمانيين من حيث طابع حكمه الاحتلالي ، حدد الشرق مصير الدولة الصفويه ودوله الافغان كذلك^(٨٨). فظهر نادر قلي نادر شاه فيما بعد القائد الذي ستكون على يديه نهاية الافغان^(٨٩).

ينتسب نادر خان الى قبيلة افشار التركمانية التي هاجرت من تركستان أثر استيلاء المغول عليه ، واستقرت في اذربيجان، وظلت فيها الى ان رحلت الى خراسان وسكن افرادها في ابيورد، وكاننت القبيلة تقضي الصيف في ابيورد والشتاء في دستجرد حيث ولد نادر خان في عام (١٦٨٨) في اسرة فقيرة، دخل في خدمة بابا علي بك حاكم ابيورد، حيث اتصف بالطموح السياسي وحكم ابيورد . وكان طهماسب الثاني قد ارسل بطلب نادر قلي خان رغم نصيحة احد قواده بعدم طلبه لأنه شخص طموح وقد يأخذ من انتصاره على الافغان لصالحه حجه للوصول الى الحكم فيما بعد وذلك ما حصل فعلاً^(٩٠).

في أواخر العهد الصفوي تمكن نادر قلي خان من مواجهة (اشرف الافغاني) آخر الغزاة الافغان للدولة الصفوية الذي سلب ونهب الكثير من المدن الصفوية التي كان يمر بها حتى وصل الى مدينة اصطخر حيث فقد من جنوده الكثير بسبب البرد القارص والمشقة التي تحملها جيشه اثناء تحركاته العسكرية ، وفي الرابع والعشرون من كانون الاول عام ١٧٢٩ عام وقعت معركة حاسمة بينه وبين نادر قلي، واضطر اشرف الافغاني للفرار من قندهار متخفياً ، الا انه قتل فيها^(٩١) لتنتهي رحله سوداء و صور قاتمة لما يمكن ان يخلفه محتل لم تجني منه الدولة الصفوية سوى الكوارث والحروب والقتل^(٩٢).

وبنهاية الغزو الافغاني يكون الحكم الصفوي قد انتهى لأن الصفويين ضعفوا كثيراً أثر صراعهم مع الافغان ، وأنهكت الحروب الكثيرة قوتهم العسكرية^(٩٣). فحكم الصفويين بعد انتصارهم على الافغان (حكماً صورياً) لان الحكم الفعلي بعد ١٧٢٩ م حتى عام ١٧٣٦ م كان بيد مؤسس الدولة الافشارية نادرقلي خان الذي استولى على الحكم في بلاد فارس عام ١٧٣٦ م^(٩٤).

ان اي تحليل عملي لاسباب انهيار الدولة الصفويه يقودنا الى النقاط الاتية:

- ١- اعتماد الشاه اسماعيل الاول كلياً على القزلباش في فتوحه و ادارة شؤون البلاد مما جعلهم اكثر قوه، فامتلكوا الأقطاعات وكان الشاه قد اغدق عليهم الالقاب الشرفية حتى اضحت الدولة الصفوية تعرف "بمملكه القزلباش"^(٩٥).
- ٢- استخدم الشاه اسماعيل الشده والعنف في فرض المذهب الشيعي على بلاد فارس (وقتل كل من لا يدخل في هذا المذهب)، كما ولد ردود فعل عنيفة لدى الفرس^(٩٦).
- ٣- اعتماد اغلب الشاهات الصفويين على القوه العسكريه و الاسلحه التقليديه من سيوف ورمح وحمله بنادق، وكره الجيش الصفوي لسلاح المدفعيه واعتباره سلاحاً مخجلاً للبشريه وليس سلاح للرجال و الفرسان ، وان السيوف هي السلاح الامثل^(٩٧).
- ٤- خسارة الصفويين بقياده الشاه اسماعيل معركة جالديران عام ١٥١٤ م امام العثمانيين (لاعتقاد الجيش الصفوي على الاسلحه التقليديه) وما سببت تلك الخسارة من تأثير على الشاه نفسه (اذ انصرف الى اللهو وساحات الصيد) و اهمال امور المُلْك والرعيه ولم يسعى لتطوير جيشه، فقد كانت تلك اول خساره يُمنى بها الشاه اسماعيل الذي كان يعتبره جنوده الزعيم الذي لا يُهزم والمرشد الملهم ، حيث كان جنده يؤلهوه وبذلك فقد قدسيته كآله لا يخسر الحرب^(٩٨).
- ٥- اعتماد الشاه اسماعيل على القبائل التركيه (شاملو- استاجلو- راملو... الخ)، دون الاعتماد على القبائل الفارسيه مما قوّى تلك القبائل وجعلها تتنافس فيما بينها على التقرب من الشاه الصفوي خدمةً لمصالحها الشخصيه فقط مما سبب صراع في البلاط الصفوي فيما بينها للاستئثار بالسلطة عن طريق الحصول على الوصاية على الشاه صغير السن وهذا ما حدث بعد وفاه اسماعيل الاول حين خلفه ابنه طهماسب وله من العمر عشر سنوات و لصغر سنه بدأ امراء القزلباش بالتنافس فيما بينهم للتفرد بالسلطة و اخذ الوصاية عليه^(٩٩).
- ٦- قتل الشاهات الصفويين لأبنائهم و اخوانهم ومقربيههم وجميع الامراء الصفويين ممن لهم الحق بادعاء السلطنة (ابتدأ ذلك الشاه اسماعيل الثاني عام ١٥٧٦-١٥٧٧ م) و ازدادت تلك الظاهرة في عهد الشاه عباس الاول ، فالأمير الذي لا يُقتل تفتى عينيه حتى يصبح غير صالح لتسلم مهام المُلْك و بوفاه الشاه عباس لم يكن احد من اولاده و لا اخوانه صالحاً ليخلفه الموجود منهم ، فضلاً عن قتل كبار القادة العسكريين⁽¹⁰⁰⁾.
- ٧- تربيته أبناء الشاهات في الحرم الشاهي اما بأمر من آبائهم ، او الجد مثلما فعل عباس الكبير بعد قتل ابنه صفي ميرزا فأمر بتربيته أبنائه و احفاده في الحرم الشاهي ليشبوا على حياة اللهو والعبث والخنوع و لا يراهم احد و لا يتعلمون الفروسية و اصول الحكم وذلك خشيه

المنافسة على الحكم ، فنشئ بذلك أمراء ضعاف يحبون اللهو والفساد(مثل الشاه صفي) والشاه حسين الذي سقطت البلاد في عهده بيد الافغان، اما طهماسب الثاني فلم يكن قوياً بالمستوى الذي يمكنه من ادارته دفع الحكم او مواجهة التحديات ، وكان الخوف على الامير من القتل او سمل العيون دافعاً احياناً لجعل أم الشاه تخفي ابنها في الحريم الشاهي ومع الخُصيان كي يكون بعيداً عن اعين الشاه ويسلم من القتل او سمل العيون^(١٠١). وكانت حياة الحريم مليئة بالدسائس والمؤامرات فكان لها تأثيرها الواضح في حياة صفي وسلوكه فنشأ ميالاً للعبث ظالماً لا حدود لظلمه لم يتردد في قتل أفراد أسرته بعد توليه الحكم^(١٠٢).

٨- الصراع المذهبي بين الدولة الصفويه (التي تعد نفسها حاميه للمذهب الشيعي) مع الدولة العثمانية والاوزبك (التي تعد نفسها حاميه للمذهب السني) من نشوء الدولة الصفويه عام ١٥٠١ حتى انهيارها عام ١٧٣٦ م^(١٠٣).

٩- اورث الشاه عباس الاول خلفاءه تركيبيه سياسيه ذات ثلاث أوجه : سلطه داخلية آخذه بالتردي و التحلل ، حاله من العداة الشديد مع الجيران ، وامتيازات خاصة بالأوربيين حتى قيل ان الشاه عباس بذر البذور الاساسية للكارثة^(١٠٤).

١٠- تدخل النساء في امور الدولة والحكم وسيطرتهن على الشاهات الصفويين مثل مهد عليا التي حكمت بدل زوجها الشاه محمد خدابنده فعزلت من شاعة وعينت من شاعة وقتلت من تشاء ولكونها فارسيه رجّحت نفوذ العناصر الفارسيه على القزلباش ، فأشدت كرههم لها ، فضلاً عن الصراع الذي قام بينها وبين اخت زوجها بيرخان خانم فخشيت منافسه ابنها الصغير (ابو الفوارس اسماعيل الثاني) على السلطة فقتلتها ، وقتلت كل من يتعارض مع مصالحها^(١٠٥).

وكان آخر شاه صفوي طهماسب الثاني اداة طيعة بيد والدته وزوجاته مما ادى الى خضوعه لسيطرتهن ، الامر الذي انعكس سلبياً على شؤون الحكم ومستلزمات قيادته لاسيما وانه كان يواجه ظروفاً صعبة وتحديات خارجيه وداخليه صعبه^(١٠٦).

١١- تراجع الانتاج الحرفي الصفوي بسبب منافسه البضائع الاجنبية الافضل نوعاً و الارخص سعراً لعدم شمولها بالضرائب وسماع الشاهات الصفويين المتأخرين للتجار الاجانب بالتجاره في بلادهم لحصول عدد من المسؤولين الصفويين على الرشاوى منهم كما حدثت في عهد الشاه صفي الذي كان نفسه يأخذ هدايا ثمينة يفرضها هو على التجار^(١٠٧).

١٢- تناقص الموارد الاقتصادية للصفويين نتيجة الاضطهاد الاقطاعي وترك الفلاحين لقراهم واشتركهم في الخدمة الاجبارية في جيش طهماسب الثاني مما جعل البلاد تمرّ بظروف اقتصادية صعبة و تدهور مالي كبير^(١٠٨). فأدى ذلك الى ان يعيش الفرس في اواخر الدولة الصفويه على اركان نظام سياسي واقتصادي قد تجاوزه الزمن وحلت محله في اوربا الثورة الصناعية^(١٠٩).

١٣- الامتيازات التجارية الكثيرة التي منحها الشاه عباس للأجانب الذين وجدوا في الدولة الصفوية سوقاً جيداً لتصريف بضاعتهم فضلاً عن الحصول على الحرير الصفوي الارخص سعراً ، وكان غرض الشاه من منح تلك الامتيازات الحصول على المساعدة البحرية (الاساطيل) في حربه مع الدولة العثمانية ووقفهم معه ومساندته في تلك الحرب ، الا انه لم يحصل على ما يرغب ، بل كان سبباً في تواجد القوى الاستعمارية في المنطقة^(١١٠). وازدياد التنافس فيما بينهما ومضايقه سكان المنطقة ونهب خيراتها. تدخل الدولة الكبرى في تلك الفترة في شؤون بلاد فارس، لاسيما روسيا القيصيرية وبريطانيا وضغوطهما على الشاه طهماسب الثاني للحصول على امتيازات عديده داخل البلاد مما انعكس سلباً على ميزانية الدولة الصفوية وعلى استقلالها الاقتصادي والسياسي^(١١١).

١٤- الشاهات الذين خلفوا الشاه اسماعيل الاول والشاه عباس الكبير في الحكم و اخرهم الشاه طهماسب الثاني مروا بفترة تدهور وانحلال لان الافغان احتلوا البلاد وعاثوا فيها فساداً ، وازدادت التمردات في عهده ، مما اضعف دولته كثيراً مثل تمرد (الجماعات الكردية) عليه عام ١٧٢٧ م في منطقه خيوشان التي تقع شمال غرب مدينه مشهد الفارسيه المقدسه رغم انه ألحق بالكرد هزيمة منكرة كما تمردت عليه بعض القبائل التركمانية في خراسان أثر تأثرها بالدعايات المعادية له ، وانتصر عليها كذلك^(١١٢). نعتقد انه بالرغم من انتصاره على هذه التمردات ألا انها حتماً ساهمت في انهاك خزينة الدولة و انهاك الجيش وتبديد وقت يمكن استثماره في تحسين اوضاع البلاد.

١٥- ادى الاحتلال الافغاني للبلاد الى فقدان الصفويين لسلطتهم الموحده في البلاد ، وتنامي الاوضاع المضطربة فيها ، وظهور مدعين بالعرش من امثال شامل خان كرم الذي جمع حوله ما يزيد عن مائه الف شخص من اعوانه ، الا ان عدم التكافؤ بين قوه شامل خان كرم وقوات أشرف الافغاني الذي كان محتلاً للبلاد دفعت شامل خان كرم للفرار الى الهند^(١١٣).

١٦- السماح للفئات المختلفة داخل البلاد في عهد طهماسب الثاني من الانتماء الى الجيش الصفوي والانخراط في صفوفه ، ادى ذلك الى تدهور اوضاعه فضلاً عن الحروب والصراعات الداخلية التي انهكت الجيش الصفوي و ادت الى اضعافه وعدم تمكنه من الدفاع عن بلاد فارس ، وبالتالي استطاع الافغان من احتلال البلاد عام ١٧٢٢ م (١١٤).

ارى ان انتماء تلك الفئات من مختلف البلدان الى الجيش ادى الى ضعف ولائها للشاه الصفوي وللدولة الصفوية لأنها لم تكن تدافع عن بلدانها او حكامها او قضيه تؤمن بها . فكان ولائهم غير مضمون ولم يؤلّوها الشاه مثلما فعل القزلباش مع الشاه اسماعيل. فكان ولائهم له مطلق ومحسوم لصالح الشاه وكانوا يستमितون في الدفاع عنه وعن الدولة الصفوية .

١٧- تولي شاهات ضعاف بعد انتهاء عهد عباس الكبير الحكم باستثناء عباس الثاني ، وعدم قدرتهم على اداره امور البلاد مثل طهماسب الثاني الذي لم يكن قوياً بالمستوى الذي يمكنه من اداره دفة الحكم ، او مواجهه التحديات المحيطة به مثل التحدي الافغاني الذي احتل البلاد وسيطر على معظم المدن الصفوية(١١٥).

١٨- كما نلاحظ كان للخُصيان دور في اضعاف الدولة الصفويه حيث نشأ امراء الاسرة الصفويه ابتداء من عهد الشاه عباس مع الخُصيان في الحريم الشاهي وهذا ادى الى ان يكون هؤلاء معلمين الامراء الصفويين وملازميهم في البلاط ، فأصبح هؤلاء لهم تأثير على اولئك الامراء بعد ان اصبحوا في مركز السلطة شاهات فتحكم الخُصيان بالشاه ووجهوه بما يحقق مصالحهم ، وحصلوا على اقطاعات واسعة و اصبح لهم نفوذ وتأثير كبير في البلاط الشاهي ، وهؤلاء الخُصيان (كانوا من اصول مختلفة) وبالتالي لم يكن ولائهم للشاه بل كانوا يتصرفون بما يخدم مصالحهم.

ونعتقد ان كل تلك الاسباب مجتمعه ادت في النهاية الى انحلال الاسرة الصفويه ثم النهاية الى سقوطها ، فلم يُعالج أي شاه من الشاهات المتأخرين الاوضاع المتردية التي كانت تعاني منها الدولة الصفوية ، مما ادى اخيراً الى سقوط الدولة الصفويه نهائياً وبصورة رسمية عام ١٧٣٦.

الخاتمة

كانت أسباب سقوط الدولة الصفوية تعود الى عدم وجود قيادة مركزية قوية ، و شاهات أفوياء بعد الشاه عباس الكبير (باستثناء الشاه عباس الثاني الذي ظهرت بوادر الضعف في نهاية عهده فقط). اذ ساهم الشاه عباس الاول في سقوط الدولة الصفويه من خلال قتله أبناءه الشاهات وتربيته البعض الآخر في الحريم الشاهي مع الحريم و الخصيان فكان ان حكم بلادفارس من بعد الشاه عباس وشاهات ضعفاء تسببوا بخراب الدولة الصفوية بشكل تدريجي وصولاً الى انهيار الدولة ، وكانت أسباب كثيرة اخرى اجتمعت في النهاية لتغري الدول الاخرى (الأفغان- روسيا- الدولة العثمانية) في التقدم لاقتسام هذه الدولة ، فسيطر القزلباش على الشاهات:

ثم جاء بعدهم الخصيان الذين نافسوهم السلطة وسلبوهم اياها فضلاً عن الاقطاعات الواسعة التي اقتطعوها لصالحهم على حساب الفلاح و الملاك ، كما كان لنظام الامتيازات اثره في منافسه البضائع الاجنبية (الحرير) للبضائع الصفوية التي قلّ الاقبال عليها ، فضلاً عن انتشار الرشاوى بين المسؤولين الصفويين ، وكان ان فرضت ضرائب جديدة اتقلت كاهل الشعب الصفوي، وكان لتأكيد الشاهات على الطائفية ان ولدّ ردود فعل لدى الفرس، فضلاً عن ذلك تدخل النساء(زوجات الشاهات أو أمهات) في الحكم وجعل الشاه العوبه في ايدهن، فضلاً عن اعتماد الدولة الصفويه على الاسلحة التقليدية ، وعلى الطوائف المختلفة في الجيش دون التركيز على العنصر الفارسي، فضلاً عن التمردات التي اخذت من خزينة الشاه ووقته الشيء الكثير ، كل تلك الاسباب وأسباب أخرى بينتها آنفاً وصولاً الى الغزو الافغاني والتدخل الروسي والعثماني ادى الى انهيار الدولة الصفويه عام ١٧٢٩ م بوقوعها تحت الاحتلال الافغاني- الروسي- العثماني.

المصادر

أولاً: الرسائل و الاطروحات الجامعية:-

- ١- طالب محبيس حسن، ايران في عهد الشاه اسماعيل الاول ١٥٠١ - ١٥٢٤ م ، اطروحة دكتوراه (غير منشوره) ، كلية الاداب ، جامعه بغداد ، ٢٠٠٧.
- ٢- علي حسن المكصوسي ، تطورات ايران الداخليه في ظل الاحتلال الافغاني ١٧٢٢-١٧٢٩ م ، رسالة ماجستير(غير منشوره)، جامعه واسط ، ٢٠٠٦ ،

- ٣- علي خضير عباس المشايخي ، ايران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨- ١٨٩٦ م ، رساله ماجستير (غير منشوره) ، كليه الاداب ، جامعه بغداد ، ١٩٨٧ .
- ٤- فيصل عبد الجبار عبد علي ، التأريخ السياسي للمؤسسة الدينيه في ايران ١٥٠١-١٩٠٩ م ، رساله ماجستير (غير منشوره) ، معهد الدراسات الاسيويه الافريقيه (سابقاً) ، جامعه بغداد ، ١٩٨٨ .

ثانياً :- الكتب العربية والمعربة :-

- ١- أبراهيم خليل و خليل علي مراد ، إيران وتركيا دراسة في التأريخ الحديث و المعاصر ، الموصل ، ١٩٩٢ .
- ٢- احمد الخولي ، الدولة الصفوية: تاريخها السياسي والاجتماعي - علاقاتها بالعثمانيين ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- ٣- احمد كاظم البياتي ، العمليات العسكريه لنادرشاه في قندهار ، الهند - تركستان ١٧٣٧- ١٧٤٠ م ، بغداد ، ٢٠٠٩ .
- ٤- أسماعيل احمد ياغي ومحمود شاكر ، تأريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر (جزء الجناح الاسيوي) ، د ، م ، د ، ت .
- ٥- بديع جمعه ، الشاه عباس الكبير ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٦- جعفر المهاجر ، الهجره العامليه الى إيران في العصر الصفوي ، بيروت ، ١٩٨٩ .
- ٧- حسن كريم الجاف ، الوجيز في تأريخ إيران ، ج ٣ ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
- ٨- حسن كريم الجاف ، موسوعة تاريخ ايران السياسي من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجارية ، المجلد الثالث ، الدار العربية الموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- ٩- سليم واكيم ، إيران والعرب : العلاقات العربيه - الايرانيه عبر التأريخ ، د ، م ، د ، ت .
- ١٠- شاهين مكاربوس ، تأريخ إيران ، القاهره ، ٢٠٠٣ .
- ١١- صالح احمد العلي وعلاء نورس وعماد عبد السلام ، منظور تأريخي للشخصية الايرانية ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- ١٢- صالح عبدالله ، أفغانستان تحت المجهر (١٥٠٠-١٧٣٦ م) ، بغداد ، ١٩٩٠ .
- ١٣- عباس اسماعيل صباغ ، تأريخ العلاقات العثمانيه - الايرانيه ، بيروت ، ١٩٩٩ .

- ١٤- عباس اقبال ، تأريخ إيران بعد الاسلام من بدايه الدوله الطاهرية حتى نهايه الدوله القاجارية (٢٠٥هـ/٨٢٠م - ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م) ، ترجمه محمد علاء الدين ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠.
- ١٥- عباس اقبال، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدوله الطاهرية حتى نهاية الدوله القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين ، مصر ، ١٩٩٠.
- ١٦- عباس حسن الموسوي وكمال السيد ، نشؤ وسقوط الدوله الصفويه ، إيران ، ٢٠٠٥.
- ١٧- عبد العزيز سليمان نوار، تأريخ الشعوب الاسلاميه في العصر الحديث، ج١، بيروت ، ١٩٧١.
- ١٨- كارل بروكلمان ، تأريخ الشعوب الاسلاميه ، ترجمه نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط٧ ، بيروت ، ١٩٧٧.
- ١٩- كمال مظهر، دراسات في تأريخ إيران الحديث و المعاصر، بغداد ، ١٩٨٥.
- ٢٠- محمد سهيل طقوش ، تأريخ الدوله الصفويه في إيران ، بيروت ، ٢٠٠٩.
- ٢١- محمد سهيل طقوش ، تأريخ العثمانيين من قيام الدوله الى الانقلاب على الخلافة ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٨.
- ٢٢- محمد وصفي ابومغلي ، إيران : دراسه عامه ، البصره ، ١٩٩٥.
- ٢٣- نصرالله فلسفي ، إيران وعلاقتها الخارجيه في العصر الصفوي (١٥٠٠-١٧٧٦ م) ترجمه محمد فتحي يوسف ، د ، م ، ١٩٨٩.

ثالثاً: الكتب الفارسية و المترجمة الى الفارسية:-

- ١- أبراهيم بيركاني ، تأريخ إيران در عهد صفوي تا عصر قاجاري ، تهران ، ١٣٥٩ش
- ٢- ابو الحسن فزويني ، فوايد الصفويه تأريخ سلاطين وامراي صفوي بيانر سقوط دولت صفوي ، تهران ، ١٣٦٧.
- ٣- حسن علي أصفهاني ، تأريخ نادرقلي خان أفشاري ونهايه صفويه ، تهران ، ١٣٥٨ش.
- ٤- حسين طاهري، تأريخ تحولات سياسي اجتماعي اقتصادي ذهنكي الدوره الصفويه ، تهران ، ١٣٥٢ش.
- ٥- راجر. م. سيوري ، تحقيقاتي در تأريخ عصر صفوي ، ترجمه الى الفارسيه عباس فلي غفاري ومحمد باقرارام ، تهران ، ١٣٤١ش.

- ٦- سعيد عاشور ، أيران از زمن نادر قلبي، تهران، ١٣٥٦ش.
- ٧- شهباز آزاد مهر ، تأريخ أيران از كورش تا خاتمي، مشهد، ١٣٨١ش.
- ٨- عبدالله رازي ، تأريخ كامل أيران از تأسيس سلسله مادنا عصر حاضر، تهران، ١٤٤١ش.
- ٩- علي اكبر بنيا ، تأريخ سياسي ديپلوماسي أيران ، تهران ، ١٣٤٢ش.
- ١٠- مريم نزاد كيري مهربان ، شاه عباس كبير ، تهران ، د ، ت .
- ١١- مهدي مهدي ، نادرقلي خان ان خبك ، تهران ، ١٣٣٥ش.
- ١٢- ميرزا محمود معصوم ، تأريخ سلاطين صفويه ، أيران ، ١٣٥١ش
- ١٣- نظام قزويني ، زندكاني نادري أفشار، تهران ، ١٣٧٦ش.

رابعاً: المصادر الاجنبية:-

- 1- Judas z Tadeusz Krusinski, The History of The Late Revolutions of Persia: volumes I and II, New York, 1973.
- 2- Moojan Momen , Introduction to Si 'Islam The History and the history and Doctrines of TwelverSli 'ism, London.
- 3- Lourence Lockhart, The Fall of The Safavi Dynusty of Persia, London, 1958.
- 4- Percy Sykes, History of Persia, London, 1930.

خامساً: المجالات العراقية:-

- ١- الخليج العربي، العدد ٣-٤ ، البصرة، ١٩٨٥.

Abstract

Factors of the dissolution of the Safavidstste

Maysoon Abbas Hussein Al-Jabouri (Historical in study 1937)

Every civilization goes through several starting with birth, childhood, adolescence, young, maturity, age, then dying and dying. As well as the states and the empires are going through stages that start with expansion and strength and then weakness and decay, As well as the safavid state arose and became a strong state with a strong leadership, However, the weakness began to be falt in the Wake of increased competition and intrigue on the ruling among the members of the safavid family, as well as many other factors that contributed to the fall of the state.

الهوامش:

(١) صفي الدين الاردبيلي ١٢٥٢-١٣٣٤: وهو الذي نسبت أليه الاسرة الصفويه ، وهو جد الشاة اسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية الذي جعل قسرا من المذهب الشيعي ديننا رسميا للدولة التي أسماها ايران ، حسن كريم الجاف ، موسوعة تاريخ ايران من بداية الدولة الصفوية الى نهاية الدولة القاجاريه ، المجلد الثالث ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢ .

(٢) فيصل عبد الجبار عبد علي ، التاريخ السياسي للمؤسسة الدينية في ايران ١٥٠١-١٩٠٩ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، معهد الدراسات الاسيوية و الافريقية (سابقا) ، جامعة بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢١ .

(٣) الشاة عباس الكبير: ولد عباس ميرزا في السابع من كانون الثاني عام ١٥٧١م ، و كانت ولادته في مدينة هراة مركز حكومة خراسان حينذاك ، والده محمد خدا بنده ، و تم اسناد ولاية خراسان لعباس ميرزا و هو بعمر عام ونصف ، و نظرا لصغر سنة فقد أمر الشاة طهماسب بأن يتولى الوصاية عليه شاة قلي سلطان ، ثم تولى الشاة عباس حكم الدولة الصفوية وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشر من عمره ، أتمت السنوات الثلاثة و الأربعون التي أستغرقها عهد الشاة عباس بوصول ايران الى ذروه قواتها ، و أنتهج سياسة العنف الشديد حيث قتل ابنة البكر صفي ميرزا ، وامر بسمل عيني ابنيه الآخرين محمد ميرزا و أمام قلي ميرزا خشية انتزاع العرش منه ، توفي الشاة عباس عام ١٦٢٩م ، و بسسبه ورث الفرس من بعده الأمراء الضعاف ، بديع جمعه ، الشاة عباس الكبير ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٢١٧؛ حسن كريم الجاف ، المصدر السابق ، ٥٢٤٢ .

(٤) مريم نزاد كبرى مهريان ، شاة عباس كبير ، تهران ، د. ت ، ص ٢٠٣ .

(٥) Percy Sykes , History of Persia , val .II, London ,1930 , P183

- (٦) مريم نزاد كبرى مهربان ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ و ٢١٩ .
- (٧) عباس اقبال ، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ / ٨٢٠ م ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥ م)، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٦٧ .
- (٨) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، ج١، بيروت، ١٩٧١م، ص ٧٧-٧٨.
- (٩) علي حسن المكصوسي، تطورات ايران الداخلية في ظل الاحتلال الافغاني ١٧٢٢ - ١٧٢٩م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة واسط، ٢٠٠٦، ص ١٢.
- (١٠) Moojan Momen, An Introduction to Shi' Islam, The History and Doctrines of Twelve Shi 'ism, London, p.112.
- (١١) محمد وصفي ابو مغلي، ايران، دراسة عامة، البصرة، ١٩٨٥، ص ٢٥٤.
- (١٢) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ١٢.
- (١٣) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢١٣.
- (١٤) علي غنام، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية)، مجلة الخليج العربي، العدد ٣ - ٤ ، مجلد ١٤ ، البصرة، ١٩٨٥ ، ص ١١ .
- (١٥) علي غنام، المصدر السابق، ص ١٧.
- (١٦) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (١٧) علي غنام، المصدر السابق، ص ١٧.
- (١٨) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (١٩) علي غنام، المصدر السابق، ص ١٤-١٥.
- (٢٠) محمد وصفي ابو مغلي، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٢١) محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، ط٢، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٧٠.
- (٢٢) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ١٤.
- (٢٣) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق ، ص ١٥-١٦.
- (٢٤) حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ ايران ، ج٣، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٥٢.
- (٢٥) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ١٥.
- (٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
- (٢٧) عباس اسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية - الايرانية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٠.
- (٢٨) نصر الله فلسفي، ايران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي (١٥٠٠ - ١٧٣٦ م) ، ترجمة: محمد فتحي يوسف ، د.م ، ١٩٨٩ ، ص ٢٢٤ .

- (٢٩) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ١٨ .
- (٣٠) عباس اقبال ، المصدر السابق ، ص ٦٨٥ .
- (٣١) المصدر نفسه ، ص ٦٨٥ .
- (٣٢) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ١٨ .
- (٣٣) عباس حسن الموسوي وكمال السيد ، نشؤ وسقوط الدولة الصفوية، ايران ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٨٧ .
- (٣٤) احمد كاظم البياتي، بلاد فارس والاحتلال الافغاني ١٧٢٢ - ١٧٢٥م، مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد ٥١ ، ٢٠٠٧ ، ص ١٩ .
- (٣٥) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران ، ص ٢٢٨ .
- (٣٦) جعفر المهاجر، الهجرة العاملة الى ايران في العصر الصفوي ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ٢١٢ .
- (٣٧) سليم واكيم ، ايران والعرب العلاقات العربية - الايرانية عبر التاريخ، د.م، د.ت، ص ١٥٨؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط٧، بيروت، ١٩٧٧، ص ٥٠٥-٥٠٦ .
- (٣٨) عباس حسن الموسوي وكمال السيد، المصدر السابق، ص ٢٩٠ .
- (٣٩) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠ .
- (٤٠) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .
- (٤١) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧٠ .
- (٤٢) شاهين مكاريوس، تاريخ ايران، القاهرة، ٢٠٠٣ ، ص ١٦٤ .
- (٤٣) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٣٠ .
- (٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ .
- (٤٥) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧١ .
- (٤٦) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٣٠ .
- (٤٧) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ٣٦ .
- (٤٨) عباس حسن الموسوي وكمال السيد، المصدر السابق، ص ٢٧٠ .
- (٤٩) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ٣٧ .
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ٣٨ .
- (٥١) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٣٢ .
- (٥٢) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧٣ .
- (٥٣) عباس اسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ٢٠٤ .
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٥ .
- (٥٥) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ٣٩ .
- (٥٦) صالح عيسى، افغانستان تحت المجهر ١٥٠٠ - ١٧٣٦م، بغداد، ١٩٩٠ ، ص ٥٧ .

- (^{٥٧}) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ٤٢.
- (^{٥٨}) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧٤ و ص ٩٦.
- (^{٥٩}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٣٣.
- (^{٦٠}) عباس اسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ٢٠٥.
- (^{٦١}) JudaszTadeuszKrusinsk, The History of the Late Revolutions of Persia, volumes: I and II, New York, 1973, p.8
- (^{٦٢}) علي حسن المكصوسي، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥.
- (^{٦٣}) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧٥.
- (^{٦٤}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٣٣.
- (^{٦٥}) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧٧.
- (^{٦٦}) ابراهيم خليل و خليل علي مراد، ايران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث و المعاصر ، الموصل ، ١٩٩٢ ، ص ٤٦.
- (^{٦٧}) JudaszKrusinki, Ibid, p.89-90.
- (^{٦٨}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٣٣.
- (^{٦٩}) احمد الخولي، الدولة الصفوية: تاريخها السياسي والاجتماعي-علاقاتها بالعثمانيين، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٦.
- (^{٧٠}) JudaszTadeusz, Ibid, p.160.
- (^{٧١}) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (^{٧٢}) شاهين مكاريوس، المصدر السابق، ص ١٨٢-١٨٣.
- (^{٧٣}) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.
- (^{٧٤}) اللزكين: مجموعة اثنوغرافية صغيرة جورجية الاصل تعيش في منطقة القفقاس، انظر: كمال مظهر، دراسات في تاريخ ايران الحديث و المعاصر، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٧.
- (^{٧٥}) كمال مظهر، المصدر السابق ، ص ١٨.
- (^{٧٦}) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق ، ص ٨٣.
- (^{٧٧}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٣٦.
- (^{٧٨}) كمال مظهر، المصدر السابق، ص ١٩.
- (^{٧٩}) علي خضير عباس المشايخي، ايران في عصر ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦ م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٤٨.
- (^{٨٠}) عبدالله رازي، تاريخ كامل ايران از تأسيس سلسلة مادتا عصر حاضر ، تهران ، ١٤٤١ ش، ص ٤٣٤-٤٣٥.
- (^{٨١}) كمال مظهر، المصدر السابق، ص ١٩.

- (^{٨٢}) كمال مظهر، المصدر السابق ، ص ٢٠ .
- (^{٨٣}) علي اكبر بنيا، تاريخ سياسي دبلوماسي ايران، تهران، ١٣٤٢ش، ص ٢١-٢٢.
- (^{٨٤}) علي اكبر بنيا، المصدر السابق، ص ١٧.
- (^{٨٥}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٤١-٢٤٢.
- (^{٨٦}) ابراهيم خليل و خليل علي مراد، المصدر السابق، ص ٤٩.
- (^{٨٧}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٤٣.
- (^{٨٨}) صالح احمد العلي وعلاء نورس وعماد عبد السلام، منظور تاريخي للشخصية الايرانية، بغداد، ١٩٨٣، ص ٩١-٩٢.
- (^{٨٩}) اسماعيل احمد ياغي ومحمود شاکر، تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر (جزء الجناح الاسيوي)، دم، دت، ص ١٧٧؛ انظر: احمد كاظم البياتي، العمليات العسكرية لنادرشاه في قندهار - الهند - تركستان ١٧٣٧ - ١٧٤٠، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٨٢.
- (^{٩٠}) عباس اقبال، المصدر السابق، ص ٦٩٥-٦٩٧؛ للمزيد من المعلومات، مهدي مهدي، نادر قلي خان، طهران، ١٣٣٥ ش؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٢٤٣-٢٤٥.
- (^{٩١}) عباس اقبال، المصدر السابق، ص ٦٩٩-٧٠٠؛ للمزيد من المعلومات ميرزا محمود معصوم، تاريخ سلاطين صفوية، ايران، ١٣٥١ش.
- (^{٩٢}) احمد الخولي، المصدر السابق، ص ٢٣٧.
- (^{٩٣}) ابراهيم بيركاني، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (^{٩٤}) سعيد عاشوري، ايران از زمن نادر قلي، تهران، ١٣٥٦ش، ص ٣٨.
- (^{٩٥}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٨٨.
- (^{٩٦}) حسن علي اصفهاني، تاريخ نادر قلي خان افشاري ونهاية صفوية، تهران، ١٣٥٨ش، ص ١٣٣-١٣٤.
- (^{٩٧}) روجر سيوري، تحقيقاتي در تاريخ عصر صفوي، ترجمة الى الفارسية عباس قلي غفاري ومحمد باقر ارام، تهران، ١٣٤١ش، ص ٢٥٣.
- (^{٩٨}) طالب محيبس حسن، ايران في عهد الشاه اسماعيل الاول (١٥٠١ - ١٥٢٤م)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢٦٠-٢٦١.
- (^{٩٩}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ١٢٤-١٢٨.
- (^{١٠٠}) المصدر نفسه، ص ١٢٩-١٣٠.
- (^{١٠١}) عليغنام، المصدر السابق، ص ١١.
- (^{١٠٢}) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ص ٥٢.
- (^{١٠٣}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ٧٥-٨٣ و ٨٩-١٠٠ و ١٢٠-١٢٢ و ١٥٧-١٧٤.

(¹⁰⁴)Lourence Lockhart, The Fall of The Safavi Dynusty of Persia, London, 1958,p.565.

- (^{١٠٥}) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران، ص ١١٦-١١٧.
- (^{١٠٦}) راجر. م. سيوري، المصدر السابق، ص ٢٥٣.
- (^{١٠٧}) حسن علي اصفهاني، المصدر السابق، ص ١٣٣-١٣٤.
- (^{١٠٨}) المصدر نفسه، ص ١٣٤.
- (^{١٠٩}) راجر. م. سيوري، المصدر السابق، ص ٢٥٣.
- (^{١١٠}) بديع جمعة، الشاه عباس الكبير، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢١٤-٢٩٦؛ انظر كذلك نصر الله فلسفي، المصدر السابق، ص ٥٠-٢٤٢.
- (^{١١١}) حسن علي اصفهاني، المصدر السابق، ص ١٣٤.
- (^{١١٢}) شهباز آزادمهر، تاريخ ايران از كورش تاخاتمي، مشهد، ١٣٨١ ش، ص ٣٩٥.
- (^{١١٣}) ابو الحسن قزويني، فوايد الصفوية تاريخ سلاطين وامراي صفوي بيانر سقوط دولت صفوية، تهران، ١٣٦٧ ش، ص ١١٤.
- (^{١١٤}) حسين طاهري، تاريخ تحولات سياسي اجتماعي اقتصادي ذهنكي الدورة الصفوية، تهران، ١٣٥٢ ش، ص ٣٠٠.
- (^{١١٥}) نظام قزويني، زندكاني نادري افشار، تهران، ١٣٧٦ ش، ص ١٢٢.

عصر ابن الجوزي وعلاقته بالخلافة العباسية

سعاد عبد الرزاق فتاح

<mailto:suaadshirza2000@gmail.com>

أ.د. عربية قاسم احمد

جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد قسم التاريخ

<mailto:arabyah.ahmed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq>

عصر ابن الجوزي وعلاقته بالخلافة العباسية

سعاد عبد الرزاق فتاح
أ.د. عريية قاسم احمد

المقدمة:

يبدو أن ابن الجوزي تولى مكانة متميزة في العصر العباسي وله حضوة من السلطة يكون قد عُرِضه إلى الكراهية والحسد من الناس والمقربين له، مما دفع ابن الجوزي إلى أن يكون في مواجهة عبد السلام بن عبد الوهاب الكيلاني الذي اشترك معه في المذهب الحنبلي. كانت نتيجة هذا الموقف الذي تعرّض له ابن الجوزي نفسه إلى واسط من قبل الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م).
الكلمات المفتاحية: ابن الجوزي ، عصر، العباسية، الخلافة

Introduction :

It seems that Ibn al-Jawzi assumed a distinguished position during the Abbasid era and had a high position of authority. He was exposed to hatred and envy from the people and those close to him, which prompted Ibn al-Jawzi to be facing Abd al-Salam ibn Abd al-Wahhab al-Kilani, with whom he subscribed to the Hanbali school.

The result of this position was that Ibn al-Jawzi himself was exposed to Wasit by the Abbasid Caliph al-Nasir Li-Din Allah (575-622 AH/1179-1225 AD).

Keywords: Kings: Ibn al-Jawzi, era, Abbasid caliphate

لم يكن ابن الجوزي في بداية أمره على صلة بالسلطة ولا راغباً في ذلك، بل كان زاهداً (الدوري، خضر، ابن الجوزي، ص ١١١) (Al-Douri, Khader, Ibn Al-Jawzi, p. 111)، ويذكر ابن الجوزي بهذا الخصوص إلى ميله إلى الزهد وارتباطه بالسلطة قائلاً: قد ألهمت سلوك الزهاد بإدامة الصوم والصلاة وحببت إليّ الخلوة، فكننتُ أجد قلباً طيباً وكانت عين بصيرتي قوية الحدق، تتأسف على لحظة تمضي في غير طاعة، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات ولي نوع أنس وحلاوة مناجاة.

(ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٧٨) (Ibn al-Jawzi, Sidd al-Khater, p. 78) أصبح مجلس ابن الجوزي محط أنظار وأصحاب السلطة من الخلفاء العباسيين، أشار ابن الجوزي إلى تقربه من الخلفاء قائلاً: انتهى الأمر إلى أن صار بعض ولاة الأمور يستحسن كلامي، فأمالني إليه فمال الطبع، ففقدت تلك الحلاوة ثم استمالني آخر.

(ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٧٨) (Ibn al-Jawzi, Sidd al-Khater, p. 78) يبدو أن علاقة ابن الجوزي بالخلافة العباسية كانت حسنة وذلك لأسباب منها جدارته في الوعظ وميل الناس إليه واشتهاره بينهم، أي أنه كان يؤثر بالناس علماً أنه عاصر خمس من الخلفاء العباسيين ووزرائهم.

شكا ابن الجوزي ولام نفسه على مخالطة الخلفاء قائلاً: كنتُ أتقي مخالطته ومطامعه لخوف الشبهات، وكانت حالتي مريبة، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح فعدم ما كنتُ أجد من استتارة وسكينة، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب إلى عدم النور كله.

(ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٧٨) (Ibn al-Jawzi, Sidd al-Khater, p. 78) يبدو أن ابن الجوزي كان نادماً على علاقاته مع الخلفاء والأمراء وانتابته هواجس نفسية وشعر بالإثم نتيجة ذلك قائلاً: كثر ضجيجي من مرضي، عجزتُ عن طب نفسي فلجأتُ إلى قبور الصالحين وتوسلتُ في صلاتي، فاجتذبني لطف مولاي بي إلى الخلوة على كراهة مني، وردَّ قلبي عليّ بعد نفوره مني وأراني عيب ما كنتُ أوثره، فأفقتُ من مرض غفلي (ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٧٨) (Ibn al-Jawzi, Sidd al-Khater, p. 78) (الدوري، ابن الجوزي، ص ١١١) (Al-Douri, Khader, Ibn Al-Jawzi, p. 111)، لذا لجأ إلى قبور الصالحين، لكن هذا التصرف من قبل ابن الجوزي لم يرض الحنابلة فيما بعد وخلق له ميل إلى السلطة والرغبة في احتلال مكانة متميزة لدى الخلفاء العباسيين والوزراء.

ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة (١٣٤/٥٧٠م) إلى بغضاء وكراهية أهل مذهبه له قائلاً: سُلِّمَتْ إليَّ المدرسة التي أوقفتها الجهة بنفسه (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢٢، ص ١٢٥) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 22, p. 125)، ودخل على قلوب أهل المذهب غمٌ عظيم لأنهم حسدوني. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٤) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 214) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٤) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 474)

مما دفعه كراهية وحسد أهل مذهبه له إلى الرغبة في تغيير مذهبه العباسي، يذكر السبط في هذا الصدد قائلاً: وكان جدي يقول: والله لولا (أحمد بن حنبل) والوزير ابن هبيرة (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٦-١٧٠) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 166) (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٢٣) (Ibn al-Atheer, al-Kamil fi al-Tarikh, vol. 9, pg. 323) (ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مجلد ٦، ص ٣١٩) (Ibn al-Imad al-Hanbali, Fragments of Gold, Volume 6, p. 319) لانقلتُ عن المذهب، فإني لو كنتُ حنفيّاً أو شافعيّاً لحملني القوم على رؤوسهم. (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٢٥) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21, p. 225)

ففي سنة (١٤٥/٥٣٥م) كان أول اتصال مجرداً لابن الجوزي بالسلطة العباسية في بغداد في خلافة المقتفي بالله العباسي (٥٣٠-٥٥٥/١١٣٥-١١٦٠م) (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٧١-٦٧٢) (Al-Suyuti, History of the Caliphs, p. 671-672)، كان عُمر ابن الجوزي خمس وعشرين سنة، يذكر ابن الجوزي في أحداثها قائلاً: فتحت المدرسة التي بناها صاحب المخزن (النويري، ج ٢٣، ص ٢٨٦) (Al-Nuwairi, Volume 23, p. 286) وحضر قاضي القضاة (ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص ٢٧) (Ibn al-Futi, Collective accidents and beneficial experience p. 27) وأرباب الدولة والفقهاء وحضرت مع الجماعة.

هذه دلالة مؤكدة وواضحة على أن ابن الجوزي كان على اتصال بالسلطة في خلافة المقتفي بالله العباسي. وازداد اتصاله بالسلطة في خلافة المستجد بالله العباسي. (ابن الكازوني، ص

(233-235) (Ibn Al-Kazouni, pp. 233-235) (٢٣٥ - ٢٣٣) (١١٧٠-١١٦١/هـ٥٦٦-٥٥٥) ولاسيما مع الوزير ابن هبيرة.

عندما بويع للمستجد بالله أمر ابن الجوزي بالجلوس لعزاء أبيه، وذكر ابن الجوزي قائلاً: فتقدم لي بالكلام في العزاء ووضع كرسي لطيف في بيت النبوة (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٥، ص ٣١٣) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.15, p. 313) (ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص ١٧) (Ibn al-Fouti, Collective accidents and beneficial experience p. 17) (محمد بن عبد الله، العدان ٣، ٤) ثلاثة أيام (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٤٠) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 140)، وبعد إتمام شهر على وفاة والده خُلع الخليفة المستجد بالله على أرباب الدولة وخلع ابن الجوزي وأذن له بالجلوس والتكلم بجامع القصر، وذكر ابن الجوزي أيضاً أن الخليفة المستجد بالله كان يحضر جميع مجالسي على الدوام (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٤١) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 141) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٦٦) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol 2, p. 466) (صبار، محمود أحمد، ص ٢٤٦) (Sabbar, Mahmoud Ahmed, p. 246) واستمرت صلته بالسلطة تزداد لاسيما عندما طُلب منه محاربة قوم كانت توجهاتهم الفكرية تخالف التوجهات الفكرية للخلافة العباسية، واستطاع ابن الجوزي محاربتهم، وذكر بهذا الصدد قائلاً: وأعاني الله تعالى عليهم وكانت كلمتها هي العليا. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٤١) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 141) وعظم شأن ابن الجوزي في أيام الوزير ابن هبيرة الحنبلي، الذي تولى الوزارة في خلافة المقتفي بالله، وكان الأخير معجباً بوزيره وقال عنه: ما وزير لبني العباس مثله. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٧) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 167)

أصبحت العلاقة ودية بين ابن الجوزي والوزير ابن هبيرة، مما جعل الأخير أن يقيم لابن الجوزي مجلساً له في داره، ويذكر ابن الجوزي بهذا الصدد قائلاً: وجعل لي مجلساً في داره كل جمعة يحضره، ويطلق العوام في الحضور (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٧) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 167) (الدوري، ابن الجوزي، مجلة آداب الرافدين، العدد ٤، ص ١١١) (Al-Douri, Ibn al-Jawzi, Journal of Rafidain Literature,)

(Issue 4, p. 111)، وأضاف ابن الجوزي واصفاً مجلس الوزير ابن هبيرة: كان يقرأ عنده الحديث في كل يوم بعد العصر، فحضر فقيه مالكي فذكرت مسألة مخالفت فيها ذلك الفقيه فانفق الوزير وجميع العلماء على شيء، وذلك الفقيه يخالف، فبدر من الوزير أن قال له: أحمار أنت أما ترى الكل يخالفونك وأنت مُصر. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٨) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 168)

أكد ابن الجوزي أن دار الوزير ابن هبيرة لم تكن حكرًا على الحنابلة فحسب، بل كان يجمع بها جميع أهل المذاهب الأخرى، وهذا يعني أنه سبق المدرس المستنصرية في بغداد في جمع أهل المذاهب الإسلامي في هذا الدار، علماً أن بناء المدرسة المذكورة في سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) ووفاة الوزير ابن هبيرة كانت سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م)، أي أنه سبق فكرة الخليفة المستنصر بالله. (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٧٠٢) (Al-Suyuti, History of the Caliphs, p. 702) (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) بفكرة جمع المذاهب الإسلامية بمدرسة واحدة بإحدى وسبعين سنة.

وأشار ابن الجوزي عن الوزير ابن هبيرة: جرى مني بالأمس ما لا يليق بالأدب حتى قلتُ له تلك الكلمة فليقل لي كما قلتُ له، فما أنا إلا كأحدهم، فضجَّ المجلس بالبكاء وأخذ ذلك الفقيه يعتذر ويقول: أنا أولى بالاعتذار والوزير يقول القصاص وحلَّت المسألة بعتاء فدية للفقير مائة دينار.

(ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٨-١٦٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 168-169)

وفي سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م) توفي الوزير ابن هبيرة فقام ابن الجوزي بغسله وذلك بعد أن طلب ابن الوزير منه، ورأيتُ في وقت غسله آثار بوجهه وجسده تدلُّ على أنه مسموم وحملت جنازته إلى جامع القصر (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، ص ٢٢٤) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.16, p. 224) (ص ١٧٠) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 170) (ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مجلد ٦، ص ٣٢٧) (Ibn al-Imad al-Hanbali, Fragments of Gold, Vol. 6, p. 327)

يتضح أن علاقة ابن الجوزي مع أسرة الوزير ابن هبيرة كانت علاقة مصاهرة (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 219) (سبط

ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٣٥) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21, p. 235) بين الأسرتين، وهذه العلاقة خلقت لابن الجوزي أعداء ولاسيما مع مرجان الخادم. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٦) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 166) (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٥٧-٥٨) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21, p.57-58) (ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٥٠) (Ibn Katheer, The Beginning and the End, vol. 12, p. 250)

أدت تلك الخصومات إلى انقسام البغداديين على مستوى أصحاب السلطان والعلماء، وكانت الخصومات نتاج تفضيل جهة على أخرى على نحو ما قام به مرجان الخادم الذي تعصب ضد الحنابلة كثيراً حتى أنه أزال الحطيم الذي كان يمثل الوزير ابن هبيرة بمكة بغضاً للحنابلة وكبار فقهاء هذا المذهب لاسيما ابن الجوزي الذي قال: ناصبني دون الكل. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٦) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 166) (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٥٢) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21, p. 52) (ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٥٠) (Ibn Katheer, The Beginning and the End, vol. 12, p. 250) (ابن رجب، رسائل الحافظ ابن رجب، ج ١، ص ٣١) (Ibn Rajab, The Collection of the Letters of Al-Hafiz, Vol.1, p. 31)

يبدو أن الاختلافات المذهبية والتقرب إلى السلطة أدّى إلى خصومات كان لها دور فعّال في انقسام البغداديين، وفي الوقت ذات كان الخادم يناصب ابن الجوزي من دون غيره، فكانت الفرصة متاحة له أن يحقق هدفه وهو قلع مذهب الحنابلة بسبب كراهيته للوزير ابن هبيرة، وأشار ابن الجوزي إلى ذلك قائلاً: وبلغني أنه كان يقول: مقصودي قلع هذا المذهب، فلما مات الوزير ابن هبيرة سعى بي إلى الخليفة وقال عنده كتب من كتب الوزير، فقال الخليفة: هذا مُحال، فإنّ فلاناً كان عنده أحد عشر ديناراً لأبي حكيم وكان حشرياً فما فعل فيها شيئاً حتى طالعنا فنصرني الله عليه وفتح شرّه. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٦) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 166) (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٥٧-٥٨) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21, p. 57-58) (ابن كثير، البداية

والنهاية، ج ١٢، ص ٢٥٠) (Ibn Katheer, The Beginning and the End,) (Volume 12, p. 250

وبعد وفاة الوزير ابن هبيرة زادت عداوة مرجان مع ابن الجوزي وقويَ عليه، فلجأ الأخير إلى الله تعالى ليكفيه شره، فما مضت الأيام حتى أخذته السل. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٦٦) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 166) (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٥٧-٥٨) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21,) (Ibn Katheer, The Beginning and the End, Volume 12, p. 250

اتصفت العلاقة بين ابن الجوزي والخليفة المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م) بالمتينة، وكان الأخير يواظب على حضور مجالس وعظ ابن الجوزي الذي افتخر بذلك الإنجاز الذي وفق إليه بقوله: لم يُرَ لواعظ قط مثل مجلسي جمع الخليفة والوزير وصاحب المخزن وكبار العلماء (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٥٠) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam,) (Ibn Rajab,) (vol.18, p. 250) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٩) (The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 479)، وهذا الإنجاز لا يتحقق إلا لمن كانت له مؤهلات تميزه عن غيره من الأعلام، ولعلَّ تعلق الناس والتصاقهم به وحضورهم مجالسه أينما ذهب وأينما حلَّ من دون اكتراث المشقة والتعب هو ما جعل الخليفة المستضيء بالله من المتواجدين في مجالسه، وكان اللقاء الأول بين ابن الجوزي والخليفة المستضيء في مجلس عزاء أبيه الخليفة المستجد بالله حين تكلم ابن الجوزي في ذلك العزاء في بيت النبوة بدار الخلافة. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٩١) (Ibn al-Jawzi, al-) (Muntazam, vol.18, p. 191

وفي سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) قويت أواصر العلاقة بين الأثنين عندما خطب الخليفة المستضيء في مصر، إذ صنّف ابن الجوزي بهذه المناسبة كتاباً سمّاه " النصر على مصر " وعرضه على المستضيء بأمر الله. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ١٩٦) (Ibn al-) (Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 196

وصنّف كتاباً آخر سمّاه " المصباح المضيء في دولة المستضيء " (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٦٩) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the) (Ibn Al-) (Hanbalis, Vol. 2, p. 469) (ابن الشطي، مختصر طبقات الحنابلة، ص ٤٣)

(Shatti, Summary of Tabaqat al-Hanbali, p. 43)، ولم يتخلف الخليفة المستضيء عن مواظبة مجالسه من وراء الستر (الذهبي، العبر في خبر من غير، ج ٣، ص ١١٩) (Al-Dhahabi, Lessons in Khabar from Ghabr, Part 3, p. 119) (ابن العماد، شذرات الذهب، مجلد ٦، ص ٥٣٨) (Ibn al-Imad al-Hanbali, Fragments of Gold, Vol. 6, p.538)، وكان الخليفة المستضيء يخلع عليه الخلع ويرسل له الهدايا. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٠٠) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 200)، ويدعوه إلى ولائمه التي يقيمها (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٤) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol. 18, p. 214) (الدوري، ابن الجوزي، مجلة آداب الرافدين، العدد ٤، ص ١١٢) (Al-Douri, Ibn al-Jawzi, Journal of Rafidain Literature, Issue 4, p. 112) (p. 112)، ويحضر هو وأمه مجالس وعظه (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 219) (الدوري، ابن الجوزي، مجلة آداب الرافدين، العدد ٤، ص ١١٢) (Al-Douri, Ibn al-Jawzi, Journal of Rafidain Literature, Issue 4, p. 112)، وكان ابن الجوزي بالمقابل يحضر مع الوفود للتهنئة بالمناسبات المختلفة.

ويضيف ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) قائلاً: حضر أرباب الدولة الهناء بباب الحجرة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٠٧) (Yaqoot Al-Hamawi, Dictionary of Countries, Part 1, p. 307)، ثم انصرفوا إلى الدار الجديدة التي عمرها الخليفة المستضيء مقابل المخزن وحضر العلماء، واستدعيته مع القوم. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٣) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 213)

يتبين أن هناك صلة بين ابن الجوزي، والخليفة المستجد بالله العباسي، ومن ثم الخليفة المستضيء، ما يؤكد صلة ابن الجوزي بالسلطة وعلاقته بهم، فقد قران ابنته رابعة كان سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) في باب الحجرة، وهو مكان مميز في دار الخلافة العباسية وحضر المجلس عدداً من القضاة ونقيب النقباء وجماعة من الشهود والخدم والأكابر، وكان عقدها على ابن الرشيد الطبري. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 219) (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٣٥) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21, p. 235) (الدوري، ابن الجوزي، مجلة آداب

الرافدين، العدد ٤، ص ١١٢) (Al-Douri, Ibn al-Jawzi, Journal of Rafidain) (Literature, Issue 4, p. 112

أما زفافها فكان في دار الجهة المعظمة أم الخليفة قد جهزتها بمال كثير (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 219) (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٣٥) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman,) (Volume 21, p. 235 (الدوري، ابن الجوزي، مجلة آداب الرافدين، العدد ٤، ص ١١٢) (Al-Douri, Ibn al-Jawzi, Journal of Rafidain Literature, Issue 4, p. 112) ، وزواج ولده علي أبي القاسم بابنة الوزير ابن هبيرة (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 219) (سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٣٥) (Sibt Ibn al-Jawzi, Mirat al-Zaman, Volume 21, p. 235) ، وكان صاحب المخزن في عهد الخليفة المستضيء بالله هو ظهير الدين. (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٨٥) (Ibn Taghri Bardi, Al-Nujoum Al-Zahira, Vol.) (6, p. 85

وأشار ابن الجوزي ما طلبت منه السلطة في محاربة البدع على المنبر وحذرهم بقوله: فمن سمعتموه من العوام ينتقص بالصحابة فأخبروني حتى انقض داره وأخلده الحبس وإن كان من الوعاظ. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٢٢) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam,) (vol.18, p. 222

جاءت العلاقة بين ابن الجوزي والخلفاء العباسيين نتيجة التوافقات الفكرية بين الطرفين، والأهم من ذلك عمل الخلفاء على توظيف ابن الجوزي للحد من خصومهم. وكان ابن الجوزي يواظب على حضور مجلس صاحب المخزن ظهير الدين لأنه كان ينتهج منهج الوزير ابن هبيرة في تقريب ابن الجوزي منه، وذلك لمكانته العلمية والشعبية في بغداد، وكان ابن الجوزي مدار الحديث في مجلس الخليفة المستضيء وكان لذلك ردود الفعل من قبل أصحاب المذاهب الأخرى ضد المذهب الحنبلي.

أكد ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) قائلاً: وتقدم ببناء دكة لا في جامع القصر، فانزعج لهذا جماعة من الأكابر وقالوا: ما جرت للحنابلة بدكة. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢١٤) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 214) (ابن رجب، الذيل

على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٤) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 474)

عمل الخليفة المستضيء بالله سنة (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م) لوح نُصِبَ على قبر الإمام أحمد بن حنبل وحصل المذهب الحنبلي التعظيم بسبب ابن الجوزي، وأكد ابن الجوزي في هذه الحادثة قائلاً: وجعل الناس يقولون لي: هذا بسببك فإنه ما ارتفع هذا المذهب عند السلطان حق مالٍ إلى الحنابلة إلاّ بسماع كلامك فشكرتُ الله تعالى على ذلك. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٤٨) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 248) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٩) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 479) (ابن الشطي، مختصر طبقات الحنابلة، ص ٤٤) (Ibn Al-Shatti, Summary of Tabaqat al-Hanbali, p. 44)

أشار ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) بالتفاخر والتباهي قائلاً: بعث إليّ بعض الأمراء من أقارب أمير المؤمنين فقال: والله ما أحضر أنا ولا أمير المؤمنين غير مجلسك وإنما تلمحنا مجلس غيرك يوماً وبعض يوم آخر. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٠) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 20) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٥) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 475)

هذا دليل واضح على مكانة ابن الجوزي الدينية والفقهية لدى الخليفة والأمراء من أقاربه. في حوادث سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) أشار ابن الجوزي وقال لي صاحب المخزن: ما يخرج إليّ شيء من عند السلطان فيه ذكر إلاّ ويثني عليك (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٤٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 249) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٩) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 479) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٩) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 479) وأضاف أيضاً: وسأل نجاح الخادم صاحب المخزن، أنت تتعصب لابن الجوزي فقال: والله ما يتعصب له سيدك بقدر ما أتعصب له إلاّ خمسين مرة. وما يعجبه كلام غيره وكان يقول الوزير ابن رئيس الرؤساء (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٤٦) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 246) (ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مجلد ٦، ص ٤٠٧) (Ibn al-Imad al-Hanbali, Fragments of Gold, Vol. 6, p. 407) ما دخلت قط

على الخليفة إلا جرى ذكر ابن الجوزي. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٤٩) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 249) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٩) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 479)

إذاً كان ابن الجوزي يحظى بثقة عالية من الخلافة والوزراء لمكانته العلمية وتأثيره بالناس والمجتمع، فكثرت حساده وأثاروا الغيرة والبغضاء تجاه ابن الجوزي.

وعقد لابن الجوزي مجلس وعظ في دار ظهير الدين صاحب المخزن، وكان الخليفة المستضيء حاضراً فتكلم ابن الجوزي فأعجبهم كلامه حتى قال صاحب المخزن لابن الجوزي: قد قال أمير المؤمنين ما كان هذا الرجل آدمي لما يقدر عليه من كلام. (ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٨، ص ٢٣٠) (Ibn al-Jawzi, al-Muntazam, vol.18, p. 230) (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج ٢، ص ٤٧٧) (Ibn Rajab, The Tail on the Layers of the Hanbalis, Vol. 2, p. 477)

يذكر الياضي أنه سمع من أهل العلم أن ابن الجوزي وهو على منبر الوعظ بحضور الخليفة المستضيء بالله، تطرق إلى قضية بين الخليفة وأحد حاشيته مفادها أن الخليفة غضب على أحد من الحاشية فهرب فألزم الخليفة أخاه وصادره وأخذ ماله فشكى ذلك المصادر إلى ابن الجوزي وذكر له القضية، فقال له ابن الجوزي: إذا اقتضى مجلس وعظي فقم قدامي حتى تذكرني، وكان الخليفة سمع وعظه من خلف الستر، وانفض المجلس فقام ذلك المصادر فلما رآه أبو الفرج ابن الجوزي أنشد معرضاً يكون البريء لا يؤخذ بذنب الجريء مشجعاً لخليفة على العدل والإحسان وأن يعاد المال المأخوذ إلى ذلك الإنسان وأنشد أبياتاً تضمنت:

قفي ثم أخبرينا يا سعاد	بذنب الطرف لِمَ سُلِبَ الفؤادُ
وأَيِّ قضيّةٍ حكمتَ إذا ما	جنى زيد - به عمرو يُقَادُ
يعاد حديثكم فيزيدُ حُسناً	وقد يستحسن الشيء المُعادُ

فانتبه الخليفة إلى هذه الأبيات وعاد المال لصاحبه (عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ج ٣، ص ٣٧١) (Abdullah bin Asaad bin Ali bin Suleiman, The Mirror of Heaven and Through

يدلُّ على أن الخليفة طابق رأي ابن الجوزي بالحكم على المصادر ونشر العدل والإحسان. وأشار أحد الباحثين إلى أنه على الرغم من تمتع ابن الجوزي بالمكانة الرفيعة عند المسؤولين والحظوة الكبيرة لديهم، إلا أنه لم يسعَ إلى تقليد منصب إداري يتناسب مع مقامه العلمي، وهذا ناتج عن زهده بالوظيفة أصلاً (الحكيم، ابن الجوزي، ص ٤٢) (Al-Hakim, Ibn Al-Jawzi, pg. 42)، إلا أن اتصاله بالسلطة جلب له الكثير من المتاعب في عصر كانت العلاقات الشخصية والمذهبية هي المعيار الوحيد في التقسيم (الدوري، ابن الجوزي، آداب الرافدين، العدد ٤، ص ١١٣) (Al-Douri, Ibn al-Jawzi, Journal of Rafidain) (Literature, Issue 4, p. 113)، لذلك نراه يتعرض إلى الجفاء والإهمال عند تغير الخلفاء والوزراء شأنه مع الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) ووزيره ابن القصاب وإن علاقته مع الخليفة الناصر لدين الله كانت سلبية وتعرض في عهده إلى النفي والمحنة. (الحكيم، ابن الجوزي، ص ٤٢) (Al-Hakim, Ibn Al-Jawzi, pg. 42)

المصادر باللغة العربية:

- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: د. محمد يوسف الدقاق (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. تح).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، صيد الخاطر، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).
- ابن الشطي، محمد جميل بن عمر البغدادي (ت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، مختصر طبقات الحنابلة، تحقيق: فواز أحمد الزمرلي (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن احمد بن محمد العسكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الاناؤوط-محمود الاناؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، ١٩٩١).
- ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل بن أحمد (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، د، تح (بغداد، المكتبة العربية).
- ابن الكازوني، علي بن محمد البغدادي (ت ٦١١هـ/١٢١٤م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد (بغداد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٩٧٠م).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهر، وزارة الثقافة والآثار القومي).
- ابن رجب، عبد الرحمن بن احمد (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الله بن احمد بن سلمان العثيمي، (مكة المكرمة، مكتبة العبيكان).
- ابن رجب، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب، تحقيق: أبو مصطفى طلعت بن فؤاد الحلواني (القاهرة، الفاروق الحديثة، ٢٠٠٣م).
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

عصر ابن الجوزي وعلاقته بالخلافة العباسية

- الدوري، خضر، ابن الجوزي، مجلة آداب الرافدين، جامعة تكريت، العدد ٤، ١٩٧٢م
- الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م).
- سبط ابن الجوزي، يوسف بن عبد الله قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق: إبراهيم الزنبيق، (دمشق، دار الرسائل الملحبة).
- السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد عساف، ط ٢، (بيروت، دار المنهاج، ٢٠١٣م).
- طلب، صبار، محمود أحمد، المجالس العلمية وأثرها على الحركة في بغداد وبلاد المشرق الإسلامي في القرن السادس الهجري، مجلة آداب الفراهيدي، العدد ١٥، لسنة ٢٠١٣م.
- عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- قدحات، محمد بن عبد الله، مراسيم العزاء في دار الخلافة في العصر العباسي الأخير، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مجلد ٨، العددان ٣، ٤، لسنة ٢٠١٤م، هامش رقم (٤).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن القاسم (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله اللحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، د.تح، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

المصادر باللغة الإنكليزية:

- Abdullah bin Asaad bin Ali bin Suleiman (d. 768 AH / 1366 AD), the mirror of the heavens and through the awakening in the knowledge of the events of time, investigation: Khalil Mansour, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1417 AH / 1997 AD).
- Al-Dhahabi, Lessons in the News from the Dark, investigated by: Abu Hajar Muhammad Al-Saeed bin Bassiouni Zaghoul (Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1985 AD).
- Al-Douri, Khader, Ibn Al-Jawzi, Journal of Al-Rafidain Literature, Tikrit University, No. 4, 1972 AD

- Al-Nuwairi, Shihab Al-Din Ahmed bin Al-Qasim (d. 733 AH / 1332 AD), The End of Al-Arab in the Arts of Literature, investigated by: Abdul Majeed Tarhini (Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2002 AD).
- Al-Suyuti, The History of the Caliphs, Investigation: Muhammad Assaf, 2nd Edition, (Beirut, Dar Al-Minhaj, 2013).
- Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim (died 630 AH / 1232 AD), al-Kamel in History, investigation: Dr. Muhammad Yusuf al-Daqqaq (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1424 AH - 2003 AD).
- Ibn Al-Fawti, Kamal Al-Din Abi Al-Fadl bin Ahmed (d. 723 AH / 1323 AD), The Collective Incidents and Useful Experiences, d, T. (Baghdad, The Arabic Library).
- Ibn al-Imad, Shihab al-Din Abd al-Hayy ibn Ahmad ibn Muhammad al-Askari al-Hanbali (died 1089 AH / 1679 AD), fragments of gold in Akhbar Min Dahab, investigated by: Abdul Qadir al-Anawut-Mahmoud al-Anawut, (Damascus, Dar Ibn Katheer, 1991).
- Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad (d. 597 AH/1200 CE), the regular in the history of kings and nations, investigated by: Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, d. T).
- Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad (d. 597 AH/1200 AD), Said al-Khater, investigation: Abdul Qadir Ahmed Atta, (Birzet, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1994).
- Ibn al-Kazouni, Ali bin Muhammad al-Baghdadi (died 611 AH / 1214 AD), a brief history from the beginning of time to the end of the state of Bani al-Abbas, achieved by: Mustafa Jawad (Baghdad, General Organization for Press and Printing, 1970 AD).
- Ibn Al-Shatti, Muhammad Jamil bin Omar Al-Baghdadi (d. 1307 AH / 1889 AD), summary of the Hanbali classes, investigation: Fawaz Ahmed Al-Zamrli (Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1406 AH / 1986 AD).
- Ibn Katheer, Imad Al-Din Abu Al-Fada Ismail bin Omar (d. 774 AH / 1372 AD), The Beginning and the End, investigated by: Abdulhamm bin Al-Mohsin Al-Turki, (Cairo, Dar Hajar for Printing and Publishing, 1419 AH / 1998 AD).
- Ibn Rajab, Abdul Rahman bin Ahmed (d. 795 AH / 1392 AD), the tail on the layers of the Hanbalis, investigation by: Abdullah bin Ahmed bin Salman Al-Uthaymi, (Makkah Al-Mukarramah, Al-Obaikan Library).

- Ibn Rajab, The Collection of the Letters of Al-Hafiz Ibn Rajab, investigation: Abu Mustafa Talaat bin Fouad Al-Halawani (Cairo, Al-Farouq Al-Hadithah, 2003 AD).
- Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Abu al-Mahasin (d. 874 AH / 1469 AD), the shining stars in the kings of Egypt and Cairo, (Al-Qaher, Ministry of Culture and National Antiquities).
- Qadhat, Muhammad bin Abdullah, Condolences Ceremonies in the House of the Caliphate in the Last Abbasid Era, The Jordanian Journal of History and Antiquities, Volume 8, Issues 3, 4, for the year 2014, Margin No. (4).
- Sibt Ibn al-Jawzi, Yusuf bin Abdullah Qazawly (d. 654 AH / 1256 AD), the Mirror of Time in the History of Notables, investigated by: Ibrahim al-Zanbaq, (Damascus, House of Salt Letters).
- Talab, Sabbar, Mahmoud Ahmed, Academic Councils and their Impact on Movement in Baghdad and the Islamic Mashreq in the Sixth Hijri Century, Adab Al-Farahidi Journal, Issue 15, for the year 2013 AD.
- Yaqout al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Lahmawi (d. 626 AH / 1228 AD), Lexicon of Countries, Dr. Tah, (Beirut, Dar Sader, 1397 AH / 1977 AD).

مدارس الحديث العراقية وجهود علمائها في خدمة علوم الحديث

في القرون الهجرية الثلاثة الأولى

Iraqi Hadith Schools and the Efforts of their
Scholars in the Service of Hadith Sciences in the
First Three Hijri Centuries

رقية نهاد الجبوري Ruqaya Nihad Al-Jobouri

ruqia80@yahoo.com

طالبة ماجستير، قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم

الانسانية، الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا

أ.م. زنييدة محمد مرزوقي * Zunaidah Mohd. Marzuki

*Corresponding author: zunaidah@iium.edu.my

أستاذ مساعد، قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم

الانسانية، الجامعة الاسلامية العالمية ماليزيا

مدارس الحديث العراقية وجهود علمائها في خدمة علوم الحديث في القرون الهجرية
الثلاثة الأولى

رقية نهاد الجبوري

أ.م. زنبدة محمد مرزوقي

ملخص البحث

اهتم علماء الإسلام في شتى العصور بجمع الأحاديث النبوية وروايتها، ودراسة ما اشتملت عليه من العلوم الشرعية المتعددة، وعقدوا مجالس إملاء الحديث في الجوامع ومجالس التحديث وكانوا يُملون الأحاديث والآثار من حفظهم أو من كتبهم الموثقة المضبوطة، فكانت تلك المجالس النواة الأولى لنشأة المدارس الحديثية في مختلف الأمصار الإسلامية. وهذا البحث يعرف بمدارس الحديث العراقية في القرون الثلاثة الأولى وهي مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة واسط ومدرسة بغداد ويعرف بأبرز علمائها وسمات وخصائص كل مدرسة منها، وجهود روادها الكبار في نشر السنة وحمائتها ودورها في تأصيل علم الحديث. وكوننا لم نجد دراسة تفصيلية تسلط الضوء على مدارس الحديث العراقية ودورها في خدمة علم الحديث فإن هذا البحث ابتداءً بالبحث بالتعريف بمدارس الحديث العراقية ونشأتها وأهم علمائها وخصائص وسمات كل مدرسة، ثم استعرضنا نماذج من جهود علماء العراق في تأسيس وتأصيل علوم الحديث بشقيها -رواية ودراية- كجمع الحديث وروايته، وضبط الإسناد وعلم الجرح والتعديل وعلم طبقات المحدثين ونقد الحديث وغيرها، واختتم بالنتائج والتي تؤكد على أن عناية علماء العراق بعلوم الحديث كانت مبكرة وكان لهم أثر كبير في تأسيسها.

الكلمات المفتاحية: مدارس الحديث - علماء العراق - علم الحديث - الرواة - علم الجرح والتعديل

Abstract

Islam scholars, over the centuries, concerned in collecting the prophetic Hadiths and narrating them, in addition to the studying of Hadiths contain due to their legislative importance in Islamic principles. Hadith Narrators conducted narration councils in mosques to narrate

Hadith from either their memories or from their documented books. These narration councils became the first kernels for the establishment of Hadith schools in various Islamic cities. This research introduces the Iraqi schools of Hadith during the first three centuries, which are Basra School, Kufa School, Wasit School and Baghdad School characteristics of each school, their role in the rooting and publishing of Hadith science, and the most famous Iraqi narrators. As we did not find a comprehensive research about the impact of Iraqi schools of Hadith This research started with introducing the Iraqi schools of Hadith, characteristics of each school, their role in the rooting and publishing of Hadith science, and the most famous Iraqi narrators. The research also showed the early care of Iraqi scholars in the sciences of hadith - narration and knowledge - and concluded with confirming that the Iraqi scholars had a great impact in establishing and rooting the sciences of Hadith.

Key words: Hadith schools - Iraqi scholars- Sciences of Hadith - Narrators - Science of discrediting or confirming

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين. وبعد؛ فإن علوم الحديث النبوي من العلوم التي كثر فيها التصنيف، وتنوعت فيها طرائق العلماء بالكتابة في شتى جوانبها؛ وذلك لما تميزت به هذه العلوم من البحث في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبيانها، وتوضيح مقاصدها وكشف أسرارها؛ وكونها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد كان لعلماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم في مختلف العصور، دور كبير في حماية السنة النبوية من الوضع والوضاعين، حيث اعتنوا بجمع الأحاديث النبوية وروايتها، ودراسة الأسانيد والتثبت من عدالة رجالها وضبطهم، ودراسة المتن والتصدي لمحاولات الوضع فيها، وخصوصاً بعد أن حصلت الفتن في أواخر خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه- والتي أدت الى مقتله، ثم نشوء الفرق العقدية والسياسية المختلفة وانتشار الكذب والوضع في الحديث النبوي^(١). وقد اعتاد الحفاظ والمحدثون على عقد مجالس إملاء الحديث في المساجد ومجالس التحديث حيث كانوا يُملون على طلابهم من حفظهم أو من كتبهم الموثقة المضبوطة الأحاديث

والآثار بأسانيدها^(٢) ، فكانت تلك المجالس النواة الأولى لنشأة المدارس الحديثية في مختلف الأمصار والبلدان الإسلامية^(٣) ، وكان لكل مدرسة محدثون اشتهروا فيها، ولها خصائص معينة في تصحيح الأحاديث وتضعيفها^(٤).

ومن أشهر تلك المدارس الحديثية التي ظهرت في القرون الهجرية الثلاثة الأولى هي مدارس الحديث في العراق، والتي ظهرت على حقب متعاقبة في العديد من المدن وهي: البصرة والكوفة وواسط وبغداد، حيث ضمت بين جنباتها العديد من مؤسسي وواضعي قواعد وأصول علم الحديث والذين اقتفى العلماء من بعدهم أثرهم^(٥).

وترجع أهمية هذا البحث الى كونه محاولة جادة لتسليط الضوء على مدارس الحديث العراقية وجهود روادها الكبار في خدمة علوم الحديث وتأصيلها ونشر السنة النبوية في القرون الثلاثة الأولى -وهي عصر الرواية- والتي تعتبر أساسا لما بعدها في التأصيل ووضع القواعد الحديثية لعلوم الدراية^(٦).

وسيحتوي هذا البحث على مقدمة ثم مشكلة البحث وأهميته وأسئلته وأهدافه، ومبشرين وخاتمة، استهلكت المقدمة ببيان أهمية الموضوع وسبب اختياره، وعرضت مشكلة البحث ببيان الحاجة لهذه الدراسة، وركز المبحث الأول على التعريف بمدارس الحديث العراقية، ويتضمن المبحث الأول على أربعة مطالب يعرف في كل مطلب بمدرسة من المدارس الحديثية العراقية، من حيث نشأتها وأهم علمائها وخصائصها وسماتها -دون اسهاب في التفاصيل كي لا يطول البحث-، وفي المبحث الثاني يستعرض البحث نماذج من جهود علماء العراق في تأسيس وتأصيل علوم الحديث المختلفة ويحتوي على مطلبين: الاول بيان جهود علماء العراق في علم الحديث رواية كجمع الحديث وروايته والرحلة في طلبه، والثاني: بيان جهودهم في علم الحديث دراية: كضبط الإسناد وعلم الجرح والتعديل وعلم طبقات المحدثين وغيرها.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في عدم وجود دراسة شاملة تبين دور مدارس الحديث العراقية ومناهجها وتبين جهود علمائها في خدمة علم الحديث رواية ودراية.

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث كونه محاولة جادة لتسليط الضوء على مدارس الحديث العراقية وبيان جهود روادها الكبار في خدمة السنة النبوية ونشرها وتأسيس علوم الحديث وتدوينها.

أسئلة البحث:

وفقاً لمشكلة البحث، فإن الأسئلة التي يسعى البحث للإجابة عليها تتمثل في الآتي:

١. في أي المدن ظهرت المدارس الحديثية في العراق، وما هي أهم سماتها وخصائصها؟
٢. ما هو دور المدارس الحديثية في العراق في خدمة الحديث النبوي وتأسيس علم الحديث؟

أهداف البحث:

بناءً على أسئلة البحث، فإن البحث يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. التعرف بمدارس الحديث في العراق وسمات تلك المدارس وخصائصها وأبرز علمائها.
٢. التعرف بجهود علماء العراق في تأسيس علم الحديث.

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث بالحدود الزمانية: وتتمثل في القرون الثلاثة الأولى الهجرية وهي عصر الرواية للحديث النبوي، والحدود المكانية: وتتمثل بحدود العراق المعروفة في الوقت الحاضر.

المبحث الأول: نشأة مدارس الحديث في العراق

تأسست في العراق في القرون الهجرية الثلاثة الأولى مدارس حديثية عديدة، وهي بحسب حدود العراق المعروفة خلال تلك الفترة الزمنية: مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة واسط، ومدرسة بغداد. ومما يجدر بالإشارة أن هذه المدن الأربعة بناها الصحابة والتابعون دون فتوحات^(٧) وقامو بنشر السنة النبوية فيها. ويمكن تعريف المدرسة بأنها جماعة من الرواة والمحدثين بينهم خصائص مشتركة تتعلق بوسائل تبليغ الحديث وصيانتها رواية ودراسة زمانياً ومكانياً^(٨). وفي هذا المبحث سنقوم بالتعريف بهذه المدارس الحديثية العراقية وبيان أهم سمات وخصائص كل منها.

المطلب الاول: مدرسة البصرة.

١. تأسيس مدينة البصرة

البصرة مدينة قديمة، إلا أنها أصبحت مدينة إسلامية في عهد سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه- حيث تأسست على يد عتبة بن غزوان الصحابي البصري سنة ١٤ هـ وقيل سنة ١٥ هـ^(٩). نزل عدد من الصحابة والتابعين في البصرة، واختلف المؤرخون في تحديد عددهم وقد أحصى ابن سعد أن من نزل البصرة من الصحابة بلغ مائة وخمسين صحابياً^(١٠)، وتعد البصرة أول ولاية في العصر الاسلامي أنشأها العرب المسلمون خارج حدود الجزيرة العربية.

رأى سيدنا عمر رضي الله عنه- أنه لابد للجيش الإسلامي من مكان يكون مركز انطلاق وتجمع، ولابد أن يكون هذا المكان قريباً من مركز الدولة الإسلامية، ويكون قريباً من الماء والمراعي حيث تميزت مدينة البصرة بقربها من الماء، ووقوعها على طرف البر، وكثرة القصب والحجر فيها^(١١).

٢. سمات وخصائص مدرسة البصرة:

تأسيس مدينة البصرة كمدينة عسكرية وقاعدة للفتوحات أثرت على خصائص مدرسة البصرة وانتشار العلم وطبيعة العلاقات العلمية فيها في بداية القرن الأول، حيث كان على رأس وفد البصرة الذي أرسله سيدنا عمر رضي الله عنه- عام ١٧ هـ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه-، والذي لم ينشغل بنشر العلم مثل ابن مسعود رضي الله عنه- في الكوفة وإنما كان مشغولاً بالفتوحات والجهاد. فانشغال أبو موسى الأشعري بالجهاد والفتوحات لم يجعل من البصرة مدينة ينشط فيها العلم كما كان في الكوفة، وحيث كانت فراسة سيدنا عمر رضي الله عنه- فيه أنه يمتلك مؤهلات عسكرية تصلح لأرض الرباط والجهاد وأوصى سيدنا عمر رضي الله عنه- قبل وفاته بأن يقر أبو موسى أربع سنوات أخرى في ولاية البصرة وهذا ما تفرد به أبو موسى دون أي وال غيره^(١٢).

ومن خصائص مدرسة البصرة نزول عدد كبير من الصحابة في البصرة فكانوا هم النواة الأساسية لتأسيس مدرسة البصرة وبشكل حفاظ مدرسة البصرة نسبة كبيرة من مجموع حفاظ الأمصار، والمقصود بالحفاظ هم الذين حفظوا الأسانيد والمتون وأحوال الرجال.

وكانت مدرسة البصرة تمتاز عن بقية المدارس في العراق في حرص علمائها على المأثور، فقد جاء عن أبي العالية الرياحي البصري: كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة فسمعنا من أفواههم^(١٣). مما يبين أن أهل البصرة كانوا إذا اختلفوا أرسلوا الى المدينة ليأتي الحكم من خارج البصرة لا من داخلها، كما حصل في مسألة السكتتين، فقد روى أبو داود والإمام أحمد وغيره أن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال: حفظت سكتتين في الصلاة: سكتة إذا كبر الإمام حتى يقرأ وسكتة إذا فرغ من الفاتحة وسورة عند الركوع، فأنكر عليه عمران بن حصين ذلك، فكتبوا في ذلك إلى المدينة إلى أبي بن كعب، فصدق سمرة^(١٤).

وكان منهج أهل البصرة وجوب بيان المحدث لحال الراوي الذي يروي عنه، خاصة إذا كان ضعيفا أو كذابا، وذلك حتى لا يكتب عنه أحد معتقدا أنه ثقة أو أنه من أهل هذا الشأن^(١٥). روى الخطيب البغدادي بسنده عن يحيى بن سعيد القطان قال: سألت شعبة وسفيان ومالك بن أنس وابن عيينة عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظه، قالوا: يبين أمره للناس^(١٦). فكان من الواجب بيان حال الصالح من الطالح حتى يعرف المحدث عن يأخذ حديثه، قال محمد بن سيرين "إن هذا الحديث دين، فانظروا عن من تأخذونه"^(١٧)، ويغلب التشدد في الجرح عند البصريين ويرجع سبب ذلك أن استاذهم في هذا الشأن هو الحافظ شعبة بن الحجاج الذي كان يرى وجوب بيان حال الراوي وعدم جواز السكوت عنه^(١٨).

وعند البصريين (كشعبة والقطان وغيرهم) قراءة الحديث على العالم أفضل من السماع منه. روي عن الامام شعبة أنه قال: القراءة عندي أثبت من السماع وكان يحيى القطان يقول: ما قرأت على مالك بن أنس أثبت في نفسي مما سمعت منه^(١٩). ويصح سماع الحديث عند البصريين ممن دون العشر سنوات، والضابط في ذلك هو التمييز، لان حفظ الناس وادراكاتهم تتفاوت، واستدل على صحة ذلك ابن المديني فقال: حفظ المسور بن مخرمة وهو ابن ثمان وحفظ عمر بن ابي سلمة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن سبع سنين^(٢٠). وللبصريين عدة آراء حول الرواية بالمعنى، فمذهب ابن سيرين المنع للرواية بالمعنى، لكن الحسن البصري وابراهيم النخعي والشعبي أجازوا الرواية بالمعنى وسار أغلب علماء البصرة على مذهب الحسن البصري^(٢١).

ومن ابرز علماء مدرسة البصرة: أبو بكر محمد بن سيرين البصري، وهو تابعي أشتهر في التفسير، والحديث، والفقه، وتعبير الرؤيا، وعرف بالزهد والورع، ولد في البصرة وتوفي فيها سنة ١١٠هـ^(٢٢)، والإمام الحافظ شعبة ابن الحجاج بن الورد، أمير المؤمنين في الحديث، وعالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن البصري، وأخذ عنه مسائل، وكان من أوعية العلم، ولا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه، وهو من نظراء الأوزاعي ومعمّر والثوري في الكثرة، وهو أول من جرح وعدل، ورأى أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة الجرمي، وسمع من أربعمائة شيخ من التابعين^(٢٣).

المطلب الثاني: مدرسة الكوفة.

١. تأسيس مدينة الكوفة

تأسست مدينة الكوفة على يد سعد بن ابي وقاص -رضي الله عنه- بأمر من سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وذلك سنة ١٧ هـ حسب قول أكثر المؤرخين وقيل سنة ١٨ هـ^(٢٤)، وكان تأسيسها بعد فتح المدائن^(٢٥)، وكان أول عمل لسعد بن ابي وقاص -رضي الله عنه- في الكوفة هو اختيار مكان للمسجد ثم بناء بيت للإمارة لتقاء محراب المسجد^(٢٦).

أغلب سكان الكوفة في بداية تأسيسها كان من الجنود العرب (وخصوصا من أهل اليمن)، وكانت مركزا لانطلاق الفتوحات الاسلامية لما حولها من البلدان^(٢٧)، ثم بعد ذلك ازداد عدد سكانها زيادة كبيرة نظرا لأهميتها ولكونها أصبحت عاصمة الخلافة الاسلامية في عهد علي بن ابي طالب -رضي الله عنه- وأول عاصمة اسلامية خارج الجزيرة العربية^(٢٨)، وانضم الى الكوفة واستقر فيها الحرفيون والتجار والمزارعون من الفرس وغيرهم^(٢٩).

نزل الكوفة عدد كبير من الصحابة، فقد كان تعداد جيش سيدنا سعد بن ابي وقاص أربعين ألفا، وهم الذين سكنوا الكوفة أول تأسيسها. أخرج ابن سعد بسنده عن ابراهيم النخعي قال: هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر^(٣٠). وذكر العجلي (أحمد بن عبدالله) المتوفى سنة ٢٦١ هـ ألفا وخمسمائة صحابي ممن نزلوا الكوفة^(٣١). ومن ابرز الصحابة الذين سكنوا الكوفة، عبد الله بن مسعود، علي بن أبي طالب، أبو موسى الأشعري، البراء بن عازب، سعد بن أبي وقاص، حذيفة بن اليمان، عمار بن ياسر، سلمان الفارسي، المغيرة بن شعبه،

وغيرهم، ومن الصحابييات، زينب بنت خباب بن الأرت، زينب بنت عبد الله الثقفية زوجة عبد الله بن مسعود، فاطمة بنت اليمان (أخت حذيفة) وغيرهن^(٣٢).

أما بالنسبة للمواقف السياسية لمدينة الكوفة، فقد كان لهذه المدينة ولاء للخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولكونها مدينة عسكرية قوية، فقد سخرت تلك القوة لخدمة ذلك المبدأ وخاضت العديد من المعارك، كما شارك أهل الكوفة في بعض الثورات التي قامت في العهد الأموي^(٣٣). وبالرغم أن الكوفة ليست منطلق الثورة العباسية، إلا أنها شاركت في هذه الثورة، وكانت حلقة الوصل بين الثورة وقادتها، ومركز التخطيط والقيادة، وكانت خراسان مركز التنفيذ^(٣٤). وانتصر العباسيون سنة ١٣٢هـ ودخلوا الكوفة دون مقاومة لأن أهلها راضون بما حدث لكنهم تفاجئوا عندما بويع أبو العباس السفاح فهو ليس من أولاد علي بن أبي طالب^(٣٥)، ولأنه حصل بعض الاضطهاد والقتل في عهد العباسيين لأهل الكوفة، والقتل بالظن والشبهة، فثار الناس في كل مكان ثم هدأت الكوفة رغم أن أهلها غير راضون لأنها أصبحت عاصمة الخلافة العباسية وتحت رقابة شديدة حتى بناء مدينة بغداد^(٣٦).

٢. سمات وخصائص مدرسة الكوفة:

تميزت مدرسة الكوفة بالاهتمام بالقرآن لكونه المصدر الأول في التشريع الإسلامي، حيث اعتنت بالقرآن عناية فائقة بحفظه وفهمه وتفسيره وقراءته. ففي علم القراءات -على سبيل المثال-، فإن ثلاثة من القراء السبعة كوفيون، وأربعة من العشرة كوفيون، وهم: عاصم، حمزة الزيات، الكسائي، خلف بن هشام^(٣٧). وذكر السيوطي أن عدد القراء في الكوفة كان يزيد على عدد القراء في كل من مكة والمدينة والشام والبصرة^(٣٨).

وقد تميزت مدرسة الحديث في الكوفة بأن علماءها نهجوا نهج سيدنا عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود فيما روي عنهما من التثبت في الرواية وعدم الإكثار في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا النهج قد أثر على فقهاء الكوفة أيضا، حيث كانوا يتهيبون الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم - ولا يتهيبون من الرأي. قال الإمام الشعبي: "كانت القضية ترفع إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فربما تأمل في ذلك شهرا، ويستشير أصحابه، واليوم يفصل في المجلس مائة قضية"^(٣٩). وقد كان نهج عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - (والذي كان قدوة أهل الكوفة ومؤسس المدارس العلمية فيها) هو طريقة سيدنا عمر -

رضي الله عنه- فلا يكاد يخالف عمر في شيء من آرائه، وكان شديد التثبث في النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم- وتميز بالإفتاء بالرأي إذا لم يكن هناك نص، وسار على هذا النهج في فترة قضائه بالكوفة^(٤٠).

وأما تأثر علماء ومحدثي الكوفة بمنهج سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- من التثبث في الرواية وعدم الإكثار في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم-، فقد بدأ منذ أن بعثه سيدنا عمر - رضي الله عنه- إلى الكوفة معلماً، وكتب إلى أهل الكوفة: "إني قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد، من أهل بدر، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، قد آثرتكم بعبد الله على نفسي"^(٤١).

ويمكن تلخيص ما تميزت به مدرسة الكوفة في علم الحديث بما يأتي:

- ١- لم يكن أهل الكوفة يسمعون من الغلام قبل استكمال العشرين سنة، وعليه أن ينشغل بحفظ القرآن الكريم والتعبد، وحجتهم أن سن العشرين مجمع العقل، قال سفيان الثوري الكوفي: كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث يتعبد قبل ذلك عشرين سنة^(٤٢).
- ٢- كثرة محدثيها، وذلك بسبب نزول عدد كبير من الصحابة في الكوفة منهم ٧٠ من أهل بدر و ٣٠٠ من أهل الشجرة، كما أن القول بقلة اهتمام أهل الكوفة بالحديث أثار همم فقهاء في جمعه كما في مسانيد أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن. يقول محمد بن سيرين البصري: "قدمت الكوفة، فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون الحديث، وأربعمائة قد فقهوا"^(٤٣).
- ٣- أغلب رجالها من تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه- ومن بعدهم من التابعين يحتاطون في رواية الحديث وفي تلقيه^(٤٤)، يقول ابن مسعود رضي الله عنه-: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية^(٤٥).
- ٤- نهج تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه- نهجه في تعظيم رواية الحديث فمثلاً علقمة ثقة كثير الحديث، وهو من الرحالة في طلب العلم والجهاد، وكان مسروق من الرحالين في طلب العلم، حتى قال الشعبي عنه: "ما علمت أحداً كان أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق" وذكر قصة خروجه إلى البصرة ثم الشام يبحث عن علم آية^(٤٦).

- ٥- نظرا لكثرة الفتن في العراق، تشددوا في شروط قبول حديث الآحاد، وهي: أن لا يخالف حديث الآحاد أصلا من الأصول، وأن لا يخالف عموميات الكتاب لأنها قطعية الدلالة، وأن لا يعمل الراوي بخلاف خبره.
- ٦- جمهور فقهاء الكوفة على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وكان الإمام أبي حنيفة رحمه الله- يميل الى التشدد في قبول الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة الكرام، ويفتي بالقياس إذا لم يستيقن من صحة تلك الأحاديث^(٤٧).

المطلب الثالث: مدرسة واسط.

١. تأسيس مدينة واسط

تأسست مدينة واسط في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف الثقفي واختلف المؤرخون في تأريخ تأسيسها بين عام ٧٥هـ أو ٧٨هـ، وأتم البناء عام ٨٣هـ أو ٨٦هـ^(٤٨). وأنفق الحجاج على إنشاء هذه المدينة مبالغ كبيرة من المال حيث بلغ ما يعادل خراج العراق لمدة خمس سنوات.

٢. سمات وخصائص مدرسة واسط:

مدينة واسط ليست كالبصرة والكوفة، فلم يسكنها الصحابة وإنما سكنها أتباع التابعين من الذين وفدوا إليها من البصرة والكوفة^(٤٩). تميزت بكثرة رحلة العلماء الواسطيين الى مكة المكرمة للحج أولا، ثم للقاء العلماء وأخذ العلم والاستفادة منهم في علم القراءات والتفسير والحديث والفقهاء وغيره من العلوم الشرعية، كما كانت رحلاتهم الى المدينة المنورة لطلب العلم والحديث النبوي^(٥٠).

ومن أهم سمات وخصائص مدرسة واسط الحديثية كثرة المحدثين ورواياتهم وسماعاتهم وقراءاتهم واجازاتهم. ومن أبرز علماء مدرسة واسط:

- ١- شيبه بن ساور الواسطي: ولد في واسط، درس وتعلم الحديث والفقهاء فشد الرحال وانتقل الى مكة المكرمة وأخذ العلم من بعض الصحابة، منهم عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عبيد، وروى عنه سفيان بن حسين وعبيد الله بن عمر^(٥١).

- ٢- منصور بن زاذان الواسطي (ت ١٣١هـ): كنيته أبو المغيرة الثقفي، هو صاحب الحسن البصري، قال عنه يحيى بن معين ثقة والنسائي قال عنه ثقة^(٥٢).
- ٣- شعبة بن الحجاج البصري الواسطي (ت ١٦٠هـ) كنيته ابو بسطام، قال عنه الإمام الشافعي: "لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، وقال: رأيت شعبة يصلي حتى تورم قدماه". وقال عنه سفيان الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتن عن الرجال، وذب عن السنة النبوية وكان حافظا عابدا، وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن، يعني الرجال، وبصره بالحديث وثبته وتنقيته للرجال، وقال ابن حجر العسقلاني: شعبة بن الحجاج ثقة حافظ متقن^(٥٣).
- ٤- هشيم بن بشير بن القاسم الواسطي (١٨٣هـ): أبو معاوية الذي قال عنه الامام مالك: وهل بالعراق أحد يحسن الحديث إلا ذلك الواسطي يعني هشيم. وقال عنه بن سعد (٢٣٠هـ) ثقة كثير الحديث ثبتا^(٥٤). وقال عنه ابن ابي حاتم الرازي (٢٧٠هـ) ثقة لا يسأل عن هشيم في صلاحه وصدقه وأمانته^(٥٥).
- ٥- يزيد بن هارون (٢٠٦هـ) أبو خالد الواسطي: قال عنه ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال عنه أبو حاتم الرازي: ثقة إمام لا يسأل عن مثله^(٥٦).
- ومن خصائص مدرسة واسط قلة التأليف مقارنة بالمدارس الأخرى (البصرة والكوفة وبغداد) فكان حجم المؤلفات التي دونها علماء واسط ومدرستها لا يتناسب مع عدد علمائها، ولعل السبب في ذلك اعتماد علماء واسط على السماع والرواية والحفظ أكثر من اعتمادهم على التدوين والكتابة.

المطلب الرابع: مدرسة بغداد

١. تأسيس مدينة بغداد

تأسست بغداد في عصر الخلافة العباسية في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ وقيل ١٤٦هـ، حيث جرت العادة في البلاد الاسلامية أن تتخذ كل أسرة نلي الحكم عاصمة جديدة لها^(٥٧). وذكر الذهبي في سنة خمس واربعين ومائة، قال: في هذه السنة أسست مدينة السلام بغداد، وهي التي تدعى مدينة المنصور. وكانت بغداد قبل بنائها قرية قديمة بناها بعض ملوك الفرس، وتقع على الشاطئ الغربي لنهر دجلة في أعلى المكان الذي يلتقي فيه نهر الطرة بدجلة،

وقد بقيت قباب بغداد القديمة الى أيام الطبري المتوفي سنة ٣١٠هـ^(٥٨). أطلق المنصور على بغداد اسم مدينة السلام، وسميت بالمدينة المدورة لأنها كانت على شكل دائرة، وسمي الجانب الغربي من بغداد بالزوراء^(٥٩).

ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، أن المنصور أراد أن يولي القضاء للإمام أبي حنيفة النعمان، فامتنع ، فحلف ألا يتركه حتى يوليه عملا من الأعمال، والسبب في ذلك انحياز الإمام الى دعوة محمد بن عبد الله العلوي، قال الخطيب: وبلغني عن محمد بن خلف أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت كان يتولى القيام بضرب لبن المدينة وعدده حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة وكان أبو حنيفة يعد اللبن بالقصب، وهو أول من فعل ذلك، فاستفاد الناس منه^(٦٠).

ومنذ تأسيس بغداد سكنها الكثير من العلماء في شتى العلوم ومن أشهر محدثي بغداد: أحمد بن نصر الخزاعي البغدادي المصلوب (ت ٢٣١هـ)، يحيى بن معين البغدادي (ت ٢٣٣هـ)، أحمد بن حنبل البغدادي (ت ٢٤١هـ)، أحمد بن منصور الرمادي البغدادي (ت ٢٦٥هـ).

٢. سمات وخصائص مدرسة بغداد:

أول من نشر الحديث فيها هشام بن عروة، وبعده شعبة بن الحجاج وهشيم بن بشير الواسطي، وكثر بها علم الحديث والاثر فلم تنزل معمورة بالعلم والعلماء الى زمن الامام أحمد بن حنبل وأصحابه، وهي دار الاسناد العالي والحفظ، ومن علمائها أخذ الامام البخاري، فقد اتصل بمحدثي بغداد مرات عديدة وأخذ عنهم العلم وكان لهم أثر كبير في منهجيته في الحديث ، وقد قال: ولا أحصي كم دخلت الى الكوفة وبغداد مع المحدثين^(٦١). وبدأ اهتمام علمائها بعلم طبقات المحدثين، وكان من هؤلاء الأئمة الإمام يحيى بن معين البغدادي، فقد اهتم بتحديد مواطن الرواة، ومعلوم أن معرفة مواطن الرواة من أهم أركان علم الطبقات.

كانت محنة القول بخلق القرآن التي شهدتها بغداد نقطة تحول في نمط الحياة الفكرية والعقائدية والعلمية في بغداد، وفي هذا العصر اطلق على من تمسك بالكتاب والسنة مصطلح (أهل السنة) وأطلق اسم (المعتزلة) على من أخذ بالكلام والنظر، فكانت الغالبية العظمى من أهل الحديث والسنة في جانب معارضة القول بخلق القرآن التي تبنته المعتزلة واعتمده بعض الخلفاء

في ذلك العصر وأكروهو الناس عليه، وعرفت في بغداد مدرسة الامام أحمد بن حنبل، واشتهرت باسمه بسبب ما لاقاه في هذه المحنة من عذاب وابتلاء^(١٢).

وتميزت هذه الفترة بموقف أهل السنة من العلماء من مخاليفهم خصوصا المعتزلة في طريقتين: أولاً: الحوار والمناظرة، وقد ذكرت المصادر أهم المحاورات التي دارت بين الامام أحمد وابن أبي دؤاد مثلاً. ثانياً: التأليف وتدوين المسائل والرد عليها وتفنيدها وآراء المخالفين والكشف عن زيفها، وكان لعلماء بغداد منهجين في ذلك:

١- منهج الرد: أي عرض آراء الخصوم والرد عليها مدعماً بالأدلة النقلية من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، مثل كتاب (الايمان) لأبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي البغدادي المتوفى سنة ٢٢٤هـ، وكتاب (الرد على الجهمية والزنادقة) للامام أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي المتوفى سنة ٤٢١هـ، وكتاب (الرد على الجهمية والشبهة) لعبد الله بن مسلم بن قتيبة البغدادي المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

٢- منهج العرض: أي عرض أصول العقيدة والحض على اتباعها وترك البدع والأهواء، مثل كتاب (السنة) للامام أحمد. وكانت أغلب مؤلفات العلماء في تلك الفترة في نصرة السنة النبوية ورد الشبهات عنها واعتادها في تأصيل العقيدة، حيث كان المعتزلة ينكرون السنة النبوية ويحاربون أهل الحديث والأثر، لأنه يخالف عقيدتهم في ادعاء خلق القرآن، واستطاعوا التأثير على الخليفة المأمون وقال بقولهم وامتنح الناس بذلك.

المبحث الثاني: نماذج من جهود علماء العراق في علوم الحديث

بدأ اهتمام علماء الحديث في العراق بتدوين السنة النبوية وجمعها والكشف عن الصحيح منها ورد ما لا يصح نسبته إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - واهتموا بمعرفة الرجال، والبحث في الإسناد. وعندما بدأت حركة الوضع في الحديث النبوي بعد فتنة مقتل سيدنا عثمان - رضي الله عنه - وانتشرت في العديد من الأمصار وخصوصاً في العراق، حرص محدثوا وفقهاء العراق على التثبت من الرواية والتشدد في شروط قبولها^(١٣). وفي هذا المبحث سنستعرض بعض جهود علماء العراق في التأسيس والتأصيل والعناية بعلم الحديث بشقيه علم الرواية وعلم الدراية.

المطلب الأول: عناية العلماء بعلم الرواية.

١. الإسناد (إسناد الحديث)

يعد الامام محمد بن سيرين البصري، من أوائل من تكلم في الإسناد، فقد روى عنه مسلم في صحيحه أنه قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمو لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم^(٦٤).

٢. علم الجرح والتعديل

أول من تكلم في التعديل والتجريح الإمام شعبة بن الحجاج البصري، فقد قال الحافظ ابن رجب عنه: "وهو أول من وسع الكلام في الجرح والتعديل، واتصال الأسانيد وانقطاعها، ونقب عن دقائق علم العلل، وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم"^(٦٥). وقال عنه الإمام الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، وقال عنه سفيان الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث، وقال أبو عبد الله الحاكم: شعبة إمام الأئمة بالبصرة في معرفة الحديث^(٦٦)، وقال علي ابن المديني سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان شعبة أعلم بالرجال فلان عن فلان كذا وكذا^(٦٧). كما روي عن الإمام شعبة بن الحجاج البصري أنه قال: ما أعلم أحدا فتنش الحديث كتفتيشي؛ وقفت على أن ثلاثة أرباعه كذب^(٦٨).

وكان شعبه بن الحجاج من أكثر الناس تشددا في وجوب بيان حال الراوي وعدم جواز السكوت عنه، بل إن شعبة كان يرى السكوت في الشأن جنونا، فقد روي عنه أنه قال: ألا تعجبون من هذا الجنون؟ جرير بن حازم وحماد بن زيد، أتياني يسألاني أن أسكت عن الحسن بن عمار، لا والله لا أسكت عنه، ثم لا والله لا أسكت عنه^(٦٩). وروى أبو حاتم الرازي بسنده عن الشافعي أنه قال: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان^(٧٠).

فالإمام شعبة يرى أنه من الواجب على المحدث أن يبذل كل ما في وسعه منع انتشار رواية من أتهم في حديثه. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي داود الطيالسي قال: قال لي شعبة: "أنت جرير بن حازم فقل له لا يحل لك أن تروي عن الحسن بن عمار فإنه يكذب"^(٧١). وسار على

هذا النهج بعد شعبة من علماء البصرة جماعة منهم اسماعيل بن عليه، وعفان بن مسلم، ويحيى بن سعيد القطان.

ومن علماء الجرح والتعديل أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي^(٧٢) (ت ٢٦١هـ) وكانت له رحلة واسعة في طلب العلم ، وله كتاب (الثقات) وهو أول من أفرد الثقات بكتاب خاص، وله كتاب (الرجال وأحوالهم). والامام العجلي من العلماء الذين لديهم اهتمام واضح بذكر عقائد الرجال ومذاهبهم، فهو بعد ذكر مراتبهم من حيث الثقة والضعف يذكر المذهب والعقيدة ويوضح من كان منهم بين القول في بدعته^(٧٣).

٣. علم طبقات المحدثين

يستخدم المحدثون مصطلح طبقة لتمييز "طائفة من الرواة أو العلماء تعاصروا زمنا كافيا، وجمعتهم علاقة مكانية، أو علمية، أو قبلية ما"، وقد عرف بعض أهل العلم الطبقة بأنهم: "قوم تقاربوا في السن والإسناد"^(٧٤). أو هو: "البحث عن العلاقات المختلفة التي تربط أهل العلم بعضهم ببعض، أو تميز بعضهم من بعض"^(٧٥). ومن فوائد هذا العلم أنه إذا تناول راويا فإنه يبحث في تحديد طبقة الراوي (الزمانية والمكانية) والتعريف به، وتحديد منزلته العلمية (الحديثية والفقهية) ، وتحديد منزلة الراوي من شيوخه.

ولذلك أهتم علماء العراق بهذا العلم، وكان من هؤلاء الأئمة الإمام يحيى بن معين البغدادي، فقد اهتم بتحديد مواطن الرواة، قال أبو زرعة الرازي: "ذكرت ليحيى بن معين حديثا لزياد بن أبي حسان، فأنكره .. ثم قال لي: لا يدري هو بالنيل (مدينة بين الكوفة وواسط) أو بالكوفة"^(٧٦). فقد بحث الامام يحيى بن معين عن موطن هذا الراوي، ومعلوم أن معرفة مواطن الرواة من أهم أركان علم الطبقات. وأقدم مصنف في علم الطبقات كتاب "طبقات الفقهاء والمحدثين" للمؤرخ الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي الكوفي، والكتاب حسب قول الباحثين مفقود، غير أن الامام أبا بكر الخطيب نقل منه ٢٣ نصا في تاريخ بغداد. وللهيثم بن عدي أيضا كتاب في طبقات الصحابة^(٧٧).

ومن أوائل من صنف في علم طبقات المحدثين أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري البصري الملقب ب(شباب) (١٦٠هـ-٢٤٠هـ)، وهو أحد شيوخ البخاري، وكتابه القيم (الطبقات) من أقدم ما وصلنا من كتب هذا الفن^(٧٨). انفرد الأمام الذهبي في ذكر عمره حين وفاته عام ٢٤٠

هـ حيث ذكر أنه كان في الثمانين من العمر، فيكون ولد عام ١٦٠ هـ، ونشأ في البصرة في بيت علم، فجدّه أبو هبيرة من أهل الحديث، ووالده من رواة الحديث. روى عنه كثيرون منهم: البخاري، وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى الموصلي وغيرهم

طبقات خليفة كتاب قيم، وهو ركيزة هامة في هذا العلم، ويمتاز باهتمامه الشديد بالأنساب، ودقة مصنفه وشدة اجتهاده.

بين خليفة خطته في تأليف الكتاب، واهتمامه بالأنساب والبلدان ثم ساق بعض الأحاديث والروايات في علم النسب، ثم استفتح بنسب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتاريخ ولادته، ووفاته بالمدينة. ثم ذكر الصحابة في المدينة حسب تسلسل فروع النسب المعروفة ثم الصحابة الذين نزلوا الكوفة، فصنفهم حسب أنسابهم، ثم ذكر طبقات التابعين فمن بعدهم، فجعلهم ١١ طبقة. ثم طبقات البصريين ثم أهل المدينة، فأهل مكة فأهل الطائف، فأهل اليمن، فأهل اليمامة، فمصر والشام والجزيرة، فأهل الموصل وخراسان والري وواسط وبغداد. ثم الصحابييات في ثلاث مجموعات قبلية: قبيلة قريش، ومضر، ثم نساء اليمن، ولم يذكر التابعيات.

المطلب الثاني: عناية العلماء بعلم الدراية.

١. الرحلة في طلب العلم

لا يمكن جمع الحديث النبوي دون الرحلة في طلبه، حيث أن الصحابة والتابعين انتشروا في الأمصار وعند كل منهم علم بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-. لذلك كان للرحلة في طلب العلم أهمية كبيرة لدى المحدثين، بل جعلوها من الدين، طلبا لضبط الأحاديث وعلو الإسناد ومخالطة كبار العلماء ولقاء أئمة الحديث من مختلف الأمصار للأخذ عنهم^(٧٩).

فقد رحل الإمام مسروق بن الأجدع الوادعي الكوفي (المتوفي سنة ٦٢ هـ) لضبط حرف واحد في حديثه، كما رحل شعبة بن الحجاج البصري من أجل إسناد حديث فضل الوضوء والذكر بعده، فرحل إلى مكة والمدينة والبصرة، حتى توصل إلى أن أبا إسحاق السبيعي الذي سمع منه شعبة هذا الحديث مدلس، وقد سقط راو من السند مطعون فيه^(٨٠). وعلى هذا سار محدثوا العراق، فعندما سئل الإمام أحمد بن حنبل عن طالب العلم هل يلزم رجلا عنده علم، فيكتب عنه، أم يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال: "يرحل، يكتب عن الكوفيين والبصريين، وأهل

المدينة ومكة ، يُشامُّ الناسَ يسمع منهم"، وأثنى على عبد الله ابن المبارك لتميزه بالرحلة في طلب العلم فقال: "لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن وإلى مصر وإلى الشام والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وأهل ذلك"^(٨١). وكانوا يضعفون أمر من لم يرحل لطلب العلم، قال يحيى بن معين البغدادي: " أربعة لا تؤنس منهم رشدا: حارس الدرب، ومناذي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث"^(٨٢).

٢. الحفظ والاتقان وكثرة الرواية

ومن سمات مدارس الحديث في العراق كثرت الرواة الذين اشتهروا بالحفظ والاتقان وكثرة الرواية، فليس كل راو يعد مكثرًا، والناظر الى من اشتهر بالحفظ وكثرة الرواية عند السيوطي، يجد أن القرون الثلاثة الأولى لم يتجاوز حفاظها السبعمئة وخمسين حافظًا، كان نصيب أئمة العراق أكثر من نصفهم، والباقي من شتى الأمصار الاسلامية^(٨٣). وذكر ابن أبي يعلى قولاً للعباس بن محمد الدوري البغدادي عن علماء التابعين: "وأما طبقات خزّان العلم: فالأعمش، ومالك بن أنس، وعبد الرحمن بن عمر الأوزاعي، والثوري، ومسعر بن كدام، وشعبة. وأما طبقات الحفاظ فسته نفر: أحمد بن محمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المدني، وأبو زرعة الرازي، ومحمد ابن اسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج"^(٨٤). فالأعمش والثوري ومسعر كوفيون، وشعبة واسطي بصري، وهؤلاء خزان العلم وعليهم مدار الحديث، وابن حنبل ويحيى بغداديان، وابن المدني بصري، وهؤلاء حفاظ الدنيا وأوعية العلم^(٨٥).

ويضاف الى دور محدثي العراق كان للنساء العراقيات جهود مميزة في الرواية وتبليغ السنة، ومن أشهرهن من الصحابيات:

- أمة الله بنت أبي بكر النخعية الصحابية، من أهل البصرة، روى عنها عطاء بن ابي ميمونة^(٨٦).
- أنيسة بنت خبيب، صحابية سكنت البصرة وعدها العلماء من أهلها، حيث روت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عدة أحاديث منها حديث "إذا اذن بن مكتوم فكلوا واشربوا وأشهرت بهذا الحديث، وروى عنها ابن أخيها خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب^(٨٧).

- خولة بنت عبد الله الأنصارية، صحابية سكنت البصرة، روت عنها حفيدتها رقية بنت سعد، واشتهر عنها روايتها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث: "الناس دنار، والأنصار شعار، اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار" (٨٨).
- رجاء الغنوية، من الصحابييات الذين سكنوا البصرة ولها حديث واحد رواه عنها محمد بن سيرين واشتهرت به وهو " كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءته امرأت بابت لها فقالت: يا رسول الله ادع لي فيه بالبركة، فإنه قد توفي لي ثلاثة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمتد أسلمت، قالت نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جنة حصينة، فقال لي: رجل: اسمعي يا رجاء ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٩).

ومن أشهر التابعيات معاذة بنت عبدالله العدوية البصرية أم الصهباء، وهي من عابدات البصرة وتلميذة السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأخرج لها البخاري في الحيض واللباس وتفسير سورة الاحزاب عن قتادة وعاصم ويزيد عنها عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وروت عن ام عمر بنت عبد الله بن الزبير وكذلك روت عن علي بن ابي طالب وهشام بن عامر، ومن التابعيات أيضا حفصة بنت سيرين، أم هذيل البصرية الفقيهة، روت عن أنس بن مالك، وأم عطية(٩٠).

٣. غريب الحديث

من أوائل من ألف في غريب الحديث اسحاق بن مروان الشيباني أبو عمرو (ت ٢٠٥هـ) الكوفي نزيل بغداد، وهو نحوي وعالم باللغة، وعُدَّ من الثقات وروى الحديث وله كتاب (غريب الحديث) (٩١)، كما ألف أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري البغدادي (ت ٢٧٦هـ) كتابه (غريب الحديث) وكتاب (تأويل مختلف الحديث)، وكذلك ابراهيم بن اسحاق البغدادي صاحب التصانيف، ومن مصنفاته (غريب الحديث والآثار) (٩٢).

الخاتمة (أهم النتائج والتوصيات)

من خلال البحث في مدارس الحديث العراقية في القرون الهجرية الثلاثة الأولى وجهود علمائها في خدمة علم الحديث، توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

- بحسب حدود العراق خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى فإن المدارس الحديثية التي ظهرت فيه -مرتبة حسب ظهورها- هي: مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة واسط، ومدرسة بغداد.
- لكل مدرسة من المدارس الحديثية خصائص وسمات تميزها عن غيرها، فتميزت مدرسة البصرة بالحرص على سماع الأحاديث من المدينة المنورة والتأكد من صحة اسنادها وضبطها، وتميزت مدرسة الكوفة بكثرة المحدثين، وشدة الإحتياط في رواية الحديث والرحلة في طلبه، وتميزت مدرسة واسط بكثرة الرحلة في طلب الحديث لعدم نزول الصحابة فيها كالْبصرة والكوفة، كما أن علمائها اعتمدوا على السماع والرواية والحفظ وقلّة التدوين والتأليف، وأما مدرسة بغداد فكانت متأخرة في تأسيسها وسكنها العلماء من تابع التابعين، وتأسس فيها العديد من علوم الحديث وكان أغلب مؤلفات علمائها في نصرة السنة النبوية ورد الشبهات عنها خصوصا بعد أن حصلت فيها فتنة خلق القرآن، ونشطت فيها الحوارات والمناظرات وكثرت فيها المؤلفات في السنة ومختلف علوم الحديث.
- كان للرحلة في طلب العلم أهمية كبيرة لدى المحدثين، بل جعلوها من الدين، طلبا لضبط الأحاديث وعلو الإسناد ومخالطة كبار العلماء ولقاء أئمة الحديث من مختلف الأمصار للأخذ عنهم وكثرت من اشتهر بالحفظ والاتقان وكثرة الرواية.
- ومن سمات مدارس الحديث في العراق بروز دور المحدثات من النساء، فقد كان لوجود العديد من الصحابيات في البصرة والكوفة وجهودهن المميزة في الرواية وتبليغ السنة أثر كبير في نشر الأحاديث النبوية.
- عناية علماء العراق كانت مبكرة بعلوم الحديث وكان لهم أثر كبير في تأسيسها، ومن ذلك ضبط إسناد الأحاديث، وعلم الجرح والتعديل للرواة والاهتمام بتدوين علم الطبقات وغريب الحديث وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو زرعة الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي العراقي، (١٩٨٣م). الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي. الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.
٢. أبو عمار، مصطفى محمد، (٢٠١٠م). أضواء على المدارس الحديثية (النشأة والتطور). القاهرة: مكتبة الايمان.
٣. ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، (١٩٥٢م). الجرح والتعديل. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١.
٤. ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، (١٩٧٠م). طبقات الحنابلة. تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار المعرفة.
٥. ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم، محمد بن عبد الكريم السيباني، (١٩٩٤م). أسد الغابة في معرفة الصحابة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.
٦. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (١٩٨٧م). الكامل في التاريخ. تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية.
٧. ابن أيوب، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي المالكي، (١٩٩١م). التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح. دراسة وتحقيق أحمد البزار. المغرب: مراكش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٨. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي السجستاني، (٢٠٠٠م). المجروحين من المحدثين. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد. الرياض: دار الصمعي للنشر.
٩. ابن حبان، أبي حاتم محمد بن حبان التميمي الدارمي البستي، (١٩٩١م). مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار. تحقيق: مرزوق علي ابراهيم.
١٠. ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، (١٩٩٢م). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد الجاوي. بيروت: دار الجيل، ط ١.
١١. ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، (١٩٩٣م). تهذيب التهذيب. القاهرة: دار المعارف.

١٢. ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، (١٩٦٠م). فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام، بيروت: دار المعرفة، ط ١.
١٣. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، (١٩٨٥م). مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الارناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٤. ابن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، (١٩٧٨م). تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق: أكرم العمري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢.
١٥. ابن رجب، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي. (٢٠٠٧م). شرح علل الترمذي. تحقيق: نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.
١٦. ابن سعد، محمد بن سعد الهاشمي بالولاء البصري البغدادي، (١٩٩٠م). الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.
١٧. ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي، (٢٠١٢م). تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (١٩٩٨م). البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط ١.
١٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٢٠١٨م). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٠. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، (٢٠١٤م). حلية الأولياء وطبقات الاصفياء. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.
٢١. الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، (م). إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ٢.
٢٢. البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، (٢٠١٣م). فتوح البلدان، تحرير: عبد القادر محمد علي. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٣. جعيط، هشام، (١٩٩٣م). الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ٢.
٢٤. حافظ، محمد غياث الدين، (٢٠٠٩م). دراسة الوضع في السنة وجهود العلماء في مقاومتها. مجلة دراسات، الجامعة الاسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الرابع.

٢٥. حتاملة، ثامر عبد المهدي محمود، (٢٠١٦م). مدرسة الحديث في مدينة الري منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري. عمان: دار الكتاب الثقافي.
٢٦. حسن، ابراهيم حسن، (١٩٦٤م). تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٧.
٢٧. حماد، نافذ حسين، (٢٠١٠م). علم طبقات المحدثين مصنفات ومناهج. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٢، العدد ٢.
٢٨. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (١٩٨٣م). تاريخ بغداد. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٩. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (١٩٨٣م). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. تحقيق: د. محمود الطحان. الرياض: مكتبة المعارف.
٣٠. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (٢٠٠٤م). الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢.
٣١. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (٢٠٠٣م). الكفاية في معرفة أصول علم الرواية. تحقيق: إبراهيم بن مصطفى الدمياطي. القاهرة: دار الهدى.
٣٢. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣.
٣٣. الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد، (١٩٨٤م). المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. تحقيق: محمد عجاج الخطيب. بيروت: دار الفكر، ط٣.
٣٤. السرماني، أبو جعفر أحمد البلخي، (٢٠١٩م). الإبائة في الرد على الشنعين على أبي حنيفة. تحقيق: مهترخان فرقاني، مجلة الدراسات الإسلامية، مركز مؤسسة ديانت التركية للدراسات الإسلامية، العدد ٤٣، ص٩٧.
٣٥. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، (١٩٩٣م). أدب الإملاء والاستملاء. تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن، جدة: مطبعة المحمودية.
٣٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٦م). الإتيقان في علوم القرآن. تحقيق: سعيد المنذوب، بيروت: دار الفكر، ط١.

٣٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (١٩٨٥م). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي. الرياض: مكتبة الكوثر.
٣٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (١٩٨٣م). طبقات الحفاظ. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.
٣٩. الشحود، علي بن نايف، (٢٠٠٨م). المفصل في أصول التخريج ودراسة الأسانيد.
٤٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٩٨٧م). تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.
٤١. عبد الرزاق، علاء كامل، (٢٠٢٠م). أبرز سمات المدرسة الحديثية العراقية في القرون الثلاثة الأولى. بغداد: الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الرابع والعشرون.
٤٢. العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح، (١٩٨٥م). تاريخ الثقات. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤٣. الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني، (١٩٩٨م). العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١.
٤٤. القضاة، شرف محمود، (١٩٨٠م). مدرسة الحديث في الكوفة. القاهرة: رسالة دكتوراه في الحديث النبوي وعلومه في جامعة الأزهر.
٤٥. القطان، مناع. (٢٠٠١م). تاريخ التشريع الإسلامي. القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٥.
٤٦. كحالة، عمر رضا. (١٩٩٣م). معجم المؤلفين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١.
٤٧. محمد، اسماعيل خليل، (٢٠٢٠م). دور مدرسة الحديث العراقية في تقعيد قواعد علوم الحديث. بغداد: الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الرابع والعشرون.
٤٨. مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (١٩٩١م). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - (صحيح مسلم). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١.
٤٩. ناجي، عبد الجبار، (٢٠٠١م). دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط ١.

٥٠. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، (١٩٢٩م). المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي). القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر.
٥١. الواسطي، أبو الحسن أسهل بن سهل الرزاز، (١٩٨٦م). تاريخ واسط. تحقيق: كوركيس عواد. بيروت: عالم الكتب، ط ١.

الهوامش:

- ^١ حافظ، محمد غياث الدين، (٢٠٠٩م). دراسة الوضع في السنة وجهود العلماء في مقاومتها. مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الرابع.
- ^٢ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، (١٩٩٣م). أدب الإملاء والاستملاء. تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن، جدة: مطبعة المحمودية، ص ١٢٢.
- ^٣ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (١٩٨٣م). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. تحقيق: د. محمود الطحان. الرياض: مكتبة المعارف، ج ٢، ص ٥٣.
- ^٤ أبو عمارة، مصطفى محمد، (٢٠١٠م). أضواء على المدارس الحديثية (النشأة والتطور). القاهرة: مكتبة الإيمان، ص ١٠-٧.
- ^٥ محمد، اسماعيل خليل، (٢٠٢٠م). دور مدرسة الحديث العراقية في تفهيد قواعد علوم الحديث. بغداد: الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الرابع والعشرون، ص ٢٩٨-٣٢٤.
- ^٦ عبد الرزاق، علاء كامل، (٢٠٢٠م). أبرز سمات المدرسة الحديثية العراقية في القرون الثلاثة الأولى. بغداد: الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية، مجلة العلوم الإسلامية، العدد الرابع والعشرون، ص ٣٢٥-٣٥٢.
- ^٧ حسن، إبراهيم حسن، (١٩٦٤م). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ٧، ج ١، ص ٥٠٢.
- ^٨ حتاملة، ثامر عبد المهدي محمود، (٢٠١٦م). مدرسة الحديث في مدينة الري منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري. عمان: دار الكتاب الثقافي، ص ١٥.
- ^٩ ابن الاثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (١٩٨٧م). الكامل في التاريخ. تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ٢٣٩.
- ^{١٠} ابن سعد، محمد بن سعد الهاشمي بالولاء البصري البغدادي، (١٩٩٠م). الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٧، ص ٧.
- ^{١١} ناجي، عبد الجبار، (٢٠٠١م). دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط ١، ص ١٥٧-١٥٩.
- ^{١٢} ابن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، (١٩٧٨م). تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق: أكرم العمري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ص ١٤٩-١٥٠.

- ١٣ ابن سعد، المصدر نفسه، ج٧، ص١١٣.
- ١٤ أخرجه أبو داود في السنن، والترمذي في السنن، تحقيق بشار عواد.
- ١٥ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (٢٠٠٤م). الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ص ٨٨.
- ١٦ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (٢٠٠٣م). الكفاية في معرفة أصول علم الرواية. تحقيق: إبراهيم بن مصطفى الدمياطي. القاهرة: دار الهدى، ص ٨٨.
- ١٧ مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (١٩٩١م). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - (صحيح مسلم). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ج ١، ص ١٥.
- ١٨ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي السجستاني، (٢٠٠٠م). المجروحين من المحدثين. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد. الرياض: دار الصميعي للنشر، ج ١ ص ٣٠.
- ١٩ الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المصدر نفسه، ص ٣٩٩.
- ٢٠ الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المصدر نفسه، ص ١٠٥.
- ٢١ الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المصدر نفسه، ص ٤٠٢.
- ٢٢ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ج ٤، ص ٦٠٦.
- ٢٣ الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٤٢٢.
- ٢٤ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٩٨٧م). تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٤، ص ٤٢.
- ٢٥ البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، (٢٠١٣م). فتوح البلدان، تحرير: عبد القادر محمد علي. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ٤، ص ٤٩٠.
- ٢٦ الطبري، المصدر نفسه، ص ٤١-٤٥.
- ٢٧ البلاذري، المصدر نفسه، ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩١.
- ٢٨ جعيط، هشام، (١٩٩٣م). الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ٢، ص ٨٣.
- ٢٩ حسن، إبراهيم حسن، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥١٨.
- ٣٠ ابن سعد، المصدر نفسه، ص ٤.
- ٣١ العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح، (١٩٨٥م). تاريخ الثقات. بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٥١٧.
- ٣٢ القضاة، شرف محمود، (١٩٨٠م). مدرسة الحديث في الكوفة. القاهرة: رسالة دكتوراه في الحديث النبوي وعلومه في جامعة الأزهر.
- ٣٣ ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (١٩٩٨م). البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط ١، ج ٧، ص ٢٣٠.
- ٣٤ ابن كثير، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٨٥.

- ^{٣٥} الطبري، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، المصدر نفسه، ج٧، ص ٤٢٠.
- ^{٣٦} الطبري، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، المصدر نفسه، ج٧، ص ٥٦٥-٦٣٠.
- ^{٣٧} ابن سعد، المصدر نفسه، ج٦، ص ١١٩.
- ^{٣٨} السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٦م). الاتقان في علوم القرآن. تحقيق: سعيد المنذوب، بيروت: دار الفكر، ط١، ج١، ص ٧٣.
- ^{٣٩} القطان، مناع. (٢٠٠١م). تاريخ التشريع الإسلامي. القاهرة: مكتبة وهبة، ط٥، ص ٢٨٩-٢٩١.
- ^{٤٠} القطان، المصدر نفسه، ص ٢٩٠.
- ^{٤١} ابن سعد، المصدر نفسه، ج٦، ص ٨٨.
- ^{٤٢} الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المصدر نفسه، ص ١٠٤.
- ^{٤٣} الراهمزمي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد، (١٩٨٤م). المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. تحقيق: محمد عجاج الخطيب. بيروت: دار الفكر، ط٣، ص ٤٠٨.
- ^{٤٤} الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، (٢٠١٤م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ج١، ص ١٣١.
- ^{٤٥} ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (٢٠١٨م). تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ج٦، ص ٥٤٥.
- ^{٤٦} الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، المصدر نفسه، ص ١٤٩-١٥٣.
- ^{٤٧} السرمانى، أبو جعفر أحمد البلخي، (٢٠١٩م). الإبانة في الرد على الشنئين على أبي حنيفة. تحقيق: مهترخان فرقاني، مجلة الدراسات الإسلامية، مركز مؤسسة ديانت التركية للدراسات الإسلامية، العدد ٤٣، ص ٩٧.
- ^{٤٨} الواسطي، أبو الحسن أسهل بن سهل الرزاز، (١٩٨٦م). تاريخ واسط. تحقيق: كوركيس عواد. بيروت: عالم الكتب، ط١، ص ٢٢.
- ^{٤٩} ابن حبان، أبي حاتم محمد بن حبان التميمي الدارمي البستي، (١٩٩١م). مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار. تحقيق: مرزوق علي ابراهيم، ص ٦٥-٨٣.
- ^{٥٠} الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني، (١٩٩٨م). العقد الثمين في تاريخ البلاد الأمين. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ج٤، ص ٢٦٧.
- ^{٥١} ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي، (٢٠١٢م). تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ج١٣، ص ٢٣٩-٢٤٠.
- ^{٥٢} الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ج٥، ص ٤٤١-٤٤٢.
- ^{٥٣} ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكفاني، (١٩٩٣م). تهذيب التهذيب. القاهرة: دار المعارف، ج٤، ص ٣٤٤.
- ^{٥٤} ابن سعد، المصدر نفسه، ج٩، ص ٢٨٠.
- ^{٥٥} ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، المصدر نفسه، ج١١، ص ٥٥.

- ^{٥٦} الذهبي، المصدر السابق، ج ٩، ص ٣٦٠.
- ^{٥٧} حسن، إبراهيم حسن، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٠.
- ^{٥٨} حسن، المصدر نفسه، ص ٣٦٦.
- ^{٥٩} الطبري، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢٤١.
- ^{٦٠} الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (١٩٨٣م). تاريخ بغداد. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٧١.
- ^{٦١} ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكفائي العسقلاني، (١٩٦٠م). فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ج ٢، ص ٤٤٤.
- ^{٦٢} الذهبي، المصدر السابق، ج ١٠، ص ١٩٩-٢٠٠.
- ^{٦٣} حافظ، المصدر نفسه.
- ^{٦٤} مسلم بن الحجاج، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤.
- ^{٦٥} ابن رجب، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي. (٢٠٠٧م). شرح علل الترمذي. تحقيق: نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ص ١٧٢.
- ^{٦٦} الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٤٢٢.
- ^{٦٧} ابن رجب، شرح علل الترمذي، المصدر نفسه، ص ١٧٣.
- ^{٦٨} الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٢٦.
- ^{٦٩} الرامهرمزي، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. ص ٣٢٠.
- ^{٧٠} ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، (١٩٥٢م). الجرح والتعديل. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ج ١، ص ١٢٧.
- ^{٧١} النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، (١٩٢٩م). المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي). القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، ج ١، ص ١١١.
- ^{٧٢} كحالة، عمر رضا. (١٩٩٣م). معجم المؤلفين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ج ١، ص ٢٩٤.
- ^{٧٣} الشحود، علي بن نايف، (٢٠٠٨م). المفصل في أصول التخريج ودراسة الأسانيد. ج ٢، ص ١٢٠٣.
- ^{٧٤} السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (١٩٨٥م). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريايبي. الرياض: مكتبة الكوثر، ج ٢، ص ٣٨١.
- ^{٧٥} السيوطي، المصدر نفسه.
- ^{٧٦} أبو زرعة الرازي، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي العراقي، (١٩٨٣م). الضعفاء وأجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي. الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ص ٣٥٧.
- ^{٧٧} حماد، نافذ حسين، (٢٠١٠م). علم طبقات المحدثين مصنفات ومناهج. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد ١٢، العدد ٢، ص ٢٢١-٢٧٠.
- ^{٧٨} حماد، المصدر نفسه.

- ^{٧٩} أبو عمار، المصدر نفسه، ص ٧-١٠.
- ^{٨٠} عبد الرزاق، المصدر نفسه، ص ٣٣٠.
- ^{٨١} الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، المصدر نفسه، ص ٨٨-٩١.
- ^{٨٢} الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، المصدر نفسه، ص ١٤٩-١٥٣.
- ^{٨٣} السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (١٩٨٣م). طبقات الحفاظ. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ص ٢٠-٣٢٨.
- ^{٨٤} ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، (١٩٧٠م). طبقات الحنابلة. تحقيق: محمد حامد الفقي. بيروت: دار المعرفة، ج ١، ص ٢٣٨.
- ^{٨٥} عبد الرزاق، المصدر نفسه، ص ٣٣٤.
- ^{٨٦} ابن الاثير، عز الدين علي بن ابي الكرم، محمد بن عبد الكريم السيباني، (١٩٩٤م). أسد الغابة في معرفة الصحابة. بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ج ٧، ص ٢٦.
- ^{٨٧} ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكفائي العسقلاني، (١٩٩٢م). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الجيل، ط ١، ج ٧، ص ٥١٩.
- ^{٨٨} ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٦٤٣.
- ^{٨٩} ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، (١٩٨٥م). مسند الأمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الاناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ج ٥، ص ٨٣.
- ^{٩٠} ابن أيوب، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي المالكي، (١٩٩١م). التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح. دراسة وتحقيق أحمد البزار. المغرب: مراكش، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج ٤، ص ٤١٨.
- ^{٩١} الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، (م). إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ٢، ص ١٢٠٣.
- ^{٩٢} الذهبي، سير اعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣٥٦.

رسائل من العصر الأكدى القديم

سمر عباس عبد الكريم عطية

أ.م.د. ليث مجيد حسين

كلية الآداب - قسم الآثار

رسائل من العصر الأكدي القديم

سمر عباس عبد الكريم عطية
أ.م. د. ليث مجيد حسين

تضمن البحث دراسة ثلاثة نصوص مسمارية صادرة غير معروفة الموقع للرسائل أهمية كبيرة كونها تمثل مادة غزيرة بما تحمله من معلومات مهمة في دراسة تاريخ بلاد الرافدين في جميع الجوانب الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية فهي تعكس لنا واقع الحياة الحقيقية التي عاشها الانسان في العراق القديم وأسلوب التعامل والتعايش بين جميع شرائح المجتمع على أصنافه. (١)

لقد تنوعت مواضيع رسائل العصر الأكدي منها رسائل اجتماعية وأخرى رسائل اقتصادية كما اختلف أسلوب كتابة الرسائل من عصر إلى آخر فمن العصر الأكدي جاءت الرسائل بعدة صيغ الصيغة الأولى كالأتي : تبدأ باسم الشخص المرسل اليه +a-be₂-na- اسم الشخص المرسل +u₃-na-du₁₁ ثم المضمون الصيغة الثانية : ظهر في العصر الأكدي المفردة en-ma والتي تعني (كما يلي أو هكذا) ثم أصبحت هذه المفردة في العصر البابلي القديم بهيئة um-ma وتأتي عادة في بداية الرسالة وفي حالة ظهورها يختفي الفعل a-be₂-na والفعل u₃-na-du₁₁ وأحيانا لا تظهر كما هو الحال في العصر البابلي القديم أحيانا تبدأ الرسالة um-ma وأحيانا أخرى a-na

يكون ترتيب الجملة كما يلي: en-ma وتأتي في البداية + اسم أو اسم ثم en-ma أما الصيغة الثالثة تبدأ بالفعل u₃-na-du₁₁ بعد عدد من الأسماء الشخصية أن الرسائل موضوع بحثنا جاءت على وفق ما مكتوب في الصيغة الأولى (٢)

Obv.

[š]abra([p]A-al)-e₂[ke₄]

NA-BE₂-A

šubur-ra

U₃-NA-DU₁₁

5. 1gala (uš-ku) ŠEŠ-tir-Ku₃

1 nigin₃

1 me -su

1bara₂-ga-ni

1 me-sag₂

10. 4 dumu-gala(uš-ku)

1 en-na-lum

1 nam-maḥ

1 i-mu-ud-da

1 šu-eš₄-tar₃

15. 1ḥu-ut-tu

[5 dum]u ?x-Diš-Gan₂

Rev.

1 da-gi-na-munus

1 ud-iš

1 -x

20. 1ur-an-ne₂-du₁₀

30 dumu da-gi-na

Dumu-munus šu-l₂-li₂-su

1 za-na

1 a-su-li

25. [š]u+nigin₂ 20-la₃-3 arad(ir₃)-geme

lugal-zuḥ₃-a

[k]i ? EDIN UZ-GA-ME ?

umma^{ki} (giš^{ki} uḥ-a)^{ki}

[i]- ib₂ durun(dur₂-dur₂)- ne₂-eš₂

30. [š ḥ]a-mu-ne-Uš₂-e

Up.ed

[x] [i]-pi-dingir lu₂

Ŝabra-e₂-ka-x
Lo.ed
Mu-[x] 10-mu-7-it[i]

الترجمة:

الوجه:

١-مدير الممتلكات

يقول

إلى شوبور

قل

٥-كالا - شش -تركو

١ نكون

١ ميسو

١ باراكاني

١ ميساك

١٠-٤ أولاد كالا

١ اينا-لوم

١ نام-ماخ

١ ائي-مودا

١ شو-عشتار

١٥-خو-ئوتو

(٥ أولاد) د؟؟

اللقفا:

١ داكينا المرأة

١ أودش

١ (مكسور)

٢٠-١ أور-أن-نيدو

٣ أبناء داكينا

ابنة شو-ئيلي-سو

زانا

ئاسولي

٢٥-المجموع ١٧ عبدا

هارب للملك

؟؟؟؟؟

في مدينة اوما

٣٠-يعيشون

دعه يرسله هنا

الحافة العليا:

فلان مدير الملكية

الحافة السفلى:

السنة العاشرة الشهر السابع

المضمون: رسالة تتضمن (طلب) من مدير الممتلكات بأسترجاع ال ١٧ عبداً هارباً للملك

يعيشون في مدينة أوما

التحليل:

ŠABRA: مهنة سومرية يقابلها باللغة الأكديّة (šabaru) التي تعني موظف كبير في المعبد^(٣)

Na-be₂-a: فعل مضارع بمعنى يقول^(٤)

na = سابقة حال للأثبات

i₃ = أداة جملة فعلية (مختفية)

e_2+b اصلها = be_2

b = حشوة ضمير مفعول به للشخص الثالث المفرد

e_2 = جذر فعل بمعنى يقول للزمن الحاضر

a = لاحقة^(٥)

$u_3-na-du_{11}$: فعل أمر بمعنى قل له^(٦)

$gala (Uš-KU)$: مهنة سومرية صنف من الكهنة تعني منشد أو مرتل ويرادفها باللغة

الأكدية^(٧) $kalu$

$ŠEŠ-tir-Ku_3$: أسم علم^(٨)

$me-su$: أسم علم^(٩)

$bara_2-ga-ni$: أسم علم^(١٠)

$en-na-lum$: أسم علم^(١١)

$nam-mah$: أسم علم^(١٢)

$šû-eš-tar_3$: أسم علم^(١٣)

$da-gi-na$: أسم علم^(١٤)

$šû-l_2-li_2-su$: أسم علم^(١٥)

$za-na$: أسم علم^(١٦)

$a-su-li$: أسم علم^(١٧)

$Dumu-munus$: مفردة تعني أبنة يقابلها بالأكدي $martu$ ^(١٨)

La_3 : مفردة سومرية تعني ناقص واحيانا ترد في النصوص المسماوية بهيئة lal يرادفها

بالأكدي^(١٩) $nasahu$

$ŠU-NIGIN$: مفردة سومرية يقابلها باللغة الأكدية $napharu_3$ التي تعني المجموع^(٢٠)

(٢١) wardum: مفردة سومرية تعني عبد يرادفها بالآكدي Arad(ir₃)

(٢٢) amatum: مفردة سومرية تعني امة يقابلها بالآكدي Geme₂

umma^{ki}(giš uh-a)^{ki}: مدينة اوما هي مدينة سومرية تقع على بعد ٤٠-٥٠ كم شمال غربي لجش (تل الهبة) في محافظة الناصرية تعرف حاليا باسم تل جوخة (٢٣)

(٢٤) Durun (dur₃-dur₃): مفردة تعني سكنوا

No.2

IM. (204534)

Obv.

1- [išu]-eš₄-tar₃

[NA]-BE₂-A

Me-sag₂-ra

U₃-NA-DU₁₁

5. Mu-lugal

ḥe₃-pa

še šu-nam-in-da^{ki}

Rev.

ma₂-a en-na

mi-ni-si-ga-aš₂

10. ninda-ba-ra-gu₇-e

kaš-ba-ra-na₈(NAG)-na₈(NAG)

u₃ iš-de₃-a

ba-ra-ab-[dur₂]

[u₄?]-gi₆-še₃ [ba]-x-x

الترجمة:

الوجه:

١- (أشو) - عشطار

يقول

الى ميساك

قل

٥-٦ يقسم باسم الملك

حبوب من مدينة شينام
القفا:

قبل وضعها في السفينة
يتم تحميله

١٠- لا ياكل الخبز

لا يشرب الجعة

لا تجلس على الكرسي

بارا- أب (وضع)

يوم -نهار- (و) الليل

المضمون: رسالة تتعلق بكميات من الحبوب وتحميلها في السفينة

التحليل:

Ra: حرف جر سومري بمعنى إلى يقابله بالأكدي a-na.^(٢٥)

Mu-lugal: مصطلح يعني يقسم (باسم الملك) ^(٢٦)

he₃: أداة تمني بمعنى عسى ^(٢٧)

Še: مفردة سومرية تعني شعير يقابلها بالأكدي (še'u) ^(٢٨)

Šu-Nam-in-da^{ki}: اسم مدينة ^(٢٩)

MA₂-A: مفردة سومرية تعني سفينة يقابلها بالأكدي eleppu ^(٣٠)

EN-NA: حرف جر سومري بمعنى الى او حتى يقابله بالأكدي adi ^(٣١)

NINDA: مفردة سومرية تعني خبز يقابلها بالأكدي akallu ^(٣٢)

bara: أداة نفي لن /لم

Gu₇: مفردة سومرية بمعنى اكل

e: لاحقة ^(٣٣)

KAS: مفردة سومرية تعني (جعة) او بيرة يقابلها بالآكدية Šikaru^(٣٤)

NAG: مفردة سومرية بمعنى شرب يقابلها بالآكدي na₈^(٣٥)

iš-de₃: مفردة سومرية تعني كرسي يقابلها بالآكدي giš^(٣٦) gu-za

No.3

IM.(204158)

Obv.

ur-nigar-e

NA-BE₂-A

me-sag₂

e[n]si_٦-ra

5. U₃-NA-DU₁₁

tu-ra-me i₃-na₂-e

MAŠKIM GAN₂-ku₅-ra₂

u₃ apin-la₂-a-k[e₄-n]e

e₂-mu-šê₃-[.....]

10. na-ab-[.....]

Rev.

SI-E-IGI-[...]?

ni₃-kas₇-[...]

u₃-mu -d[a-ak-x]

Gab₂-gu₄-Šu-ur

15. E₂-ga₂ lu₂-na-me

GU₃ na-bi₃-de₃-e

الترجمة:

الوجه:

١-أور-نيكار-أي

يقول

ميساك

أمير المدينة

٥-قل

أنا مريض (أنا استرح)
مراقب الحقول المقطوعة (ليس من المفترض أن يذهب إلى الحقول المقطوعة)
والمحروثة
الى منزلي
١٠-مكسور
القفا:
؟؟
؟؟
بعد أن فعلت
رعاية الماشية الغاضبة
شخص ما إلى منزلي
١٥-ينادي

المضمون: رسالة مرسله إلى أمير المدينة من شخص (يعلمه) أنه مريض (ويطلب الراحة)
(ولا يستطيع) مراقبة الحقل ورعاية الماشية

التحليل:

ur -nigar-e : أسم علم (٣٧)

MAŠKIM : اسم مهنة سومرية تعني مشرف، مراقب يقابله بالآكدي rabisu (٣٨)

GAN₂ : مفردة سومرية تعني حقل يقابلها بالآكدية eqel (٣٩)

KU₅ : مفردة سومرية تعني قطع يقابلها بالآكدية makasu (٤٠)

Apin : مفردة سومرية يقابلها بالآكدي (epennu) بمعنى يحرث (٤١)

E₂ : مفردة سومرية تعني بيت يقابلها بالآكدي bitu (٤٢)

Gab₂-gu₄-Šu-ur: التي تعني مقابل أو (رعاية) الماشية الغاضبة^(٤٣)

lu₂-na-me: مفردة سومرية تعني شخص ما يقابلها بالأكدي mamma^(٤٤)

GU₂+DE₂: جذر فعل مركب بمعنى نادى أو صاح يقابلها بالأكدي šasû^(٤٥)

ملاحظات عامة :-

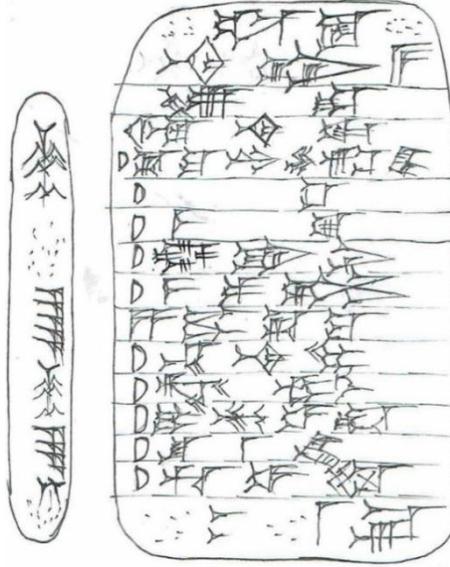
١- أن من أهم الشخصيات الواردة في الرسائل هو ميساك (Me-Sag₂) شاع هذا الاسم كثيرا في منطقة أوما خلال العصر الاكدي وأشتهر فيه بشكل خاص احد الأمراء المحليين الذي خلف لنا أرشيفا متنوعا كتب باللغتين السومرية و الأكديّة وهي النصوص التي اطلق عليها نصوص (Mu-iti) وهي اشتملت موضوعات متنوعة كالأراضي، الحبوب، الحيوانات، والضرائب^(٤٦)

٢- أن ورود اسم أوما في الرسالة الأولى يشير الى عائديتها إلى المدينة المذكورة

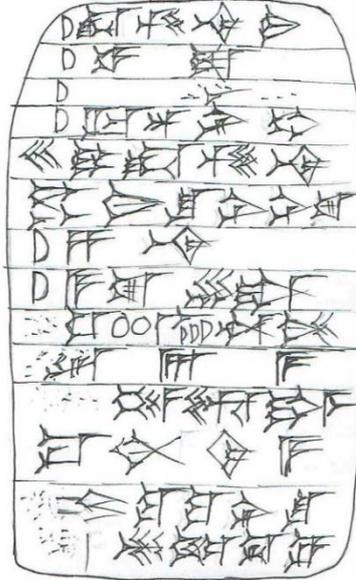
NO.1

IM. (205015)

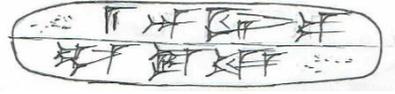
Obv.



Rev.



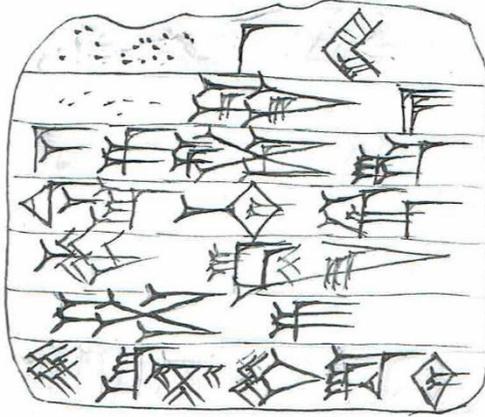
Up.ed



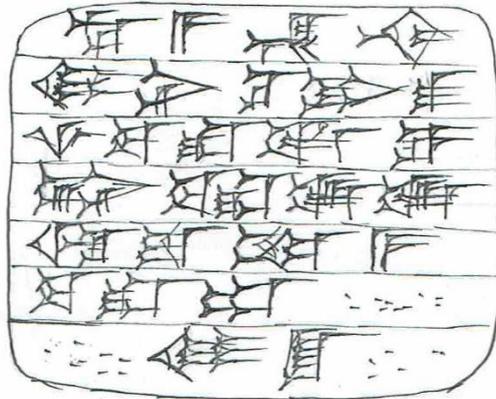
No.2

IM. (204534)

Obv.



Rev.

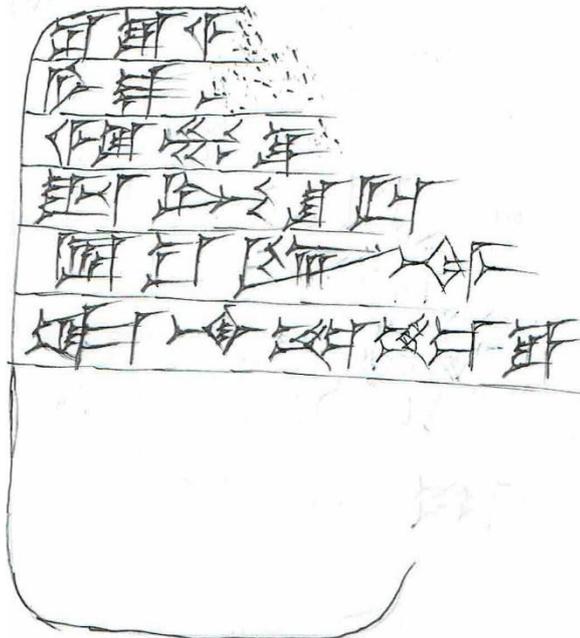


No.3
IM.(204158)

Obv.



Rev.



NO.1

Obv.



Rev.



Up.ed



No.2
IM. (204534)

Obv.



Rev.



No.3
IM.(204158)

Obv.



Rev.



قائمة المصادر العربية والأجنبية :-

- ١-الزبياري، أكرم سليم، أهمية الرسائل والمراسلات في العصر البابلي القديم ، (بغداد: ١٩٧١)، ص ٢
- 2-Kienast ,B.,Die sumerisch und akkadischen Brife , Faos:19,1995, p.125,38
- 3- Labat , R., manual D' epigraphie Akkadienne (MDA) . paris, (1988).,P.137; Borger ,R., Assyrisch –Babulonische Zeichenliste (ABZ). Germany ,(1978),P.172;MSNX11,P.38
- 4- Kienast,B.,_ Op.cit,p.37,55.
- ٥- عبد اللطيف، سجي مؤيد، قواعد اللغة السومرية في ضوء نصوص سلالة كيش الأولى ، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، (بغداد: ٢٠٠٤).
- 6- Foster, R., Benjamin, umma in the sargoinc period,1982, vol, 8, p.137; Kienast, Op.cit, p.37.
- ٧- الزبيدي: أباندر راهي سعدون، الأراضي الزراعية في نصوص منشورة وغير منشورة من العصر الاكدي - تل الولاية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: كلية الآداب، قسم الآثار، (بغداد: ٢٠١٦)، ص ١٠٣.
- للمزيد عن الكاهن ينظر الى: ليث مجيد حسين، الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، (بغداد: ١٩٩١)، ص ٩-١٥.
- 8-Foster,op.cit,p.11,21
- ٩- نشأت علي عمران ، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر الأكدي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية الآداب، قسم الآثار ،(بغداد: ٢٠١٦)، ص ٢٠١
- 10-Foster,op.cit,p.28:Limet,H.,LanthroponymisSumerian,(paris:1988)

,p.385

11- Foster,op.cit,p27

12- Kienast, Op.cit, p.109;pomponio,F, tavolette cuneiform di adab ,vol 1,(roma:2006),.264

13- OWEN .I.,cuneiform texts primarily from iri-sagrig / al-Šarraki and the history of the ur III period ,v 1 , NISABA,15, (Maryland:2013),p.527

14- Limet,H.,op.cit,p.393

15- Verlage,H.,Sargonic Akkadian A historical and comparative study of the syllabic text.Wiesbaden,(2005),p.76; Kienast, Op.cit,p.89,146

١٦- عشتار سمير ظاهر ، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر أور الثالثة ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد:٢٠٠٧)، ص٤٧

17- Verlage,H.,op.cit,p.73

18- LMSZ,P.454; Von Soden , W., Akkadische handwörterbuch (AHW) . weisbaden ,(1995 ff),P.614

كذلك ينظر إلى: الذهب: أميرة عيدان، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من العصر الأكدي القديم، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، (بغداد:٢٠٠٤)، ص٢٨.

19- AHW,P.520; MDA.,P.213

20- MDA,P.163;ABZ,P.147;ŠI/3,p.670

21- CAD,A/11,P.24:a

22- Verlage, H, Op.cit, p,144.

للمزيد عن الاماء ينظر إلى: نورا قصي عبد الرزاق، الاماء في العراق القديم في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، (بغداد:٢٠١٧)، ص٢٧.

23- Kienast, p.94;NISABA 15/1,P.553

كذلك ينظر إلى : طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط١،(بيروت:٢٠٠٩)، ص٣٥٣

24- Kienast, p.218.

٢٥- عبد اللطيف، سجي مؤيد، المصدر السابق، ص١٤٨

٢٦- المعموري ، محمد فرحان ، أقسام في بلاد الرافدين ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ،
(بغداد: ٢٠١٩)، ص ٣٧

٢٧- الجبوري، علي ياسين ، قاموس اللغة السومرية-الأكديّة-العربية، ط١، (أبو ظبي: ٢٠١٦)
ص ٨٨٣

كذلك ينظر إلى: لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ط٦، (باريس: ١٩٩٩)، ترجمة
وتعريب: الاب البيير ابونا ووليد الجادر وخالد سالم، مراجعة وإشراف: عامر سليمان،
(بغداد: ٢٠٠٤)،
ص ١٣٥.

٢٨- لابات، رينيه ، المصدر نفسه، ص ١٦٩

٢٩- باسمه جليل، الذهب، اميرة عيدان، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي
السلسلة الاكديّة، ج الأول، (بغداد: ٢٠١٥)، ص ١٦١.

٣٠- لابات ، رينيه ، المصدر السابق، ٩٣

٣١- لابات، رينيه، المصدر نفسه، ص ٨٣.

٣٢- فوزي رشيد، نصوص ملكية، (١٩٨٥)، ص ٤٢.

MDA, p.245; CAD,A,part.1,283.

٣٣- فوزي رشيد، المصدر نفسه، ص ٤٢.

34- MDA, p.123.

٣٥- عبد اللطيف، سجي مؤيد، المصدر السابق، ص ١٨١.

٣٦- الجبوري، علي ياسين ، المصدر السابق، ص ١٢٢

37- NISABA,1/15,P.540

3٨- Verlag,M, MesopotamischesZeichenlexikon,(UGARIT:2010),p.128.

٣٩- CDA,P.90

٤٠- ينظر إلى: لابات، رينيه ، المصدر السابق، ص ٤٧

٤١- لابات ، رينيه ،المصدر نفسه ، ص ٦١

٤٢- لابات ، رينيه ، المصدر نفسه، ص ١٢٩

٤٣- عبد اللطيف، سجي مؤيد، المصدر السابق، ص ١٢٠.

٤٤- لابات، رينيه، المصدر السابق، ص ١٥١ كذلك ينظرالى:

CDA,P.194

٤٥- لابات، رينيه، المصدر السابق، ص ١٥٥-٤٩٢

4٦- Bridges,S.J.,The mesag archive : a study of sargonic society and economy , (vol .I,11), Dissertation ph.D.(yale :1981),p.22 f

المرأة واثرها في العهد القاجاري

أ.م. شاهين سهام عبدالرزاق

جامعة ديالى

كلية التربية المقداد

قسم الارشاد النفسي والتوجيه التربوي

Shaheensuham82@gmail.com

المرأة واثرها في العهد القاجاري

أ.م. شاهين سهام عبدالرزاق

الملخص

تعد قضية المرأة من أهم القضايا التي شغلت المفكرين لسنين طوال، ذلك لأن المرأة كانت ولا تزال تلعب دورا كبيرا في رسم الكثير من القضايا التي تهم المجتمع، إلى جانب كونها نصف المجتمع فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، ومن هنا جاء موضوع دراستنا عن واقع المرأة الإيرانية في مرحلة زمنية شهدت متغيرات سياسية جذرية فكان عنوان الدراسة (متغيرات السياسة الإيرانية ١٩٠٠-١٩٩١ " دور المرأة أنموذجا").

وقد توصل البحث إلى نتيجة مفادها أن للسياسة التي تنتهجها أي دولة تلقي بظلالها على واقع المرأة، فنجد أن المرأة الإيرانية عانت من قيود سياسية واجتماعية ودينية أثناء حكم آل قاجار قد اتجهت إلى الانفتاح والتحرر نتيجة سياسة التغريب التي سار عليها الشاه رضا بهلوي مما ترك بصمته في إيجاد جيل من النساء الإيرانيات بعد عام ١٩٢٥ يحظى بحقوق سياسية واجتماعية يفوق جيل المرأة التي نشأت في ظل حكم آل قاجار بأشواط، فكانت تلك المرحلة فاصلة في حياة المرأة الإيرانية.

Women and their impact in the Qajar era

Ass, prof. Shaheen Siham Abdel Razzaq

Abstract

The research concluded that the policy adopted by any country casts a shadow over the reality of women Iranian Women suffered for from Political, social and religious constraints during the Qajar rule.

Openness and liberation as a result of the westernization Policy of the shah Reza Pahlavi has contribution to the creation of a generation of Iranian women after 1925 enjoyed more Political and social rights that women who lived under the kajar this was a beriod in the life of Iranian women.

The issue of women is one of the most important issues that preoccupied thinkers for many years, because women have been and still play a major role in drawing up many issues that concern society, in addition to being half of society, as they are mother, sister, wife and daughter, hence the topic of our study on the reality of Iranian women In a period of time that witnessed radical political changes, the title of the study was (Iranian political variables 1900-1991 "The Role of Women as a Model").

المقدمة

تعد قضية المرأة من أهم القضايا التي شغلت المفكرين لسنين طوال، ذلك لأن المرأة كانت ولا تزال تلعب دورا كبيرا في رسم الكثير من القضايا التي تهتم المجتمع، إلى جانب كونها نصف المجتمع فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، لهذا نجد الشرائع السماوية أوصت بالمرأة سيما الدين الاسلامي الحنيف، الذي سن ما لها وما عليها من حقوق وواجبات وأوصى بإكرامهن.

ولما كان للمرأة ذلك الدور المؤثر والفاعل في حياة المجتمع وتقدمه، حتى أن البعض يعد مقدار تقدم المرأة معيارا لتقدم ذلك المجتمع، ومن هنا جاءت دراستنا لظروف وأحوال تلك المرأة في الثلث الأول من القرن العشرين الذي شهد تحولات سياسية جذرية كان لها انعكاس على المرأة الإيرانية وما اتخذته من مواقف، تشير لنا بملامح واقع حياة المرأة آنذاك فكان اختيار عنوان البحث (متغيرات السياسية الإيرانية ١٩٠٠-١٩٩١ " دور المرأة أنموذجا").

جاء البحث بمقدمة ومبحثين وخاتمة، إذ تناول المبحث الأول ضمن فقراته مكونات المجتمع الإيراني أواخر العهد القاجاري ودور المرأة في ذلك المجتمع، من ظهور شخصيات نسائية لها أكبر الأثر في المجتمع الإيراني، فضلا عن ما وصلت تلك المرأة من تعليم وثقافة، إلى جانب بيان أهم مواقفها من القضايا السياسية التي أدت إلى التغيير السياسي في إيران كالثورة الدستورية

١٩٠٥-١٩١١ وكذلك مرحلة التطورات السياسية الجذرية بين ١٩١١-١٩٢٥ سيما وصول رضا شاه بهلوي إلى سدة الحكم وإنهاء حكم آل قاجار.

أما المبحث الثاني فقد اهتم بإيضاح سياسة رضا شاه الاجتماعية ومحاولة تغيير واقع المرأة الإيرانية ضمن سياق سياسة عامة انتهجها لتغريب واقع المجتمع الإيراني سيما كل ما يتعلق بالمرأة من ارتداء الحجاب وما أثاره من ردود أفعال غاضبة بين رجال الدين، وأحداث تغيير في قوانين الزواج والطلاق وكذلك فيما يخص تعليم المرأة الإيرانية وإنشاء المراكز والمؤسسات النسوية.

اعتمد البحث على مجموعة من الكتب العربية والمعربة، ومن أهمها كتاب (تأريخ إيران السياسي بين ثورتين ١٩٠٩-١٩٧٩) للمؤلفة أمال السبكي، وكتاب (التأريخ الإيراني المعاصر إيران في العصر البهلوي) للمؤلف غلام رضا نجاتي، فضلا عن كتاب (اقتصاد سياسي إيران از مشروط تا بايان سلسله بهلوي) لمؤلفه محمد علي همايون كاتوزيان، إلى جانب ما أجادت به بعض الرسائل والأطاريح الجامعية من معلومات وأهمها، رسالة ماجستير بعنوان (إيران بين الحربين العالميتين، تطور السياسة الداخلية ١٩١٨-١٩٩٩) للدكتورة فوزية صابر، ورسالة الماجستير الأوضاع الاقتصادية في إيران ١٩٢٠-١٩٩١) للدكتور نعيم جاسم الدليمي فضلا عن البحوث والدراسات التي تناولت تلك المرحلة الانتقالية في حياة المرأة الإيرانية.

المبحث الأول أولاً- مكونات المجتمع الإيراني أواخر العهد القاجاري :

ينحدر سكان إيران من جماعة الآريين القدماء الذين وفدوا إلى إيران منذ القدم، وبالتحديد في الألف الثاني قبل الميلاد، ولا يعرف إلا القليل عن الذين سكنوا إيران قبل هذا التاريخ والذين يطلق عليهم القوقازيين، وقد دخل الكثير من القبائل العربية إلى إيران خلال القرن السابع بعد الميلاد (حسين، ٢٠٠٩، ص ٢٠٥) (Hussein, 2009, p. 205) واستقرت في الشمال والشمال الشرقي من البلاد، كما أن القبائل التركية هاجرت إلى إيران وبأعداد كبيرة ومنذ القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وقد جعلت القبائل الرحل .

مواضيع الجنس واللغة معقدة جدا ولا يزال البعض منهم يهاجرون أو ينتقلون في البلاد من جهة إلى أخرى وبعض هذه الجماعات يتكلمون بلغة مقتبسة لا تمت إلى جنسها الأصلي بصلة (المصدر نفسه، ٢٠٠٧) (ibid, p.207) يتكلم جميع سكان المدن وكذلك الجماعات الزراعية للغة الفارسية ويتراوح عددهم بين نصف مجموع السكان وتلثمهم بينما يتكلم خمس السكان اللغة (الأذرية)

وهؤلاء سكنوا الإقليم الشمالي الغربي من أذربيجان وهي لغة ذات قواعد يسيرة تضم الكثير من المفردات الفارسية وقد تلقن عدد كبير من هؤلاء اللغة التي أعقبت الغزو المغولي أو التي جلت بعد ذلك، ويبدو انه من الصعب أن تضع حدا فاصلا بين العناصر التركية والعناصر الإيرانية التي تتكلم الآن اللغة الأذرية، ولذلك فإن سكان إيران يمثلون مجموع الطوائف التي هاجرت إلى إيران وبقيت الغزوات المتلاحقة (ولبر، ١٩٨٥ ص ٢١١) (Wilbur, 1985 p. 211) ومنذ فترات التاريخ تلك فإن المجتمع الإيراني يتمحور حول ثلاثة محاور رئيسية وهي (الدين والدولة والإنتاج) بحيث تخصص العلماء بشؤون الدين وتخصص الكسبة والمزارعين وباقي أصحاب المهن والحرف الأخرى بمسألة الإنتاج، أما بالنسبة إلى الدولة فقد كانت تدير شؤون الدفاع عن الأرض فضلا عن اهتمامها بالتعليم) وكان المجتمع الإيراني في مطلع نهاية القرن التاسع عشر يتكون من أربعة طبقات أمكن رصدها وملاحظتها بوضوح حيث تتربع سلالة الحكام القاجاريين (كاظم، ٢٠٠٨، ص ٢٣) (Kazem, 2008, p. 23) أعلى قمة الهرم السكاني والطبقة الأرستقراطية، والأمراء الملكيين، ورجال البلاط، و أصحاب الإقطاعيات الواسعة والوزراء الملكيين، ومعهم حكام الأقاليم وموظفو الدولة وجميع تلك الفئات تمثل النخب المركزية من الطبقة الأرستقراطية الإيرانية (السبكي، ١٩٩٩، ص ١٠) (Al-Subki, 1999, p. 10).

ويعد رجال الدين إحدى الطبقات الرئيسية في المجتمع الإيراني إذ عملوا على تنفيذ القوانين الشرعية والتوعية والتعليم وتقديم الخدمات الخيرية للناس، كما كانت لهم السلطة الروحية على الأهالي (الجبوري، ٢٠٠٨، ص ١٩) (Al-Jubouri, 2008, p. 19).

ويشكل تجار المدن، وملاك الأراضي الصغار، وأصحاب الحوانيت، والمشاعل الحرفية أهم ركائز الطبقة الوسطى الإيرانية وهي التي تلي الطبقة الأرستقراطية في الأهمية الاجتماعية والاقتصادية وقد ارتبطت هذه الطبقة برجال الدين ووعاظ المساجد، وقد أصبح من العسير اجتماعية فصل البازار عن المسجد، بينما ضمت الطبقة الثالثة في السلم الاجتماعي الإيراني كسبة المدن عامة من: حرفيين وإجراء، وعمال البناء، والمصانع والحمالين وهؤلاء جميعا أصحاب دخل ثابت غير إنهم أعلى دخلا من غالبية سكان الريف، وجماهير القبائل، والمعدمين من الفلاحين، والبدو، وهم يعدون الطبقة الدنيا والأخيرة في نسيج المجتمع الإيراني (آمال السبكي، المصدر السابق، ص ١٥) (Amal Al-Sobki, previous source, p. 15).

أما بالنسبة إلى الدين الرسمي في إيران فهو الدين الإسلامي ، فان معظم سكان إيران يدينون بالدين الإسلامي ، والغالبية العظمى منهم شيعة المذهب (على المذهب الجعفري).

وخاصة بعد تأسيس الدولة الصفوية (الخولي، ١٩٧٩ ، ص ٤٥ - ٥٠) (Al-Khouli,

1976, pp. 45-50) وينتشر في عموم إيران وآخرون من أهل السنة ويشملون البلوش

والبلوش والكرد ومئات آخرين من الترك وقد ازدادت نسبة اعداد الشيعة عقب إعلان الشاه

إسماعيل الأول المذهب الجعفري المذهب الرسمي للدولة (الوائلي ، ٢٠٠٧ ، ص ١١) (Al-

. (Waeli, 2007, p. 11

ثانيا- دور المرأة في المجتمع الإيراني خلال العهد القاجاري:

اشتركت نساء المدن الإيرانية في الأنشطة الإنتاجية المنزلية مثل الطبخ ، التنظيف ، رعاية الأطفال، الحياكة وخياطة الملابس ، فيما لم تمارس نساء الطبقة الغنية أي عمل يذكر إلا ما ندر، كما كانت اغلب نساء المدن متمسكات بالحجاب ومنفصلات عن باقي فئات المجتمع وتحدثت المؤرخة الأمريكية المتخصصة بشؤون المرأة وإيران (كدي Keddie) عن وضع المرأة في تلك المرحلة قائلا : " كانت بعض النساء تأخذ دورات في القراءة والكتابة ويعملن في مجالات كالصحة والطب والمراكز الدينية وبناء على أوامر الشرع والدين ترث النساء نصف ما يرثه الرجل " (الجبوري ، مصدر سابق، ص ٦) (Al-Jubouri, a previous source, p. 6) . ولسعة الموضوع سنحاول أن نركز على المواضيع التي كان لها الأثر الكبير في المجتمع الإيراني خلال تلك الفترة وهي أ- الطاهرة قرة العين .. ب - الحركة التعليمية وتنقيف المرأة الإيرانية .. ج- دور المرأة الإيرانية في الثورة الدستورية. د- موقف المرأة الإيرانية من التطورات السياسية ١٩١١-١٩٢٥.

أ- الطاهرة قرة العين:

لعل من أبرز النساء الإيرانيات اللاتي برزن في العهد القاجاري هي السيدة الطاهرة قرة العين واسمها الحقيقي هو فاطمة الزهراء ولقبت ب(زرين تاج) وهو اسم فارسي بمعنى (التاج الذهبي) لأنها كانت ذات شعر أشقر (www. SAOWT. Com.) وكانت أسرتها من الأسر الدينية المعروفة في قزوین تدعى (ال البرغاني) وقد برز فيها من العلماء الذين كان لهم شأن كبير كان منهم الملا (محمد صالح) الذي هو والد قرة العين والملا محمد تقي) الذي هو احد أعمامها،

وكان الأخير كبير علماء قزوين في ذلك الوقت ، بدأ نبوغها بالظهور منذ صباها الباكر بحيث انها كانت تحضر دروس ابيها وعمها التي كانا يلقيانها على الطلبة فكان يوضع لها الستار لتستمع الى الدروس من ورائه وسرعان ما كانت تشارك بالمجادلات الكلامية والفقهية التي كانت تثار بين رجال أسرتها (الوردي ، ٢٠٠٥ ، ص ١٩٣) (Al-Wardi, 2005, p. 193) ، اعتنقت قرة العين الدعوة البابية (على الوردي، المصدر السابق ، ص١٦٧) (Ali Al-Wardi, previous source, p. 167) وأخذت تتشط في الاتصال بالناس لتمهيد اذهان الناس للقبول بالدعوة الجديدة التي كانت تدعو إليها ، حتى إنها كانت تلقي المحاضرات في بيتها ويجتمع إليها أعداد كبيرة من الناس ، فكانت تجلس في غرفة صغيرة وراء باب عليه ستار، ويجتمع إليها الطلبة في غرفة أخرى ويستمعون إليها، وكانت تمتلك صوت جهوري وقدرة كبيرة على الكلام والجدال (HYPERLINK WWW.WIKIPIDIA . COM . "http://WWW.WIKIPIDIA") ، تنقلت قرة العين بين العراق وإيران فتجولت بين مدن كربلاء والنجف الاشرف ومدينة الكاظمية التي مكثت بها زهاء ستة أشهر وكان ذلك في العام ١٨٤٧ ، وبعدها عادت إلى إيران وتجولت في مناطق كرمنشاہ وبعدها توجهت إلى همدان ثم إلى قزوين، شغلت قرة العين ولغاية عام ١٨٥٢ المجتمع الإيراني بمجموعة من الأفكار الفقهية والتشريعية التي جاءت بها وخاصة تلك التي أنصفت المرأة الإيرانية ، حيث كانت تنتهز مناسبات الولائم والمجالس النسائية التي تعقد في بيتها الأمر الذي جعل النساء يتهافتن عليها ليخضين بمشاهدة تلك المرأة المشهورة التي أصبح اسمها على كل لسان وأخذت قرة العين تضرب على أوتار قلوب النساء وتظهر لهن المنزلة الواطئة التي خصصها رجال الدين للمرأة ، حكم الصدر الأعظم عليها بالإعدام بعد ان ارسل إليها رجلين من العلماء هما (الملا محمد اندرمانی و الملا علي كيني) من اجل امتحانها وكتابة تقرير عن عقيدتها الدينية ، وبعد ذلك كتبنا تقريرهما الذي قدماه إلى الصدر الأعظم ذكرنا فيه إن قرة العين قد ارتدت وكفرت وإنها تستحق القتل عملا بأحكام القران الكريم ، وكان ذلك في عام ١٨٥٢ (علي الوردي ، المصدر السابق ، ص٢٠٠) (Ali Al-Wardi, previous source, p200) ، وبذلك أسدل الستار عن شخصية نسائية كان لها دورة كبيرة في جملة من الأفكار العقائدية التي نمت وتطورت داخل المجتمع الإيراني .

ب - الحرية التعليمية وثقافة المرأة الإيرانية :

عندما تسنم الحكم مظفر الدين شاه(العلاق، ٢٠٠٨، ص ١٣) (Al-Alaq, 2008, p.) (13) السلطة في إيران، بعد وفاة أبيه ناصر الدين شاه (الدسوقي، ١٩٨٨، ص ٧١) (EI- Desouky, 1988, p. 71) عام ١٨٩٦، شهدت الحركة التعليمية تقدم ملموسة على اثر تعيين (أمين الدولة) صدرا أعظم في العام ذاته، فلم يدخر الأخير واسعة في نشر المعارف واصلاح نظم التعليم الجديدة وتأسيس المدارس وإنشاء (انجمن معارف) أي جمعية المعارف) عام ١٨٩٩ م، للإشراف على المدارس وترويج الثقافة الحديثة في البلاد، وازداد عدد المدارس الحديثة فعلا إذا فتحت في طهران من عام ١٨٩٩ م حتى عام ١٩٠١ م اثنتا عشرة مدرسة ابتدائية وثانوية، كما أسست الحكومة إلى جانب ذلك مدرسة لدراسة العلوم السياسية في طهران (عام ١٩٠٠) م، وأنشأت في السنة التالية مدرسة زراعية برئاسة خبير بلجيكي، وأسس نصر الله (ملك المتكلمين) وهو من أبرز متقفي وقادة الثورة الدستورية وألمع خطبائها في عام ١٩٠٥ م مدرسته في انزلي باسم المدرسة العضدية)(آمال السبكي، المصدر السابق، ص ٢٥-٢٩) (Amal Al-Subki,) (previous source, pp. 25-29).

وعلى هذا النحو أخذت المدارس تزداد حتى بلغ عددها عام ١٩٠٦ م ستة وثلاثين مدرسة ابتدائية وثانوية، على إن مناهج هذه المدارس لم تكن موحدة ومن هنا نلاحظ إن الحركة التعليمية بعد إعلان الدستور عام ١٩٠٩ قد تقدمت، ولكن هذا التقدم لم يكن منظمة وفعلا، فقد شكلت الجمعيات الشعبية في العاصمة، في غمرة حماسها الوطنية هيئة من بين أعضائها الدراسة شؤون المعارف ونشرها ووضع برامج معينة للمدارس الحديثة، ولكن خطوات هذه الهيئة لم تكن كلها في صالح الحركة التعليمية، من ذلك أنها جعلت من مقرات الجمعيات الكثيرة مدارس لتعليم النشيء دون تهيئة الكتب والمدرسين مما أدى إلى فشل هذه المدارس المرتجلة، إلى جانب ذلك لم تستطع الحكومة بسبب ضعف الميزانية وضائقها المالية أن تمد المدارس بمساعداتها المالية كما كانت تفعل، مما أدى إلى ارتباك تلك المدارس فأصبحت مثقلة بالديون أو مهددة بالإفلاس عشية وفاة مظفر الدين شاه (الفتلاوي، ٢٠٠٣، ص ١٨) وانتقال الحكم إلى ولده محمد علي شاه عام ١٩٠٧ (دهخدا، ١٣٣٦، ص ٥٩٨) (Dehkhoda, 1336, p. 598).

ونستنتج مما تقدم إن التعليم الحديث كان أكثر تطورا من التعليم التقليدي الذي كان خاضعة للمؤسسة الدينية، والذي كان محددة بالكتاتيب القديمة، كذلك بعض المدارس الدينية

التقليدية، إلا أن ذلك لم يمنع من قيام (ميرزا محمد طباطبائي) من تأسيس مدرسة دينية على النمط الحديث سماها (إسلام) في أواخر عهد ناصر الدين شاه كما قام الشيخ سعيد العلماء مازندراني) بتأسيس مدرسة سماها (أقدسية) والشيخ (مرتضى قليخان) مدرسة اسمها (عالية) وكلها في طهران وكانت المدارس الدينية تقتصر في تعليمها على مبادئ اللغة الفارسية والقرآن والحساب، وكان تعليم البنات محصورة بفئة قليلة منهن كن يتلقين تعليمهن داخل البيوت، وتقوم بذلك سيدات مسنات في العادة، وكن يتلقين مبادئ اللغة والدين، أما بقية النساء الإيرانيات فكن محرومات من نعمة العلم، غارقات في الجهل وتصف الكاتبة الروسية (ماريلي ماركوفتش) وهي من النساء اللواتي أقمنا زما في إيران في مقالة نشرتها بمجلة (المجلات الفرنسية في تموز ١٩٠٨، بعنوان (واقع المرأة الإيرانية) فتقول:

((والنساء المتعلمات في إيران قليلات، فالأغنياء يعلمون بناتهم مع أبنائهم في منازلهم إلى أن يبلغن سن الحجاب فيمنعهن عن العلم، والفقراء يعلمون بناتهم في الكتاب، إلى أن يبلغن سن الحجاب أيضا، فإذا أراد أب الأسرة أن يتوقف بناته بعد ذلك العمر كلف معلمة تدعى عندهم (ملا حجي) فتعلمها الحساب والكتابة والقراءة ومتى فرغت من تعليمها لزمتم والدتها في منزلها حتى تتزوج)) (الفتلاوي ، المصدر السابق، ص ١٨) (Al-Fatlawi, previous source,) (p.18).

وفي جانب آخر تصف الكاتبة في مقالتها هذه المرأة الإيرانية ومشاركتها الرجل في طلب الحرية والدستور في عهد مظفر الدين شاه بقولها : ((ولذا يعجب القارئ من نهوض المرأة الفارسية التي وصفناها نهضة واحدة، حتى شاركت الرجل في طلب الحرية والدستور، ولكن عجبه هذا يزول متى علم شدة اختلاط الإيرانيين بالغربيين في هذه الأيام وتعلم شبانها في مدارس الغرب وكلياته، وإنشاءهم المدارس العديدة لتعليم البنات كمدرسة (ريشار خان الفرنسي)، وقد قاوم بعض الإيرانيين هذه المدرسة في البداية ثم اشترطوا أن تبقى الفتاة الفارسية مبرقعة محجبة، غير إن احد تلميذات هذه المدرسة وكانت يتيمة الأب إلا أن تطرح النقاب عنها وان تعيش كالأوربيات من عمل يديها وجعلت تروح وتجيء في الشوارع مكشوفة الوجه وكان النساء يعجبين بشجاعتها ولكن لا يجرأن على التشبه بها ولقبتها ب(الاغا الصغير) وبلغ من ادبها وذكاؤها أن الرجال كانوا يحترمون المجلس الذي تكون فيه فيجلسون بغاية الحشمة والوقار، ولكن الجد والكد والحاجة وانحطاط المرأة في بلادها كل ذلك أثر في نفسها

فماتت في زهرة عمرها وشيعت جنازتها في مشهد عظيم مشي فيه الألوف من الإيرانيين)(المصدر نفسه، ص ١٩)(Same source, p.19).

لقد كان النظام القاجاري ينظر إلى المرأة من زاوية استغلالية فهو يمارس الاضطهاد بحقوق المرأة المقررة شرعا وعرفا، وينتهك هذه الحقوق بشكل واسع، ووصل الهوس المفرط بملوك القاجار انهم كانوا يستحوذون على عدد كبير من النساء ومن مختلف الجنسيات بصيغة (الحریم) في بلاطهم حتى أن عدد النساء وصل إلى ألف امرأة ويقوم على خدمتهم عدد من الرجال والنساء والخدم والحرس وهذا ما يعني كلفة المصروفات الباهظة من خزينة الدولة(ارحيم ، ٢٠٠٥ ، ص١٥) (Rahim, 2005, p. 15).

ج - دور المرأة الإيرانية في الثورة الدستورية (١٩٠٠-١٩١١):

لم يكن غريبا أن يكون للمرأة الإيرانية دورا هاما في الثورة الدستورية فهي عبرت سابق عن موقفها فيما عرف بانتفاضة التبغ بين عامي ١٨٩١-١٨٩٢، عندما حاولت بريطانيا الحصول على امتياز ذلك المحصول ومنذ عام ١٨٨٩ حتى تمكنت عام ١٨٩٠ مقابل دفع الشركة الانكليزية تالبوت مبلغا مالية لإيران، وبذلك تحتكر هذه الشركة حق نقل وتسويق المحصول، مما ترك رد فعل غاضب في ايران سيما المرأة الإيرانية التي شاركت في الاعتصامات، فضلا عن دعم الفتاوي الدينية الراضية لذلك (ميكلوس، ١٩٨٥، ص٢٤٢٥) (Miklos, 1985, p. 2425).

تمركزت مشاركة النساء في الثورة الدستورية على معارضة الحكم المستبد للأسرة القاجارية والقوى الاستعمارية البريطانية والروسية، والطموح إلى الاستقلال الوطني، إضافة إلى المطالبة بالمساواة بين الجنسين، وخاصة المساواة في المواطنة، ولقد حظى دور النساء في الثورة الدستورية بالجزء الأكبر من اهتمام الباحثين والباحثات في الدراسات النسائية الذين ركزوا على النساء اللاتي اشتركن في الحياة السياسية، وفي ضوء الوضع شبه الاستعماري لإيران والطموحات الاستعمارية البريطانية والروسية في إيران في ذلك الوقت فإن تلك الدراسات توضح الجوانب التحررية للوطنية وتصور مشاركة النساء في الأنشطة الثورية بصورة ايجابية، كما تركز الدراسات التي أجريت على النساء في الثورة الدستورية على منظور النساء الميسورات في المدن، حيث ركزت الكتابات على حق التصويت ومسألة الحجاب، على حين غابت وجهات نظر غالبية النساء في القطاعات

المهمشة من المجتمع وفي القرى والمناطق القبلية حيث لم يكن حق التصويت والحجاب أكثر الأمور إلحاحا بالنسبة للنساء هناك (Brown E.G, , 1966,PP.31-58).

وقد كان للنساء الإيرانيات دور في حركة الإصلاح الدستوري منذ عام ١٩٠٥ (www.wikipidia.com)، فبعدما عانت المرأة الإيرانية من ما عرف بالتاريخ الإيراني بعام المجاعة) بين عامي ١٩٠٤ - ١٩٠٥ نتيجة انتشار الأوبئة فضلا عن الحروب الروسية اليابانية التي أدت إلى ارتفاع اسعار المواد الغذائية الأساسية في ايران مما اضطر الحكومة القاجارية إلى فرض الضرائب محاولة منها اصلاح الأوضاع المالية والاقتصادية السيئة، وهو ما ترك اثرا نفسية واجتماعية واقتصادية على المرأة الإيرانية التي عانت اكثرها(كاتوزيان، ١٣٧٣ش، ص ٣٠-٣٠) (Katozian, 1373, pp. 30-30)، حيث تظاهرن علنا ضد سجن الحكومة وفيها لعدد من الزعماء الدينيين، وأظهرت أحداث الحركة الدستورية أن النساء اشتركن بشكل أكثر فعالية وأخذت نشاطاتهن صيغة عمل في المساهمات المالية، إذ عملن كسعاة لناصر الدستور، وشكلن جمعية للنساء، ولكن عددهن كان قليلا جدا، وكن من نساء المدن المنتميات إلى الطبقة العليا، وكذلك كانت مساهمة المرأة في الحركة الدستورية ضعيفة الأثر لكنها أوجدت تفهمة لمكانة المرأة في المجتمع، وكشفت الحاجة لتعليمهن وتنقيتهن، وأخذ الشعراء المثقفون يتألمون من الأوضاع النسوية السائدة إذ قال احد الشعراء الإيرانيين ((إذا كانت المرأة جاهلة، كذلك يكون الرجل ... فو أسفاه على الطفل الذي سينجبانه، آه أيتها الفتاة في العصر الذهبي، أسرعي نحو المدرسة للوصول إلى الكمال والمعرفة.. ، فاتك لا تختلفين عن الرجال، فإلى متى تبقين محتجبة .. إلى متى تبقين خلف الحجاب ؟)(رياح ، المصدر السابق ، ص ٢٠) (Winds, previous source, p.) (20).

وإذ تعد الثورة الدستورية أول ثورة حقيقية في ايران لمشاركة مختلف شرائح المجتمع الإيراني التي نجحت في ايجاد خطوات سياسية فاعلة عندما تم تأسيس دار العدالة (البرلمان) وإعلان الدستور (مراد، ١٩٩٣، ص ١٣) (Murad, 1993, p. 13)، إلا أنها لم تحقق ما كانت تطمح له المرأة الإيرانية، فلم يتم منحها حق الانتخاب من قبل اول مجلس شورى يعقد في ايران في آب عام ١٩٠٦، ومع ذلك فقد استمرت المرأة الإيرانية في دعمها المعنوي لتلك الثورة (Sharon,) (1983,P.10).

ومنذ عام ١٩٠٨ حاول المنقون والمجددون من رجال الدين توظيف الموقف الدولي والتنافس الدائر على الصعيد الدولي لصالح قضيتهم من خلال دعوة ألمانيا للدخول كطرف ثالث ضد الروس والإنكليز في دعم القضية الوطنية الإيرانية والوقوف إلى جانب الدستوريين (قحطان جابر اسعد ارحيم ، المصدر السابق ، ص ١٤٣) (Qahtan Jaber Asaad Arhim, (previous source, p.136)، وقد بادرت لجنة من النساء الإيرانيات المقيمت في اسطنبول بإرسال برقية إلى القيادة الألمانية يطالبونها فيها أن تبذل كل ما في وسعها لدفع بلادها إلى التدخل في الشؤون الإيرانية لصالح الثوار في صراعهم مع محمد علي شاه الذي تبوأ الحكم بعد وفاة والده مظفر الدين شاه عام ١٩٠٧، بالرغم انه قد سن قانون انتخاب جديد عام ١٩٠٨ حاول فيه إلغاء الطبقة في الانتخابات إلا أنه قد حرم المرأة أيضا من الترشيح للانتخابات، حتى تم خلعها عن الحكم عام ١٩٠٩ نتيجة تجدد الصراعات والخلافات بينه مدعومة من قبل الروس وبين اعضاء المجلس والدستوريين (الدسوقي، المصدر السابق، ص ٥٣) (Al-Desouki, previous source, p. 53).

د - موقف المرأة الإيرانية من التطورات السياسية ١٩١١-١٩٢٠:

كان الروس عازمين على إنهاء الثورة الدستورية والاقتصاص من رجالها المخلصين، وقد أتاحت لهم التناقضات والاختلافات الكبيرة بين قادة الثورة، التي تميزت بها المرحلة الثانية من الثورة الدستورية، فرصة ذلك، فبعد أن فشلوا في القضاء على الثورة عن طريق عملهم الشاه المخلوع نزلوا أنفسهم إلى الميدان ليحرموا الشعب الإيراني من جني ثمار نصره، وفي عام ١٩١١ وعندما وجهت الحكومة الروسية والانكليزية إنذارها إلى الحكومة الإيرانية، وقد رافق إنذارهم النهائي اندفاع قواتهم العسكرية الروسية في الأراضي الإيرانية حتى بلغت مدن قزوین وتبريز ومشهد، مرتكبة في طريقها أعمالا لا إنسانية بحق الأهالي وعلمائهم من كبار رجال الدين، لتعطي بذلك إنذارها صورة جديّة وحاسمة (دونالد ولبر ، المصدر السابق، ص ١٠٥) (Donald Walber, (previous source, p. 105).

ولإظهار الصورة المشرفة للمجلس والشعور الكبير بالكرامة الجريحة، رفض أعضاء المجلس الإيراني، وفي مقدمتهم علماء الدين، الإنذار النهائي والرضوخ لهذا التدخل في أدق أمور البلاد الداخلية وقد حاول بعض النواب ومن بينهم حسن وثوق الدولة دفع المجلس والحكومة لقبول المطالب الروسية (البكاء، ٢٠٠٤، ص ٥٤) (Albakka, 2004, pg. 54).

إلا إن الحكومة الدستورية رفضت بشدة، إذ علت ذلك منافية لمبدأ استقلال إيران وحريتها، فكانت باكورة الرفض الإيراني للإنذار، هي تلك التظاهرة التي ضمت أكثر من (٣٠٠) امرأة إيرانية يوم ١٠ كانون الأول ١٩١١م حيث انطلقت باتجاه المجلس وهددت أعضائه بقتل أنفسهن إذا تهاون النواب في واجبه تجاه الإنذار، كما امتلأت شوارع العاصمة طهران بالتظاهرات الصاخبة والاحتجاجات المطالبة برفض الإنذار والحفاظ على استقلال إيران وأعلنت مقاطعة البضائع الأجنبية خصوصا الروسية منها ولا سيما في ولاية شيراز التي قاطع أهلها البضائع الروسية والبريطانية ورفضوا التعامل مع أي جهة أجنبية متواطئة مع الروس بناء على بيان أصدره الاخوند الخراساني محمد كاظم أحد أهم مراجع الشيعة آنذاك في ١٢ كانون الأول ١٩١١م الذي دعا فيه الى استخدام مجال المعارضة الاقتصادية ضد الإنذار في حالة عدم تطبيق القوانين الدولية التي تنص على ضرورة احترام حقوق التجمعات الإنسانية ومما جاء فيه " إذا كان الكلام عن الحقوق الدولية وقوانينها مجرد ألفاظ غير حقيقية بعيدة عن التطبيق فان العلماء المسلمين قاطبة لن يقفوا بل سيبادرون فورا إلى مقاطعة تجارية شاملة للبضائع الروسية وهي الخطوة الأولى للتقيد بالواجب الديني والوطني..." (المصدر نفسه ، ص ٥٤) (Same source, pg. 54).

وقد أدت جمعية نساء الوطن (نسوان وطن) دورا بارزا في هذا الجانب ، فقد حملن المسدسات خلال تظاهرة حاشدة اندفعن بها إلى المجلس للإحاطة به ، وهددن أعضاء المجلس بالقتل في حالة الموافقة والرضوخ للإنذار الروسي (المصدر نفسه ، ص ٥٥) (Same source, pg. 55).

لم يقدر للثورة الدستورية بالاستمرار بعد عام ١٩١١، فبعد انتهاء المدة القانونية لمجلس الشورى بذلك العام وعدم تجديد دورته الانتخابية من قبل مجلس الوزراء اصبحت ايران عرضة للمطامع الأجنبية، حتى بعد اعلان ايران الحياد عند اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ إذ أضحت ايران ساحة حرب بين طرفي النزاع، وهو ما ترك أثرا على الأوضاع الاقتصادية خاصة مما انعكس بدوره على واقع المرأة الايرانية الذي ازداد سوءا طوال سني الحرب (عبد الرحمن، ١٩٨٨، ص ٢١-٢٢) (Abdul Rahman, 1988, pp. 21-22).

جاءت الفرصة مؤاتية لبريطانيا للانفراد بالسيطرة على ايران سيما بعد انهيار روسيا القيصرية عام ١٩١٧، وكان لاكتشاف النفط بشكل تجاري في ايران دافعا لبريطانيا لعقد معاهدة مع ايران عام ١٩١٩ عرفت ب " معاهدة المساعدة البريطانية من أجل تقدم ايران رفايتها التي

جوبهت برفض قاطع من الشعب الإيراني مما أدى إلى عدم المصادقة عليها واستقالة الحكومة الإيرانية (كانوزيان، المصدر السابق، ص ٥٨) (Kanozian, previous source, p. 58)، وهو ما مهد لظهور شخصية رضا خان مازندراني (فهمي، ١٩٧٣، ص ٤٣ - ٤٥) (Fahmy, 1973, pp. 43-45) الذي أخذ بالظهور كمصلح في خضم الفوضى التي كانت تعاني منها إيران آنذاك، فبعد نجاح انقلابه في شباط عام ١٩٢١ (كمال مظهر، ١٩٨٢، ص ٤٨-٤٩) (Kamal Mazhar, 1982, pp. 48-49) بالتعاون مع السيد ضياء الدين الطباطبائي، عمد إلى إسقاط الوزارات بين عامي ١٩٢٣-١٩٢١ باختلاف الحجج، فضلا عن المناصب العسكرية التي تقلدها فمن قائد عسكري إلى وزيرة للحربية ثم رئيسا للوزراء، حتى أضحي متغلغلا في جميع أركان الدولة بين عامي ١٩٢٣-١٩٢٥ (كمال مظهر، مصدر سابق، ص ٤٨-٤٩) (Kamal Mazhar, a previous source, pp. 48-49) "عام كل ما بوسعه لأجل الغاء الحكم القاجاري وقد تم له ذلك عندما أقر مجلس النواب الإيراني في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٢٥ الغاء ذلك الحكم، وتولي رضا خان حكم إيران بصورة مؤقتة حتى أجبر المجلس على تنويجه في ٢٠ نيسان عام ١٩٢٩ شاهها على) إيران التي أراد لها أن تكون مماثلة لفرنسا، وتركيا مصطفى كمال أتاتورك (عثمان، ٢٠٠٩، ص ٥٠) (Othman, 2009, p. 50).

ولم تشهد المرأة الإيرانية خلال المدة التي حكم بها رضا خان قبل اعلانه شاهها على إيران غير خطوات بسيطة تمثلت بظهور عدد من الجمعيات النسوية أهمها جمعية المرأة الإيرانية التي تأسست عام ١٩٢٢ وجمعية النساء المحاميات عن الوطنية التي تأسست عام ١٩٢٤، وبعض الأنشطة الصحفية لبعض الكاتبات الإيرانيات (مجيد، ٢٠١٠، ص ٤٦ - ٤٧) (Majeed, 2010, pp. 46-47).

ونستنتج من ذلك إن الأحداث والتطورات التي شهدتها إيران ومنذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وخاصة بعد قيام الثورة الدستورية قد نتج عن ظهور شريحة نسائية قدر لها أن تضع اللبنة الأولى لمشاركة المرأة الإيرانية بمختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الإيراني.

فقد أثبتت أحداث الثورة الدستورية الائتلاف الواضح بين مختلف الفئات الاجتماعية الإيرانية لرفض الحكم الاستبدادي وإقامة دستور للبلاد، ولا بد من الإشارة هنا إلى دور المرأة الإيرانية في الثورة الدستورية ومشاركة أخيها الرجل في طلب إقامة الدستور وبناء حكومة

دستورية تستند على القانون ، على الرغم من أن دورها كان دورة تضامنية وثانوية حتمته طبيعة العادات والتقاليد الإيرانية السائدة. المبحث الثاني سياسة رضا شاه الاجتماعية ومحاولة تغيير واقع المرأة الإيرانية، ارتبطت أسرة بهلوي (إبراهيم خليل أحمد ، وآخرون، ١٩٩٢، ص ١٣٠) (Ibrahim Khalil Ahmed, and others, 1992, p. 130) منذ نشأتها في العشرينات من القرن العشرين ليس فقط بمجموعة من التوجهات الاقتصادية والسياسية التي هدفت إلى تركيز السلطة في يد رضا شاه مؤسس الأسرة ومن بعده الشاه محمد رضا ، ولكن أيضاً بتوجهات اجتماعية تعكس رؤية محددة بالذات للأسرة البهلوية (حمادة ، ٢٠٠٨ ، ص ٧٨) (Hamada, 2008, p. 78)، فبالرغم من تحول إيران في العهد القاجاري السابق من دولة تنتمي إلى العصور الوسطى إلى دولة ذات نظام حكم ملكي دستوري من خلال دستور عام ١٩٠٦م إلا إن البنية التقليدية للمجتمع الإيراني بقيت دون تغيير ملحوظ وقد سعى رضا شاه إلى تغيير هذه البنية وخلق نظام جديد بتنفيذ نظام واسع المدى من التحديث والتغريب ومركزية الإدارة وكان رضا شاه متأثراً ببرنامج التحديث الذي بدأه مصطفى كمال مؤسس تركيا الحديث (إبراهيم خليل أحمد، المصدر السابق ، ص ١٣٠) (Ibrahim Khalil Ahmed, the previous source, p.130).

فقد بدأ رضا شاه بإتباع مجموعة من السياسات والتي تعكس هذا التوجه، وقام بترجمة عداته لرجال الدين ولمظاهر التدين كارتداء النساء الحجاب من خلال سياسات أصدرها في منتصف الثلاثينات بمنع النساء من ارتداء الحجاب في الأماكن العامة كذلك قام الشاه بتشجيع مؤسسات التعليم المدني على حساب المؤسسات التقليدية المرتبطة بالمؤسسة الدينية (حمادة ، المصدر السابق ، ص ٧٨) (Hamada, the previous source, p. 78)، في الوقت الذي اتبع فيه رضا شاه سياسة إحياء القومية والتاريخ الفارسي وأمجاد الإمبراطورية الفارسية، كانت توجهات الشعب الإيراني إسلامية وبعيدة جدا عن توجهات الحكم البهلوي (العيدروس، ١٩٨٥) (Al Aidarous, 1985).

لقد عد رضا شاه وضع المرأة في إيران عقبة تقف حائلا دون مجارة روح العصر، لذا تركزت جهوده في هذا المجال على ثلاثة محاور هي: ١- إلغاء الحجاب ٢- إحداث تغييرات في قوانين الزواج والطلاق ٣- توسيع فرص التعليم أمام المرأة (فوزية صابر محمد، ١٩٨٩ ، ص ٢٨٠) (Fawzia Saber Muhammad, 1986, p. 280).

أ-رضا شاه وقانون منع ارتداء الحجاب وموقف رجال الدين والحوزة الدينية منه:

لم يكن الدين الإسلامي وهو النظام الكامل الشامل لكل نواحي الحياة أن يهمل موضوع زي المرأة في المجتمع ، لا سيما بعد أولها عناية خاصة ، وجعل لها مكانة متميزة ، تستند جذورها إلى العقيدة الإسلامية وتمتد إلى الأخلاق ، ومن مزايا الإسلام أن تشريعاته تترجم عقيدته وقيمه وتستند عليها لا إلى مصالح آنية متغيرة (بيطار، ١٩٩٢ ، ص ٦٣) (Bitar, 1992, p. 63)، ومن هنا ندرك مدى البعد الأخلاقي في نظرة الإسلام إلى المرأة ، فالمرأة في الإسلام هي ام المجتمع ، ولذلك كانت نساء النبي امهات المؤمنين ، وكذلك الرجل هو نفس المرأة ومنها كما في قوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ، لقد تعامل الإسلام، على عكس المبادئ الأخرى والنظم الاجتماعية الأخرى، مع هذا الوضع الخاص بالنساء والأخطار المحتملة المترتبة عليه بما فيه الكفاية . وحقق هذا الهدف من خلال تشجيعه على تكوين العائلة ومن خلال فرضه لنظام الملابس، والحجاب . لقد احتاج الإسلام الحجاب لعدة أسباب: (الفلسفة طريقة اللباس الإسلامية من وجهة نظرنا عدة أسباب. بعضها نفساني، والبعض الآخر يتعلق بالأسرة والبيت، والبعث الثالث ينجم عن رغبة المرأة في رفع منزلتها. ففي الإسلام يظهر الحجاب من المسألة العامة والهامة جدا إلا وهي إن الإسلام يتوق إلى تحديد المتع واللذات ضمن حدود الأسرة وضمن إطار الزواج الشرعي ، أما بالنسبة الى العمل والنشاط فانهما يخصان المجتمع أي خارج البيت)(الفين . ز. روبنشتين واخرون، ١٩٨٠ ، ص٩٢)(Rubinstein et al., 1980, p.92). لقد حاول رضا شاه أن يفرض برامجه الإصلاحية بقسوة جعلته في سباق غير محسوب النتائج مع الزمن ومع التطور ، فحاول انتزاع المجتمع الإيراني من تحت سيطرة رجال الدين وذلك بفرض علمانية الدولة ، متجاهلا ما فرضه دستور عام ١٩٠٦ من تشكيل هيئة دينية عليا ، مكونة من خمسة من كبار رجال الدين العلماء من المذهب الشيعي يحملون لقب (آية الله العظمى) تعرض عليهم مشاريع القوانين قبل عرضها على البرلمان الملكي لكي يقولوا فيه رأيهم وليتأكدوا من إنها لا تتعارض من أحكام الدين الإسلامي أو المذهب الشيعي)، وكان رضا شاه في بداية الأمر قد اصر على أن ترتدي المرأة الإيرانية الحجاب، وكذلك الاهتمام بقضية بالشرعية الإسلامية الا انه كان يضمن عكس ذلك تماما فتعاون او شجع السيدة (محترم اسكندري) في تأسيس جمعية وطنية (مهابة، ١٩٨٩ ، ص ١٤) (Mohabah, 1986, p. 14) للنساء وكان ذلك في عام ١٩٢٣ ومن ثم جمعية اخرى باسم

(تمدن نسوان) وكان ذلك في عام ١٩٢٩ إلا أننا نرى أن رضا شاه كان يحاول أن ينقل المرأة الإيرانية قسرة إلى الحضارة الأوروبية مرغماً إياها على التخلي عن زيها التقليدي وحجابها المعروف باسم (الشادور) (مهابة ، المصدر السابق ، ص ١٤) (Mahaba, the previous source, p. 14) وكانت زوجة رضا شاه أول من طبق ذلك ثم فرض على الموظفين الالتزام بمنع زوجاتهم من ارتداء الحجاب، وحول بذلك رجال الشرطة أن ينزعوه عنها بالقوة إذا خرجت به إلى الشارع ، وكان يكرهها على أن ترتدي الزي الأوربي، كما كان رضا شاه يأمر بجلد كل طفل يقطف زهرة من الحدائق العامة اربعين جلدة (إبراهيم خليل أحمد ، وآخرون ، المصدر السابق ، ص ١٤٠) (Ibrahim Khalil Ahmed, and others, the previous source, p. 140).

وفي عام ١٩٧٦ أصدر رضا شاه قرارة وهو أن يترك الرجال الملابس الشرقية القديمة وإلغاء الحجاب بالنسبة الى النساء وافر (السفور) ، وبعد ذلك أصدر قانون الأحوال الشخصية نقلاً عن القانون الفرنسي ، وفي عام ١٩٢٩ اصدر قانون اللباس الموحد، فكانت زوجته اول من خرجت سافرة في مقابلاتها لزوجات الدبلوماسيين الاجانب (مهابة ، المصدر السابق ، ص ١٤) (Mahaba, the previous source, p. 14).

بدأ رضا شاه بالاندفاع نحو تلك السياسة ازاء المرأة منذ عام ١٩٣٦ بعد أن زار تركيا، في الوقت الذي قام فيه مصطفى كمال أتاتورك بحملة مماثلة ، وسجلت تلك الزيارة بداية عهد جديد للصدقة والتعاون بين تركيا وإيران (جهاد صالح العمر ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥) (Jihad Saleh Al-Omar, 1990, p. 25)، وأدرجت كل من الدولتين أن عهد التخاصم قد ولى.

لم يكن بمقدور رضا شاه أن يغير من الحياة الاجتماعية للمجتمع الإيراني دون التصادم المباشر مع المؤسسة الدينية (السبكي ، المصدر السابق ، ص ٨٠) (Al-Subki, the previous source, p. 80)، لذلك بادر رضا شاه منذ تسلمه السلطة وفي إطار سياسته المعادية للإسلام، إلى اتخاذ بعض الخطوات التي تستهدف صميم القضايا الإسلامية، والتي منها سنه القانون حضر الحجاب على النساء ، وحمل الرجال على ارتداء الزي الغربي، وقد رافق ذلك موجة من الإعلان والدعاية التي تدعو إلى السفور ومحاكاة الغرب في مظهره ومضمونه، الأمر الذي أثار مشاعر رجال الدين ودفعهم للذود عن كيان الإسلام ومبادئه الأصيلة ، فأصدروا البيانات التي تؤكد على ضرورة رعاية الحجاب الإسلامي، فضلاً عن حرمة التشبه بالغرب وفي هذا الصدد يذكر إن حفلة نظمتها مدرسة ابتدائية للبنات في شيراز عام ١٩٣٥ ودعي إليها كل من الشيخ

محمد علي حكيم) و(الميرزا صدر الدين المحلتي) ، فلما أنبرا بعض الطالبات الأداء أنشودة وكن غير محجبات تركا الحفلة، حتى كتب الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم رسالته إلى رضا شاه طالبه فيها بمنع كافة الممارسات المخالفة للشرع، والوعاظ والخطباء من جانبهم طالبوا الشعب الإيراني بعدم الامتثال إلى التعليمات التي تخالف الشرع والدين الإسلامي، حتى إنهم كانوا قد تمكنوا من الحد من هذه الظاهرة السلبية على المجتمع الإيراني، وهنا شعر الشاه رضا بتقل المؤسسة الدينية ، وإنها تمثل العقبة التي تقف أمام توجهاته المناهضة للدين الإسلامي (نجاتي ، ٢٠٠٨ ، ص ٥٥) (Najati, 2008, p. 55).

لقد عد رجال الدين الإجراءات التي أصدرها الشاه بخصوص منع الحجاب منافية للتعاليم والمبادئ الإسلامية، فبدأت المواجهة بينه والمؤسسة الدينية ، فأخذت أبعادا تمثلت أولا بالاستياء والاحتجاج. فقد احتج الخطباء ورجال الدين في خطبهم وبشكل مستمر في المساجد على تلك القرارات، مما أثار الشاه، وأوعز الى الجيش لمنع ذلك بالقوة، فمن ذلك على سبيل المثال، قيام مجموعة من جنود الشاه والفرسان بمحاصرة جامع (جوهر شاه) وتطورت الأحداث الى صدام بين قوة الحصار والمصلين، قتل على أثرها ٣٢ شخصا من الطرفين، ثم تحولت الى مصادمات عنيفة ومظاهرات دامية، ذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى (البكاء، ٢٠٠١ ، ص ٢٧) (Albakaa, 2001, p. 274)، تفجر هذا الاستياء بين عامي (١٩٣٥-١٩٣٩)، ففي ٥ تموز ١٩٣٥ الذي صادف ذكرى القصف الروسي لمسجد مشهد عام ١٩١١ استغل خطيب الجامع هذه الذكرى المؤثرة لنبذ (الحكم الضال)، والشكوى من الضرائب المرتفعة، والانحراف في شتى مرافق الدولة وأجهزتها ، وفي اليوم التالي اجتمعت أعداد كبيرة من الناس وسارت نحو الجامع هاتفة بشعارات معادية للنظام البهلوي، ونعته ب (الشاه الشرير). وقد أوعزت السلطات الى الشرطة المدنية بتفريق الجموع التي اجتمعت بالمسجد، لكن الشرطة رفضت تدنيس حرمة المسجد، وقد استمر الوضع متوترا مدة يومين، لم تستطع السلطات خلالهما معالجة الموقف، وفي اليوم الثالث وصلت تعزيزات عسكرية من أذربيجان. وفي المواجهة التي وقعت بين الطرفين قتل أكثر من مائتي شخص كان من بينهم عدد من النساء والأطفال، وجرح أكثر من مائتي آخرين. وبعد ذلك اعدم سدنة المسجد، فضلا عن إعدام ثلاثة من الذين رفضوا ضرب الجموع بالنار، فكان القرار منع الحجاب الصادر في شباط ١٩٣٦ دورا في خلق حالة من العداء بين المؤسسة الدينية والشاه (احمد يونس زويد، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٧-١٩٥) (Ahmed Yunus Zuwaid, 2009, p. 197-195).

ب- إحدات تغييرات في قوانين الزواج والطلاق :

في عام ١٩٣٥ أسست الأميرة شمس بهلوي أول النوادي النسائية ، وأول فرق البنات الكشفية. وفي السنة ذاتها أصدرت الحكومة الايرانية قانونا جديدا للزواج رفع الحد الأدنى السن الفتيات المرشحات للحياة الزوجية الى الخامسة عشرة، وثمانية عشر عاما للفتى. ومنح المرأة حق الطلاق اذا مارغب بعلها في الزواج من امرأة أخرى ضمن شروط محددة وحظر على الرجل تعدد الزوجات، وبغية التشجيع على الزواج، سن قانون حتم على كل موظف في الدولة الزواج خلال مدة معينة حددها القانون أو ترك الخدمة الوظيفية في الدولة. كما اوجب القانون تسجيل جميع عقود الزواج الدائمة والمؤقتة لدى المحاكم المدنية التابعة لوزارة العدل، وعلى أية حال استمر القانون بالنظر إلى الرجل على انه متقدم على المرأة من خلال عدة نقاط، فالرجال كان لهم حق تزوج أربع نساء وحق الطلاق متى شاءوا ، والرجل هو المسؤول القانوني للعائلة ، ويتمتع بحقوق وراثية أكبر. والى جانب ذلك بقيت المرأة محرومة من التصويت ومن ترشيح نفسها في الانتخابات العامة (اروند ابراهيميان، ١٩٨٣، ص ٢٠٠) (Arvand Ebrahimian, 1983, p. 200).

ج- تعليم المرأة الإيرانية :

لقد شجع رضا شاه التعليم النسوي، بيد أن العقبة الرئيسية التي واجهته في هذا المجال، هي الافتقار إلى الكوادر التعليمية المؤهلة للقيام بهذه المهمة، فضلا عن النظرة الاجتماعية السائدة تجاه هذا النوع من التعليم، فبحسب الإحصائيات الرسمية لعام ١٩٣٢-١٩٣٣، كانت المدارس المخصصة لتعليم الإناث لا تتجاوز عدد أصابع اليد، وأغلبها مدارس خاصة أنشأت من قبل بعض العناصر الليبرالية. وارتفعت هذه النسبة نتيجة للدعم الحكومي لها، غير أن لا تغير ملحوظ طرأ على نسبة المتعلمات بين الإناث إلا بعد منتصف الثلاثينات، عندما افتتحت مدارس ومعاهد حكومية عدة في العاصمة وبعض المدن الأخرى، وعند تأسيس جامعة طهران عام ١٩٣٤، شجع رضا شاه نشر التعليم العام في معظم المدن الإيرانية ، وحث الفتيات على ارتياد الكليات ومعاهد التعليم ، ومن جانب آخر تم تشجيع الرياضة البدنية والألعاب، فأنشأ عدد من الملاعب الحديثة في بعض المدن المهمة في إيران، وجعلت الحكومة اشتراك البنين والبنات في منظمات الكشفية والمرشدات شيئا إجباريا لتلقين الجيل الجديد بالروح الوطنية (احمد يونس زويد، المصدر السابق، ص ١٩٣) (Ahmed Yunus Zuwaid, previous source, pg. 193).

ويعد إدخال التعليم الإلزامي إلى النساء أيام حكم رضا شاه من أكثر التغيرات أهمية بالنسبة إلى دور المرأة . وعلى الرغم من إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية إلى هذا اليوم قد منعت جميع الفتيات الإيرانيات اللواتي بلغن سن المدرسة من تحصيل بعض التعليم ، فان القانون ساعد على انتشار المدارس الابتدائية والثانوية للفتيات في المناطق المتقدمة ، لاسيما في طهران . وقد أعقب هذا تزايد واسع في حضور النساء في المؤسسات الثقافية أو التعليمية العليا والجامعات في كل من إيران والخارج . ففي الخمسينات بدا دخول النساء في مجالات كالقانون والطب والهندسة تلك المجالات التي كانت مفتوحة للرجال فقط . وكان لذلك تأثير على المجتمع الإيراني . وبدأت النساء أيضا الدخول في القوة العاملة كعاملات ماهرات وغير ماهرات (رويشين ، المصدر السابق ، ص ٨٢) (Rubchin, previous source, p. 82).

وهكذا يتضح لنا إن العاهل البهلوي رضا شاه كان يطمح في بداية تسليمه الحكم إلى إجراء تغييرات جذرية في المجال الاجتماعي، ولاسيما إصلاحاته المتعلقة بتحرير المرأة وتعليمها والنهوض بالبلاد في مصاف الدول المتقدمة، إلا إن إجراءاته تلك اصطدمت بموقف المؤسسة الدينية التي كان لها ثقل كبير في المجتمع الإيراني ، إذ كان رجال الدين يعارضون بشكل عام التعليم الرسمي، ولاسيما التعليم النسوي لأنه يضر مصالحهم، بوصفهم أصحاب مدارس مستقلة عن سلطة الدولة ، ويتقاضون أجور لقاء هذا التعليم، الذي كان معظمه ديني، ولذا كانوا يصفون أي محاولة لفتح مدارس رسمية أو تحديث التعليم في إيران على أنه كفر وحرام واستمر ذلك طيلة الحقب التاريخية السابقة في إيران (أحمد يونس زويد، المصدر السابق، ص١٩٧) (Ahmed Younis Zuwaid, previous source, pg.197) فاستمرت حالة الصراع بين الطرفين، لم تنته إلا بزوال حكم الشاه رضا عام ١٩٦١ - المراكز والمؤسسات النسوية في إيران في عهد رضا شاه :

كانت الخطوة الأولى لحكومة رضا شاه في تحقيق أهدافها الرامية إلى الإطاحة بالمؤسسة الدينية ومن ثم إفراغ المجتمع الإيراني من قيمه ومبادئه الإسلامية هو قيامه بإنشاء المراكز والجمعيات التي تدعو إلى تحديث المجتمع الإيراني وجعله مجتمع يماثل المجتمعات الأوروبية ولعل من أبرز تلك الجمعيات هي:

١- الجمعية النسوية الوطنية : تشكلت هذه الجمعية في عام ١٩٢٣ (نجاتي ، المصدر السابق ، ص ٤٥) (Najati, the previous source, p. 45) من قبل السيدة محترم اسكندري ،

وذلك بواسطة الدعم الذي كانت تتلقاه من قبل الدولة ، والسيدة محترم هي ابنة الشاه محمد علي الاسكندري ، والتي كانت من الأعضاء الناشطين في حقوق المرأة ، حيث كانت تنشر إلى جانب بعض النسوة العديد من المقالات التي تتبنى حقوق المرأة في إيران ، والجمعية المذكورة كانت تنفذ السياسة الثقافية لحكومة رضا شاه من خلال ما تنشره من مقالات في مجلة (النساء الوطنيات) وما تلقيه من محاضرات في الأوساط النسوية ، ومجالس الأمهات والمدارس التي تعقد بصورة دورية في المدارس .

٢- جمعية التمدن النسوي : سعت هذه الجمعية في ٨ حزيران ١٩٢٩ وبحجة (رفع المستوى الثقافي للمرأة والنهوض بشخصيتها) إلى عرض مسرحية تسمى (التمدن النسوي) والتي تهدف إلى إشاعة ثقافة الاختلاط بين الجنسين، ودعوتهم إلى السفر والتحرر من القيود الاجتماعية، وما إن انتشر هذا الخبر حتى انبرى لفييف من علماء الدين في طهران ومنهم أية الله السيد حسن المدرس وأية الله الفيروز آبادي وغيرهم من العلماء فبعثوا برسالة إلى رئيس الوزراء طالبوا فيها بالحيلولة دون عرض هذه المسرحية .

٣- المركز النسوي : قام وزير المعارف علي اصغر حكمت وبأمر من رضا شاه بتاريخ ١٣/نيسان /١٩٣٠ بدعوة عدد من النسوة في القطاع التعليمي إلى مبنى دار المعلمات لتأسيس مركز ثقافي يحظى بدعم الحكومة، ويكون السباق في تحرير المرأة الإيرانية وقد نص النظام الداخلي على أن تسند إلى شمس بهلوي رئاسة هذا المركز (المصدر نفسه، ص٤٦) (Same source, p.46).

الخاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١-إن المرأة الإيرانية بالرغم من الواقع المرير الذي كان يحيط بها في ظل الحكم القاجاري من فقر وجهل، إلا أنها كانت تتحين الفرصة للتعبير عن مواقفها إزاء القضايا السياسية والاقتصادية خاصة. ٢-يمكن ملاحظة التأثير الديني الكبير لرجال الدين في العهد القاجاري في المجتمع الإيراني عامة وفي واقع حياة المرأة الإيرانية خاصة مقارنة بالتأثير نفسه في عهد رضا شاه بهلوي الذي عمد إلى تحجيم دور المؤسسة الدينية في المجتمع الإيراني.

٣- لم يسعى الحاكم القاجاريين وحتى زوال حكمهم جهوداً جديّة بدعم المرأة الإيرانية وفتح أبواب التقديم أمامها على كل الأصعدة، مقارنة بالتغيير الجذري والسريع الذي شهدته تلك المرأة منذ بدء عهد الحكم البهلوي، فكان من أساسيات سياسة التغريب التي اتبعتها رضا شاه فور وصوله السدة الحكم عام ١٩٢٠ هو إحداث انقلاب في واقع المرأة الإيرانية ابتداءً من منعها من ارتداء الحجاب ونشر التعليم بشكل واسع، فضلاً عن منحها حقوق دستورية وقانونية في الجانب السياسي والاجتماعي سيما في قضايا الزواج والطلاق.

٤- أسهمت التشريعات التي انتهجها رضا شاه بهلوي بخلق جيل جديد من النساء الإيرانيات يتمتع بكل مقومات قوة الشخصية والانفتاح والتحرر مقارنة بواقع الجيل الذي عاش في ظل الحكم القاجاري. ٥- كان لسياسة التغريب والتحديث التي اتبعتها رضا شاه فيما يخص المرأة الإيرانية بداية للتقاطع بين نظام الحكم في العهد البهلوي وبين المؤسسة الدينية ذلك التقاطع الذي أخذ بالاتساع فيما بعد وكان إحدى نقاط ضعف ذلك الحكم.

٦- على الرغم من كل محاولات رضا شاه سن قوانين لصالح تحديث واقع المرأة الإيرانية إلا أنها بقيت تعاني من حرمانها من حق الانتخاب حتى نهاية حكمه.

٧- تعد مدة حكم رضا شاه بمثابة نقطة تحول في حياة المرأة الإيرانية بعد سنوات طويل لم يكن للمرأة إلا الأدوار المساندة والداعمة، وهذا دليل على أن تغيير أي مجتمع يبدأ من المرأة أولاً.

٨- مما يحسب للمرأة الإيرانية أنها كانت رافضة لأي شكل من أشكال التغلغل الأجنبي اقتصادية كان أو عسكرية أو سياسية، وفي ظل الحكم القاجاري الرجعي أو البهلوي العلماني.

قائمة المصادر:

أولاً- قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

أ- الكتب باللغة الفارسية:

١. إسماعيل رائين، حقوق بكيران انجليس در إيران، تهران، ١٣٧٧.
٢. علي أكبر دهخدا، لغت نامه، مؤسسة النشر، جامعة طهران، ١٣٣٧.
٣. محمد حسن الهروي الخرساني، تاريخ بيداش مشروطيت، إيران، مشهد، ١٩٥٣.

٤. محمد علي همايون كاتوزيان، اقتصاد سياسي إيران از مشروطيت نابايان سلسله بهلوي، ترجمة: محمد رضا نفسيتي ، كامبيتري عزيزي، جاب بهارم، تهران، نشر مركز تهران، ١٣٧٣ش.
٥. مورغان شوستر، اختاف إيران، ترجمة: أبو الحسن موسوي، تصحيح وحواشي ومقدمة غرامز لاکر وإسماعيل رائين، تهران، ١٣٥١.

ب- الكتب باللغة الانكليزية:

Sharon h sievers, Flowers in salt, (Stanford, 1983). Brown E.G, The Persian Revolution of 1905-1909, London, 1966.

ثانيا- قائمة المصادر باللغة العربية والمعربة:

١. إبراهيم الدسوقي شتا ، الثورة الإيرانية الجذور والايديولوجية، القاهرة ، مطبعة الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٨.
٢. إبراهيم خليل أحمد ، وآخرون ، إيران وتركيا ، الموصل ، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩٢.
٣. احمد شاکر عبد العلق، إيران في عهد احمد شاه ١٩٠٩-١٩٢٥م دراسة تاريخية في التطورات السياسية الداخلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٨ .
٤. احمد مهابة ، إيران بين التاج والعمامة ، ط ١ ، القاهرة ، دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩ .
٥. أحمد يونس زويد الجشعمي، حسن وثوق الدولة ودوره السياسي في إيران ١٩٠٠-١٩٢٠، "جامعة بابل للعلوم الإنسانية" مجلة، المجلد ٢٤، العدد ٣، ٢٠١٩؟
- ٦- احمد يونس زويد و نعيم جاسم محمد ، أوضاع المرأة الإيرانية في ظل إصلاحات رضا شاه بهلوي وموقف المؤسسة الدينية (١٩٢٠ - ١٩٦١)، " آداب البصرة "، مجلة جامعة البصرة ، العدد ٣٩ ، السنة ٢٠٠٩.
- ٧- اروندي ابراهيميان ، إيران بين ثورتين ، لندن ، مطبعة جامعة برنستون ، ١٩٨٣ .
٨. آمال السبكي ، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (١٩٠٩-١٩٧٩)، مجلة عطاء المعرفة ، السلسلة ٢٥٠ ، الكويت ١٩٩٩ .

المرأة وأثرها في العهد القاجاري

٩. أمل حمادة، الخبرة الإيرانية الانتقال من الثورة إلى الدولة ، ط١، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠٠٨.
١٠. بديع جمعة وأحمد الخولي، تاريخ الصفويين، وحضارتهم، ج١، ط١، القاهرة ، دار الرائد العربي، ١٩٧٩.
١١. ج . ج . لورمير ، دليل الخليج العربي ، القسم التاريخي ، ترجمة مكتب حضرة صاحب السمو في دولة قطر، ج٥ ، الدوحة ، د.ت .
١٢. جاك ميكلوس، الشخصية الإيرانية ومكوناتها ، ترجمة: مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٥.
١٣. جهاد صالح العمر واسعد محمد زيدان ، إيران في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥ - ١٩٦١ ، جامعة البصرة ، مركز الدراسات الإيرانية، ١٩٩٠.
١٤. حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلى نهاية الدولة القاجارية)، مج٣، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٨.
١٥. خليل علي مراد، المجلس البرلمان والملكية في إيران ١٩٣٥-١٩٤١، "دراسات إيرانية" مجلة، البصرة، العدد ١٩، ١٩٩٣.
١٦. دونالد ولبر ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، ١٩٨٥.
١٧. زهير بيطار ، المرأة والحجاب بين الإسلام والغرب، "نور الإسلام" مجلة، العدد ٣٠، السنة الثالثة ، ١٩٩٢
١٨. شاهين مكاريوس، تاريخ إيران، القاهرة ، مطبعة المقتطف، ١٨٩٨ م .
١٩. صباح كريم رياح الفتلاوي ، إيران في عهد محمد علي شاه ١٩٠٧ - ١٩٠٩ دراسة تاريخية للتطورات السياسية الداخلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٣ . ٢٠. طالب محبيس حسن الوائلي ، إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول ١٥٠٩-١٥٣٠ هـ/ ١٥٠١ - ١٥٢٩ م، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.
٢١. طاهر خلف البكاء ، إيران في المرحلة الأولى من حكم رضا بهلوي (١٩٢٠ - ١٩٣٩) كلية التربية" مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الخامس ، ٢٠٠١.
٢٢. طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران ١٩٦١-١٩٥١، بغداد، ٢٠٠٢.

٢٣. عاصم حاكم عباس الجبوري ، الإرساليات المسيحية في إيران خلال العهد القاجاري ١٧٩٥-١٩٢٠، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، ٢٠٠٨ .
٢٤. عبد الرزاق الحسني، البايون والبهائيون حاضرم وماضيهم ، بغداد، ١٩٨٣ .
٢٥. عبد السلام عبد العزيز فهمي ، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين، مطبعة المركز النموذجي بالحيزة، القاهرة، ١٩٧٣ .
٢٦. علاء حسين الرهيمي، عدي محمد كاظم، قوانين انتخاب مجلس الشورى الوطني الإيراني ١٩٠٩-١٩١١، التأسيس والتطور)، " مركز بابل للدراسات الإنسانية "مجلة، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠١٣ .
٢٧. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ٢، ط ٢، بيروت ، مطبعة دار الراشد .
٢٨. علي جواد كاظم ، إيران في عهد ناصر الدين شاه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية التربية ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٣ .
٢٩. علي حمزة عثمان، العلاقات التجارية بين العراق وتركيا ١٩٢٩، ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩، ص ٥٠ .
- ثالثا - شبكة الإنترنت:

1.

1-WWW.SAOWT.Com.

2-WWW.WIKIPEDIA.COM.

3- WWW.WIKIPEDIA.COM

٤- محمد علي آذرش، واقع العلاقات العربية - الإيرانية، في اطار العالم الاسلامي، ص ٦، بحث منشور على الموقع:

HYPERLINK "http://www.Darislam.com" www.Darislam.com

٥- محاضرة القاها الدكتور عاصم حاكم على طلبة الدكتوراه في كلية التربية جامعة القادسية بتاريخ .. ٢٣/كانون الأول/٢٠١٢ .

References

- 1.'iibrahim aldasuqiu shataa, althawrat al'iiraniat aljudhur walaydulwjit, alqahiratu, mutbaeat alzuhara' lil'ielam alearabii, 1988.
- 2.'iibrahim khalil 'ahmad, wakharuna, fliran watarkia, almusil, mutbaeat jamieat almawsil, 1992.
- 3.'ahmad shakir eabd alealaq, "iiran fi eahd 'ahmad shah 1909-1925m dirasatan tarikhiatan fi altatawurat alsiyasiat aldaakhiliati, risalat majstayr ghyr manshurati, kuliyyat aladabi, jamieat alkawfati, 2008.
- 4.'ahmad mahabat, 'iiran bayn_altaaj waleimamati, t 1, alqahirat, dar alhuriyat liltabaeat walnashr waltawziei, 1989.
- 5.'ahmad yunis zawid aljasheami, hasan wuthuq aldawlat wadawruh alsiyasiu fi 'iiran 1905-1920, "jameat babil lileulum al'iinsaniat", almujalid 24, aleadad 3, 2016?
- 6.(1925 - 1941), "adab albasra", majalat jamieat albisrat, aleadad 39, alsanat 2009, s.
- 7.arwund abrahimian, 'iiran bayn thawratayni, linadn, mutabaeat jamieatan birinstiwn, 1983.
- 8.amal alsabki, tarikh 'iiran alsiyasii bayn thawratayn (1906-1979), majalat eata' almuerifati, alsalisilat 250, alkuayt 1999.
- 9.'amal himaadata, alkhibrat al'iiraniat alaintiqal min althawrat 'iilaa aldawlat, t 1, bayrutu, alshabakat alearabiat lil'abhath walnushri, 2008.
- 10.badie jumeat wa'ahmad alkhwly, tarikh alsafwiin, wahadaratihim, j 1, t. 1, alqahirati, dar alrayid alearabi, 1976.
- 11.11- ja. j. , tarjmt: hadanat sahib alsumuww fi dawlat qatar, j 5, aldawhat, da.t.
- 12.baghdad mikluis, alshakhsiat al'iiraniat wamukawanatuha, tarjmt: markaz albihwth walmaelumati, bigha dadin, 1985.
- 13.jhad salih aleumr waisead muhamad zaydan, 'iiran fi eahd rida shah bahlawi 1925 - 1941, jamieat albasrat, markaz aldirasat alairaniat, 1990.
- 14.khalayl ealia marad, almajlis (albarlaman) walmilkiat fi 'iiran 1935-1941, "drasaat ayraniat" mijlat, albasrat, aleadad 19, 1993.
- 15.dawnald walabr, 'iiran madiha wahadirih, tarjamat eabd alnaeim muhamad hasanayn, alqahirat, dar alkitab almisri, 1985.
- 16.zahir baytar, almar'at walhijab bayn al'islam walgharbi, "nur al'islam" mijlat, aleadad 30, alsanat althaalithat, 1992.
- 17.shahin mkaryws, tarikh ayran, alqahirati, mutbaeat almuqtatifi, 1898 m.
- 18.'iibrahim eabd alfattah eabd allah, muhamad eabd alfataah, 1909 dirasatan tarikhiatan liltatawurat alsiyasiat aldaakhiliati, risalat majstir, manshurati, kuliyyat alaidaab, jamieat alkawfati, 2003.

- 19.talab muhibis hasan alwayili, 'iiran fi eahd alshah 'iismaeil al'awal 609-630h / 1501- 1524 m, 'atrawhat dukturah ghyr manshurati, kuliyyat aladabi, jamieat bighdad, 2007.
- 20.(1925- 1939) "kليات altarbiat" mijlata, aljamieat almustansariat, aleadad alkhamis, 2001.
- 21.tahir khalf albaka', altatawurat alddakhiliat fi 'iiran 1941-1951, bighdad, 2002.
- 22.easim hakim eabbas aljuburi, al'iirsaliaat almasihiat fi 'iiran khilal aleahd alqajarii 1795-1925, atiuhat dukturah ghyr manshurati, kuliyyat altarbiat, jamieat alqadsiat, 2008.
- 23.baghdad, 1983. eabd alrazzaq alhsny, albabiuwn walbihayiyuwn hadiruhum wamadihim.
- 24.eabd alsalam eabd aleaziz fahami, tarikh 'liran alsiyasii fi alqarn aleishrina, mutabaeat almarkaz alnamudhajii bialjayzat, alqahirat, 1973.
- 25.eala' husayn alrahimi, euday muhamad kazim, qawanin aintikhab majlis alshuwraa alwatanii al'iirani 1906-1911, (altaasis walttwra), "mrakaz babil lildirasat alainsaniat", almajalid 3, aleadad 2, 2013.
- 26.eali alwardi, lamahat aijtimaieat min tarikh aleiraq alhadith, j 2, t 2, bayrut, mutbaeat dar alraashid, 2005.
- 27.eali jawad kazm, 'iiran fi eahd nasir aldiyn shaha, risalat majsatayr ghyr manshurati, jamieat babil, kuliyyat altarbiati, 2008, s 23.
- 28.eali hamzat eithman, alealaqat altijariat bayn aleiraq waturkia 1926, 1958, risalat majstyr ghyr manshurati, kuliyyat aladab, jamieat almawsil, 2004, s 50. 29."ebud alkawfat" mijlat, mujalad 1, aleadad 15, 2013.
- 30.ghulam ridaan najati, alttarikh al'iiraniu almueasir fi aleasr albahlawii, tarjamat eabd alrahim alhamrani, t 1, qum, mutbaeat satar, 2008.
- 31.fatimat alhimadi, altayarat alsiyasiiat fi ayran, almarkaz alearabii, bayruut, 2012.
- 32.faridun hawayda, suqut alshaahi, tarjamat 'ahmad eabd alqadir alshadhili, alqahirat, mutbaeat madbuli, 1993.

صيانة وترميم لوح حجري إسلامي من العصر العثماني المتأخر

سعد احمد عبد مصطفى

أ.د عبد الرحيم حنون عطية

جامعة ميسان / كلية التربية

صيانة وترميم لوح حجري إسلامي من العصر العثماني المتأخر^(١)

سعد احمد عبد مصطفى

أ.د عبد الرحيم حنون عطية

الملخص

ان الطبيعة غنية بكثير من أنواع الصخور والأحجار التي استغلها الإنسان في جميع العصور كمصدر من مصادر مواد البناء، او في استخدامات اخرى، لصنع كثير من الأدوات والأواني والتماثيل، وأصبحت مادة مطاوعة التشكيل بالرغم مما يبدو عليها من صلابة، فأمكن بها التحكم في عمل العقود المتنوعة والمسلات والأعمدة، باستخدام المطارق والأزاميل. ولان الأحجار مسامية بطبيعتها، فقد أصبحت عرضة لتسرب الأملاح داخلها سواء أثناء حالتها الصخرية أو بعد قطعها وبناءها. وأثناء خروج تلك الاملاح منها بسبب الجفاف وارتفاع درجات الحرارة عند سطوحها، تصبح على شكل تزهرات متبلورة أو بلورات دقيقة تعمل على تفتيت سطوحها وتدمير تماسك حبيباتها. وهي تتعرض الى عوامل التلف البيولوجية، والفيزيائية والكيميائية، والبشرية.

الكلمات المفتاحية: صيانة، ترميم، تنظيف، تقوية، لصق، توثيق، ملء الفراغات، لوح

Conservation and restoration of an Islamic stone slab from the late Ottoman period

Saad Ahmed Abed
Master student
College of Archeology

Prof.Dr. Abdel Rahim Hanoun Attia
University of Maysan
College of Education

Abstract

Nature is rich in many types of rocks and stones that man has exploited in all ages as a source of building materials, or in other uses, to make many tools, utensils and statues. Obelisks and columns, using hammers and chisels.

And because the stones are porous in nature, they have become prone to the intrusion of salts inside them, whether during their rocky condition or after they were cut and built. During the exit of those salts due to drought and high temperatures at their surfaces, they become in the form of crystallized blooms or minute crystals that break their surfaces and destroy the cohesion of their

granules. They are exposed to biological, physical, chemical, and human damage factors.

Keywords: Conservation, Restoration, Cleaning, Strengthening, glue, documenting, filling, Slab

مقدمة

يعد هذا اللوح من اللوح التذكارية والتي تسمى (التأرخة بالشعر) أي ان المبنى يؤرخ من خلال الشعر، كونه يحتوي على نص كتابي شعري، شُغلت ارضيته بأكثر من عشرة أسطر بخط الثلث (الطائي، ٢٠١١، ص ٤)، على طريقة الخطاط البغدادي الشهير علي بن هلال المعروف بابن البواب. (عبد الرحمن، ٢٠٢٠، ص ١).

وتتميز طريقته بغلظ الاليفات وترويسها الكبير، مع انتهاء حرف الالف بتشعيرة صغيرة وقد نفذت الكتابة على سطح الحجر بأسلوب الحفر الغائر. (الجميلي، ٢٠٠٧، ص ١٠٤).

ان هذا اللوح الحجري مستطيل الشكل، من حجر الجبسوم Gypsum، وان من اهم مقالع هذا النوع من الأحجار الذي استخدمه الملوك الاشوريين في نحت التيران المجنحة هو مقلع مدينة اسكي موصل (الجعيفري، ٢٠٠٧، ص ٣) (بلاطو الاشورية) (Lukenbill, 1924, P.108) واللوحة غير كامل واجزاءه المفقودة غير معلومة بشكل دقيق وذلك بسبب عدم وجود شيء واضح يحدد طوله الحقيقي ولا توجد أي معلومات حول مكان المعثر. (صورة رقم ١)



صورة رقم (١) اللوح الحجري قبل الترميم

المصدر / تصوير الباحث

بعد توثيق اللوح الحجري في مختبر الترميم التابع لمتحف الموصل الحضاري، وأجراء الفحص الدقيق عليه قبل القيام بأية خطوة من مراحل الترميم، تبين مايلي:

أ_ وجود اترية واتساخات وقليل من التراكمات على سطح الحجر.

ب_ سطح اللوح عليه طلاء بصبغة من أنواع الصبغات الدهنية التي تستخدم في طلاء الجدران.

ت_ اللوح مكسور الى نصفين، أحدهما أكبر من الآخر.

ث_ وجود فقدان في أجزاء اللوح.

ج _ هناك اثار خدش على سطح اللوح.

ح _ وجود فقدان لبعض الحروف من النص الكتابي.

خ _ في واجهة اللوح هناك رقم متحفي، ولكن يجب عدم كتابة أي شيء في الواجهة لأنها تعد تشويه للأثر.

وقد قمنا بعمل استمارة خاصة تستخدم في اعمال توثيق القطع الاثرية قبل الترميم، تحتوي على معلومات مهمة، ويطلق عليها تحديد هوية القطعة، وتعرف على الصعيد الدولي **Object ID**. (عزت، ٢٠١٥، ص ٢)

استمارة معلومات **Object ID**

١_ نوع القطعة **Object Type**: حجر

٢_ مادة الصنع **Material**: حجر الجبسوم Gypsum Stone

٣_ تقنية الصنع **Technique**: نحت

٤_ الأبعاد **Dimension**: الطول ٥٥ سم / العرض ٤٨ سم / السمك ٦ سم / الوزن ٧٢ كغم

٥_ تاريخ الأثر **Period**: العصر العثماني المتأخر

٦_ الرقم المتحفي **Museum Number**: ١٩٣٥٥٧ م ع (المتحف العراقي)

٧_ النقوش او الكتابات **Inscription**: نص كتابي عربي بخط الثلث

٨_ العنوان **Title**: لوح حجري تذكاري

٩_ هل القطعة مرممة سابقاً: كلا

١٠_ هل يوجد تلف او ضرر: نعم

١١_ اسم الصانع **Maker**: لا يوجد

١٢_ اسم مسجل الاستمارة: سعد احمد عبد / مرمم اثار

قراءة النص:

يعد هذا النص من النصوص الشعرية التذكارية غير المدروسة، يمثل ثمانية أسطر، ولكن هو أكثر من ذلك، وبسبب فقدان لا نعرف عددها بالضبط، والنص مرتب في هذا اللوح على شكل سطر أسفل سطر اخر.

وكما هو معروف في الأصل فان الكتابة تمثل بيتين من الشعر من البحر الطويل، فالسطر الأول والثاني يمثل بيتاً واحداً وهكذا البقية، الا ان الكاتب تعمد بجعل الشطر الثاني لكل بيت تحت الشطر الأول بحيث يخال لغير المتخصص بان الكتابة تتكون مثلاً من عشرة ابیات شعرية. (الجميل، ٢٠٠٧، ص ٥٢)

وكانت قراءة الابيات الشعرية كالآتي:

.... السيد بكر لمسجدا
... ب نعم الله يسبغا وافيا
.... ة من ربه ان يعطيه
... في جنان الخلد فصبرا عليا
فليطب نفسا فمن وقولا
خير كان الله عنه راضيا
حقق الله له اماله
يوم يأتي العبد فيه عاريا

ويجدر الإشارة الى ان السطر الأخير من النص مفقود، ولا يعطي لنا معنى وافي وهو الذي فيه تاريخ النص بالسنين، اضافةً الى ان اللوح قد طلي بطلاء الصبغ الدهني او ما يسمى (البويا) (الرفاعي، ٢٠١٤، ص ٢).

ويتضح لنا من خلال التحليل ان نوع الخط المستخدم وأسلوب الخطاط الذي خطه، بان هذا اللوح الحجري التذكاري يعود للفترة العثمانية المتأخرة المحصورة ما بين (١٨٧٠-١٨٩٠م) ومن المرجح ان يكون الخطاط الذي خطه هو (ملا عبد) (الجميل، ٢٠٠٤، ص ١) الذي اشتهر في هذه الفترة في الكتابة على الحجر وخاصة في مساجد الموصل القديمة.

التوثيق Documentation

ان التوثيق هو اول مراحل عملية الصيانة والترميم، ويقصد بالتوثيق الحصول على كافة المعلومات الثابتة والمتاحة والمتعلقة بالقطعة الاثرية من خلال تسجيلها وتوثيقها، ويشمل ذلك (خصائصها الطبيعية _ تاريخها اوصافها _ ابعادها اشكال الزخارف او الكتابات التي تحتويها والمشاكل التي تعاني منها وكيفية معالجة تلك المشاكل). وينبغي وجود مواكبة بين الدراسة (التطبيقية) وتسجيل المعلومات وتوثيقها على ان يتم هذا العمل بأحدث الطرق التقنية التي من

شأنها خلق منهجية علمية ثابتة وتطوير البحث العلمي لخدمة علم الصيانة والترميم، وهذا ما يعرف بإدارة البيانات الرقمية Digital Data Management. (عزت، ٢٠١٥، ص ١)

ويعد التوثيق والتسجيل العلمي اول مراحل الترميم، فهو خطوة مهمة تسبق غيرها من المراحل، اذ يتم تسجيل كل ما يتعلق بالقطعة الاثرية المراد ترميمها، من بداية تاريخها وحالتها التي هي عليها وعوامل التلف التي اصابتها ان وجدت، وهذا التوثيق العلمي سوف يساعد المرمم في كافة اعماله التي يقوم بها. (عزت، ٢٠١٥، ص ٢)

وان التصوير الفوتوغرافي Photography من اهم أساليب توثيق عمليات الترميم بالصورة الفوتوغرافية لا تخدع البصر، ولا يوجد شيء قادر على اضعافها، وأصبح التصوير الفوتوغرافي مهم في دراسة التاريخ، فهي احدى الوثائق التاريخية المهمة. (Joan M. Schwartz,1996.) P.16

لقد بدأ التوثيق الاولي للعيونة في متحف الموصل، اذ تم اخذ صور فوتوغرافية لها من اجل معرفة حالتها كيف كانت قبل اجراء أي عملية صيانة عليها، وهذا اللوح بالأصل لم يكن معروضاً بالقاعة الإسلامية في المتحف، انما في الأصل كان في مخزن الاثار.

عوامل التلف

تتعرض الحجارة للعديد من أنواع التلف، ويعتبر فقدان تماسك عناصرها الفلزية من اهم الأسباب التي تؤدي إلى ضياع المادة الأصلية، وضياع معطيات أثرية وفنية من سطح الحجارة الأثرية خاصة التي تحمل كتابات أو نقوش. (بدر الدين، ٢٠١٤، ص ٧)

عوامل التلف التي تم تشخيصها على اللوح الحجري

أ_ **تلف كيميائي Chemical Deterioration**: ان عوامل التلف الكيميائية كثيرة جدا ولكن من خلال التشخيص للقطعة الاثرية تبين بان من اهم أسباب التلف الكيميائي الاملاح القابلة للذوبان، حيث تم اجراء اختبار عليها فتبين قابلية ذوبانها بالماء، وان وجود هذه الاملاح سوف يؤدي الى حدوث تفاعلات كيميائية ما بينها وبين جزيئات وحببيبات الحجر من خلال مساماته. (Doehne and Clifford,2010, P.15)

ب_ تلف فيزيائي **physical Deterioration**: وتتمثل بالارتفاع والانخفاض لدرجات الحرارة Temperature والرطوبة النسبية Relative humidity في مبنى متحف الموصل، والسبب هو عدم وجود نظام التكييف المركزي، كون المتحف متضرر نتيجة الاعمال العسكرية. وان هذين العاملين لهما تأثير بارز على الاثار الحجرية لاسيما حجر الجبسوم Gypsum، والرخام Marble فالرطوبة هنا تكون اما على شكل سائل او بخار يحمله الهواء. وان عدم السيطرة على الرطوبة النسبية فسوف يؤدي ذلك الى تغلغلها الى مسامات الحجر وبالتالي فقدان تماسك اجزائه، لأنه سوف يبدأ بالتفكك. (حسام الدين، ٢٠١٧، ص ٣) وبناء على ذلك فقد لوحظ وجود تفتت في بعض الأماكن منه.

ان التغييرات التي تحصل في درجات الحرارة ما بين ارتفاع وانخفاض دون وجود نظام سيطرة عليها تؤدي الى تلف الحجر، وهذا التلف يكون في حصول تمدد وتقلص للشبكة الداخلية للحجر وبالتالي حصول ضغط شديد بين الجزيئات، مما يؤدي الى ظهور شروخ. (حسام الدين، ٢٠١٧، ص ٣) وفعلاً تم تشخيص وجود شرخ في أحد الأجزاء من اللوح الحجري.

ج_ تلف بشري: **Human Deterioration** يعد هذا النوع من التلف، من أخطر الأنواع على القطع الاثرية بشكل خاص، والاثار بشكل عام، لما له من أثر واضح يتسبب في تدمير او تلف او ضرر الأثر، والتلف البشري متعدد الاشكال والانواع، والتلف الحاصل على اللوح الحجري هو العمليات العسكرية التي تعرضت لها مدينة الموصل عامة ومتحف الموصل خاصة، من عام ٢٠١٤ وحتى ٢٠١٧، اذ تعرضت قطع اثرية كثيرة داخل المتحف للتدمير بسبب ذلك ومن ضمنها هذا اللوح ، فهناك فقدان لعدة أجزاء منه لا يعرف مصيرها الى وقتنا الحالي ، مما أدى الى عدم وضوح المعنى الدقيق للنص الموجود عليه، وعدم معرفة مكانه الأصلي.

مرحلة تحليل اللوح بواسطة اشعة (XRD) XRAY Diffraction

ان تقنية حيود الاشعة السينية مستخدمة في تحديد او للتعرف على المركبات المتبلورة crystalline Substances في المادة الاثرية (Barbara,2007,P.229)، كما انها تستخدم للتعرف على المكونات المعدنية في الصخور والاحجار (ادم، ٢٠١٢، ص ١١٢). وهذه الطريقة

تتبعث أشعة سينية ويسمح لها بالمرور عبر العينة البلورية من خلال هذا الانحراف (Mahesh (KasthurbaMahesh,2021,P.10).

ان الاشعة السينية هي موجات كهرومغناطيسية مثل موجات الضوء ولكنها غير منظورة وهي تقع في منطقة الطيف الكهرومغناطيسي بين اشعة جاما (الروسان، ٢٠٢١، ص ١) والاشعة فوق البنفسجية، وحسب قانون **Bragg Law**، فان الاشعة السينية تتعكس من المستويات الذرية حيث استخدم هذا العالم طريقة سهلة لتفسير ظاهرة حيود الاشعة السينية وهو ملح الطعام NaCl. (عطية، ٢٠١٥، ص ٣٦١)

وأوضح Bragg في تجربته هذه، انه إذا ما سقطت الاشعة السينية على بلورة الملح، فان قسم صغير من الاشعة سوف ينعكس بزواوية تساوي زاوية السقوط، وعند مرور تلك الاشعة الساقطة من خلال البلورة ستتحرر الكترونات الذرات لتصبح مصدر ثانوي لموجات مشتتة لها نفس الطور والقانون هو: $N\lambda = 2d \sin \theta$

$$N = \text{عدد الموجات المنطلقة}$$

$$\lambda = \text{طول الموجة}$$

$$d = \text{المسافة بين سطحي البلورة}$$

$$\theta = \text{زاوية السقوط}$$

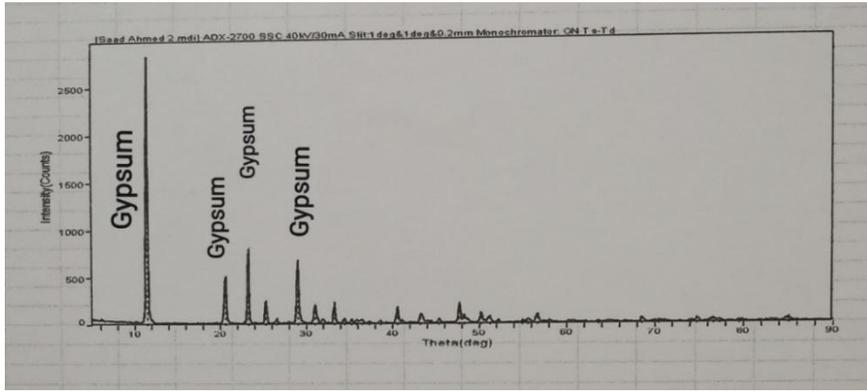
ومن خلال هذه المعادلة يمكن التعرف على قيمة (d)، لان هذه القيمة تميز الكثير من العناصر لان كل عنصر لديه مسافة معينة بين سطوح بلوراته. (عطية، ٢٠١٥، ص ٣٦٢)

ويمكن التعرف على المركبات الموجودة في المادة المراد تحليلها، بالرجوع الى الجداول القياسية للأشعة السينية.

نتائج التحليل:

تبين من دراسة وتحليل عينة حجر الجبسوم Gypsum Stone، بواسطة حيود الاشعة السينية XRD مايلي:

ان معدن الجبس هو المكون الأساسي لحجر الجبسوم موضوع الدراسة، وكانت نسبته في العينة ١٠٠%، والتي تم تحليلها بجهاز اشعة XRD، في مختبرات هيئة البحث والتطوير الصناعي التابعة لوزارة الصناعة والمعادن في العاصمة بغداد. (شكل رقم ١)



شكل رقم (١) تحليل عينة الدراسة (اللوح الحجري) بواسطة حيود الاشعة السينية XRD المصدر / مركز البحث والتطوير الصناعي / وزارة الصناعة والمعادن / بغداد

مرحلة التنظيف Cleaning

يعتبر تنظيف الحجر بكل أنواعه ضروري من الناحية الفنية من اجل عملية التقوية والمعالجة، حيث أن الأوساخ والتراكمات تعمل على تشويه الحجر من الناحية الجمالية وقد تؤدي إلى تشكيل طبقات تؤذي الحجر من ناحية أخرى. (القيسي، ١٩٨١، ص ٣٥٥)

ان عملية تنظيف اللوح الحجري مرّ بمرحلتين:

أ_ **التنظيف الميكانيكي (الجاف) Mechanical Cleaning**: تم استخدام التنظيف الجاف في اول الامر بسبب وجود الأتربة والأوساخ على اللوح، لان من الضروري جدا في هذه المرحلة من التنظيف أن يكون جافا، ولا يتم استخدام أية مواد سائلة، وتم استخدام فرش ناعمة جدا لإزالة الأتربة الدقيقة وبطريقة علمية غير عشوائية من الأعلى والى الأسفل (النقشبدي، ١٩٨١، ص ٢٥). (صورة رقم ٢)



صورة رقم (٢) تنظيف جاف بفرشاة ناعمة

المصدر / تصوير الباحث

وسبب استخدامها من اجل عدم خدش الحجر، إضافة إلى ذلك استخدام منفاخ يدوي **Hand Blower**، إضافة إلى استخدام اعواد خشبية **Stick Wood** من اجل إزالة الترسبات والتراكبات الموجودة على سطح الحجر، ويجب تجنب استخدام أدوات معدنية في تنظيف سطح الحجر كونها تؤدي إلى خدشه.

ب_ **التنظيف الرطب Wet Cleaning**: بعد الانتهاء من التنظيف الميكانيكي، بدأت مرحلة تنظيف سطح اللوح الحجري باستخدام مواد كيميائية سائلة منها الماء المقطر **Distilled Water**.

وطريقة التنظيف كانت بمراحل يتم تنظيف جزء ثم تنشيفه وتجفيفه بواسطة ورق تنشيف ذو امتصاص عالي، ويتم ذلك باستخدام اعواد الخشب مع القطن، وبعد ذلك تم استخدام كمادات **Poultices** (محمود، د ت، ص ٢) من الورق الياباني مع الماء المقطر لإزالة الأملاح حيث تعتمد هذه الفكرة على ذوبان الأملاح بالماء المقطر، حيث إنها تتجه إلى الكمادة بعد تبلورها عند الكمادة وبعد جفاف الكمادة يتم إزالتها واستبدالها. (Mustafa and Saadallah,2021,P.128) ومن مميزاتها سهولة ازلتها، وهي امنة كيميائياً، ففيها يتجنب استخدام كميات كبيرة من الماء او أي فعل يحتك بسطح الحجر، ولكن لا يمكن استخدامها مع الاسطح الهشة، اما فيما يتعلق باللون الموجود على سطح اللوح الحجري، فقد كان لنا رأي بإبقائه

وعدم ازالته. وسوف نتكلم عن جميع المواد التي تم استخدامها في عملية الترميم وكل مادة وحسب استخدامها والمرحلة التي استخدمت فيها.

الماء المقطر Distilled Water

يُطلق مصطلح الماء المقطر على الماء الذي تمت تنقيته من خلال غليه، حتى يصبح في الحالة الغازية، ثم يبرد ويتكاثف حتى يصبح سائلاً مرة أخرى، وصيغته الكيميائية H_2O أو H_2O . (محمود، د ت، ص ٦) ويعد الماء المقطر الخالي من الأملاح والمعادن من أفضل المواد الكيماوية والأكثر أماناً في تنظيف القطع الأثرية بشكل عام، ولكن يفضل أن يتبعها غسل سريع باستخدام أحد المذيبات العضوية مثل الكحول أو الأسيتون ليساعد على سرعة جفاف سطح الحجر قبل تغلغل الماء إلى داخل مساماته، والذي يؤدي إلى إذابة الأملاح الموجودة في تلك المسامات، ومن ثم نقلها لأماكن أخرى في الأثر وبالتالي تبلورها وتدميرها له.

مرحلة التقوية Consolidation

ان التقوية هي عبارة عن مواد مستخدمة في تقوية المادة الاثرية، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات وهي مواد غير عضوية ومواد عضوية مخلقة صناعياً ومواد سيليكونية. (Torraca 2005,P.87))

إن الخطوة التالية هي عملية تدعيم او تقوية بنية الحجر، وان أفضل اختيار للمواد المستخدمة هو البولييمر والسبب في ذلك لأنه اثبت نجاحه في علم الصيانة والترميم، وهو من المواد العضوية، ويتم تطبيقه كمحلول مخفف من أجل اختراق الشقوق في الحجر. وفي حالة تدهور سطح الحجر إلى قشور متعددة، وكان التنظيف مستحيلاً، يجب استخدام مواد التقوية المناسبة لتثبيت هذه القشور ولتقوية السطح الخارجي للأثر. ويمكن أن تؤدي النتيجة إلى نتائج عكسية، مما يؤدي في الواقع إلى زيادة تقشر الطبقات السطحية. لذلك من المهم أن يدرس القائمون على الترميم بعناية المواد الكيماوية التي يستخدمونها، حيث لا يمكن عكس العملية بالكامل، حتى لو كانت المواد الكيماوية المستخدمة قابلة للذوبان. فمن الأفضل إجراء اختبار على عينة صغيرة من المادة المراد حفظها من أجل اختيار أنسب المواد الكيماوية لاستخدامها في التقوية مع مراعاة حالة الحجر وخصائصه الطبيعية. (Mustafa and Saadallah,2021, (P.129)

اهم خصائص البوليمرات المستخدمة في التقوية كما يلي: (PODANY, 1995, P.343)

- ١_ ان تكون المادة المقوية شفافة، وان لا يتغير لونها في المستقبل.
 - ٢_ ان تكون مستقرة كيميائياً بحيث لا تتحلل بمرور الوقت.
 - ٣_ ان تكون مقاومة للأشعة فوق البنفسجية.
 - ٤_ ان تكون قابل للإزالة باستخدام المذيبات.
 - ٥_ يجب ان تكون آمنة في التعامل ولا تشكل أي خطر على صحة الإنسان.
- اما فيما يتعلق بعينة الدراسة (اللوح الحجري)، فقد كانت عملية تقويته مبنية على التشخيص الدقيق من خلال استخدام عدسات التكبير magnifying glass المستخدمة في مختبرات الترميم اذ تم العثور على شق crack رفيع جداً على سطح اللوح لا يرى بالعين المجردة، ففي بادئ الامر تم تنظيفه بدقة من الاتربة حتى يتم السماح للمادة المقوية بالتغلغل بانسيابية الى العمق والمنطقة الأخرى هي حافات الأثر ووسطه نتيجة فقدان أجزاء منه.

وبناءً على هذه المعطيات فقد تم استخدام نوعين من طرق التقوية للوح الحجري وكما يلي:

- ١_ طريقة الحقن Injection: تم استخدام هذه الطريقة مع الشق الموجود على سطح اللوح كونه رفيع جداً، ولا يمكن استخدام أية طريقة او أدوات أخرى، والمادة المقوية لا يمكن إدخالها بالشق الا من خلال استخدام السرنجة المستخدمة في الاعمال الطبية، ومن النوع صغير الحجم، لأنه كلما صَغُر حجمها كلما كانت الابرة رفيعة جداً، والنتائج تكون ممتازة اثناء الحقن. (صورة رقم ٣)



صورة رقم (٣) تقوية اللوح بطريقة الحقن

المصدر/ تصوير الباحث

والمادة التي تم استخدامها في تقوية سطح اللوح هي بارالويد (B-72) Paraloid والمادة المذيبة لها هي الاسيتون Acetone، حيث كانت النسبة المئوية لمادة التقوية هي (5%) أي تم تحضير (5) غم من البارالويد B-72 بواسطة ميزان الكتروني حساس يستخدمه أصحاب مهنة صاغة الذهب، يقابلها (95) مليلتر من الاسيتون.

٢_ **طريقة التنقيط Dotting:** لقد قمنا بهذه الطريقة من خلال استخدام فرشاة ناعمة ويتم وضع المادة المقوية على الجزء المراد تقويته، او من خلال استخدام أنبوب زجاجي له قابلية الامتصاص للمحلول، فيتم تنقيطه على الجزء المتضرر، اما بخصوص مادة التقوية فقد تم استخدام بارالويد B-72 ايضاً، وهذه الطريقة يتم استخدامها في المناطق المحددة من الأثر، وليس جميع اجزاءه.

ان من اهم اسباب استخدام مادة B-72 في تقوية حجر الجبسوم، كونها مجربة منذ فترة القرن الماضي، اضافةً الى اعتمادها في المعاهد الدولية المختصة في ترميم وصيانة والآثار وأثبتت جدارتها سواء في عمليات التقوية او اللصق. وسوف نتكلم عن تلك المواد التي تم استخدامها في **تقوية اللوح الحجري وكما يلي:**

أ_ **أكريلويد B-72:** ويطلق عليه في اوربا باسم بارالويد (Hamilton,1999,P.13)، يعد مادة جيدة لتقوية الأحجار والكثير من القطع الاثرية الأخرى اضافةً في استخدامه في لصق القطع الحجرية الصغيرة فقط. (Koob, 1986,P.7)

وقد تم استخدام B-72 لأكثر من (25) عامًا كمادة مقوية لمجموعة متنوعة من المواد الاثرية وأصبح شائعاً في الستينيات والسبعينيات في تقوية المواد الضعيفة والهشة، بما في ذلك الحجر. (Koob, 1993,P.113)

وسوف نتطرق الى تركيبه وخصائصه واذابته واستعمالاته وكما يلي: (لقمة، د ت، ص ١)

١_ **التركيب:** من أكثر راتنجات الاكريليك استخداماً في مجال الآثار، وهو ذو بلمرة مشتركة ويتكون من بولي ميثيل أكريليت، وبولي أيثيل ميثا أكريليت، يحصل عليه على شكل بلورات عديمة اللون يعرف في بعض الدول والولايات المتحدة الأمريكية باسم أكروليد Acrolid B-72.

٢_ **الخواص:** يتميز بالشفافية والمتانة والتماسك، بالإضافة الى القوة والثبات الكيميائي والمرونة درجة التحول الزجاجي له (Tg) هي ٤٠%، ونسبة الاستطالة عند تعرضه للضغط ٤٥%، لزوجته متوسطة، ومُعامل انعكاس عالي.

٣_ **الاذابة:** قابل للذوبان في التولوين Toluene والأسيتون Acetone، والإيثانول Ethanol والزيلين Xylene، ويفضل استخدامه مذاباً في خليط من الأسيتون والتولوين أو الأسيتون مع الإيثانول بنسبة ٤٠:٦٠ حتى نحصل على زمن جفاف مناسب.

٤_ **الاستخدام:** يستخدم كمادة مقوية [تركيز من ٢% إلى ٥%] أو كمادة لاصقة [تركيز من ١٥% إلى ٢٥-٥٠%] وكوسيط لاصق مع المواد المائلة بتركيز من ١٥% إلى ٢٥%. وكطلاء واقى يستخدم مخفف كمثبت في عمليات الترقيم للآثار.

ب_ **الاسيتون Acetone:** وهو عبارة عن مركب كيميائي عضوي يعرف بروبانون propanone او ثنائي ميثيل الكيتون، وهو ينتمي الى عائلة الكيتونات، وبعد الاسيتون أصغر مركب يمثلها، صيغته الكيميائية CH_3COCH_3 ، ويمتاز بشفافيته، وقابليته للاشتعال، درجة انصهاره هي ٩٦ درجة مئوية، وغلبيانه ٥٦ درجة مئوية. (Brown,2019,P.1) ان اهم استخدامات الاسيتون تكون كمذيب لراتجات الفينيل الاكريليك والورنيش والاحبار ومستحضرات التجميل، اضافةً الى استخدامه في تركيبه العديد من المركبات. (Brown,2019,P.1)

مرحلة الجمع واللصق Joining

ان العوامل التي تؤثر على اختيار المادة اللاصقة في ربط الاجزاء الحجرية هي حجم الحجر المراد ربطه، وحالة الكسر الموجود، ومدى تحمل اللاصق لفترات طويلة. (Gedye,) (Hodges, Oddy, 1973,P.30)

ويمكن تقسيم لصق الأحجار الى قسمين، القسم الأول متمثلة بالقطع الصغيرة فيكون لصقها بإحدى المواد الصمغية من مركبات الاكريليك Acrylic، والقسم الثاني هي القطع متوسطة الحجم والتماثيل الضخمة، فنستعمل في لصقها اصماغ ايبوكسية، اضافةً الى اوتاد من المعدن غير قابل للصدأ. (فضل الله، ٢٠٠٦، ص ٨٢)

وتعد عملية جمع ولصق أجزاء الأثر المرحلة شبه الأخيرة من عمليات الترميم للقطعة الأثرية، خاصة بعد اكمال جميع المراحل التي ذكرناها، حيث ان الترميم هو ليس فقط لصق أجزاء

مكسرة بعد جمعها وتصنيفها ومن ثم لصقها. انما هو برنامج علمي متكامل، وكل مرحلة لها ارتباط وثيق بالمرحلة التي قبلها او بعدها.

ويجب أن يتميز اللاصق بسهولة فصل أجزاء الجسم دون حصول أي تلف، وأن تكون المادة اللاصقة قوية بما يكفي لتثبيت الأجزاء المنفصلة معاً عند تعرضها للضغوط. (Horie,2010. P.111)

اما بخصوص عينة البحث، وبعد اكمال جميع المراحل الانفة الذكر، أصبح لابد من القيام بجمع القطعتين ومن ثم لصقهما، مع التأكد من دقة تلامس الأجزاء المراد ربطها، وعدم ترك أي نتوءات بارزة يمكن ان تؤدي الى نتائج غير جيدة بعملية الربط، لذلك قمنا باستخدام مشرط **Scalpel** من اجل تنظيف حافات القطع من أي نتوء، ثم التنظيف بواسطة المنفاخ، والقيام بالربط **Join** بدون مادة لاصقة كمرحلة تجريبية، للتأكد بان العمل صحيح. (صورة رقم ٤)



صورة رقم (٤) ربط اللوح بدون لاصق

المصدر / تصوير الباحث

بعد ذلك تم تحضير اللاصق الخاص الذي سوف نستخدمه في عملية لصق هذا اللوح الحجري وهو لاصق ايبوكسي من نوع ارالدايت **Araldite 2011**، ومكون من عصاريتين، وهو واسع الانتشار عالمياً في لصق الأحجار بكافة احجامها، وكان الحصول عليه من خلال فريق الترميم الفرنسي التابع لمتحف اللوفر مشكوراً.

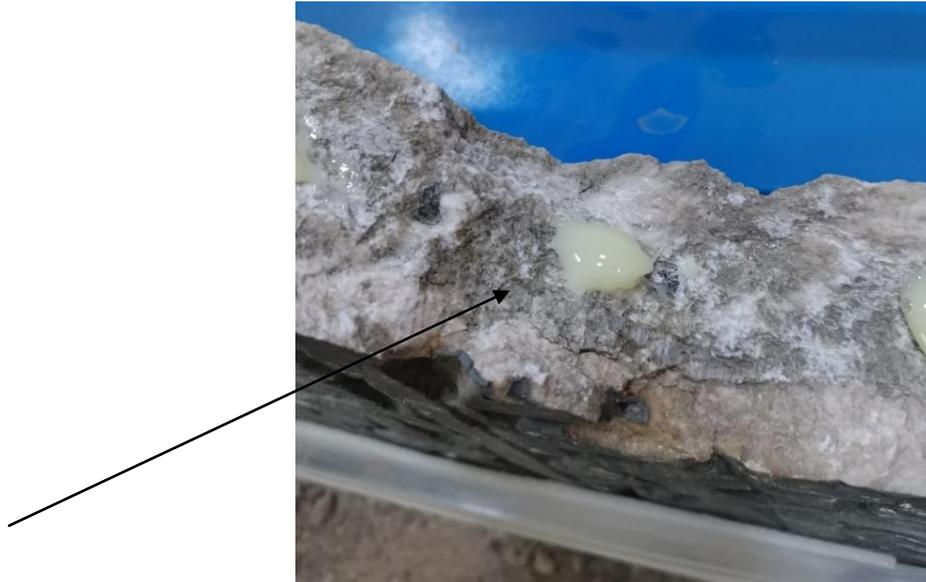
ثم قمنا بتنظيف الأجزاء المراد ربطها من الغبار الناعم، وللتأكد من نظافتها جيداً، بعد ذلك بدأنا بخلط معجون الايبوكسي ارالدايت على ان تكون الكمية من العصاريتين بكمية متساوية ويكون الخلط بشكل جيد الى ان يتم ملاحظة اللصق بان أصبح جاهز للصق.

هناك ملاحظة مهمة نود ذكرها وهي تتعلق بوضع المادة اللاصقة على الجزء الذي سوف يتم لصقه، وهي عدم وضع اللاصق على طول سطح الجزء الملصوق وذلك لسببين:

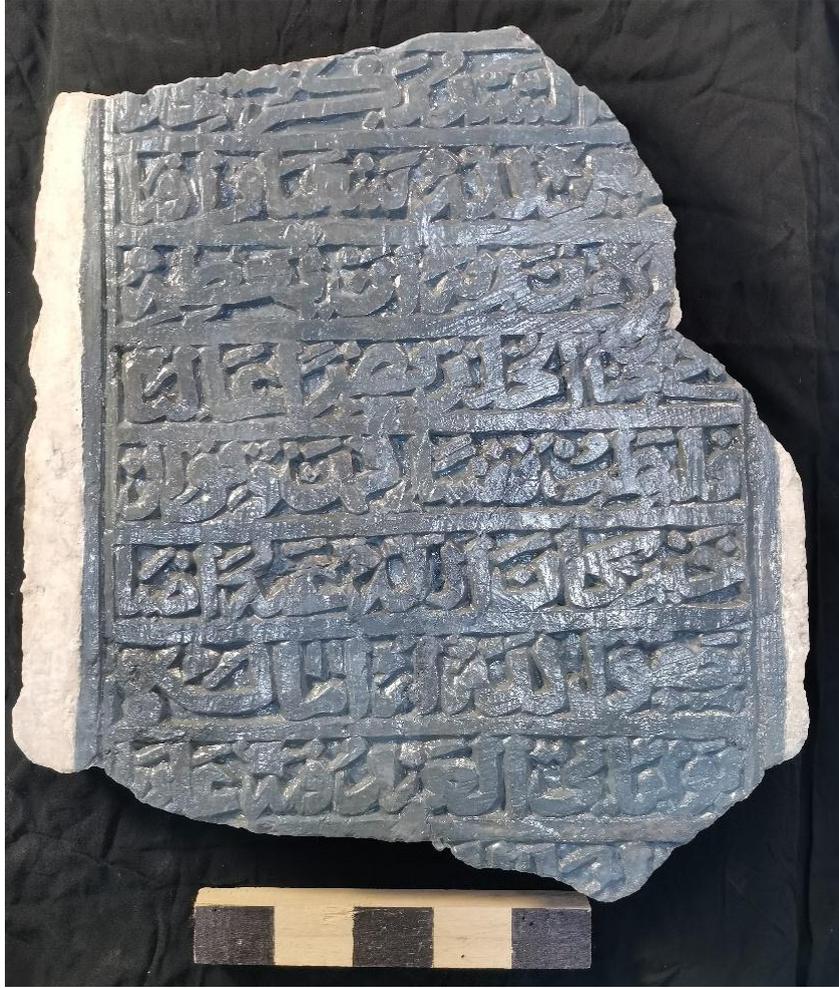
١_ عند الضغط على الجزئين المراد لصقهما وفي داخلهما اللاصق وبكمية كثيرة سوف يؤدي ذلك الى خروج وسيلان اللاصق الى خارج سطح الأثر، وهذا بدوره سوف يتسبب لنا بمشاكل نحن في غنى عنها في هذه المرحلة، ومن تلك المشاكل هي صعوبة إزالة اللاصق كون لاصق الايبوكسي ليس لديه أي مذيب، وربما يؤدي الى تشويه الأثر.

٢- كمية اللاصق الكثيرة بين فواصل الجزئين سوف لا يعطينا فاصل دقيق، أي بمعنى سنلاحظ الفاصل بينهما كبير، لان مسالة الربط مهمة جداً في الترميم، لان هذا يدل على مهارة وخبرة المرمم في مجال الصيانة والترميم.

لذلك فان أفضل طريقة قمنا باستخدامها هي وضع اللاصق على شكل نقاط، كل نقطة من هذا الصمغ تشكل مساحة (٤ سم) وعلى شكل مسافات متباعدة ومتفرقة، وعند الضغط على منطقة الربط سوف يتسع مساحة اللاصق أكثر داخل المساحات. (صورة رقم ٥-٦)



صورة رقم (٥) وضع لاصق الايبوكسي على شكل نقط
المصدر / تصوير الباحث



صورة رقم (٦) اللوح الحجري بعد الترميم
المصدر / تصوير الباحث

لاصق اراالدايت 2011 Araldite:

راتنجات الايوكسي عبارة عن أنظمة لتشكيل البوليمر تحتوي على مكونين رئيسيين يتفاعلان لإنتاج منتجات عالية الترابط مع صلابة استثنائية، والتصاق، ومقاومة كيميائية. (1992,P.13 Selwitz)

يتكون نظام راتنجات الايوكسي من جزأين - أحدهما يشتمل على مجموعة الإيوكسيد والآخر عبارة عن مادة صلبة تتفاعل معه، وعن طريق ربط الجزيئات يمكن إنتاج مجموعة واسعة من البوليمرات عن طريق تغيير الإيوكسيد. (Horie,2010. P.289)

وان الايوكسي يتم تصنيعه عن طريق جمع وربط بوليمرات الايوكسي ذات الوزن الجزيئي المنخفض، ويمكن لها ان تحقق زيادة ملحوظة في مقاومة المادة الطبقة عليها. (نظام، ٢٠٠٤،

ص ١١٠)، وقد تم توفير راتنجات الايبوكسي في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، وسرعان ما تم إدخالها في علم الصيانة والترميم، ومن ثم تم تطوير المواد اللاصقة الإيبوكسية للخشب والمعادن والسيراميك، وكما مادة مقوية للخشب، خلال الخمسينيات من القرن الماضي، بعدها تم استخدام ايبوكسي (aliphatic epoxy) في تقوية وترميم الحجر. (Horie,2010. P.296) وتمتاز لواصلق الايبوكسي بعدة مميزات وكما يلي: (Pizzi and Mittal,2018,P.423)

- ١_ مواد صلبة.
- ٢_ ذات مقاومة عالية للثني والشد والضغط.
- ٣_ ذات مرونة عالية.
- ٤_ تتمتع هذه المواد اللاصقة باستطالة منخفضة للغاية عند الكسر وقوة تأثير منخفضة. في درجة حرارة الغرفة.

اما بخصوص اللاصق الذي تم استخدامه وهو ايبوكسي ارالدايت 2011 Araldite فهو عبارة عن لاصق مكون من مركبين ايبوكسي، وهو يمتاز بالقوة والمرونة، ولاصق لجميع المواد ويجب مزج الراتنج والمصلب له حتى يشكلوا مزيجًا متجانسًا. (Vantico, 2002, P.4) ان ايبوكسي ارالدايت ٢٠١١ مادة لاصقة متعدد الأغراض، يمكن علاجه بدرجة حرارة الغرفة وهو معجون لاصق ذو قوة وصلابة عالية، وإنها مناسبة لربط مجموعة متنوعة من المعادن والسيراميك والزجاج والحجر والمطاط والبلاستيك الصلب ومعظم المواد الأخرى. (Vantico, 2002, P.5)

ويتميز لاصق الأرالدايت، بعدم التأثير بالتغيرات في الظروف البيئية المحيطة من حرارة ورطوبة بجانب قدرته العالية لتحمل الأنواع المختلفة من الضغوط، ويمكن تغير خواصها الميكانيكية مثل القدرة على تحمل الضغوط تبعا لنوعية وكمية المادة المألئة المستخدمة. (لقمة، د ت، ص ١٩) تتعرض الآثار الحجرية للعديد من مسببات التلف المختلفة، سواء كانت هذه المسببات داخلية Endogenous Factors مرتبطة بما يتعرض له الأثر من ظروف جوية طبيعية، أو ما يطلق عليه بعوامل التعرية Weathering Factors وناتج هذه العوامل هو تلف الأثر الحجري، ذلك التلف الذي يمكن أن يعبر عنه بأنه تغير للخواص الطبيعية، والميكانيكية للحجر حيث أن التلف للأحجار دائما ما يؤدي إلى انهيار أو تدمير البنية الداخلية له، مما يفقده خواصه الطبيعية والميكانيكية.

ان عمليات الترميم تعني إزالة ما يحمله الأثر من مواد، سواء كانت غريبة، أو تحولاً لبعض مكوناته، فإن الانتهاء من تلك الإجراءات لا يعنى في أغلب الأحوال الوصول بالأثر إلى الحالة المثالية التي يمكن تركه عليها، وإنما ينبغي استكمال إجراءات العلاج، والتي تهدف تقوية بنيته أو حمايته من التلف مرة أخرى تلك الحماية التي يمكن تحقيقها بواسطة عمليات الصيانة الدورية التي تجري على الأثر كل يوم من قبل مختصي الصيانة.

نتائج البحث

- ١_ يعد هذا اللوح الحجري، من اللوحات غير المدروسة والمقروءة، وبعد الدراسة له تبين بأنه يعود للعصر العثماني المتأخر.
- ٢_ من خلال دراسة العينة وصيانتها وترميمها، هناك نقطة مهمة وهي، ان الحجر مهما كان لديه من قوة وصلابة، لكنه يتأثر بعوامل التلف إذا أصابته.
- ٣_ ان معدن الجبسوم Gypsum هو المعدن الرئيسي لهذا الحجر، وبنسبة ١٠٠%، حيث تم التعرف على ذلك عن طريق تحليل حيود الاشعة السينية X-RD.
- ٤_ تم استخدام أفضل وأحدث المواد الترميمية، والتي تستخدم في المختبرات العالمية، لان جميع المواد التي قمنا باستعمالها في ترميم هذا اللوح الحجري تم جلبها من متحف اللوفر في فرنسا.
- ٥_ نتيجة لأعمال الترميم والصيانة على هذا اللوح، يمكن القول بأنه تمت السيطرة تقريباً على عوامل التلف التي كانت محيطة به.

هوامش تعريفية:

- ١_ **خط الثلث:** هو نوع من **الخطوط العربية**، ظهر لأول مرة في **القرن الرابع الهجري** وهو من أشهر أنواع الخطوط المتأصلة من **خط النسخ**، وسمي بهذا الاسم لأنه يكتب بقلم يُقَطُّ محرّفاً بسُمك ثلث قطر القلم، لأنه يحتاج إلى كتابة بحرف **القلم** وسمكه. وهو من أصعب الخطوط العربية من حيث القواعد والموازين، وهو يمتاز بالمرونة ومتانة التركيب وبراعة التأليف. **ينظر.** الطائي، إبراهيم مؤيد، النصوص الكتابية غير المدروسة في مساجد خلال العصر العثماني، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠١١، ص ٤
- ٢_ **ابن البواب:** هو أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المعروف بابن البواب، لان ابوه كان بواباً، لا يعلم سنة ولادته ولكنه توفي سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م. **ينظر.** عبد الرحمن، محمد، ابن البواب أشهر الخطاطين في العربية ومبدع الزخرفة القرآنية، ٢٠٢٠، ص ١

- ٣_ **الحفر الغائر:** هو حفر الخطوط والزخارف على المساحة والارضية المخصصة لها، فتبدو عندها الخطوط غائرة داخل الأرضية التي تحف بها. **ينظر:** الجميلي، ميادة يوسف فرحان، كتابات الموصل وخطوطها الباقية في المساجد الجامعة خلال العصر العثماني حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠٠٧ ص ١٠٤
- ٤_ **اسكي موصل:** تقع على بعد ٥٠ كم شمال غرب الموصل، سميت في العصر الاشوري في عهد سنحاريب باسم بلاطو، وفي العصر الإسلامي باسم بلد. **ينظر.** الجعيفري، ضياء نعمة محمد، البيوت السكنية المكتشفة في مدينة بلد (اسكي موصل)، رسالة ماجستير جامعة بغداد، ٢٠٠٧، ص ٣
- ٥_ **البويصا:** طلاء أو دهان مركب سائل أو يمكن تمبيعه أو مركب صمغي **يغطي سطح المادة بطبقة رقيقة** بعد أن يتصلب، ويُعرف على أنه مزيج لمواد غير قابلة للذوبان معلقة في وسط زيتي سائل. **ينظر.** الرفاعي، بلال، صناعات الدهانات، ٢٠١٤، ص ٢
- ٦_ **الخطاط ملا عبد:** هو واحد من أبرز خطاطي المدينة المجيدين والبارعين في خط الالواح الفنية في خطوط الثلث والتعليق والرقعة. **ينظر..** الجميلي، عامر عبد الله، الخط العربي في الموصل اواخر العهد العثماني، ص ٨
- ٧_ **اشعة جاما Gamma ray:** هي حزمة من الطاقة الكهرومغناطيسية (الفوتونات) المنبعثة من نواة بعض النويدات المشعة بعد التحلل الإشعاعي، فوتونات جاما هي الفوتونات الأكثر نشاطاً في الطيف الكهرومغناطيسي. **ينظر.** الروسان، فرح، تعريف اشعة جاما، ٢٠٢١، ص ١
- ٨_ **الكمامات Poultices:** اخذ هذا المصطلح اصوله من علم الطب، ومن الكمادات التي تستخدم لإزالة الإصابة ولكن وظفت هنا لإزالة الاملاح من على سطح الأحجار الاثرية. **ينظر.** محمود، عبد الله، التنظيف بالليزر، ب ت ص ٢
- ٩_ هناك معلومة افادتنا بها خبيرة الأحجار في المتحف البريطاني (Amy Dragon) حيث حصل نقاش معها حول هذا الموضوع وكان كلامها نصاً (ان هذا اللون موجود منذ سنوات، وأصبح الان أكثر ارتباطاً بسطح الحجر من خلال تغلغله داخل مساماته ومن ناحية أخرى، فقد أصبح هذا اللون جزء من تاريخ الحجر).

المصادر العربية:

- ١_ الطائي، إبراهيم مؤيد، النصوص الكتابية غير المدروسة في مساجد خلال العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠١١
- ٢_ الجميلي، ميادة يوسف فرحان، كتابات الموصل وخطوطها الباقية في المساجد الجامعة خلال العصر العثماني حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٧
- ٣_ الجعيفري، ضياء نعمة محمد، البيوت السكنية المكتشفة في مدينة بلد (اسكي موصل)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٧
- ٤_ الرفاعي، بلال، صناعات الدهانات، ٢٠١٤
- ٥_ الجميلي، عامر عبد الله، الخط العربي في الموصل اواخر العهد العثماني، مجلة أوراق موصلية، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، العدد ٦، ٢٠٠٤
- ٦_ ادم، محمود عبد الحافظ محمد، دراسة تحليلية مقارنة في تلف وعلاج وصيانة المباني الاثرية متعددة مواد البناء بواحتي الخارجة والداخلة - تطبيقاً على بعض المباني الاثرية المختارة، أطروحة دكتوراه، ٢٠١٢، جامعة القاهرة
- ٧_ الروسان، فرح، تعريف اشعة جاما، ٢٠٢١
- ٨_ القيسي، باهرة عبد الستار، معالجة وصيانة الآثار، دراسة ميدانية، بغداد، ١٩٨١
- ٩_ النقشبندي، علي السيد ناصر، معالجة وترميم الآثار، مجلة سومر، العدد ٣٧، ١٩٨١
- ١٠_ المحاري، سلمان احمد، حفظ المباني التاريخية، الامارات، ايكروم _ الشارقة، ٢٠١٧
- ١١_ بدر الدين، بلعبيود، دراسة فعالية تقوية الحجارة الأثرية دراسة تطبيقية على عينات من الحجارة الرملية أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، ٢٠١٤
- ١٢_ حسام الدين، وائل جمال، عوامل تلف الآثار الرخامية، ٢٠١٧
- ١٣_ محمود، عبد الله، التنظيف بالليزر
- ١٤_ غنيمات، اسلام، الماء المقطر، ٢٠١٩
- ١٥_ عطية، عبد الرحيم حنون، تقنية النانو وتطبيقاتها في علاج الطوب واللبن المستخدم في تشييد الأبنية الاثرية دراسة تطبيقية على بعض النماذج من جنوب العراق، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠١٥
- ١٦_ لقمة، نادية، الموسوعة العلمية لمواد الصيانة والترميم، ب ت

- ١٧_ فضل الله، جعفر زهير، صيانة وترميم المكتشفات الاثرية، دار قابس ٢٠٠٦
- ١٨_ نظام، حمزة، الطرق المتطورة في ترميم حجر البناء في الأبنية الاثرية في الساحل السوري، رسالة ماجستير جامعة اللاذقية، سوريا، ٢٠٠٤

المصادر الأجنبية:

- 1_ Daniel D. Lukenbill, The Annals of Sennacherib, Ph. University of Chicago,1924
- 2_ Joan M. Schwartz, The Geography Lesson: Photograph and the Construction of Imaginative geographies, Journal of historic geography ,1996
- 3_ Eric Doehne and Clifford A. Price, Stone Conservation an Overview of Current Research,2010
- 4_ Barbara Stuart, Analytical Techniques in Materials Conservation, 2007
- 5_ Saad Ahmed Abd Mustafa and Zaid Ghazi Saadallah, Conservation of Sculptures and wall panels of the palace of Sennacherib, 2013, Revue d'Assyriologie, volume CXV (2021)
- 6_ Torraca. G: Porous Building Materials, material Science for Architectural Conservation, ICCROM, Rome, (2005)
- 7_ JERRY PODANY, The Conservation of stone materials,1995
- 8_ Donny Hamilton, Methods for Conserving Archaeological Material from Underwater Sites, Texas University,1999
- 9_ Stephen P. Koob, The use of Paraloid B-72 as an adhesive: Its application for Archaeological Ceramics and other materials, journal Studies in Conservation, V.103,1986
- 10_ Stephen P. Koob, Paraloid B-72®: 25 years of use as a consolidant and adhesive for ceramics and glass,1993
- 11_ [William H. Brown](#), acetone chemical compound,2019
- 12_ Ione Gedye, Henry Hodges, Andrew Oddy, Notes for a short course in conservation, British Museum,1973
- 13_ Velson Horie, Materials for conservation organic consolidants Adhesives and coatings,2010
- 14_ Charles Selwitz, Epoxy Resins in Stone Conservation, America,1992
- 15_ A. Pizzi and K. L. Mittal, Handbook of Adhesive Technology Third Edition,2018. P.423
- 16_ Vantico adhesives, Adhesives and Tooling Structural Adhesives,2002

(١) بحث مستل من رسالة الماجستير (صيانة وترميم قطع أثرية منتخبة من متحف الموصل الحضاري- دراسة تطبيقية) جامعة الموصل/ كلية الآثار/ ٢٠٢١-٢٠٢٢

العلاقات الايرانية - الصينية ١٩٧٩-١٩٩٧م

م. د. محمد فيحان موسى الدليمي

كلية العلوم السياسية / الجامعة المستنصرية

العلاقات الإيرانية - الصينية ١٩٧٩-١٩٩٧م

م. د. محمد فيحان موسى الدليمي

المقدمة :

تكتسب دراسة العلاقات الدولية أهمية تاريخية وسياسية ، لكونها تشكل معيناً مهماً من المعلومات للباحث المتخصص والمتابع لتطور السياسة الخارجية وتأثيرها لأية دولة في العلاقات الإقليمية والدولية ، وكذلك في صناعة القرار السياسي ، إذ إن دراسة تلك العلاقات وما يؤثر فيها ويتحكم بها من أمور وما يستخلص منها من نتائج ، يُعد مؤشراً لقوة الروابط السياسية أو ضعفها بين العديد من الدول ، لاسيما وأن التنافس والصراع على المناطق الحيوية واقتسام مناطق النفوذ أصبح طابعاً مميزاً لعلاقات الدول الكبرى التي تحكمت في الشؤون الدولية خلال مراحل التاريخ المعاصر .

إن أهمية موضوع (العلاقات الإيرانية - الصينية ١٩٧٩-١٩٩٧م) لا ينحصر ضمن مفهومه السياسي الضيق، إذ إن ذلك المفهوم سوف يقلل كثيراً من أهمية الموضوع الحقيقية الذي يتجاوز التعامل بين إيران الصين إلى مدى انعكاس علاقاتهم على واقع القارة الأوربية ومنطقة الشرق الاوسط ومستقبلها في ذلك الوقت من جهة، ومدى تأثير الواقع السياسي في العلاقات بينهم من جهة اخرى ، فدراسة العلاقات التي حصلت بين الدولتين لا ينحصر ضمن هذا المفهوم وإنما تعدى الى اكثر من ذلك في الامور الاقتصادية والتجارية والسياسية والعسكرية.

قسم البحث الى مجموعة من النقاط المهمة وتضمن اربعة نقاط رئيسية ، جاءت النقطة الاولى لتتناول ((الموقع الجغرافي والاهمية الجيوستراتيجية لإيران في الحسابات الصينية)) ومدى اهمية ايران السياسية والاقتصادية كونها بلد نفطي ، فضلا عن علاقتها العدائية تجاه واشنطن لاسيما بعد سقوط محمد رضا بهلوي .

تناولت النقطة الثانية من البحث ((طبيعة العلاقات الإيرانية - الصينية ونشأتها)) ، اذ تم التطرق عن جذور العلاقة بين البلدين وصولاً الى ما بعد الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩م ، غير ان هنالك تبايناً في النظام السياسي بين البلدين ، فالصين تتبع ايديولوجية علمانية شيوعية ويحكمها حزب شمولي واحد وهو الحزب الشيوعي الصيني ، في حين ان ايران تتبع نظاماً دينياً

اسلامياً لا يعتمد نظامها على سياسة الحزب الواحد كما في الصين وانما تعددية حزبية وثقافية في البلاد .

تطرقنا في النقطة الثالثة (الفلسفة التجارية في الحسابات الإيرانية - الصينية) وبين الباحث سعي كل دولة الى تحقيق اهدافها ودعم الدولة لتعزيز العلاقات بين البلدين وتفعيل التعريفة الجمركية بصورة اسهل لتحقيق التعاون الفعال بين الدولتين .

اما في النقطة الرابعة من بحثنا هذا تناولنا (العلاقات الإيرانية - الصينية ١٩٧٩-١٩٩٧) وبيننا في هذه النقطة علاقة الصين وايران في مجالات كثيرة ومنها (العسكرية والسياسية ، الاقتصادية ، التجارية ، البرنامج النووي) وقد تبين لنا الدعم الصيني اللامحدود الى ايران ابتداءً من الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) وصولاً الى عام ١٩٩٧ ، بعد ان تم تقليل الدعم الصيني الى ايران بضغط من الولايات المتحدة الامريكية بعد امتعاض الصين من استقبال الرئيس الامريكى للرئيس التايوانى عام ١٩٧٩ ورفضها انضمام الصين لمنظمة التجارة العالمية ، الذي شكل نقطة نهاية بحثنا .

وكان اعتماد الباحث على مجموعة من المصادر ومنها الاجنبية ، والاستناد على المصادر الرئيسية والتي اغلبها فارسية وتم ترجمتها عن طريق المترجمين وابرزها (تبيين جاياكاه فرهنگ در روابط ايران وجين ، فصلنامه مطالعات سياسي ، ومعناه بيان مكانة الثقافة في العلاقات الإيرانية - الصينية) كذلك المصدر (عقلانيت استراتيكي جين وروابط دفاعي امنيتي با ايران ، ومعناه عقلانية الاستراتيجية الصينية والعلاقات العسكرية والامنية مع ايران) وكذلك المصدر (سنجش روابط دفاعي ايران وجين در دوره رياست جمهورى حسن روحاني ، ومعناه تقييم العلاقات الدفاعية الإيرانية الصينية في فترة رئاسة حسن روحاني) ومن ثم المصدر (عمل كرائي در سياست خارجي و كسترش روابط اقتصادي ايران وجين ١٩٧٩ - ١٩٩٩ ، والذي يعني الراغماتية في السياسة الخارجية وتوسيع العلاقات الاقتصادية الإيرانية الصينية) وهذه الكتب تم الاعتماد عليها بالدرجة الاساس في الحصول على المعلومات التي اغنت البحث بالكثير من التفاصيل ، كذلك كتاب (احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية الإيرانية ١٩٧٩-٢٠١١) الذي اغنى البحث في الحصول على تعاريف لأبرز الشخصيات الإيرانية .

أولاً : الموقع الجغرافي والاهمية الجيوستراتيجية لإيران في الحسابات الصينية

تقع إيران في غرب اسيا وهي ثالث اكبر دولة في الشرق الاوسط من حيث السكان ، وثاني اكبر دولة من حيث المساحة بعد السعودية ، اذ تبلغ مساحتها ١٩٥،٦٤٨،١ كم ٢ ، وتحتل موقعاً مهماً يجعلها نقطة التقاء لثلاث مجالات اسيوية (غرب اسيا ووسطها وجنوبها) يحدها من الشمال ارمينيا واذربيجان وتركمانستان ، وتطل إيران على بحر قزوين (بحر داخلي تحده كازاخستان وروسيا) ويحدها من الشرق افغانستان وباكستان ، وفي الجنوب الخليج العربي وخليج عمان ، ومن الغرب العراق ومن الشمال الغربي تركيا ، اما عاصمة إيران فهي طهران ، وهي الآن تحتل مركزاً مهماً للطاقة الدولية والاقتصاد العالمي بسبب احتياطها الكبير من النفط والغاز الطبيعي^(١) .

تعد إيران احد اهم الدول التي تحتل موقعا متميزاً جيوستراتيجياً ، وتقع في الجزء الجنوبي من قارة اسيا بين دائرتي عرض (٢٥،٥٠-٤١،٥٠) درجة شمالاً ، ومما يزيد من اهمية إيران الاستراتيجية انها تحتوي على احتياطات نفطية كبيرة ، اذ تأتي بالمرتبة الثانية بعد السعودية ثم يأتي العراق في المرتبة الثالثة^(٢) ، وتعد ثاني اكبر احتياطي دولة في العالم في مجال الغاز الطبيعي ، اذ يبلغ ٢٣،٠٠ ترليون متر مكعب في نهاية كل سنة وبذلك فإن إيران تحتاج الى مصادر طاقة ومن خلال التعاون مع الدول ومنها الاقليمية وغير الاقليمية ومنها الصين^(٣) ، ومن هنا يبرز دور وقوة إيران في المنطقة نظراً لزيادة الانتاج النفطي ، ومن ثم ليس النفط يشكل عصب الاقتصاد لها فقط وانما الغاز الطبيعي الذي يشكل مصدراً اقتصادياً جعل لإيران مكانة كبيرة لدى الصين وغيرها من الدول الاخرى ، ومما يزيد من اهمية إيران الجيوستراتيجية انها ترى في منطقة الخليج العربي مجالها الحيوي الرئيسي الذي يحقق طموحاتها وتطلعاتها السياسية والاقتصادية وهذا ما يتعارض مع الرؤية الامريكية ويتفق نوعاً ما للرؤية الصينية والتي لا تعارض ان تؤدي إيران دوراً في المنطقة يتناسب وثقلها الاقليمي^(٤) .

ثانياً : طبيعة العلاقات الإيرانية - الصينية ونشأتها

الصين وإيران هما الوريثان لحضارتين قديمتين وشامختين، وهذه حقيقة تصوغ شكل التعاون بينهما وتبرز شعور قادتها بالهوية وبمكانتها بالعالم ، ونظرت الصين وإيران لهذه العلاقة الثنائية تتجح الى التأكيد على الاحساس المشترك بالعظمة الثقافية اضافة الى شعورهما المترابط بوقوعهما ضحيتان للقوى الغربية ، وقد تبني قادة الدولتين الاحداث التاريخية التي تصف النظام الدولي بأنه غير عادل ويقع تحت تأثير الدول الغربية^(٥) .

ان الغريب في العلاقات الإيرانية الصينية ان هنالك تشابه في السياسة الخارجية لكلا البلدين في كثير من الاحيان وترتبط ايران بعلاقات سياسية واقتصادية وعسكرية جيدة ومتشابهة ، غير ان هنالك تبايناً في النظام السياسي بين البلدين ، فالصين تتبع ايدولوجية علمانية شيوعية ويحكمها حزب شمولي واحد وهو الحزب الشيوعي الصيني ، في حين ان ايران تتبع نظاماً دينياً اسلامياً لا يعتمد نظامها على سياسة الحزب الواحد كما في الصين وانما تعددية حزبية وثقافية في البلاد^(٦) . ولم تكن الصين وايران صديقتين على الدوام ولم تبدأ العلاقات الدبلوماسية بين البلدين الا عام ١٩٧١م ، وكانت اكثر الآراء تشير بانه من المستبعد ان يكونا شريكين نظراً لاختلاف النظم السياسية بين البلدين^(٧) ، وكانت غاية الصين من بناء علاقات وثيقة هي ليس مع ايران فقط وانما الدول المنتجة للنفط وتوثيق علاقاتها مع الدول المصدرة للنفط واستغلت الصين المقاطعة التي فرضتها الولايات المتحدة الامريكية ضد ايران والذي كان سبباً رئيسياً في نمو العلاقات السياسية والاقتصادية بين ايران والصين وهذا ما سنركز عليه من خلال بحثنا هذا، كما كان العامل الحاسم في تطوير العلاقات بين البلدين صعوبة حصول ايران لاسيما اثناء وبعد الثورة الإيرانية ١٩٧٩ على تكنولوجيا عالية الدقة التي تدخل في صناعة المفاعلات وتوليد الكهرباء وانشاء السدود والصناعات التكنولوجية والكيمياوية^(٨).

اتسمت العلاقات الإيرانية الصينية بالضعف من الناحية الاقتصادية في الستينيات اثناء فترة حكم رئيس الوزراء امير عباس هويدا^(٩) ، لكنه تمكن من اقامة سلسلة من الاعمال الاقتصادية تمكن فيها من تحسين الواقع الاقتصادي^(١٠) ، ونتيجة علاقة الشاه محمد رضا بهلوي الجيدة بالولايات المتحدة الامريكية والدول الاوربية التي تدور في فلك امريكا ، بينما اقتضت العلاقات على الجانب السياسي ، ففيما اعترفت الصين بحركة تأميم النفط الإيراني في عهد حكومة محمد مصدق^(١١) ، ردت ايران بالاعتراف بجمهورية الصين الشعبية ١٩٦٧م ، ودعمها لاستعادة عضويتها في مجلس الامن عام ١٩٧١م بدلا من الصين الوطنية بزعامة شيانغ كاي شيك^(١٢) ، المدعوم امريكا ، ومن ثم اجرى الرئيس الصيني (هوا جيو فينج) عام ١٩٧٨م آخر زيارة اجنبية للشاه قبل سقوطه^(١٣) .

وفي مرحلة ما بعد الثورة الإيرانية ومجيء نظام السيد الخميني^(١٤) ، وفي اثناء حكم رئيس الوزراء حسن بني صدر^(١٥) ، تقاربت العلاقات نتيجة تغيير النظام الإيراني وبأحكام رجال الدين قبضتهم على الحكم وهو الامر الذي صاحب ابتعاد ايران عن الدائرة الامريكية والاوربية ، فادى ذلك الى خلق حالة عداة مع الولايات المتحدة وحلفائها الاستراتيجيين بالمنطقة ، كذلك سارعت

الصين بالاعتراف بالثورة الإيرانية وانضمت الى قائمة الدول المساعدة لإيران لاسيما في تزويد إيران بالسلاح اثناء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ، بعد ان كانت إيران تمر بعقدة عسكرية وهي حظر تصدير الاسلحة لإيران على خلفية ازمة الرهائن عام ١٩٧٩م^(١٦) .

ثالثاً : الفلسفة التجارية في الحسابات الإيرانية الصينية

جددت إيران والصين آرائهما من خلال طرح فلسفتها التجارية الجديدة ، والتي من المؤكد انها ستكون مكملة لآرائهما بشأن التعريف الجمركية وتخفيضها بين الدولتين ، وكيف كان الجانب التجاري للسياسة الخارجية يحتل مركزاً مهماً من افكارهما وعدها ذا اهمية قصوى ، سارعت إيران برسم سياسة خارجية تساهم في تطور عجلة التجارة^(١٧) ، ونهت من خلال هذه النقطة بآراء إيران والصين حول التجارة الخارجية خلال الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ، وقد اتاح لإيران والصين وكفاءتهما العالية في مجال الاقتصاد الدولي ان يكونا رأس حربة لحركة النمو المتزايدة في السياسة بالنسبة للدولتين وجزء كبير من قوتها الكبيرة^(١٨) .

قررت إيران والصين التخصص في الإيرادات والتعريفات والاقتصاد والتمويل والاشكال الاخرى للضرائب ، وظلت العناصر الاساسية لفكرهما ثابتة طوال مدة البحث ، وان نهجهما في السياسة التجارية قد اتسع خلال الحرب العراقية الإيرانية ، ولم يعد الموضوع مجرد قضية محلية بل تعدى الى ابعد من ذلك الى رؤية عالمية تكون مفتاحاً للرفاهية والسلام الدوليين^(١٩) .

تتمحور نظرية التجارة الدولية حول نقطتين رئيسيتين هما سبب التجارة واساس تلك التجارة ، واولى اهتمامهما الكبير هو ترابط الواردات والصادرات ، وفي اشارة الى آلية التجارة ذكر وزير الخارجية الإيراني محمد علي رجائي (١١ آذار - ١٥ آب ١٩٨١) قائلاً : " ان التجارة الخارجية هي في الحقيقة التبادل المريح للطرفين من قبل الدول لفوائدها"^(٢٠) .

ان فكرة التجارة عند الدولتين هي نظام المقايضة او استبدال سلع ومنتجات بين الدول ويجب على كل امة ان تبيع فوائدها للدول الاخرى ، لغرض الحصول على الواردات ، وكان انخفاض تكاليف الانتاج سبب رئيسي لتحقيق المكاسب الكبيرة من الواردات ، وشددت إيران والصين على ذلك الانخفاض وأكدت الدولتين انها لن تسمح ببيع المواد بأسعار ارخص لصالح المستهلك ، بل سيتمكن المنتج ايضاً من المنافسة في اسواق العالم ، والتي بدورها سترفع المستوى العام للنشاط الاقتصادي الإيراني والصيني وتساهم في تحسين اوضاع المجتمع^(٢١) ، واكد وزير خارجية إيران محمد علي رجائي قائلاً : " سيكون العامل الاكبر في ازدهارنا خلال سنوات الحرب وما بعدها هو تجارتنا الخارجية"^(٢٢) .

لقد كان تصدير الصين لفائض البضائع هو سبب تطور تجارتها الخارجية ، وكانت تنتج عدد كبير من السلع اكثر بكثير مما يمكنها استهلاكها ، لذلك فان الصادرات ضرورية على الرغم من ان قيم الصادرات المتضخمة اثناء فترة الحرب ستتخفض بشكل طبيعي الى حد ما ، لذلك دعت الصين الى ان يتمتع اقتصادها بصادرات كبيرة ، ويكون ذلك عن طريق البحار^(٢٣) .

رابعاً / العلاقات الإيرانية - الصينية ١٩٧٩-١٩٩٧ .

١ : الجانب السياسي والعسكري

شهدت ايران تحولاً مهماً على المستوى السياسي تمثل بنهاية نظام الحكم للشاه الايراني وبزوغ فجر الثورة الاسلامية بقيادة الامام الخميني ، فقد شهد يوم الحادي عشر من شباط ١٩٧٩م وفي ساعة متأخرة من الليل قيام الثورة الاسلامية حيث اكتسح الشعب الايراني يتقدمهم الامام الخميني طهران بالكامل واجبر القوات الملكية على الاستسلام ، وسقطت الثكنات العسكرية والمخافر والسجون ومقر السافاك وقصر رئيس الوزراء^(٢٤) ، وكان ذلك بداية جديدة لنوع ونظام الحكم في ايران ، وعلى الجانب الاخر فيما يخص مدار بحثنا وتحديداً في عام ١٩٧٩م اتخذت الصين السياسة الاصلاحية واتباع سياسة الباب المفتوحة وبدأت علاقاتها مع امريكا ، وتزامن الاحداث للبلدين الايراني والصيني من خلال التغيير في الاحوال السياسية للبلدين في العام نفسه كان له تأثير مباشر على العلاقات الايرانية الصينية ايجابياً وغيرت الصين من سياسة الابواب المغلقة الى الابواب المفتوحة ، وبحكم علاقة الصين بالولايات المتحدة الامريكية كان من الصعب للصين ان تستقبل التغيير في ايران بهذه السرعة في حين ان ايران كانت مشغولة بوضعها الداخلي ، وان احداث السيطرة على السفارة الامريكية وبدأ الحرب ودعم الغرب للعراق واعلان الصين حيادها في البداية من الحرب العراقية الايرانية ، قد هيأت الارضية للعلاقات مع الصين وضرورة تامين السلاح لجبهات القتال والعقوبات المفروضة على ايران من قبل الشرق والغرب ، وبالمقابل استعدت الصين الى التعاون مع ايران وقد وجدت الدولتان الارضية الخصبة لبدء التعاون المشترك بينهما^(٢٥) .

وبعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية التي بدأت في الرابع من ايلول عام ١٩٨٠ واستمرت حتى عام ١٩٨٨م ، اذ تم استخدام الاسلحة بأنواعها في تلك المدة^(٢٦) .

ان الواقع السياسي المعلن للصين هي الحياد لان الصين كانت دائماً تُكذب ببيعها للسلاح للعراق وايران خوفاً بأن تتوجه الدول العربية الداعمة للعراق بدعم التايوان لهذا كانت تكذب التعامل مع ايران ، اذ ان رئيس قسم المعلومات (البيانات) لوزارة الخارجية الصينية صرح عام

١٩٨٠ قائلاً : " نحن اعلنا بصورة مكررة بأننا لا نقوم بنقل أي سلاح لإيران وان موقف الصين هو محايد من حرب العراق وايران ونحن ملتزمين بموقفنا" (٢٧) ، ولكن سياستها العملية هي ايجاد التوازن العسكري بين الدولتين المتحاربتين وان حكومة (دنغ شياو بينج ١٩٧٩ - ١٩٨٨) (٢٨) ، التي بدأت علاقاتها بأمريكا في مطلع الثمانينات لم تكن راغبة في خسارتها بسبب دعمها لإيران ضد العراق المدعوم من الدول العظمى آنذاك وبدأت الصين بعقد اتفاقيات مع بغداد لبيع السلاح لها وتم بيع (١٣٠٠) دبابة نوع (T-59) مع المدافع والمدركات بقيمة مليار دولار للعراق ، ومع تأزم الوضع الداخلي في ايران عام ١٩٨١م قامت الصين بتقوية علاقاتها مع العراق ويعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية التي بدأت في الرابع من ايلول عام ١٩٨٠ واستمرت حتى عام ١٩٨٨م (٢٩) .

بعد تقدم ايران عام ١٩٨٢ في جبهات القتال تحسنت العلاقات الإيرانية - الصينية ، وقد ذهب حينها وفد من دولة ايران الى الصين لعقد مذكرة تجارية وعسكرية ، وقد تم توقيع تلك المذكرة والتي تضمنت تشييد اربعة معامل للسلاح لصناعة الصواريخ والمعدات والاسلحة وقطع الغيار اضافة الى ذلك تعهدت الصين ان تبيع لإيران معدات عسكرية مثل الصواريخ المضادة للجو والسفن والسلاح والذخائر (٣٠) ، وكان ذلك في عهد السيد علي خامنئي (١٩٨١-١٩٨٩) (٣١) .

بدأت طهران اولى خطواتها بالحصول على كميات جيدة من (سكا ب) من الصين وكوريا الشمالية ، اضافة الى ثمانية فروع بمدى ٧٠ كم ٢ ، وشرعت لوضع النواة الاولى لبرنامج تطوير ونتاج صاروخي بالتعاون مع كلا الدولتين ، وتمثلت الثمرات الاولى لهذا البرنامج بداية في نماذج لصواريخ باليستية قصيرة المدى كانت معظمها طرازات مشتقة من فروع (٧) مثل (شاهين وعقاب) التي يتراوح مداها ما بين ٥٠ و ١٥٠ كم ٢ ، وتم خلال الحرب استخدامها بشكل متقن (٣٢) .

وفي ابريل عام ١٩٨٣م تم عقد اتفاقية رسمية بين الصين وايران بقيمة مليار وثلاثمائة مليون دولار لبيع السلاح وتعهدت الصين ببيع طائرات حربية نوع (j-6) ودبابات (T-59) ، وفي عام ١٩٨٤ حصلت الصين على اذن تصدير صواريخ (Sty X) ، وتم عقد اتفاقية بداية عام ١٩٨٥م تعهدت ايضا جمهورية الصين الشعبية بان تبيع لإيران معدات وسلاح بقيمة مليار و ٦٠٠ مليون ويشمل ١٤ طائرة (j-7 , j-6) ومائتين دبابة (T-59) وقذائف ١٣٠ وصواريخ ضد الدبابات وصواريخ Hy-2 وصواريخ كروز C-801 (٣٣) .

وعلى اثر زيارة رئيس مجلس الشورى الإيراني علي اكبر هاشمي رفسنجاني (٣٤) في تموز ١٩٨٥م الى بكين وافق الطرفان على بيع صواريخ ارض - ارض (اسكاد) لإيران ، ومن هذه

الزيارة بدأت الصين تتبع الاسلحة البرية والجوية الثقيلة لإيران وتغيرت معالم الحرب بين العراق وايران فيما بعد تقريبا وبصورة ملحوظة ، واستنادا للاتفاق تم بيع ٤٠ صاروخ ارض - ارض لإيران واشترطت الصين بان لا يتم استعمال هذه الصواريخ حتى اكتمال العدد المطلوب وان يكون الاتفاق سرياً ، وفي عام ١٩٨٦م تم شراء الحزمة الثالثة من السلاح وشملت ١٨ طائرة وضعت تحت تصرف الحرس الثوري الايراني وبدأت الصين بتدريب الطيارين الايرانيين في الصين^(٣٥) .

في عام ١٩٨٧م قامت الصين ببيع ايران ٣٠ طائرة وقاذفة من نوع (J-6) وثمانين صاروخ باسم (دودة الحرير) و ٤٠ صاروخ ارض-ارض نوع (scud-b) وتم تحويلها الى ايران عن طريق كوريا الشمالية ، وهذا يعني ان الصين امننت تلتين المعدات العسكرية الايرانية وهي اكبر مجهزة لإيران ، وفي اواخر الثمانينات بدأت الصواريخ المضادة للسفن في الصين ، واستنادا لبعض المصادر والتي تشير الى ان ايران استوردت من الصين ١٠٠ الى ٢٠٠ صاروخ ضد السفن C-801 للفترة من العام ١٩٨٧ الى ما بعد نهاية الحرب العراقية الايرانية^(٣٦) .

وبعد نهاية الحرب لا بد لنا من الاشارة على التعاون الصيني الايراني في المجالات الاتية :

١- استحداث اماكن لصنع وبيع الصواريخ ضد السفن C-801, C802 واستناداً لهذا الاتفاق ان ١٥٠ صاروخ يجب بيعها لإيران ولكن بسبب الضغط الامريكي تم بيع ٧٥ صاروخ فقط .
٢- تهيئة منصات لأطلاق صواريخ C802 لإيران

٣- توسيع العمل المشترك للجيل الجديد لصواريخ ضد السفن مع ايران^(٣٧) .

بعد وقف الحرب حصل اتفاق بين وزير الدفاع الايراني مع المعاون لأحدى الشركات الصينية عام ١٩٩٠م لاستحداث خط لإنتاج الصواريخ M-11 و M9 في اصفهان والتعاون بمساعدة المختصين الصينيين في استحداث تقنية الوقود الصلب للصواريخ الباليستية زلزال(١) والتعاون الصيني مع ايران حول تقنية التوجيه عن بعد لصواريخ شهاب (٣)^(٣٨) .

وبعد نهاية الحرب استمرت العلاقات بين البلدين وفي عام ١٩٩١ طلبت ايران ١٥٠ صاروخ كروز C802 ، وفي عام ١٩٩٦ واجهت الصين ضغطاً كبيراً من الولايات المتحدة الامريكية من حكومة كلينتون وقامت الصين بتسليم ٧٥ صاروخ فقط وكانت الولايات المتحدة الامريكية لا تريد ان تجعل ايران داعمة لحزب الله اللبناني مما يشكل خطراً على امن اسرائيل^(٣٩) .

وعليه ، يمكن القول بان الصين هي اكبر المصدرين للسلاح في ايران وذلك لعدة اسباب :

١- انسحاب الدول الأوروبية مثل فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وهولندا وعدم بيعها السلاح لإيران وذلك بعد الضغوط الأمريكية .

٢- عدم حصول إيران على المعدات العسكرية الروسية لأن روسيا كانت من حلفاء العراق وتحركات واعمال موسكو في أفغانستان وآراء وافكار الامام الخميني التي كانت ضد اليساريين .

٣- المساعي الصينية لتعويض خسائرها خلال العقد التاسع من القرن العشرين بعد قطع العلاقات والتعاون النووي مع ايران ، حيث ارادت تعويض خسائرها من خلال بيع السلاح الى ايران^(٤٠) .

٢ - العلاقات الإيرانية الصينية في المجال النووي ١٩٧٩-١٩٩٧م .

بعد انتصار الثورة وبدأ الحرب العراقية - الإيرانية ، عمدت ايران على توسيع نشاطاتها في البرنامج النووي التي وضعت اسسه في العهد البهلوي ، اذ ان النشاط الذري الايراني بدأ منذ عام ١٩٨٥ وحتى عام ١٩٩٧م ، وكانت الصين تبادر للتعاون بالصورة المباشرة مع ايران ، ولعدة اسباب ومنها .

١- رأت الصين بعد انضمامها الى وكالة الطاقة عام ١٩٨٠م ترى ان هذه الطاقة ليست حكرًا للدول التي تميل الى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب لذلك بادرت لمد جسور التعاون مع ايران في المجال النووي .

٢- معارضة بيجينك لدور الولايات المتحدة الأمريكية المتسلط وهجومه على الخليج وسعيه للنفوذ في المنطقة ، وكان يرى ان امريكا هي اول دولة استغلت الحرب العراقية الايرانية من اجل الحضور في منطقة الخليج العربي بنفوذ اكبر ، لذلك رأت الصين بضرورة تقوية ايران مقابل التدخلات الأمريكية التي كانت مضرة لإيران .

٣- ان مساعدة الصين لإيران في تنشيط برنامجها النووي هو لأبعاد التوجهات الأمريكية والدول الغربية حول القضايا الموجودة في اسيا الشرقية ، وهذه كان فرصة للصين بأن تحتفظ بنفوذها بالمنطقة^(٤١) .

قام الرئيس رفسنجاني في اواخر كانون الثاني عام ١٩٨٥م بزيارة رسمية الى الصين وتم توقيع مذكرة تفاهم بين الطرفين حول الاستخدام السلمي للطاقة الذرية ، حيث ان هذا الاتفاق كان سرياً لعدة سنوات ، اذ تعهدت الصين بأن تقوم بتشبيد اربعة مفاعل تعليمية وبحثية صغيرة في مركز الدراسات في اصفهان ، اذ تم صنع اول مفاعل يعمل بوقود

اليورانيوم الطبيعي كان عام ١٩٨٨م ، واستمر حتى كانون الثاني عام ١٩٩٢م ، ومن ثم استأنف العمل من نهاية العام نفسه حتى عام ١٩٩٥ ، ومن ثم ذهب فريق من المهندسين الذريين للصين للعمل في مجال التدريب في المجال الذري ، وشهد تعاون في مجال الطاقة من خلال تشييد جهاز باسم (كالوترون) في ايران يساعد على فصل اجزاء اليورانيوم ، وفي عام ١٩٨٩ ارسلت الصين هيئة من العلماء لاستخراج اليورانيوم وتم اكتشافه في غرب ايران ، وتم اكتشاف (ثلاثون الف وخمسمائة طن) في مدينة (بيزد) ، وتم عقد اتفاقية المساعدات الصينية للبرنامج النووي في اتفاقية عام ١٩٩٠ التي جعلت مدة الاتفاقية عشر سنوات^(٤٢) .

عقدت الصين اتفاقا بواسطة الشركة الوطنية للطاقة الذرية الصينية مع منظمة الطاقة الذرية الايرانية لبيع مفاعل بطاقة ٢٧ كيلو واط يعمل بالمصدر النطروني لكي يتم نصبها في مركز الدراسات الذرية في اصفهان ، وفي عام ١٩٩١ وافقت الصين على اكمال بناء المفاعل النووي الذري في بوشهر الذي بدا العمل به في السبعينيات ، الذي رفضت الدول الغربية اكماله بعد انتصار الثورة الاسلامية .

زار الرئيس رفسنجاني عام ١٩٩٢م الصين والتقى المسؤولين العسكريين وغير العسكريين في بيجينك حول توقيع اتفاق مع الرئيس الصيني (يانغ شانك كون)(١٩٨٨-١٩٩٣) ونص الاتفاق على بناء وتشغيل المفاعل النووي وتعهدت الصين ببناء اربعة مفاعل ذرية ٣٠٠ ميكاواط لايران ، والخطوة الاخرى للصين في تعاونها مع ايران هو لصناعة انايبب (زيكو نيومين) في عام ١٩٩٥م وهذا الفلز يقاوم الصدا ، وكذلك انتاج الماء الثقيل كانت كخطوة اخرى ، ومنذ عام ١٩٩٧ ، تم تقليل الدعم الصيني الى ايران بضغط من الولايات المتحدة الامريكية بعد امتعاض بكين من استقبال الرئيس الامريكي للرئيس التايواني عام ١٩٧٩ ورفضها انضمام الصين لمنظمة التجارة العالمية بدأت الضغوطات الامريكية وادى الى انخفاض التعاون النووي الصيني وانسحبت الصين من جميع تعهداتها قبال ايران ، اذ بدأ هذا التراجع بالعلاقة بداية العام ١٩٩٥ م^(٤٣) .

٣ - العلاقات الايرانية الصينية في المجال التجاري ١٩٧٩-١٩٩٧

شهدت ايام اندلاع الثورة الايرانية قلقاً لدى المسؤولين الصينيين نظرا للتطورات الحاصلة في ايران ، ولكن بعد اعلان ايران عن سياستها (لا شرقية لا غربية) ، وقد حصل الصين على الضمانات بأن ايران لا ترغب وتمنع التوسع السوفيتي في المنطقة ، وهذا ما زاد من اطمئنان

الصين تجاه سياسة ايران المغلقة ، وفيما بعد اصبحت هنالك زيارات لمسؤولي الدولتين وايجاد العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين^(٤٤)

ان العلاقات التجارية بين الدولتين كانت تحت تأثير السياسة الاقتصادية مع الشرق الاوسط ، اذ ان العلاقات التجارية بين الصين ودول الشرق الاوسط كانت على شكلين ، الاول التجارة التقليدية ، والثاني هو تقديم المساعدات الاقتصادية ، وان بكين كانت تستغل هذين الطريقتين كوسيلة للنفوذ السياسي ، فعلى سبيل المثال كانت نسبة التبادل التجاري بين الصين وايران بين الاعوام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٧٨ كالآتي (٥١ مليون دولار ، ٩٣ مليون دولار ، ١٠٠،٥٨ مليون دولار ، ١٨٨،٤٢ مليون دولار) ووصلت نسبة التبادل مع الصين الى ٦٧،٨٩ مليون دولار ، وبعد فوز مهدي بازرگان^(٤٥) رئيساً للوزراء ، التقى بالسفير الصيني وابدى رغبة الصين في التعاون التجاري ، وقام وزير التجارة في حكومة بازرگان بزيارة بكين وعقد مذكرات تبادل تجارية ، ومع اندلاع الثورة الايرانية كانت الصين تصدر الى عديد من الدول ومنها العراق ومصر وقليلاً الى الكويت وايران ، ولكن بعد عام ١٩٨١ ، قامت الصين بتصدير السلع الى السعودية بعد ان الغت السعودية العقوبات على الصين ، في حين ان وصول الاصلاحيين ووصول (شيانغ تشينغ كو) (١٩٧٢-١٩٧٨) لسدة الحكم تأثرت العلاقات الاقتصادية الصينية مع دول الشرق الاوسط^(٤٦) .

ان التوسع في العلاقات الايرانية الصينية يعود لسياسة الاصلاح والتجديد لحكومة دنغ شياو بينغ وسياسته الحديثة لبكين في الشرق الاوسط ، شهد مطلع الثمانينات تعاون تجاري وعسكري وضرورة تأمين احتياجات ايران التجارية والدفاعية ، وان ايران كانت تريد توطيد العلاقات مع الصين ، وهي من اول العوامل لهذه العلاقة ، والثانية نوع العلاقة الايرانية مع الدول العظمى امريكا والاتحاد السوفيتي الذي كان يحرك ايران للتوجه نحو الصين ، وحصل تقارب تجاري في العلاقات بين البلدين هو تولي علي خامنئي مقاليد النظام بعد وفاة الخميني ١٩٨٩م ، وتولي جيانغ زيمين القيادة عام ١٩٩٢م ، فضلا عن تحول الصين من مصدر الى مستورد للنفط عام ١٩٩٣م ، على خلفية تطور الاقتصاد بفض رؤية مهندس الاصلاح دينغ شياو بينغ ، ومن هنا جاءت اهمية النفط الايراني بالنسبة للصين^(٤٧) .

وفي عام ١٩٨٠ ازدادت نسبة وقيمة التجارة بين الصين وايران وبلغت ٧٩ مليون دولار ، وفي عام ١٩٨٢ زار السيد علي اكبر ولايتي^(٤٨) ، (وزير خارجية ايران للدولة المؤقتة) بكين وبالمقابل زار نظيره الصيني ايران لغرض التباحث لتوطيد العلاقات التجارية ، وفي حزيران قام السيد رفسنجاني (رئيس مجلس الشورى) بزيارة الصين وصرح الرئيس الصيني بأن العلاقة الودية مع

ايران هو على اساس الاستقلال والمعرضة لتوجهات السلطوية وهذا التصريح بين لإيران ان الصين لا تريد التقرب الى الدول العظمى لاسيما السوفييت ، وفي الاجتماع الرابع للجنة المشتركة تم تعيين قسمة التبادل التجاري بقيمة (٦٠٠) مليون دولار وفي الاجتماع الخامس للجنة المشتركة تم الاتفاق على ان النظام التجاري تم تغييره الى النظام النقدي^(٤٩) .

شهدت سنوات الحرب العراقية الايرانية وبالذات الاعوام (١٩٨٤-١٩٨٩) قيام الصين بتصدير كثير من السلع لإيران منها (المنسوجات والمواد الخام والآليات والفولاذ والمواد الكيماوية والالمنيوم ومواد الصيد والسفن) وبالمقابل كانت تستورد النفط الايراني ، وايضا ضمن الاطار نفسه شهد تعاون صيمي ايراني في مجال تشييد وبناء المحطات المائية والكهربائية وبناء السدود والمطارات ، وقامت ايضا بتعزيز معامل الإبرسيم (الحرير) بالمواد والآليات وتم عقد اتفاقية مع ايران لتنفيذ ١٩ مشروع تجاري ، ووصل مشروع قيمة الدعم التجاري الى ٦٦ مليون دولار ، وبعد موافقة ايران على قرار (٥٩٨) رحبت الصين بهذا الاجراء وسرعان ما قام معاون وزير الخارجية الصيني بزيارة طهران واكد على دعم الصين لإيران وقد ابدت الصين رغبتها في اعادة اعمار اقتصاد ايران ، وفي عام ١٩٨٩ قام السيد خامنئي بزيارة الصين وهو اول مسؤول ايراني كبير يزور الصين بعد انتهاء الحرب ، وقد اكد السيد خامنئي للرئيس الصيني بأن ايران ترغب بالتعامل في مجال اعمار اقتصادها مع الدول التي وقفت الى جانبها اثناء الحرب مع العراق ووقفت معها في كل تلك الظروف ، ولهذا اخترنا ان تكون لنا علاقات مع الصين ومستعدون لتوطيد تلك العلاقات ، وكان تصريح السيد خامنئي بمثابة طمأنة للجانب الصيني التي كانت قلقة اثر زيارة وزير الخارجية السوفيتي (ادوارد شيفردنادزه) لإيران وخشيتها من توجه ايران نحو موسكو^(٥٠) .

وفي مطلع التسعينات اصبح هنالك زيادة في تصدير النفط الايراني الى الصين وتم عقد الاجتماع المشترك الخامس المتعلق بالشؤون التجارية في بكين عام ١٩٩١م ، وتم الاتفاق على قيام ايران بتصدير مليون طن سنويا الى الصين ، وهذه الخطوة ساهمت بزيادة تصدير النفط الايراني الى الصين وتم توقيع اتفاقيات في الاجتماع الثامن للهيئة المشتركة بقيمة ٥٨٦ مليون دولار لبناء مترو في طهران ، واتفاقية بقيمة ٤٢٥ مليون دولار لبيع النفط الخام ، واتفاقية بقيمة ١٢٠ مليون دولار في مجال الاسمنت والزجاج والنحاس ، واتفاقية بقيمة ١٠٠ مليون دولار لصناعة السفن وفي النهاية اتفاقية بقيمة ٢٩٦ مليون دولار لبناء مجمع للفولاذ^(٥١) .

وفي عام ١٩٩٧م تم عقد اجتماع الهيئة المشتركة التاسع وقام بتوقيع البروتوكول في طهران معاون وزير التجارة الصيني مع المسؤولين الايرانيين ، ونص على زيادة استيراد النفط في ايران

بقيمة من ٧٠ ألف برميل يومياً إلى ١٠٠ ألف برميل يومياً ، وايضاً وقع الطرفان اتفاقية مشتركة في اكمال بناء معمل الاسمنت بطاقة ٧٠٠ طن ونقل التكنولوجيا للاتصالات عبر الاقمار الصناعية^(٥٢) .

الخاتمة والاستنتاجات:

من خلال دراستنا للعلاقات الإيرانية الصينية ١٩٧٩-١٩٩٧م ، يمكن لنا ان نخرج بجملته من الاستنتاجات .

١- ان العلاقة بين البلدين على الرغم من اختلافهما فكريا وعقائديا فإن مصلحة البلاد تقرر ان تتجاوز هذه الخطوط واخذت كل دولة تبحث عن مصالحها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، ان هنالك تبايناً في النظام السياسي بين البلدين ، فالصين تتبع ايديولوجية علمانية شيوعية ويحكمها حزب شمولي واحد وهو الحزب الشيوعي الصيني ، في حين ان ايران تتبع نظاماً دينياً اسلامياً لا يعتمد نظامها على سياسة الحزب الواحد كما في الصين وانما تعددية حزبية وثقافية في البلاد ، لذلك تجاوزت ايران والصين تلك الخطوط واخذت كل دولة تبحث عن سياسة تجعلها دولة قوية .

٢- علاقة ايران العدائية تجاه واشنطن لاسيما بعد سقوط محمد رضا بهلوي اثر قيام الثورة الاسلامية ١٩٧٩م ، جعلت من الصين تنظر الى ايران بأنها الاقرب اليها لاسيما ان رضا شاه ترك ترسانة أسلحة وطائرات ومعدات ومدافع وطائرات كان قد حصلت عليها من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، وبعد الثورة اصبحت ايران قوة مؤثرة بالمنطقة على الرغم من فرض حصار عليها من قبل الولايات المتحدة الامريكية .

٣- الموقع الجغرافي والاهمية الاستراتيجية لإيران في الحسابات الصينية ومدى اهمية ايران السياسية والاقتصادية كونها بلد نفطي اعتمدت الصين عليها بالحصول على النفط ، مع القناعة التامة ان الصين لا يهتما مصلحة ايران بالذات ، وانما هي تتقرب الى الدول التي تحتوي على خزين نفطي هائل .

٤- ان الصين تنظر الى ايران على انها بئر نفطي وانه من الصعب التفريط بدولة بحجم ايران ، والاهم من ذلك اذا ما قلنا بالاهمية نفسها فإن ايران تقف بوجه المعسكر الغربي المتمثل بالولايات المتحدة الامريكية ، لاسيما ان فترة ظهور الجمهورية الاسلامية تزامن مع المراحل الاخيرة من الحرب الباردة والتي انتهت بتفكك الاتحاد السوفيتي .

٥- على الرغم من العلاقة بين ايران والصين هي وثيقة في فترة بحثنا ، الا اننا نرى الصين تدعم الدول بما يخدم مصالحها ويقوي اقتصادها ، وبما ان الصين كانت الداعم الابرز لإيران اثناء

اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ، الا اننا نجدها داعمة للعراق ، ولكن اذا ما قورن بدعمها الى ايران فلا توجد اي نسبة نستطيع ان نقارن بها .

٦- شكل عام ١٩٩٧م منعطفاً خطيراً في العلاقات بين البلدين ، اذا بدأت الصين بتقليل دعمها الى ايران نتيجة الضغوط الامريكية لاسيما بعد امتعاض الصين من استقبال رئيس الولايات المتحدة للرئيس التايواني ، وتم الاتفاق على رفض انضمام الصين لمنظمة التجارة العالمية ، وهذا الامر جعل الصين تعيد حساباتها بشكل ادق ، وراحت تقلل دعمها الى ايران حتى انضمت الى منظمة التجارة العالمية عام ٢٠٠١م .

المصادر والهوامش :

- هوامش البحث

(١) شبكة الاخبار العالمية (الانترنت) وعلى الموقع الاتي :

(٢) فهد https ; www.ar.m Wikipedia . org oman natural resoures

مزيان خزار ، الابعاد الاستراتيجية للعلاقات الإيرانية - الصينية ، مجلة دراسات إيرانية ، العدد (١٥) ، آذار ٢٠١٢ ، ص ص ٣-٥ .

(٣) احمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية الإيرانية ١٩٧٩-٢٠١١ ، دار الجنان للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٢ ، ص ص ٢٠-٢١ .

(٤) فهد مزيان خزار ، المصدر السابق ، ص ص ٣-٥ .

(٥) سكوت هارولد و علي رضا نادر ، الصين وايران (العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية) ، مركز السياسات العامة في الشرق الاوسط ، مؤسسة رند ، ٢٠١٢ ، ص ١ .

(٦) حيدر عبد الواحد الحميداوي ، العلاقات الإيرانية الصينية ٢٠٠١-٢٠٠٦ ، مجلة دراسات إيرانية ، العدد (١٤) ، آب ٢٠١١ ، ص ٤٧ .

(٧) جريدة البينة ، دور الصين في الصراع الامريكي - الإيراني ، العراق ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، متاح على شبكة الاخبار العالمية (الانترنت) .

(٨) حيدر عبد الواحد الحميداوي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٩) ولد عام ١٩١٩ في طهران ، دبلوماسي وسياسي إيراني ، اصبح رئيساً للوزراء في عهد الشاه محمد رضا بهلوي من ٢٧يناير ١٩٦٥ وحتى ٧ ابريل ١٩٧٧ ، وكان عهده اطول عهد بين رؤساء وزراء ايران ، اذ شغل هذا المنصب اثنتي عشرة سنة متواصلة ، وبرغم تلك الخدمة الطويلة في مناصب الدولة الا ان نهايته كانت هي الحكم عليه بالإعدام بمحاكمة لم تستمر سوى ساعات وطبق الاعدام فوراً ورمياً بالرصاص على رجل مدني خدم البلاد وتميزت صفحته بالنقاء والوطنية

حسب ما تم ذكره في الكتب ، توفي عام ١٩٧٩ ، للمزيد ينظر :شبكة الاخبار العالمية (الانترنت)

وعلى الموقع التالي : <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

(١٠) للمزيد حول التطورات الاقتصادية في ايران ، ينظر : نعيم جاسم محمد ، تطورات ايران في عهد حكومة امير عباس هويدا (١٩٦٥-١٩٧٧) دراسة في تطور السياسة الداخلية ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ٢٠١٦ ، ص ص١٦٨-١٨٨ .

(١١) ولد عام ١٨٨٢ في طهران من عائلة ثرية ، سافر الى باريس لإكمال دراسته ونال شهادة الماجستير والدكتوراه من الجامعة السويسرية ، ١٩٤١ رجع الى ايران ومارس مهنة التدريس ، بعد المصادقة على قانون تأميم النفط اضطر الشاه الى تعيينه رئيساً للوزراء ، وكان يحصل على الدعم من رجال الدين لاسيما آية الله كاشاني ، وأيده الشعب بقوة ، توفي عام ١٩٦٧ ، للمزيد ينظر : مروة فاضل كاظم الكعبي ، الثورة البيضاء في ايران (١٩٦١-١٩٦٣) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٣ .

(١٢) ولد عام ١٨٨٧ في شيكيانغ ، وكان والده تاجراً ثرياً ، درس في المدارس الصينية الكلاسيكية ، درس في اكاديميات اليابان ، التقى سن يات سن ابان ثورة ١٩١١ ، وقاثل تحت لواء الكومنتانغ ، وشارك في الثورة الثانية عام ١٩١٣م ، هاجر الى شنغهاي وعاد عام ١٩٢٣م ، تولى رئاسة حزب الكومنتانغ بعد وفاة سن يات سن وقاد الحكومة الوطنية لجمهورية الصين (١٩٢٨-١٩٧٥) ، واصبح رئيساً لجمهورية الصين عام ١٩٢٨م ، توفي عام ١٩٧٥ للمزيد ينظر : صلاح حسن ربيع الربيعي ، الحزب الوطني الصيني ودوره السياسي في تاريخ الصين ١٩١٢-١٩٤٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٤ ، ص ص١٦٠ .

(١٣) عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي و احمد شمس الدين ليلة ، العلاقات الصينية - الايرانية آفاق الشركة الاستراتيجية في عالم متغير ، مجلة الدراسات الايرانية ، المعهد الدولي للدراسات الايرانية ، السنة الرابعة ، العدد (١١) ، ابريل ، ٢٠٢٠ ، ص ص ٦٨-٦٩ .

(١٤) ولد عام ١٩٠٢ في مدينة خمين احدى مدن طهران ، التحق بالحوزة العلمية في قم (المدرسة الفيضية) واصبح من المقربين لآية الله البروجردي ، وقف ضد رضا خان من خلال كتاباته ومؤلفاته ، درس العلوم الاسلامية في النجف الاشرف ، وقف ضد محمد رضا بهلوي من خلال الثورة البيضاء ، وبعد مفجر الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩م ، ومرشدها الاول ، توفي سنة ١٩٨٩م ، للمزيد ينظر : حميد الانتصاري ، آية الله الخميني من المهد الى اللحد ، منشورات المكتبة الجعفرية ، طهران ، ٢٠٠٣ ، ص ص ١٢-١٣ .

(١٥) ولد عام ١٩٣٣ من عائلة دينية وابوه كان مرجعاً دينياً ، التقى اية الله الخميني عام ١٩٧٢ ، درس في السوربون في الاجتماع والعلوم الاقتصادية ، افكاره مزيج من التصوف والاشتراكية الطوبائية ،

اصبح وزيراً للمالية في حكومة امير عباس مهدي بازرگان ، فاز بانتخابات الرئاسة عام ١٩٧٩ بنسبة ٧٥% من الاصوات ، بعد ترأسه للرئاسة عام ١٩٨٠ اتهم من قبل بعض القوى اليسارية بانه (شاه جديد) ، واصطدم بني صدر بجهود علماء دين لاسيما قيادات الحزب الجمهوري الاسلامي ، وتم اقالة بني صدر من جميع مناصبه من قبل الخميني وقرر مجلس الشورى الايراني انهاء حكمه الذي دام قرابة ٤٩١ يوماً ، عندئذ فر بني صدر الى فرنسا . للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

- (١٦) عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي و احمد شمس الدين ليلة ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .
 (17) H. J. Tasca , The Reciprocal Trade Policy of the United State , Philadelphia , 1938 , P. 82 .
 (18) Cordell Hull , The Memoirs of Cordell Hull , Vol.1 , P.21 .
 (19) Harold B. Hinton , Cordell Hull , A Biography , Garden City , New York , 1942 , , PP. 148-150 .
 (20) William R. Allen , The International Trade Philosophy of Cordell Hull 1907-1933 , The American Economic Review . Vol.43 , No1 , march , 1953 , P.103 .
 (21) New York Times , June 29 , 1929 , P.10 .
 (22) Quoted in ; William R. Allen , The International Trade Philosophy of Cordell Hull 1907-1933 , The American Economic Review . Vol.43 , No1 , mar , 1953 , PP.103 -106 .
 (23) Ibid , P.107 .

(٢٤) شاپور حقيقات ، ايران من الشاه الى آيات الله ، اعداد الكترونية من جريدة النضال ، ٢٢ آيار ٢٠١٠ ، ص ١ .

(٢٥) دكتور حامد ودكتور محسن ديانت ودكتور عادل خاني ، تبين جايكاه فرهنگ در روابط ايران وجين ، فصلنامه مطالعات سياسي ، شماره ٣٨-٣٩ ، سال ١٠ ، زستان ١٣٩٦ ، ص ١٣٦ .

(٢٦) للمزيد حول الحرب العراقية الايرانية ، ينظر : عبد الوهاب القصاب ، الحرب العراقية - الايرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ ، قراءة تحليلية مقارنة في مذكرات الفريق الاول الركن نزار عبد الكريم فيصل الخرجي ، المركز العربي للأبحاث والدراسات ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص ٩ .

(٢٧) فريبرز ارغواني بيرسلامي ، عقلانيت استراتزيك جين وروابط دفاعي امنيتي با ايران ، فصلنامه بزوهش هاي روابط بين الملل ، دورة نخسنت ، شماره بيست ويكم ، ١٣٩٥ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(٢٨) ولد عام ١٩٠٤ ، دخل الابتدائية عام ١٩١١م ، سافر الى فرنسا عام ١٩٢١ لغرض الدراسة والعمل ، شغل منصب مدير القسم السياسي للحزب الشيوعي الصيني وفي عام ١٩٤٥ ، عين اميناً عاما للحزب الشيوعي مهندس الاصلاح الصيني الذي قاد جمهورية الصين الشعبية ، اصبح نائب للرئيس عام ١٩٧٥ ، ، تبني رؤية اقتصادية ساهمت بتحقيق البلاد نهضة اقتصادية كبرى ،

له نبوءة اطلقها عام ١٩٧٨ قال فيها ان الصين تحتاج الى نصف قرن لاستكمال عملية التحديث والسيطرة السياسية والاقتصادية ، توفي عام ١٩٨٨ ، للمزيد ينظر : شبكة الاخبار العالمية (الانترنت) وعلى الموقع التالي :

www.aljazeera.net.

(٢٩) مسعود رضائي و سعيد وثوقي ، سنجش روابط دفاعي ايران وجين در دورهء رياست جمهورى حسن روحاني ، فصلنامه مطالعات راهبردى سياست كذاري عمومي ، دوره ٧ ، شماره ٢٢ بائيز ٩٢ ، ص ٢٧ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٣١) ولد عام ١٩٣٩ في مشهد ، ودرس في قم دراسة العلوم الفقهية حتى عام ١٩٦٤ ، شهد الحادثة الاولى التي حصلت في ١٩٨١/٦/٢٨ والتي ادت الى مقتل دكتور بهشتي و ٧١ شخصية في مستوى وزراء واعضاء مجلس شورى ، والحادثة الثانية عام ١٩٨١ عندما انفجرت قنبلة كانت مخبئة بجهاز تسجيل مما سبب له اصابة دائمة في يده ، وهو المرشد الاعلى للجمهورية الإيرانية ، للمزيد ينظر : احمد نوري النعيمي ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٣٢) حجاب عبدالله ، السياسة الاقليمية لإيران في اسيا الوسطى والخليج ١٩٧٩-٢٠١١ ، دراسة في دور المحددات الداخلية والخارجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، ٢٠١١ . ص ١٠٣ .

(٣٣) مسعود رضائي و سعيد وثوقي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٣٤) ولد عام ١٩٣٤ في كرمان ، اكمل تعليمه في مدرسة معهد قم الجيني ، وتلمذ على يد روح الله الخميني ، سار على خطى استاذة في معارضة محمد رضا بهلوي ، سجن ثلاث سنوات لتأييده الخميني ، تم تعيينه رئيس مجلس الثورة بعد سقوط الشاه ، تولى مهمة رئاسة القوات المسلحة ١٩٨٨-١٩٨٩ ، بعد وفاة الخميني ١٩٨٩ حصل على نسبة اصوات ٩٥% ، استخدم سياسة تجديد العلاقة مع الغرب ، وتعاون مع الصين في برنامج التسلح النووي ، اعيد انتخاب رفسنجاني مرة اخرى للفترة ١٩٩٣-١٩٩٧ ، ولم يتمكن من ترشيح نفسه مرة ثالثة لان ذلك يخالف الدستور ، توفي عام ٢٠١٧ ، للمزيد ينظر : شبكة الاخبار العالمية (الانترنت) وعلى الموقع التالي :

www.M.marefa.org

(٣٥) مسعود رضائي وسعيد وثوقي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٣٧) فريبرز ارغواني بيرسلامي ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .

- (٣٩) مسعود رضائي و سعيد وثوقي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٨-٢٩ . ١ .
- (٤٠) فريبرز ارغواني بير سلامي ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .
- (٤١) المصدر نفسه ، ص ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ص ص ١٧٣-١٧٤ .
- (٤٣) فريبرز ارغواني بير سلامي ، المصدر السابق ، ص ص ١٧٤-١٧٦ .
- (٤٤) دكتور حامد روشن و دكتور محسن ديانت ودكتور عادل خاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
- (٤٥) ولد عام ١٩٠٥ ، درس الهندسة في باريس وعاد الى ايران في عام ١٩٣٨ ، عمل في البنك الوطني ثم في جامعة طهران ، ساهم في تأسيس حركة الحرية في ايران عام ١٩٦١ التي كانت تتمتع بدعم من اية الله الطالقاني ، سجن عام ١٩٣٩ و سجن مرة اخرى للمدة ١٩٦٢-١٩٦٩ بسبب معارضته للشاه ، اصبح اول رئيس للحكومة بعد سقوط الشاه وتولى رئاسة الحكومة المؤقتة ١٩٧٩-١٩٨٠ ، وكان من انصار الثورة الايرانية ضد الشاه واحد القادة البارزين ، توفي عام ١٩٩٥ ، للمزيد ينظر : احمد نوري النعيمي ، المصدر السابق ، ص ص ٨١-٨٢ .
- (٤٦) محمد علي شيرخاني و اكبر مهدي زاده ، عمل كراني در سياست خارجي و كسترش روابط اقتصادي ايران وجين ١٩٧٩-١٩٩٩ ، فصلنامه سياست ، مجلة دانشكده ، حقوق وعلوم سياسي ، دوره ٣٨ شماره ٤ ، زمستان ١٣٧٨ ، ص ص ٢١٠-٢١٤ .
- (٤٧) عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي واحمد شمس الدين ليلة ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .
- (٤٨) ولد عام ١٩٤٥ ، ظهر من ضاحية رستم اباد في طهران ، درس طب الاطفال في الولايات المتحدة الامريكية ، يعد المقربين من آية الله خامنئي ، حاول خامنئي ترشيحه لرئاسة الوزارة الا ان مجلس الشورى الاسلامي رشح مير حسين موسوي ، اختير لمنصب وزارة الخارجية ، للمزيد ينظر : نيفين عبد المنعم مسعد ، صنع القرار في ايران والعلاقات العربية - الايرانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ص ١٠٤-١٠٥ .
- (٤٩) محمد علي شيرخاني و اكبر مهدي زادة ، المصدر السابق ، ص ص ٢١٥-٢١٦ .
- (٥٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .
- (٥١) المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .
- (٥٢) المصدر نفسه ، ص ص ٢٢١-٢٢٢ .

- قائمة المصادر

اولاً : المصادر الاجنبية

- 1- H. J. , Tosca , The Reciprocal Trade Policy of the United State , Philadelphia , 1938 .
- 2- Cordell Hull , The Memoirs of Cordell Hull , Vol.1.
- 3- Harold B. Hinton , Cordell Hull , A Biography , Garden City , New York , 1942 .
- 4- William R. Allen , The International Trade Philosophy of Cordell Hull 1907-1933 , The American Economic Review . Vol.43 , No1 , mar , 1953 .

ثانياً : الصحف الاجنبية

- 1- New York Times , June 29 , 1929 .

ثالثاً : المصادر الايرانية

- ١- دكتور حامد ودكتور محسن ديانت ودكتور عادل خاني ، تبين جاكاه فرهنگ در روابط ايران وجين ، فصلنامه مطالعات سياسي ، شماره ٣٨-٣٩ ، سال ١٠ ، زمستان ١٣٩٦ .
- ٢- فريبرز ارغواني بيرسلاهي ، فصلنامه بزوهش هاي روابط بين الملل ، دورة نخست ، شماره بيست ويكم ، ١٣٩٥ ، عقلانيت استراتژيك جين وروابط دفاعي امنيتي با ايران .
- ٣- محمد علي شيرخاني و اكبر مهدي زاده ، فصلنامه سياست ، مجلة دانشكده ، حقوق وعلوم سياسي ، دوره ٣٨ شماره ٤ ، زمستان ١٣٧٨ ، عمل كرائي در سياست خارجي و كسترش روابط اقتصادي ايران وجين ١٩٧٩-١٩٩٩ .
- ٤- مسعود رضائي و سعيد وثوقي ، فصلنامه مطالعات راهبردي سياست كذاري عمومي ، دوره ٧ ، شماره ٢٢ بائيز ٩٢ ، سنجش روابط دفاعي ايران وجين در دوره رياست جمهوري حسن روحاني .

رابعاً : المصادر العربية والبحوث والدراسات

- ١- احمد نوري النعيمي ، السياسة الخارجية الايرانية ١٩٧٩-٢٠١١ ، دار الجنان للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٢ .
- ٢- جريدة البينة ، دور الصين في الصراع الامريكي - الايراني ، العراق ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت) .
- ٣- حميد الانصاري ، آية الله الخميني من المهد الى اللحد ، منشورات المكتبة الجعفرية ، طهران ، ٢٠٠٣ .
- ٤- حيدر عبد الواحد الحميداي ، العلاقات الايرانية الصينية ٢٠٠١-٢٠٠٦ ، مجلة دراسات ايرانية ، العدد (١٤) ، آب ٢٠١١ .

- ٥- سكوت هارولد و علي رضا نادر ، الصين وإيران (العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، مركز السياسات العامة في الشرق الاوسط ، مؤسسة رند ، ٢٠١٢ .
- ٦- شابور حقيقات ، ايران من الشاه الى آيات الله ، اعداد الكترونية من جريدة النضال ، ٢٢ آيار ٢٠١٠ .
- ٧- عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي و احمد شمس الدين ليلة ، العلاقات الصينية - الإيرانية آفاق الشركة الاستراتيجية في عالم متغير ، مجلة الدراسات الإيرانية الصادرة عن المعهد الدولي للدراسات الإيرانية ، السنة الرابعة، العدد (١١) ، ابريل ، ٢٠٢٠ .
- ٨- عبد الوهاب القصاب ، الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ ، قراءة تحليلية مقارنة في مذكرات الفريق الاول الركن نزار علد الكريم فيصل الخرجي ، المركز العربي للأبحاث والدراسات ، بيروت ، ٢٠١٤ .
- ٩- فهد مزبان خزار ، الابعاد الاستراتيجية للعلاقات الإيرانية - الصينية ، مجلة دراسات إيرانية ، العدد (١٥) ، آذار ٢٠١٢ .
- ١٠- نعيم جاسم محمد ، التطورات ايران في عهد حكومة امير عباس هويدا (١٩٦٥-١٩٧٧) دراسة في تطور السياسة الداخلية ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ٢٠١٦ .

خامساً : الرسائل و الاطاريح

- ١- حجاب عبدالله ، السياسة الاقليمية لإيران في اسيا الوسطى والخليج ١٩٧٩-٢٠١١ ، دراسة في دور المحددات الداخلية والخارجية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، ٢٠١١ .
- ٢- صلاح حسن ربيع الربيعي ، الحزب الوطني الصيني ودوره السياسي في تاريخ الصين ١٩١٢-١٩٤٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٤ .
- ٣- مروة فاضل كاظم الكعبي ، الثورة البيضاء في ايران (١٩٦١-١٩٦٣) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٣ .

سادساً / مصادر الانترنت

- 1- [https ; www.ar.m.wikipedia.org/oman/natural/resources](https://www.ar.m.wikipedia.org/oman/natural/resources)
- 2- <https://ar.m.wikipedia.org/wikw>
- ٣- www.aljazeera.net تم نشر الموقع من على قناة الجزيرة في ٢١/٢/٢٠١٧ ، وهو متاح بتاريخ ١٧/٦/٢٠٢١
- ٤- [www. M. marefa.org](http://www.M.marefa.org) الموقع متاح يوم ١٥/٦/٢٠٢١ .

بعض مظاهر الفساد في المجتمع في عصر المماليك
البرجية (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م)

م.د. صدام حسين خضير عباس السعدي

كلية الآداب / جامعة سامراء / قسم التاريخ

Manifestations of corruption in society in the era of the
((towering Mamluks (784-923 AH / 1382-1517 AD

Research submitted by

Dr. Saddam Hussein Khudair Abbas Al Saadi
College of Arts / University of Samarra / Department of
History

بعض مظاهر الفساد في المجتمع في عصر المماليك البرجية (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م)

م.د. صدام حسين خضير عباس السعدي

(الكلمات المفتاحية : المماليك البرجية ، الفساد ، المجتمع)

يهدف البحث إلى دراسة المجتمع المصري والشامي في عصر المماليك البرجية ، ومظاهر الفساد المستشري فيه من (الزنا ، الرشوة ، المخدرات والمسكرات ، المعاصي الاخرى . وقسمت البحث الى ثلاث مباحث

المبحث الأول : تعريف مصطلح (الفساد) لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني: طبقات المجتمع في عصر المماليك البرجية

المبحث الثالث : مظاهر الفساد في المجتمع الشامي والمصري في عصر المماليك البرجية .

ومن ثم قائمة الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة ، وقائمة المصادر والمراجع .

Abstract

The research aims to study the Egyptian and Levantine society in the era of the Burji Mamluks, and the manifestations of rampant corruption in it (adultery, bribery, drugs and intoxicants, other sins. The research was divided into three sections.

The first topic: Defining the term (corruption) linguistically and idiomatically The second topic: the classes of society in the era of the Burji Mamluks

The third topic: the manifestations of corruption in the Levantine and Egyptian society in the era of the Burji Mamluks.

And then a list of the conclusions reached by the study, and a list of sources and references.

المقدمة

حكم المماليك مصر وبلاد الشام نتيجة صمود مقاتليهم في وجه العدوان التتري الذي هدد الوجود العربي الإسلامي برمته. لذا عبر سنوات حكمهم الطويلة ذاق المجتمع كوارث متتالية ضاعف من مراراتها الإدارة السيئة والنظام الفاسد لسلاطين المماليك، باعتبارها مُلكاً أبدياً لن يزول مهما حدث. وبالرغم الكوارث الطبيعية التي أنهكت المجتمع المصري والشامي إذ أنّ الفساد السياسي لسلاطين المماليك البرجية، وابتعادهم عن الشعب بشكل أكبر مما فعل أسلافهم، عزز من سرعة انتشار الأزمة ، وعزموا على إرهاب المجتمع في دوامات لا نهائية من الضرائب تقننوا في ابتداعها، لتعويض خسائرهم الفادحة من جهة، وإرهاب الناس من جهة أخرى، فلا يدعون مجالاً للحق. ومسألة صعود البسطاء والعوام إلى مصافّ النخب، وبيع المناصب بالأموال لتفتح الدولة بنداً جديداً في ميزانيتها، فوصل الأمر حدوداً مبالغاً فيها.

لذا ارتأينا ان اختار موضوعاً يدرس كل هذا فوق اختيار للعنوان : (بعض مظاهر

الفساد في المجتمع في عصر المماليك البرجية (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م)

تم تقسيم البحث الى ثلاث مباحث ، يتناول الأول تعريف (الفساد) لغةً واصطلاحاً ، اما المبحث الثاني فكان يختص بدراسة طبقات المجتمع وتقسيمها الى فئات . اما المبحث الثالث فأختص بمظاهر الفساد ك الرشوة والزنا وتجارة الحشيشة والشذوذ الجنسي في عصر المماليك البرجية . ثم ختمت البحث بقائمة النتائج وقائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول : تعريف مصطلح (الفساد) لغةً واصطلاحاً

أولاً : الفساد لغةً :

مأخوذ من (فَسَدَ) ويقال فَسَدَ الشيء يفسد فساداً، فهو فاسد، وقوم فسدي، أي سقطوا من اعين الناس. والاسْتَفْسَادُ: خلاف الاستصلاح. والمَفْسَدَةُ: خلاف المصلحة^(١).

ويقال وأفسده أباره، أي جعله يفسد، وأفسد المال إفساداً بغير حق، إستفسد ضد أستصلح، وتفاسد القوم تدابروا، وقطعوا الأرحام^(٢).

قال الراغب الأصفهاني: ان الفساد الخروج عن المألوف وبضده الإصلاح، وهو كل فعل يخرج عن الاستقامة^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾^(٤) وقالوا وتَفَاسَدَ القومُ، أي تدابروا وَقَطَّعُوا الأرحام وَيُقَالُ: أَفْسَدَ فُلَانٌ المَالَ يُفْسِدُهُ إِفْسَادًا وَفَسَادًا^(٥).

ويحتوي مصطلح (الفساد) على معانٍ عدة بحسب موقعه منها :

١. (الجذب أو القحط) كما في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٦).

٢. (الطغيان والتجبر) كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلُوبًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٧).

٣. (عصيان لطاعة الله) كما في قوله تعالى: ﴿نَمَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٨) ونرى في الآية الكريمة السابقة تشديد القرآن الكريم على تحريم الفساد على نحو كلي، وإن لمرتكبيه الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

ثانياً: الفساد اصطلاحاً :

هو مخالفة الفعل ذي الوجهين لأمر الشارع، وهذا المعنى يتضح من خلال بيان معنى الفساد في العبادات والمعاملات كما يأتي:

أولاً : من وجهة نظر شرعية

١. الفساد في العبادات: ما لم يوافق أمر الشارع، ولم يجزئ، ولم يسقط القضاء، كالصلاة من غير طهارة، فإنها صلاة فاسدة غير مجزية، ولا تسقط القضاء؛ لأنها صلاة مخالفة لأمر الشارع، الذي أمر بالطهارة في الصلاة^(٩).
٢. الفساد في المعاملات: عدم ترتب أحكامها المقصودة لوجود خلل في الأركان أو الشروط، كبيع المكره، فإنه بيع غير صحيح، ولا تترتب عليه آثاره، لأن من شرط البيع أن يكون البائع راضياً^(١٠).

ثانياً : من وجهة نظر عامة

تعددت التعريفات لمفهوم الفساد بتعدد جوانبه المتعلقة به واتجاهاته المختلفة، وذلك تبعاً لاختلاف الثقافات والقيم السائدة، كما يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر إليها من خلال المهتم ما بين رؤية سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية أو إدارية ومن هذه المفاهيم :

١. الفساد هو ((استخدام السلطة العامة من أجل كسب أو ربح شخصي، أو من أجل تحقيق هيبة أو مكانة اجتماعية أو من أجل تحقيق منفعة لجماعة أو طبقة ما بالطريقة التي يترتب عليها خرق القانون أو مخالفة التشريع ومعايير السلوك وبذلك يتضمن الفساد انتهاكاً للواجب العام وانحرافاً الأخلاقي عن المعايير الأخلاقية في تعامل))^(١١).

٢. ومن التعاريف الهامة هو: ((إخلال الموظف بواجبات وظيفته إيجابياً وسلبياً او عملاً من الأعمال المحرمة عليه، فكل موظف يخالف الواجبات التي تنص عليها القوانين والقواعد التنظيمية العامة أو أوامر الرؤساء في حدود القانون، أو يخرج من مقتضى الواجب في أعمال وظيفته أمر يقصر في تأديته بما يتطلبه من حيطة ودقة وأمانة ، ويخل بالثقة في هذه الوظيفة التي يقوم بها بنفسه إذا كان به وأن يؤديها بدقة وأمانة ، إنما يرتكب ذنباً إدارياً يستدعي تأديبه ، فتتجه إرادة الإدارة إلى توقيع جزاء عليه بحسب الأشكال والأوضاع المرسومة قانونياً في حدود النصاب المقرر، لهذا فإن الخروج على واجبات الوظيفة والأوامر التي تصدر إليه من رؤسائه في حدود القانون إنه الانحراف بعينه ويتفاوت هذا الانحراف شدة وقوة بتفاوت أذاه وأثره في الصالح العام)) (١٢).

أي وضع اليد على المال العام وحصر الفائدة منه بشكل خاص أو سرقة أموال الدولة بشكل مباشر أو تحت مسميات أخرى.

المبحث الثاني: طبقات المجتمع في عصر المماليك البرجية

كان المجتمع في عصر المماليك البرجية مجتمعا طبقياً ، أي أنه يتكون من طبقات عدة متميزة بعضها عن البعض في الخصائص والصفات والمظاهر ، فضلا عن علاقتها بالدولة ومقدار ما تتمتع به من حقوق، أو ما عليها من واجبات، وفي ظل هذا النظام الطبقي تبدو الفوارق واسعة بين السلطة والمحكومين ، لاسيما إذا كان الحكام اغراباً عن البلد وأهله، لا تربطهم بأبناء مصر روابط النسب والأصل أو الدم لذلك لم يشعر المماليك في كثير من الحالات بالارتياح والتجاوب مع الأهالي والحرص على مصالحهم والعمل لأجل رفاهيتهم (١٣) والواقع أن المماليك حكموا البلاد بصفتهن نخبة عسكرية مميزة، و تفردوا بالحكم وبشؤون الحرب، وتعاملوا مع المواطنين على أنهم أقل مرتبة منهم، إذ لا يمكن لهم الاشتراك في القضايا الحربية، لقد عني سلاطين المماليك عناية فائقة بخدمهم وعبدهم، وحرصوا على تربيتهم بطريقة مميزة، فاذا اقتنى السلطان عددا من المماليك، يبعثهم أولاً للفحص من أجل

سلامة أجسادهم، ثم ينزل كلا منهم في طبقة جنسه، بحيث لا يقيم في طبقة من الطبقات المخصصة للماليك بالقلعة مع ذوي الأصل المشترك أو المجلوبين من بلد واحد (١٤).

وإذا شبَّ المملوك ووصل سن البلوغ يبدأون تعليمه فنون الحرب وركوب الخيل، وحين تنتهي هذه المرحلة يخرج من الطباقي وينقل إلى أدوار الخدمة السلطانية مرتبة بعد أخرى، حتى يصبح من رتبة الأمراء ، وعندما يغادر المملوك الطباقي تعطى له جامكية أو مصروف يبلغ حوالي (ستة دنانير) وهو مبلغ مناسب في ذلك الوقت، ولكنه سرعان ما يرتقي من الجامكيات إلى الاقطاعات ويكون بأمرته العشرات، وحينئذٍ يصبح الأمير سلطاناً (١٥).

والى جانب طبقة المماليك كانت هناك مجموعة المعممين أو أهل العمامة (١٦) وهذه الطبقة كانت تشمل أصحاب الوظائف الديوانية والعلماء والفقهاء والكتاب وأهل الأدب، وهذه الفئة تميزت طوال عهد المماليك بمميزات خاصة، على الرغم مما تعرض له بعض أفرادها، ويبدو أن المماليك شعروا دوماً بغربتهم، فهم غرباء عن البلاد وسكانها، وأنهم بحاجة إلى دعامة يستندون إليها في حكمهم، وتعينهم على إرضاء الشعب، فلم يكن أفضل من فئة العلماء (١٧) بسبب ما للدين ورجاله من سطوة وتأثير، ولذلك احترم المماليك علماء الدين لأنهم يشكلون قوة ذات خطر في تشكيل الرأي العام في البلاد، وعن طريقهم تعرفوا على الدين الاسلامي، وببركتهم يعيشون، ومن جهة ثانية فإن المعممين تمسكوا بمكانتهم واعتدوا بها، فأخذوا أحيانا يعارضون السلاطين في الحق (١٨) أما التجار فكانوا يشكلون طبقة قريبة أحيانا إلى سلاطين المماليك، لشعورهم بأن التجار هم المصدر الرئيسي الذي يمدهم بالمال في أوقات الشدة والعوز، وتشير جميع الشواهد التاريخية على أن التجار تمتعوا في عصر المماليك بثروات كبيرة (١٩) وهذا أمر طبيعي في عصر كانت مصر حلقة النشاط التجاري يبين المشرق و المغرب، على أن سعة الثروة عند التجار جعلهم دائما مطمعاً لسلاطين المماليك فأكثرخوا من مصادرة الأموال والأراضي بين فترة واخرى، فضلا عن إقتالهم بالرسوم والضرائب (٢٠).

أما الفلاحون وهم السواد الأعظم من السكان، فلم يكن نصيبهم في عهد المماليك سوى الإهمال والاحتقار حتى أصبحت لفظة (فلاح) في ذلك العصر مرادفا للشخص الضعيف المغلوب على أمره^(٢١)، ولذلك قال ابن خلدون عن الفلاحة وأهلها خير دليل على إنها معاش المستضعفين ويختص أهلها بالذلة، وزاد من سوء حال الفلاحين كثرة المغارم والظلم الذي حلّ بهم من الولاة والسلاطين، ليأخذوا منهم أضعافا من الضرائب، كذلك فرض الولاة على أهل القرى نظام المسؤولية المشتركة^(٢٢) في دفع الضرائب، حتى في حالة توزيع مهام القرية الواحدة بين ملاك عدة أو إقطاعيين عدّوا كل فلاح شريكا مع زملائه^(٢٣).

المبحث الثالث : مظاهر الفساد في المجتمع الشامي والمصري في عصر المماليك البرجية

اثر تراجع اقتصاد الدولة المملوكية، وتدهور أحوالها، وازدياد أعداد المماليك وتزايدت رواتبهم، وتفشّت الرشوة والفساد في دوائر الدولة، ولم تعد الدولة قادرة على الوفاء ودفع مستلزماتها، لاسيما رواتب المماليك، لذا سبب تلك المظاهر وهي كالتالي:

١. الفساد النقدي

كان الفساد النقدي مستشرياً في عصر المماليك البرجية فقد تعددت وتنوعت منها نقص أوزان النقود، وعدم ضبط عيارها، والتلاعب بقيمتها النقدية، وأسعار تبادلها الى تزيفها أو تقليدها بسك عملات مثيلة لها خارج دور سك النقود الرسمية التابعة الى الجهة المسؤولة عن إصدار العملات والى غير ذلك من أوجه غش النقود^(٢٤).

كما شمل الفساد أيضاً الصنح المستخدمة في أوزان النقود، حيث استعملت صنح ناقصة الوزن، فجاءت النقود التي حددت أوزانها بتلك الصنح ناقصة سواء أكانت دنائير ذهبية أو دراهم فضية^(٢٥).

يظهر دور سلاطين المماليك في تفشي ظاهرة الفساد النقدي اذ ان بعض السلاطين عملوا بأنفسهم على إفساد الوضع النقدي في الدولة، وإن لم يعملوا بأنفسهم فقد قام بذلك كبار

أمراءهم وكبار مسئولى الدولة على مرأى ومسمع منهم، مما يعنى قبولهم أو موافقتهم و تلاعب رجال الدولة والمسئولين وأهل الفساد لزيادة إفساد النقود وتزييفها، والعمل على تحقيق الربح والكسب^(٢٦) وساء النظام النقدي، فقد قاموا بعضهم بتخفيض أوزان النقود وعياراتها، عندما نقصت إمدادات الدولة من المعادن وعانت خزينة الدولة من عجز في نفقاتها ومصروفاتها^(٢٧) بدءاً من عهد السلطان (الناصر فرج بن برقوق) الذي يذكر عنه المقرئى إفساده لأوزان النقود، وعدم ضبط عياراتها^(٢٨) ، ويذكر أيضاً عن أمراء دولته وكبار مسئولىها إفساد هم للنقود بشكل لم يسبق له مثيل وتلاعبهم بأسعار تبادلها بما يحقق لهم الربح والثراء، دون النظر لشرعية ذلك وما نتج عنه من أضرار باقتصاديات الدولة والشعب، كما سلك جميع سلاطين الدولة ممن جاءوا بعد الناصر فرج سياسة إنقاص أوزان النقود وعيارها، علاجاً لمشكلة نقص لمعادن^(٢٩)

وقام السلاطين بالعمل على تقليل أعداد الدراهم الفضية حتى وإن دعتهم الحاجة أو الفائدة وقف إصدارها كي يضطر المتعاملون إلى استخدام النقود النحاسية بدلاً عنها، وعندها يكثر من إصدار النقود النحاسية، ويضمنون بذلك الربح المادي من وراء ذلك^(٣٠). و قاموا بخلط نقد العملة عند الوزن برؤوس المسامير وقطع الرصاص والنحاس حيث وصلت نسبة النحاس فيها إلى أقل من ٢٠% من وزن القطعة، أما باقي الوزن فكان عبارة عن خليط من المعادن الرخيصة كالحديد والرصاص^(٣١).

٢. احتكار السلع الغذائية.

لقد كان السلطان وكبار رجال الدولة في طليعة من يمارسون الاحتكار بغية تحقيق الأرباح الوفيرة ، ولأن معظم الأراضي الخصبة وخصوصاً التي كانت قريبة وتسقى من مياه النيل بدون فيضان، كانت مقتطعة للسلطان والأمراء، فكانت تؤجر إلى الفلاحين بأسعار يفرضها الأمراء وعادة ما تكون مرتفعة، ثم يقوم الأمراء بإعادة شراء الغلال من الفلاحين وبيعها بأسعار مرتفعة في السوق، وبسبب هذه السياسة المعتمدة في السلاطين والأمراء حدثت الأزمات الاقتصادية، وكان سببها المباشر سياسة الاحتكار التي مارسها الأمراء^(٣٢)، فيذكر المقرئى أمراء السلطان (أبو النصر شيخ المحمودي) في ذلك فيقول: " فبذل أمراء دولته

ومدبروها جهدهم في ارتفاع الأسعار بخزنهم الغلال وبيعها بالسعر الكبير ثم زيادة أجرة أطيان أراضي مصر حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأراضي ... وأخذت على نواحي مصر مغارم تجبي من الفلاحين في كل سنة وأهمل عمل جسور أراضي مصر وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبي منهم وتحمل إليه. وأكثر وزرائه من رمي البضائع على التجار ونحوهم من الباعة بأعلى الأثمان واضطروهم إلى حمل ثمنها فعظمت مغارمهم للربح التي تستحثهم ولمستخرجي المال منهم مع الخسارة في أثمان ما طرح عليهم من البضائع لا جرم أن خرب إقليم مصر وزالت نعم أهله وقلت أموالهم وصار الغلاء بينهم كأنه طبيعي لا يُرجى زواله " (٣٣).

وبحث السلاطين عن إيرادات جديدة ليفرضوا عليها الضرائب لتغطية نفقاتهم المتزايدة، وجدوا أن تجارة السكر رائجة وعليها طلب تدخلوا بالبداية بعملية البيع والشراء ليصبح حكرًا عليهم و ذلك سنة (٨٢٧هـ / ١٤٢٤ م) وبازدياد النفقات والبحث مجدداً عن الإيرادات اذ صدر به مرسوم سنة (٨٣١هـ / ١٤٢٧ م) بمنع زراعة قصب السكر واحتكار زراعته مما أدى إلى بحث التجار عن طرق أخرى غير أراضي الدولة المملوكية وضاعت المصالح، وأصبحت الغلال قليلة مع كثرتها في المخازن، وإمساك أربابها أيديهم عن بيعها لأملهم فيها غاية الريح (٣٤).

٣. الزنا :

ويعد الزنا من مظاهر الفساد التي انتشرت في عصر المماليك، فقد أشار ابن الفرات ماحدث في مناسبة او احدى الموالد في مصر سنة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨ م) عن الفساد والزنى قائلاً : ((حصل فيه من الفساد ما لا يحصى من كثرة النساء والفساق ، حتى أشيع أنهم وجدوا في ثانی يوم في المزارع مائة وخمسين فارغة من جرار الخمر وفتحت بنات بكور)) . أى بنات أبقار فقدن عذريتهن (٣٥).

ويذكر المقريزي عن هذا المولد والذي يسمى مولد الانبائي في نفس العام: ((وفي هذه الليلة: عمل الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبائي المولد على عادته في زاويته بناحية منبوية من الجيزة تجاه بولاق فكان فيه من الفساد ما لا

يُوصَفُ إِلَّا أَنَّهُ وَجَدَ مِنَ الْغَدِّ فِي الْمَزَارِعِ مَائَةَ وَخَمْسُونَ جِرَّةً فَارِغَةً مِنْ جَرَارِ الْخَمْرِ الَّتِي شَرِبْتَ - تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْخَيْمِ سِوَى مَا حَكَى عَنِ الزَّنَا وَاللَّيْطَةِ فَجَاءَتْ رِيحٌ كَادَتْ تَقْتَلِعُ الْأَرْضَ. بِمَنْ عَلَيْهَا وَامْتَنَعَ النَّاسُ مِنْ رُكُوبِ النَّيْلِ فَتَأَخَّرُوا هُنَاكَ))^(٣٦)

وفي عيد وفاء النيل - وهو من التراث الفرعوني ، كان الناس يجتمعون ، وعلى حد قول الصيرفي وكان ذلك سنة (٨٧٥هـ / ١٤٧٠ م) : ((فهرع الناس إلى الأماكن المقدم ذكرها ، وهي الروضة والجسر والجزيرة وغير ذلك ، وأظهروا المفاسد والقبايح والزنا واللواط والخمر والحشيش وركوب البحر بالملاهي))^(٣٧).

ومن مظاهر الفساد الاخلاقي هو اعتراف الدولة المملوكية بالبغياء ففرضت عليهن ضرائب مقررة، مما كان يدر على الخزينة الكثير من الأموال، كما قامت الدولة بتعيين ضامنة للبغياء تذهب إليها محترفة البغاء لتسجيل اسمها عندها، لكن هذه الظاهرة لم تكن عامة عند سلاطين المماليك بل إن بعضهم كالسلطان بيبرس أخذته حمية الدين لمنع هذه الظاهرة، فمنعها في القاهرة وسائر البلاد الشامية، كما حبس البغياء حتى يتزوجن^(٣٨).

٤. تعاطي الخمر والحشيش :

شاعت تعاطي الخمر كمظهر من مظاهر الفساد في عصر المماليك بين السلاطين والأمراء وعامة الناس^(٤٠) واعتاد الأمراء أن يتهاذوا بها في الأفراح، وقد بلغ ما استهلكه أمير من الأمراء خمسين رطلا في اليوم الواحد، وإذا احتاج أحد السلاطين أو الأمراء إلى كمية كبيرة من الخمر لحفل أو ظرف طارئ، وزعوها على النصارى واليهود المعروفين بصنعها، لكن بعض سلاطين المماليك عملوا على منع الخمر وأراقوها في الشوارع، وحرموا تعاطيها في مختلف أنحاء البلاد^(٤١)، ومن ذلك ما أصدره الظاهر بيبرس سنة (٦٦٥هـ / ١٢٦٦ م) بالتشديد على شارب الخمر، وقد أمر بإراقة الخمر وكسر أوانيها، وإغلاق الحانات في مصر والشام^(٤٢).

ووصفها (ابن دانيال)،قائلاً: ((وضع البلاد وهي غارقة في المجون وشرب الخمر... وفي القهوة سلوة الأحزان، لولا خفة الميزان ومطاوعة الشيطان، وعصيان السلطان.. والأخذ من النصارى واليهود.. وأكثروا الدخول إلى المعصرة، وشاركوا الخمارين على المرة.. عرفوا سر الحشيش، لأنهم ذاقوا بها لذة الكسل... وهاموا في الطلب الرقص والمشاهد))^(٤٣).

وقد كثرت وسائل الخلان والندمان في وصف الخمر ومجالس النشوة، وفي ذلك ما كتبه الشاعر(بدر الدين ابن الحاجب) رسالة في وصف خمرة في مجلس طرب، وبعث بها إلى الوزير (فخر الدين بن مكناس)، جاء فيها: ((هل لك - بسط الله آمالك، وضاعف نعيمك ودلالك - في عذراء مصونة كالدرة المكنونة فتانة مفتونة، كأن على خدها فوق وردة ياسمينية، مخدرة تدهش العقول لمجتلاها، وتعشى العيون لضوء سناها، مظلومة الريق في تشبهه بالضرب... بلقيسية الجمال، لها صرح ممرد من قوارير، صبية الاستمتاع، بكر تستخف الحليم بكشف القناع... ثملة المعاطف تقهقه قهقهة الرعونة، كأنما خلقت نشوانة من الطينة... غانية، طعم الحياة في ريقها، وضيق الموت في مباينتها وتطليقها. لا تنزل الحوادث ساحتها، ولا يعرف التعب من صافح راحتها. حمراء تخلع ثوبها على الندمان، بل تكاد تطبق عينها على الإنسان. لا ينهض البليغ بوصفها))^(٤٤).

اما الحشيش فيعد من مظاهر الفساد في المجتمع المملوكي؛ وقد شاعت هذه الظاهرة، وولع بها الكثير من الناس، وقد فرض على الحشيش ضريبة تمد الدولة كمية كبيرة من الأموال، وتفشت هذه الظاهرة في مختلف العناصر السكانية كالعلماء، والقضاء، ووصل القضاة إلى حد الإفتاء بإباحة أكلها لذلك نظم بعض أدباء العصر أشعارًا الغرض منها إيضاح مزايا الحشيش وتفضيله على الخمر، ويشير محي الدين بن عبد الظاهر إلى هذا الأثر السيء في رسالته التي كتبها في إبطال الحشيش بعد الخمر، وذلك إذ يقول فيها((يعلم أن المنكرات التي أمرنا أن

تملاً الصحائف بأجرها وتفرغ الصحف، ألا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف . قد بلغنا الآن أنها احتضرت، وأن كلمة الشيطان بالتعويض عنها قد نصرت، وأن أم الخبائث ما عقت، والجماعة التي كانت ترضع ثدي الكأس قد أرتعت بعد ما فطمت، وأنها في النشأة ما حبب إبليس مسعاها، وأنها لما أخرج المنع عنها ماءها من الخمر اخرج لها من الحشيش مرعاها، وأنها استراحت من الخمار، واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه بدينار، وان ذلك فشا في كثير من الناس، وعرف في عيونهم ما يعرف في الاحمرار في الكأس وصاروا كأنهم خشب مسندة، سكرى، وإذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بأن تجتث أصولها وتقتلع، ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع، وتظهر منها المساجد والجوامع، ويشهر مستعملها في المحافل والمجامع، حتى تتيه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهي بعدها خضراء ولا خضراء الدمن))^(٥٠).

تبين هذه الرسالة إقبال الناس على الحشيشة بعد تحريم الخمر لرخص ثمنها، وتصف ما تفعله الحشيشة بدمنها من تخدير حتى يمشي مختلط الفعل، مرتعش الخطو، كما تشير هذه الرسالة إلى أن الناس كانوا لا يتورعون عن تعاطي هذا المنكر في الجوامع والمحافل.

ويشير السبكي إلى هذه الظاهرة وتقليدها بين المتصوفة قائلاً: ((فهؤلاء القوم إذ اتخذوا الخوانق ذريعة للباس الزور، وأكل الحشيش، والانهماك على حطام الدين، لا سترهم الله، وفضحهم على رؤوس الاشهاد))^(٥١).

٥. الشذوذ الجنسي :

وشاعت ظاهرة الشذوذ الجنسي، حتى عمدت النساء إلى التشبه بالذكور في ملبسهم ليستملن قلوب الرجال، وبلغ استفحال هذه الظاهرة أن أحد السلاطين عرف بحبه للنساء فقليل فيه :إنه لم يكن له هوى بالشباب، ويروى أن أحد أبناء السلاطين

شغف بسلام وهام فيه، وانتشرت هذه الظاهرة بين رجال القلم ورجال السيف وبقية العناصر السكانية^(٤٧)، وتمثل هذه الظاهرة قمة الفساد ومن أسباب شيوعها وفرة الجوارى، وشيوع التهلك والخلاعة بينهن فنتج عن ذلك الزهد بالمرأة ومحاولة اقتناص اللذة من جهة أخرى هذا بالإضافة إلى وجود سقاة على جانب من الجمال في مجالس الشرب لذا أشار الصفيدي في وصف لقاء محبوبه: ((فبينما نحن في هذه اللذة التي وصفت، والعيشة التي راقت ووصفت، والحالة التي طابت وحلت، والخلوة التي من الخيال والخيال خلت إذا جانب الروض قد سطع بالأنوار، وتتميل السرور من السرار، وصفق النهر طربا، وغنى الحمام وصبا، وتبسمت الأزهار فرحا وأعجابا، وتعانقت الأغصان وبعد أن كانت غضابا، وشمنا أرجا فاق في الأفاق على المسك الأنخر، ولولا التماسك لطار القلب من الخفقان وفر، فحدقتا لنحو تلك الحدائق لننظر ما هذا الأرج الفائق، وإذا نحن بسلامان عدد الكواكب السيارة قد أهالوا الشمس من الهالة))^(٤٨) ويكمل الصفيدي في وصف ظهور الغلام: ((فبدا لي من بينهم ظبي كأنه بدر سافر أو غزال نافر، فاقهم حسنا وظرفا، وفاتهم رشاقة ولطفا، قد تقمص بالحسن، وارتدى بالجمال، وتسربل بالغنج، وتمنطق، إن تبدى أنكرت البدر في تمامة، أو تثنى لم تعرف الغصن من قوامه... قد أسهر العاشق بطرفه الوسنان وفتن الراقب بعده الفتان، وأطار الفؤاد على مائس غصن قده))^(٤٩).

وبعد هذا النص أو هذا الشعر شهادة بالغة على الفساد والمجون الذي ساد في المجتمع المملوكي آنذاك .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ورد ذكر مسألة الشذوذ مع الحيوانات في العصر المملوكي فقال : أن الشعراني أحد كبار أئمة الصوفية، ذكر من كرامات علي وحيش الصوفي (ت ٩١٧هـ / ١٥١١ م) أنه كان يفعل الفاحشة بحمارة أمام الناس جهارا بدون حياء^(٥٠).

الخاتمة

١. انغماس الطبقة الحاكمة من الامراء والوزراء في الفساد الاجتماعي والإداري المتمثل في الرشوة والمحرمات والزنا وتعاطي الخمر والحشيشة والبغاء في تلك الحقبة من حكم المماليك للشام ومصر .

٢. لقد كان من أبرز المنكرات، المنتشرة في المجتمع، تعاطي الخمر والمخدرات وصنعها بشكل لافت للنظر وكان الناس يتظاهرون بشرب الخمر وخاصة في بعض احتفالاتهم ومواسمهم، ومما يؤكد أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في المجتمع.

٣. ومن المفاصد التي عرفت آنذاك، الرشوة، حيث تحتوي المصادر على العديد من الحالات التي تثبت بما لا يقبل الشك أن الرشوة كانت متفشية في هذه الحقبة التاريخية من حكم المماليك فقد انتشرت الرشوة في المستوى السياسي والديني بين الحكام والمحكومين وكبار موظفي الدولة وخاصة في القرن الثاني من عصر سلاطين المماليك.

٤. ومن المفاصد والمعاصي التي عرفت في تلك الحقبة الغناء والمجون كالرقص والزنا و كثر الغناء والمغنون والمغنيات، وانتشرت الملاهي والحفلات والحانات ما بين الفسطاط والقاهرة، حتى أصبحت تلك المنطقة بؤرة للفساد وتعاطي الحشيشة والإفراط في الاستماع إلى المغنيات، وحضور حفلات المجون والخلاعة التي كانت تقام هناك وسط الأنوار المتلألئة ليلاً، وكان يتردد على هذه الملاهي فئات مختلفة من الناس من بينهم بعض الأمراء ، كما كان للبعض من هؤلاء سرادق للعب واللهو، وكان من عساكرهم من يدمن الخمر ويستخدم المغنيين والمغنيات.

٥. انتشرت في المجتمع المصري والشامي في عصر المماليك رذيلة الزنا، والشذوذ الجنسي وتجلت كظاهرة اجتماعية، فقد كانت الدعارة من أكثر المهن رواجاً وتنظيماً، وكانت الدولة تتقاضى عن هذا النشاط ضرائب محددة، تدر دخلاً كبيراً على خزينة الدولة.

٦. حاول السلطان الظاهر بيبرس (ت. ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)، أن يحد من البغاء في البلاد، فأبطل المكوس المقررة على البغايا، ومنع البغاء في القاهرة وسائر البلاد، كما حبس البغايا حتى يتزوجن.

٧. يذكر أنه وبوفاة الملك الظاهر بيبرس، تساهل سلاطين المماليك الذين جاءوا بعده، وأدى ذلك التساهل من جانب السلاطين مع هؤلاء البغايا إلى المجاهرة بالزنا وارتكاب الفواحش والمعاصي، فيذكر الصيرفي أنه كان في بلاد الريف حارات مخصصة للدعارة ومن اجتاز بها غلطاً ألزم أن يزني بخاطره فإن لم يفعل فدا نفسه بشي.

الهوامش:

(١) الجوهرى ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم والملايين ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، ج ٢ ، ص ٥١٩ .

(٢) كباره ، أسامة ظافر ، الفساد في الأرض وموقف الإسلام منه، دراسة في مفهوم الفساد وأبعاده المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ ، ص ٢٣-٣٣ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨ م) ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم للنشر ، دمشق ، ١٤١٢ هـ، ص ٦٣٦ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٣٣ .

(٥) ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .

- (^١) سورة الروم ، الآية : ٤١ .
- (^٢) سورة القصص الآية : ٨٣ .
- (^٣) سورة المائدة الآية : ٣٣ .
- (^٤) القرافي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥ م) ، شرح تنقيح الفصول ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، ١٩٧٣ م ، ص ١٧٤ .
- (^٥) السيناوي ، حسن بن عمر بن عبد الله ، الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع ، مطبعة النهضة ، تونس ، ١٩٢٨ م ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
- (^٦) شتا ، السيد علي ، الفساد الإداري ومجتمع المستقبل ، المكتبة العصرية للنشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠٣ ، ص ٤٣ - ٤٤ .
- (^٧) عبود ، سالم محمد ، ظاهر غسيل الأموال ، دار المرتضى للنشر ، بغداد ٢٠٠٧ ، ص ٢٧ .
- (^٨) ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٢٠٥م) ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، طه ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ١٦٥ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د.ت ، ج ٧ ، ص ١٨٣-١٨٦ .
- (^٩) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ | ١٥٠٥ م) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٧ م ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .
- (^{١٠}) العيني ، محمود بن احمد المعروف بالبدر العيني ، (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١ م) ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد أمين ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ؛ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، المجتمع المصري في عهد المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ٢٩-٣٠ .
- (^{١١}) ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥ م) ، تاريخ ابن الفرات ، دار قسطنطين ، بيروت ، ١٩٣٦ م ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
- (^{١٢}) المقرئ ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١ م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ .

(^{١٨}) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٣١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١ ، ص ٣١٢ ؛ ابن أبيك ، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢ م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .

(^{١٩}) ابن أبيك ، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢ م) ، أعيان العصر وأعيان النصر، تحقيق : علي أبو زيد، نبيل أبو عظمة، محمد موعده، وآخرون ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ١٩٩٨ م ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(^{٢٠}) القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م) ، صبح الأعشى في صناعة الأنشأ، تحقيق : عبد القادر زكار ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨١ م ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

(^{٢١}) ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٩٣-٤٩٤ .

(^{٢٢}) ابن خلدون، المقدمة ، ص ٤٩٣-٤٩٤ .

(^{٢٣}) المقريزي، السلوك، ج ٢ ، ص ٣٦٦ ؛ حمد، فيصل عبد الله ، العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨١م) والثاني (٧٨٤-٩٢٢هـ/١٣٨١-١٥١٧م) ، مجلة المنارة ، مج ١٤ ، ع ٢٤ ، ٢٠٠٨ م ، ص ٢٩٤ .

(^{٢٤}) برنارد ، صمويل ، النقود العربية، ترجمة : زهير الشايب، مكتبة الخانجي للنشر ، مصر ، ١٩٧٩ م ، ص ٧٨ .

(^{٢٥}) القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م) ، صبح الأعشى في صناعة الأنشأ، تحقيق : عبد القادر زكار ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨١ م ، ج ٥ ، ص ٨٠ ، العش، محمد أبو الفرج، مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية ، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب، مصر، القاهرة، ١٩٧١ م ، ص ٩٦٧ .

(^{٢٦}) النجدي، حمود بن محمد، النظام النقدي المملوكي، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر ، ١٩٩٣ م ، ص ٥٤٨-٥٥٠ .

(^{٢٧}) الصيرفي ، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤ م) ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشي، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ج ٣ ، ص ٢١٨

(^{٢٨}) المقرئزي ، تقى الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨ هـ ، ج ٣ ، ص ٣٩١ .

(^{٢٩}) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٦، ص ٣٢٥ .

(^{٣٠}) الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ٣٥٠ ، ابن اياس ، محمد بن احمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢، القاهرة، ١٩٨٤م ، ج ٢، ص ٣٤ .

(^{٣١}) الزهراني، ضيف الله يحيى، دار السكة (نشأتها وأعمالها وإدارتها)، مجلة الدار، مجلة فصلية ، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، السعودية، ع ٢، ١٤١٥هـ، ص ١٢٥-١٢٦ .

(^{٣٢}) العزام، عيسى محمود، الأزمات الاقتصادية في مصر خلال العصر المملوكي ، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، سوريا، ع ٢٢، ٢٠٠٩م، ص ٢٢٠ .

(^{٣٣}) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٦، ص ٣٢٦ .

(^{٣٤}) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٦، ص ٣٢٧ .

(^{٣٥}) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج ١، ص ٤٣ .

(^{٣٦}) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٥، ص ٢٠٧ .

(^{٣٧}) الصيرفي ، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) ، انباء الهصر لأنباء العصر ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ٢٠٠٢م ، ص ١٧٦ .

(^{٣٨}) بيبرس البندقاري (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلاني

البندقاري الصالحي سلطان مصر وسوريا، وقد لُقِّبَ بأبي الفتح، وهو رابع سلاطين

الدولة المملوكية ومُؤسِّسها الحقيقي حقق بيبرس العديد من الانتصارات

على الصليبيين . تُؤفِّي الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) ودُفِنَ في المكتبة

الظاهرية في دمشق . ينظر : ابن خلدون ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي

(ت ٨٠٨هـ / ١٢٠٥م) ، تاريخ ابن خلدون ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ،

١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ ؛ الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧هـ /

١٨٢١ م) ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل للنشر ، بيروت ،

د.ت ، ج ١ ، ص ٣٠ .

(^{٣٩}) عاشور، المجتمع المصري، ص ٢٢٧ .

- (^{٤٠}) أمين، فوزي ، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الاول ، دار المعارف للنشر ، مصر ، ١٩٨٢م ، ص ٣٣٧ .
- (^{٤١}) عاشور، المجتمع المصري، ص ٢٣٣ .
- (^{٤٢}) التونجي ، محمد ، التيارات الأدبية أبان الزحف المغولي، دار طلاس للنشر ، دمشق ، ١٩٧٨م ، ص ١١ .
- (^{٤٣}) ابن دانيال، شمس الدين أبو عبد الله محمد (٧١١هـ / ١٣١١م) ، خيال الظل ، خيال الظل، تحقيق :إبراهيم حمادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦١م ، ص ١٨٠ .
- (^{٤٤}) الغزولي، علاء الدين (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) ، مطالع البذور في منازل السرور ، مطبعة إدارة الوطن، القاهرة، د.ت ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
- (^{٤٥}) ابن حجة ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٤م) ، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق : أبو عمار السخاوي، دار الفتح ، الشارقة ، ١٩٩٧م ، ص ٢٨٨ .
- (^{٤٦}) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٢٥ .
- (^{٤٧}) عاشور، المجتمع المصري، ص ٢٢٩ .
- (^{٤٨}) ابن أبيك ،صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، لوعة الشاكي ودمعة الباكي، تحقيق: محمد أبو الفضل محمد هارون، المطبعة الرحمانية للنشر ، مصر، ١٩٢٢م ، ص ١٣ .
- (^{٤٩}) لوعة الشاكي ودمعة الباكي ، ص ١٥ .
- (^{٥٠}) الأفغاني، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر ، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، دار الصميعة للنشر ، مصر ، ١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ١٠١١ .

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

المصادر

١. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م)، تاريخ ابن الفرات، دار قسطنطين ، بيروت، ١٩٣٦م .
٢. ابن اياس ، محمد بن احمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢، القاهرة ، ١٩٨٤م .
٣. ابن أيبك ، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، د.ت .
٤. ابن أيبك ، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، أعيان العصر وأعيان النصر، تحقيق : علي أبو زيد، نبيل أبو عشمة، محمد موعد، وآخرون ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ١٩٩٨م .
٥. ابن أيبك ، صلاح الدين خليل الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، لوعة الشاكي ودمعة الباكي، تحقيق: محمد أبو الفضل محمد هارون، المطبعة الرحمانية للنشر ، مصر، ١٩٢٢م .
٦. ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق : محمد أمين ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٩٨٦م
٧. ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر ، د.ت.

٨. ابن حجة ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي (ت ٨٣٧هـ / ٤٣٤م) ، طيب المذاق من ثمرات الأوراق ، تحقيق : أبو عمار السخاوي ، دار الفتح ، الشارقة ، ١٩٩٧م .
٩. ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ٤٤٨م) ، إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر ، ١٩٦٩م .
١٠. ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٢٠٥م) ، تاريخ ابن خلدون ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
١١. ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ / ١٢٠٥م) ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٨٤م .
١٢. ابن دانيال ، شمس الدين أبو عبد الله محمد (٧١١هـ / ١٣١١م) ، خيال الظل ، خيال الظل ، تحقيق : إبراهيم حمادة ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٦١م .
١٣. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
١٤. الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن المؤرخ (ت ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م) ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الجيل للنشر ، بيروت ، د.ت .
١٥. الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم والملايين ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
١٦. الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم للنشر ، دمشق ، ١٤١٢هـ .
١٧. الزهراني ، ضيف الله يحيى ، دار السكة (نشأتها وأعمالها وإدارتها) ، مجلة الدار ، مجلة فصلية ، جامعة الملك عبد العزيز ، الرياض ، السعودية ، ٢٤هـ ، ١٤١٥هـ .

١٨. سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن (ت ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م) ، كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ١٤١٧ هـ.
١٩. السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق :محمد علي النجار، أبو زيد الشلبي، وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٧.
٢٠. السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(٩٠٢ هـ / ١٤٩٦م) ، التبر المسبوك في ذيل الملوك ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٨٩٦ هـ .
٢١. السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .
٢٢. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ | ١٥٠٥ م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٧م .
٢٣. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .
٢٤. الصيرفي ، علي بن داود (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤م) ، انباء الهصر لأنباء العصر ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ٢٠٠٢م .
٢٥. الصيرفي ، علي بن داود (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤م) ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشي، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة.
٢٦. العيني، محمود بن احمد المعروف بالبدر العيني،(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) ، عقد الجمال في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٧. الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م) ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٧ م .
٢٨. القرافي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥ م) ، شرح تنقيح الفصول، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٩٧٣ م.
٢٩. القرشي ، عبد القادر بن محمد بن نصر الله (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣ م) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، دار مير محمد كتب خانة ، كراتشي ، د.ت .
٣٠. القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م) ، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، تحقيق : عبد القادر زكار ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨١ م .
٣١. المقرئزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.
٣٢. المقرئزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨ هـ.
٣٣. المقرئزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، إغاثة الامة بكشف الغمة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٥٦ م .

المراجع

٣٤. الأفغاني، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر ، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، دار الصمعي للنشر ، مصر، ١٩٩٦ م.
٣٥. أمين، فوزي، المجتمع المصري في أدب العصر المملوكي الاول ، دار المعارف للنشر ، مصر ، ١٩٨٢ م .
٣٦. برنارد ، صمويل ، النقود العربية، ترجمة : زهير الشايب، مكتبة الخانجي للنشر ، مصر، ١٩٧٩م التونجي ، محمد ، التيارات الأدبية أبان الزحف المغولي، دار طلاس للنشر ، دمشق ، ١٩٧٨ م .
٣٧. الجبوري ، احمد ماجد عبد الله ، أحوال العامة في مصر عصر المماليك البرجية ، رسالة ماجستير (منشورة) ، جامعة ال البيت ، كلية الآداب ، ٢٠١٥ م .
٣٨. حمد، فيصل عبد الله ، العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكين الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨١م) والثاني (٧٨٤-٩٢٢هـ/١٣٨١-١٥١٧م) ، مجلة المنارة ، مج١٤ ، ع ٢ ، ٢٠٠٨ م .
٣٩. السيناوني ، حسن بن عمر بن عبد الله ، الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، مطبعة النهضة، تونس، ١٩٢٨م.
٤٠. شتا ، السيد علي ، الفساد الإداري ومجتمع المستقبل، المكتبة العصرية للنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٣ .
٤١. الطهطاوي ، أحمد رافع بن محمد، التنبيه والإيقاظ لما في زيول تذكرة الحفاظ، مطبعة الترقى للنشر ، دمشق ، ١٣٤٨ هـ.
٤٢. عاشور، سعيد عبد الفتاح ، المجتمع المصري في عهد المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٦٢م.

- ٤٣ . عبود ، سالم محمد ، ظاهر غسيل الأموال، دار المرتضى للنشر ، بغداد . ٢٠٠٧ .
- ٤٤ . العزام، عيسى محمود، الأزمات الاقتصادية في مصر خلال العصر المملوكي ، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، سوريا، ٢٢٤ ، ٢٠٠٩م
- ٤٥ . العث، محمد أبو الفرج، مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية ، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب، مصر، القاهرة، ١٩٧١م
- ٤٦ . الغزولي، علاء الدين (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) ، مطالع البدور في منازل السرور ، مطبعة إدارة الوطن، القاهرة، د.ت.
- ٤٧ . كباره ، أسامة ظافر، الفساد في الأرض وموقف الإسلام منه، دراسة في مفهوم الفساد وأبعاده المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ .
- ٤٨ . النجدي، حمود بن محمد، النظام النقدي المملوكي، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، ١٩٩٣م

List of sources and references

• The Holy Quran

Sources

1. - Kabara, Osama Dhafer, Corruption in the Land and the Position of Islam on It, A Study of the Concept of Corruption and its Contemporary Dimensions, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, first edition, 2009.
2. . Al-Ghazouli, Alaa Al-Din (d. 816 AH / 1413 AD), Mutla' Al-Bdour in Manazel Al-Surour, Home Administration Press, Cairo, d.T.
3. . Al-Tunji, Muhammad, Literary Currents During the Mongol Encroachment, Tlass Publishing House, Damascus, 1978.
4. . Amin, Fawzi, The Egyptian Society in the Literature of the First Mamluk Era, Dar Al Maaref for Publishing, Egypt, 1982.
5. . Sheta, Mr. Ali, Administrative Corruption and the Future Society, Al-Asriya Library for Publishing, Alexandria, 2003.
6. Abboud, Salem Muhammad, Zahir of Money Laundering, Dar Al-Murtada for Publishing, Baghdad 2007.
7. Al-Afghani, Abu Abdullah Shams Al-Din Bin Muhammad Bin Ashraf Bin Qaiser, The Efforts of Hanafi Scholars in Refuting the Doctrines of Al-Quburi, Dar Al-Sumaei Publishing, Egypt, 1996 AD.

8. Al-Aini, Mahmoud bin Ahmed, known as Al-Badr Al-Aini, (d. 855 AH / 1451 AD), the Juman contract in the history of the people of time, investigation: Muhammad Amin, Egyptian Book Authority, Cairo, 1960 AD.
9. Al-Ghazzi, Najm Al-Din Muhammad bin Muhammad (d. 1061 AH / 1650 AD), The Planets Walking with Notables of the Tenth Hundred, investigated by: Khalil Al-Mansour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut, 1997 AD.)
10. Al-Jabarti, Abdul Rahman bin Hassan the historian (d. 1237 AH / 1821 AD), History of the wonders of antiquities in translations and news, Dar Al-Jeel Publishing, Beirut, d.
11. Al-Jawhari, Ismail bin Hammad, Al-Sahah, achieved by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm and Millions, Beirut, 1399 AH.
12. Al-Jubouri, Ahmed Majed Abdullah, General Conditions in Egypt in the Era of the Burj Mamluks, a master's thesis (published), Al al-Bayt University, College of Arts, 2015.
13. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH / 1441 AD), The Conduct of Knowing the Countries of Kings, investigation: Muhammad Abdul Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, d.T.
14. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH / 1441 AD), preaching and consideration in mentioning plans and effects, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1418 AH.
15. Al-Maqrizi, Taqi Al-Din Ahmed bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH / 1441 AD), Relief of the Nation by Kashf Al-Ghamma, Composition and Translation Committee Press, 2nd Edition, Egypt, 1956 AD.
16. Al-Qalqashandi, Abu Al-Abbas Ahmed bin Ali (d. 820 AH / 1417 AD), Subh al-Asha fi Sina' al-Ansha, investigated by: Abdul Qadir Zakar, Ministry of Culture Press, Damascus, 1981 AD.
17. Al-Qarafi, Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed (d. 684 AH / 1285 AD), explaining the revision of the chapters, investigated by: Taha Abdel-Raouf Saad, United Technical Printing Company, 1973 AD.
18. Al-Qurashi, Abdul Qadir bin Muhammad bin Nasrallah (d. 775 AH / 1373 AD), The Shining Jewels in the Tabaqat of the Hanafi School, Dar Mir Muhammad Kutub Khanah, Karachi, d.
19. Al-Ragheb Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad (died 502 AH / 1108 AD), Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran, investigated by: Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam Publishing, Damascus, 1412 AH.

20. Al-Sakhawi, Shams Al-Din Abu Al-Khair Muhammad bin Abdul Rahman bin Muhammad (died 902 AH / 1496 AD), The Shining Light of the Ninth Century, Life Library Publications, Beirut, d.
21. Al-Sakhawi, Shams al-Din Muhammad ibn Abd al-Rahman (902 AH / 1496 AD), the casted dust in the tail of the kings, Bulaq Press, Cairo, 1896 AH.
22. Al-Serafy, Ali bin Daoud (died 900 AH / 1494 AD), Anbaa Al-Hasr for the News of the Age, achieved by: Hassan Habashi, Egyptian Book Authority, Egypt, 2002 AD.
23. Al-Shawkani, Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah (died 1250 AH / 1834 AD), Al-Badr Ascendant in Mahasin after the seventh century, Dar Al-Maarifa, Beirut, d.
24. Al-Sinaawy, Hassan bin Omar bin Abdullah, The Collective Origin to Clarify the Al-Durar Al-Munta'a in the Collection of Mosques, Al-Nahda Press, Tunis, 1928 AD.
25. Al-Subki, Taj al-Din bin Ali bin Abdul Kafi (died 771 AH / 1369 AD), Tabaqat al-Shafi'i al-Kubra, investigation: Mahmoud Muhammad al-Tanahi, Abd al-Fattah Muhammad al-Hilu, Dar Hajar for printing, publishing and distribution, Beirut, 1413 AH.
26. Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman (d. 911 AH | 1505 AD), Hassan al-Mahazar in the History of Egypt and Cairo, investigated by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, 1967 AD.
27. Al-Tahtawi, Ahmed Rafi' bin Muhammad, Alert and Awakening to What is in the Tails of the Memory of Preservation, Al-Tarqi Press for Publication, Damascus, 1348 AH.
28. Ashour, Said Abdel-Fattah, Egyptian Society in the Era of the Mamluks, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, 1962 AD.
29. Hamad, Faisal Abdullah, Factors Affecting the Fluctuation of Food Prices in the Levant During the First Mamluk Era (648-784 AH/1250-1381 AD) and the Second (784-922 AH / 1381-1517AD), Al-Manara Magazine, Vol. 14, Volume 2, 2008 AD .
30. Ibn al-Furat, Nasir al-Din Muhammad ibn Abd al-Rahim (d. 807 AH / 1405 AD), The History of Ibn al-Furat, Constantine House, Beirut, 1936 AD.
31. Ibn Aybak, Salah al-Din Khalil al-Safadi (d. 764 AH / 1362 AD), Al-Wafi in Deaths, investigated by: Ahmed Al-Arnaout, Turki Mustafa, Heritage Revival House, Beirut, d.
32. Ibn Aybak, Salah al-Din Khalil al-Safadi (d. 764 AH / 1362 AD), Lua'a al-Shaki and Dama' al-Baki, investigated by: Muhammad Abu al-Fadl

- Muhammad Harun, al-Rahmaniyya Press for Publishing, Egypt, 1922 AD.
33. Ibn Aybak, Salah al-Din Khalil al-Safadi (d. 764 AH / 1362 AD), Notables of the Age and Auxiliaries of Victory, investigation: Ali Abu Zaid, Nabil Abu Ashma, Muhammad Mawd, and others, House of Contemporary Thought, Beirut, 1998 AD.
34. Ibn Daniel, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad (711 AH / 1311 AD), Khayal al-Shadl, Khayyal al-Shadl, investigation: Ibrahim Hamada, Egyptian General Organization, Cairo, 1961 AD.
35. Ibn Hajar al-Asqalani, Abu al-Fadl Ahmed bin Ali (d. 852 AH / 1448 AD), the news of immersion in the sons of a lifetime, achieved by: Hassan Habashi, The Supreme Council for Islamic Affairs, Egypt, 1969 AD.
36. Ibn Hajjah, Taqi al-Din Abu Bakr bin Ali bin Abdullah al-Taqi (died 837 AH / 1434 AD), good taste from the fruits of the leaves, achieved by: Abu Ammar al-Sakhawi, Dar al-Fath, Sharjah, 1997 AD.
37. Ibn Iyas, Muhammad ibn Ahmad al-Hanafi (d. 930 AH / 1523 AD), Badaa' al-Zuhur fi Waqa'iq al-Daur, investigated by: Muhammad Mustafa, Egyptian General Book Authority, 2nd ed., Cairo, 1984 AD.
38. Ibn Khaldun, Abu Zayd Abd al-Rahman bin Muhammad al-Hadrami (d. 808 AH / 1205 AD), The History of Ibn Khaldun, Dar al-Fikr Press, Beirut, 1408 AH / 1988 AD.
39. Ibn Khaldun, Abu Zayd Abd al-Rahman bin Muhammad al-Hadrami (d. 808 AH / 1205 AD), Introduction to Ibn Khaldun, Dar al-Qalam, 5th edition, Beirut, 1984 AD.
40. Ibn Manzoor, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram (d. 711 AH / 1311 AD), Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, d.
41. Ibn Taghri Bardi, Jamal Al-Din Abi Al-Mahasin (d. 874 AH / 1469 AD), Al-Manhal Al-Safi and Al-Mustawfi after Al-Wafi, achieved by: Muhammad Muhammad Amin, Egyptian Book House Press, Cairo, 1986 AD
42. Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Abi al-Mahasin (d. 874 AH / 1469 AD), The Shining Stars in the Kings of Egypt and Cairo, Ministry of Culture and National Guidance, Egypt, d.
43. Sibte Ibn Al-Ajmi, Ahmed bin Ibrahim bin (d. 884 AH / 1479 AD), Treasures of Gold in the History of Aleppo, Dar Al-Qalam, Aleppo, 1417 AH.

الزواج في الاقتصاد الاسلامي

أ.د. يحيى محمد علي

الزواج في الاقتصاد الاسلامي

أ.د. يحيى محمد علي

المقدمة :

تُعدّ الزواج من الاحكام أو التشريعات الضرورية والمهمة في أي نظام لا سيما الانظمة الاقتصادية، والمقصود بها الزواج التي تهدف الى الحفاظ على الاموال العامة والخاصة من الانتهاب أو التعدي ، وصيانة المعاملات الاقتصادية كافة من التلاعب أو الاحتيال فمثل هذه الزواج هي الحصن الحصين والسور المنيع للحفاظ على كينونة الاقتصاد ككل ، فمن المهم تعدد الزواج وتنوعها ، وتناغمها وتوافقها مع فطرة الانسان ، وأن تكون بمستوى الردع المناسب ، فالزواج في الاقتصاد الاسلامي لم توضع عبثا أو إعتباطا أو من دون دراية أو معرفة ، وإنما وضعت على أسس علمية رصينة تأخذ بالحسبان الرادع المناسب الذي يتكفل بمنع بعض الناس من اللجوء الى ما زُجر عنه ، لخدمة للمصالح العام والمحافظة على النظام والاستقرار ، والابتعاد عن شريعة الغاب .

لذلك فالزواج بأنواعها في الاقتصاد الاسلامي وضعت لخدمة المصلحة العامة وللحفاظ على الاستقرار وصيانة الحقوق والابتعاد عن التناحر والتنازع والانقسام والخصام ، وجعل الحقوق متسيدة على كل الاعتبارات الاخرى ، فالاعتراف بالحقوق والمحافظة عليها والدفاع عنها أساس الاستقرار والامن والامان وهي البوصلة نحو تحقيق ما يصبوا إليه أي مجتمع من نهوض وتطور ورفي .

ولكي تضمن تنفيذ الزواج بالطريقة المراد لها ، لا بد من وضع الآليات والوسائل المناسبة والملائمة لمقتضيات الحال والواقع بعيدة عن التنظير ، بمعنى ما يناسب تحقيق الردع المناسب من دون افراط ولا تفريط ومن دون الفتك ولا التهاون الذي قد ينتج عنه استرسال أصحاب النفوس الضعيفة بممارسة الغي ومخالفة التشريعات والقوانين والاعراف والنواميس ، كل هذا وغيره، كان موضوع بالحسبان في الزواج الخاصة بالاقتصاد الاسلامي ، فلم يدع جانب حياتي أو اجتماعي أو نفسي إلا وله الحيز المناسب في هذه التشريعات ، وهذا يدل وبشكل واضح علة ديمومة وإستمرارية هذه الزواج ، لانها لم توضع لمكان ولا زمان ولا لناس بالتحديد ، وإنما للكل

ولمدار الايام والازمنة . ومن الملاحظ في هذه التشريعات إنها لم تكن الغاية والهدف ، وإنما وسيلة لتحقيق مقاصد عليا أهمها صب الجهود في بودقة التنمية الحقيقية والتطور الحقيقي والاستثمار الحقيقي ، بعيدا عن كل الاساليب والوسائل التي هدفها الرئيس ويكاد يكون الوحيد الربح او الربح او الفائدة بصرف النظر عن الشرعية او عدم الشرعية أو ما تسببه من أضرار أو مفسد فمثل هذه الاهداف تخدم القلة القليلة على حساب الدولة والمجتمع وكذلك أخذت هذه التشريعات بالحسبان التنشئة والتربية على حصانة فكر الانسان ونفسه من التدني الى مضار كل المعاملات والاساليب المنهي عنها ، بمعنى تقوية سلطة الرقيب الذاتي الذي يُعد من أقوى الزواجر على الانسان . ولا يجري ذلك الا بالتوجيه والتخطيط العلمي الذي يأخذ بالحسبان التوازن بين الواجبات والحقوق . وعند دراسة مثل هذه الحكام الخاصة بالزواجر نُدرك يقينا أنها تتميز بالكمال والضبط والاتقان . اقتضت هذه الدراسة أن نقسمها الى ثلاثة مباحث تبدأ بمقدمة وتنتهي بأهم النتائج التي توصلت إليها .

المبحث الاول: مفهوم الزجر

اولا : تعريف الزجر

الزجر لغة المنع والنهي ^(١) ، زجره يزجره زجرا ، وأزجره فأزجر وأزجر ^(٢) ، وزجره فانزجر وأزجره فأزجر ^(٣) ، اي كففه فكف ، زجرت فلانا عن السوء فأزجر وهو كالردع للانسان ^(٤) ، ومن معاني الزجر الزبر ^(٥) .

اما اصطلاحا : " عبارة عن الموانع والكف ليس عنها بل عن مزجوراتهم اي ممنوعاتهم أي الاشياء التي منعوها" ^(٦) .

ثانيا : مفهوم الزجر

الزجر هو منع وتمنع ونهي وإنتهار عن مخالفة الشرع العام ، وبما أن المخالفات منها جلّ ودقيق ، ومنها القليلة والكثيرة ، والكبيرة والصغيرة ، تباينت الزواجر بحسب هذه المخالفات ولم تكن زاجرة واحدة لكل أنواع المخالفات ، وقد ورد مفهوم الزجر في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) ^(٧) أي إن الله سبحانه وتعالى يعضنا ثم يزجرنا بزواجر الدنيا مع ما سيكون في الآخرة لكي لا يعاد تكرار الفعل المخالف ^(٨) ، وفي آية أخرى قال تعالى: (فجعلناها نكالا ...) ^(٩) ، والنكال هو الزجر والعقاب ^(١٠) ، وقال تعالى : (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) ^(١١)

فالزواج في القرآن الكريم هي كل ما ينهي ويحجز عن القبيح ، فشرعت الزواجر لتحريم المخالفات جميعها ، فيعاقب المخالف ، ويتعض العاقل المراقب ، وهي من السنن الالهية ، فما من شريعة سماوية إلا وفيها من التشريعات الزاجرة ف : " الحدود والاحكام ابتدأت من آدم وشيث وأدريس عليهم السلام . وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن بأكملها وأتمها حسنا وجمالا بمحمد ﷺ " (١٢) .

وكل أمر ورد في الشرع الاسلامي فهو واجب الإلتباع على المكلفين جميعهم ، والمخالف يستحق العقاب ، وتبيننا لهذا الاصل قال تعالى : (... فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (١٣) فالفتنة أو العذاب الاليم زاجرة لمن لا يتبع هذا الامر ، فكل مخالف للوامر والنواهي فمصيره هذه الزواجر ، وتأكيذا لذلك فان أهل مدين لما طففوا المكيال والميزان أراهم الله سبحانه وتعالى بنس العقاب الدنيوي قال تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) (١٤) ، فكانت زاجرتهم او عقوبتهم بعد أن تمادوا بالكفر وأخذ الأموال بغير الحق ، أن جاء الامر الالهي بهلاك مدين جزاء عصيانهم فأخذتهم صاعقة جعلتهم منكبين على وجوههم صرعى ، وأنتهى أمرهم وزالت أثارهم ووصف هذا جاء في قوله تعالى: (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) (١٥)

ومن الايات التي تمنع مخالفة أي أمر من أوامر الشرع الاسلامي ، قال تعالى: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يُدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) (١٦) ، وفي آية أخرى قال تعالى : (فكلأ أخذنا بذنبيه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليضلهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (١٧) .

فالزواجر مع المخالفات كالمسببات مع الاسباب ، والتوابع مع المتبوعات لا تتفك عنها ولا تفارقها ، بمعنى أن لكل مخالفة زاجرة وقد تكون بعض هذه الزواجر أجلة وقد تكون عاجلة ، أي أن المخالف قد تتاله زاجرة في دنياه وقد تتاله في الآخرة ، وقد تكون في كليهما ، ومن نأى بنفسه عن المخالفات أرغد نفسه وأطيب عيشه .

وهذه الزواجر من باب الضروريات ، لانها تتوقف عليها الحفاظ على الحقوق والمصالح العامة والخاصة ورفاه المجتمع وإستقراره ، بحيث اذا اختفت الزواجر اضطرب نظام الحياة وأختل ، وأنتشر الهرع وساد ، وعمت الفوضى والعبث ، وسادت شريعة الغاب (القوي يأكل الضعيف) بهذه

المقولات ومثلها يمكن ان نصل الى ادراك المقصد وفهمه ، من قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة ياأولي الالباب لعلمكم تتقون) (١٨) ، ففي هذه الاية تبيان صريح وواضح بأن الحياة الامنة الرغيدة متوقفه على إقامة القصاص العادل بحق من يخالف النظام والقانون والقواعد والاصوال ، ومن مميزات هذا الخطاب إن إدراكه ومعرفة أهدافه ومغزاه وغايته مقتصر على أصحاب العقول النيرة والبصائر المنفتحة (أولي الالباب)

من نافلة القول يتبين أن الزواج هي الحصن الحصين لحفظ الحقوق والواجبات ، وحماية الاجتماع الانساني من عبث العابثين وفساد المفسدين وطمع الطامعين ، فبالزواج تصبح المعاملات في الاجتماع الانساني على أساس التمانع والتعاون ، فبالتمانع تحفظ الحقوق ، وهذا التمانع اما ان يكون ذاتي - من التنشئة الاجتماعية الموجه - أي يتمتع الانسان ذاتيا من التعدي على حقوق الاخرين ، وأما خارجيا يكون بواسطة الزواج الرادعة عن التعدي على حقوق الاخرين، اما التعاون فيكون بطريق التعاوض وببسر ولين وسماحة .

لذلك فان غاية تشريع الزجر لتحقيق العدالة ، ومتى عجز الزجر او أنتفى فانه : " يؤدي الى بطلان سياسة الشرع ، واغراء اهل الفساد بالفساد " (١٩) ، ومن نتائج إقامة الزواج وتنفيذها منع المخالفات ومنع إستلاب حق الاخرين ، وبذلك يقل الذين تُقام عليهم الاحكام الزاجرة ، بسبب الاتعاض وهذا ما بينه الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) لأحد ولاته قائلا : " ولو أمرت باقامة الحدود لقل اهل الحبس واخاف الفساق ... ولتناهو عما هم عليه " (٢٠) .

ومن قواعد الزواج وأحكامها في النهج الاسلامي ، عدم النيابة فيها بمعنى أن الزاجرة إذا ثبتت لأحد فلا يمكن النيابة فيها : " ومثل ذلك وجوه العقوبات والازدجار ، لان مقصود الزجر لا يتعدى صاحب الجناية ، ما لم يكن ذلك راجعا الى المال فان النيابة فيه تصح " (٢١) ، ومما يجب التأكيد عليه أن وجود الزجر بوجود العلة وهي المخالفة ، ومتى أنتفت المخالفة أنتفى الزجر بمعنى أنه مقرون بوجود المخالفة التي تستحق الزجر ، وان لا يُستعمل كوسيلة للاهانة أو لتحقيق غايات غير الغاية الاصلية بتحقيق العدالة ، ومتى خرج عن ذلك فهو إمتهان وأذلال للناس ، فالاصل في الزجر معاقبة المخالف ، قال تعالى: (... ومن يعمل سوء يجز به...) (٢٢) ، وقال تعالى: (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٢٣) .

وممن أمعن النظر للبحث عن أسباب الزواج العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) الذي قال : " والانسان بطبعه يؤثر ما رجحت مصلحته على مفسدته وينفر ما رجحت مفسدته على

مصلحته ، لذلك شرعت الحدود ووقع التهديد والزجر والوعيد فان الانسان اذا نظر الى اللذات والى ما يترتب عليها من الحدود والعقوبات العاجلة والاجلة نفر منها بطبعه لرجحان مفسدها " (٢٤) .

وتوجد العديد من الزواجر التي من الممكن عدها زواجر خاصة بالاقتصاد الاسلامي فكل من خالف أحكامه وتشريعاته فله الجزاء بما عمل أو اقترف من مشاين الاعمال ومساوئ المعاملات ، وهذا الجزاء المترتب على المخالفة يعد زجرا ورادعا للغير ، فاذا أمتنع نجى من العقوبات والنتائج تابعة للمعطيات .

ومن مميزات الزواجر في الاقتصاد الاسلامي أنها لم توضع لمنع من وصل لمرحلة الضروره ، ولا لما جُبل الانسان عليه ، ولا لما هو ملائم وموائم ضمن حدود المسموحة والمعقولة من دون تعدي أو تجاوز على حدود الاخرين ، وإن الكل مشمولين بالمسموح والممنوع .

كما إن من مميزات الزواجر في الاقتصاد الاسلامي ، أن كل من أحدث أو ابتدع أو أستحدث صنعة أو معاملة فيها غش أو إحتيال تخالف النهج العام فله زجرتان : الاولى ما يتحصل عليه من زجر جراء ما أقترفه من مخالفة ، والثانية : فكل من إتبعه في مخالفته وسلك سلوكه فله نصيب من الوزر كما هو واضح في قوله تعالى: (... ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في أمام مبين) (٢٥) وقال تعالى : (ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وآخر) (٢٦) وقال الرسول (ﷺ) : " من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ " (٢٧) .

ومن المؤكد إن الاقتصاد الاسلامي لم يحرم شيئاً إلا لمفسدته المحضة أو الغالبة ، ويظهر ذلك واضح عن طريق استقراء أحكام الشريعة المتضمنة التحريم وهذا التحريم (٢٨) ، اذا أنتهك عندئذ تتحقق شروط وجوب الزواجر، وهناك من المعاملات ما ترجع الى ذات المعاملة كبيع الميئة فمثل هذه البيوع محرمة للمفاسد الذاتية ، والسرقه فاسدة لفساد الفعل نفسه لذلك لم تكن - اي السرقه - سببا شرعيا لثبوت المُلْك ، وهناك من المعاملات حُرمت لأمر خارج عن ذات المعاملة بمعنى أن أصل المعاملة خالية من المفسدة والضرر ، ولكن إرتبطت بها من المفاسد والاضرار مما جعلها محرمة كبيع العينة وبيوع الاجال ، وعلة تحريم هذه المعاملات لأعتمادها بالاساس على التحايل والتلاعب بالاحكام الشرعية ، وزواجر هذه المعاملات هو مايستحق المخالف للاحكام الشرعية من عقاب أجل او عاجل .

ومضمون الاقتصاد الاسلامي يحرص كل الحرص على إتباع منهج الطوعية للالتزام بالحقوق والواجبات وعدم التعدي ولكن وضعت او شرعت الزواجر للاشقياء البلهاء او الذين كثر الران على قلوبهم او الذين أصيبت أسماعهم بالصم الذين لا يفقهون ما يسمعون ، فمثل هؤلاء لا ينفع معهم الوعظ ، ولا الحكمة ، ولا العقل إنما ينفع الزجر والحد والتعزير والتأنيب ، وما من عاقل إلا وتيقن بأنه مكلف باجتتاب المخالفات ووسائها ورفع الهمة لتحصيل المصالح وأسبابها.

المبحث الثاني : أنواع الزواجر في الاقتصادي الاسلامي

النهج العام في الاقتصاد الاسلامي لا إعفاء ولا تهاون ولا تساهل في التنفيذ الكامل للزاجرة بحق المخالف ، فالكل سواء فلا شريف ولا وضيع ، ولا عزيز ولا حقير ، ولا قوي ولا ضعيف ، ولا من الاصاغر ولا من الاكابر ، فمن تجرأ على المخالفة إستحق الزاجرة المقررة ، فمن هذه الزواجر الكبيرة لكبر المخالفة ، ومنها الصغيرة لصغر المخالفة ، لذلك شملت الزواجر في الاقتصاد الاسلامي على صغائر المخالفات كما على كبائرها ، لان من يعتاد على فعل الصغيرة يستسهل الكبيرة ، فحتى لا يقترب من الكبيرة لا بد أن ينزجر ويرتدع من المخالفة الصغيرة ، فالسارق يسمى سارقا ويعاقب على فعله سواء سرق القليل أو الكثير : " فالمتجرئ على الاخف بالاخلال به مُعرض للتجرؤ على ما سواه ، فكذلك المتجرئ على الاخلال بها يتجرأ على الضروريات " (٢٩) ، وكما إن المخالفات لها أنواع فالزواجر لها أنواع ومنها : " في الحدود والقصاص والتعزيرات وأشباهاها من أنواع الزجر " (٣٠) ، فوضع لكل مخالفة زاجرة لردع الخطأ والمخالفة ، وعدم تكرارها ، فضلا عن تخويف الآخرين من إتباع طريق الاخطاء لانهم سيلقون المصير نفسه. فالاقتصاد الاسلامي تضمن أنواع مختلفة من الزواجر التي تختلف باختلاف المخالفة ومن هذه الزواجر :

– الحدود وهي من الزواجر التي : " وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به ... ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروضه متبوعا " (٣١) .

– التعزير وهي تعني : " تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ، ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله فيوافق الحدود من وجه وهو أنه تأديب استصلاح وزجر ، يختلف بحسب أختلاف الذنب " (٣٢) .

- التوبيخ وهو : " اللوم الشديد العنيف وقيل التقریح على جهة الزجر " (٣٣)

– الزبر وهو : " الزجر والمنع لان من زبرته عن الغي فقد احكمته " (٣٤)

- النهر زجره وانتهر^(٣٥) .

ومن أنواع الزواجر تطبيق عقوبة الحد المشهورة والمعروفة ومنها حد السرقة ، وجاء هذا الحد في القرآن الكريم بقوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ...) ^(٣٦) ، وقد أكدت السنة النبوية على حد السرقة من ذلك أن الرسول (ﷺ) كان حازما في تنفيذ هذه العقوبة أو الزاجرة ، وجازما لمن يستحقها ولا يمكن أعفائه منها ، لذلك غضب عندما حاول أحدهم ان يتشفع ، كما جاء في الرواية المشهور عن عائشة (رضي الله عنها) : " أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجتريء عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ^(٣٧) ، ومن الشواهد التاريخية العاضده لذلك في تنفيذ هذه الزاجرة في عهد الرسول (ﷺ) فعن صفوان بن أمية قال : " أن رجلا سرق برده فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بقطعه قال يا رسول الله قد تجاوزت عنه قال فلولا كان هذا قبل أن تأتيني به يا أبا وهب فقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم " ^(٣٨) ، والظاهر من هذه الروايات ان الرسول (ﷺ) كان حازما بتنفيذ حد السرقة ، ولعل ذلك لما للسرقة من أضرار ومفاسد إقتصادية وإجتماعية تخل ببنية وكيان أي مجتمع تسود فيه وتتفشى السرقة لذلك لم يتهاون بها الرسول (ﷺ) ولم يقبل التشفع بها لذلك : " ولا يحل للامام أن يحابي في الحد أحدا ولا تزيله عنه شفاعة ولا ينبغي له أن يخاف في ذلك لومة لائم " ^(٣٩).

وانتهج الخلفاء الراشدون هذا النهج ومن الشواهد التاريخية التي تبين تطبيق هذا الحد: " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قطع اليد من المفصل " ^(٤٠) ، وكذلك : " أن عليا رضي الله عنه كان يقطع أيدي اللصوص ويحسمهم " ^(٤١) ، وكذلك أمر الامام علي (رضي الله عنه) بقطع يد رجل شهد على نفسه شهادة تامة ^(٤٢) ، وبذلك يتبين ان هذه الزاجرة من الزواجر التوقيفية التي لا جدال او مرأ في تنفيذها وتطبيقها وقد حددها الشرع وأوقفها لما فيها من أهمية للمصلحة العامة . ومن القضايا المهمة التي لا بد التنبيه عليها في الحدود إن تنفيذها أو تطبيقها لا تتم إلا بعد التأكد من إقامة الدليل اليقيني وثبوته الثبوت القطعي ، ونهى الرسول (ﷺ) عن إقامة الحدود بالشبهات او الضنيات ^(٤٣) ، لان الشبهات مسألة ضنية ، وهذه قد تؤدي الى الظلم الذي نهى عنه

النهج الاسلامي بكل أشكاله . واذا رأى ولي الامر عدم استيفاء شروط القطع حكم بعدمه ، كما حصل في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) وفي عهد الخليفة علي (رضي الله عنه) ^(٤٤).

أما الشروط التي لا بد ان تتوافر لتنفيذ هذا الحد فقد بينها الماوردي فقال : " كل مال محرز بلغت قيمته نصابا إذا سرقه بالغ عاقل لا شبهة له في المال ولا في حرزه" ^(٤٥) وشرط النصاب الوارد في هذا النص اختلف في تحديده اذ حدده بعضهم بما تبلغ قيمته ربع دينار وقيل بما تبلغ قيمته عشرة دراهم ^(٤٦) او بما تبلغ قيمته دينار وقال اخرون بأربعين درهما أو أربعة دنانير وقيل بخمسة دراهم ^(٤٧).

أما اذا لم تكتمل شروط القطع كأن أختل شرط من شروط القطع كعدم وجود نصاب او الحرز عندئذ لا يجب فيه القطع وإنما التعزير: " فأذا سرق نصابا من غير حرز ضرب اعلى التعزير خمسة وسبعين سوطا، واذا سرق من حرز أقل نصابا ضرب ستين سوطا " ^(٤٨) ، من هذا يتبين أن القطع لا يتم في الشيء التافه او القليل ، ف : "كان السارق على عهد رسول الله ﷺ يقطع في ثمن المحجن وكان للمحجن يومئذ ثمن ، ولم يقطع في الشيء التافه" ^(٤٩) ، وقد بين ابو يوسف الكثير من الحالات التي لا تستحق القطع ^(٥٠) .

اما في حالة عاد السارق للسرقة بعد قطع يده ، تقطع رجله فان عاد أستودع السجن ، ويروى إن الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) حكم بمثل ذلك في عهده ^(٥١) ، وهذه الزاجرة : " يستوي في قطع السرقة الرجل والمرأة والحر والعبد والمسلم والكافر ولا يقطع صبي ولا يقطع المغمى عليه اذا سرق في أغمائه ، ولا يقطع عبد سرق من مال سيده ولا والد سرق من مال ولده" ^(٥٢)

وعلى الرغم من ان هذه العقوبة ثابتة في الاقتصاد الاسلامي ، إلا إن تنفيذها يكون بعد التروي والتأني والتأني لثبوت البينة والحجة والبرهان والدليل القاطع الذي لا يقبل الشك والتأويل ، ويتم هذا عن طريق الشهادة على النفس أو الشهود المعروفين بالضبط والعدالة والدرابة .

وقد يضمن ضان إن قطع يد السارق إفساد لها ، لكن هذا القطع هو زاجر مقصده الحفاظ على الاموال ، فقدمت حفظ الاموال على مفسدة قطع يد السارق ^(٥٣) ، وقد برع في تبيان هذه القاعدة العز بن عبد السلام بقوله: " وربما كانت أسباب المصالح مفسد فيؤمر بها او تباح لا لكونها مفسد بل لكونها مؤدية الى المصالح ... كذلك العقوبة الشرعية ... كقطع يد السارق ... وكذلك التعزيرات كل هذه مفسد اوجبها الشرع لتحصيل ما رُتب عليها من المصالح الحقيقية وتسميتها بالمصالح من مجاز تسمية السبب بالمسبب" ^(٥٤) ، وفي وصف مقاصد الحدود قال

الموردي : " والحدود زاجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حذر وترك ما أمر به ... ليكون ما حذر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروظه متبوعا فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم" (٥٥) ، لذلك فإن السبيل للحفاظ على المصالح العامة ، والحفاظ على الاموال العامة والخاصة والحفاظ على الامن والامان ودعم أسباب التنمية والتطور والرقى يكون عن طريق زجر كل من يحاول العبث بكل ذلك ، وبهذا فإن جميع الافتراءات الخاصة بشان قطع يد السارق بدعوى او زعم انها خارجة عن الانسانية باطلة ، وليس لها من الصحة شئى والذين يتقولون بها أصحاب مأرب عدائية او أصحاب الرؤى او الفهم القاصر .

ومن أشكال السرقة التي الممنوعه في الاقتصاد الإسلامي الغلول والمقصود بها السرقة من الغنيمه ، ولزجر الافراد عن ارتكاب مثل هذا الفعل فقد وضعت لها زاجرة ألا وهي حرق متاع الغال وضربه ، كما هو واضح من قول الرسول (ﷺ) : " اذا وجتم الرجل قد غل فأحرقوا متاعه واضربوه " (٥٦) ، ومن الروايات التاريخية التي توضح عدم التهاون او التسامح او التغاضي عن مرتكبها حتى بعد مماته اذ يروى : " توفي رجل من أشجع بخبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم فأنكر الناس ذلك وتغيرت له وجوههم فلما رأى ذلك قال إن صاحبكم غل في سبيل الله قال زيد فالتمسوا في متاعه فإذا خرزات من خرز زفر ما تساوي درهمن " (٥٧) ، ولعل ذلك لترسخ وتأصيل منعها ، ويروى إن الخليفة أبو بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) كانا يعاقبان عقوبة موجعة للغال (٥٨) ، أما العقوبة الآجلة للغل قال تعالى : (... ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (٥٩) .

ومن الزواجر الاخرى الخاصة بالتعاملات الاقتصادية الممنوعة في الاقتصاد الإسلامي زاجرة التعامل بالربا وتتميز هذه الزاجرة عن غيرها أن المتعامل بالربا يكون من المحاربين لله تعالى ، وأي زجرا أشد من أن يجعل الله المرابين محاربين له وللرسول ؟ كما هو واضح من قوله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ...) (٦٠) ، وقال تعالى : (ياايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ...) (٦١) .

ومن اللافت للنظر إن الزواجر التي كانت وسيلة للابتعاد عن التعامل بالربا لم تقتصر للمرابي فقط ، وإنما شملت كل من يكون وسيلة يُسهل هذه المعاملة فعن عبدالله بن مسعود قال : " لعن رسول الله (ﷺ) آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء " (٦٢) ، والزجر الشديد

للمتعامل بالربا ربما جاء من المساوئ والمضار الكثيرة والخطرة التي تُرى بعين البصيرة والحكمة وتتغاضى عن رؤيتها المصلحة الذاتية والانية التي تسير في طريق مصلحة القلة على حساب مصلحة الكثرة وفرط التخمة على حساب فرط العوز والحاجة والفاقة للكثرة .

والزواج على الاعمال أو المعاملات غير النافعة والضارة للمجتمع والاستثمار والتنمية ، كالعامل في إنتاج الخمر أو البيع ، فإننتاج هذه المادة يصرف عليها وقت وجهد ومال وليست ذات فائدة بل إنها ضارة ، إذ إنها تُذهب العقل الذي به فضل الانسان على سائر الخلق ، والزاجرة لهذه المعاملة هي اللعن أي الطرد من رحمة الله ، فعن ابن عمر قال قال رسول الله (ﷺ) : " لعنت الخمر على عشرة أوجه بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها وساقبها " (٦٣) ، فضلا عن الزجر المعروف لكل من يشرب الخمر وهو الجلد .

من نافلة القول يتضح أن الزواج في الاقتصاد الاسلامي شملت كل الاعمال والمعاملات الاقتصادية التي تسبب الاضرار والفساد ، وقد منع القرآن الكريم جميع هذه الاعمال في الارض لأنها تشكل النقيض للاستخلاف والتسخير ، المبدئين الاصيلين في الاقتصاد الاسلامي (٦٤) ، وفي منع الفساد قال تعالى: (ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها...) (٦٥)

ومن الزواج الاخرى في الاقتصاد الاسلامي زواج التطفيف بالميزان والمكيال قال تعالى : (ويل للمطففين الذين إذا أكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (٦٦) ومعنى الويل واد في جهنم (٦٧) وفي آيات أخرى تضمنت ماذا حل بالاقوام من الهلاك والاندثار من جراء ارتكاب هذه المخالفة (٦٨).

ولعل الزجر لهذه المعاملة لأنها إخلال بنظام المعاملات الاقتصادية الذي يُراد له الوضوح والصدق والامانة ، وايضا إخلال بالنظام الاجتماعي لما تسببه هذه المعاملة من قسوة القلب ونزع الرحمة منه ، لان البائع سيتقنن في إنتزاع حق المشتري ، والمشتري عند علمه بسلب حقه سيسشيط غضبا على البائع ، ويمتلئ حقا ، وتنتزع الثقة ، وتنفك أواصر العلاقات الاجتماعية وتزداد المنازعات والخصومات ، فدرءا لكل ذلك ، حُرّم التطفيف ومنع ، وإزاء شدة هذه الزاجره من التطفيف في الميزان والمكيال إحتاط الكثير من المسلمين عند التعامل في الميزان والمكيال فقال أحدهم : " لا أشترى الويل من الله بِحَبّة " (٦٩) ، ومما زاد احتراز البعض من هذه المعاملة أن التوبة لا تشفع فيها إلا بشرط التحرز من حقوق المستلب حقهم ، إذ أنها من حقوق العباد الذين لهم الحق الكامل في الصفح عن المطففين والعفوا .

والزاجرة الاخرى وهي لمن أكل أموال اليتامى ظلما ومن دون حق ، قال تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) (٧٠) ، هذه العقوبة الزاجرة لمنع أكل اموال الفئات القاصرة عن إدارة أموالها أو المتاجرة بها ، فللحفاظ على حق هذه الفئات منع الاقتصاد الاسلامي التعدي على هذه الحقوق ، أو أخذها بغير وجه حق ، ومنع التحايل عليها لان ما وضع من زجر كفيل لمن له عقل الامتناع عن التجاوز عليها .

وكل المعاملات المخالفة للنهج الاقتصادي الاسلامي فان زاجريتها واحدة وهي العقاب الآجل قال الرسول (ﷺ) : " لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به " (٧١) .

وتختص بعض المخالفات بالزواج العاجلة (في الدنيا) والآجلة (في الآخرة) وممن أوضح هذا العز بن عبد السلام بقوله : " ولو ولم يكن في مخالفة الرب إلا ذل المعصية في الدنيا ، وخجلة الوقوف بين يديه في العقبى مع العفو بعد ذلك لكان زجرا كافيا " (٧٢) .

وتضمن الاقتصاد الاسلامي الزواج الخاصة بأكتناز الاموال - ولا يُقصد به الادخار- الذي تتأثر به عملية التنمية وتتأخر ، وذلك بتعطيل أهم أجزاء التنمية وهو أستثمار الاموال ، لذلك كانت زاجرية هذه المخالفة كبيرة وقد وردت في القرآن الكريم قال تعالى : (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (٧٣) ، وممن أجاد في وصف مضار الاكتناز وأبدع الغزالي اذ قال " من كنزهما فقد ظلمهما، وأبطل الحكمة فيهما، وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه، لانه اذا كنز فقد ضيع الحكم، ولا يحصل الغرض المقصود به، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ، ولا لعمره خاصة، اذ لا غرض للأحاد في اعيانها، فإنهما حجران، وانما خلقا لتداولهما الايدي ، فيكونا حاكمين بين الناس ، وعلامة معرفة للمقادير، مقومة للمراتب " (٧٤) .

وتضمن الاقتصادي الاسلامي زواج النكث أو التقاعس عن إداء الواجب المفروض على المكلفين به ، كترك اخراج الزكاة ، فمن إمتنع عن إخراج الزكاة - المتحققة الشروط والمنقضية الموانع - : " تؤخذ إجبارا من ماله ويعزر إن كتها بغير شبهة ، وإن تعذر أخذها لامتناعه ، حورب عليها وإن أفضى الحرب الى قتله حتى تؤخذ منه ، كما حارب أبو بكر الصديق مانعي الزكاة " (٧٥) ، وفي هذا قال الامام علي (رضي الله عنه) : " أن الله عزوجل فرض على الأغنياء في أموالهم ما يكفي للفقراء ، فإن جاعوا أو عروا أو جهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله تبارك وتعالى أن يحاسبهم ويعذبهم " (٧٦) .

اما زاجرية الامتناع عن إداء الحقوق ، كالامتناع عن دفع دين مستحق : " فتأخذ منه جبيرا إن أمكن ، ويحبس بها إذا تعذرت ، إلا أن يكون بها معسرا فينظر إلى ميسرة ، فهذا حكم ما وجب بترك المفروضات " (٧٧).

وزواج التعدي على حقوق الاخرين كالغصب ، إرجاع المغصوب و ضمان المتلف^(٧٨) ، وكل شئ مغصوب حرام الانتفاع به بأي وجوه الانتفاع^(٧٩) ، ولتبيان زاجرية الغصب قال الرسول (ﷺ): " من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وإن قضيبا من أراك " (٨٠) ، ولسد باب الغصب قال الرسول (ﷺ): " من زرع في أرض قوم بغير إذنهم فليس له من الزرع شيء وله نفقته " (٨١) ، ومضمون هذه الاحاديث او مفهومها زجر جميع الذين تستطيب نفوسهم أخذ حق غيرهم ، وهذه الزواجر للحفاظ على حقوق المسلمين من أي اعتدا ، ويتساوى الشئ المغصوب سواء كان صغيرا أو كبيرا ، ولمنعه شرع الاقتصاد الاسلامي أنواع الزواجر ، وكذلك أباح لصاحب الحق الدفاع عن حقه ضد أي غاصب .

وتضمن الشرع الاسلامي زواجر خاصة لكل من يحاول إستغلال السلطة أو المنصب لأستلاب حق الاخرين ، وقد يكون هذه الاستلاب عن أخذ الرشوة التي بواسطتها يؤخذ حق المستحق ويعطى لغيره ، ولمنع هذه المخالفة شملت الزاجرة طرفي معاملة الرشوة : " لعن رسول الله (ﷺ) الراشي والمرتشي " (٨٢) ، فالراشي المعطي للرشوة الذي يحاول سلب حق الاخرين عن طريق إستمالة قلوب الحكام او الولاة بالرشوة ، والمرتشي الاخذ للرشوة ، الذي يمنع حق المستحق ويعطيه لمن ليس له حق ، ولان تأثيرها كبير وخطير على المجتمع ، فالزاجرة ايضا كبيرة وهي اللعن لمن يسلك هذا الطريق ، وأموال الرشوة سحت حرام (٨٣) ،

ولسد باب الذرائع عن إعطاء الهدية التي غايتها تحقيق مكاسب غير مشروع تكون في حكم الغلول أي السرقة ، إذ ورد هذا في قول الرسول (ﷺ): " هدايا العمال غلول " (٨٤) ، والتأكيد على هذا كما يتضح من الرواية أخرى التي مفادها : ان الرسول (ﷺ) بعث واليا على صدقات الازد ، فلما جاء قال هذا لكم وهذا لي فقال الرسول (ﷺ) زاجرا : " ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول هذا لك وهذا لي فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر أيهدى له أم لا ... " (٨٥) ، وإتبع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذا النهج عن طريق مشاطرة أموال بعض ولاته ووضعها في بيت

المال^(٨٦) ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز لا يقبل الهدية وإذا قيل له إن الرسول (ﷺ) كان يقبل الهدية يقول " كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة " ^(٨٧).

ومن أنواع الزواج الحجر على السفيه والمبذر لرجحان مصلحة الحجر على مفسدة الاطلاق^(٨٨) ، وهذا الزجر هو لمنع إتلاف المال من دون تحقيق مصلحة .

ومن أنواع الزواج تعويض المتضرر اذا حصل تعدى على أمواله كتعويض قيم المتلفات بمعنى ان أي إفساد يلحق ممتلكات الاخرين او حقوقهم من جراء إهمال متعمد او غير متعمد ، فعلى المهمل أن يتحمل ما لحق بالآخرين من أضرار بدفع التعويضات ، كما هو الحال في المزروعات اذا أتلفتها الماشية فعلى صاحب الماشية دفع قيمة المتلف وهذا أوضحه الغزالي إذ قال : " والانسان اذا أتلف زرع غيره فإن زجره حق المتلف عليه " ^(٨٩) ، وكذلك تضمن الاقتصاد الاسلامي زاجرة للذين أتلفوا ما أرتهنوه من الاخرين ، فإذا تعرض المرتهن الى أضرار أو إتلاف فعلى المرتهن تحمل ذلك إما إصلاحه أو دفع قيمته لأنه أمانة في يده فلزمه ضمانه إذا تلف المرتهن بتعديه أو تقريطه^(٩٠).

والزاجرية الاخرى هي لمن يكون ملكه سببا لأضرار الاخرين وذلك بإزالة أسباب الاضرار بصرف النظر عن النتائج ومن الشواهد على ذلك ما حصل في حياة الرسول (ﷺ) عندما قضى بمنع سمرة بن جندب من التعدي في استعمال حقه بأذى غيره فقال الرسول (ﷺ) لالنصاري : " اذهب فقلع نخله "^(٩١).

وزاجرية حُصصت للاحتكار الذي عُرف بأنه : " يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم بالشرع " ^(٩٢) ، واحد زواج الاحتكار ما فعله الامام علي(رضي الله عنه) إذ : " إنه أحرق طعام محتكر بالنار " ^(٩٣) وقد وردت روايات كثيرة تتضمن ذم المحتكر والمحتكر^(٩٤) .

ومن البديهيات أو المسلمات في الاقتصاد الاسلامي تحريم الظلم ومنعه ، بجميع المعاملات الاقتصادية ، ولكي يمتنع الظالم عن ظلمه ، وضعت الزواج الكفيلة لردعه قال تعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رعوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) ^(٩٥) قال تعالى : (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين) ^(٩٦) ، لذلك حرمت كل المعاملات الاقتصادية التي يشوبها الظلم ويخالجها ، وهذا المنع أو التحريم وضعت له زاجرية سواء من حيث العموم أو وضعت لبعض المظالم زواج عينية ، ومن المعاملات أو الحالات التي قد يكون فيها الظلم هي تحميل العامل ما

لا يطبق ، أو إنقاص من أجرته أو التسويف في إعطائه الاجرة ، أو التقليل من شأنه فكل هذا يُعد ظلماً ، ، والمعيار الضابط والاساس لمعرفة المعاملات الاقتصادية التي ليس فيها ظلم ، هو أن لا يرضى الانسان لغيره ما لا يرضى لنفسه ، فكل عوض أو معاملة يستهجنها الانسان فالواجب على هذا الانسان أن لا يُرغب فيها الاخر ويجملها له ، وهو يعلم سوءها كما هو الحال في وصف السلعة بما ليس فيها ، والحلف على إدعائه فهذا يُعد من الحلف الغموس : " وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع " (٩٧) .

أما زجرة النقاعس أو التكاثر عن القيام بالمسؤولية أو المهمة المناطة لشخص معين ، كعدم إتّمام استصلاح الارض المحتجزة أو المحتجزة ، سحب الجزء غير المستصلح أو غير المستثمر ، ومنحه لمن يتمكن من إستثماره على الوجه المطلوب ، اذ من بديهيات الاقتصاد الاسلامي الاستفادة الكاملة من ما يمكن الاستفادة منه وعدم تعطيله ، ومن الشواهد على ذلك ما حصل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي إسترد من بلال بن الحارث المزني أرضاً كانت مُنحت له ولم يتمكن من إستثمارها كلها(٩٨) .

وفيما يخص زواج النواهي أو الحرام ، بمعنى المعاملات الاقتصادية المنهي التعامل بها ، فزواجها تأتي في سياق عدم الالتزام بأوامر الشرع الاسلامي ، الذي يترتب عليه الاثم والذنب والعقاب الآجل في الآخرة(٩٩) ، وعلة هذه المنهيات هي لدفع مفسدة ، قال العز بن عبد السلام : " الزجر عن اكتساب المفسد وأسبابها " (١٠٠)، وبذلك تحقق المصلحة التي قال الشاطبي عنها : " وكثير ما يظهر لنا ببيادئ الرأي للأمر أو النهي معنى مصلحي " (١٠١) ، وقد أجمل أحد الفقهاء ذلك بقوله : " والشريعة كلها مصالح أما تدرء مفسد أو تجلب مصالح " (١٠٢) ، لذلك من الممكن الجزم بأن كل المعاملات الاقتصادية التي زجر الاقتصاد الاسلامي لكل من يتعامل بها كانت لتحقيق مصالح العباد والبلاد ، وقد وردت الكثير من الايات القرآنية والاحاديث النبوية تحذر وتتوعد كل مكلف ينتهك المنهيات فمصيره العقاب .

ونهى الاقتصاد الاسلامي عن عقد العقود التي لا تستكمل شروطها وأركانها ، بمعنى يجب أن تكون واضحة وخالية من الغبن أو الجهالة كما في عقود البيع : " إذا فات ما هو من المكملات كأبتغاء الغرر والجهالة أو شك أن لا يحصل للمتعاقدين أو لأحدهما مقصود ، فكان وجود العقد كعدمه بل قد يكون عدمه أحسن من وجوده وكذلك سائر النظائر " (١٠٣) .

ومن النواهي عدم العبث والتهاون والتلاعب في الاموال العامة ، بمعنى الحرص الكامل على الواردات والدقة والموضوعية في المصروفات ، لما لذلك من تأثير كبير على التقدم والنهوض

والتطور والاستقرار ، فأى خلل يدب الى الاموال العامة فآثاره السلبية كبيرة ، وأبرز سلبية الخلل سواء في تنفيذ المشاريع المناطة بمسؤولية الدولة أو الخلل بمراعاة واجباتها تجاه المجتمع ، وقد أيقن ولاية الامور هذه المسائل ووعوا تأثيرها وعقوبتها ، لذلك كانوا حريصين أشد الحرص على عدم التهاون أو التساهل في التسامح للتلاعب بهذه الاموال ، ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد هذا الحرص ما فعله الامام علي (رضي الله عنه) فعن ابن أبي رافع الذي كان خازنا لبيت المال قال: " فدخل علي يوما وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال كان عرفها لبيت المال فقال من أين لك هذه ، لأقطعن يدها فلما رأى ابو رافع جده في ذلك فقال أنا والله يأمر المؤمنين زينتها بها ابنة أخي ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطاها " (١٠٤) ، وهناك الكثير من الروايات التي تتضمن المقصد نفسه الذي كان يتبناه الخلفاء الراشدين ومن شاكلهم ومائلهم بعدم التهاون في هذا الركن المهم من أركان قيام الدولة وتطورها .

ومن المنهيات التي نهى الاقتصادي الاسلامي عنها الاسراف ، والتبذير ، والبخل ، والشح قال تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) (١٠٥) وكذلك منع الاقتصاد الاسلامي أخذ الاموال بالباطل فلا بد أن يكون أخذ الاموال بالاعراض ، قال تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ...) (١٠٦) وبذلك حُرمت أخذ الاموال بجميع طرائق الكسب الحرام المتمثلة بالحيلة أو الخداع أو التغيرير (١٠٧) أو الغبن (١٠٨) ، وبذلك حُرّم أخذ المال والاستحواذ عليه بجميع طرائق الكسب الحرام . وزاجرية الغش إخراج الغاش من ملة المسلمين ، إذ قال الرسول (ﷺ) : " ليس منا من غش " (١٠٩) والغش حراح في البيوع والصنائع والمعاملات جميعا (١١٠)

وإن النهي لهذه المعاملات لما لها من أضرار كالفنك بالاقتصاد وكذلك تنامي الشعور بالكره والبغضاء والتشاحن والتنازع بين أفراد المجتمع ، لان البعض يُريد أن يأكل أو يأخذ حق الاخرين من دون وجه حق سواء بإستغلال أساليب الحيل والخداع ، أو بالاستغلال أساليب الربا والاحتكار ، وهذه الاساليب تؤدي الى الاضرار في الجوانب الاقتصادية منها صرف جهود وأموال لا تخدم العملية الانتاجية المثمرة الساعية الى التطور والنهوض ، ومنها السعي الى كثرة الانتاج على حساب النوعية سعيا وراء الربح وعلى حساب أبناء المجتمع والتنمية ، ومنها عدم إستغلال الطاقات الطبيعية والبشرية على الصورة المثلى والمطلوبة لدخول الطمع والجشع بسبب سيطرة بعض الفئات ذات النفوذ السلطوي أو المادي ، أما الاضرار على الجانب الاجتماعي فهي تفنك بأواصر العلاقات الاجتماعية فيكون التنازع محل التنافس ، والصراع محل التعاون ، والتناظر محل

التأزر ، والبغضاء محل الود ، والاحتقار محل الاحترام ، فقطعا لكل ذلك نهى الاقتصاد الاسلامي عن كل ما يسبب هذه الاثار والنتائج ، لذلك يتبين من إستقراء هذه الأحكام إنها موضوعة على معرفة كاملة وتامة بنفسية الانسان وميوله ورغباته ، ووضعت على إحاطة كاملة بالاسباب والمسببات لانها وضعت من خالق البشرية .

ومن انجع الزواجر التي حرص الاقتصاد الاسلامي على غرزها بالنفوس وجعلها من الاغلى والانفس في الوجود هي الزواجر الذاتية ، أي تنشئة النفس على الزجر الذاتي للابتعاد عن مشاين المعاملات الاقتصادية، وحجبها عن التجاوز والتعدي لما عند الغير ، وهذا الامر ليس صعبا أو عسيرا ، فالروايات التاريخية زاخرة بمثل هذه الحالات ، منها ما روي عن محمد بن المنكدر : "إنه كان له شقق بعضها بخمسة ، وبعضها بعشرة ، فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة دراهم ، فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار ، حتى وجده ، فقال له : إن الغلام قد غلط فباعك مايساوي خمسة بعشرة ، فقال : يا هذا قد رضيت فقال : وإن رضيت فإننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ... فرد عليه خمسة ، وانصرف الاعرابي " (١١١) فمثل هذه الزاجرة لا تستطيع ان ترسخها في النفوس أكبر الزواجر الاخرى ، وهذا مما تميز به الاقتصاد الاسلامي بان أنشأ زاجر ذاتي للانسان عن طريق الرقيب الذاتي، ومن الروايات الاخرى التي توضح هذا المضمون ، إن أحد التجار جهز سفينة حنطه الى البصرة : " وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ، ولا تؤخره الى غد ... فقال له بعض التجار : لو آخرته رحبت فيه أضعافه ، فأخره جمعة ، فربح أمثاله ، وكتب الى صاحبه بذلك : فكتب إليه صاحب الطعام : يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وإنك قد خالفت ، وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين ، فقد جنيت علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا ، فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة" (١١٢) .

ومن الوسائل المتكفلة لمراقبة العملية الاقتصادية وزجر المخالفين الحسبة (١١٣) ، وقد عبر الماوردي عن أهمية وظيفة الحسبة بقوله: " والحسبة من قواعد الامور الدينية ، وقد كان أئمة الصدر الاول يباشرونها بأنفسهم ، لعموم صلاحها وجزيل ثوابها " (١١٤) وإن كان المحتسب يزجر بالتعزيرات ولا يتعدى الى الحدود إلا انه يُعد الوسيلة الموصلة من يستحق الحد الى المسؤول لتنفيذ الحد ، والمحتسب لا يجب له أن يتشاغل من مسؤوليته المناطة به ، كما تُكفل له بما يحتاج من المال (١١٥) ،

واختصاصات المحتسب في المسائل الاقتصادية : احدها أن يكون فيما يتعلق بالبخر والتطفيف في كيل أو وزن ، والثاني مايتعلق بالغش أو التدليس في المبيع أو الثمن ، والثالث فيما يتعلق بتأخير الدين لمستحق مع المكنة^(١١٦)، وللمحتسب له ان يُجبر على إخراج الزكاة لكل ممتنع من إخراجها ، وله أن يأدب أو يزر أو يعزر كل من يسأل الناس اذا كان هذا السأل من ذي المال او القوة في العمل او اتخذ السؤال حرفة له ، وللمحتسب الحق في أن يرفع للحاكم لأخذ حكم بأجبار المتسول لينفق من ماله اذا كان ذو مال ، ويؤجر ذا العمل وينفق عليه من أجرته^(١١٧).

وعلى المحتسب منع البيوع الفاسدة والمعاملات المنكرة كالغش في المبيعات والتدليس في الاثمان والزجر عليه ، ويمنع بيع المواشي المصرة وتحفيل ضروعها ، ويجوز له إذا كان مرتاب من موازين السوق ومكاييلها فله ان يختبرها ويتأكد من ضبطها ، وله ان يختار - اذا احتاجت البلد - الى كيالين ووزانين ونقادين ممن أرتضاه من الامناء الكفاء ، وأذا ظهر من أحد هؤلاء المختارين تقصير او تحايل أدب وأُخرج من جملة المختارين ، ومن مهامه مراقبة أهل الصنائع والمهن فيما يخص الامانة والخيانة ، والجودة والرداءة والانتقان والتقصير ، فمن يُراعي حاله في الامانة والخيانة ، مثل الصباغة والحاكة والقصابين والصباغين ، لأنهم ربما هربوا بأموال الناس ، فيبعد من ظهرت خيانتته ويشتهر أمره لئلا يغتر به من لا يعرفه ، وإن الخيانة تابعة للسرقة ، وممن عُرف عمله بالرداءة فالمحتسب أن ينظر فيه بالتزام الغرم والتأتيب على فعله ، وللمحتسب الحق في منع ارباب المواشي من استعمالها فيما لا تطيق تحمله ، وله ان يمنع اي فوضى في السوق من حيث عدم أنتظام الاسواق^(١١٨) .

الخاتمة

بعد الدراسة المستفيضة والموضوعية للزواج في الاقتصاد الاسلامي توصلنا لجملة من النتائج والمسائل وقد أثبتناها بالالة وهي :

- الزجر هو لمنع إرتكاب المخالفات الاقتصادية وغيرها ، وقد تنوعت الزواجر بتنوع المخالفات فمنها الكبيرة ومنها الصغيرة ومنها العامة ومنها الخاصة .

- فالزواجر مع المخالفات كالمسببات مع الاسباب ، والتوابع مع المتبوعات لا تتفك عنها ولا تفارقها ، بمعنى أن لكل مخالفة زاجرة وقد تكون بعض هذه الزواجر أجلة وقد تكون عاجلة ، أي أن المخالف قد تناله زاجرة في دنياه وقد تناله في الآخرة، وقد تكون في كليهما، ومن نأى بنفسه عن المخالفات أرغد نفسه وأطيب عيشه .

- ومن نتائج إقامة الزواجر وتنفيذها منع المخالفات ومنع استلاب حق الآخرين ، وبذلك يقل الذين تُقام عليهم الاحكام الزاجرة .
- إن الاقتصاد الاسلامي يحرص كل الحرص على إتباع منهج الطوعية للالتزام بالحقوق والواجبات وعدم التعدي ولكن وضعت او شرعت الزواجر للاشقياء البُلهاء او الذين كثر الران على قلوبهم او الذين أصيبت أسماعهم بالصم الذين لا يفقهون ما يسمعون ، فمثل هؤلاء لا ينفع معهم الوعظ ، ولا الحكمة ، ولا العقل إنما ينفع الزجر والحد والتعزير والتأنيب.
- النهج العام في الاقتصاد الاسلامي لا اعفاء ولا تهاون ولا تساهل في التنفيذ الكامل للزاجرة بحق المخالف ، فالكل سواء فلا شريف ولا وضيع ، ولا عزيز ولا حقير ، ولا قوي ولا ضعيف ، ولا من الاصاغر ولا من الاكابر .

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

اولا: المصادر الاولية

- احمد ، ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).
- المسند ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، وحمزة احمد الزين، (القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٥م).
- ابن ادم، يحيى القرشي (ت ٢٠٣هـ).
- الخراج ، تحقيق : احمد محمد شاكر، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٩).
- البخاري ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ).
- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب (بيروت، دار ابن كثير ، ١٩٨٧م).
- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).
- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، (مكة المكرمة ، دار الباز ، ١٩٩٤م).
- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ).
- سنن الترمذي ، تحقيق: احمد محمد شاكر (واخرون) ، (بيروت، دار احياء التراث العربي ، د.ت).
- الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٣٧٠هـ).

- احكام القرآن، تحقيق: محمد صادق (بيروت، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٥م).
- ابن حبان، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد (ت ٣٥٤هـ).
- صحيح ابن حبان ، تحقيق: شعيب الارنؤوط ، (بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- ابو داود، سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ).
- سنن ابي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد (بيروت، دار الفكر، د.ت).
- الرازي ، م محمد عبد القادر (ت ٦٦٠هـ)
- مختار الصحاح ، (بيروت ،دار الكتب العلمية ،١٩٨٣م)
- الشاطبي،ابراهيم بن موسى(ت٧٩٠هـ)
- . الموافقات في اصول الشريعة ،تحقيق:عبدالله دراز(بيروت،دار المعرفة،د.ت)
- الشهرستاني ،ابو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت٥٤٨هـ) .
- الملل والنحل،تحقيق:أحمد حجازي السقا، محمد رضوان مهنا،(القاهرة، مكتبة جزيرة
الورد،٢٠٠٦م)،
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
- تاريخ الرسل والملوك ، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م).
- ابو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).
- . الاموال، تحقيق: محمد خليل هراس ، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م).
- ابن عبد السلام،ابو محمد عز الدين عبد العزيز السلمي(ت٦٦٠هـ)
- قواعد الاحكام في مصالح الانام،(القاهرة دار البيان العربي،٢٠٠٢م)،
- الغزالي ،ابو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)
- . احياء علوم الدين،تحقيق:د.محمد وهبي سلمان،واسامة عمورية(دمشق،دار الفكر،٢٠٠٦م)
- القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن رشد (ت ٦٧١هـ).
- . الجامع لاحكام القرآن ،تحقيق: احمد عبدالعليم، (القاهرة ، دار الشعب ، ١٣٧٢هـ)
- ابن ماجه ، ابو عبدالله محمد القزويني (ت ٢٧٥هـ).
- سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، (بيروت ، دار الفكر، د.ت).
- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ).

. الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق : عماد الدين زكي البارودي، (القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت).

مسلم، ابو الحسين بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).

. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت)

المنائوي، عبد الرؤوف محمد بن تاتج العارفين (ت ١٠٣١هـ)

- التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق:جلال الاسيوطي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م)

أبن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).

- لسان العرب ، (بيروت، دار صادر ، د.ت).

النسائي، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).

. السنن الكبرى، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩١م).

النووي ، ابو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ).

اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢هـ).

- تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور ، (بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩م).

ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ).

. الخراج ، (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩هـ).

ثانيا: المراجع الحديثة

ايوب ، حسن

- فقه المعاملات المالية في الاسلام(القاهرة،دار السلام،٢٠٠٦م)،

البجاري،جاسم محمد اشهاب

. دراسات في الفكر العربي الاسلامي،(الموصل،شركة مطبعة الجمهورية،١٩٩٠م)

زيدان ، عبدالكريم (الدكتور)

- الوجيز في اصول الفقه (بغداد، مطبعة العاني، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

العدوي ، علي الصعيدي

حاشية العدوي،تحقيق:يوسف الشيخ محمد البقاعي(بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٢ هـ)

الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد (الدكتور)

. اصالة نظام الحسبة العربية الاسلامية، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م).

الهوامش:

- ١ الرازي ، م محمد عبد القادر (ت ٦٦٠هـ) ، مختار الصحاح ، (بيروت ،دار الكتب العلمية ،١٩٨٣م) ص٢٦٩.
- ٢ ابن منظور ، ابو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، (بيروت، دار صادر ، د.ت)،ج٤،ص٣١٨.
- ٣ الرازي، مختار الصحاح،ص٢٦٩.
- ٤ ابن منظور ،لسان العرب،ج٤،ص٣١٩.
- ٥ الرازي ، مختار الصحاح ، ص٢٦٧
- ٦ العدوي ، علي الصعيدي، حاشية العدوي،تحقيق:يوسف الشيخ محمد البقاعي(بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٢ هـ) ،ج١،ص١٥٢ .
- ٧ سورة النور ، آية ١٧
- ٨ الجصاص،ابو بكر احمد بن علي(ت٣٧٠هـ)،احكام القران،تحقيق:محمد صادق(بيروت ،دار احياء التراث العربي،١٩٨٥م)،ج٥ ، ص ١٦٣.
- ٩ سورة البقرة ، آية ٦٦ ،
- ١٠ القرطبي،ابو عبدالله محمد بن احمد(ت٦٧١هـ)،الجامع لاحكام القران،تحقيق:احمد عبد العليم البردوني،(القاهرة، دار الشعب،١٩٧٢م)،ج١،ص٤٤٣.
- ١١ سورة الصافات ، آية ١٩ .
- ١٢ الشهرستاني ،ابو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت٥٤٨هـ)،الملل والنحل،تحقيق:أحمد حجازي السقا، محمد رضوان مهنا،(القاهرة، مكتبة جزيرة الورد،٢٠٠٦م)،ج١،ص٣٨ .
- ١٣ سورة النور ، آية ٦٣ .
- ١٤ سور هود ، آية ٨٤
- ١٥ سورة هود ، آية ٩٤ . ٩٥ .
- ١٦ سورة النساء ، آية ١٤ .
- ١٧ سورة العنكبوت ، آية ٤٠ .
- ١٨ سورة البقرة ، آية ١٧٩ .

- ١٩ الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، احياء علوم الدين، تحقيق: د. محمد وهبي سلمان، اسامة عمورية، (مشق، دار الفكر، ٢٠٠٦ م) ، ج ٢ ، ص ١٠٣٢ .
- ٢٠ ابو يوسف ، ابراهيم بن يعقوب (ت ١٨٢هـ) ، الخراج، (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م)، ص ١٥١ .
- ٢١ الشاطبي، ابراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات في اصول الشريعة، تحقيق: عبدالله دراز، (بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٤م) ج ٢، ص ٥٢١ .
- ٢٢ سورة النساء ، آية ١٢٣ .
- ٢٣ سورة الزلزلة ، آية ٨ .
- ٢٤ ابن عبد السلام، ابو محمد عز الدين عبد العزيز السلمى (ت ٦٦٠هـ)، قواعد الاحكام في مصالح الانام، (القاهرة دار البيان العربي، ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ١٤ .
- ٢٥ سورة يس ، آية ١٢ .
- ٢٦ سورة القيامة ، آية ١٣ .
- ٢٧ مسلم ، ابو الحسين بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت) ، ج ٢، ص ٧٠٥؛ وينظر ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥) ، سنن ابن ماجه ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار الفكر ، د.ت) ج ٢ ص ٨١٦؛ ابن حبان ، ابو حاتم محمد بن حبان بن احمد (ت ٣٥٤ هـ) . صحيح ابن حبان ، تحقيق: شعيب الارنؤوط ، (بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ج ١، ص ٧٤؛ النسائي، ابو عبد الرحمن بن شعيب (ت ٣٠٣)، السنن الكبرى ، تحقيق: عبد الغفار سليمان البغدادي، وسيد كسروي حسن (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١) ، ج ٢، ص ٣٩
- ٢٨ الحرام هو ما طلب الشارع الكف عنه على وجه الحتم والالزام ويكون تاركه مأجورا مطيعا وفاعله أثما عاصيا ، زيدان، عبد الكريم ، الوجيز في أصول الفقه ، (بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٠م)، ص ٣٠ فكل من يتعامل بالمعاملات المالية او الاقتصادية المحرمة تترتب عليه الزاجر او العقوبة
- ٢٩ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٣٣٦
- ٣٠ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .
- ٣١ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: عماد زكي البارودي (القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت)، ص ٣٧٧ .
- ٣٢ الماوردي ، الاجكام السلطانية ، ص ٤٠١ .
- ٣٣ المناوي ، عبد الرؤوف محمد بن تاتج العارفين (ت ١٠٣١هـ) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق: جلال الاسيوطي (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١١م) ، ص ١٤٠
- ٣٤ ابن منظور ، لسان ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .
- ٣٥ الرازي ، صحاح ، ص ٢٨٤ .

- ٣٦ سورة المائة ، آية ٣٨ .
- ٣٧ البخاري ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب (بيروت، دار ابن كثير ، ١٩٨٧م)، ج٣، ص١٢٨٢ ؛ مسلم صحيح ، ج ٣، ص١٣١٥ .
- ٣٨ النسائي، السنن الكبرى ، ج٤، ص٣٢٨ .
- ٣٩ ابو يوسف ، الخراج ، ص١٥٢ .
- ٤٠ ابو يوسف ، الخراج ، ص١٦٨ .
- ٤١ ابو يوسف ، الخراج ، ص١٦٨ .
- ٤٢ ابو يوسف ، الخراج ، ص١٦٩ .
- ٤٣ اينظر الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٣٨٥
- ٤٤ ابو يوسف ، الخراج ، ص١٧١ . ١٧٢ .
- ٤٥ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٣٨٦ .
- ٤٦ ابو يوسف ، الخراج ، ص١٦٧ .
- ٤٧ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٣٨٦ .
- ٤٨ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٤٠٣ .
- ٤٩ ابو يوسف ، الخراج ، ١٦٨ .
- ٥٠ ينظر ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٧٢ . ١٧٣ .
- ٥١ ابو يوسف الخراج ، ص١٧٤ .
- ٥٢ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٣٨٩ .
- ٥٣ ابن عبد السلام ، قواعد الاحكام ، ج١ ، ص٨٠ .
- ٥٤ ابن عبد السلام ، قواعد الاحكام ، ج١ ، ص١٤ .
- ٥٥ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٣٧٧ .
- ٥٦ ابو داود، سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابي داود ، تحقيق: شعيب الارنؤوط، محمد نعيم العرقوس (بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م)، ج٣، ص٦٩
- ٥٧ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج٢، ص ٩٥٠ ؛ وينظر ابو داود ، ج٣ ، ص٦٨
- ٥٨ ينظر ابو يوسف ، الخراج ، ص١٧٢ .
- ٥٩ سورة ال عمران ، آية ١٦١ .
- ٦٠ سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .
- ٦١ سورة ال بقره ، آية ٢٧٨ - ٢٧٩ .
- ٦٢ مسلم ، صحيح ، ج٣ ، ص١٢١٩ .
- ٦٣ ابن ماجه ، سنن ، ج ٢ ، ص ١١٢١ .

- ٦٤ البجاري، جاسم محمد اشهاب، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي، (الموصل شركة مطبعة الجمهورية، ١٩٩٠م)، ص ١٤٤ .
- ٦٥ سورة الاعراف ، آية ٥٦ .
- ٦٦ سورة المطففين ، آية ٣ . ٢ . ١ .
- ٦٧ القرطبي ، الجامع لاحكام القران ، ج ٢، ص ٧ .
- ٦٨ سورة هود ، آية ٩٤ . ٩٥ .
- ٦٩ الغزالي ، احياء ، ج ٢، ص ٩٧٣ .
- ٧٠ سورة النساء ، آية ١٠ .
- ٧١ الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر (واخرون)، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت.)، ج ٢ ، ص ٥١٢ .
- ٧٢ ابن عبد السلام ، قواعد الاحكام ، ج ١ ، ص ١٠٦ .
- ٧٣ سورة التوبة، آية ٣٥ .
- ٧٤ الغزالي ، احياء ، ج ٢ ، ص ٩٥٠ .
- ٧٥ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٣٧٩ .
- ٧٦ ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، الاموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م)، ص ٧٠٩ .
- ٧٧ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٣٧٩ . ٣٨٠ .
- ٧٨ ابن عبد السلام ، قواعد الاحكام ، ج ١ ، ص ٧٩ .
- ٧٩ سابق ، سيد ، فقه السنة ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .
- ٨٠ مسلم ، صحيح ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
- ٨١ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٣، ص ٦٤٨ .
- ٨٢ ابو داود ، سنن ، ج ٣، ص ٣٠٠ ؛ وينظر ابن ماجة ، سنن ، ج ٢ ، ص ٧٧٥ ؛ الترمذي ، سنن ، ج ٣، ص ٦٢٣ .
- ٨٣ الغزالي ، احياء ، ج ٢ ، ص ١١٢٥ .
- ٨٤ الماوردي ، الاحكام السلطاني ، ص ٢٢٤ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج ٥ ، ص ٢٤٩ .
- ٨٥ البخاري، صحيح، ج ٦، ص ٢٦٢٤ ؛ وينظر مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١٤٦٣ .
- ٨٦ اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب (ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩ م)، ج ٢، ص ١٠٩ .
- ٨٧ الغزالي ، احياء ، ج ٢ ، ص ١١٢٥ .
- ٨٨ ابن عبد السلام ، قواعد الاحكام ، ج ١ ، ص ٧٣ .
- ٨٩ الغزالي ، احياء ، ج ٢ ، ص ١٤٦٢ .

- ٩٠ ينظر ايوب ، حسن، فقه المعاملات المالية في الاسلام(القاهرة،دار السلام ،٢٠٠٦م)،ص٢١٢ . ٢١٣ .
- ٩١ ابو داود ، سنن ، ج٣ ، ص٣١٥ .
- ٩٢ الغزالي ، إحياء ، ج٢ ، ص٩٦٣ .
- ٩٣ الغزالي ، إحياء ، ج٢ ، ص٩٦٣ .
- ٩٤ ينظر الغزالي ، إحياء ، ج٢ ، ص٩٦٣ .
- ٩٥ سورة ابراهيم ، آية ٤٢-٤٣ .
- ٩٦ سورة الانبياء ، آية ١١ .
- ٩٧ الغزالي ، إحياء ، ج٢ ، ص٩٦٨ .
- ٩٨ ابن ادم، يحيى القرشي(ت٢٠٣هـ)،الخراج،(بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر،١٩٧٩م)،ص٩٣؛ وينظر البيهقي،ابو بكر احمد بن الحسين بن علي(ت٤٥٨هـ)،سنن البيهقي الكبرى،تحقيق:محمد عبد القادر عطا(مكة المكرمة،دار الباز،١٩٩٤م)،ج٦،ص١٤٨ .
- ٩٩ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج٣ ، ص١٤٢ .
- ١٠٠ ابن عبد السلام ،قواعد ، ج١ ، ص١٠ .
- ١٠١ الشاطبي ، الموافقات ، ج٣ ، ص١٣٥ .
- ١٠٢ ابن عبد السلام ، قواعد ، ج١ ، ص١١ .
- ١٠٣ الشاطبي ، الموافقات ، ج٢ ، ص٣٧٧ .
- ١٠٤ الطبري ،تاريخ الرسل ، ج٣ ، ص١٦٣ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٩٩ .
- ١٠٥ سورة الاسراء ، اية ٢٩ .
- ١٠٦ سورة البقرة ، اية ١٨٨ .
- ١٠٧ الغبن : تعني الغفلة أو ما أنطوى أمره وخفيت عاقبته الرازي ، مختار الصحاح ، ص٤٧١ ؛ او كل بيع مجهول غير معلوم ومعجوز عنه غير مقدور عليه فهو غرر كبيع السمك في الماء وبيع الطير في الهواء ينظر الشيرازي ، أبو اسحاق ابراهيم علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ)، المهذب ، (بيروت ، دار الفكر ، د.ت) ، ج١، ص٢٦٣ . ، ابن قدامة ، أحمد بن عبد الرحمن (ت ٦٨٩هـ) ، مختصر منهاج القاصدين ، تحقيق : علي حسن علي عبد الحميد ، (بغداد ، مكتبة الشرق الجديد، د.ت)، ص١٠٩ .
- ١٠٨ ينظر لشاطبي ، الموافقات ، ج٢ ، ص٣٢٩ .
- ١٠٩ حنبل ، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، المسند ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ط١(القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٩٥م) ، ج٧، ص١٢٣ .
- ١١٠ الغزالي ، إحياء ، ج٢ ، ص٩٧٢ .
- ١١١ الغزالي ، إحياء ، ج٢ ، ص٩٧٨ .
- ١١٢ م ن ، ج٢ ، ص٩٦٤ .

- ١١٣ ينظر تفاصيل الحسنة الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد ، اصالة نظام الحسبة العربية الاسلامية، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م).
- ١١٤ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ج٢ ، ص٤٣٣ .
- ١١٥ الماوردي ، الاحكام ، ص٤٠٦ . ٤٠٧ .
- ١١٦ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ج ص٤٠٨ .
- ١١٧ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ج ص٤١٨ .
- ١١٨ ينظر كل هذه المعلومات وغيرها الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ج ص٤٢٥ - ٤٣٠ .

البيوت التراثية في محلة السنك شارع

الرشيد من سنة (١٩٠٠ - ١٩٥٨م)

(دراسة ميدانية) نماذج مختارة

عمر زين سليمان

أ.م.د. فاروق محمد علي

جامعة بغداد - كلية الآداب

قسم الآثار

البيوت التراثية في محلة السنك شارع الرشيد من سنة (١٩٠٠ - ١٩٥٨ م)

عمر زين سليمان

أ.م.د. فاروق محمد علي

الملخص ...

تمثل محلة (السنك) المثل الحي والشاخص لمحلات بغداد القديمة ، والتي تحتفظ بمبانٍ سكنية مختلفة تعود الى الفترة التاريخية المحصورة بين أواخر الحكم العثماني المتأخر وبداية العهد الملكي في العراق . وقد خصصت هذه الدراسة لتوثيق البيوت التراثية لما تمثله تلك الحقبة الزمنية من مرحلة انتقالية فعلية في جوانب الحياة العامة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبناءً على ذلك يمكن استخلاص نتيجة مهمة من إن البيئة والحضارات القديمة والخبرات المحلية ، قد لعبت دوراً في العمارة العراقية عامة ، والبيت خاصة ، لهذا بقيت صلة البيت وثيقة بالنمط السائد في العراق منذ القدم والفترات اللاحقة .

Heritage houses in the locality of AL- Sinak (AL- Rasheed) from the year (1900 – 1958) AD field study (selected models)

Abstract

The Locality of (Al – Sinak) represents the living and distinctive model of the old Baghdad shops , which preserve various residential building , most of which date back between the late Ottoman era and the beginning of the royal era . This study was devoted to documenting the heritage houses because that era represented an actual transitional stage in the aspects of public life , including political , economic and social ones . Accordingly , an important conclusion can be drawn from that the environment , ancient civilizations , and local experiences played a role in Iraqi architecture in general , and the house in particular . Therefore , the

link of the house remained closely with the prevailing pattern in Iraq since antiquity and later periods .

الموقع والتسمية وتاريخ المحلة

تقع محلة السنك على الضفة الشرقية لنهر دجلة في منطقة الرصافة ^(١)، وتعد هذه المحلة امتداداً طبيعياً والنهية الجنوبية لشارع الرشيد (جادة خليل باشا أو جادة سي سابقاً) ^(٢)، حيث تفصلها عنه (محلة صبايغ الال) ^(٣)، وساحة الوثبة ^(٤)، وجسر الأحرار ^(٥). أما موقع السنك في العصر العباسي فكانت تقع ضمن طسوج ^(٦) كلوذا، التي تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة المنصور المدورة ، إذ كانت تزود المدينة بالغلات الزراعية ^(٧)، لذلك يمكن ان نقول أن موقع السنك كان عبارة عن مزارع وبساتين ^(٨)، وقد أشتهر هذا الموقع بحقله وأديرته منها دير (الزندورد) ^(٩)، وقد وصف ياقوت هذا الدير نقلاً عن الشابشتي قال: (هو في الجانب الشرقي من بغداد ، وحدها من باب الأزج وأرضها كلها فواكه و أرتاج وأعناب) ^(١٠). وقد شيد الخليفة الامين (١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨٠٩ - ٨١٣ م) قصرًا قرب موضع هذا الدير ولعل قسماً من بساتين هذا الدير قد الحق بالقصر الذي عرف بقصر الزندورد ^(١١)، ومن المحتمل أن الباب الذي شيد في سور بغداد الشرقية في عهد المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) ، اصبح يعرف باسم باب كلواذي كان في نفس الموضع تقريباً ، ومن المحتمل ان هذا الموضع قد عرف في العصر العباسي المتأخر باسم باب الأزج ^(١٢) ؛ لذلك يمكن القول ان موقع محلة (السنك) ، كانت جزءاً من محلة باب الأزج أو محلة البصلية والتي كانت تمتد من باب كلوذا ، إلى نهاية محلة المربعة وسور دار الخلافة في عهد المأمون (١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ) (٨١٣ - ٨٣٣ م) ^(١٣)، وتم إنشاء موقع تلك المحلة في بداية خلافة المستظهر (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨ م)، حيث باشر بإنشاء سور عظيم وخذق واسع يحيطان الجانب الشرقي من بغداد ضم في داخله دار الخلافة وجميع العمران التي أنشأت سنة (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م)، وأتمه من بعده أبنة الخليفة المسترشد (٥١٢ - ٥٢٩ هـ / ١١١٨ - ١١٣٥ م) وإنشأ مسناة حول خندقه وبنى باب البصلية وباب كلوذا ، كما ذكر ياقوت أن الخليفة شيد في جواره محلة البصلية سميت فيما بعد ب(محلة باب الشيخ) ^(١٤). وقد وصف عدد من الرحالة العرب والأجانب هذا الموقع عند زيارتهم بغداد في عصور مختلفة ،

فقد قدم لنا الرحالة (ابن جبير) عند زيارته الجانب الشرقي من بغداد سنة (٥٨٠ هـ - ١١٨٤م) ، وصفاً ذكر فيه محلة باب الأزج أيام دخوله بغداد أن هناك طريق عام يربط آخر سوق الثلاثاء الجنوبي ، يتفرع هذا الطريق إلى فرعين، الفرع الثاني منه يتجه إلى الجنوب نحو باب البصلية (باب كلواذا)، وهو الطريق الشمالي الذي كان يعرف بالشارع الأعظم، وهو يمتد من الجنوب من (محلة المأمونية)^(١٥)، ومحلة باب الأزج ويخترق المحلة المسماة (قراح بن رزين)^(١٦)، لذلك يمكن القول ان محلة السنك في تلك الفترة كانت مزارع لأنواع الخضر وخاصة البصل . أمّا تسمية محلة السنك : هي كلمة تركية معناها (الذباب) ، وسبب هذه التسمية يعود إلى أن أكثر أراضي هذه المحلة كان يزرع بأنواع من الخضر وخاصة مزارع البصل المسمدة بالسماد الحيواني لتقويتها وإدامة خصوبتها ، أو ربما كانت مخازن للمواد الغذائية أيضاً^(١٧)، وسبب ذلك كثرة الذباب فيها، وتردد اسمها كثيراً في سجلات المحكمة الشرعية ببغداد منذ بداية القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد)، وكشفت الوثائق الوقفية أيضاً عن كثرة الحداثق والبساتين في هذه المحلة^(١٨).

كما وردت هذه التسمية أيضاً في قائمة جونز سنة ١٨٤٦م ، وذكر إنها محلة كبيرة تحتوي على ثمان عقود أو دروب ، ذكر بعضها في سجل المحكمة الشرعية^(١٩)، وأصبحت أكثر هذه الدروب ضمن مقتربات جسر السنك في ثمانينيات القرن الماضي ، كما سمي الجزء الجنوبي الغربي المطل على نهر دجلة في أواخر العصر العباسي باسم محلة (الشط) لكون بيوتها تطلّ على شط دجلة^(٢٠)، واختفت هذه التسمية في أواخر العهد العثماني لتحل محلها اسم محلة (السنك)^(٢١) .

أمّا تاريخ المحلة فقد أشارت المصادر التاريخية من أن محلة السنك كانت ضمن طسوج كلواذا ، ثم أصبحت في نهاية الفترة العباسية ضمن محلة باب الأزج ومحلة البصلية ، وفي نهاية الفترة العثمانية أصبحت هذه المحلة من أهم المناطق السكنية في بغداد ، حيث سكن فيها الولاة العثمانيون وأصبحت من المركز السياسية ، وأقيم فيها عدد من القنصليات منها المقيمة البريطانية ، وسكن فيها عدد من السفراء وكبار الشخصيات السياسية والتجارية في تلك الفترة . كما تشكلت فيها أول حكومة مؤقتة في ظلّ الاحتلال البريطاني في بيت نقيب

أشرف بغداد (السيد عبد الرحمن النقيب) (٢٢). وبعد تأسيس النظام الملكي في عام (١٣٣٩هـ-١٩٢١م) ، مرت بغداد بمراحل نمو وتطور من خلال وضع تصاميم أساسية لها ، فقد وضع المهندس البريطاني (ويلسون) تصميماً أساسياً لإعادة تنظيم وتوزيع واستحداث وحدات سكنية جديدة (٢٣) ، وفي سنة (١٩٢٣م) ظهرت مرحلة أخرى في تطوير محلات بغداد والتوسع فيها بشكل طولي بعد إن كانت بشكل دائري ، وفي سنة (١٩٣٦م) قام البرفسور الالمانى (بريكس) بإعادة تصميم بغداد ، حيث قام بتوسيع محلات بغداد بأحياء جديدة ذات طراز عماري مختلف عبارة عن أحياء بغدادية تراثية قديمة ، أستعمل فيها مواد بنائية جديدة منها الروافد الحديدية (شيلمان) في تسقيفها (٢٤) ، وشهدت تلك المحلات في فترة الأربعينيات نمطاً حديثاً من البيوت اختلفت في توزيع مساحاتها ، فبعد إن كانت مساحات البيوت واسعة وغير متصلة في المرحلة الأولى ، تقلصت مساحاتها وعرف بنطاق البيوت المتصلة وذات مساحات تراوحت بين (٢٠٠-٣٠٠م) حدائقها في مقدمة بيوتها ، كما تطورت السنك بشكل كبير حيث فتح فيها عدد من دور السينما واكبت تطور بغداد في تلك الفترة منها سينما روكسي (سينما النجاح حالياً) ، وسينما الزوراء والتي لازالت قائمة ، وفندق زيا (دائرة الأحوال المدنية حالياً) (٢٥). كما أصبحت محلة السنك من أهم مناطق بغداد التجارية والاقتصادية ، ولاسيما بعد فتح جسر السنك في خمسينيات القرن الماضي ، كما شهدت حركة ثقافية كبيرة ولاسيما بعد الاستقرار السياسي والاقتصادي في الفترة الملكية سنة (١٩٢١م) (٢٦). ومن أهم البيوت التراثية فيها :-

المقيمة البريطانية :- يتألف (موقع القنصلية البريطانية السابقة) من بيتين (٢٧) ، فقد ذكر الرحالة بيكنغهام [أن القنصلية الإنكليزية قد خدمت التجارة النهرية في بغداد تحت إدارة (Ci- Rich) ، وقد اتخذت القنصلية مقراً مشكلاً من أبنية كثيرة وجيدة ويحيط بها (حوشان) ، وفي البناية الكثير من الغرف المشرفة على دجلة والدهاليز والشرفات ذات الجدارين للنوم] (٢٨). كما القنصلية البريطانية على الضفة الشرقية لنهر دجلة (٢٩) ، في الجزء الغربي من محلة السنك ، (محلة ١٠٦) (زقاق ١٣) (دار ٦) (٣٠) ، يجاوره من الجهة الشمالية الغربية بيت النقيب سابقاً ، ومن الجهة الشمالية مصرف السنك ، ومن الجهة الشمالية الشرقية بدالة السنك عبر شارع السنك ، ومن الجهة الجنوبية الشرقية جسر السنك . وكان الموقع في

الأصل بستان (اكريبوز)^(٣١) فقد اتخذ من هذا البستان مقراً للقنصلية للبريطانية (والجيش البريطاني لاحقاً) في العهد العثماني الأخير ، حيث تم شطر البستان عند حفر جادة خليل باشا (شارع الرشيد) سنة (١٩١٦م) إلى شطرين الشرقي ، والذي أصبح دائرة البريد والبرق (بدالة السنك حالياً)، ومقر سكن الضباط البريطانيين ، والغربي هو المقر العام للجيش البريطاني (القنصلية البريطانية سابقاً) .

يحيط بالمقمية سور خارجي يشغل مساحة من الأرض على شكل ربع دائرة من منتصف الضلع الشمالي الشرقي إلى منتصف الضلع الجنوبي الشرقي بطول (٦١,١٣م)، ويمتد بشكل مستقيم يميل إلى الداخل بطول (٤٣,٥م) ، أما النصف الثاني من الضلع الشمالي الشرقي يتوسطه المدخل الرئيس الخارجي الأول للقنصلية ، له باب حديث من الحديد ذو مصراعين ، أبعاده (٣×٣م) يطل على شارع الرشيد ، ثم يمتد السور من هذا المدخل وبشكل مستقيم من النصف الثاني إلى الزاوية الشمالية على شكل حرف (L) ، بطول (٤٠,٦٨×٢٥,١٠م)، ويمتد إلى الضلع الشمالي الغربي بشكل مستقيم بطول (٦٠,٠٣م) ، كما يمتد الضلع الجنوبي الغربي بشكل مستقيم أيضاً بطول (٦٥,١١م) ، حيث يتوسط هذا الضلع مدخل رئيسي ثانٍ أقرب إلى الزاوية الجنوبية يطل على نهر، وهو مشابه للمدخل السابق، وتبلغ المساحة الكلية للمبنى مع السور (٢٤٩٨٩,٣١م^٢)، ويضم سور القنصلية بيتين يتم الوصول اليهما عن طريق سلم مكون من تسع درجات ، أبعاد كل منها (٣×٠,٣٥×٠,٢٠م)، ويفصل بينهما ممر مفتوح ، أبعاده (٦٠×٢,٥م)، أبعاده (٢,٥×٠,٣×٠,٣م) .

البيت الأول للمقمية البريطانية :- يتألف المبنى من طابقين ، و يشغل البيت مساحة من الأرض مستطيلة الشكل ، تبلغ مساحته الكلية حوالي (٢١٢٦٩,٣٩م^٢) تقريباً ، يبلغ ارتفاع الطابق الأرضي حوالي (٣,٥م) والطابق العلوي ارتفاعه (٤م)، وتتوسط المبنى ساحة وسطية مكشوفة ، وهي الجزء المحوري التي تتوزع حولها الوحدات البنائية من حجر وغرف الطابقين والمرافق الخدمية الأخرى . والبيت مبني بالآجر، والجص ، ومعقود بالروافد الحديدية (الشيلمان)، ويبلغ سمك جدران المبنى حوالي (٧٥سم) . وتم تدعيم زوايا المبنى وعلى جانبي مداخلها بدعامات تبرز عن سمت الجدار تمتد على طول الطابقين ، وربما

كان ذلك ؛ لتدعيم الجدران وتقويتها ، وتخفيف الضغط الناجم من ثقل الجدران لتوزيعها بشكل متساوٍ لتفادي أي خلل قد يحدث من ضعف للجدران .

فتح مدخله الرئيس في منتصف الواجهة الشمالية الشرقية ، وهو داخل حنية مستطيلة الشكل متوجة بعقد نصف دائري ذات أوجه مقعرة مبني بالآجر ، أبعادها (٢,٢×٣,٧م) زين باطن العقد بزخارف هندسية بارزة من الآجر ، كما زين كوشتا العقد بزخارف هندسية عبارة عن أطباق نجمية ، يعلوه زخرفة كتابية بالخط اللين مدونة فيها عبارة (متحف الازياء والمأثورات الشعبية) ، ويغلق فتحة المدخل باب من الخشب ذو مصراعين (٩,١×٢,٤م) ، وكل مصراع مزين بثلاث مستطيلات وزعت بشكل عمودي عليه (لوح ١) ، ويعلو المدخل نافذتان كل منها داخل حنية متوجة بعقد نصف دائري ، أبعادها (١,٧٥×١م) ، كل نافذة عليها شبك من الخشب ذو مصراعين تتخللها ألواح الزجاج الشفاف ، وفتحت على كل من جانبي المدخل خمسة نوافذ في الطابق الأرضي ، وخمسة أخرى على كل من جانبيه في الطابق العلوي (لوح ٢) ، يحتوي المبنى أيضاً في الواجهة الشمالية الغربية مدخل يعلوه عقد منبسط وزعت في جانبه الأيسر ستة نوافذ مشابهة للنوافذ السابقة ، يعلو كل نافذة منها حنية صماء مشابهة لحنية النوافذ السابقة (لوح ٣) ، أما الواجهة الجنوبية الغربية فتحتوي على مدخل يتوسط الواجهة فتحت على كل من جانبه في الطابق الأرضي خمسة حنايا صماء متوجة بعقد نصف دائري ، وأبعادها مشابهة لأبعاد النوافذ السابقة (لوح ٤) ، تعلو هذه الواجهة شرفة تطلّ على النهر بسبع عقود نصف دائرية ضخمة مبنية بالآجر ، ارتفاع كل عقد حوالي (٣م) ، وسعة فتحته (٢,١٦م) ، تستند هذه العقود على ثمان أعمدة ذات قطاع اسطواني ضخمة مبنية بالآجر ، الأولى والأخيرة منها مدمجة بالجدار ، ارتفاع العمود الواحد (١,٧٥م) وقطره (٥٠سم) ، أما العمودان الأخيران المدمجان ذات قطاع نصف اسطواني وقطره حوالي (٣٠سم) ، وكل عمود يستند على قاعدة مربعة القطاع طول ضلعها (١م) ، وترتفع عن الأرضية (٥سم) ، تعلوها قاعدة أخرى دائرية القطاع تحمل بدن العمود ، ويستند كل عقد على تاج دائري القطاع يحمل فوقه حدارة مربعة لتكوين قاعدة يرتكز عليه طرف العقد (لوح ٥) ، أما الواجهة الجنوبية الشرقية فهي مشابهة للواجهة الثانية . يحتوي الطابق الأرضي للمبنى على أربعة مجازات ، يتوزع كل مجاز منه في كل مدخل من مداخل البيت ، المجاز

الاول (١- مخطط ١) وهو المجاز الرئيس يقع خلف المدخل الرئيس وهو ذو محور مستقيم، مستطيل الشكل فتح على يمين الداخل حنيتان من سمت الجدار متوجان بعقد نصف دائري، تضم كل حنية منها حشوة زخرفية تتألف من أطباق نجمية خماسية الرؤوس متكونة من أشكال للوزية (لوح ٦) ، وتقابل تلك الحنيتين نافذتين كل منها داخل حنية مشابهة للحنيتان السابقتان . أما المجازات الباقية فالمجازين الجانبين متشابهين ، كل منها ذو محور منكسر مستطيل الشكل مسقف بقبو نصف اسطواني ، يرتكز على عقدين منبطحين في كل من بداية المجاز ونهايته . ويتوسط البيت ساحة وسطية مكشوفة تتوزع حولها من جهاتها الأربعة أروقة تطلّ على الساحة المكشوفة بعدد من الأعمدة الخشبية (دلكات) مضلعة الأوجه ، تحمل فوقها جسر من الخشب لربط الأعمدة مع بعضها لترتكز عليها أروقة الطابق العلوي ، ويفضي كل رواق من تلك الأروقة على عدد من الحجرات مختلفة الأبعاد ، عددها عشرين حجرة ، تتوزع حول الساحة المكشوفة من جميع الجهات ، كما توزعت في الزاوية الجنوبية من الساحة المكشوفة الوحدات الخدمية للمبنى من كنيف وحمام ومطبخ (لوح ٧)، وهي تقع داخل وحدة معزولة عن باقي الوحدات البنائية فيها . أما الطابق العلوي (مخطط ٢) فيتم الوصول إليها عن طريق سلّم يقع الى يسار الداخل في نهاية المجاز الرئيس ، يتألف السلّم من عشرين مرقاة مرصوفة بالكاشي الحديث . يحتوي هذا الطابق على خمسة عشر غرفة اختلفت فيها ابعادها ومساحاتها ، وتشرف هذه الغرفة على الساحة المكشوفة عن طريق أربعة أروقة تطلّ على الساحة بعدد من الأعمدة المشابهة للأعمدة السابقة .

البيت الثاني للمقيمة البريطانية :- يقع هذا البيت إلى يسار البيت السابق ، تبلغ

مساحته الكلية حوالي (٥٢٦,٨٩م^٢) تتجه زوايا المبنى نحو الجهات الأربعة الأصلية ، يتألف المبنى من طابقين ، يبلغ ارتفاع الطابق الأرضي حوالي (٣,٥م) والعلوي ارتفاعه (٤م)، المبنى تم تشييده بالآجر، والجص ، وتم تسقيفه بطريقة العقادة بالروافد الحديدية (الشيلمان) ، يتوسط المبنى ساحة مكشوفة مستطيلة الشكل ، تتوزع حولها الوحدات البنائية من ثلاث جهات ، وتطلّ إليها عبر ثلاثة عقود منبطقة ترتكز على أكتاف بنائية مستطيلة القطاع ، كل ثلاثة عقود تطلّ على الساحة من أروقة تتوزع حولها . يحتوي المبنى على أربعة واجهات من الخارج ؛ الواجهة الاولى (الشمالية الشرقية) تبرز عن سمت الجدار

بحدود (٤م) الى الأمام مكوّنة واجهة تحتوي على ثلاثة نوافذ في الطابق الأرضي متوّجة بعقد منبسط ، وثلاثة نوافذ في الطابق العلوي متوّجة بعقد نصف دائري ، وثلاثة نوافذ توزعت في الطابق العلوي ، ونافذتان في الطابق الأرضي في الزاوية الشمالية للواجهة (لوح ٨)، وثلاث نوافذ في الطابق الأرضي وثلاث في الطابق العلوي في الزاوية الشرقية للواجهة . أمّا الواجهة الثانية تحتوي على المدخل الرئيس للمبنى والذي فتح في بداية الواجهة أقرب إلى الزاوية الشمالية ، وهو داخل حنية متوّجة بعقد مدبب متراجع من الآجر ، مقعد الأوجه من الداخل ، أبعادها (١×٢×٤م)، وعمقها (٣٨سم) تقريباً ، يرتكز العقد على قاعدة مربعة طول ضلعها (٣٨سم) ، زين باطن العقد بزخارف آجريه بارزة عبارة عن أشكال هندسية من مثلثات موزعة بشكل متقابل ، مكوّنة أشكال أطباق نجمية ذات ستة رؤوس، كل رأس منها شكل مثلث محدب الوجه ومتقابلة في رؤوسها، ويعلو عقد المدخل من الأعلى إطار مستطيل الشكل يبرز عن سمت الجدار بحدود (١٠سم) ، أبعاده (١×٢,٥م) ، تشكل عن طريق افريز من الآجر يبرز عن سمت الجدار يعلو نوافذ واجهة الطابق الأرضي ، والإطار الذي يعلو المدخل متوّج من الأعلى بزخارف آجريه بارزة عبارة عن أنصاف دوائر متجاوزة مكوّنة ما يشبه بأسنان المنشار، كما زين باطن الإطار المستطيل بأشكال هندسية مضلعة ، عبارة عن قطع آجريه مثمثة الشكل ملئت بها كوشة العقد الذي يعلو المدخل ، والمدخل يغلقه باب من الحديد الحديث ذو مصراعين، ابعاده (١,٥ × ٣,٥م)، تتخلله قضبان حديدية ونقوش نباتية مشابهة للنقوش كتائب النوافذ السابقة . وإلى يمين المدخل الرئيس في الطابق الأرضي نافذة صغيرة داخل حنية على شكل نصف دائرة من الآجر، وعمقها من الخارج (١٥سم)، ومن الداخل (٥٠سم)، وترتفع عن الأرضية بحدود (٢م)، وهي متوّجة من الخارج بعقد نصف دائري من الآجر، وضع بشكل رأسي يحيط بجميع النافذة من الخارج ، ويبرز عن سمت الجدار بحدود (٣سم) ، يستند العقد على جدران الواجهة الخارجية، ويتكرر هذا العقد في جميع نوافذ الواجهة من الأعلى ؛ ربما لحماية تلك النوافذ عن طريق تقليل دخول مياه الامطار اليها ، وهذه النافذة عليها شباك من الخشب، أبعاده (٠,٥٠سم×١م)، يتألف من طلاقتين تتخللها ألواح الزجاج الأبيض الشفاف ، كل فردة منها على شكل ربع دائرة وهي تفتح إلى الداخل ، وتغلف هذه النافذة من الخارج بكتائب من الحديد تشابه نقوشها

كتائب المدخل ، وتعلوها نافذة في الواجهة العلوية مستطيلة الشكل ، وأبعادها (١,٧×١م) ، وهي داخل حنية متوجة من الأعلى بعقد نصف دائري ، عمقها من الخارج (٥سم) ، وعمقها من الداخل (٥٠سم) ، كما توجت حنية النافذة من الخارج بعقد نصف دائري شبيه بالعقد الذي أحاط النافذة السابقة ، وهذه النافذة متشابهة تماماً في تفصيلاتها وقياساتها وتصميمها مع نوافذ الطابق العلوي في الواجهة السابقة ، تغلفها من الخارج كتائب حديدية ذات نقوش مشابهة لكتائب النوافذ السابقة ، تتقدم قاعدة هذه النافذة عتبة من الآجر ، برزت عن سمت الجدار بحدود (٣٠سم) وبطول (١,٥م) ، محمولة على خمس (كوابيل) آجريه، ثلاثة منها تتوسط أسفل العتبة وأثنان ركنيتان متدرجة ، وعلى يسار المدخل في الطابق الأرضي ثلاثة نوافذ ترتفع عن الأرضية بحدود (٩٠سم) ، وهي تشابه النافذة العلوية السابقة من حيث الأبعاد ، والتفاصيل لكن لا تتقدمها عتاب ، كل نافذة عمقها من الخارج (١٠سم) ومن الداخل (٦٠سم) ، يعلو هذه النوافذ أفريز من الآجر تم الحديث عنه عند وصف المدخل الرئيسي ، ويعلو هذا الأفريز ثلاثة نوافذ تمثل الواجهة العلوية ، وهي تشابه تماماً نوافذ الطابق العلوي في الواجهة السابقة في أبعادها ، وتفاصيلها ، والعقود النصف دائرية التي تعلوها ، وتعلو هذه النوافذ الثلاثة نوافذ الطابق الأرضي ، تتقدم قاعدتها عتبة أيضاً مشابهة للنافذة السابقة في الأبعاد والتفاصيل (لوح ٩) ، وتعلو هذه الواجهة ستارة السطح من الآجر . أما الواجهة الثالثة هي الواجهة التي تطلّ منها الساحة المكشوفة على الحديقة الخلفية للمبنى ، يبلغ طول الواجهة حوالي (٢٧,٢م) . تتألف هذه الواجهة في الطابق الأرضي من بائكة من سبع عقود منبثحة مبنية بالآجر ، خمسة منها تتوسط الواجهة ارتفاعها (٢م) ، وسعة فتحتها (١,٣٨م) ، تتركز على ستة أكتاف بنائية من الآجر ، أربعة منها منفردة تتوسط الواجهة ، وهي مستطيلة القطاع ارتفاعها (١,٧م) ، أبعاد عرض بدن كل كتف (٦٠×٥٥سم) ، وكتفان ركنيان مستطيلان القطاع مندمجان مع أكتاف الأروقة المجاورة لها وارتفاعهما (١,٧م) ، أبعادهما (١,١٥×٠,٦٠×٠,٥٥م) ، ويرتكز كل كتف على قاعدة مستطيلة القطاع ارتفاعها (٤٠سم) ، وأبعادها (٠,٧٠×٠,٦٠) ، أما العقدان الأخيران فكل منهما في أحد ركني الواجهة والتي تنتهي فيهما الأروقة الجانبية باتجاه الواجهة ، وارتفاع العقد الواحد (٢م) ، وسعة فتحتها (١,٣٥م) ، العقد الاول ينتهي في الرواق الشمالي الغربي

المطلّ على الحديقة الخلفية ، والعقد الثاني ينتهي بالرواق الجنوبي الشرقي ، ارتكزت هذه العقود على جدران المبنى من الجانبين وتم تسييج داخل الأكتاف بسياج من الحديد حديثاً ، وفتح في العقدين الجانبيين باب من سياج الحديد ، تحمل هذه الأسيجة نقوش مشابهة لكتاب نوافذ الواجهات . أما واجهة الطابق العلوي لهذه الواجهة فهي تشابه واجهة الطابق الأرضي، وتحتوي على سبع عقود نصف دائرية من الآجر تعلق عقود الطابق الأرضي ، وسعة فتحتها (١,٣٨م)، وارتفاع العقود الخمسة الوسطى (٣,٢٠م) ، وتستند هذه العقود الخمسة على ستة أكتاف بنائية مستطيلة القطاع أيضاً أربعة منها مفردة ، والكتفان الجانبيان مدمجان بالأكتاف المجاورة لأروقة الطابق العلوي، ويبلغ ارتفاع كل كتف (٢,٩٠م) وابعاده (٠,٧×٠,٦) ، وتستند بدن هذه الأكتاف أيضاً على قاعدة مستطيلة القطاع متدرجة ، ارتفاعها (٢٠سم)، وتيجان الأكتاف مستطيلة القطاع ارتفاعها (١٠سم) ، زين وسط البدن بحنايا صمّاء، أبعادها (٢×٠,٣٠م) ، اما العقدان الجانبيان أعلى من العقود الوسطى ، أبعاد كل منهما (٤×١,٣٥م) ، يستند كل عقد على جدار المبنى ، وعلى جانبي صف العقود العلوية من الخارج حنية صمّاء تتوسط الجدار على كل جانب ، أبعادها (٣×١م)، عمقها (٢٠سم)، ومتوّجة بعقد منبسط ، وقد توجت جميع العقود والحنايا في هذه الواجهة بمداميك من عقود أجريّة منبسطة (لوح ١٠) . اما الواجهة الرابعة الجنوبية الشرقية فتشغل هذه الواجهة الضلع الجنوبي الشرقي من المبنى ، وهي تواجه السور الخارجي للقنصلية البريطانية ، يبلغ طول الواجهة (١٧,٨م) ، تحتوي هذه الواجهة على ثمان نوافذ ، أربعة نوافذ في الطابق الأرضي وأربعة في الطابق العلوي ، أما نوافذ الطابق الأرضي ، نافذتان من جهة اليمين ارتفاع كل منها عن الأرضية حوالي (٦٠سم)، وأبعادها (١,٢×١م) ، وكل منهما داخل حنية متوّجة بعقد نصف دائري عمقها من الداخل (٦٠سم) ومن الخارج (١٠سم)، والنافذتان مستطيلتان على كل منها شباك من الخشب ذي طلاقتين ذات قضبان من الحديد تفتح إلى الداخل ، يعلوه شباك صغير من فردتين مشابه لشبابيك نوافذ الواجهات السابقة ، والنافذة الثالثة على يسار النافذتين السابقتين ، وهي نافذة صغيرة على شكل نصف دائرية متوّجة بعقد نصف دائري ، وهي متشابهة في أبعادها وتصميمها النافذة الصغيرة التي تعلو النوافذ الكبيرة، ومشابهة للنافذة التي على يمين المدخل الرئيس في الواجهة الثانية في

الطابق الأرضي ، ترتفع عن الأرضية بحدود (١,١م) ، وهي داخل حنية من الداخل متوجة بعقد نصف دائري ، عمقها من الداخل (٦٠سم) ومن الخارج (١٠سم) ، اما النافذة الرابعة فهي نافذة مربعة الشكل ، ولها شبك من الخشب أبعاده (١×١م) ، وارتفاعه عن الأرضية (١م) ، والنافذة داخل حنية مربعة الشكل ، عمقها من الخارج (١٥سم) ، ومن الداخل (٥٠سم) ، وهي من طلاقتين من الخشب تتخللها ألواح الزجاج الأبيض الشفاف مقسمة إلى مربعين من الزجاج ، أبعاد كل طلاقة فيها (٠,٨٠×٠,٤٠) تفتح إلى الداخل . أما النوافذ الأربعة في الطابق العلوي فهي متشابهة تماماً مع النوافذ العلوية في الواجهتين الأولى والثانية في الأبعاد والتصميم (لوح ١١) . أما التخطيط الداخلي للمبنى (مخطط ٣) ، فيحتوي الطابق الأرضي على ثمان حجرات ، وكنيف عدد أثنان توزعتا في الزاوية الشمالية من المبنى ، ويحتوي هذا الطابق على ثلاثة أروقة تطلّ على الساحة المكشوفة من جهتها الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية بثلاثة عقود منبطة ، اما الجهة الشمالية الشرقية من الساحة المكشوفة فهي تطلّ على الساحة ببائكة من خمسة عقود منبطة (لوح ١٢) . أما الطابق العلوي (مخطط ٤) ، فيتم الوصول إليها عن طريق سلّم من ثلاثة عشر مرقاة يقع في منتصف الرواق الشمالي الشرقي ، يتألف الطابق العلوي من عشرة غرف توزعت حول الساحة المكشوفة ، تتقدم تلك الغرفة ثلاثة أروقة تشرف إلى الساحة المكشوفة بعدد من العقود محمولة على أكتاف بنائية مشابهة لعقود وأكتاف الطابق الأرضي .

الخلاصة ...

من خلال دراستنا لبيتا المقيمة البريطانية في محلة السنك للفترة الممتدة من نهاية الحكم العثماني إلى نهاية الفترة الملكية ، نستخلص من أن تلك البيوت قد استمر فيها النظام التخطيطي والعماري والزخرفي للبيوت البغدادية مع تغييرات بسيطة رافقتها ، منها ظهور عنصر الشرفات في البيت الأول ؛ للتعويض عن عنصر الشناشيل التي اختفت في بداية الفترة الملكية ، إذ راعى المعمار الظروف البيئية والمناخية فيها ، وتوزيع حجراتها وغرفها ووحداتها الخدمية حسب وظيفة كل وحدة بنائية فيها ، وفتح عدة مداخل ومجازات عديدة ؛ لتسهيل انسيابية الدخول والخروج الى المبنى ؛ ولتخفيف ثقل جدران المبنى الهائل بسبب

كبر مساحة المبنى وارتفاعه ؛ ولكون هاتان البيتان استعملتا كمانٍ رسمية فقد استغنى المعمار فيها عن الحاجة الى الناحية الاجتماعية المحافظة والتي كانت سائدة في تلك الفترة، كما راعى فيها التطور الحضاري والاقتصادي والاجتماعي في تخطيطها مع تطور المجتمعات حسب كل فترة زمنية مر عليها المجتمع .

Conclusion

Through our study of a number of the British Residential House in Al-Sinak locality for the Ottoman rule to the end of the royal period , We conclude that these houses have continued in the planning, architectural and decorative system of the Baghdadi houses with minor changes that accompanied them , including the emergence of the balconies element in the first house; To compensate for the element of the shanasheel that disappeared at the beginning of the royal period, the architecture took into account the environmental and climatic conditions in it , and opened several entrances and many passages; To facilitate the smooth flow of entry and exit to the building; To reduce the weight of the walls of the massive building due to the large area and height of the building; And because these two houses were used as official buildings, the architecture in them dispensed with the need for the conservative social aspect, which was prevalent in that period, and took into account the cultural, economic and social development in its planning with the development of societies according to each time period that the society passed through

الهوامش ...

- ١- العتابي . عبد الجبار . السنك محلة الشط التي حولها العثمانيون الى (ذباب)
ذاكرة مكان ، الشبكة العراقية لسنة ٢٠١٦م . للمزيد ينظر =
<https://magazine.imn.iq/%D8%B0%D8%A7%D9%83%D8%B1%D8%A9-%D9%85>

٢- شارع الرشيد : هو من أقدم شوارع بغداد حيث تم افتتاحه في ٢٣ تموز عام ١٩١٦ من قبل الوالي العثماني خليل باشا لذلك اطلق عليه (جادة خليل باشا سي) وهو يمتد من باب المعظم إلى الباب الشرقي ، (الوردي ، علي ،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد سنة ١٩٧٤م ، ص٣٠٢ ، ج٤). وأطلق على هذا الشارع في عهد الاحتلال البريطاني (بالشارع الجديد). (فتحي ، احسان ، شارع الرشيد حماية معمارية مثيرة ، مقال في مجلة الرواق ، العدد ١٤ ، بغداد سنة ١٩٨٣ ، ص١٦ .

٣- محلة صبايغ الإل : وهي إحدى محلات بغداد القديمة ، يطلق عليها باللغة التركية (أل بوبجبلر) و أل (بلام المضخمة) وتعني اللون الأحمر القرمزي ، و (بويه جي) تعني (صباغ) و(الر) للجمع ، وتقع هذه المحلة ضمن محلة المأمونية في العصر العباسي ، (كوك ، ريجارد ، بغداد مدينة السلام، ترجمة مصطفى جواد ، وفؤاد جميل ، الطبعة الأولى ، مطبعة شفيق - بغداد - سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ص١٨ ، ج٢) .

٤- ساحة الوثبة : هي إحدى الساحات التي تربط جسر الأحرار بشارع غازي ، أطلق عليه ساحة الملك فيصل الثاني في العهد الملكي ثم استبدل في العهد الجمهوري باسم (ساحة الوثبة) . (الصفار، رفعت مرهون ، محلات بغدادية قديمة في الذاكرة ، دار الشؤون الثقافية (أفاق عربية، الطبعة الأولى ، بغداد سنة ٢٠٠٢ م ، ص١٩) .

٥- جسر الأحرار :وهو أحد جسور بغداد القديمة ،أقامه الجيش البريطاني من الحديد المحمول على القوارب سمي بجسر (الجنرال مود) قائد الجيش البريطاني ، في عام ١٩٤١ تم إنشاء الجسر على أعتاب الجسر القديم وسمي بجسر (فيصل الأول)، للمزيد ينظر = مظلوم ، عدنان احمد ، تاريخ وذكريات ، اتحاد المقاولين العراقيين ، وزارة التخطيط العراقية .

<https://icf.org.iq/%D8%AC%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF%>

- ٦- الطسوج : لغة في الطوق بفتح الطاء المهملة وتشديد السين عن الفارسية بمعنى المنطقة الزراعية أو الموضع الزراعي . (سوسة ، جواد ، ، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م، ص ٢٠).
- ٧- فرنسيس ، بشير ، بغداد تاريخها و أثارها ، حقوق الطبع محفوظة لمديرية الآثار العامة ، الطبعة الأولى ، مطبعة الرابطة - بغداد ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ٩ .
- ٨- الخطيب الموصلية ، الشيخ ياسين خيرالله العمري ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، مطبعة دار البصري - بغداد ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، ص ٢٣ .
- ٩- الزندورد : وهي احدى الأديرة التي عرفت بها طسوج كلواذا حيث كن يتفرع منه نهر الزندورد والذي يقع في القسم الجنوبي الشرقي من بغداد ، ونهر الزندورد معناه بالفارسية (النهر الحي) . (سوسة ، جواد، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م، ص ٣٢) .
- ١٠- سوسة ، أحمد ، جواد ، مصطفى ، المصدر السابق، ص ٣٢، ص ٣٣ .
- ١١- ابن طيفور ، ابي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (المتوفي سنة ٢٨٠ هـ) ، بغداد ، مراجعة وطباعة السيد عزت عطار الحسيني ، مطبعة مكتبة الخانجي - بشارع عبد العزيز بالقاهرة - في مصر سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م ، ص ١٠، ص ١٩ .
- ١٢- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (المتوفي سنة ٧٣٩ هـ) ، مرصد الأطلاع على أسماء الامكنة والبقاع (وهو مختصر معجم البلدان لياقوت)، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الجيل- بيروت - لبنان ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ص ٦٧٢، مج ٢ .
- ١٣- العلي ، صالح احمد ، معالم بغداد الادارية والعمرانية دراسة تخطيطية ، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية) العراق - بغداد - الأعظمية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٨ م ، ص ٢٣٦ .

- ١٤- مقدسي ، جورج ، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد سنة ١٩٨٤م ، ص ٢٣ ، ص ٢٦ .
- ١٥- محلة المأمونية : وهي احدى محلات بغداد القديمة سميت (المأمونية) نسبة الى قصر الخليفة المأمون، حيث شيد رجال المأمون هذه المحلة قرب دار الخلافة متصلة به (شارع السموؤل) حالياً. (الحسيني، محمد صادق، عمران بغداد، مطبعة دار السلام- بغداد ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م ، ص ٥٤) .
- ١٦- قراح بن رزين: (القراح) : وهي الاراضي الزراعية العامرة والاهلة وهي تضاف الى اسم رجل او صاحب هذه الارض ، اما (رزين) وهو احد سكان بغداد الذي كان يملك ارض بجوار دار الخلافة .(الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبدالله (المتوفي سنة ٦٢٢هـ)، معجم البلدان ، دار صادر - لبنان - بيروت سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ٣١٥ ، مج ٤) .
- ١٧- السعدي ، عباس فاضل ، جغرافية بغداد التاريخية والاجتماعية (مجموعة ابحاث) ، طبع في دار الشؤون الثقافية العامة - الطبعة الاولى - وزارة الثقافة - العراق - بغداد ، ٢٠١٢م ص ٦٩
- ١٨- رؤوف ، عماد عبد السلام ، الاصول التاريخية لمحلات بغداد ، مطبعة مكتبة المنتبي - بغداد - العراق ٢٠٠٤م ، ص ٥٩ ، ص ٦٠ .
- ١٩- سوسة و جواد ، المصدر السابق ، ص ٢٧١ .
- ٢٠- هوار ، كليمان ، خطط بغداد ، ترجمة و تعليق : ناجي معروف ، الطبعة الاولى - مطبعة العاني - بغداد ، سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص ٩ .
- ٢١- القصيري ، أعتماذ يوسف ، الخصائص التخطيطية للبيت البغدادي خلال فترة الحكم العثماني مطبعة نائر جعفر العصامي - العراق - بغداد - شارع المنتبي ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م، ص ٥٨ .
- ٢٢- الغريبي، قيس جواد علي ، بلدية بغداد (١٩١٧-١٩٢٣م) ، دراسة تاريخية ، منشورات اليقظة العربية - بغداد ، سنة ٢٠٠٧م ، ص ٤ ، ص ٦ .

- ٢٣- العلوجي ، عبد الحميد ، حكومات بغداد منذ تأسيسها حتى العهد الجمهوري،
أصدار مديرية الفنون والثقافة بوزارة الإرشاد - بغداد ، سنة ١٩٦٢م ، ص ١٣ .
- ٢٤- مهدي ، سعاد ، التطور الحضري لمدينة بغداد (١٩٠٠-١٩٦٠م)، مجلة أفاق
عربية - بغداد ، ١٩٨٨ ، ٨ع ، ص ٤٢ .
- ٢٥- الهيتي ، صالح فليح حسن، تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد الكبرى (١٩٥٠-
١٩٧٠م)، مطبعة دار السلام - بغداد ، ١٩٧٦م ، ص ١١١ .
- ٢٦- القصاب ، فخري حميد ، شارع الرشيد (اسماء وتاريخ) ، مجلة نبراس الذاكرة ،
المقالة تحت باب ذاكرة المكان والمدن ، في ١٥/٩/٢٠١٤م .
- ٢٧- البيت : من بات في المكان : اي أقام فيه وقت الليل ، وبات يفعل كذا : اذا فعله
ليلاً . وبيت الشيء : دبره ليلاً او في الخفاء، والبيت : المسكن . سواء كان شعر
او مدر وهو مأوى الانسان بالليل . (ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب
(المحيط) ، مطبعة دار لسان العرب - بيروت ، المجلد الاول من الالف الى الراء،
ص ٢٣). (الرازي، محمد ابي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، طبع
بالمطبعة اليمنية بمصر، سنة ١٣٢٠هـ ، ص ٣٨٢).
- ٢٨- العمري ، سعاد هادي ، بغداد كما وصفها السواح الاجانب ، ص ٥٦ .
- ٢٩- بريج ، سر وليس ، رحلات الى العراق ، ص ٣٣ ، ج ١ .
- ٣٠- الهيئة العامة للآثار والتراث ، دائرة التراث - قسم التوثيق التراثي ، استمارة المسح
الميداني لدار المقيمية البريطانية ، قائمة مسح سنة ٢٠٠٨ م .
- ٣١- بستان اكريبوز : هو بستان يعود إلى الأغريبوزيين نسبة إلى جزيرة تعرف عند
الأتراك باسم (اغريبوز). (سركيس، يعقوب ، مباحث عراقية ، ص ١٢٨) .

المصادر والمراجع ...

- ١- الرازي، محمد ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، طبع بالمطبعة اليمنية
بمصر، ١٣٢٠هـ .

- ٢- السعدي ، عباس فاضل ، جغرافية بغداد التاريخية والاجتماعية (مجموعة أبحاث) ، طبع في دار الشؤون الثقافية العامة - الطبعة الاولى - وزارة الثقافة - العراق - بغداد ، ٢٠١٢م .
- ٣- الصفار، رفعت مرهون ، محلات بغدادية قديمة في الذاكرة ، دار الشؤون الثقافية (أفاق عربية، الطبعة الأولى ، بغداد سنة ٢٠٠٢ م .
- ٤- العتابي . عبد الجبار . السنك محلة الشط التي حولها العثمانيون الى (ذباب) ذاكرة مكان ، الشبكة العراقية لسنة ٢٠١٦م . للمزيد ينظر = <https://magazine.imn.iq/%D8%B0%D8%A7%D9%83%D8%B1%D8%A9-%D9%85>
- ٥- العلوجي ، عبد الحميد ، حكومات بغداد منذ تأسيسها حتى العهد الجمهوري، اصدار مديرية الفنون والثقافة بوزارة الإرشاد - بغداد ، سنة ١٩٦٢م .
- ٦- العلي ، صالح احمد ، معالم بغداد الادارية والعمرائية دراسة تخطيطية ، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية) العراق - بغداد - الأعظمية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٨م .
- ٧- العمري ، سعاد هادي ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة ، مطبعة دار المعرفة - بغداد ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- ٨- الغريبي، قيس جواد علي ، بلدية بغداد (١٩١٧-١٩٢٣م) ، دراسة تاريخية ، منشورات اليقظة العربية - بغداد ، سنة ٢٠٠٧م .
- ٩- القصاب ، فخري حميد ، شارع الرشيد (اسماء وتاريخ) ، مجلة نبراس الذاكرة ، المقالة تحت باب ذاكرة المكان والمدن ، في ١٥/٩/٢٠١٤م .
- ١٠- القصيري ، أعتامد يوسف ، الخصائص التخطيطية للبيت البغدادي خلال فترة الحكم العثماني مطبعة نائر جعفر العصامي - العراق - بغداد - شارع المنتبي ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م .
- ١١- الهيتي ، صالح فليح حسن، تطور الوظيفة السكنية لمدينة بغداد الكبرى (١٩٥٠-١٩٧٠م)، مطبعة دار السلام - بغداد ، ١٩٧٦م .

- ١٢- الهيئة العامة للآثار والتراث ، دائرة التراث - قسم التوثيق التراثي ، استمارة المسح الميداني لدار المقيمة البريطانية ، قائمة مسح سنة ٢٠٠٨ م .
- ١٣- الوردى ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، بغداد سنة ١٩٧٤م ، ج ٤ .
- ١٤- بدج ، سروليس ، رحلات إلى العراق ، ترجمة فؤاد جميل ، الطبعة الاولى ، مطابع دار الزمان - بغداد ، ١٩٦٦م ، ج ١ .
- ١٥- جواد ، مصطفى ، منزل ابن جبير وقبر ابن الجوزي فيها وتحقيق المربعة التي نزل فيها ، مجلة الاعتدال السنة ٦ ، العدد ٧ لسنة ١٩٦٦م .
- ١٦- رؤوف ، عماد عبد السلام ، الأصول التاريخية لمحات بغداد ، مطبعة مكتبة المتنبى - بغداد - العراق ٢٠٠٤ م .
- ١٧- سركيس ، يعقوب ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد ، مجلة لغة العرب سنة (١٩١٢/١٤ - ١٩٢٧/٣١) ، مطبعة شركة التجارة - بغداد ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- ١٨- سوسة ، أحمد ، أطلس بغداد ، مطبعة هيئة المساحة العراقية - بغداد ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- ١٩- _____ ، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .
- ٢٠- فتحي ، احسان ، شارع الرشيد حماية معمارية مثيرة ، مقال في مجلة الرواق ، العدد ١٤ ، بغداد سنة ١٩٨٣ .
- ٢١- فرنسيس ، بشير ، بغداد تاريخها و آثارها ، حقوق الطبع محفوظة لمديرية الآثار العامة ، الطبعة الأولى ، مطبعة الرابطة - بغداد ، سنة ١٩٥٩م .
- ٢٢- كوك ، ريجارد ، بغداد مدينة السلام ، ترجمة مصطفى جواد ، وفؤاد جميل ، الطبعة الأولى ، مطبعة شفيق - بغداد - سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ج ٢ .

٢٣- مظلوم ، عدنان أحمد، تاريخ وذكريات ، اتحاد المقاولين العراقيين، وزارة التخطيط العراقية

<https://icf.org.iq/%D8%AC%D8%B3%D9%88%D8%B1%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF%>

٢٤- مقدسي ، جورج ، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد سنة ١٩٨٤ م .

٢٥- مهدي ، سعاد ، التطور الحضري لمدينة بغداد (١٩٠٠-١٩٦٠م)، مجلة أفاق عربية - بغداد ، ١٩٨٨ ، ٨٤ .

٢٦- أبن طيفور ، ابي الفضل احمد بن طاهر الكاتب (المتوفي سنة ٢٨٠هـ) ، بغداد ، مراجعة وطباعة عزت الحسيني، مطبعة مكتبة الخانجي - بالقاهرة - في مصر سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

٢٧- ابن منظور، محمد بن مكرم ، لسان العرب (المحيط) ، مطبعة دار لسان العرب - بيروت ، المجلد الأول من الألف إلى الراء .

٢٨- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (المتوفي سنة ٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع (وهو مختصر معجم البلدان لياقوت)، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الجيل - بيروت - لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، مج ٢.

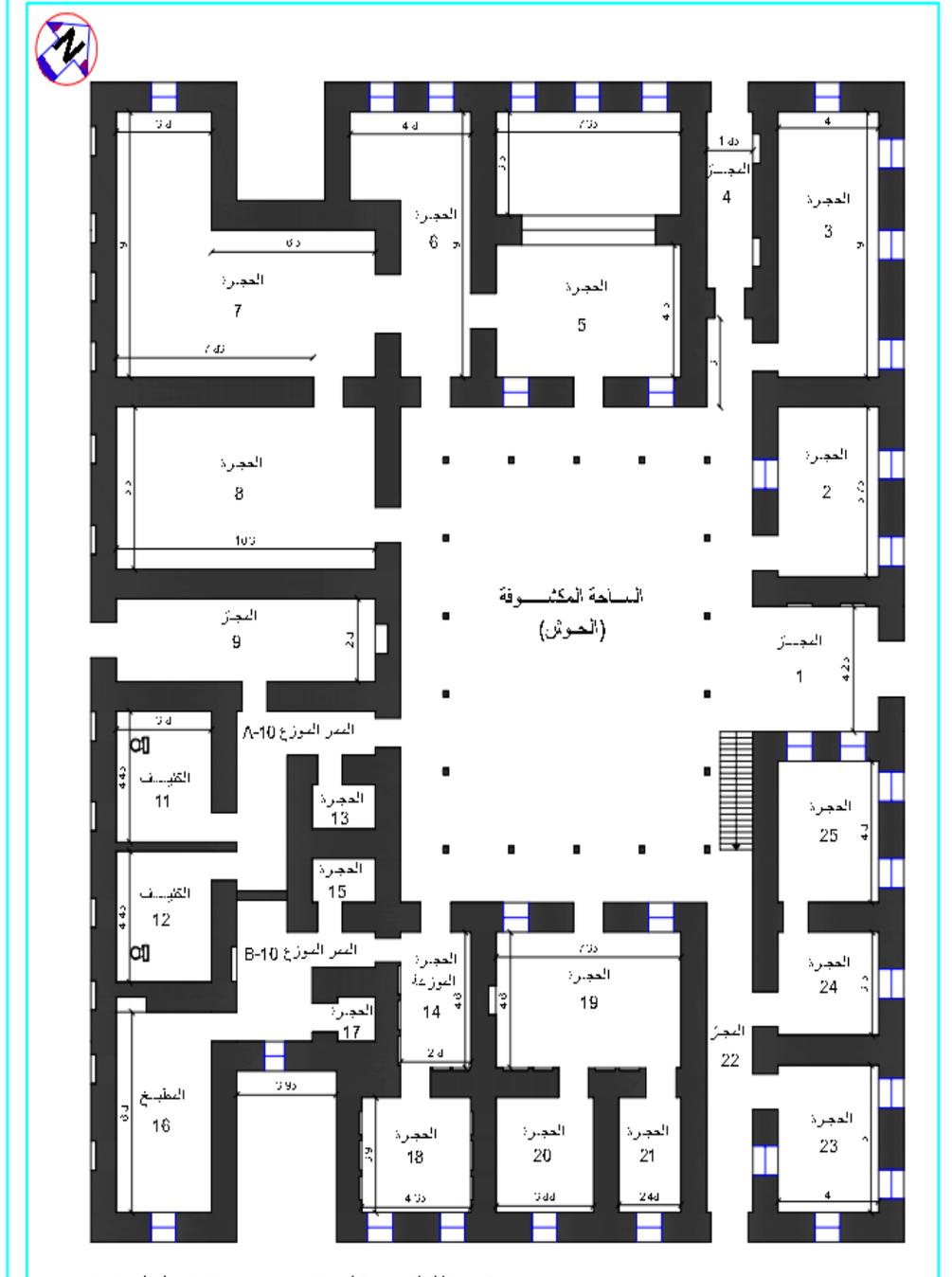
٢٩- الحسيني ، عبد الرزاق ، العراق قديماً وحديثاً، الطبعة الأولى، مطبعة الرافدين - بيروت - لبنان، سنة ٢٠١٣م .

٣٠- الحسيني، محمد صادق، عمران بغداد، مطبعة دار السلام - بغداد ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م .

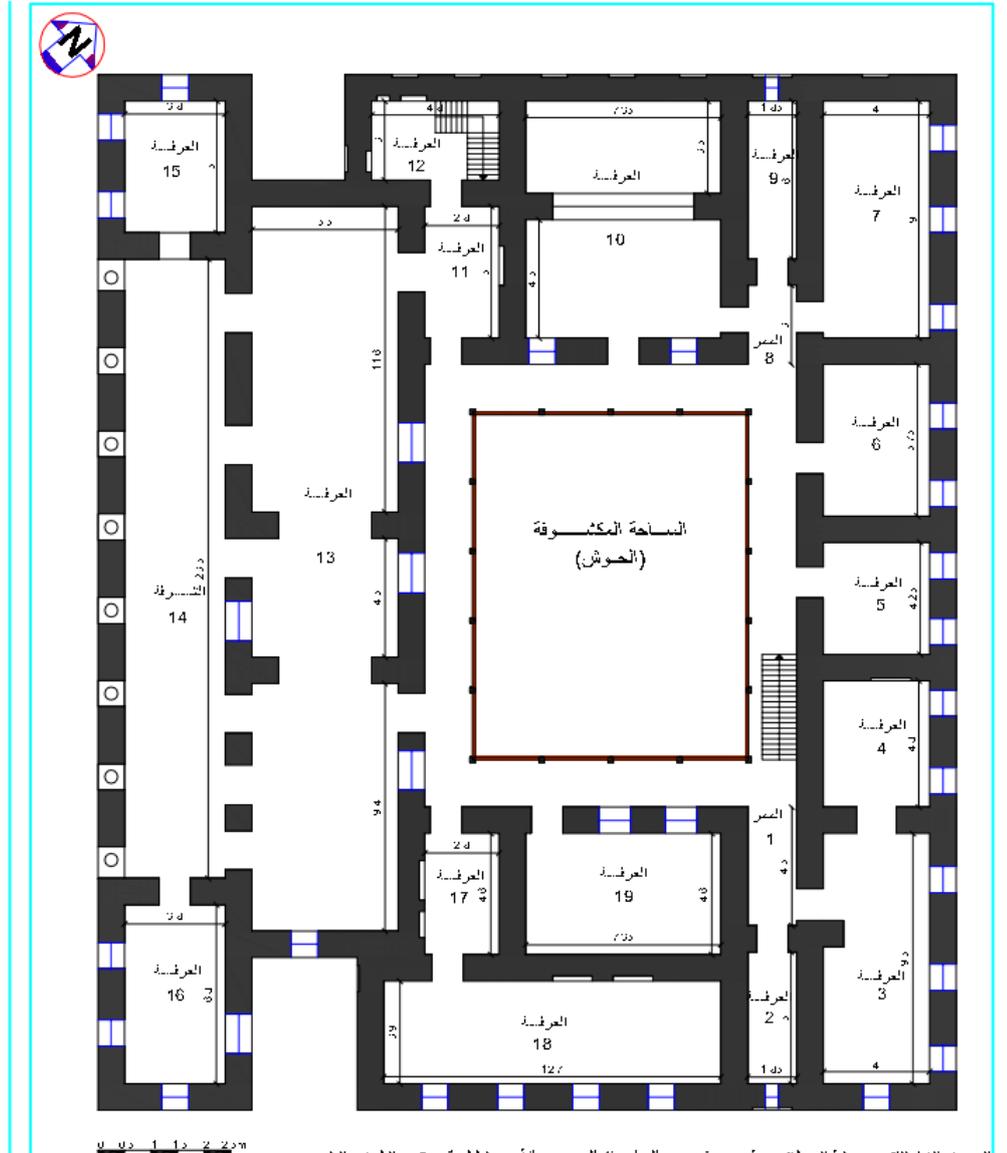
٣١- الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبدالله (المتوفي سنة ٦٢٢هـ)، معجم البلدان ، دار صادر - لبنان - بيروت سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، مج ٤) .

٣٢- الخطيب الموصلي ، الشيخ ياسين خيرالله العمري ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، مطبعة دار البصري - بغداد ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

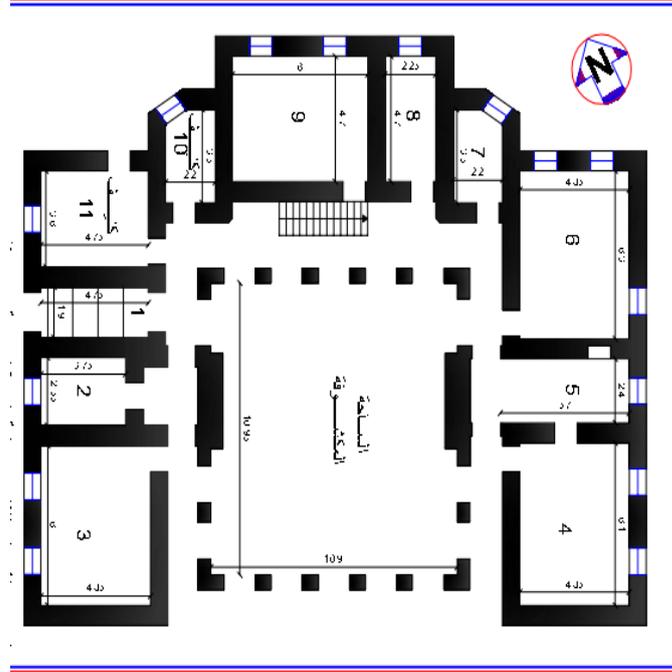
- ٣٣- الرازي، محمد ابي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، طبع بالمطبعة اليمينية بمصر، سنة ١٣٢٠ هـ .
- ٣٤- الألوسي و الأثري ، تاريخ مساجد بغداد واثارها، مطبعة دار السلام - بغداد ، ١٣٤٦ هـ .
- ٣٥- هوار ، كليمان ، خطط بغداد ، ترجمة و تعليق : ناجي معروف ، الطبعة الأولى - مطبعة العاني - بغداد ، سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .



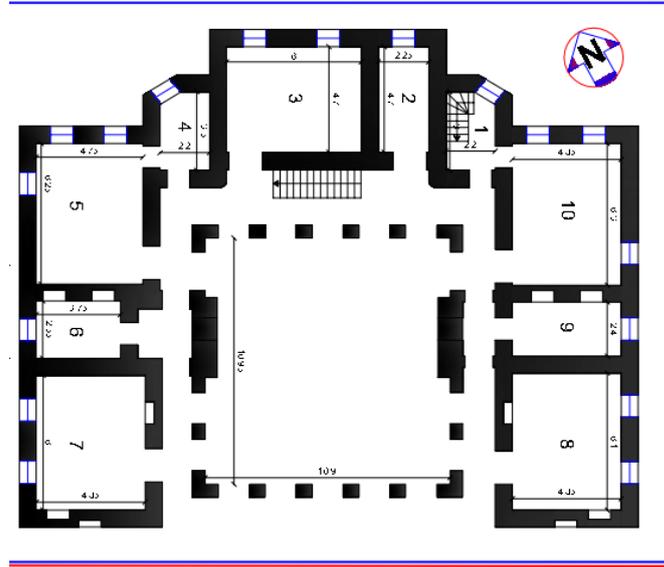
البيت الأول للمقيمة البريطانية (مخطط رقم ١) الطابق الأرضي .



البيت الاول للمقيمة البريطانية (مخطط رقم ٢) الطابق العلوي .



البيت الثاني للمقيمة البريطانية (مخطط رقم ٣) الطابق الأرضي .



البيت الثاني للمقيمة البريطانية (مخطط رقم ٤) الطابق العلوي .



لوح (١)

المدخل الرئيس للواجهة الأولى الشمالية الشرقية (البيت الأول للقنصلية البريطانية).



لوح (٢)

نوافذ الواجهة الرئيسة الأولى الشمالية الشرقية (البيت الأول للقنصلية البريطانية).



لوح (٣)

. الواجهة الثانية الشمالية الغربية (البيت الأول للقنصلية البريطانية) .



لوح (٤)

. الحنايا الصمّاء في الواجهة الثالثة المطلة على النهر (البيت الأول للقنصلية البريطانية) .



لوح (٥)

. صف العقود المشرفة على النهر من الواجهة الثالثة (البيت الأول للقنصلية البريطانية) .



لوح (٦)

. الحنايا الصمّاء إلى يمين الداخل للمجاز (١) (البيت الأول للقنصلية البريطانية) .



لوح (٧)

الساحة المكشوفة ومداخل الحجرات والغرف والدكاك المظلة إليها (البيت الأول للقنصلية).



لوح (٨)

الواجهة الأمامية الشمالية الشرقية (البيت الثاني للقنصلية البريطانية).



لوح (٩)

الواجهة الثانية الشمالية الغربية (البيت الثاني للقنصلية البريطانية).



لوح (١٠)

الواجهة الجنوبية الغربية (البيت الثاني للقنصلية البريطانية).



لوح

(١١)

الواجهة الجنوبية الشرقية (البيت الثاني للقنصلية البريطانية).



لوح

(١٢)

عقود الرواق الشمالي الشرقي المطل على الساحة المكشوفة (البيت الثاني للقنصلية البريطانية).

النشاط الأثاري للبعثات الأمريكية في العراق ١٩٤٨-١٩٧٤
”دراسة تاريخية“

م.د. فاتن سعد عوده

الجامعة العراقية / كلية الآداب

American Excavations' Archaeological Activity in
Iraq between the Year 1948-1974

A Historical study

Instr. Dr.Fatin Saad Aoda

fatin.s.aoda@aliraqia.edu.iq

fatin.munther@gmail.com

النشاط الآثاري للبعثات الأمريكية في العراق ١٩٤٨-١٩٧٤ "دراسة تاريخية"

م.د. فائق سعد عوده

المخلص

انتشرت فكرة علم الآثار في العراق مع أولى الإشارات الواردة في الكتب المقدسة، والمدونات الكلاسيكية التي أشارت إلى حضارات وشعوب العراق القديم وآثاره، فزار المواقع الأثرية المنتشرة في العراق العديد من الرحالة العرب والأجانب الذين ساهم بعضهم في نقلها إلى أوروبا لتزيد الرغبة الغربية في زيارة هذا البلد والاطلاع على مواقعه الأثرية، فنظمت العديد من الجمعيات والمؤسسات الأجنبية وإدارات المتاحف الأوروبية بعثات اتجهت نحو العراق للبحث عن كنوز الأثرية ونقلها إلى مخازن تلك المتاحف على يد شخصيات أجنبية حفرت ونبشت واستظهرت الكنوز الأثرية التي احتضنتها لآلاف السنين أرض بلاد الرافدين في ظل غياب السلطة القانونية والسياسية الرادعة لهذه الأعمال في تلك المدة. قبل إن تبدأ مرحلة القرن العشرين، إذ بدأت بعثات أجنبية بإقامة حفريات منظمة وشاملة مقارنةً مع سابقتها.

الكلمات المفتاحية: التنقيبات الآثرية، البعثات الأمريكية، قانون الآثار العراقي.

Abstract:-

The archeology's idea spread in Iraq at the same time during which the holy books and classic blogs referred to ancient Iraq civilizations and peoples and its antiquities. Many Arab and foreign travelers visited the archaeological sites that are scattered in Iraq, and some of them had contributed in transferring their remarkable opinions about these sites to Europe, in order to increase the western desire to visit this country and see its archaeological sites. Many foreign associations, institutions and departments of European museums organized missions that headed to Iraq to search for its archaeological treasures and transfer them to the stores of those museums by foreign personalities who dug and excavated and found the archaeological treasures that were kept for thousands of years into the land of Mesopotamia during the absence of the legal and political authority to deter these actions during that period. and before the beginning of the twentieth century, the foreign missions began to conduct organized and

comprehensive excavations compared to their matched and previous missions.

Keywords: Excavations' Archaeological , American Missions , Antiquities Iraqi Law,

مثل اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، العامل الأبرز في توقف نشاط بعثات التنقيب والاستكشاف للمواقع الأثرية، ولاسيما في شمال العراق، لذلك فسح المجال لمديرية الآثار العراقية ان تضاعف دورها في إرسال بعثات استكشافية عراقية للبحث عن المنحوتات الاشورية في المنطقة الجبلية، وعلى الرغم من ضعف الامكانيات لمؤسسة الآثار العراقية فقد اثبتت وجودها وكفاءتها ولاسيما في مدة الحرب، وما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى بدأت المعاهد والمؤسسات الآثارية الأمريكية تقدم طلباتها إلى الحكومة العراقية لتساهم بنصيب في حقل التنقيب والخدمات الأثرية وفق شروط واحكام قانون الآثار رقم ٥٩ لسنة ١٩٣٦^(١).

وبهذا الصدد، جاء بحثنا تحت عنوان " **التنقيبات الآثارية الأمريكية في العراق ١٩٤٨-١٩٧٤**، إذ مثل التأريخ الأول عودة نشاط البعثات الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، في حين مثل التأريخ الثاني صدور قانون الآثار العراقي المعدل بالقانون رقم (١٢٠) لعام ١٩٧٤ ليتلاءم مع ظروف البلاد في تلك المدة. وقد اتبع البحث المنهج التاريخي- التحليلي في عرض نشاط البعثات العلمية وما كان له الأثر في توثيق العلاقات الثقافية بين البلدين.

هدف البحث: ركنٌ هدف البحث إلى التركيز على الدور المهم لعلماء الآثار والأساتيد المختصين الأمريكيين في كشف حقبة زمنية مهمة من تاريخ العراق القديم ، بهدف الوقوف على الدوافع والعوامل التي اسهمت في وصول تلك البعثات للعراق ، وعلى هذا الأساس جاء هذا البحث ليُميط اللثام عن تلك البعثات في ضوء الإجابة على التساؤلات الآتية: ما الدور الذي قدمه علماء الآثار المختصين في كشف حقبة زمنية مهمة من تاريخ العراق القديم ؟ ما الفائدة التي جناها العراق من التنقيبات الآثارية الأمريكية ؟ وهل كان لها دور في وضع الأسس الرئيسية لمدراس الآثار العراقية ؟ ما أثر قانون الآثار العراقية لعام ١٩٧٤ على عمل البعثات الآثارية في العراق؟ وهل الآثار المستخرجة تم حمايتها عن طريق القانون ؟ في ضوء ذلك ، قسم البحث إلى **محورين** ، خصص الأول على نشاطات بعثات التنقيب الأمريكية في العراق ١٩٤٨-١٩٥٨، في حين تناول المحور الثاني النشاط الآثاري للبعثات الأمريكية في المدة الواقعة بين عامي ١٩٥٨-١٩٧٤.

أولاً: نشاطات بعثات التنقيب الأمريكية في العراق ١٩٤٨-١٩٥٨

أ-التنقيبات في قلعة جرمو ١٩٤٨-١٩٥٥

تقع قلعة جرمو Jarmo بالقرب من جمجمال على بعد (٣٥) كم شرق كركوك على الوادي المسمى جم كورا هو أحد روافد العظيم (الشكل رقم ١)، ترتفع القرية على سطح الأرض بنحو (٢٥٠٠) قدم ، اكتشفته مديرية الآثار العامة في الأربعينيات من القرن العشرين^(٢)، إذ شرعت بعثة جامعة شيكاغو التنقيب فيه للمدة الواقعة بين عامي ١٩٤٨-١٩٥٥، وقد أوضحت التنقيبات عن اكتشاف ست عشرة طبقة أثرية تعود إلى العصر الحجري الحديث، تم تحديد تاريخ الموقع بطريقة فحص (الكاربون - ١٤)^(٣)، وقد كشفت التنقيبات في قرية جرمو آثار مهمة عن العصر الحجري الحديث في شمال العراق بوجه خاص ومنطقة الشرق الأدنى بوجه عام ، فقد دلت التنقيبات على أن أولى القرى الفلاحية في اختيار نوع الحبوب البرية الصالحة للتدجين، فضلاً عن ظهور فخار العصر الحجري الحديث في جرمو^(٤).

صادقت لجنة التنقيبات في المدير العام للآثار على الطلب المقدم من المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو، للتنقيب في موقع قلعة جرمو وقره يتاغ في آب من العام ١٩٤٧، بعد دراسة ومناقشة الطلب من النواحي القانونية والعلمية والآثرية على وفق احكام قانون الآثار لعام ١٩٣٦^(٥).

تألفت بعثة التنقيب من الدكتور روبرت جون برايدوود^(٦) (Robert John Braidwood) ، الذي تولى الإشراف العام على سائر الأعمال والتنقيبات ورسم الخرائط والمخططات مع توجيه أعمال الحفر، كما تولت مهمة اختيار اللقى وحفظها في سجل البعثة ، الدكتور روبرت ماكورميك آدمز^(٧) (Robert McCormick Adams) ، تولى مراقبة أعمال الحفر وإدارة النقلات فضلاً عن غسل الصور والافلام وطبعها مع ترقيم الآثار^(٨).

استمرت التنقيبات لمدة شهر واحد، أدت إلى الكشف عن مستوطن سكن الانسان في الأدوار الأولى من تعلمة الزراعة قبل أن يصنع الفخار^(٩)، اما أهم المقتنيات التي تم اكتشافها في القلعة هي من الحجر والصوان وبينها دمي صغيرة من الطين المشوي، التي تعد أقدم صور مكتشفة في العراق^(١٠)، كما عُثر على (١٢٦) قطعة أثرية^(١١). الشكل رقم (٢) يوضح المخطط التقريبي للطبقات التي جرت فيها التنقيبات في جرمو.

استأنفت البعثة أعمالها في جرمو في شهر شباط من العام ١٩٥١ ، وجرى العمل دون انقطاع لغاية الثامن عشر من آذار تم تسجيل (٣٠١) قطعة أثرية في سجلات البعثة وسجلات المتحف العراقي، وكانت اهم اللقى الأثرية تماثيل لحيوانات من الطين ، وأواني رخامية ، خرز، لوحة من الحجر (١٢).
توقفت البعثة عن التنقيب في جرمو في الخامس والعشرين من أيار من العام ١٩٥٥ ، وحددت تاريخ الثامن والعشرين من أيار موعداً لإجراء التقييم مع المديرية العامة للآثار، مع الإشارة إلى أن المديرية العامة للآثار طلبت من البروفسور برايدوود تزويد المديرية بنتائج دراسات المواقع الأثرية التي مر بها وزارها في أنحاء الموصل وأربيل منذ قدومه إلى العراق (١٣).

ب- تنقيبات كهف شاندر

انتقل النشاط الأمريكي إلى مناطق شمال العراق، ولاسيما المواقع التي تعود ازمنتها إلى عصور ما قبل التاريخ، إذ شهدت المواقع نشاطاً أمريكياً واضحاً، بتواجد عدد من الجامعات الأمريكية مثل جامعة شيكاغو، هارفرد، كولومبيا، بنسلفانيا ، إذ انحصر نشاط تلك الجامعات في شمال العراق وبالتحديد في المناطق الواقعة بين نهر دجلة والمرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية وكانت أبرزها بعثة التنقيب في كهف هزار مرد^(١٤) Hazar Merd ، وكهف زرزي^(١٥) Zarzi من قبل جامعة كامبرج برئاسة الدكتورة دورثي كارود Dorothy A. Garrod ، التي اكتشفت العديد من الأدوات الحجرية تعود الى العصر الحجري وبقايا عظام الحيوانات^(١٦)، وفي وقت لاحق قام معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو بالتنقيب في تلك الموقع ، إذ عُثر على مصوغات بشرية من حضارة المستيرية^(١٧) (Mousterian) التي تعود الى (٣٢,٠٠٠) سنة، فضلاً عن التنقيبات التي جرت في كهف شاندر الذي يقع على جانب جبل برادوست ضمن جبال زاكروس في قضاء ميركه سور (يقع على بعد ١٤٥ كم شمال شرق محافظة أربيل)^(١٨). كما مبين في الشكل رقم (٣) موقع كهف شاندر.

قدمت جامعة كولومبيا ومعهد سميثسونيان Smithsonian Institution في واشنطن طلب إجازة للتنقيب في العراق وقد أذنت الحكومة العراقية للبعثة التي ترأسها اختصاصي آثار العصور الحجرية البروفسور رالف سولكي^(١٩) Ralph S. Solecki. في العام ١٩٥١ للتنقيب في كهف شاندر ، بدأت التنقيبات في التاسع من تشرين الثاني من العام ١٩٥١، وقد ظهرت في التنقيبات كسر من الفخار وحجر الصوان إلا أن الكمية الأكثر التي وجدت كانت لعظام الإنسان والحيوان، كما تم استخراج موقد للنار تألف من حجرين كبيرين ، وقد تم استخدام الديناميت لتفجير الأحجار الكبيرة^(٢٠).

استأنفت البعثة اعمالها للموسم الثاني في العشرين من آيار من العام ١٩٥٣ ، إذ بدأت البعثة التنقيب في الكهف وبلغ عدد العمال سبعة عشر عاملاً ، كانت الأشياء التي تم العثور عليها لا تتعدى الكسر من الآت حجرية وفخارية وعظمية منها جمجمة حيوان أما الأدوار التاريخية المكتشفة في الكهف فقد وجد الأدوار التاريخية القديمة جميعها فيه، فعلى عمق ما يقارب المتر والنصف وجدت البعثة فخاريات يعود تاريخها إلى عصر الوركاء حوالي ٣٥٠٠ ق.م، وكلما تقدمت البقعة في التنقيب وجدت آثار يرجع تاريخها إلى عصر حسونة حوالي ٦٠٠٠ ق.م، بعدها ظهرت آثار العصر الحجري الحديث، كما تم اكتشاف آثار معدنية (سوار معدني) تعود إلى العصر الحجري المعدني وإن صناعته تضاهي صناعة السومريين^(٢١). الشكل رقم (٤) يوضح سير عمل مراحل التنقيب في كهف شاندر.

اما اهم النتائج العلمية التي أظهرها التنقيب في الكهف ، هي اكتشاف هيكل عظمي لطفل صغير لا يتجاوز عمره السنين وجد على عمق ستة وعشرين قدماً وبجانبه بعض الآلات الحجرية ، إذ دلت الدراسات الأولية أن عمرها يرتقي إلى ما قبل السبعين ألف سنة ، إن أهم ما وجد في هذا الهيكل هي الأسنان الكاملة التي تساعد على دراسته ومعرفة شكل الجمجمة التي احتوتها وغير ذلك من الاستنتاجات، كما تم العثور على آثار مختلفة تعود إلى أدوار متباينة^(٢٢).

قدم رئيس بعثة كهف شاندر البروفسور رالف سولكي طلباً في التاسع عشر من كانون الثاني من العام ١٩٥٤ ، للسماح له بتصدير بعض النماذج المكتشفة إلى بعض المؤسسات في الولايات المتحدة الأمريكية وأوريا لدراستها دراسة أركيولوجية وأثنولوجية وفحصها وتحليلها في المختبرات العلمية بواسطة طريقة (كاربون ١٤)، كذلك أرسل معهد سميثسونيان للدراسات الأركيولوجية في التاسع والعشرين من كانون الثاني من العام نفسه طلب إعارتها مجموعات من أدوات حجر الصوان ، لغرض الدراسة والتصنيف مع التأكيد إلى أن تلك الصوانيات ستعاد إلى المتحف العراقي بعد عام من الإعارة بحسب الكتاب المرسل إلى مديرية الآثار، وبموجب نظام التبادل الثقافي بين البلدين، وبعد دراسة الطلبين المقدمين من مديرية الآثار وجد أنه محقق للفائدة العلمية ، نظراً لما يترتب على هذه الدراسة من نتائج ستكون بلا أدنى شك ذات فوائد عملية ودراسية ؛ إذ ستكشف لنا عن الكثير من الجوانب المهمة التي تتعلق بحياة إنسان ما قبل التاريخ^(٢٣)، فقد كان لاكتشافات رالف سولكي ذو تأثير عميق في فهم طبيعة وسلوك الإنسان البدائي ، فلم يكتفي سولكي وفريقه بالكشف عن وجود إنسان النياندرتال من رجال ونساء

واطفال في كهف شاندر ، بل إن مناقشاتة اللاحقة بشأن كيفية عيشهم وموتهم أدت إلى تغير كبير في المفاهيم الخاصة بإنسان نياندرتال بشكل عام (٢٤).

ت-مجري الأنهار القديمة في وسط العراق ١٩٥٦

أوفد المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو ومؤسسة المدارس الأمريكية للبحوث الشرقية مجموعة من الباحثين في العاشر من تشرين الأول في العام ١٩٥٦ لاكتشاف مجري الأنهار والأقنية القديمة وسط العراق في المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات وبين خطي العرض المارة بين بلد شمالاً والديوانية جنوباً ، وقد سعت اللجنة إلى تحديد أزمنة المجري والجداول في دراسة المواد المبعثرة على سطوح التلال الأثرية الواقعة على هذه المجري(٢٥). وتوضح الخارطة رقم (١) أنماط الاستيطان في العصور السلوقية ، البارثية التي تم مسحها بشكل مكثف (٢٦).

وعلى ما يبدو أن الهدف من تلك المسوحات هو استكمال الدراسات الخاصة بمجري الانهار والجداول التي كانت تروي القرى والبساتين في العصور القديمة التي أصبحت في العصور المتأخرة شبه صحراوية، كما تُبين الخارطة رقم (٢) أنماط الاستيطان في عصر السلالات المبكرة (٢٧).

تكمن أهمية هذه الدراسة في تحديد الأسباب التي تؤدي إلى زوال معالم هذه المجري وصعوبة الوصول إليها ، منها مشاريع العمران في العراق . ففي التقرير الذي رفعتة البعثة أشارت بانها أنجزت جزءاً كبيراً من المهمات التي وقعت على عاتقها في تتبع الأقنية القديمة وفي دراسة المواقع الأثرية في مدينة بابل(٢٨).

في السياق نفسه، قدم عدد من الباحثين طلباً إلى مديرية الآثار العامة في الرابع والعشرين من حزيران من العام ١٩٥٨ بخصوص استكمال إجراء التحري والاستكشاف عن مجري أنهار قديمة في منطقة نقر والتي كان قد اقتفى معالمها في السنوات السابقة في منطقة الوركاء التي أدت إلى اكتشافات علمية مهمة من نوعها (٢٩).

ثانياً: النشاط الآثاري للبعثات الأمريكية ١٩٥٨-١٩٧٤

عقب تغير النظام السياسي في العراق عام ١٩٥٨، بعثت الخارجية الأمريكية إلى الخارجية العراقية رسالة في الثاني من آب جاء فيها: ((بناء على التعليمات الواردة من الإدارة الأمريكية، لنا الشرف أن أعلمكم بأن الإدارة الأمريكية قد أحيطت علماً بالتعليمات التي أصدرتها الجمهورية العراقية بالتزاماتها

الدولية ، وأن العلاقات بين العراق والولايات المتحدة كانت منذ امد بعيد علاقات ود وصدافة وإنه يأمل بأنها ستبقى كذلك دائماً^(٣٠).

في ضوء ذلك، بقي النشاط الآثاري بعد ظل النظام الجمهوري في العراق متواصلاً في الكشف والتنقيب عن الآثار العراقية ، وقد اتاحت الفرصة لبعثات التنقيب في البحث عن الماضي وإزالة الستار عن تاريخ العراق القديم وحضارته ، فقد أبدى الأمريكيون عناية جادة في الاستمرار في التنقيب ، وأكدوا رغبتهم بالتعاون مع الحكومة العراقية الجديدة ، ففي برقية مشتركة من مؤسسة المدارس الأمريكية للبحوث الشرقية والمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو طلب فيها استئناف العمل في مدينة نقر ، وهدف اتخاذ إجراءات أكثر حصانة في المحافظة على الآثار ، وفي جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في التاسع عشر من كانون الأول من العام ١٩٥٨ وافق المجلس على نظام جديد للآثار العامة المرقم (٤٠) لسنة ١٩٥٨ ، وقد تألف النظام من ثلاث عشرة مادة ، وأهم ما جاء في المادة الثالثة منه هي مراقبة التنقيبات الأثرية التي تجريها البعثات الأجنبية^(٣١).

ثمة مؤشر آخر على الاهتمام الأمريكي بالآثار العراقية، زيارة أكبر عدد من علماء الآثار المعروفين من بعض الجامعات الأمريكية في عام ١٩٥٨، من أجل الاطلاع على المواقع والقيام بدراسات لبعض المكتشفات الأثرية العراقية والاستفادة منها، ومن بين أولئك العلماء وجب الوقوف تحديداً عند كتاب سفارة العراق في واشنطن المرقم ق/٣/٣/١٥٣٥ والمؤرخ في الثامن عشر من تشرين الثاني من العام ١٩٥٩ في طلبها إلى مديرية الآثار العامة بالموافقة لتسهيل إجراءات قدوم الدكتور البرت داهليبرغ Albert A. Dahlberg إلى العراق والمكوث لأيام عدة لغرض إجراء دراسة في المتحف العراقي في بغداد قبل الالتحاق ببعثة المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو^(٣٢).

وفي السياق نفسه ، أرسل معاون مدير متحف المتروبوليتان في نيويورك طلب إلى مديرية الآثار العامة يرجو فيه الموافقة وتسهيل إجراءات القدوم إلى العراق مع زوجته في شهر أيلول من العام ١٩٦٢ للإطلاع على أعمال المتحف العراقي ومواطن الآثار في المناطق الأثرية^(٣٣).

وبعد قيام انقلاب الثامن من شباط في العام ١٩٦٣ استقبل وكيل وزير الخارجية العراقي في الحادي عشر من شباط القائم بإعمال سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد وعرض له الخطوط العامة لسياسة الدولة الخارجية ، وفي مساء اليوم نفسه أعلنت واشنطن اعتراف الإدارة الأمريكية بحكومة العراق الجديدة ، تناول الطرفان سبل تعزيز العلاقات بين البلدين ، في حين وصل وفد سياحي أمريكي إلى

العراق في السادس والعشرين من آذار لزيارة معالمة الحضارية والآثرية ، وقدر تعلق الأمر بالتمثيل الدبلوماسي ، في نهاية حزيران من العام نفسه بدأت مرحلة جديدة من العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية، إذ وصل بغداد (روبرت كامبل سترونك ١٩١٥-١٩٩٩) Robert Campbell Strong السفير الجديد للإدارة الأمريكية المعين لدى الجمهورية العراقية لاستلام مهامه ، وأعرب في كلمته عن علاقات الود والصداقة التي تربط الحكومتين (٣٤).

ومن المهم الإشارة إلى دور السفير الأمريكي في تعزيز التعاون الثقافي بين البلدين، إذ نشط في الخمسة شهور من تموز لغاية تشرين الثاني نشاطاً ملحوظاً ، مما يؤكد عزم الإدارة الأمريكية البحث الجدي عن موطئ قدم لها في العراق طبقاً لمصالحها وأهدافها في العراق ، وتنفيذاً للاتفاقية الثقافية وتنفيذاً لرغبة الولايات المتحدة لتقديم يد العون في المجال الثقافي والعلمي والاجتماعي ، فقد قرر مجلس الوزراء استقدام (٢٧) خبيراً ، بالمقابل أوفد العراق (١٤٤) عراقياً في اختصاصات مختلفة لأغراض التطوير والتدريب واكتساب المهارات، فضلاً عن موافقة مجلس الوزراء على لائحة قانون تصديق الاتفاقية الثقافية بين البلدين في بغداد في الثالث والعشرين من كانون الثاني من العام ١٩٦١ التي تأخر تصديقها بسبب توتر الأوضاع قبل ثورة الثامن من شباط ، وقد صدقت بموجب القانون رقم (٧٦) لسنة ١٩٦٣ (٣٥).

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن بعثات التنقيب للجامعات الأمريكية المهمة في آثار العراق استمرت في تمويل مشاريعها في المواقع الأثرية مقارنة بالبعثات الأجنبية الأخرى المنقبة في العراق، ومن المواقع المهمة التي استمرت البعثات الأمريكية بالتنقيب فيها هي :

أ-التنقيبات في كهف شاندر للموسم الرابع (١٩٦٠)

حصلت البعثة على موافقة وزارة المعارف ودائرة الحاكم العسكري العام والسلطات الآثرية المتخصصة بالقدوم إلى العراق للتنقيب للموسم الرابع في كهف شاندر وموقع زاوي جما (٣٦)، القريب من الكهف، تألفت البعثة من الدكتور رالف وزوجته روز سولكي ، وعضوية السيد بورداز المختص بالآلات الحجرية والدكتور ديل ستيورات اختصاصي دراسة العظام البشرية ، وقد كُلف السيد إبراهيم لفته الزهيري مراقب للبعثة من دائرة الآثار على وفق احكام قانون الآثار والتعليمات الخاصة بتنقيبات البعثات الأجنبية، والمهم في هذا الموسم هو اكتشاف الهيكل الرابع من إنسان نياندرتال مع بعض الزهور التي كانت توضع على الأموات في مراسيم الدفن (٣٧).

بعد انتهاء عمل البعثة في موقع كهف شاندر للموسم الرابع في العام ١٩٦٠ غادر رالف سولكي مع زوجته الدكتورة روز سولكي إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبموجب قانون الآثار القديم المرقم ٥٩ لسنة ١٩٣٦ ، كانت حصة البعثة الأثرية الأمريكية خمسة صناديق ، مع نماذج من التربة لكهف شاندر وزاوي **جمبي** لغرض تحديد الطقس وأنواع النباتات التي كانت سائدة قديماً ، عظام حيوانات (ماعز بري) وقطع من عظام لإنسان رقم (٣) **المكتشف في ٢** ، وقد أُعيرت لغرض الدراسة ثم أُعيدت إلى المتحف العراقي^(٣٨).

أرسل **البروفسور تي .دي ستيفارت** مدير قسم الانثروبولوجي التابع للمتحف الوطني في واشنطن (معهد سميثسونيان) رسالة إلى مدير الآثار طه باقر^(٣٩) في العشرين من شباط من العام ١٩٦٢ بقدومة إلى العراق والبقاء لمدة ثلاثة اشهر لغرض استكمال دراساته العلمية عن الهياكل العظمية لإنسان النياندرتال التي أجراها مع الدكتور سولكي في كهف شاندر وبصحبة السيد جيمس تايلر James Taylor ، والسيد جان مونيزاكا Juan Munizaga. ولكون مجئ هؤلاء المتخصصون مفيد جدا للبحث العلمي الخاص بإنسان كهف شاندر ، فقد أبرق مدير الآثار طه باقر إلى مكتب وزير المعارف لتسهيل قدوم المتخصصون^(٤٠).

وفي شهر شباط من العام ١٩٦٣ أرسلت القنصلية العراقية في نيويورك إلى مدير الآثار العامة طلب مقدم من رئيس كلية البيون الأمريكية Albion College البروفسور جون ال. شيبك Pro.John L.Cheek يرغب بزيارة العراق للبحث في سبل تطوير العمل الأثري^(٤١).

في السياق نفسه ، قدمت مديرية الآثار طلب الدكتور ستيفن سيمونس Stephen D. Simmons أستاذ في جامعة تكساس إلى مديرية الامن العامة لتمديد إقامته في العراق في السابع من آيار من العام ١٩٦٣ لمواصلة إكمال دراساته على ألواح الطين المكتوبة بالمسمارية في المتحف العراقي لمدة ثلاثة أسابيع^(٤٢).

ب-التنقيبات في تل ابو الصلابيخ عام ١٩٦٣

باشرت البعثة المشتركة للمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بأعمال التنقيب في تل ابو الصلابيخ Tell Abu Salabikh^(٤٣). بإشراف الدكتور دونالد هانسن Donald Hansen لمدة شهر واحد فقط حسب الاتفاقية المبرمة بين رئيس البعثة ومديرية الآثار العامة ، تألفت البعثة من البروفسور فون كروفورد Vaughn Crawford ، السيد **ماككرون** جينسون McGuirn Ginson ، ديان إي. تايلور Diane

E. Taylor ، والسيد جيمس إي. نوتستاد ، وممثل عن مديرية الآثار السيد عواد عبد الكريم الكسار ،باشرت البعثة التنقيب في المدة الواقعة بين السادس من شباط لغاية السادس من آيار من العام ١٩٦٣ ، وقد اختارت البعثة نقطتين مختلفتين الاولى في التل الشرقي من اعلى نقطة فيه والثانية في التل الغربي الذي يكثر على سطحه مئات من كسرات الفخار تعود لعصر الوركاء ، استخدام ما يقارب ثلاثين عاملاً محلياً وست عمال فنين من الشرايط (٤٤).

أثمرت تنقيبات تل ابو الصلابيخ في العثور على قطع من الرقم الطينية تعود لبقايا بناية يعتقد أنها لمعبد أو بناية عامة، إذ كشف التنقيبات عن بقايا المدينة القديمة التي يرجع تاريخها إلى الدور الثالث لعصر فجر السلالات ، كما حدد وجود ثمانى طبقات سكنية للمدة الواقعة بين ٣٠٠٠ و ٢٣٥٠ ق.م. كما أسفرت التنقيبات العثور على لقى أثرية متنوعة بضمنها أنواع من الفخاريات والأواني النحاسية والحجرية وغيرها من اللقى ، وتم تسجيل مايقارب المائة ، فضلاً عن عدد من القبور الغنية بالآثار والتي عثر فيها على أوانٍ من النحاس والفخار وقلائد الخرز، وكان مجموع اللقى المكتشفة في اثنا حفريات الموسم الأول ١٩٦٣-١٩٦٥ بحدود ألفي قطعة من الآثار المتنوعة. وتم تسجيل مجموعة من رقم الطين تقدر بـ حوالي أربعة وتسعين رقماً طينياً دونت في نصوص سومرية ترجع إلى فجر السلالات ذات محتوى أدبي ، فضلاً عن ذلك ، فإن مديرية الآثار بعثت بنموذج من مواد عضوية (عظام ومواد فحمية) من تل ابو الصلابيخ إلى متحف جامعة بنسلفانيا لتحليلها بطريقة الكاربون ١٤ بغية الوصول إلى تحديد زمنها(٤٥). الشكل رقم (٣) خارطة كنتورية لموقع تل ابو الصلابيخ (٤٦).

ت-تنقيب البعثة المشتركة الأمريكية- البريطانية في تل الرماح عام ١٩٦٤

باشرت البعثة البريطانية المشتركة الموفدة من المؤسسة البريطانية للبحوث الأثرية في العراق ومتحف جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا أعمال التنقيب في تل الرماح الواقع جنوب مدينة تلغفر في الموصل في الأول من آذار في العام ١٩٦٤ (٤٧). كما مبين في الشكل رقم (٥) تألفت لجنة التنقيب من ديفيد اوتس Divid Oates مديراً للبعثة . السيد تي . أج. كارتر T.H. Carrter مساعداً لمدير البعثة ومسجل للآثار. الأنسة بابرا باركر Barbara Parker قارئة اللغات المسمارية. نيكولاس كندرسلني Nicholas Kindersley مصور. جوليان ريد Julian Reade أشرف على أعمال التنقيب في المنطقة . ديفيد كرونوفر David Crownover من متحف جامعة بنسلفانيا للاشراف عن عمل التنقيبات ، وممثل عن دائرة الآثار طارق داود النعيمي(٤٨).

كشفت التنقيبات الأولية عن معبد ذي جدران زينت من الخارج بعشرة أعمدة نصف دائرية، وجدران بناية تحتوي على تسع غرف ، تتألف من دور سكني يعود إلى العصر الآشوري . عثر في المنطقة على بعض اللقى الأثرية كالفخار والمخلفات المعدنية ومجموعة من الرقم الطين تعود للعصر الآشوري ومن عصر نوزي ، وفي التنقيب في المنطقة الثانية تم العثور على ثلاث غرف وثلاث طبقات سكنية ، في المنطقة الثالثة تم العثور بناية تحتوي على بعض الغرف اشتغلت في خمسة أدوار سكنية^(٤٩). انتهى الموسم الأول من التنقيب في الثالث عشر من أيار من العام ١٩٦٤ ، الشكل رقم (٦) جانب من اللقى التي استخرجت من التل^(٥٠).

استأنفت البعثة عملها للموسم الثاني في المدة الواقعة بين السابع من آذار - الخامس عشر من أيار من العام ١٩٦٥ ، استظهر القسم الجنوبي من المعبد وذلك بحفر خنادق في نقاط عدة ، وعثر على زقورة صغيرة بجانب المعبد ، كان أبرز اللقى التي عثر عليها في هذا الموسم هو (١١٤) قطعة من رقم الطين ، تمثل وثائق ومستندات ورسائل يعود زمنها إلى أواسط العصر الآشوري ، فضلاً عن عدد من الخرز المسطحة ، وقد دلت التنقيبات على براعة العراقيين القدماء في بناء أقبية واسعة من الطابوق والطين^(٥١). الشكل رقم (٧) جانب من اللقى التي استخرجت في الموسم الثاني^(٥٢).

وعلى الصعيد نفسه ، أرسلت مؤسسة كلبنكينان في كتابها المرقم ١٩٦٥ والمؤرخ في التاسع والعشرين من آذار من العام ١٩٦٥ طلب إلى مدير الآثار العامة الدكتور فيصل الوائلي^(٥٣). تمديد عمل الاختصاصي في شؤون المتاحف والمنتدب من **هيئة** الأمم المتحدة الخبير ستانيزلاو جاسويك للعمل على تنظيم عرض الآثار في المتحف العراقي الجديد ولمدة عام واحد، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن تكاليف عمل الخبير يكون على حساب مؤسسة كلبنكينان^(٥٤). وفي الإطار نفسه، قدم أربعة وثلاثين خبيراً في الآثار من الأمم المتحدة مع زوجاتهم في السابع من تشرين الأول من العام ١٩٦٥ ، للاطلاع على آثار مدينة الحضر غرب الموصل، وقد أبرقت مديرية الآثار إلى هيئة الصيانة في الحضر لإجراء اللازم لقدم الخبراء والاهتمام بمرافتهم وتقديم الشروح كافة لتسهيل اطلاعهم على معالم المدينة الأثرية^(٥٥).

بدأت البعثة أعمالها للموسم الثالث والرابع في المدة الواقعة بين عامي ١٩٦٦-١٩٦٧ ، استمرت التنقيبات في المعبد وفي قمة التل ، أهم اللقى التي عثر عليها هو ختم اسطواني ، وفي الموسم الرابع تم العثور على مايقارب (٢٥٠) رقم طيني^(٥٦) ، وعد الموسم الخامس للبعثة في التاسع من آذار من العام ١٩٦٨ موسماً جديداً للعمل باكتشافهم أبنية جديدة ، ذات قباب معقودة، فضلاً عن اكتشاف فخار من

فخار الخابور، ومجاميع أثرية تعود إلى العصر الآشوري المتأخر، الشكل رقم (٨) جانب من الفخاريات المكتشفة في تل الرماح للموسم الخامس^(٥٧).

باشرت البعثة عملها في تل الرماح لموسم جديد في الثاني عشر من نيسان من العام ١٩٦٩، استخدمت البعثة ثلاثين عاملاً محلياً وثلاثة عمال شرقايطيون، كانت عملية الصيانة عبارة عن دفن لأجزاء من الغرف ذات الجدران المائلة، والمتشققة لغرض حمايتها من السقوط، شملت عملية الدفن مناطق الزقورة والمعبد، وقد شمل الدفن أغلبية غرف المعبد، أنهت البعثة أعمالها في الخامس من آيار من العام نفسه^(٥٨).

استأنفت البعثة أعمالها في العام ١٩٧٠، في إحدى القصور الآشورية، الذي يعود للملك شمش أدد الأول أحد ملوك العصر الآشوري القديم الذي بلغت المملكة الآشورية في عهده أوج العظمة والقوة، بدأت موسمها الجديد في العشرين من آذار من العام ١٩٧١، استخدمت البعثة تسعين عاملاً محلياً وثمانية من الشرقاطيين الفنيين، تركزت أعمال التنقيب في هذا الموسم في المنطقة المسماة C لغرض الكشف عن جوانب جديدة لم يشملها التنقيب في هذه المنطقة، وتمثل هذه المنطقة إحدى القصور العائدة للملك الآشوري شمش أدد الأول^(٥٩). أهم ماعثرت عليه البعثة في هذا القصر مجموعة من الرقم الطينية وأواني فخارية تعود للعصر البابلي القديم^(٦٠).

ث-التنقيب في تلول الهباء عام ١٩٦٨

رفعت مديرية الآثار العامة إلى وزارة الثقافة الإرشاد كتابها المرقم ١١٩١، والمؤرخ في الثاني والعشرين من شباط من العام ١٩٦٨ بشأن طلب متحف المتروبوليتان السماح لهيأة من مؤستها بالتنقيب في المدينة السومرية المعروفة اليوم بتل الهباء الواقعة في ناحية الديوانية قضاء الشطرة في محافظة ذي قار. كما موضح في الشكل رقم (٩)، التي تبعد مسافة خمسة عشر كم شرق مدينة الشطرة، وقد حصلت موافقة وزارة الثقافة والإرشاد على هذا الطلب بكتابها ذي العدد ٥٣٣٢٣ والمؤرخ في الخامس والعشرين من آذار من العام ١٩٦٨^(٦١).

باشرت البعثة الأمريكية التابعة إلى متحف المتروبوليتان للفن ومعهد الآثار في جامعة نيويورك أعمالها التنقيبية في تل الهباء في التاسع من تشرين الثاني من العام ١٩٦٨، تألفت لجنة التنقيب من الدكتور هانسن وهو المسؤول عن عملية مسح المكان الذي ينقب به، الدكتور روبرت دي. بيكز، البروفسور فون كرافورد مدير المشروع والمختص في التصوير، والطالبان فلورنس كاراسيك Florence

karasek وسوزان ميك Suzanne Meek، وكان ممثل مديرية الآثار لدى البعثة منقب الآثار إسماعيل حسين حجارة ، أما من ناحية العاملين في الموقع فقد تم استخدام أربعين عاملاً محلياً في أعمال التنقيب وتسعة عمال من الشرفاء (٦٢).

تمثل أهمية تلؤل الهباء في كونها المدينة التي شهدت تطوراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أدوارها المتعددة ، ويعتقد المختصون في عالم الآثار أن من الممكن أن تشكل الاكتشافات الأثرية في تلؤل الهباء تغييراً في الكثير من الدلائل التاريخية.

كشفت التنقيبات الأولية عن اكتشاف المعبد البيضوي (٦٣)، من عصر فجر السلالات الذي شيده أحد حكام سلالة لكش الملك انانام الأول Enannatum I (٢٤٥٠ ق.م.) ، وبعض اللقى الأثرية منها تمثال من النحاس والبرونز ، تعود الى الملك انانام ، كما تم العثور على تمثال من البرونز يعود الى الإله شولو تولا SuluTuala وهو اله انانام الخاص (٦٤). كما عثر على رقيم (داخل إناء فخار وجد داخل أحد القبور) يعود إلى عصر ايسن -لارسا Larsa بالتحديد إلى السنة الأولى من حكم الملك سن-ايدنام Sin- Idinam (١٨٤٩-١٨٤٣ ق.م.) وهو تاسع ملوك سلالة لارسا . الشكل رقم (١٠) جانب من اللقى المكتشفة في تلؤل الهباء (٦٥).

وفي ضوء ذلك ، يمكن القول ان النتائج التي تمخض عنها التنقيب في تل الهباء كانت على جانب كبير من الأهمية ، من الملتقطات السطحية التي وجدت في أثناء عملية التنقيب . وهكذا انتهى موسم التنقيب في الثالث والعشرين من كانون الثاني من العام ١٩٦٩ ، على أن تستأنف البعثة أعمالها في التنقيب للموسم القادم (٦٦).

استأنفت البعثة التنقيب في تلؤل الهباء في المدة الواقعة بين السابع من تشرين الأول من العام ١٩٧٠ لغاية الثامن من كانون الثاني من العام ١٩٧١ ، تألفت بعثة التنقيب للموسم الثاني من البروفسور فون كرافورد مدير المشروع ، البروفسور دونالد هانسن، مدير المشروع الميداني، إدوارد آل. اكسنشليكر Edward L.Ochsenschlager مساعد المدير الميداني ، روبرت دي. بيكر مصور ومنقب، اليزابيث كارتر Elizabeth carter آثارية ، ألسي هومز بيك Elsie Homes Peck ، روبيرتا لويس Roberta Lewis، جون بينسكوفسكي John Benczkowski خدمات فنية (٦٧). الشكل رقم (١١) جانب من سير عمل التنقيبات للموسم ١٩٧٠-١٩٧١.

أسفرت التنقيبات في المعبد البيضوي والقسم الشرقي من التل العثور على ما يقارب خمسة وخمسين قطعة من اللقى المهمة في المدة الواقعة بين ١٣ تشرين الثاني - ٣ كانون الأول عام ١٩٧١، من بينها عدد من الرقيم الطيني غير كامل وجد في الطبقة الأولى ، كما تم العثور على جزء من تمثال لحيوان، وعاء نحاسي ، وخرز ملونه، عجلات ،جزء من زورق ، أختام اسطوانية وعدد من الفخاريات^(٦٨). الشكل رقم (١٢) جانب من اللقى المكتشفة في تلول الهباء في الموسم الثاني^(٦٩).

لا شك أن تلول الهباء كانت واحده من كبرى المواقع الأثرية في جنوب العراق، إذ يبلغ الطول الكلي حوالي (٣٦٠٠) م وعرضها حوالي (١٩٠٠) م في أقصى نقاط اتساعها ، وهي مع هذا الاتساع غير مرتفعة إذ يبلغ أقصى ارتفاعها حوالي (٦م) عن مستوى سطح الأرض المجاور لها ، وهذا القسم المرتفع يقع في منتصف الجزء الغربي من التلول ، وقد أظهرت التنقيبات السابقة من البعثة الآثرية الأمريكية استمرار السكن فيها حتى العصر البابلي القديم ، الذي يؤرخ بحدود (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م) ، في الملتقطات السطحية في أثناء عملية المسح تبين أن معظم أجزاء التلول تؤرخ بنهاية عصر فجر السلالات الثالث ، وكما تثبت أخيراً أن تلول الهباء هي الموقع الحقيقي لمدينة لكش القديمة Ancient Lagash ، وقد تم تعيين معبدين رئيسيين من معابد المدينة هما ابكال اينانا Ib-Gal of Inanna ، ومعبد بكاره نكرسو Bagara of Ningirsu ويذكر أن هذه المعابد تم ذكرهم في النصوص المنقوشة في تلال "تلو" Telloh وسرگل Surghul المجاورين لمدينتي كرسو Girsu و **ننا** Nina القديمتين المتزامنتين لمدينة لكش القديمة^(٧٠).

وعلى نحو عام، استمرت البعثة الأمريكية المشتركة التابعة إلى متحف المتروبوليتان للفن ومعهد الآثار في جامعة كاليفورنيا العاملة في تلول الهباء بالتنقيب للموسم الثالث في المدة الواقعة بين عامي ١٩٧٢-١٩٧٣ وتم فيه الكشف عن جدار منحني باتجاه الشمال أرخ بعصر فجر السلالات الأولى Early Dynastic^(٧١).

فضلاً عن ذلك ، اعتمدت البعثة في عملها الاسلوب السابق نفسه في عمليات المسح الأولى، إذ استندت إلى خرائط ومخططات المسح للمواسم السابقة ، واتجهت بعد ذلك إلى دراسة هذه المواد وتسجيلها، لمعرفة الاختلافات الجوهرية في نوعية الملتقطات السطحية التي اكتشفت في أثناء التنقيب في هذا الموسم ومقارنتها بالمواسم السابقة^(٧٢).

ج-التنقيب في تل بلا عام ١٩٦٨

يقع التل على بعد كيلو مترين جنوبي غرب بعشيقه ، على بعد حوالي خمسة وعشرين كم شرق الموصل ، بدأت البعثة الأمريكية التنقيب في المدة الواقعة بين عامي ١٩٣٠-١٩٣٣ وكشفت البعثة برئاسة البروفسور إفرام أي. سببزر عن عصور ما قبل التاريخ وعن فخار فجر السلالات ، وقد مرت هذه المدينة بأدوار مختلفة ، ففي أعلى التل وجدت آثار **فرتية** وهلنستية ، وتبعثها طبقة فارسية وتحتها طبقتين من العهد الآشوري^(٧٣). منها ما شيد الملك آشور ناصرال الثاني من قصور في القرن التاسع ق.م ، وثم الملك شلمنصر وسنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) ، وقد عثر على لقى أثرية تمثل صور ما قبل التاريخ (٣٥٠-٣٠٠ ق.م) ، التي قضت فتوحات الإسكندر المقدوني على المدينة^(٧٤).

قدمت جامعة بنسلفانيا الأمريكية في التاسع من تشرين الأول من العام ١٩٦٨ طلباً إلى مدير الآثار العامة الدكتور عيسى سلمان حميد^(٧٥) ، لاستئناف التنقيب في تل بلا الواقع بالقرب من بعشيقه ، خلاصة التنقيب في التل ، وجدت البعثة آثاراً معظمها من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد من الطور الحوري الذي هو موضع اهتمام الكثير من علماء الآثار ، للغموض الذي مازال سائراً في تلك المدة في معرفة الشعب الحوري ولغته وحضارته ، قدم طلب التنقيب البروفسور روبرت دويسن المختص في بحوث المنحوتات الآشورية ودراسات المقارنة في آثار العراق .

ح-اعمال البعثة الأمريكية للتنقيب في تل أبو صريفة ١٩٦٩

باشرت البعثة الأمريكية للتنقيب في تل ابوصريفة Tell Abu Sarifa في العام ١٩٦٩ ، برئاسة روبرت **ماكورميك** آدمز ، وانضم لدى البعثة ممثل عن مديرية الآثار السيد رياض القيسي ، كان الهدف من هذه التنقيبات هي لمعرفة طبقات التل ومحتوياته الفخارية ، مع دراسة الأدوار الزمنية التي مرت على التل، وفي التنقيبات وجد عدداً كبيراً من كسر الفخار يعود إلى العصر الساساني والعصر الفرثي^(٧٦).

يبدو إن غرض البعثة التنقيبية في تل ابو صريفه هو دراسة الكسر الفخاري ومزاياها وزخارفها ، حيث ظهر أن الكسر الفخاري المكتشف جميعاً ترجع الى العصر الساساني وقليل منها يرجع الى العصر الفرثي ، ففي الرابع عشر من كانون الثاني قامت البعثة بالتنقيب عن القبور التي ترجع الى سكان هذا التل وعلى مقربة من حافة التل من الجهة الشمالية تم الكشف عن ثلاثة قبور^(٧٧) ، ترجع الى بداية العصر الساساني ونهاية العصر الفرثي^(٧٨).

خ- قانون الآثار العراقي المعدل بالقانون رقم (١٢٠) لسنة ١٩٧٤^(٧٩).

بعد أن توسعت أعمال دائرة الآثار، وتعددت أقسامها، وكثر العاملين فيها، واثبتت قدرتها على تحمل المسؤولية التاريخية والحضارية، إذ حظيت الآثار بالدعم المعنوي والمادي، وصار حمل مديرية الآثار العامة حملاً ثقيلاً، فكان عليها أن تضع الخطط والدراسات العلمية والفنية للكشف عن وجه العراق الحضاري^(٨٠)، مما أضفى على الأمر أهمية إرسال الدائرة القانونية في مديرية الآثار العامة كتابها ذي العدد ٤٣٣٩/٢٢/١ في التاسع عشر من أيار من العام ١٩٦٩ مسودة لمشروع قانون جديد للآثار إلى السيد طه باقر، شرح الكتاب أهم الأسباب الموجبة لتشريع قانون يحمي تراثنا الحضاري^(٨١). أهمها: ان قانون الآثار رقم (٥٩) لسنة ١٩٣٦ أصبح قديماً ولا يفي بمتطلبات حماية التراث الأثري والتاريخي في العراق، فضلاً عن أن القانون القديم تنقصه الكثير من المواد التي تتطلب سلامة المناطق الأثرية ومحرماتها، ولذلك أصبح من الضروري تشريع قانون جديد يتلاءم مع ظروف البلاد، ومن المعلوم أن الكثير من الآثار قد هربت إلى خارج القطر يوم كان العراق تحت السيطرة الأجنبية، على أثر ذلك، امتلأت متاحف لندن وباريس وبرلين وشيكاغو واسطنبول بالعديد من آثارنا النفيسة، لذلك نص القانون على ضرورة قيام السلطات الأثرية عند اشتراكها في مؤتمرات دولية للآثار أن تعمل جاهداً على وضع بنود ضمن الاتفاقيات الدولية أو الإقليمية مما تساعد على استعادة الآثار المهربة إلى البلاد^(٨٢). عالج القانون موضوعاً مهماً يتعلق بحياسة الآثار المنقولة، حيث قرر إنهاء هذه الحيازة نظراً لما جلبته من أضرار كبيرة كانت سبباً مباشراً في تخريب وتهريب آثارنا إلى خارج البلاد، لأن هذه الحيازة تساعد على بيع الآثار لجهات أجنبية وبصورة غير شرعية، أو تشجع على أعمال الحفر في التلول الأثرية^(٨٣).

من المبادئ الجديدة التي جاء بها القانون هو تحريمه بيع أو اهداء الآثار المنقولة، ولكنه أجاز للسلطات الأثرية ان تبادل الآثار مع المتاحف والمؤسسات العلمية الأجنبية إذا كان في هذا التبادل الثقافي فائدة علمية تزيد من قيمة المتاحف العراقية، وقد أخضع هذا البند إلى مصادقة الوزير المختص. كما أتاح القانون للسلطات الأثرية أن تقيم المتاحف والمعارض الجوال للآثار المنقولة خارج العراق، ويرافق المعارض عدد من منتسي الآثار لغرض إلقاء المحاضرات والبحوث اللازمة لتوضيح الآثار المعروضة وشرح تفاصيلها، أما في حقل التنقيب، فإن القانون قد وضع أسساً جديدة اقتضتها المصلحة العامة، ومن هذه الأسس معرفة صفة البعثة المنقبة وإمكاناتها العلمية والمادية، ومن

الأمر المهمة التي عالجها القانون هي قضية الآثار المنقولة المكتشفة من البعثة المنقبة التي كان القانون السابق ينص على مناصفة المكررات منها بين البعثة ودائرة الآثار ونتيجة هذه المناصفة لوحظ أن الكثير من آثارنا صدرت إلى خارج البلاد ، وقد أصبحت هذه الظاهرة تشكل خطراً على متاحفنا ، واخذت تسبب في تقليل قيمتها من الناحيتين الأثرية والسياحية، ومن الجدير بالذكر أن هدف البعثات الأثرية بالدرجة الأولى هو جمع المعلومات التاريخية ، من أجل إبراز معالم الحضارة البشرية، ومع ذلك فإن القانون الجديد قد سمح للبعثة المنقبة أن تأخذ قوالباً جبسية للآثار المكتشفة ومجاميع كاملة لصورها مع أخذ كسر فخارية ومواد عضوية لدراستها ، وقد نص القانون لأول مرة التنقيبات المشتركة لدائرة الآثار العراقية مع البعثات الأجنبية في داخل وخارج العراق للاسهام في إحياء التراث التاريخي على الصعيد القومي والإنساني^(٨٤).

الخاتمة

يبدو أن من بين الأمور المهمة التي أولتها الحكومة العراقية بعد العام ١٩٥٨ هي تثمين الآثار العراقية والافادة إلى أقصى حد ممكن من هذه الوسيلة العلمية الرفيعة كأحدث طريقة نافعة في الإعلام الدولي ، فجعلت مديرية الآثار العامة إحدى الدوائر المهمة لوزارة الثقافة والإرشاد ، وفتحت آفاقاً جديدة لعملها الدائب والمثمر ، وشملت جميع مشاريعها بالاهتمام والرعاية التامة والتشجيع ، والاستفادة مما يتوافر لدى دائرة الآثار العراقية من إمكانيات علمية وفنية على وفق خطط ودراسات شاملة للكشف عن تراثنا الحضاري الضخم والعمل على نشر المعرفة التاريخية والحضارية في داخل وخارج العراق ، وإعلام مختلف الأمم والشعوب بما كان لأمتنا من أثر وخدمات في تطور البشرية في حقب وعهود تاريخية ، وبذلك اتسع حقل عملها وجوهرها من النطاق المحلي في العراق إلى النطاق العالمي .

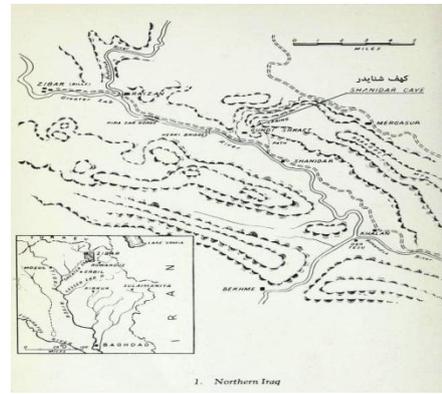
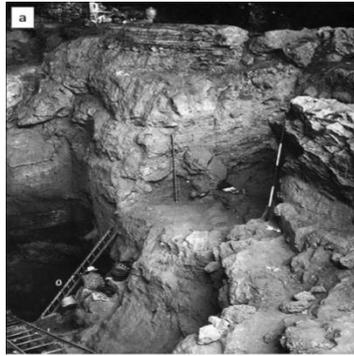
انطلاقاً من حاجة البلاد الى ما يعزز علاقاتها الثقافية ، يمكن القول أن للتعاون الذي أضفاه علماء الآثار المعروفين أمثال الدكتور بريدود الأستاذ في المعهد الشرقي الذي نقب في قلعة جرمو وهو موقع من أدوار ما قبل التاريخ ، إلى عالم الآثار رالف سولكي وفريقه الذي نقب في كهف شاندر وقام بالكشف عن وجود إنسان النياندرتال ، ألى المؤسسة البريطانية للبحوث الأثرية في العراق وجامعة بنسلفانيا للتنقيب في تل الرماح جنوب الموصل، الى جانب البعثات التنقيبية في المواقع المذكوره ، فإن التنقيبات التي اجرتها البعثات العراقية قد انتجت نتائج باهرة في مواقع مختلفة ، برهنت عبر مسيرتها الطويلة الحافلة بمسؤولياتها على صعد مختلفة، لاسيما بعد تأسيس قسم الآثار في جامعة بغداد الذي إشراف على تدريس طلبته النخبة الآثارية نفسها التي خدمت التاريخ العراقي خدمة جلييلة وعظيمة بكل طاقاتها المتاحة من المتخصصين والعاملين في دائرة الآثار امثال طه باقر وفؤاد سفر، الدكتور فيصل الوائلي، الدكتور عيسى سلمان التي امتدت يدها العلمية والفنية إلى مواقع أثرية في كل مواطن الآثار والحضارة في العراق .

● الملاحق



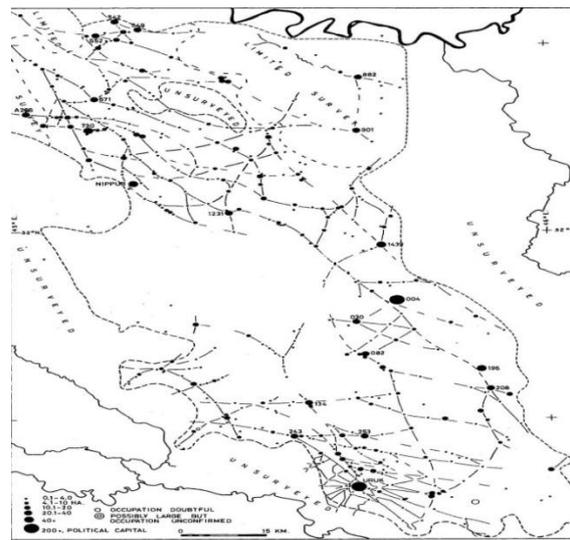
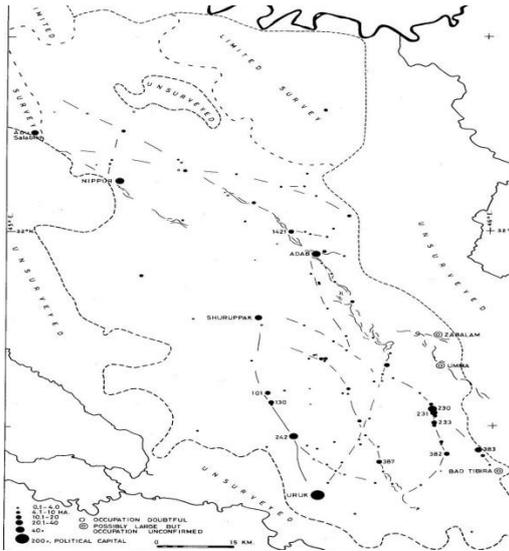
الشكل رقم (٢) المخطط التقريبي للطبقات في جرمو

الشكل رقم (١) قلعة جرمو ١٩٨٤

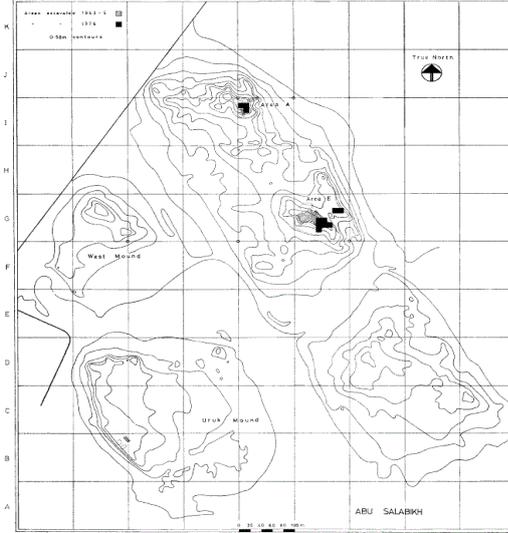


الشكل (٤) مراحل التنقيب في كهف شاندر

الشكل (٣) موقع كهف شاندر



الخارطة (١) الاستيطان في العصور السلوقية والبارثية الخارطة (٢) الاستيطان في عصر السلالات المبكرة



خارطة كنتورية رقم (٣) لموقع تل ابو الصلابيخ



الشكل رقم (٦) اللقى التي استخرجت من التل الرماح

الشكل رقم (٥) تل الرماح



الشكل (٨) الفخاريات المستخرجة للموسم الخامس

الشكل (٧) اللقى المستخرجة من تل الرماح

النشاط الآثاري للبعثات الأمريكية في العراق ١٩٤٨-١٩٧٤ دراسة تاريخية



Foundation figure stuck through the course of brick



Assembled stone placed behind the head of a foundation figure on top of the third course of brick



Front view of foundation figure

Back view of foundation figure

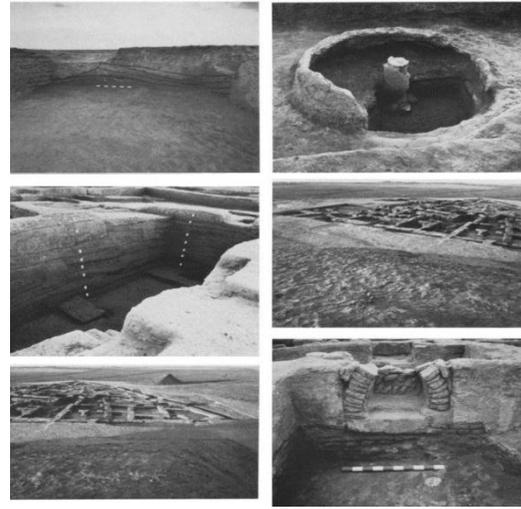


The seven foundation figures



الشكل رقم (١٠) اللقى المكتشفة في تلول الهباء

الشكل رقم (٩) تلول الهباء



الشكل رقم (١١) تنقيبات تلول الهباء ١٩٧٠-١٩٧١ الشكل رقم (١٢) مكتشفات تلول الهباء للموسم الثاني

(١) القانون تألف من اثنتان وسبعون مادة ، قسمت على سبعة فصول، الفصل الأول تألف من خمسة مواد في تعريف القانون والأحكام العامة ، الفصل الثاني من عشرة مواد في الآثار غير المنقولة ، الفصل الثالث تألف من إحدى عشرة مادة في الآثار المنقولة، الفصل الرابع من ثلاثة عشر مادة في المتاجرة بالآثار القديمة، الفصل الخامس من خمسة عشرة مادة في التنقيب عن الآثار ، الفصل السادس من عشرة مواد في العقوبات ، الفصل السابع من ثماني مواد في الأحكام المتفرقة. ينظر : فاتن سعد عوده ، التنقيبات الأثرية الأمريكية في العراق ١٩٢٥-١٩٣٩ دراسة تاريخية، مجلة مداد الآداب ، العدد ٢٧، ص ٥٢٨.

(٢) وزارة الثقافة العراقية/ - الهيئة العامة للآثار والتراث - التوثيق العلمي، تقرير عن النشاط الأثري في العراق ، الوثيقة ١٠٦/ م د، ص ٣. وسيرمز لها لاحقاً ب.و.ث.ع

(٣)(الكربون - ١٤): تعد من أكثر الطرق شيوعاً في الاستعمال إلا أنها ذات كلفة عالية ، تستلزم الطريقة تحليل مادة عضوية تم اكتشافها في الموقع الأثري لمعرفة كمية الإشعاع الكربوني فيها ، يدخل هذا النوع من الكربون في النباتات من غاز ثاني اوكسيد الكربون ثم يدخل في جسم الحيوان والإنسان عن طريق المواد الغذائية النباتية والحيوانية ويبقى محافظاً على كميته ما دام الكائن العضوي حياً ، فإذا مات تبدأ ذرات الكربون ١٤ بالتناقص بمعدل نصف كميته بعد مضي السنين ، ولكي يتم حساب التاريخ يستخلص الكربون أو تستخلص مركباته من المادة العضوية بطريقة كيميائية توضع على آلة (إشعاعية - كيميائية) فتسجل هذه الآلة مقدار الكميات المفقودة من الأشعة الكربونية ثم يحسب تاريخ المادة الاثرية . ينظر : تقي الدباغ ، مقدمة في علم الآثار، العراق، ١٩٨١، ص ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٢، بيروت ، ٢٠١٢ . ص ٢١٨-٢٢٢.

(٥) و.ث.ع، التوثيق العلمي، طلب المعهد الشرقي للتنقيب في قلعة جرمو وقره بتاغ ، و ١/هـ ت، آب ١٩٤٧، ص ١-٢.

(٦) روبرت جون برايدوود : عالم آثار أمريكي، ولد في ولاية ميشغان في العام ١٩٠٧. تلقى تعليمة في جامعة ميشغان . حصل على الماجستير في الهندسة المعمارية في العام ١٩٣٣. انظم إلى بعثة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو مع عالم الآثار جيمس هنري برستد في العام ١٩٣٨. اكتشف مواقع أثرية عدة في العراق وتركيا منها موقع قلعة جرمو في العراق ، توفي في العام ٢٠٠٣.

Patty Jo Watson , Robert John Braidwood 1907-2003 ,American Anthropologist Volume 106, Issue 3, PP. 642-644.

(٧) ماكورميك آدمز : ولد في ولاية إلينوي في العام ١٩٢٦، عالم أنثروبولوجيا، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة شيكاغو من العام ١٩٥٧، انتخب زميلاً للأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم في العام ١٩٥٧، تولى منصب مدير المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو للمدة الواقعة بين عامي ١٩٦٢-١٩٦٨ و ١٩٨١-١٩٨٣، عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم في العام ١٩٧٠، عمل في معهد سميثسونيان Smithsonian في واشنطن في المدة الواقعة بين عامي ١٩٨٤-١٩٩٤، تقاعد في العام ١٩٩٤، حصل على الميدالية الذهبية للإنجاز الأثري في العام ٢٠٠٢، توفي في العام ٢٠١٨.

Norman Yoffee, Robert McCormick Adams: An Archaeological Biography, American Antiquity, 1997, Vol. 62, No. 3, PP. 399-413.

(٨) التوثيق العلمي، تقرير عن أعمال البعثة الأمريكية في جرمو ، و ٤/هـ ت، ٣١/١٠/١٩٥٠، ص ١٠.

(٩) كان شكل فخار موقع جرمو أشبه باللغز الذي حير علماء الآثار ، فالأواني الحجرية الحسنة الصنع في المستويات الأعمق أفسحت المجال في منتصف مدة الاستيطان لسلسلة من الأواني الفخارية التي صنعت بأشكال مناسبة وذات

حواف مصقولة وملونه ومصممة بأشكال بسيطة ، لكن هذه الخصائص تلاشت في المستويات الأقرب إلى سطح الأرض ، والواضح أن برايدوود قد توقع من التنقيب في الموقع أن يثبت أن ارتباط هذا الفخار مع فخار حسونه ، لكنه لم ينجح في ذلك وأحدث التخمينات هي أن هذا الفخار مايمائله في تبه غوران في إيران ، مما يوحي بوجود علاقة مع جبال زاكروس أكثر مما يوحي بوجود علاقة مع منطقة وادي الرافدين، ينظر : سيتون لويد ، المصدر السابق ، ص ص ٤٥-٤٦ .

- (١٠) سومر (مجلة) ج٢، المجلد الخامس ، ص ص ٣١٣-٣١٤ .
- (١١) التوثيق العلمي ، تقرير عن أعمال البعثة الأمريكية في جرمو ، و٤/هـ ت ، ٣١/١٠/١٩٥٠، ص٩ .
- (١٢) التوثيق العلمي ، تقرير عن أعمال البعثة الأمريكية في جرمو ، و ٩/هـ ت ، ١٨/٣/١٩٥١، ص٢ .
- (١٣) التوثيق العلمي ، تقرير انتهاء أعمال البعثة الأمريكية في جرمو ، و ١٨/هـ ت ، ٢٥/٥/١٩٥٥، ص٤ .
- (١٤) يقع الكهف في الجنوب الغربي من محافظة السليمانية ، عد الكهف ثاني اقدم موقع في بلاد ما بين النهرين، أكثر مواد الكهف من الصوان التي تعود إلى العصور الحجرية المتأخرة . اطلق عليه الكهف المظلم، ذلك لان داخل الكهف مظلم جداً ، ويشبه إلى حد كبير الصناعات التي وجدت في كهف زرزي. ينظر: سعد الرويشدي ، الكهوف في الشرق الأدنى، سومر (مجلة) ج١-٢، مج الخامس والعشرون، ١٩٦٩، ص٢٦٢ .
- (١٥) يقع الكهف في الشمال الغرب من محافظة السليمانية على بعد ٣٥ كم من الزاب الصغير ، على سفوح جبل كوناكوتر . المصدر نفسه، ص ٢٦٣ .
- (١٦) عمر جسام العزاوي ، علم الآثار في العراق نشاته وتطوره، لبنان ، ٢٠١٣، ص ص ٨١-٨٢ .
- (١٧) الموسنيرية: هي حضارة أثرية من الأدوات الحجرية، ويرتبط في المقام الأول بإنسان نياندرتال في أوروبا، وبدرجة أقل أقرب الإنسان الحديث من الناحية التشريحية في شمال إفريقيا وغرب آسيا. تحدد حضارة موسنيرية إلى حد كبير الجزء الأخير من العصر الحجري القديم الأوسط، العصر الحجري القديم الأوراسي الغربي. يُنظر: بان فيصل حمزة، جيموفولوجية الكهوف الكارستية غي ناحية سورداش- السليمانية ، كلية التربية للبنات (مجلة) العدد ٤ ، مج ٣٠ ، ٢٠١٩، ص ص ١٧٦-١٧٧ .
- (١٨) يحتوي الكهف على اربعة عشر متراً من التراكبات الأثرية ، منها أكثر من ثمانية أمتار تعود للمدة المستيرية Mousterienne الذي تقدر بداياته قبل نحو مئة وعشرين الف سنة ونهايته الى ما قبل عشرين ألف سنة ، يعلوها طبقة تخص المدة الاخيرة من العصر الحجري القديم الذي يطلق عليه تسمية بارادوستيان Baradostien وفوق ذلك تنفرش طبقات العصر الحجري الوسيط Mesolithique وماقبل العصر الحجري الحديث ، ثم مزيج من الاستمرارية التي تربط العصر الحجري الحديث Neolithique بالعصر الحاضر. ينظر : أرليت لوروا ، إنسان نياندرتال ٤ في كهف شاندر ، سومر (مجلة) ، مج الخامس والعشرون ، ص ٢٧٤ .
- (١٩) رالف سولكي: ولد في العام ١٩١٧، عالم آثار ، حصل على شهادة البكلوريوس في علوم الجيولوجيا من جامعة نيويورك في العام ١٩٤٢، حصل على شهادة الماجستير من جامعة كولومبيا، بدأ عمل التنقيب في العراق مع معهد سميثسونيان في العام ١٩٥١، حصل على شهادة الدكتوراه في علم الآثار من جامعة كولومبيا في العام ١٩٥٨، ترأس بعثات في السودان والاسكا ، عمل في التدريس في جامعة كولومبيا في المدة الواقعة بين عامي ١٩٥٩-١٩٨٨، عمل في هيئة التدريس في جامعة تكساس في العام ١٩٩٠، توفي في العام ٢٠١٩. ينظر :

- Emma Pomeroy and others , New Neanderthal Remains Associated with the 'Flower Burial' at Shanidar Cave, Antiquity Publications Ltd, 2020,P.24.
- (20) Ralph S. Solecki , Shanidar :The First Flower People, New York, 1971, P.1.
- (٢١) و.ث.ع/ التوثيق العلمي ، تقرير عن تنقيبات كهف شاندر للموسم الثاني ، و ٩ هـ ت ، ٢٠/٥/١٩٥٣ ، ص ١.
- (22) Emma Pomeroy and others , Op.Cit.,P.14.
- (٢٣) و.ث.ع/ التوثيق العلمي، تقرير وزارة المعارف بشأن موضوع تصدير آثار إلى الخارج لصالح بعثات التنقيب الأمريكية ، و ٦/ وق ، ٢٢/٣/١٩٥٤ ، ص ١.
- (٢٤) في العام ٢٠١٤ باشر قسم الآثار في جامعة كامبريدج إجراء التنقيب في كهف شاندر بدعوة من حكومة اقليم كردستان ، وقد بدأت عمليات التنقيب في العام ٢٠١٥ في الجانب الشرقي من الكهف امتداداً لتنقيبات رالف سولكي في المدة الواقعة بين عامي ١٩٥٣-١٩٦٠ ، الذي وجد فيه معظم بقايا إنسان نياندرتال ، الهدف من التنقيبات لوضع النتائج التي توصل لها رالف سولكي باستخدام مجموعة كاملة من التقنيات الحديثة التي لم تكن متوفرة في تلك المدة ، وفي المدة الواقعة بين عامي ٢٠١٥-٢٠١٦ تم اكتشاف عظام لإنسان نياندرتال . تألفت البعثة من معهد ماكسونالد للبحوث الأثرية . مختبر الأبحاث للآثار وتاريخ الفن ، كلية الآثار ، جامعة أكسفورد. قسم التاريخ والكلاسيكيات والآثار ، جامعة لندن. كلية العلوم الطبيعية وعلم النفس ، جامعة ليفربول.
- Emma Pomeroy and others , Op.Cit.,P.14.
- (٢٥) التوثيق العلمي ، التقرير السنوي لمديرية الآثار القديمة العامة ، و ٨٣/م د، د.ت. ص ٤.
- (26) Robert McC. Adams,Heartland of Gities ,The University of Chicgo,1981,P.198.
- (27) Ibid.,89.
- (٢٨) سومر (مجلة) ج ١ ، مج الثاني عشرة، ١٩٥٦ ، ص ص ٥٥-٥٦.
- (٢٩) التوثيق العلمي ، كتاب وزارة الثقافة والإرشاد ذي العدد ٥٨٤٧ بشأن السماح لهيأة جامعة شيكاغو للتنقيب والتحري الأثري في العراق ، و ٢٦/ وق ، ١/٩/١٩٦٨ ، ص ١.
- (٣٠) نوري عبد الحميد العاني وآخرون ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٥٩ ، ج ١ ، بيت الحكمة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤٣.
- (٣١) التوثيق العلمي ، نظام مديرية الآثار العامة رقم (٤٠) لسنة ١٩٥٨ المنشور في جريدة الوقائع العراقية، العدد ٩٧ ، و ٦٨/ ع ق ، ١٨/١٢/١٩٥٨ ، ص ٣.
- (٣٢) التوثيق العلمي ، طلب سمة دخول من مديرية الآثار العامة إلى مديرية الأمن العامة ذي العدد ٥٣٤٧ ، و ٣/ وق ، ١٦/١٢/١٩٥٩ ، ص ١.
- (٣٣) التوثيق العلمي ، طلب سمة دخول من مديرية الآثار العامة إلى مديرية الأمن العامة ذي العدد ٤٠٧٢ ، و ٢٦/ وق ، ٢٠/٨/١٩٦٢ ، ص ١.
- (٣٤) سنان صادق حسين الزبيدي ، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق ١٩٥٨-١٩٦٣ ، أطروحة دكتوراه - غير منشورة ، كلية التربية ابن رشد ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٠١.
- (٣٥) جعفر عباس حميدي ، تاريخ الوزارات في العهد الجمهوري ١٩٥٨-١٩٦٨ ، ج ٦ ، ط ٢ ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ص ٢٥٦-٢٥٩.
- (٣٦) تقع مستوطنة زاوي جمبي على نهر الزاب الأعلى في منطقة كهف شاندر ، وجدت فيها بقايا يعود زمنها على ما قبل عشرة آلاف سنة ، فهي تعد أقدم قرية عرفت إلى الآن في العراق قد سكنها الإنسان القديم في الوقت الذي بدأ يتعلم

- فيه الزراعة وتدجين الحيوانات ، ولاسيما الماعز الذي تعد بقايا في هذا المستوطن أقدم ما وجد لماعز مدجن في العالم . ينظر: التوثيق العلمي ، تقرير وزارة المعارف بشأن موضوع تصدير آثار إلى الخارج لصالح بعثات التنقيب الأمريكية ، و ٦/وق ، ١٩٥٤/٣/٢٢ ، ص ١.
- (٣٧) التوثيق العلمي ، الوثيقة رقم ٧٩/ ه ق ، كتاب مديرية الآثار العامة المرسل إلى متصرفية لواء أربيل تطلب فيها تقديم المساعدات لقدم بعثة كهف شاندر ، ص ١.
- (٣٨) التوثيق العلمي ، كتاب مديرية الآثار العامة إلى مديرية التصدير والاستيراد العامة طلب الموافقة إلى تصدير آثار إلى اميركا ذي العدد ٣٧٥٠ ، و ١١/وق ، ١٩٦٠/٩/١٧ ، ص ١.
- (٣٩) طه باقر :ولد في بابل في العام ١٩١٢ . أكمل دراسته الثانوية في بغداد في العام ١٩٣٢ . نال شهادة (متروكوليشن الإنكليزية من كلية صفد في فلسطين في العام ١٩٣٢ . درس في الجامعة الأمريكية في المدة الواقعة بين عامي ١٩٣٢-١٩٣٣ ، التحق في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو . نال شهادة البكالوريوس والماجستير في علوم الآثار في العام ١٩٣٨ ، عمل في مديرية الآثار في العام ١٩٣٨ . تولى منصب مديراً للآثار في المدة الواقعة بين عامي ١٩٥٨-١٩٦٣ ، عمل تدريسياً في قسم الآثار - كلية الآداب جامعة بغداد ، توفي في العام ١٩٨٤ . ينظر: قحطان رشيد صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
- (٤٠) التوثيق العلمي ، كتاب مديرية الآثار العامة إلى وزير المعارف ذي العدد ١٣٩٤ ، و ١٠٣/ ه ت ، ١٩٦٣/٣/٢٠ ، ص ١٧.
- (٤١) التوثيق العلمي ، طلب سمة دخول من مديرية الآثار العامة إلى مديرية الأمن العامة الأجانب ذي العدد ٦٧٩ ، و ٤٦/وق ، ١٩٦٣/٢/٤ ، ص ١.
- (٤٢) التوثيق العلمي ، طلب مديرية الآثار العامة إلى مديرية الإقامة - تمديد اقامة ذي العدد ٢٢٧٩ ، و ٨٢/وق ، ١٩٦٣/٥/٨ ، ص ١.
- (٤٣) يقع تل ابو الصلابيخ في لواء (محافظة الديوانية) قضاء عفك، ناحية الدغارة على مسافة خمسة وعشرين كم من شمال شرق الدغاره، وتبعد مسافة عشرة كم شرقي ناحية سومر في محافظة القادسية جنوب العراق وعلى بعد أربعين كم شمال غربي مدينة نيبور الأثرية. يتألف الموقع من تلين كبيرين يبلغ محيطهما حوالي ٣ كم ، يبلغ ارتفاع التل مابين ٤-٥ أمتار. بلغ عدد العمال المستخدمة في البعثة ثلاثون عاملاً محلياً وست عمال من الشراطين . ينظر : التوثيق العلمي ، تقرير عن سير عمل البعثة الأثرية في تل ابو الصلابيخ ، و ٧/ ه ت ، ١٩٦٣/٥/١٦ ، ص ١.
- (44) Robert D. Biggs, Inscriptions form Tell Abo Salabikh ,The University of Chicago Press, 1974,P.3.
- (٤٥) استأنفت البعثة الأمريكية اعمالها التنقيب في تل ابو الصلابيخ في نيسان من العام ١٩٩٠ ، تحت إشراف الدكتورة سوزان بولوك Susan Pollock، وقد توقعت البعثة خلال تقريرها الذي رفع إلى دائرة الآثار والتراث بقولها ((إن هذا الموسم سيعزز بالدراسات والتحليلات المقبلة للتوصل إلى فهم أفضل على مستوطنة الوركاء في تل ابو الصلابيخ)) . التوثيق العلمي ، تقرير الدكتورة سوزان بولوك رئيس البعثة الأمريكية العاملة في موقع ابو الصلابيخ ، و ٣٨/ ه ت ، ١٩٩٠ ، ص ١-٦.
- Dr.Susan Pollock, Abu Salabikh ,the Uruk Mound, 28 April 1990 , PP.1-6.
- (46) J. N. Postgate and P. R. S. Moorey, Excavations at Abu Salabikh, Vol. 38, No. 2 , British Institute for the Study of Iraq, 1976 ,PP. 160-169.

- (٤٧) التوثيق العلمي ، كتاب مديرية الآثار العامة إلى وزير التربية والتعليم بشأن السماح للبعثة المشتركة بالتنقيب والتحري الأثري في تل الرماح حسب الكتاب المرقم ١٠٥٧ ، و ٢/ وق ، ١٩٦٤/٢/٢٧ ، ص ١ .
- (48) Theresa Howard Carter, Excavations at Tell al-Rimah, 1964 Preliminary Report, Bulletin of the American Schools of Oriental Research ,No. 178 ,1965,P.40.
- (٤٩) قحطان رشيد صالح ، الكشاف الأثري في العراق ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٤١-٤٢ .
- (50) David Oates, Excavations at Tell al-Rimah, British Institute for the Study of Iraq Vol.27, No. 2 ,1965,P.40.
- (٥١) قحطان رشيد صالح ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .
- (52) David Oates, Excavations at Tell al-Rimah, 1965, Op.Cit., Vol.28, No. 2 ,1966, PP.135-136.
- (٥٣) ولد في النجف في العام ١٩٢٢ . أكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها . عين معلماً في مدينة الغراف قضاء الشطرة في العام ١٩٤٠ . أكمل دراسته في دار المعلمين العالية في العام ١٩٤٧ . التحق بالبعثة العلمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة التاريخ القديم في جامعة شيكاغو في العام ١٩٤٧ . أستاذ مادة التاريخ القديم في كلية الآداب في العام ١٩٥٣ . فصل من الخدمة لنشاطاته السياسية في العام ١٩٥٦ . تمت إعادته للخدمة بعد ثورة تموز في العام ١٩٥٨ . تسنم منصب مدير عام الشؤون الفنية في وزارة المعارف في العام ١٩٥٨ . مدير عام دائرة الآثار في العام ١٩٦٣ . تقاعد في العام ١٩٦٩ . له كتب عديدة ونشاطات علمية مختلفة وكان له أثر واضح في مجالات النشاط الأثري ، ولاسيما فيما يتعلق بإقامة المعارض الأثرية المتجولة ، توفي في العام ١٩٨٢ . ينظر: قحطان رشيد صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
- (٥٤) التوثيق العلمي ، طلب مديرية الآثار العامة إلى وزارة الثقافة والإرشاد في تمديد عمل خبير اجنبي في المتحف العراقي ذي العدد ٣٠٨٤ ، و ٩٦/ وق ، ١٩٦٥/٥/٢٦ ، ص ١ .
- (٥٥) التوثيق العلمي ، كتاب مديرية الآثار العامة إلى هيئة الصيانة الأثرية في الحضر ذي العدد ٦٠٠٢ ، و ١٢٤/ وق ، ١٩٦٥/٩/٣٠ ، ص ١ .
- (٥٦) قحطان رشيد صالح ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
- (57) David Oates, Excavations at Tell al-Rimah, 1968, Op.Cit., Vol.32, No.1 ,1970, PP.13-15.
- (٥٨) التوثيق العلمي ، وليد ياسين ، تقرير عن صيانة تل الرماح ، و ٩/ د ق ، ١٩٦٩/٥/١٣ ، ص ١ .
- (٥٩) التوثيق العلمي ، صباح عبود ، تقرير عن تنقيبات تل الرماح ، و ٨/ د ق ، ١٩٧١/٥/٥ ، ص ١-٣ .
- (60) David Oates, Excavations at Tell al-Rimah, 1971, Op.Cit., Vol.34, No.2 ,1972, PP.78-79.
- (٦١) التوثيق العلمي ، كتاب وزارة الثقافة والإعلام بشأن السماح لهيئة متحف المتروبوليان وجامعة نيويورك بالتنقيب والتحري الأثري في العراق ذي العدد ٥٨٤٧ ، و ٢٦/ وق ، ١٩٦٨/٩/١ ، ص ١ .
- (62) Donald P. Hansen, Al Hiba 1968-1969, A Preliminary Report , Artibus Asiae, Vol. 32, No. 4 ,1970, P.243.
- (٦٣) تعود المعابد البيضوية في العراق إلى فجر السلالات ، ويعرف منها لحد الآن ثلاثة معابد، الأول في منطقة ديالى (خفاجي) والثاني في موقع تل العبيد والثالث في تل الهباء، إلا أن هذه المعابد لا تشابه في التخطيط المعماري فقط إن لها جدار بيضوي ، على سبيل المثال : إن جدار المعبد البيضوي في تل خفاجي هو أقرب إلى الشكل البيضوي الصحيح ، بينما شكل المعبد البيضوي في تل العبيد فإن الجدار الخارجي أقرب إلى الشكل الدائري ، اما في تل الهباء فيختلف عن المعبد السابقين . ينظر: التوثيق العلمي ، تقرير أعمال البعثة الأمريكية في تلول الهباء ذ العدد ٦ ، و ٤/ هـ ت ، ١٩٦٩/٢/٢ ، ص ١ .

- (٦٤) التوثيق العلمي، تقرير سير أعمال البعثة الأمريكية في تلّول الهباء ذي العدد ٤، و٣/هـ ت ، ١٣/١٢/١٩٦٨، ص ١.
(65) Donald P. Hansen, Op.Cit.,P.243.
- (66) Karen Mudar , Early Dynastic III Animal Utilization in Lagash: A Report on the Fauna of Tell Al-Hiba, Journal of Near Eastern Studies ,Vol. 41, No. 1 , The University of Chicago Press,1982,PP.23-24.
- (67) Donald P. Hansen ,Al-Hiba 1970-1971: A Preliminary Report, Artibus Asiae, Vol. 35, No. 1-2 ,1973,P.62.
- (٦٨) التوثيق العلمي، التقرير الخامس للبعثة الأمريكية في تلّول الهباء ذي العدد ٩، و ٧/هـ ت، ١٩/١٢/١٩٧٠، ص ٣-١.
- (69) Donald P. Hansen ,Al-Hiba 1970-1971, Op.Cit.,PP.64-66.
- (70) Donald P. Hansen , Al-Hiba A Summary of Four Seasons of Excavation 1968-1976, Sumer , VolXXXIV, No. 1-2 ,1978,PP.72-85.
- (٧١) التوثيق العلمي ، تقرير عن سير أعمال تنقيبات البعثة الأمريكية في تلّول الهباء للموسم السادس ، و ٧٢/هـ ت، ٢٢/٢/١٩٩٠، ص ٢؛
- Donald P. Hansen , Field Director American Expedition to Al -Hiba, Expedition Report No.1,Nov.26-Dec.8,1977.
- (٧٢) تركّزت أعمال البعثة العاملة في تلّول الهباء في العام ١٩٨٤ برئاسة الدكتورة اليزابيث كارتر على تحديد المنطقة التي سيتم التنقيب بها لاحقاً ، بالاعتماد على عمليات المسح السابقة .ومما هو جدير بالقول إن البعثة المشتركة من معهد الفنون الجميلة في جامعة نيويورك ومتحف المتروبوليتان في نيويورك ومتحف جامعة بنسلفانيا بالتعاون مع معهد بروكلين التابع لمدينة نيويورك ارسلت طلب للموافقة على التنقيب للموسم السادس والأخير في تلّول الهباء في المدة الواقعة بين الثاني والعشرين من شباط والرابع والعشرين من نيسان من العام ١٩٩٠، وقد عُثِر في هذا الموسم على عدد من أغطية الجرار الفخاري ، جُمع عدد لا بأس به من الفخاريات من التنقيب ، كما تم اكتشاف أكثر من مئة وستين شكلاً جديداً ومميزاً من الأواني الفخارية التي يعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات الأولى. ينظر: التوثيق العلمي ، تقرير أعمال البعثة الأمريكية في تلّول الهباء ، و ١٠/وت ، ١٤/٢/١٩٨٤، ص ٢؛ تقرير حفريات الموسم السادس في تلّ الهباء، و ٧٣/هـ ت ، ١٩٩٠، ص ٣.
- (73) Dr.E.A.Speiser ,Tell Billa Expedition of the University of Pensylvania and the Bagdad School ,March 9 ,1932, P.1.
- (٧٤) بشير يوسف فرنسيس، موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج ١، لندن، ٢٠١٧، ص ١٨٢-١٨٣.
- (٧٥) عيسى سلمان حميد: ولد في تكريت في العام ١٩٣٤، تخرج من كلية الآداب في العام ١٩٥٧، عمل مدرساً في ثانوية سامراء للبنين في العام ١٩٥٧، حصل على شهادة الدبلوم في العام ١٩٦٣، نال شهادة الدكتوراه في العام ١٩٦٦، عين تدريسياً في جامعة بغداد في العام نفسه، تقلد منصب مدير عام الآثار في العام ١٩٦٨، اشتغل بدرجة سفير في وزارة الخارجية ، عميد كلية التربية في جامعة البصرة ، نقيب المعلمين. ينظر : قحطان رشيد صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥.
- (76) Robert McC. Adams,Tell Abū Sarīfa:A Sassanian- Islamic Ceramic Sequence from South Central Iraq, Ars Orientalis, Vol.8 ,1970,PP.87-91.
- (٧٧) التوثيق العلمي ، تقرير التنقيبات وأعمال البعثة في تلّ ابو صريفه ذي العدد ٥ ، و ٢٩٣/هـ ت، ٢٨/١/١٩٦٩، ص ٣.

(٧٨) التوثيق العلمي ، تقرير التنقيبات وأعمال البعثة في تل ابو صريفه ذي العدد ٥ ، و ٢٩٣ / هـ ت ، ١٩٦٩/١/٢٨ ، ص ٣.

(٧٩) التوثيق العلمي ، كتاب اعضاء القسم الحقوقي في مديرية الآثار إلى طه باقر ، و ٧٦ / ع ق ، ١٩٦٩/٥/١٩ ، ص ١.

(٨٠) جرى التعديل الأول على القانون رقم (١٢٠) لسنة ١٩٧٤ ، في المواد الأتية : المادة الأولى من الفصل الأول (تعريف القانون والأحكام العامة) تم استبدالها بالمادة الثانية من قانون التعديل . المادة الرابعة عشرة من الفصل الثاني (الآثار غير المنقولة) ملغاة بالمادة التاسعة من قانون التعديل الأول . المادة السادسة عشرة من الفصل الثالث (الآثار المنقولة) تم استبدالها بالمادة الثالثة من قانون التعديل، المادة السابعة عشرة تم استبدالها بنص جديد بموجب المادة الرابعة من القانون ، المادة الثامنة عشر و العشرون والواحد وعشرون ملغاة . المادة السادسة والعشرون تم استبدالها بنص جديد بالمادة الخامسة من القانون. المادة السابعة والعشرون لغاية التاسعة والثلاثين من الفصل الرابع (المتاجرة بالآثار) ملغاة، المادة التاسعة والأربعون من الفصل الخامس (التنقيب عن الآثار) تم استبدالها بنص جديد بموجب المادة السادسة من القانون. المادة السابعة والخمسون من الفصل السادس (العقوبات) تم استبدالها بنص جديد بموجب المادة السابعة من القانون المعدل، والمادة الستون تم استبدالها بنص جديد بموجب المادة الثامنة. المادة الحادية والسبعون من الفصل السابع (الأحكام المتفرقة) تم إلغاء قانون الآثار لسنة ١٩٢٤ ، نشر القانون في الوقائع العراقية ذي العدد ٢٣٩٦ في ١٤/٩/١٩٧٤ . ينظر: التوثيق العلمي ، قانون التعديل الأول لقانون الآثار، و ٢٢ / ع ق ، ص ١-١٥ .

(٨١) التوثيق العلمي ، كتاب اعضاء القسم الحقوقي في مديرية الآثار إلى طه باقر ، و ٧٦ / ع ق ، ١٩٦٩/٥/١٩ ، ص ١.

(٨٢) التوثيق العلمي ، الأسباب الموجبة لتشريع قانون الآثار، و ٧٨ / ع ق ، ١٩٦٩/٥/١٠ ، ص ٢٥.

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

ثنائية الدين والعلم في الفكر العثماني اواخر القرن التاسع
عشر حتى عام ١٩١٤

ا.م.د. نادية ياسين عبد

كلية الآداب / جامعة بغداد

nadiayasseen@coart.uobaghdad.edu.iq

ثنائية الدين والعلم في الفكر العثماني اواخر القرن التاسع عشر حتى عام ١٩١٤

ا.م.د. نادية ياسين عبد

ملخص:

سعت الفئة المثقفة العثمانية الحديثة التي نمت وتطورت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى اصلاح واقع الدولة العثمانية المتراجع بالاعتماد على النموذج الغربي، وكانت العلوم والنظريات العلمية الحديثة ابرز ما جذبها على الرغم من كل ما حوته من مادية وابتعاد عن القيم الدينية والروحاني، في الوقت نفسه فان المفكر العثماني كان مسلما حاملا لأرث ديني وقيم اسلامية غرست فيه منذ صغره ونشأ وتربى عليها، الالهة ان المجتمع الذي عاش به واراده ان يفتح على تلك العلوم وينقبلها كان مجتمعا مسلما متمسكا بدينه رافضا لكل ما ممكن ان يتعارض معه. كل ذلك كان له اثره في ان يكون الدين حاضرا الى جوار العلم في كتابات الكثير من المفكرين العثمانيين في محاولة للتقريب بينهما وايجاد تقبل مجتمعي للعلوم الحديثة.

حاولنا من خلال البحث التعرف على المنهج الذي اعتمدت عليه الفئة المثقفة الحديثة في تحقيق التقارب بين الدين والعلوم الحديثة بما يجعلها مقبولة للمجتمع العثماني من خلال مجموعة نماذج من الفئة المثقفة الحديثة تباينت في مقدار انجذابها نحو العلوم الحديثة وتمسكها بقيمها الدينية، وعكسوا من خلال كتاباتهم جانبا مهما لنقاشات الحياة الفكرية في الدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين التي كان الدين والعلم ابرز مفرداتها.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، الفئة المثقفة، دين، علم

**The Duality of Religion and Science in Ottoman Thought in the Late
19th Century Until 1914**

Assist. Prof. dr. Nadia Yaseen Abed

College of Arts - Baghdad University

nadiayasseen@coart.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

The modern Ottoman intellectual group, which grew and developed during the second half of the nineteenth century, sought to reform the declining status of the Ottoman Empire relying on the Western model, The science and modern scientific theories were the most prominent that attracted them despite all the materialism and distance from religious and spiritual values. At the same time, the Ottoman thinker was a Muslim who carried a religious heritage and

Islamic values that had been instilled in him since his childhood, and grew up on it, and the society in which they lived and wanted to accept the sciences was a Muslim society, adhered to its religion, rejecting everything that might conflict with it. All of this had an impact on religion being present alongside science in the writings of many Ottoman thinkers in an attempt to bring them closer together and find a societal acceptance of modern sciences.

Through this research, we tried to identify the approach adopted by the modern intellectual group in achieving the convergence of religion and modern sciences to make it acceptable to the Ottoman society through several models from the modern intellectual group that varied in the amount of their attraction to modern sciences and their adherence to their religious values, Through their writings, they reflected an important aspect of intellectual life debates in the Ottoman Empire at the end of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, in which religion and science were the most prominent vocabulary.

Keywords: Ottoman State, Intellectual group, Religion, Science

مدخل:

شهدت الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تغيرات كبيرة في اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، صاحبها ونتج عنها ايضا ارتفاع متزايد في النقل الكمي والنوعي للفئة المثقفة الحديثة التي قادت النهضة الفكرية في الدولة العثمانية وسعت الى احداث تغيير في الواقع العثماني من خلال تبني قناعات وافكار جديدة بالسير على خطى الغرب الاوربي بصورة احدثت ثورة فكرية في الدولة العثمانية (Gibb, 1964, p.20)، فمع ان التوجه للغرب في الدولة العثمانية كان لأخذ التقنية المتقدمة فقط، الا ان الاحتكاك بأوروبا كان له اثره في تسرب الفكر الاوربي الى النخبة العثمانية وبروز مجموعة من المفكرين العثمانيين ممن قدموا فكرا جديدا للمجتمع العثماني كان مصدره الغرب الاوربي ضمن جهودهم لتغيير واقع الدولة العثمانية نحو مجتمع اكثر تطورا وقوة.

ادخل المثقف العثماني الكثير من الافكار الجديدة من الغرب الاوربي الى الدولة العثمانية، امتد تأثيرها لمختلف جوانب الحياة فيها سواء كانت سياسية او اجتماعية او حضارية وحتى اقتصادية، تعارض جانب غير قليل منها مع قيم مجتمعه التي شكل الدين الاسلامي عمادها، ولم يكن المثقف العثماني بعيدا عن ذلك التعارض في فكره مثلما في مجتمعه، فعموم المفكرين العثمانيين كانوا مسلمين نشأوا في بيئة اسلامية وتربوا على قيم المجتمع الاسلامي، ومعظمهم بدأ تعليمه في المدارس الاسلامية، بالمقابل فان اكثر ما انجذب اليه وتأثر به في الحضارة الغربية كان العلوم والنظريات العلمية الحديثة بكل ماديتها وابتعادها عن الغيبيات والقيم الروحانية، ليشكل الدين والعلم ابرز مفردتين في الحياة الفكرية في الدولة العثمانية في المرحلة المتأخرة.

١- انفتاح المثقف العثماني على العلوم والنظريات العلمية الحديثة.

كان الانفتاح على العلوم الغربية جزءا اساسا من انفتاح المثقف العثماني على كل ما هو غربي ضمن محاولاتهم لإنقاذ الدولة العثمانية من التخلف والضعف بحكم قناعتهم ان السبب وراء تقدم الدول الاوربية وتراجع الدولة العثمانية هو العلم، فكتب احد مثقفي الدولة العثمانية ان "العلوم والتقنية المتقدمة هي التي قادت الدول الاوربية الى اعلى قمم الحضارة والقوة" (Quoted in: Yalcinkaya, 2010, pp.138-139)، وهو ما اكده ضياء باشا (١٨٢٩-١٨٨٠) احد ابرز مفكري الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر متمما بحسرة بادية "بينما يكمن الجهل والغفلة وراء تخلفنا" (نقلا عن: اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٧٥).

مع ان التوجه نحو العلوم والمعارف الغربية بدأ في مرحلة مبكرة تعود الى اواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فان هذا التوجه أخذ شكلا واضحا ومنظما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فظهرت العديد من المؤسسات العلمية كان اولها جمعية "انجمن دانش" (مجلس العلم) التي بارك شيخ الاسلام تأسيسها وجرى افتتاحها باحتفال مهيب في الثامن عشر من تموز ١٨٥١ (احسان اوغلو، ١٩٩٩، ص ٥٨١-٥٨٢)، وكانت مهتمة بتقديم المحاضرات العامة ودعم التأليف في الشؤون العلمية علاوة على تهيئة الكتب الخاصة بالتعليم (İhsanoğlu, 1994, ss.2168-2170)، تبعتها بعشرة اعوام تأسيس "الجمعية العلمية العثمانية" التي اصدرت اول مجلة علمية في تاريخ الدولة العثمانية حملت اسم "مجموعة فنون" (İhsanoğlu, 1994, s.2170)، وتجدر الاشارة الى ان كلمة فنون استخدمت في الدولة العثمانية بمعنى علوم، صدر العدد الاول من المجلة في تموز ١٨٦٢ (مجموعه فنون، نمر ١، محرم ١٢٧٩)، وهدفت الى تعريف قراءها بالعلوم والنظريات العلمية الحديثة بأسلوب ميسر وواضح، فأوردت في احد اعدادها الاولى بانه "من المعروف ان الفهم الصحيح للمسائل الخاصة بالعلوم الطبيعية يعتمد على المشاهدة للتجارب اللازمة. لذلك سنقدم عدد من التجارب ونعمل على استخدام مصطلحات بسيطة قدر الامكان حتى يكون فهمها متيسرا للجميع، فمن المؤكد ان لذلك تأثيره الكبير على توسيع معارف الناس وتقدم العلم" (مجموعه فنون، نمر ٤، ربيع الاخر ١٢٧٩، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ Yalcinkaya, 2010, p.128). وضمت الجمعية والمجلة بين صفوفها شخصيات بارزة من كبار موظفي الدولة بما في ذلك عدد من الوزراء والسفراء، وهو مؤشر على الحماس العالي للعلوم والمعارف الحديثة بين اوساط النخب العثمانية (Mardin, 1962, pp. 238-234).

امام تزايد الاهتمام بالعلوم الحديثة، ازداد عدد الجمعيات العلمية التي اخذ بعضها طابعا تخصصيا مثل الجمعية الطبية العثمانية عام ١٨٦٥، والجمعية العلمية ١٨٧٩، وجمعية اتحاد الصيادلة العثمانيين عام ١٩٠٨، وجمعية المهندسين العثمانيين ١٩١٣ وجمعية المعارف التركية ١٩١٣ وغيرها

من الجمعيات التي صاحبها ظهور عدد من المجالات كانت الموضوعات العلمية هي الصفة الغالبة عليها، مثل "جريدة طبية عسكرية" التي صدرت عام ١٨٧١، "مجموعة" عام ١٨٧٣، "خزينة اوراق" بدأت في العام ١٨٨١، "كواكب العلوم" ١٨٨٦، "خزينة فنون" في العام ١٨٩٣، "ثروت فنون" و"معارف" و"علوم" عام ١٩٠٨، و"معلومات" عام ١٩١٨ وغيرها من الصحف والكتب الموسوعية التي عكست مدى الاهتمام في التعرف على كل العلوم والمعارف الغربية (احسان اوغلو، ١٩٩٩، ص ٥٨٢-٥٨٧؛ Nisanci, 2015, p,203).

صاحب تزايد مكانة العلوم الحديثة استهانة واضحة بأشكال المعرفة التقليدية التي وصفها عدد من المفكرين العثمانيين بعديمة الفائدة، بالمقابل سعوا الى فهم وتوضيح كل شيء من خلال العلوم الحديثة، فجعل ضياء باشا العلم اساس الوجود الانساني وشرطا له ايضا (Okay, 1969, s.26). وسادت بين النخبة العثمانية المثقفة دعوة الى التخلي عن "الاحلام الشعرية" في الادب العثماني وتبني الاتجاه الواقعي الذي يستند الى الحقائق العلمية (Kuşcu, 2017, pp.238-239)، وفي هذا الصدد كتب احد المثقفين العثمانيين "مع اني افضل الادب على جميع انواع العلوم، فانا اقول: ان زمن الخيال قد ولى وبدأ عصر الحقيقة... ما من رواية بإمكانها الحفاظ على الوجود البشري... وما من شاعر يستحق الثناء مثلما يستحقه عالم نجح في تحقيق المنفعة وابعاد الضرر مثل باستور... اسمحو لي بالاستمرار في الحديث عن الزهور والفراشات وحتى السعال القوي الجاف لفتاة مصابة بالسل، اخبروني يا اصدقائي الشعراء بماذا يمكن ان اجيب اذا سألني عالم عن النوع الذي تنتمي اليه الزهرة، او ما الذي يمكن رؤيته في اجنحة الفراشات تحت المجهر... او حتى ما هي اسباب السعال" معلنا ان الزمن زمن العلم (Yalcinkaya, 2010, p.289).

دفع الايمان بالعلم ومكانته عدد من الابداء العثمانيين الى استخدام تعابير او نظريات علمية لعلوم صرفة، مثل الفيزياء والكيمياء، في طرح افكارهم فكتب الاديبي والصحفي العثماني ابراهيم شناسي (١٨٢٦-١٨٧١) مثلا بان اشعة الشمس هي التي تحدث الألوان وان الضوء يخترق الاجسام الشفافة، وحاول في اشعاره المقارنة بين عقلي الصدر الاعظم رشيد باشا والعالم الشهير نيوتن، كما تحدث الاديبي والسياسي العثماني نامق كمال (١٨٤٠-١٨٨٨) في احد اشعاره عن الطاقة الموجبة والسالبة في الصواعق (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٧٨). وناقش عدد من مثقفي المرحلة، بمنهج علمي صرف، تكوين الارض ونشأة الخليقة (Yolun, 2017, p.74). وسعى اخرون الى نشر تجارب مبسطة عن القوة الكهربائية وعن بعض المركبات الكيميائية (مجموعه فنون، نمر ٤، ربيع الاخر ١٢٧٩، ص ٢٥٨-٢٥٩)، ووصل تأثير العلوم الحديثة عند المفكرين العثمانيين حد القناعة بان كل جوانب الحياة يمكن ان

تنظم وفق العلم وبموجبه، وعبر مفكر عثماني في قصيدة له بعنوان "القرن التاسع عشر" عن قناعته بان المستقبل لا بد ان يستند الى العلم، مستخدما مفردات غريبة على مجتمعه وحتى غير مفهومة:

"ان نور الادراك قد حقق قمة الكمال

العديد من الامور المستحيلة صارت ممكنة

...

الوقت وقت التقدم والعالم عالم العلم

فهل من الممكن دعم المجتمع بالجهل" (Hanioglu, 2005, pp.32-33).

صاحب التأثير بالعلم والتأكيد على اهميته اعتراف النخبة المثقفة في الدولة العثمانية بالقصور في مجال العلم، لذا توجه المثقف العثماني نحو الجانب المتفوق علميا المتمثل بأوروبا، وكان لتوجهه هذا اثرا فاعلا في زيادة تمسكه بالعلم وكل ما ارتبط به من نظريات علمية وفلسفية حديثة، فأوروبا التي وجه اليها المثقف العثماني انظاره خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان الجو العلمي هو الجو المسيطر عليها، وهو الذي جذب المثقف العثماني الذي بحث في العلم عن واقع افضل للدولة العثمانية وحلولا لمشاكلها.

كانت المادية، التي احتلت اهمية كبيرة بين الاوساط الثقافية الاوربية في تلك المرحلة، من اكثر ما انجذب اليه المثقف العثماني، ووجدت افكارها مجالا رحبا في المدارس العثمانية الحديثة خصوصا العلمية منها، وكان الطبيب والفيلسوف الالماني لدوينغ بوخنر (Ludwig Buchner 1824-1899)، ابرز دعاة المادية العلمية، هو الاقرب اليهم بين المفكرين الماديين، فعمدوا الى ترجمة كتاباته الى التركية، واعتقدوا انهم عثروا في كتاباته على نظرية عملية تجعلهم قادرين على احداث تغيير حقيقي في مجتمعهم، واتشدوا بقوة الى تركيز بوخنر المنصب على العلم بالدرجة الاساس، واكد عدد من المفكرين العثمانيين بانه من خلال السير على نهج بوخنر سيحقق العلم الاكتشاف السريع لكل الامور الغامضة على العقل البشري، وانه بتطور العلم سيكون حتى بالإمكان اكتشاف وفهم كل ما لا يمكن رؤيته او تفسيره (Yücebaş, 1960, s.7; Mardin, 1992, s.228-229).

الى جانب بوخنر كان هناك علماء وفلاسفة اخرون ونظريات علمية اثرت بقوة على المفكر العثماني من بين ابرزها نظرية النشوء والتطور لتشارلز داروين (Charles Darwin 1809-1882) التي عدوها وسيلة مهمة لفهم الواقع بشكل عام، وواقعه في الدولة العثمانية على وجه الخصوص (Karpuzcu, 2008, pp.41-42)، حتى انهم سعوا الى تطبيقها على واقعه الاجتماعي من خلال التأكيد على ان "قانون النشوء المطبق على الظواهر الطبيعية يرتبط بالظواهر الاجتماعية، ويؤمن التقدم بالاعتماد على من هم الأصحح والأنجح في محيطهم" (Hanioglu, 1995, p.22).

شكلت الوضعية، التي ركزت على أهمية تنظيم المجتمع على أسس علمية بعيدا عن الغيبيات، وفهم كل شيء في الحياة من خلال العلم (بريل، ١٩٥٢)، الفكر الأقوى والأوسع تأثيرا بين صفوف المثقفين في الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان اول من سعى الى تعريف الدولة العثمانية بالوضعية هو مؤسس الفلسفة الوضعية نفسه اوگست كومت (Auguste Comte) (1798-1857)، وذلك في خمسينات القرن التاسع عشر حينما قام بأرسال رسالة مطولة الى الصدر الأعظم في الدولة العثمانية مصطفى رشيد باشا، شرح فيها الفلسفة الوضعية مؤكدا انها لا تتعارض مع الدين الإسلامي، وبعد حوالي عشرين عاما، وتحديدا في العام ١٨٧٧، توجهت مجموعة من كبار الوضعيين بزيارة الصدر الأعظم للدولة العثمانية مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤) للتعريف بالوضعية وتوجهاتها، والذي ابدى انفتاحا واضحا تجاهها (Kabakci, 2008, s.43). وبالفعل بدأت تأثيرات الوضعية والدعوة لها تظهر من خلال كتابات المفكرين العثمانيين، ومنهم احمد مدحت (١٨٤٤-١٩١٢)، الذي كتب مقالات عن الوضعية في العديد من المجالات العلمية، وايضا كتابا حمل اسم "بن نه يم" (انا من) الذي صدر عام ١٨٩١، ثم اعاد اصداره باسم "حكمت ماديه يه مدافعه" (الحكمة في الدفاع عن المادية) عرض خلاله افكار مادية ووضعية بشكل أولي (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٨٦)، وهنا لا بد من التأكيد على ان المثقفين العثمانيين في تلك المرحلة، لم يكن لديهم تمييز واضح بين المادية والوضعية، فالمادية كما فهموها ترى ان الموجودات تتمثل بالمادة، ولا شيء يعلو على المادة او على الطبيعة، اما الوضعية ففهموها ان العالم يدرك بالحواس وحدها، ولا وجود لحقيقة بصورة كائن او حادثة خارج المشاهدة والتجربة، اي نفي اي وجود للإلهيات او الغيبيات، بالنتيجة لم يكن هناك فارق كبير بين المادية والوضعية في نظرهم، فالأولى تتجه نحو عالم مادي محض، بينما تقدم الثانية المنهج الذي يمكن السير عليه للوصول الى مثل ذلك العالم (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٨٥-٢٨٦).

ربما النموذج الأبرز بين أصحاب الفكر المادي الوضعي من المفكرين العثمانيين هو بشير فؤاد (١٨٥٢ - ١٨٨٧) الذي وصف بـ "العثماني الوضعي الأول"، وكان لأفكاره وطروحاته تأثيرا كبيرا على الشباب العثماني في تلك المرحلة. تخرج بشير فؤاد من المدرسة الحربية التي كانت معروفة، بحكم عوامل عديدة، بالانفتاح على العلوم الحديثة والعديد من التيارات الفكرية، وخدم ضابطا في صفوف الجيش العثماني، وكان يمتلك ثقافة غنية بالعلوم الغربية تفوق بها على معاصريه من المثقفين العثمانيين، وأجاد الإنكليزية والفرنسية والألمانية، بينما كانت ثقافته الشرقية متواضعة جد لدرجة انه لم يكن يفهم الآيات القرآنية الا من الترجمة الفرنسية (Poyraz, 2010, p.57). في الثانية والثلاثين من عمره تحول بشير فؤاد من الميدان العسكري الى حقل العلوم ودراسة الطب وعلم الفسلجة، وخلال سنوات قليلة، لا تتجاوز الأربعة، قدم عشرين كتابا ومئتي مقالة في مجالات متنوعة لاسيما العلمية، وترجم الكثير من المؤلفات

الغربية التي كان يهدف من اختياره لها تعزيز مكانة العلم بين العثمانيين (-63, 1969, Okay, See: 67)، مبتعدا عن ما مال اليه عموم أبناء جيله من تقديم تبريرات لدراساتهم العلمية من خلال الإشارة ضمنا او صراحة للموروث الإسلامي (Poyraz, 2014, p.1).

اسهم بشير فؤاد بشكل واضح في نشر الفكر الوضعي بين أبناء جيله من المثقفين العثمانيين، واكد في كتاباته على ان الوصول الى الحقيقة يكون من خلال التجربة وتحقيق التواصل بين عقل الإنسان والأشياء المادية، والشئ الذي لا يخضع للتجربة لا يمكن ان يكون حقيقة والغيبيات ما هي الا أوهام ظهرت في مرحلة من تاريخ البشر قبل معرفته بالحقائق العلمية، ودعا الى اعتماد الواقعية وإخضاع كل شئ في الحياة لمبدأ التجربة (Cankara, 2004, s.80-92)، بما في ذلك الكتابات الادبية من رواية وشعر، والتي آمن انها يجب ان تكون واقعية مستندة الى الحقائق (Kuşcu, 2017, s.337). وفي الخامسة والثلاثين من عمره قرر ان يتعامل مع حياته على انها تجربة يحقق من خلالها التواصل بين العقل والأشياء وصولا الى الحقيقة حسب تصوره، واختار الطريق الأصعب والأغرب ضمن اي مقاييس، ففي الخامس من شباط ١٨٨٧ اقدم على الانتحار، جاعلا من موته "تجربة علمية" يثبت بها ان الحياة ليست اكثر من ظاهرة علمية، حسبما صرح في رسائل وجهها الى أصدقائه ومعارفه، فقام بعد التخدير الموضوعي بقطع شرايينه في اربع اماكن من جسمه مستخدما شفرة الحلاقة لتحديد القطع بعناية بحيث لا تؤدي الى الوفاة السريعة، وترك ملاحظة الى الشرطة بان لا تزج زوجته او اي من أفراد أسرته بإجراء تحقيق جنائي (Poyraz, 2014, p.1)، وبكل هدوء قام بتدوين كل ما مر به واصفا كل مشاعره وإحساسه بما خص الجسم ووظائفه الى لحظة الوفاة، وكان مما كتبه "أجريت عمليتي ولم اشعر باي ألم، إحساس طفيف فقط بسبب النزف... لا استطيع ان أتخيل اي ميتة اجمل من هذه، لمساعدة الدم على التدفق رفعت يدي للأعلى. بدأت افقد الوعي" (Mithat Efendi, 1996, s.31)، وامعانا في توجهه ودعم طريقة تفكيره، اوصى بتقديم جسده الى كلية الطب لإجراء الابحاث العلمية عليه (Poyraz, 2014, pp.1-2).

تركزت تلك الافكار اثرها في جيل فاعل من المثقفين الذين كانوا ميالين في الاساس للمنهج العلمي واهمية العلم في الحياة، فبعد عشر سنوات على وفاة بشير فؤاد كتب مثقف عثماني في احدى الصحف الرائجة محاولا إبراز مكانة العلوم الحديثة والتأكيد على اهميتها بتقديمه جوابا في صيغة سؤال، مستكرا من خلاله كل من حاول التقليل من مكانة العلوم، "هل يمكن ان يكون لنا رأس مال افضل من اكتساب العلم والمعرفة؟ من اجل ان يكون المرء راضيا في هذا العالم يجب ان يتعلم كل المعارف بشكل مثالي... في هذه الظلمة الحالكة التي تسمى الحياة، فان العلم فقط هو الشمس الساطعة التي تنير للإنسان انسانيته ونفسه وعالمه كله" (Quoted in: Yalcinkaya, 2010, p.298).

٢- المفكر العثماني بين المعتقدات الدينية و العلوم الحديثة :

شكلت العلوم والنظريات العلمية الحديثة، بكل الرواج الذي وجدته في الدولة العثمانية، عالما مختلفا بالكامل عن المخزون الثقافي والحضاري للمثقف العثماني الذي كان الدين الاسلامي طاغيا على كل تفاصيله وشكل الطابع العام له، وهو ما تسبب في هزة للمعتقدات الدينية لكثير من المثقفين العثمانيين الذين حاولوا فهم الحياة باعتماد المرجعية العلمية عوضا عن الدينية.

بدأت مظاهر وانعكاسات هذه الهزة متواضعة بالإمكان تلمسها مع بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر، اذ ظهر توجه جديد في العديد من الكتابات عكست تأثير العلوم في طريقة الاعتقاد الديني التي كانت سائدة قبل ذلك التاريخ، فابراهيم شناسي مثلا رفض ان يكون ايمانه مرتبط بالقلب او المشاعر بل هو موضوع مرتبط بإدراكه العقلي ف "ارادة القلب يديرها العقل بالرووس... بعقلي وجبت شهادتي على وحدانية ذاتك" (اوقاي، ١٩٩٩، ٢٨٠)، اما ضياء باشا الذي تأمل مظاهر الكون والكائنات في ضوء المعارف والعلوم الاخذة بالانتشار بين الفئة المثقفة العثمانية في تلك المرحلة فانه رفض التسليم للعقل او لتفسير علمي وفضل الاحتفاء بعبارة دينية "سبحان من تحيرت في صنعه العقول" (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٨١)، ومع تمسك نامق كمال بالطرح الديني والتعابير الاسلامية لكل الافكار الجديدة التي قدمها للمجتمع العثماني، فقد بدى تعامله مع الدين الاسلامي وكأنه نظام حياة اكثر من كونه مسائل عقائدية (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٨٣)، في حين عبر السياسي والصحفي العثماني علي سعاوي (١٨٣٩-١٨٧٨) عن اعجابه الصريح بالعلوم والنظريات العلمية مشددا انه لا يوجد بينها ما يشكل تحديا للإسلام او تعارضا معه ف "ولا الف بوختر بإمكانهم ان يشكلوا تحديا للإسلام" بل ان المشكلة تكمن في من يعتقد تلك العلوم وبيتعد عن الاسلام (Hanioglu, 2005, p.31).

عكست عبارة سعاوي ملمحا لنقاش فكري اخذ بالظهور في الدولة العثمانية شكل الدين والعلم اساسا له، فمع تزايد رواج العلوم الحديثة بين المثقفين العثمانيين، كان هناك في المقابل مجموعة كبيرة من خريجي المدارس والكتاتيب الدينية تمسكوا بالثقافة التقليدية ورأوا في التوجه نحو العلوم الحديثة خروجاً عن الحضارة الاسلامية وانحرافا عن الدين الاسلامي، واتهموا كل من تبني الفكر الوضعي او المادي بالإلحاد، وهو ما حاول مثقفو الجيل الاول من المفكرين العثمانيين الساعين لنشر العلوم الحديثة تجنبه من خلال الابتعاد عن نشر كل ما يمكن ان يكون له مساس بالدين او يثير اي حساسية دينية انطلاقا من معرفتهم بواقع مجتمعاتهم والمكانة التي تمتع بها الدين الاسلامي فيه، حتى ان عدم نشر اي شيء يمكن ان يثير جدلا دينيا كان نصا صريحا في لوائح الجمعية العلمية العثمانية (Poyraz, 2010, p.42). وساهم في تأجيل تصاعد حدة النقاش الفكري ان مفردة "علم" في الدولة العثمانية كانت تستخدم لوصف الكتابات الدينية والعلمية على السواء، وايضا الموقف الترحيبي الذي ابداه الكثير من علماء الدين

لاكتساب المعارف والعلوم الحديثة منطلقين من موقف الدين الاسلامي المشجع على اكتساب المعرفة (Senturk, 2007, p.288).

غير ان الوضع ما لبث ان انفجر حتى غدت النقاشات بين المدافعين عن العلم والمدافعين عن الدين هي الجو المسيطر على الواقع الفكري في العهد العثماني المتأخر، ساعدت عليه سياسة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) الداعمة لنشر التعليم والعلوم الحديثة بعيدا عن الكتابة بكل ما له علاقة بالسياسة التي كان يتعقبها نظام الرقابة الحميدي، فركزت عموم المنشورات التي ازاد عددها خلال عهده الى اكثر من الضعف على العلوم والنظريات الحديثة، بالمقابل شهد التعليم الديني والكتابات الدينية خلال نفس المرحلة اهتماما كبيرا، فتم فتح الكثير من المعاهد الدينية دعما للسياسة الدينية التي تبناها وتعزيزا لسلطته بوصفه خليفة للمسلمين، وحرصت الدولة على ترجمة الكثير من المؤلفات الدينية الكلاسيكية عن العربية والفارسية ونشر الكثير من المطبوعات الدينية بطريقة لم تشهداها الدولة العثمانية طوال تاريخها (Shaw and Shaw, 2002, p.252; Karpuzcu, 2008, pp.39-40).

بالنتيجة تركزت المطبوعات في زمن السلطان عبد الحميد الثاني على الموضوعات العلمية والدينية، ونشط النقاش حول مواضيع تخص التعارض بين الدين والعلم، فعارضت مجموعة المحافظين، يتقدمهم شيخ الاسلام وخريجوا المدارس الدينية، التوجه الجارف نحو العلوم الحديثة وحاولوا تنفيذ النظريات العلمية ووجهوا اتهامهم لكل من اعتنق المادية او الوضعية بالكفر، وسعى بعضهم، في محاولات ضعيفة، الى تقديم كتابات تدحض النظريات العلمية الحديثة من منطلقات دينية بحتة (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٩١)، واستنكر اخرون على انصار العلم تكرارهم بان بالإمكان معرفة كل شيء من خلال العلم، فمثلا كتب احدهم بلغة دينية غلبت عليها العاطفة: "هل يمكن اكتشاف سر الله تعالى؟ يا الهي! يا لها من جرأة، يا له من تمرد! انت يا جاهل العلم تاجر البدع!... الله اكبر واحسرتاه" (Quoted in: Yalcinkaya, 2010, p.283)، ورفض اخر القبول بعلوم اهانت الانسان الذي كرمه الله وجعلت نوعه مساويا للحيوان وحتى اقل، واكدوا بالعموم على قصور العلم، مهما بلغ من التطور، عن فهم الكثير من الامور منها بداية الكون وحقائق الخلق وان كل ما قدموه لا يتعدى الافتراض، وتعدى على الدين (Yalcinkaya, 2010, p.282).

بالمقابل تمسكت عموم الفئة المثقفة الحديثة بالتفسير العلمي لكل ظواهر الحياة واعتمدوا العقل والمنطق في فهمها، فالى جانب تأكيدهم على انهم مسلمون متمسكون بعقيدتهم هاجموا ما وصفوه بالخرافات والشعوذة من عادات منتشرة في المجتمع والكثير من المعتقدات التي رأوا فيها عائقا للتطور وكل ما يمكن ان يدعمها في المجتمع العثماني بما في ذلك الطرق الصوفية او المؤسسات الدينية، بل وعدوها العدو الحقيقي للدولة العثمانية، ووجد ذلك النقاش مجالا رحبا بعد ثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨،

في ظل هامش الحرية المتاح ودعم السلطة لتغيير الاوضاع في الدولة العثمانية، فكتب احد المثقفين العثمانيين "ان عدو الاسلام... هنا بيننا- في الكتابات وفي دائرة شيخ الاسلام... اننا متمسكون بالاسلام" ولكن "كيف يمكن استعادة حيوية هذا الدين العظيم مع وجود شيوخ الاسلام هؤلاء... ومع هذا الجيش من المتصوفة المتشردين الذين تنحصر افكارهم عن الدين بالحوار العيين والغلمان في الجنة... ان الاسلام دين حرم الافعال التي يمارسها هؤلاء من الكذب وارتكاب الفواحش، ان الاسلام دين يجلب السعادة والنجاح وليس الفشل والتعاسة... لقد اكتفينا من الحديث عن الحياة ما بعد الموت لكل هذا الوقت، من الان فصاعدا دعوني احدثكم عن عالمنا هذا، ان المسلم لا يحتاج اوهاما بل حقائق" (Berkes, 1964, p.378).

على الرغم من ذلك فان الفصل بين المجموعتين المحافظة والحدائوية لم يكن بتلك الصرامة، فكان بين من وصفوا بالمحافظين من تأثر بالعلوم والنظريات الحديثة، فمثلا احمد مدحت الذي صنف ضمن مجموعة المحافظين كان له الكثير من الكتابات التي تحدثت عن العلم، وخصص احدى مؤلفاته للنظرية المادية، كما ان لديه كتابات عن الداروينية التي كان يردد بانها لا تحوي ما يناقض الاسلام او يتعارض معه، وكان يميل الى نقل كل ما حصل عليه من معلومات علمية، ولم يتردد عن حشوها في كتاباته الادبية (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٧٩، ٢٨٦). شاركه في توجهه العديد من الشخصيات العثمانية ممن وصفت بالمحافظة ضمن توجه رسمي سعى الى تحقيق تناغم بين الدين والعلم حماية لسلطة الدولة التي سعت الى كسب انصار العلوم الحديثة، مثلهم مثل المحافظين، الى صفها (Yalcinkaya, 2010, pp.229-230).

اما المجموعة الحدائوية التي تبنت العلم وتمسكت به، فكانوا عموما من المسلمين الذين تربوا في بيئة اسلامية، حتى وان تواضعت المعلومات الدينية لعدد منهم، حرص كلهم على اظهار الاحترام للإسلام وعدم المساس به، ابرز مثال لهم هو بشير فؤاد، فرغم توجهاته العلمية حد التطرف، وتقديمه للعلم اسلوب تفكير وحياة، كان حريصا على ان لا يتطرق لأي شيء ممكن ان يفسر بانه ضد الدين الاسلامي، وحتى عندما كان يهاجم التعصب الديني وتأثيره على تقدم العلوم كان يختار عن عمد التحدث عن الديانة المسيحية وليس الاسلامية (Poyraz, 2010, p.77)، كما ان احمد رضا (١٨٥٨-١٩٣٠) احد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي ومن ابرز انصار الوضعية ومن اسباب انتشارها بين المثقفين العثمانيين، والذي اتهم بسبب قناعاته بالمروق عن الدين الاسلامي، كان مؤمنا بالعقيدة الاسلامية وجل اعتراضه كان منصبا على النظام الدنيوي المرتبط بالدين (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٩٠)، وكان يتحدث عن الدين الاسلامي باحترام واضح، فمثلا أشار في احدى كتاباته الى ان الدين الاسلامي يمثل "مجموعة الفضائل والحقائق التي نادى بها كل رسل الماضي" (نقلا عن: النفراوي، ٢٠٠١، ص ١٧٤)، وناقش

توافق الاسلام مع الفرضيات والافكار الوضعية، لا سيما ما خص التأكيد على التقدم واتحاد المجتمع، مؤكدا على ضرورة واهمية الدين الاسلامي للمجتمع (Karpuzcu, 2008, p.77)، وشدد على ان معظم سكان الدولة العثمانية هم من المسلمين، وبانهم "مسلمين صادقين ومؤمنين يفون بواجباتهم الدينية. فالدين في الامبراطورية التركية هو اساس من اساس المجتمع ما زال يؤثر تأثيرا بالغا في اقدار الشعب" (النفراوي، ٢٠٠١، ص ١٧٤)، ومع ان استخدامه لكلمة "ما زال" توحى بالتحفظ والرغبة بالتغيير جزءا من اعتراضه على المؤسسات التي ارتبطت بالدين الاسلامي، فإنها عكست فهمه لمكانة الدين في المجتمع العثماني. وهو ما اتفق عليه معظم الشخصيات البارزة بين مفكري المرحلة، مثل صالح زكي (١٨٦٤-١٩٢١) ورضا توفيق (١٨٦٨-١٩٤٩) وحسين جاهد (١٨٧٤-١٩٥٧)، فكلهم كانوا من انصار الوضعية، امنو بأهمية العلوم وحيوية المشاهدة والتجربة في الحياة العلمية، ورفضوا الخوض في المسائل الدينية او الغيبيات، وكان الجميع مهتما بان ينفي عن نفسه اي اتهام او شبهة بالكفر (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٩١).

دفع هذا الادراك الكثير من المفكرين العثمانيين الى العمل على التقريب بين الدين والعلوم الحديثة وخلق قناعة جماهيرية الى التوافق بينهما، وايجاد فهم جديد للدين الاسلامي تحت وصف "الإسلام الحقيقي"، بعيدا عن كل ما الحق به من "تشوهات"، ومع ان قسم من أولئك المفكرين تحرك من منطلق نفعي باستخدام الدين لتقريب العلوم الحديثة وجعلها مقبولة لدى عموم العثمانيين، فان قسما اخر منهم انطلق من قناعات دينية صادقة، وبالنتيجة صبوا في اطار التقليل من حدة النقاش حول التعارض بين العلم والدين.

٣- محاولات المفكرين العثمانيين التقريب بين الدين والعلم

تركزت جهود العديد من المفكرين العثمانيين في التقريب بين الدين والعلم وردم الهوة التي شعر بها الكثير من العثمانيين بتأثير كل النقاشات التي سادت في الدولة العثمانية اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ووصمة الالحاد التي لحقت كل من اعتنق الفكر المادي او الوضعي، وبرزت في هذا المجال مجموعة من الشخصيات الفكرية التي اشتركت في الهدف واختلفت في المنهج، ربما كان عبدالله جودت من اشهرها.

يعد عبدالله جودت (١٨٩٦-١٩٣٢) واحد من ابرز الشخصيات الفكرية والسياسية في المرحلة الاخيرة من تاريخ الدولة العثمانية والمرحلة الاولى من الجمهورية التركية، وكان احد المؤسسين لجمعية الاتحاد الترقى عام ١٨٨٩ وواحدا من ابرز قادتها قبل ثورة ١٩٠٨ (عن نشاطه الساسي انظر: عبد، ٢٠١٠، ص ٣٥١-٣٦٠). ولد جودت في اسرة متدينة شكلت المكان الاول لتعلمه الدين الاسلامي، وتلقى تعليمه الاول في مدرسة دينية التحق بعدها بالمدرسة الابتدائية. في الخامسة عشر من عمره غادر

مدينته معمورة العزيز شرق الاناضول الى اسطنبول لإكمال دراسته في الاعدادية الرشدية العسكرية حيث تعلم الفرنسية واجادها، وعند التحاقه بالكلية الطبية العسكرية عام ١٨٨٩ كان ملتزما دينيا وله الكثير من الكتابات والاشعار الدينية التي عكست احساس المسلم ومشاعره الدينية الصادقة، فكتب واصفا مكانة الدين الاسلامي في نفسه:

كل يوم الحب يكبر ويدخل الى اعماقي اكثر

هذا الدين بالنسبة لي الأرقى الأجل الحقيقي اكثر (Yücebaş, 1960, s.5).

كما كتب قصائد كثيرة في حب الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام، منها قوله:

انت النجم الساطع الذي يشع في جنة الإسلام

انت السبب الحقيقي للخليفة (Quoted in: Hanioglu, 2005, p.39).

شكل دخول عبدالله جودت للكلية الطبية مرحلة فاصلة في حياته، فتغيرت أفكاره واختلفت طريقة رؤيته للأمور بتأثير الأجواء العلمية في الكلية والفارق الكبير الذي شعر به بين قناعات نشأ عليها وعلوم انفتح عليها، وهو ما شكل هزة كبيرة لمعتقداته الدينية اعترف بها بنفسه واصفا المرحلة قبل الكلية الطبية بماضيه البريء الذي اعتاد خلاله ارتياد جوامع اسطنبول حاملا القرآن بيده والايمان في قلبه، موضحا كيف ان كثيرا من قناعاته كانت تتعارض مع الحقائق العلمية التي عرفها وامن بها خلال دراسته في الكلية الطبية والتي جعلت منه انسانا يصعب عليه ان يفكر بنفس الطريقة التي كان عليها قبل دخوله الكلية (Alpay, 2007, p.117). وعن تأثير الكلية الطبية عليه كتب عبد الله جودت:

العلم والمنطق هما مشعلاني في طريق فهم بواطن الامور

اسرار الكون تم حلها بفضل العلم

اسرار الخليفة والحياة صارت واضحة لي

كليتي الطبية هي مدرسة تنوير (Quoted in: Hanioglu, 2005, p. 57).

بتأثير الاجواء الجديدة، وبعد ستة اشهر فقط من كتابته لأبياته في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، قام بترجمة قسم من كتاب بوختر "المادة والقوة" (Matter and force) الى التركية اعطاء اسم "التأمل الفيزيولوجي" (Fizyolociya-i Tefekkür)، اراد من خلاله إيصال فكرة الاصل المادي للوعي الانساني مركزا اهتمامه على المادية البيولوجية بحكم توجهاته الطبية (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٨٨)، وفي السنة نفسها طبع مقالا عن العلاقة العلمية بين الدماغ والروح اشار فيه الى ان الانسان مثله مثل بقية المخلوقات يمتلك روحا اوجدتها المادة (Alpay, 2007, p.118)، تطور المقال لاحقا الى كتاب عن وظائف الدماغ في الانسان حمل اسم "الدماغ" (Ülken, 1966, s.391)، وتواصلت كتاباته حتى تجاوزت

السبعين كتابا بين تأليف وترجمة، كان للكتابات العلمية حصة الاسد بينها(Ülken, 1966, s.388-393; Çebi, 2010, s.53-57).

على الرغم من كل ذلك التحول في تفكير عبدالله جودت فقد ظل متمسكا بالدين الاسلامي، بل ان حديثه عن المادة بدى كأنه وجد صوفي، فكان يرى ان المادة هي الحقيقة الازلية ويفسرها بانها "الفناء في الله" (اوقاي، ١٩٩٩، ص٢٨٨)، الا ان تمسكه لم يكن نابعا من وازع ايماني بقدر ما هو مصلحة اجتماعية كما تصورها عبدالله جودت، اذ كان مقتنعا تماما بحيوية وضرورة الدين للمجتمعات، وان "المجتمع الانساني لا يمكن ان يحيا بدون دين" (Quoted in: Hanioglu, 2005, p. 42)، لكن الدين الاسلامي وفقا لقناعة عبدالله جودت بحاجة للإصلاح ليناسب حاجات المجتمع، وفي محاولته للإصلاح كما تخيله وتحقيق قبول المسلمين للعلوم الحديثة، سعى الى اعادة تفسير الدين بالاعتماد على المصادر الاسلامية الاصلية المتمثلة بالقرآن والسنة والمراجع الدينية المعتمدة، لكن برؤية جديدة، من هنا يمكن ان نفهم سبب اختيار مفردة "اجتهاد" اسما لجريدته التي حافظ على صدورها لسنوات طويلة امتدت مع بعض الانقطاعات من ١٩٠٤ (اجتهاد، نومرو ١، ١ ايلول ١٩٠٤)، وحتى وفاته عام ١٩٣٢ (İçtihat,, No.357, 15 November 1932.).

تمسك عبدالله جودت باستخدام لغة اسلامية في كتاباته للتقرب الى القارئ العثماني، ولم يتردد في ارتداء عباءة المجتهد لبلوغ غايته في تحقيق التناغم بين العلم والدين والوصول الى "دين علمي" كما تصوره هو (Mardin, 1992, s.229; Ayluçtarhan, 2007, p.113)، معربا عن قناعته ان الدين يخضع لقانون التطور مثل كل شيء في الحياة، وان العقيدة الاسلامية التي ورثها العثمانيون تعرضت لتشويه كبير بسبب ما قام به الحكام المستبدين من غلق باب الاجتهاد، مؤكدا ان افضل الطرق لإصلاح الدين الاسلامي هو العودة الى مصادر العصر الذهبي للإسلام زمن النبوة والخلافة الراشدة واعادة تفسيرها بروية عصرية (Ayluçtarhan, 2007, 112-123).

ضمن جهوده لأثبات ان العلم يتوافق مع الدين الاسلامي عمد جودت الى البحث في الصفات الالهية مشيرا الى انها كلها تأمر الانسان بالنشاط العلمي (Mardin, 1992, s.229)، وعمل على اعادة تفسير آيات قرآنية واحاديث نبوية وغيرها من المصادر الاسلامية لدعم فكرته، حتى لو كان تفسيره بعيدا تماما عن اصل النص وغاياته، فمثلا قوله تعالى "ولا تقف ما ليس لك به علم" (سورة الاسراء اية ٣٦) التي عدها مؤشرا واضحا على ان العلماء هم المؤمنون الحقيقيون، وحاول اسناد تفسيره باحاديث نبوية اكدت على مكانة العلماء، كما اشار الى المكانة التي اعطاها الاسلام للعقل وفسر الموضوع من منطلقات علمية خالصة، الاكثر انه كرر ان الدين الاسلامي يتفق تماما مع العلوم والنظريات العلمية الحديثة بما في ذلك المادية والداروينية، وقدم الحقائق العلمية على انها حقائق اسلامية، فاستدل بالحديث

النبوي "تداوا عباد الله، فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء" الذي قدمه على انه ملخصا لفلسفة العلوم الطبية الحديثة(جودت، ١٩١٢، ص ٦٤-٦٥)، وأشار الى قول الامام علي عليه السلام عن مضار ترك اكل اللحوم لأكثر من اربعين يوما على انه ملاحظة علمية سليمة عن العلاقة بين نشاط جسم الانسان واستهلاك البروتين(Hanioglu, 2005, pp.52-53).

يسرت الثقافة الدينية الجيدة لعبد الله جودت استخدام الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والموروث الفكري لعدد من المتصوفة والشعراء المشهورين في الفكر الاسلامي لإثبات الانسجام الكامل بين الدين والعلم(انظر: جودت، ١٩١٢، ص ٢٠-٥٠)، وحاول من خلال استناده الى مصادر دينية التأكيد على ان علماء مثل دارون وبوختر هم المتدينون الحقيقيون بما قدموه من منفعة للناس وجهود لنشر العلم والمعرفة بينهم، عكس الكثير من المسلمين الذين تسببوا في تراجع البشرية، في اشارة الى السلطان عبد الحميد الثاني (Hanioglu, 2005, p.54)، ووفقا له فان الطريق الى الله والجهاد في سبيله يتمثل في كل عمل يقود الى التقدم العلمي والتطور الحضاري (Bürüngüz, 2005, p.49). من هنا كان اساس هجومه على شيخ الاسلام والطرق الصوفية وعموم علماء الدين الذين حملهم مسؤولية تراجع العالم الاسلامي بوصفهم حجر عثرة امام التقدم العلمي بكل معارضتهم له(جودت، ١٩١٢، ص ٧٠)، ووفقا لعبدالله جودت فان "الاسلام الحقيقي" لا يعترف بهم او باي وساطة بين الانسان والله سبحانه وتعالى، وانتقد بشكل خاص علماء الدين العاملين ضمن مؤسسات الدولة وحملهم المسؤولية الاكبر في تراجع الدولة العثمانية(Bürüngüz, 2005, p.51).

ان هدف جودت بالظهور بدور المصلح والدفاع عن التوافق بين العلوم والدين تمثل بحرصه على نشر العلوم بين عموم الناس وقناعته ان افضل سبيل لذلك من خلال الدين، لذلك حرص على اظهار احترامه الواضح لكل الاديان، والدين الاسلامي على وجه الخصوص، وسعى جاهدا الى تجنب الخوض في مواضيع ممكن ان يفهم انها ضد الدين او تتعارض معه(Ayluçtarhan, 2007, p.170)، وحتى عندما كان يتهم بالخروج عن الدين كان يستعين بأدلة من القرآن والسنة للرد على مهاجميه(اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٨٨)، وتمكن من ان يحقق بعض النجاح خصوصا بين الشباب، لكن نجاحه بقي متواضعا في ظل المعارضة التي وجهت لكتاباتة بانها تسببت في ارباك عقول الشباب (Ayluçtarhan, 2007, p.190)، وما لبثت المعارضة ان تحولت الى هجوم عنيف بعد قيامه بترجمة كتاب المستشرق الهولندي رينهارت دوزي (R. Dozy) الى التركية تحت عنوان "اسلاميت تاريخ" (تاريخ الاسلام) وطبعه في القاهرة عام ١٩٠٨ (احسان اوغلو، ٢٠٠٦، ص ٢٦٨).

وصف عمل جودت بانه اول كتاب باللغة التركية تضمن نقدا صريحا للإسلام ولرسوله الكريم(Alpay, 2007, p.123)، زاد عليها المترجم بمقدمة مستفزة اعلن من خلالها تبنيه لما جاء في

الكتاب وانه بوصفه "مسلمًا تقيًا" سعى لتقدم "التاريخ الحقيقي" للإسلام لـ"اخوته المسلمين" (Ayluçtarhan, 2007, p.130)، وحاول ان يجعل الكتاب متوفرًا بسعر منخفض في عموم الدولة العثمانية واتاحة نسخ منه للقراءة في المقاهي والاماكن العامة (Bürüngüz, 2005, p.56)، كل ذلك اثار ضجة عنيفة على الكتاب جعلت عبدالله جودت غير قادر على دخول اسطنبول الا بعد اربع سنوات من صدوره، وكانت السبب في الهجوم العنيف الذي شنه شيخ الاسلام مع عدد غير قليل من علماء الدين وصل حدا دفع الحكومة الى حظر الكتاب ومصادرة ما موجود منه والقاءه في البحر (Berkes, 1964, p.124; Alpay, 2007, p.124)، كما اصدرت نظارة المعارف قرارًا بمنع اي تداول للكتاب سواء كان ذلك داخل اسطنبول او خارجها (B.O.A., MF. MKT, 1184/ 7, 30 Rabiulevvel 1331). وعلى الرغم من ان عبدالله جودت سعى للدفاع عن نفسه كما دافع عنه عدد من اصدقائه (Ayluçtarhan, 2007, pp.145-146; Yücebaş, 1966, s.11-12)، وواصل تمسكه باللغة الاسلامية في طروحاته الفكرية، فان وصمة الاحاد التصقت به حتى وفاته عام ١٩٣٢ وكانت السبب في تردد الكثير في اداء صلاة الجنازة على جثمانه (Alpay, 2007, 123).

كان جلال نوري (١٨٨٢-١٩٣٨) مثل عبدالله جودت مؤمنًا بأهمية الدين وحيويته للمجتمع، ورأى فيه قوة فاعلة في التعامل مع المجتمعات الشرقية والتأثير فيها يمكن من خلاله سد الفجوة التي كان يراها بين الشرق والغرب وبين الدين والعلم، لكنه اختلف عنه في انه كان اكثر اعتدالا واكاديمية في طرحه واقل ميلا الى استخدام الموارد الدينية في حججه، وربما كان لمحدودية ثقافته الدينية دورا في ذلك، كما كان لا يتردد عن انتقاد كل ما رأى فيه معارضة للإسلام او اساءة للمسلمين، وهو ما جعل اراءه اكثر قبولا من جودت (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٩٠).

درس جلال نوري في ثانوية غلطة سراي الشهيرة في اسطنبول ذات المنهج الفرنسي في التعليم، واكمل دراسته في كلية الحقوق في جامعة اسطنبول وتخرج منها عام ١٩٠٦، اجاد اللغة الفرنسية قراءة وكتابة كما اجاد الانكليزية، وهو ما ساعده على ان يكون على معرفة جيدة بالكتابات الاوربية خصوصا العلمية والفلسفية منها، ودفعته رغبته في نشرها الى ترك العمل في المحاماة بعد اقل من ثلاث سنوات والتوجه الى الصحافة والتأليف، فكان له اكثر من الف مقال واربعين كتاب (Buzpinar, 2007, p.247).

كان جلال نوري من بين المتحمسين للعلوم والنظريات العلمية الحديثة، وردد قناعته بان العلم هو الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة، وكل ما خلا ذلك هو محض تكهنات لا معنى لها ولا طائل من ورائها (نوري، ١٣٣١، ص ١٧)، مؤكدا انه من خلال العلم تمت معرفة كل تفاصيل المخلوقات الحية، وبان حتى الامور غير الملموسة مثل الوعي او الروح سيتم اكتشافها من خلال العلم (نوري، ١٣٣١، ص ٣٣-).

٣٥). ومن منطلق الحماس للعلوم حاول جلال نوري اثبات التوافق بين مادية بوخنر وروح الاسلام (نوري، ١٣٣١، ص ٢٥-٢٦)، لا سيما وانه كان يرى ان ما من شيء يقره العلم يتعارض مع الاسلام (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٩٠)، فالاسلام كما اوضح جلال نوري دين تقدمي، لا لمحتواه فحسب بل للكيفية التي نشأ بها، مبينا ان الاسلام شكل مصحح ومتكامل عن اليهودية والمسيحية، وبالتالي فهو ليس ديننا راكدا كما حاول الاوروبيون تصويره، بل على العكس من ذلك هو دين تقدمي جاء ثورة على التعصب والجهل، ولا علاقة له بالمحافظة المتطرفة او رفض التفكير الحر (Buzpinar, 2007, p.253).

انطلاقا من قناعاته بتقدمية الاسلام وحيويته فقد دعا لفتح باب الاجتهاد، ومع انه اكد قناعاته بان "وحدة الاسلام قائمة كمثل اعلى لا يتناقض مع نفسه او يتضارب مع الافكار الاخرى" (اوقاي، ١٩٩٩، ص ٢٩٠)، فانه ميز بين جانبين في الاسلام الاول خص الجانب الديني وهذا يجب ان يبقى كما هو، اما ما تعلق بالحياة الدنيا فرأى انه لا بد من اصلاحه وتجديده بما يتناسب وحاجات المجتمع والتطور العلمي، وهو ما يمكن ان يتحقق من خلال الاجتهاد الذي لم يشترط فيه ان تكون مصادره اسلامية بل ان مصادقة خليفة المسلمين عليه كافية لجعله شرعيا (Buzpinar, 2007, p.253). ومثل بقية الفئة المثقفة الحديثة انتقد جلال نوري مجموعة المحافظين في الدولة العثمانية، يتقدمهم علماء الدين، ووصفهم بانهم السبب في اعاققة التطور الفكري في المجتمعات الاسلامية، وكانوا سببا في نشر الاستبداد بكل اشكاله باسم الدين، كما انتقد الطرق الصوفية التي رأى ان الكثير من طقوسها بعيدة عن الدين تحكم فيها اناس جهلة بدينهم (Bürüngüz, 2005, p.59).

غير بعيد عن جلال نوري، لكن بقناعات دينية اكثر قوة ووضوحا مع معاداة واضحة للفكر المادي، كان احمد حلمي شهبندر زاده (١٨٦٥-١٩١٤) الذي يعد واحدا من بين ابرز المفكرين العثمانيين في المرحلة المتأخرة، وشكل نموذجا للشخصية التي جمعت بين الدين والعلم في وحدة منسجمة متصالحة، ولم يشك احد في التزامه الديني، بل ان طريقة طرحه وحماسه في الدفاع عن الاسلام ومهاجمة كل ما يتعارض معه دفع العديد الى عده ضمن التيار الاسلامي.

ولد احمد حلمي شهبندر زاده في اسرة تنتمي الى البيروقراطية العثمانية، فوالده كان قنصلا ومن هنا جاء لقبه شهبندر زاده، لم يحظى باي تعليم ديني اذ درس بالمدارس الحديثة، وكانت ثانوية غلطة سراي مرحلة مهمة في حياته اتقن خلال دراسته فيها اللغة الفرنسية وتشبع بالعلوم الحديثة واثرت في قناعاته الدينية مثل الكثير من الشباب في تلك المرحلة (Poyraz, 2010, p.130)، بعد تخرجه عمل موظفا في البريد ثم صار مديرا للبريد في ازمير، ومثل معظم بقية الشباب من ذوي التعليم الحديث في وقته كان غير راض بالواقع المتراجع للدولة العثمانية والذي حمل السلطان عبد الحميد الثاني مسؤوليته، لذلك ساهم في النشاط السياسي ضد السلطان ضمن صفوف جمعية الاتحاد والترقي، وهو ما كان سببا

في نفيه الى فزان في ليبيا عام ١٩٠١ حيث بقي هناك سبع سنوات تقرب خلالها لعدد من المتصوفة كان لهم اثرهم في ازالة شكوكه تجاه الدين، فوصف نفسه بتأثير تلك التجربة بالمسلم الذي ولد من جديد(Bein, 2007, pp. 608-610).

عاد احمد حلمي شهبندر زاده الى اسطنبول بعد نجاح ثورة جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨، وانخرط بثقله في النشاط الفكري النابض بالحياة في تلك المرحلة، وخلال سنوات محدودة امتدت الى العام ١٩١٤، تاريخ وفاته، نشر خمسة عشر كتابا ومئات المقالات في مختلف المواضيع الدينية والعلمية والادبية، وكان من أوائل من كتب في علم النفس الحديث في الدولة العثمانية(اوقاي، ١٩٩٩، ص٢٩٢؛ Türesay, 2018, p.194).

حاول احمد حلمي شهبندر زاده، مثل العديد من اقرانه، تحقيق التقارب بين الدين والعلم وايجاد شكل من التوليف بينهما داخل نفسه اولاً ثم في مجتمعه، وتميز بطريقته التي اعتمدت مهاجمة مجموعة المحافظين والمجموعة الحداثوية على السواء، فاراد اقناع الاوليين بأهمية العلم وضرورته واقناع انصار العلوم الحديثة بإعادة توجيههم الى المسار الاسلامي والتصالح مع قناعاتهم الدينية. واكد مرارا بانه لا يوجد اي تعارض بين الدين والعلم، وان السبب وراء وجود مثل تلك التصورات هو تراجع واقع المسلمين والذي رأى ان المحافظين عموماً والمؤسسة الدينية على وجه الخصوص تتحمل العبء الأكبر فيه وفي انحدار الدولة العثمانية (Bein, 2007, p.616)، اذ وصف فيه المجموعة المحافظة من أصحاب التعليم التقليدي بانهم "رجعيون من العصور الوسطى" (Bein, 2007, 619)، ورأى بان علماء الدين في الدولة العثمانية صاروا "طبقة اجتماعية متميزة" تسببوا في تدهور ثقافي وتعليمي وأخلاقي شبيه بذلك الذي كان لرجال الدين في اوربا (Poyraz, 2010, p.158)، لذا دعا الى إضعاف سلطتهم وإيجاد جهة بديلة عنهم تكون اكثر قدرة وحرية في تفسير ابداعي للدين وفق مبدأ الاجتهاد يتفق مع الظروف الجديدة للعالم الحديث، مشددا على ان الموجودين منهم غير مدركين مدى تطور المعرفة البشرية وقوة وتأثير العلوم الحديثة (اورطايلى، ٢٠٠٧، ص١٨٤؛ Bein, 2007, p.613).

بالمقابل انتقد بشدة تراجع التدين بين انصار العلوم الحديثة، بدلا من التقدم التطوري الذي يجمع بين الدين والعلم، وركز انتقاده على الفكر المادي والوضعي بالدرجة الاساس، مستندا الى معرفته الجيدة للعلوم الحديثة خصوصا الفيزياء والرياضيات ومستعينا براء العلماء الاوربيين الذين عارضوا الطرح المادي، فاكد ان الملاحظات التجريبية والعلمية لا يمكن ان تكون سبيلا كافيا للوصول الى الحقيقة المطلقة، وان مثل ذلك التفكير ينم عن جهل بماهية العلوم وطبيعة عملها التي تقوم اساسا على الفرضيات التي يتم مراجعتها وفقا للنتائج، وبالتالي فلا وجود لحقائق ثابتة، رافضا جعل فهم الحياة قائما على العلم فقط (Poyraz, 2010, p.144)، فكان من بين ما ناقشه فكرة ازلية المادة معتمدا على ادلة

علمية بحثة وبلغة موضوعية مقنعة ليخرج بنتيجة إمكانية فناء المادة من الناحية النظرية (انظر: صابان، ٢٠١٠، ص ٢٢٤-٢٢٥)، وركز في انتقاداته على تركيز انصار المادية على فكرة وجود الروح، وكيف جعلوا من خلال عدم إثبات وجودها بصورة منفصلة عن الجسد سببا في التشكيك في الغيبيات او الأمور غير الملموسة التي لا يمكن ان تخضع للتجربة والمشاهدة، مشيرا الى انه "حتى لو لم يكن ممكنا اثبات وجود الروح بيقين علمي فلا يمكن اثبات عدم وجودها ايضا" (Türesay, 2018, p.195).

كان احمد حلمي شهيندر زاده واحدا من بين اكثر المثقفين العثمانيين تأثيرا في المجتمع العثماني في المرحلة المتأخرة، ووجدت أفكاره قبولا كبيرا بينهم، بما في ذلك المحافظين منهم، خصوصا وانه سجل انتقاداته الشديدة لواحدة من اكثر النقاط نفورا بينهم تمثلت بما وجدوه من توجهات ضد الدين في الفكر المادي، كما ان لغته العلمية جعلت أفكاره موضع ترحيب عند الكثيرين من الفئة المثقفة الحديثة. ولم يكن بقية المفكرين اقل منه تأثيرا، بل زادوا عليه شهرة، وتمكنوا من تحقيق نوع من القبول المجتمعي للعلوم الغربية جزء من توجه عام للتغريب من خلال فهمهم لواقع مجتمعهم، وعكسوا بما قدموه من افكار جانبا مهما للحياة الفكرية في الدولة العثمانية وللنقاشات التي سادت بها اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

الخاتمة

شهدت المرحلة المتأخرة من تاريخ الدولة العثمانية انجذابا قويا وواضحا بين الفئة المثقفة الحديثة نحو العلوم الغربية جزءا من تأثير الغرب وسحره عليهم، فأرادوا تغيير واقع الدولة العثمانية المتراجع وإصلاح وضعها من خلال نشر العلوم الحديثة بعيدا عن عالم السياسة.

على الرغم من ان العلوم التي استقاها المثقفون العثمانيون من الغرب الأوربي أثرت على جانب من القناعات الدينية للكثير منهم، وكانت سببا في مواجهة عدد منهم تهمة المروق من الدين، فانهم بالعموم اظهروا احترامهم للدين الإسلامي وتركز جل هجومهم على المؤسسات التي ارتبطت به، وظل الدين حاضرا في تفكيرهم، ليس من منطلق الحرص في الابتعاد عن ما وجه اليهم فحسب، بل لان الدين شكل جزءا فاعلا من شخصيتهم والطاغي على كل تفاصيل مجتمعاتهم، بالنتيجة جمعوا في طروحاتهم الفكرية بين الدين والعلم، مع قدر من الانجذاب لهذا الجانب او ذلك باختلاف توجهاتهم، اذ كان المثقف العثماني مدركا ان العلم وحده لن يكون كافيا له او للمجتمع الإسلامي الذي انتمى اليه، وكل اهتماماتهم العلمية كانت منصبة في الأساس نحو تحديث المجتمع العثماني، وهو ما دفع الكثير منهم الى التوجه للدين الإسلامي والعمل على تحديثه وفق مبدأ الاجتهاد بصورة تمكنهم من تغيير واقع المجتمع بما يجعله متصالحا مع العلوم الحديثة ومتقبلا لها.

شكل منهج التوافقية بين الدين والعلم احد أسس الحياة الفكرية في الدولة العثمانية في المرحلة المتأخرة تجاوزت المجموعة الحداثوية الى المحافظة، ووضعت أساسا لنقاش فكري وواقع سياسي خلال العهد الجمهوري اثبت المجتمع خلاله تمسكه بعقيدته الإسلامية مع رغبة مستمرة للتحديث بما يتفق معها.

مصادر البحث

- الوثائق:

- B.O.A. (Başbakanlık Osmanlı Arşivi), MF. MKT, 1184/ 7, 30 Rabiulevvel 1331 (9 Mart 1913).

-الكتب والدراسات باللغة العربية:

- احسان اوغلو، اكمل الدين، ١٩٩٩، "الحياة التعليمية والعلمية وادبيات العلوم عند العثمانيين"، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، اشراف اكمل الدين احسان اوغلو، ترجمة صالح سعداوي، الجزء الثاني، ارسिका، اسطنبول.
- احسان اوغلي، اكمل الدين، ٢٠٠٦، الاتراك في مصر وتراثهم الثقافي، ترجمة صالح سعداوي، ارسिका، استانبول.

- اورطايي، البر، ٢٠٠٧، الخلافة العثمانية التحديث والحداثة في القرن التاسع عشر، ترجمة عبدالقادر عبدلي، شركة قدمس، بيروت.
- اوقاي، اورخان، ١٩٩٩، "دراسة اولية عن الحياة الفكرية خلال عهد التغريب"، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، اشراف اكمل الدين احسان اوغلو، ترجمة صالح سعداوي، الجزء الثاني، ارسिका، اسطنبول.
- بريل، ليفي، ١٩٥٢، فلسفة اوجست كونت ، ترجمة وتقديم محمود قاسم والسيد محمد بدوي، الطبعة الثانية، القاهرة.
- صابان، سهيل، ٢٠١٠، تطور الاوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات الى عهد الجمهورية، مراجعة عثمان علي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي: فرجينيا.
- عبد، نادية ياسين، ٢٠١٠، "عبدالله جودت ١٨٦٢-١٩٣٢ سياسيا وداعيا للتغريب"، دراسات في التاريخ والآثار، العدد ١١.
- النفراوي، حمد الناصر، ٢٠٠١، التيارات الفكرية السياسية في السلطنة العثمانية ١٨٣٩-١٩١٨، دار محمد علي الحامي، تونس.

-باللغة الانكليزية:

- Alpay, Yalin, 2007, A Glimpse into the First Racist Approach in the Ottoman Empire: the "Scientific" Racism of Abdullah Cevdet, Master Thesis, Bogazici University,
- Ayluçtarhan, Sevda, 2007, Dr.Abdulah Cevdet's Translations 1908-1910: The Making of Westwrnist and Materialist Culture Repertoire in A Resistant Ottoman Context, Master Thesis, Bogazici University.
- Bein, Amit, 2007, "A Young Turk Islamic Intellectual: Filibeli Ahmed Hilmi and The Diverse Intellectual Legacies of the Late Ottoman Empire", International Journal of Middle East Studies, U.S.A., Vol.39.
- Berkes, Niyazi, 1964, The Development of Secularism in Turkey, McGill University Press, Montreal.
- Bürüngüz, Refik, 2005, Abdullah Cevdet and the Garpcilik Movement, Master thesis, Fatih University.
- Buzpinar, Ş. Tufan, 2007, "Celal Nuri's Concepts of Westernization and Religion", Middle Eastern Studies, Volume 43, Issue 2.
- Gibb, E.J.W., 1964, A History of Ottoman Poetry, Ed. E.G. Browne, Vol. V, London.

- Hanioglu, M. Şükrü, 2005, “Blueprints for a future society Late Ottoman materialists on science, religion, and art”, Late Ottoman Society The Intellectual Legacy, Ed. Elisabeth Özdalga, Routledge Curzon, New York.
- Hanioglu, M.Şükrü, 1995, The Young Turks in Opposition, Oxford University Press, New York.
- Karpuzcu, Hakan Feyzullah, 2008, Late Ottoman Modernist Rationalist Discourses on Islam: Superstition, Sufism and Şemseddin Gunaltay, Master thesis, Sabancı University.
- Mardin, Şerif, 1962, The Genesis of Young Ottoman Thought. A Study in the Modernization of Turkish Political Ideas, Princeton University Press, New jersey.
- Nisanci, Zubeyir, 2015, The Dialectics of Secularism and Revivalism in Turkey: The Case of Said Nursi, Doctor thesis, Loyola University Chicago.
- Poyraz, Serdar, 2010, Science versus Religion: The Influence of European Materialism on Turkish Thought, 1860-1960, Doctor thesis, Ohio State University.
- Poyraz, Serdar, 2014, “Beşir Fuad (1852-1887) and the Introduction of Philosophical Materialism into the Ottoman Intellectual Life”, Review of History and Political Science, USA, Vol. 2, No. 3 & 4, <http://dx.doi.org/10.15640/rhps.v2n3-4a1>.
- Senturk, Recep, 2007, “Intellectual Dependency: Late Ottoman Intellectuals between fiqh and Social Science”, Die Welt des Islams, Vol. 47, Issue 3/4.
- Shaw, Stanford J. and Ezel Kural Shaw, 2002, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol.2, Cambridge University Press: NewYork,.
- Türesay, Özgür, 2018, “Between Science and Religion: Spiritism in the Ottoman Empire (1850s-1910s)”, Studia Islamica, Vol. 113, No. 2.
- Yalcinkaya, Mehmet Alper, 2010, Science State and Society in the 19th Century Ottoman Empire, Doctor thesis, University of California.
- Yolun, Murat, 2017, From the Ottoman Empire to the Turkish Republic: Biology as Politics and Philosophy 1908-1939, Doctor thesis, Bogazici University.

-باللغة التركية بالحرفين العربي واللاتيني:

- جودت، عبدالله، ١٩١٢، فنون وفلسفه، اوجنجى دفعه طبعى، مطبعىء اجتهاد، استانبول.
- نوري، جلال، ١٣٣١ (١٩١٣)، تاريخ استقبال، يني عثمانلى مطبعه وكتبخانه سى، استانبول.
- Cankara, Murat, 2004, Ahmet Mithat Efendi ve Beşir Fuat'a Göre Gerçekçilik, Yüksek Lisans tezi, Bilkent Üniversitesi, Ankara.

- Çebi, İsmail, 2010, Dr. Abdullah Cevdet'in Düşüncesinde Madde Anlayışı, Yüksek Lisans Tezi İstanbul Üniversitesi.
- İhsanoğlu, Ekmeleddin, 1994, Cemiyet-i İlmiye-i Osmaniye'nin Kuruluş ve Faaliyetleri, Türk Tarih Kurumu Basımevi: Ankara.
- Kabakcı, Enes, 2008, "Pozitivizimin Türkiye'ye Girişi ve Türk Sosyologinen Etkisi", Türkiye Araştırmaları Dergisi, Cilt 6, Sayı 11, 2008.
- Kuşcu, Nuray Küçükler, 2017, "Beşir Fuad ve Gerçekçilik", Selçuk Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi, Sayı 38.
- Kuşcu, Nuray Küçükler, 2017, "Beşir Fuad ve Gerçekçilik", Selçuk Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi (SEFAD), Turkey, sayı 38.
- Mardin, Şerif, 1992, Jön Türklerin Siyasi Fikirleri 1895- 1908, İletişim Yayınları, İstanbul.
- Mithat Efendi, Ahmet, 1996, Beşir Fuad, Çeviriyazı: N. Ahmet Ozalp, Oğlak Yayıncılık ve Reklamcılık, İstanbul.
- Okay, M.Orhan, 1969, Beşir Fuad İlk Türk Pozitivist ve Naturalisti, Hareket Yayınları, İstanbul.
- Ülken, Hilmi Ziya, 1966, Türkiyede Çağdaş Düşünce Tarihi, I, İstanbul.
- Yücebaş, Hilmi, 1960, Yedi Şairden Hatıralar, İstanbul.

-الصحف باللغة التركية:-

- مجموعه فنون، استانبول، برنجی سنه، نمر ١، محرم ١٢٧٩ (تموز ١٨٦٢).
- مجموعه فنون، استانبول، برنجی سنه، نمر ٤، ربيع الاخر ١٢٧٩ (ايلول ١٨٦٢).
- اجتهاد، Geneve، برنجی سنه، نومرو ١، ١ ايلول ١٩٠٤.
- İçtihat, Constantinople, No.357, 15 November 1932.

رحالة المشرق
ودوره في التدوين التاريخي

م.د. احمد نشمي جواد العلياوي

Ahmedjiyad1980@gmail.com

الجامعة العراقية / كلية الآداب / قسم التاريخ

07714860214

رحالة المشرق ودورهم في التدوين التاريخي

م.د. احمد نشمي جواد العليايوي

الملخص

اعدت رحلات المشرق من اهم المصنفات في التاريخ بصفة عامة والتاريخ الاسلامي بصفة خاصة، وذلك لما احتوته من مادة علمية غزيرة اعطت لنا صورة واضحة ومفصلة عن البلدان وشعوبها ومدنها وبعض جوانبها، وعلى اثر تلك الصورة او المعلومات فقد اعتمدت من قبل الكثير من المصادر الاولية سواء في كتب التاريخ العام او الجغرافية، والمراجع الثانوية وكذلك اعتمدت من قبل التاريخ الاستشراقي الذي اشادوا بتلك الرحلات واقتبسوا العديد من نصوصها وخاصة الذين كتبوا عن الادب الجغرافي العربي امثال كراتشوفسكي وغوستاف لوبون وغيرهم، لذلك كانت تلك الرحلات من الرحلات التي دونت تاريخ الشعوب سواء كانت في الجانب الاجتماعي او العمراني او غيره واصبحت مصدراً مهماً اعتمدت عليها الدراسات العربية والعالمية في معرفة حقائق البلدان في العصور الوسطى.

الكلمات المفتاحية: (الرحلة، رحالة المشرق، التدوين التاريخي)

Abstract

Journeys of the East were prepared as one of the most important works in history in general and Islamic history in particular, because it contained abundant scientific material that gave us a clear and detailed picture of countries, their peoples, cities and some of their aspects. General or geographical books, and secondary references, as well as adopted by the Orientalist history, who praised these trips and quoted many of their texts, especially those who wrote about Arab geographical literature such as Krachovke and Gustave Le Bon and others, so these trips were among the trips that codified the history of peoples, whether in the social aspect or Al-Omrani or others, and it became an important source on which Arab and international studies relied on knowing the realities of countries in the Middle Ages.

key words: (The Journey, Voyager of the Orient, Historical Blogging)

اعدت الرحلات المشرقية جزء مهم من الرحلات العربية والاسلامية في العصور الاسلامية وذلك مما قدمته من معلومات قيمة عن البلدان وشعوبها ومدنها وبعض جوانبها منها الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي والجانب العمراني لذلك تناول البحث عن اهم رحالة المشرق الذين كان لهم دوراً بارزاً في التدوين التاريخي والتدوين الجغرافي والذي وصف برحلاتهم وصفاً دقيقاً للبلدان التي زاروها من خلال المشاهدة او عن طريق النقل لبعض الثقافات من الناس الذين التقوا بهم في تلك البلدان، وعلى اثر ذلك نقل هؤلاء الرحالة صورة واضحة ومفيدة افادوا بها الدراسات التاريخية والجغرافية سواء العربية كانت ام العالمية، وقد تناول البحث عدداً من اهم رحالة المشرق الاسلامي الذين عرفوا في كتب التاريخ الاسلامي وكتب التاريخ العام وكتب الاستشراق الجغرافي ومنهم ابن خردادبه صاحب كتاب المسالك والممالك وابن رسته صاحب كتاب الاعلاق النفيسة والهمداني صاحب كتاب البلدان، وناصر خسرو صاحب كتاب سفر نامه، والهروي صاحب كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، والقزويني صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، وتم ذكرهم حسب سنة الوفاة.

أولاً: أهمية الرحلة

أهتم العرب والمسلمون بوصف البلدان وخاصة البلدان التي دخلت فتوحاتهم، فقد تحدثوا عنها في كتاباتهم التاريخية الاولى، ودعاهم ما في القرآن الكريم من اشارات الى الامم السابقة ان يطلعوا على ما عند اهل الكتب السماوية قبلهم من اخبارها(ضيف، ١٩٨٧، ص ١).

وكان انحاء هذا الملك الواسع الذي اسسه المسلمون تتطلب الدراسة والوصف لأغراض عديدة منها تطبيق احكام الشريعة وتسهيلاً لمهمة الولاة، لذلك سافر الرحالة المسلمون للتأليف في علم تقويم البلدان، وطبيعي ان تكون الرحلات والاسفار من اول السبل لطلب العلم في تلك العصور فقد كانت الكتب الدراسة العلمية تقوم مقام ما نصفه اليوم من تتبع مراجع والمؤلفات التي تزدهم بها مراكز الثقافة في ديار السلام وكان رجال العلم ينتقلون في طلبه من اقليم الى آخر(حسن، ٢٠١٢، ص ١٠).

لذلك كانت الرحلة عنصراً قوياً في حياة المجتمع الاسلامي في العصور الزاهرة، فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحي، ولقوا في سبيل ذلك الكثير من صعوبات السفر التي تحملوها راضين مسرورين، ورحل الناس في طلب العلم للبلدان المختلفة، فقد كان العلم منتشرة مراكزه في انحاء العالم السلامي، ورحل القوم في سبيل الاتجار فقد كانت الاسواق الاسلامية في مشارق الارض

ومغاربها مرتبطة بعضها ببعض كل الارتباط، اضافة الى ذلك رحلة الرسل والمبعثين من قبل السلاطين والحكام، والمغامرين ومحبي المشاهدة والاستطلاع الواجدين في الرحيل لهذه خاصة، وكل هذه الانواع عرفها الرحالة العرب والمسلمين وتعدد تلك الانواع نشأت لديهم حب المعرفة فيما وراء المجهول (زيادة، ١٩٨٧، ص ١٥).

وقد دون الكثير من رحالة العرب والمسلمين اخبار اسفارهم وتقلهم، فذكروا المدن التي زاروها والمسافات التي اجتازوها والصعوبات التي تغلبوا عليها، ووصفوا البلاد وزرعها وقيدوا مشاهداتهم عن صناعتهم وتجارتهم، واتوا على وصف حياة السكان فعرفوا الطيب من عاداتهم بالمديح وعابوا ما فيهم من ضعف (زيادة، ١٩٨٧، ص ١٦).

وكانت الرحلات الاسلامية قد ارتبطت منذ البداية بعلم تقويم البلدان او علم الجغرافيا، لذلك ان الرحالة عنو عناية خاصة بوصف المدن والبلدان وذكر طرقها وشعوبها واجوائها ونباتاتها وحاصلاتها كذلك عني الرحالة المسلمون بعلم تقويم البلدان للحاجة الى معرفة الطرق المؤدية الى مكة لقيام فريضة الحج (احمد، د.ت، ص ٣٥).

واتبع الرحالة طريقة ممتعة في وصف عالمهم والعالم المحيطة بهم، اذ اعتنوا بالحديث عن عادات الامم والشعوب وطباعتها وما بديارها من اثار وعجائب وقعوا ما عندهم من اساطير وخرافات وبذلك اصبحت كتبهم الجغرافية كتباً ادبية، تعتمد على المشاهدة وحكاية ما روي الى الرحالة لتلك البلدان (ضيف، ١٩٨٧، ص ١١-١٢).

وقد اتيح للمسلمين في العصور الوسطى ان يخوضوا ميدان الرحلات والاكتشافات والدراسات الجغرافية، وافادت أوروبا مما كان عند المسلمين من علم بأجزاء العالم المعروفة في القرون الوسطى، وكان لازدهار الحضارة الاسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر وطبيعة الدين الاسلامي، كل ذلك كان من شأنه ان يشجع على الاسفار والرحلات (حسن، ٢٠١٢، ص ٩). لذلك كانت مساهمة الرحالة العرب والمسلمين عموماً على قدر عظيم من اهمية في مجال علم الرحلات الجغرافية، وكثيراً ما تردد عبارة على اقلام كثيرة من الباحثين الاجانب وهي قول لا يخلو من الغرض، بان العرب والمسلمين قاموا بسد الثغرة العلمية لبطليموس (مينورسكي، ١٩٨٥، ص ٥).

ويتضح ذلك من خلال رحلات السنبداد البحري التي وردت في كتاب الف ليلة وليلة، والتي ترجع الى عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)، ان العرب والمسلمين قاموا في العصر العباسي برحلات بحرية تبدأ من بغداد وتسير في الخليج الفارسي حتى تصل الى بلاد

الصين، وليس مستبعد ان يكون الرحالة الاجانب الذين فتح لهم ميناء خانفو^(١)، واسواقها سنة (٨٢٢هـ/٧٠١م) فقد اثبتت بعض الروايات التي وقعت في تلك المدينة وجود عرب ومسلمين هناك (احمد، د.ت، ص ٣٥).

ولهذه الرحلات فوائد عديدة وغزيرة تبارى العلماء في العناية بها، واوجد الاسلام مناخاً مناسباً لازدهار الرحلات التي يقوم بها العلماء والرحالة المسلمون في قساع المعمورة، ونتيجة لذلك برز مجموعة من الرحالة العرب والمسلمين اثروا في ادب الرحلات بالنفيس من الاخبار والعجائب ومشاهد البلدان، والناس على اختلاف اجناسهم واديانهم وشكل الرحالة المسلمون رحلات متميزة اعتبرت انموذجاً فريداً للانفتاح على الآخرين (الريامي، ٢٠١٣، ص ١٣).

ثانياً: رحالة المشرق ودورهم في التدوين التاريخي

١- ابو القاسم عبيد الله بن احمد (ابن خرداذبه) (٢٨٠هـ/٨٩٣م):

هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، ويعتقد انه كان مجوسياً وقد أسلم على يدي البرامكة^(٢)، وقد تولى مهمة البريد والخبر في نواحي الجبل^(٣)، في خلافة المعتمد على الله العباسي (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م). (الصفدي، ٢٠٠٠، ج ١٩، ص ٢٢٩)

اما اصله فهو من بلاد فارس وكان لوالده فضل كبير في دراسته، وقيل ان والده كان مقرباً من السلطة العباسية حيث كان حاكماً على طبرستان في اوائل القرن الثالث الهجري (كراتشكوفسكي، ١٩٦٣، ص ١٥٥)، ويبدو ان مكانة اسرته قد هيأت له وظيفة هامة وهي صاحب البريد بنواحي الجبل في بلاد فارس، ومن المحتمل ان هذا الوضع هو الذي دفع ابن خرداذبه بتأليف كتابه (المسالك والممالك) استجابة لطلب احد العباسيين الكبار (كراتشكوفسكي، ١٩٦٣، ص ١٥٦)، وفي نفس الوقت ايضاً اسمحت له مكانته والمناصب التي اشتغل بها في البلاط العباسي بان يؤلف عدد من الكتب منها في مجال الرحلة او البلدان ومنها في مجالات اخرى واهمها:

- كتاب أدب السماع.
- كتاب جمهرة الأنساب للفرس.
- كتاب الطبيخ.
- كتاب اللهو والملاهي.
- كتاب الشراب.
- كتاب الندامي والجلساء (ابن النديم، ٢٠١٠، ص ١٣٦).

ولكن ما يهمنا هو كتاب رحلته (المسالك والممالك) وقد اخذ هذا العنوان طابعاً شائعاً جداً من بعده لدى الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين في تأليف كتبهم (حميده، ١٩٩٥، ص ١٠٦)، اما عن وفاته لم يثبت تاريخ وفاته ولكن رجحته بعض المراجع انه توفي سنة (٢٧٢هـ/٨٨٥م) (حميده، ١٩٩٥، ص ١٠٦).

اما عن تدوين رحلته بدأ ابن خرداذبه بوصف الارض وتقسيماتها وقبله كل بلد ابتداءً من ارمينية واذريجان وبغداد وواسط ثم بدأ بذكر العراق والذي اطلق عليه السواد مع ذكر انهاره دجلة والفرات (ابن خرداذبه، ١٨٨٩، ص ٤-٧)، ثم ينتقل الى الملوك والقابهم فيذكر ان ملك العراق يدعى كسرى وهو شاهنشاه وملك الروم يدعى قيصر وملك الترك والتبت والخزر يدعى خاكان وملك الصين يدعى بغبور وملك الهند يدعى البلهر (ابن خرداذبه، ١٨٨٩، ص ١٥-١٦)، ثم قام بذكر اقاليم المشرق وطرقها ابتداءً من اقليم خراسان والطريق المؤدي اليها من بغداد، بالإضافة الى ذلك اشار الى المسافات ما بين تلك الاقاليم بعدد الفراسخ، كذلك تطرق الى بلاد الهند والصين ومدنهما واحوال شعوبهما، فبدأ بذكر مدينة سرندين الهندية واعتبرها مدينة العبادة، كما تطرق الى انهار تلك المدن ومنابعها وحيواناتها (ابن خرداذبه، ١٨٨٩، ص ١٨-٢٥).

ولم تقتصر رحلة ابن خرداذبه على الوصف الجغرافي فحسب فقد وصف حياة وتقاليده تلك المدن، فأشار الى الملابس والاكل والشرب وصفاتهم (ابن خرداذبه، ١٨٨٩، ص ٦٨)، ايضاً تميزت رحلته على الكافور والعنبر (كراتشكوفسكي، ١٩٦٣، ص ١٥٧).

ويعتبر ابن خرداذبه اقدم الرحالة في العصر العباسي وقد خلف لنا كتاب المسالك والممالك الذي يشتمل على معلومات هامة في نظم الحكم وفي النظام المالي، بوجه خاص، وبعد هذا الكتاب من اقدم الكتب الجغرافية في اللغة العربية، وهو عبارة عن دليل يستعين به المسافرون في الاهتداء الى الطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة عند مدينة الابلة في البصرة ويصل الى الهند والصين، كما يشتمل هذا الكتاب على احصاءات وبيانات وافية عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينهما (احمد، د.ت، ص ٥٥-٥٦).

وقد عنى كتاب ابن خرداذبه خاصة بالتعريف بالطرق الموصلة بين بغداد والمدن الاسلامية الاخرى وكذلك المسالك بين جميع هذه المدن وبذلك يقول: "فهمت الذي سالك من رسم ايضاح مسالك الارض وممالكها وصفتها وبعدها وتربها وعامرها وغامرها ورسوم طرقها وطقوسها على ممارسة المتقدمين منها" (احمد، د.ت، ص ٥٧).

وخلاصة القول امتاز تدوين ابن خردادبه بالتوسعيه في وصف البلدان التي زارها لا من حيث الطول والمسافات وانما ذكر حياة سكانها وتقاليدها وتجارته.

٢- احمد بن عمر ابو علي (ابن رسته) (ت نحو ٣٠٠هـ/٩١٢م):

عالم جغرافي ورحالة من أهل أصفهان (ابن سعيد المغربي، ١٩٧٠، ص ٣٥)، لم تذكر المصادر والمراجع شيء عن حياته ووفاته او مؤلفاته بالاستثناء موسوعته الضخمة (الأعلاق النفيسة) والتي كانت رحلته جزء منها، تناول فيها الجغرافية الرياضية الطبيعية على حد سواء (الزركلي، ٢٠٠٢، ج ١، ص ١٨٥) (زيادة، ١٩٨٧، ص ١٦٤)، بدء ابن رسته كتابه بالجغرافية الرياضية (الفلك) حيث تطرق الى اختلاف الليل والنهار وانتظام الكواكب ومسيرها، ثم تطرق الى جغرافية المدن والممالك الطبيعية وهو يصفها ويجمع اخبارها وهو في ذلك حاله حال غيره من الجغرافيين في تلك الفترة (ابن رسته، ١٩٨٨، ص ٣-١٣)، وقد استهل ذكر رحلته بجغرافية المدن وابتدائها بمدينة مكة وتحديداً بالكعبة الشريفة حيث وصفها من الداخل والخارج وطولها وعرضها وعدد مرات بنائها (ابن رسته، ١٩٨٨، ص ٢٤-٣٤)، وبعدها تطرق لعدد من البلدان اهمها العراق وبلاد فارس وبلاد الهند التي جعل لها قسماً مستقلاً عنوانه صفة بلاد الهند (ابن رسته، ١٩٨٨، ص ١٣٢-١٤٢)، واحياناً يقتصر على سرد الاسماء وذكر القصص (كراتشكوفسكي، ١٩٦٣، ص ١٦٥)، كذلك ذكر بانه يجمع بين الحقائق وبعض الاساطير، وكثيراً منهما مبني على المشاهدة (ابن رسته، ١٩٨٨، ص ١٣٢-١٤٢)، وكان ذلك الوصف مبني على السماع والمشاهدة فامتاز بقول (رأيت) وتارة اخرى يقول اخبرني (ابن رسته، ١٩٨٨، ص ١٣٢-١٤٢).

٣- احمد بن محمد بن اسحاق (الهمداني) (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م):

احمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم، ويلقب بأبو بكر ويعرف بابن الفقيه والهمداني، (ابن النديم، ٢٠١٠، ص ٢٤٧)؛ (الحموي، ١٩٩٣، ج ٤، ص ١٩٩)، وهو من اسرة اشتهرت بعلم الحديث والادب من اهل فارس من مدينة همدان (الزركلي، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٢٠٨)؛ (حميده، ١٩٩٥، ص ١٣١)، ويذكر ابن النديم لا توجد معلومات وفيرة عن حياته باستثناء ما ذكر عنه انه من اهل الادب (ابن النديم، ٢٠١٠، ص ٢٤٧)، اما عن تاريخ وفاته فهي سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م) (الحموي، ١٩٩٣، ج ٤، ص ٢٠٠).

دون الهمداني في كتابه البلدان رحلاته فوصف فيه الارض والبحار وبلاد العرب واقاصي الشرق منها الهند والصين (احمد، د.ت، ص ٨٥)، وقد سلك ابن الفقيه في تعريف الاقاليم المنهج الاقليمي الوصفي اي المنهج الجغرافي الصرف الذي يعتمد الخريطة وبعدها جزءاً لا ينفصل عن

النص (خصباك، ١٩٩٠، ص ١٦٢)، وقد اتبع نهج التوسعية في وصف المدن لا من حيث الموقع والطول والعرض وإنما ذكر حياتها ودوابها وتقاليدها والحياة الاجتماعية (ابن الفقيه، ١٨٨٣، ص ١٦٢)، واستخدم في منهجه معاني ومدلولات المدن اعتماده بذلك على الروايات التي تنسب بعضها الى أنبياء مثل مدينة بكة فيقول: سميت بكة وهي موضع البيت ومكة موضع القرية وحسب ما قال ابراهيم عليه السلام (ابن الفقيه، ١٨٨٣، ص ١٧، ١٢٨، ١٦٢).

ولم يخلُ منهجه من ذكر العجائب والاساطير، فيذكر عن بعض العجائب البحار ومنها الاسماك في تلك البحار فيقول: "ان في بحر فارس والروم اسماك على هيئة قرود ومن جلوده تصنع الدرق كما ان هناك اسماك ترضع صغارها، واسماك تدعى الدخس تتجي الغريق من الغرق" (ابن الفقيه، ١٨٨٣، ص ٩)

٤- ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م):

هو أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، رحالة وشاعر وفيلسوف فارسي، ولد في قباديان بالقرب من بلخ سنة (٣٩٤هـ / ١٠٠٣م)، كان ناصر خسرو دبلوماسياً محنكاً لذا صار قريب الصلة من ولاية الامر فعمل في بلاط محمود الغزنوي وابنه مسعود ونال اعجاب واحترام وتقدير السلطانين الغزنويين اللذين عاصرهما لذا بقي تأثيره على العلماء المعاصرين له كبير جداً، فجمع كثير من المعارف الخاصة بعلمي الجغرافية والتاريخ.

تقلد ناصر خسرو مناصب قيادية مرموقة في ديوان جغري بيك السلجوقي حاكم خراسان ولكنه لم يستمر بهذه الوظائف الحكومية بل تركها وتفرغ للبحث العلمي والرحلات العلمية (الدفاع، د.ت، ص ١٤٣-١٤٤).

قرر خسرو ان يخلص عمله لوجه الله فرحل سنة (٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) الى مكة المكرمة وادى مناسك الحج فأقنع عما كان عليه وسار في الطريق السوي، وخلال رحلته الى الحج زار بلاد كثيرة فوصفها في كتابه (السفر نامه) الذي يعتبر من اهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون لوصفه الدقيق وعنايته الشديدة في تقصي اخبار البلدان التي زارها، توفي سنة (٤٨١هـ / ١٠٨٨م) بالمنفى في جبال خراسان في غار يمان الذي نشر مذهبه الاسماعيلي (٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) (الامين، ١٩٨٣، ج ١، ص ٢٠٢ وما بعدها)، اما مؤلفاته فهي:

- سفر نامه.
- ديوان الشعر.
- خوان اخوان (الفلسفة).

• كتاب السعادة.

• كتاب الضياء.

• جامع الحكمتين (الامين، ١٩٨٣، ج ١٠، ص ٢٠٢ وما بعدها).

فيما يتعلق بتدوين رحلته فقد رحل اول مرة الى بلاد مصر وامتدت هذه الرحلة ثمانية اشهر، ثم توجه الى الحجاز لأداء فريضة الحج وعند الانتهاء توجه الى البحرين ثم البصرة وقد لنا وصفاً مفصلاً لتلك المدينة وخاصة النظام الاجتماعي والسياسي ثم حاول العبور الى بلاده عن طريق الاهواز لكنه كان مطلوباً للسلاجقة بسبب انتمائه للدولة الفاطمية، لكنه لم يستطع ذلك وقيل انه بقي متخفي في الجبال الا ان توفي سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م) (حميده، ١٩٩٥، ص ٣٣١).
وخلف هذا الرحالة وصفاً دقيقاً بدفع للظن بانه كان يسجل مشاهداته اولاً فأولاً، وكان دقيق الملاحظة شديد العناية بتقصي الاخبار مثلما يعني بالاتصال بالشعوب التي يمر بها (الفيل، ١٩٧٩، ص ١٦).

ويتفهم مظاهر الحضارة التي يشاهدها فجاءت رحلته (سفر نامة) غنية بالصور خاصة بالمعلومات عن البلاد التي زارها وتلقى نوراً على الكثير من شؤونها الاجتماعية والاقتصادية قبيل الغزو الصليبي وقد ترجمت رحلته (سفر نامة) الى الفرنسية واصبحت مصدراً اساسياً في دراسته الحضارة الاسلامية في الشرق خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) (حميده، ١٩٩٥، ص ٣٣١).

ومن اهم ما ذكره في تلك الرحلة عن المدن، فيذكر عن مدينة مكة بانها تقع بين جبال عالية واقرب جبل عليها هو جبل ابي قبيس وهو مستدير كالقبة شرقي مكة وقد نصب على قمته برج من الحجر يقال انه ضريح النبي ابراهيم عليه السلام (ناصر خسرو، ١٩٩٣، ص ١٣٨)
كذلك ذكر بصورة مفصلة مدينة البصرة فقول عنها انها ذات سور عظيم يحيط بها من كل الاتجاهات ما عدا الجزء المطل على النهر وهذا النهر هو شط العرب ويلتقي دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة فيكونان الشط ويتفرع منه قناتين ومن هاتين القناتين شقت ترع كثيرة وغرست اشجار النخيل والحدائق على شواطئها، وكانت معظم الصرة خراباً، والجهات العامرة متباعدة جداً وبها خلق كثير ودخل سلطانها كبير، وسوقها بنصب في ثلاثة جهات (خسرو، ١٩٩٣، ص ١٦٣-١٦٤).

٥- أبو الحسن علي بن أبي بكر (الهرودي) (٦١١هـ/١٢١٤م):

أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهرودي، رحالة، مؤرخ أصله من مدينة هراة في بلاد السند، طاف بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق كان يكتب عل الحيطان، ولا توجد مدينة دخلها الا وفيها خطه حتى ان رؤساء الغزاة البحرية أنهم دخلوا في البحر الملح إلى موضع وجدوا في بره حائطا وعليه خطه(الزركلي، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٢٧١).

ويذكر ابن خلكان انه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الاماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها الا ورأها(الزركلي، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٥٧٣)، وفي سنة(٥٦٩هـ/١١٧٣م) زار القدس والخليل وفي العام نفسه زار الاسكندرية وتجول في الديار المصرية حتى مدينة اسوان واستمر بتواجده في مصر حتى عام(٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) شاهد خلالها الاثار والمزارات وكان عمل الهرودي شاقاً وعسيراً في كتاباته من هذه المرحلة المهمة في تاريخ مصر لذلك سجل الهرودي في تلك الرحلة وصف وصفات البلدان في كتابه اسماء الإشارات إلى معرفة الزيارات، اما عن تاريخ وفاته فقد توفي سنة(٦١١هـ/١٢١٤م) (احمد، د.ت، ص ٩٣).

بدء الهرودي بتدوين رحلته من بلاد الشام وقد وصف مدن ومناطق لم تكن معروفة لدى الكثير من الجغرافيين والرحالة وعلى سبيل المثال وصفه لمدينة براق وحمام طبرية وغيرها، ولم يقتصر الهرودي على وصف البلدان ومنطقها وحسب وانما اعطى لكم مدينة خاصيتها(الهرودي، ٢٠٠٢، ص ١٧)، ثم ينتقل الهرودي في وصفه لتلك الرحلة الى بلاد مصر وقد اعطى صورة واضحة على مدينة الصعيد ومنها عين شمس ومغائر الصعيد وغيرها، وما يميز رحلة الهرودي بانها وصفت الكثير من الاساطير والشائعات المتداولة في تلك البلدان، كما اعتبرت من الرحلات المهمة للرحالة المسلمين(الهرودي، ٢٠٠٢، ص ٤٣-٤٦).

وقد استهل الهرودي اسفاره من حلب فكانت بلاد الشام اولى الاقطار التي زارها ووصفها واقام بمدينة القدس عامين (٥٦٩-٥٧٠هـ/١١٧٣-١١٧٤م) التي كانت بايدي الصليبيين، وزار ارجاء الدول البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية في زمن الامبراطور عمانوئيل الاول(حميده، ١٩٩٥، ص ٤٨٢).

اما عن الحبشة فقد وصف الاماكن المشهورة فيها نقلاً عن الزوار الثقاه، والجانب الفريد عن مؤلف الهرودي (الإشارات إلى معرفة الزيارات) هو اشبه بمرشد للزوار الذين يزورون البلدان التي ذكرها الهرودي في كتابه، بالإضافة الى كتب اخرى من تأليف ومنها كتاب (الاثار والعجائب والاصنام)، وكتاب في السياسة اسمه (التذكرة الهروية في الحيل الحربية) يتضمن ما يحتاجه اليه

الملوك من سياسة الرعية وما يعتمدون عليه في الحروب وما يدخرونه لدفع المشاكل، وواجبات السلطان والوزراء والحجاب والولاية والقضاة وارباب الديوان والجلساء والرسل(حميده، ١٩٩٥، ص٤٨٣).

ويذكر الهروي في مقدمة كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) "وها أنا أبتدئ بذكر الزيارات من مدينة حلب وأعمالها والبلاد التي تليها، ثم أذكر الشام بأسرها، والساحل بأسره، وبلاد الفرنج وفلسطين والأرض المقدسة وجميع زيارات البيت المقدس ومدينة الخليل عليه السلام وديار مصر بأسرها والصعيدين، والبلاد البحرية، والمغرب، وجزائر البحر، وبلاد الروم، وجزيرة ابن عمر، وديار بكر، والعراق بأسرها، وأطراف الهند، والحرمين الشريفين مكة والمدينة- حرسهما الله تعالى- واليمن وبلاد العجم"(الهروي، ٢٠٠٢، ص١٤).

واعتبرت اسفار الهروي انموذجاً حياً لتلك الرحلات التي سيطرق مع مرور الزمن على اذهان اعداد ومجتمعات كثيرة، واعتبر من الاساتذة الذين درسوا الكثير من المؤرخين ومنهم ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) (حميده، ١٩٩٥، ص٤٨٣).

وقد جاء كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) في ذكر مئات من الاماكن الدينية وهي المقصودة بالذات في التأليف، لكن الهروي يضيف بين حين واخر فرائد تاريخية وملاحظات عامة كوصفه لمدينة دمشق وأشارته لرأس الامام الحسين عليه السلام ونقله من عسقلان وتحدث عن مقياس النيل(زيادة، ١٩٨٧، ص١٦٥)، كذلك لم يقتصر على الاماكن الدينية والمدن فقد قام بوصف النبات والزهور لبلاد مصر(زيادة، ١٩٨٧، ص١٦٤).

وذكر الهروي تأليف سبب تأليفه الكتاب "أما بعد، فإنه سألني بعض الإخوان الصالحين والخلان الناصحين أن أذكر له ما زرته من الزيارات، وما شهدته من العجائب والأبنية والعمارات، وما رأيته من الأصنام، والآثار والطلسمات في الربع المسكون والقطر المعمور، ووقع الامتناع إلى أن حصل لي الاجتماع برسول وفد من الديوان العزيز- شرفه الله وعظمه- وتبركنا بزيارته واستسعدنا برؤيته، إذ كان قدومه من دار السلام، وقبة الإسلام... فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب"(الهروي، ٢٠٠٢، ص١٣).

وكانت رحلته الرحلات الطويلة فقد طاف العالم الاسلامي وزار القسطنطينية وصقلية وغيرها من الجزائر في بحر الروم وعني بتدوين تجواله، ومن جهة خاصة اعطى عناية خاصة في المشاهدة على الأبنية والعمارات، والأصنام، والآثار والى بذلك كتابه المعروف بالإشارات إلى معرفة الزيارات، الى ان توفي سنة(٦١١هـ / ١٢١٤م) (الريامي، ٢٠١٣، ص٦٦).

٦- زكريا بن محمد بن محمود (القزويني) (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م):

كان احد القضاة المعروفين في العصر العباسي وتحديدًا في خلافة المستنصر بالله العباسي (٦٣٢-٦٤٠هـ/ ١٢٣٤-١٢٤٢م) الذي تولى قضاء مدينة واسط وقضاء مدينة الحلة (الصفدي، ٢٠٠٠، ج ١٩، ص ١٣٨-١٣٩)، كما كان احد الرحالة المعروفين في القرن السابع الهجري ولقبه القزويني يدل على انه من اقليم بحر قزوين شمالي ايران (ضيف، ١٩٨٧، ص ٢١)، اما عن وفاته فيذكر الصفدي انه توفي في السابع من شهر محرم سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) (الصفدي، ٢٠٠٠، ج ١٩، ص ١٣٨-١٣٩).

وللقزويني عدة مؤلفات واهما ما يخص رحلاته هو كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، والكتاب الثاني عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (الفندي، ١٩٨٢، ص ٥٧).

وفيما يخص كتابه الاول وهو آثار البلاد وأخبار العباد اعطى في تدوينه اهمية قصوى في ذكر احوال البلاد والسكان دون اهتمام بالطرق والمسالك، مضيفاً عليه كل طرفة نادرة وعجيبة وخارقة، وقد قسم هذا الكتاب الى سبعة اقاليم تكلم عن كل اقليم وما يحتويه من بلدان، مرتباً لها حروف المعجم، وبجانب التدوين الجغرافي نجده يقص عن اخبار البلاد الاسلامية كثيراً من الحكايات عن الزهاد والصالحين كما يتعرض لكثير من اخبار التاريخ والملوك السابقين ويجمع كتابه خوارق النساك والمتصوفة بجانب خوارق البنيان والآثار (الريامي، ٢٠١٣، ص ٨٣).

اما عن كتابه الثاني عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات فقد قسم فيه القزويني اثناء التدوين الى قسمين يعالجان الكلام عن العالمين العلوي والسفلي، فالقسم الاول وهو العلوي يتناول الكلام عن الاجرام السماوية (الشمس والقمر والنجوم)، اما القسم الثاني وهو السفلي فقد خصصه الى الارض وظواهرها وقسم المعمورة الى سبعة اقاليم مع اسباب حدوث الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات كذلك تكوين الجبال ونشأة الانهار والمنابع والعيون (كراتشكوفسكي، ١٩٦٣، ص ٣٦١).

وقد تميز تدوين القزويني بعدد من الروايات العجيبة مما جعل منها اقرب الى الخرافة ولكنها مع ذلك لها طرفها اذ اراد بها الى القصص، اشبه بكتاب الف ليلة وليلة وما كان يحتويه من عالمي الجن والانس (ضيف، ١٩٨٧، ص ٢٣).

ومن العجائب التي ذكرها القزويني بقوله: "في بحر الصين فيها نساء لا رجل معهن أصلاً، وإنهن يلقحن من الريح ويلدن النساء مثلهن، وقيل: إنهن يلقحن من ثمرة شجرة عندهن يأكلن منها فيلقحن ويلدن نساء" (القزويني، ١٩٦٠، ص ٣٣).

كذلك ذكر عن جزيرة تدعى برطابيل وهي من مدن بلاد السودان حيث قال عنها: "ان سكانها قوم وجوههم كالمجان المطرقة، وشعورهم كأذنان البراذين، وبها الكركدن، وبها جبال يسمع منها بالليل صوت الطبل والدف والصياح المزعجة، والبحريون يقولون: إن الدجال فيها ومنها يخرج" (القزويني، ١٩٦٠، ص ٨١).

كذلك كان تدوين القزويني يتضمن الممالك الطبيعية وهي المعدنية والنباتية والحيوانية كذلك حضي بذكر المملكة الانسانية وخصائصه الاخلاقية وتشريحه ومميزات الشعوب المختلفة، وكما يورد لهذا تفاصيل تاريخية وافية كما انه لا يهمل التفاصيل ايضاً حين التدوين عن سير مشاهير الرجال في الاماكن المختلفة (كراتشكوفسكي، ١٩٦٣، ص ٣٦٤)، وهو لا يقف في تدوينه بذكر البلدان العربية والاسلامية فقد شمل وصفه البلدان الاوربية وافريقيا واسيا وبلادها البعيدة مثل الهند والصين (ضيف، ١٩٨٧، ص ٢١).

الخاتمة

لعبت رحلات المشرق الاسلامي دوراً بارزاً في التدوين التاريخي والجغرافي خلال العصور الاسلامية، وتعد احدى المصادر المهمة التي اعتمد عليها في دراسة التاريخ والجغرافية الاسلامية وغير الاسلامية، لذلك اقتصرت دراسة البحث عن اهم الرحلات المشرقية والذي استنتج عدة امور وهي:

١- انها لم تقتصر على جانب واحد اثناء التدوين والوصف وانما شملت تقريباً كل الجوانب منها الجانب الجغرافي والجانب الاجتماعي والجانب السياسي والجانب الاقتصادي.
٢- جسدت بعض الحقائق التاريخية التي عاشها وشاهدها الرحالة في تلك الحقبة، فهي دونت بشاهد عيان او عن طريق النقل لبعض النقاة الذين التقى بهم الرحالة في تلك البلدان.
٣- اعتبرت من الآثار الادبية التي تناولت انطباعات الرحالة واحاسيسه ومشاعره وافكاره حول رحلته وفي مختلف الجوانب.

٤- اعتبرت من المصادر الاولية التي اعتمدها الدراسات الاولية والعليا في كتابة البحوث والرسائل والاطاريح.

وبهذه الامور اندرجت رحلات المشرق الاسلامي ضمن مصادر التاريخ الاسلامي واصبحت واحدة من اهم مصنفات كتب التاريخ.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- ١- الحموي، شهاب الدين بن عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، (١٩٩٣)، معجم الأديباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
 - ٢- بابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (٢٨٠هـ/٨٩٣م)، (١٨٨٩)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت.
 - ٣- ناصر خسرو، أبو معين الدين الحكيم القبادياني (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)، (١٩٩٣)، سفرنامه، تر: يحيى الخشاب، ط٣، الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
 - ٤- ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠هـ/٩١٢م)، (١٩٨٨)، الإعلاق النفيسة، دار احياء التراث العربي، بيروت.
 - ٥- السيرافي، أبو زيد الحسن (٣٣٠هـ/٩٤١م)، (١٩٦١)، رحلة السيرافي إلى الهند والصين، مطبعة دار الحديث، بغداد.
 - ٦- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، (٢٠٠٠)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت.
 - ٧- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، (١٩٩٧)، الفخري بالأدب السلطانية والدول الإسلامية، تح: عبد القادر محمد مايو، ط١، دار القلم العربي، بيروت.
 - ٨- ابن الفقيه، ابو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)، (١٨٨٣)، البلدان، مطبعة بريل، ليدن.
 - ٩- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، (١٩٦٠)، أثار البلاد وأخبار العباد، ط١، دار صادر، بيروت.
 - ١٠- ابن النديم، ابي الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، (٢٠١٠)، الفهرست، تح: يوسف علي الطويل، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.
 - ١١- الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت٦١١هـ/١٢١٤م)، (٢٠٠٢)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، الرياض.
 - ١٢- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، (٢٠٠٨)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة.
- ثانياً: المراجع الثانوية
- ١٣- احمد، احمد رمضان، (د.ت)، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة.

رحالة المشرق ودورهم في التدوين التاريخي

- ١٤- الامين، محسن، (١٩٨٣)، ايعان الشيعة، تح: حسن الامين، دار التعارف، بيروت.
- ١٥- حسن، زكي محمد، (٢٠١٢)، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- ١٦- حميده، عبد الرحمن، (١٩٩٥)، اعلام الجغرافيين العرب، ط١، دار الفكر، دمشق.
- ١٧- خصباك، شاكر، (١٩٩٠)، رواد الجغرافية العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- ١٨- الدفاع، علي بن عبد الله، (د.ت)، رواد العلم الجغرافي في الحضارة العربية والاسلامية، مكتبة التوبة، الرياض.
- ١٩- الريامي، كمال بن محمد، (٢٠١٣)، مشاهير الرحالة العرب، ط١، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٢٠- الزركلي، خير الدين، (٢٠٠٢)، الاعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٢١- زيادة، نقولا، (١٩٨٧)، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ٢٢- ضيف، شوقي، (١٩٨٧)، الرحلات، ط٤، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٣- الفندي، جمال، (١٩٨٢)، الجغرافيا عند المسلمين، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ٢٤- الفيل، محمد رشيد، (١٩٧٩)، اثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب، ط١، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.
- ٢٥- كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليا نوقتش، (١٩٦٣)، تاريخ الادب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ٢٦- مينورسكي، م. ف، (١٩٨٥)، الجغرافيون والرحالة المسلمون، تر: عبد الرحمن حميده، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.

الهوامش:

- (١) ميناء خانفو، احدى مدن بلاد الصين من ناحية الشرق وأولى مدن الصين البحرية احتوت على ميناء يدعى ميناء خانفو عرف عند العرب والمسلمين، ينظر: السيرافي، ١٩٦١، ص ٣٤.
- (٢) البرامكة: هي احدى الاسر الفارسية التي عرفت ببلاد فارس قبل الاسلام، وينسبون الى جدهم الاكبر برمك وقد حظي الكثير منهم بعناية ومنزلة الخلفاء العباسيين، ينظر: ابن الطقطقي، ١٩٩٧، ص ١٩٧.
- (٣) ارض الجبل: وهي ارض واسعة واقليم عظيم ويسمى اقليم فرسان وعراق العجم ويشمل خمسمائة مدينة، ينظر: ابن الوردي، ٢٠٠٨، ص ١٢١.

قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الامريكية
The Embargo Act of 1807 and its impact on U.S. trade

م. زامل صالح جاسم

كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية

M. Zamiel Salih Jassim

Master of Modern and Contemporary History

Faculty of Basic Education

Al-Mustansiriyah University

Szamiel065@gmail.com

07711810730

قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الأمريكية

م. زامل صالح جاسم

مخلص البحث

يتناول هذا البحث قانون الحظر عام ١٨٠٧ الذي أعلنه الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون وصادق عليه الكونغرس بفرعيه النواب والشيوخ، وبموجبه منع المتاجرة مع بريطانيا وفرنسا رداً على اجراءات البلدين ضد السفن التجارية الأمريكية، لكن هذا انعكس سلبياً على الاقتصاد الأمريكي، مما دعا بعض الولايات الأمريكية، التي تضررت كثيراً الى عدم الالتزام به، وخاصة الولايات الشمالية، والى ازدياد عمليات التهريب، اذت اخيراً الى تراجع جيفرسون عن هذا القانون واستبداله باخر اخف ضرراً .

Summary:

This paper examines the 1807 embargo law announced by US President Thomas Jefferson and approved by Congress in both the House and Senate branches. To the lack of compliance with it, especially the northern states, and the increase in smuggling operations, led to Jefferson's retreat from this law and replaced it with a less damaging one,

الكلمات المفتاحية: الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا العظمى، فرنسا، توماس جيفرسون، قانون الحظر .

المقدمة:

عانت الولايات المتحدة الأمريكية كثيراً من الصراع الاوربي بين بريطانيا العظمى والوطن الام وبين فرنسا الحليفة التي قدمت المساعدة الكبيرة للولايات المتحدة الأمريكية في نيل الاستقلال، وعندما اندلعت الحرب في اوروبا عام ١٧٩٣، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحياد، لعدم التورط في الحرب، ولأن البلاد كانت بحاجة الى الاستقرار بعد السنوات الطويلة في الحرب الثورية، لكن

مع ظهور نابليون بونابرت وتجدد الحرب عام ١٨٠٣ وإعلانه حصاره القاري ١٨٠٦، والرد البريطاني بالمثل عليه، تعرضت السفن التجارية الأمريكية للتفتيش والاحتجاز من قبل طرفي الحرب، ولاسيما من جانب بريطانيا وانعكس ذلك سلباً على التجارة الأمريكية، مما دعا الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون اعلان قانون الحظر على التجارة مع الدولتين، هذا الحظر لقي معارضة قوية في الولايات المتحدة الأمريكية لانه أدى الى شل التجارة الأمريكية مع أوروبا وخلق مشاكل داخلية مع الولايات ولاسيما الشمالية.

قسم البحث الى مبحثين، المبحث الأول الذي حمل عنوان الحرب بين بريطانيا وفرنسا عام ١٨٠٣ وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منها، تناول الباحث تأثير الحرب بين بريطانيا وفرنسا على الولايات المتحدة الأمريكية، اما المبحث الثاني وعنوانه اعلان الرئيس الأمريكي جيفرسون قانون الحظر ١٨٠٧، وأثره على الاقتصاد الأمريكي، تناول ردة الفعل الأمريكية على تعرض السفن التجارية في البحار والمحيطات من تفتيش الى احتجاز ومصادرة، باعلان الولايات المتحدة قانون الحظر لمنع التجارة مع البلدين المتحاربين، مما انعكس سلباً على تجارة الولايات المتحدة، وولد هذا القانون معارضة قوية من عدد الولايات ولاسيما الشمالية، وبالتالي أضطر الرئيس جيفرسون الى التراجع جزئياً واستبدله بقانون اخر ومن ثم الغاءه .

أولاً: الحرب بين بريطانيا وفرنسا عام ١٨٠٣ وموقف الولايات المتحدة الأمريكية منها :

أندلعت الحرب بين بريطانيا وفرنسا مرة أخرى عام ١٨٠٣ مشكلة خطراً على التجارة الأمريكية، وبسبب التنافس للسيطرة على البحار بين الدولتين المتحاربتين، ولاسيما بعد أن أصبح نابليون بونابرت Napoleon Bonabarte* امبراطوراً لفرنسا ثم دكتاتوراً عام ١٨٠٤، إلا أنه لم يستطع الانتصار على بريطانيا في البحر، بعد هزيمته في معركة الطرف الأغر (Tarfalgar)** عام ١٨٠٥، وبقاء سيطرة البريطانيين على البحار، ومثلت هذه الهزيمة الفرنسية فشلاً لها لتصبح دولة بحرية عظمى. (صبحي، ١٩٦٨، صفحة ١٠٠) وبسبب عدم إمكانية فرنسا في تحدي بريطانيا في البحر، اتجه نابليون الى طرق اخرى للضغط على بريطانيا، تمثلت بمحاصرتها اقتصادياً، من خلال غلق القارة الاوربية بوجه التجارة البريطانية، عن طريق

قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الامريكية

إصدار مرسوم برلين عام ١٨٠٦ ، ثم عززه بمرسوم ميلان عام ١٨٠٧ ، وبموجب هذين المرسومين تم مصادرة السفن البريطانية وضربها ، فضلاً عن ذلك ضرب سفن الدول المحايدة التي تتعامل مع بريطانيا (الخفاجي، ٢٠١٠، صفحة ٨٤).

ردت بريطانيا على اجراءات فرنسا الاقتصادية بإعلانها فرض الحصار على الموانئ الفرنسية والحليفة معها ، والطلب من السفن المحايدة التوقف عند أحد الموانئ البريطانية والحصول على إذن قبل الدخول الى أي من الموانئ الفرنسية وحلفائها ، وإذا خالفت ذلك تتم مصادرتها (الحمدي، ٢٠٠٦، صفحة ١٣٨).

ان سياسة نابليون في عزل بريطانيا عن اوروبا ، ومنع تجارتها من الدخول الى القارة الاوربية ، واجهت صعوبات ، أهمها ، أولاً : أن الموانئ ليست الطريق الوحيد لدخول التجارة البريطانية الى اوروبا، وثانياً : اوروبا نفسها كانت بحاجة الى بريطانيا ومستعدة لتهديب البضائع البريطانية (نوار وجمال الدين، ١٩٩٩، صفحة ٣٠١).

أراد نابليون من الحصار القضاء على بريطانيا انتقاماً لنفسه وتعويضاً عما تكبده من خسائر ، جراء معركتي ابي قير والطرق الأغر (راشد، د.ت، صفحة ١٠٦)، نتيجة لذلك نظر نابليون الى أي دولة مشتركة في التجارة بالسلع البريطانية على انها شريكة لبريطانيا ، واعطى اوامره بمصادرة جميع السلع المصنوعة في بريطانيا او المستعمرات البريطانية (الدليمي، ٢٠١١، صفحة ٢٣١).

على الرغم من أن الولايات المتحدة الامريكية قد كانت قد أعلنت حيادها من الحروب الاوربية ، ولاسيما بين بريطانيا وفرنسا منذ رئاسة جورج واشنطن واشنطن George Washington عام ١٧٩٣ ، والاستمرار بالتزام حيادها في الحرب عام ١٨٠٣ إلا أن تفتيش سفنها وعرقلة تجارتها أدت الى احتجاجها الشديد على هذه الاجراءات التعسفية (السروجي، ٢٠٠٥، صفحة ٢٩)، لذلك شعرت الولايات المتحدة انهم الطرف المتضرر الأكثر من حرب القوتين الكبيرتين ، وهي المشكلة الأكبر التي واجهت الرئيس توماس جيفرسون في ولايته الثانية (زاوتر، ٢٠٠٦، صفحة ٣٩). وهكذا أصبحت السفن والتجارة الامريكية محصورة بين كماشتين مراسيم نابليون والحصار البريطاني ، وأن الامريكيون كانوا يعدون البريطانيون العدو الأسوأ على تجارتهم وسفنهم لأن اجراءاتهم لا تقتصر على الجانب التجاري ، ومصادرة السفن فقط ، بل امتدت الى أبعد من ذلك من خلال ملاحقة الاسطول البريطاني للقطع البحرية الامريكية ، والقبض

قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الأمريكية

عليها وخطف بحارتها مستخدمين اسلوب التجنيد القسري ، ومدعين إن البحارة والجنود البريطانيين يفرون ويلتجؤون الى السفن الامريكية طمعاً في زيادة الأجر وحسن المعاملة على اعتبار أن اجور البحارة في الاسطول الامريكي أكثر بخمس مرات من اجورهم في الاسطول البريطاني (الخفاجي، ٢٠١٠، صفحة ٨٤). شلت حركة التجارة الأمريكية في عدة مناطق ، وأن كلا الطرفين البريطاني والفرنسي، قد أثر على التجارة الأمريكية ، لكن تأثير بريطانيا كان اشد خطراً على الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنها قامت وبسبب سيطرتها على البحار بالتعرض للسفن الأمريكية ومصادرة السلع المشحونة (زيدي الخفاجي، صفحة ١٨٢).

ازداد هروب البحارة البريطانيين من الاسطول البريطاني ، الى (١٤٩) بحاراً من اصل (٤١٩) بحاراً وقبطان في عام ١٨٠٧ وحده (الخفاجي، ٢٠١٠، صفحة ٨٤). لذلك عد لجوء كثير من البحارة البريطانيين الى السفن الامريكية ، اصبح بمثابة عذر للضباط البريطانيين لتفتيشها ، فضلاً عن ارغام البحارة الامريكيون على العمل في خدمتهم (وزارة الخارجية الامريكية، ٢٠٠٠، صفحة ٥٥). من جانب اخر رفضت بريطانيا الإقرار بإمكان اكتساب أي بريطاني للجنسية الأمريكية ، وكان من صور الإذلال للسفن الأمريكية أن تقع تحت سيطرة طرادات بريطانية ويقوم ضابط بريطاني ومجموعة من الجنود البحريين بإيقاف البحارة الامريكان صفوفاً، وصل اخر الأمر الى الآلاف (نيفينز وكوماجر، ١٩٩٠، صفحة ١٦٣). من أهم الحوادث ، كان حادثة السفينة الحربية البريطانية (ليوبارد Leopard) ، التي قصفت السفينة الأمريكية (تشيسابيك Chesapeake) بالقرب من الشواطئ الأمريكية في خليج تشيسابيك بعد مقاومة ضعيفة من بحارة السفينة ، مخلفة خسائر مادية وبشرية ، البشرية هي فقدان احدى وعشرون بحاراً امريكياً ، وأثار هذا الحادث غضب الحزبان الجمهوري-الديمقراطي والحزب الفيدرالي، فضلاً عن الكثير من المواطنين الامريكيين ، رغبوا بخوض الحرب مرة اخرى مع بريطانيا وكاد هذا الحادث أن يجدد الحرب بين الطرفين (النيرب، ١٩٩٧، صفحة ١٤٩).

ثانياً: اعلان جيفرسون قانون الحظر ١٨٠٧ ، وأثره على الاقتصاد الأمريكي

حاول الرئيس جيفرسون الحفاظ على حياد الولايات المتحدة الأمريكية من الصراع الاوربي ، فقد كان يعرف أن الجمهورية الناشئة ، التي لم تستكمل نضجها ، بحاجة الى السلام (نيفينز وكوماجر، ١٩٩٠، صفحة ١٦٢) لكن تعرض الولايات المتحدة الى ضغوط خارجية، ولاسيما بعد اعلان نابليون حصاره القاري عام ١٨٠٦ ، وقوانين بريطانيا المضادة له ، والتي بموجبها تم ايقاف

السفن الى موانئ البلدين ، وحلفائهما ، وحتى الدول المحايدة لم تسلم من هذه الاجراءات التعسفية (عبدالله، ٢٠٠٦، صفحة ٥٨) . وبهذا الحصار المتبادل بين فرنسا وبريطانيا ، تعرضت تجارة الولايات المتحدة الى ضربة قوية ، شلت من حركتها ، الى درجة تعذر معها على أي سفينة امريكية ان تتبادل التجارة مع فرنسا وبريطانيا دون أن تتعرض الى المصادرة (Chesterton, 1919, p. 70) . وقد استولى البريطانيون خلال الاعوام ١٨٠٣ و ١٨٠٧ ، على (٥٢٨) سفينة امريكية ، بالمقابل صادرت فرنسا (٣٨٩) سفينة ايضاً (جوردن، ٢٠٠٨، صفحة ١١١). وبسبب هذه الخسائر الكبيرة ، اتفق الرئيس جيفرسون مع الكونغرس الامريكي على اصدار اوامر الى السفن البريطانية كافة بمغادرة الموانئ الامريكية ، وسحب السفن الامريكية من البحر المتوسط الى المياه الاقليمية الامريكية (كلارك، ٢٠٠٦، صفحة ٨٢)، وقد اثارت هذه الحوادث الشعب الامريكي الذي طلب الرد على البريطانيين ولاسيما بعد رد الحكومة البريطانية على القرارات الامريكية ، بقيامها باختطاف مرة اخرى عدد من البحارة الامريكين ، مجبرة إياهم على العمل في سفنها (Bureau of International Information Programs, U.S., 2011, p. 84)

بالرغم من مصادرة السفن الامريكية بواسطة الفرنسيين والبريطانيين ، لم تقطع الحكومة الامريكية علاقاتها التجارية مع اوربا ، لكن بالمقابل أصدر الرئيس جيفرسون بعض القيود على السلع التجارية، محاولاً اجبار بريطانيا وفرنسا على الاعتراف بحقوق الولايات المتحدة الامريكية كدولة محايدة (النيرب، ١٩٩٧، صفحة ١٥٠).

قرر الرئيس جيفرسون أن يعتمد الضغط الاقتصادي على الطرفين البريطاني والفرنسي ، إذ قدم الى الكونغرس في الرابع عشر من كانون الاول عام ١٨٠٧ قرار الحظر ، الذي بدوره وافق على تمرير هذا القرار (Bureau of International Information Programs, U.S., 2011, p. 84)

وضع هذا القرار تعليمات بالسفن التي يجب أن تدخل الموانئ الامريكية ومطالبة السفن التعريف بحمولتها ونوعية المهمة التي جاءت لأجلها مع بيان مهمة كل فرد على متنها وبطريقة قانونية اصولية ، كما اتخذت عدة قرارات ضد السفن البريطانية وحلفائها ، من خلال الفحص الدقيق للسفن المشتبه بها وتدقق اوراقها القانونية (بيرد، ١٩٤٤، صفحة ٢٠٦).

كان هذا الاجراء الذي اتخذه جيفرسون وسيلة لحمل الطرفين على سحب القيود التي فرضتها الدولتين على التجارة الأمريكية ، اذ اعتقد جيفرسون بأن منع أو حرمان الطرفين من القطن الأمريكي والسلع الاخرى كالحبوب والخشب ، سيجبرهما بإعادة النظر بهذه القوانين (الدليمي، ٢٠١١، صفحة ٢٣٧)، وقد عارض اصحاب السفن التجارية في الولايات الشمالية مثل هذه السياسة ، وذلك بسبب أن قانون الحظر ادى الى شل حركة التجارة الأمريكية ، ويكبدهم خسائر مالية كبيرة. (النيرب، ١٩٩٧، صفحة ١٥٠) . في الواقع أن الحصار ، ونطاق الحظر ، والسلطات التي أعطيت للسلطة التنفيذية لتنظيم التجارة جعل التجارة بين الولايات ، التي بدأت بتنظيم الطرق الداخلية ، كالسكك الحديدية التي لم تكن جيدة (Mashaw, 2007, p. 1646).

اما في الكونغرس الأمريكي بفرعيه الشيوخ والنواب ، فقد كانت المناقشات حامية في شهر شباط عام ١٨٠٨ ، وطالب فيها عدد كبير من الأعضاء تخفيف هذا الخطر او الغاءه ، وعدم زيادة اعداد الجيش الأمريكي في وقت السلم ، بعد طلب جيفرسون من الكونغرس اضافة فوجين الى الجيش لغرض مراقبة تنفيذ الحظر والحد من عمليات التهريب المستمرة (Abams , 1890, p. 211).

عانى أصحاب المزارع في بعض اقسام الولايات المتحدة الأمريكية من خسائر كبيرة، لأن الأسعار انخفضت عندما لم يعد لمزارعي الغرب الأمريكي أن يصدروا الفائض من قمحهم ، ولحومهم ، وتبغهم الى ما وراء البحار ، وقد أطلق على هذا الاجراء أو الحظر ، بأنه كعملية بتر ساق من قبل جراح ، لكي يحافظ على حياة شخص ما (نيفينز وكوماجر، ١٩٩٠، صفحة ١٦٤). لم يكن جيفرسون منزعجاً او متخوفاً من التذمر من قبل ولايات الشمال ، وفي الثالث والعشرون من آذار ١٨٠٨ ، كتب جيفرسون الى ليفي لنكولن الابن Levi Lincoln Jr (١٧٨٢-١٨٦٨) عضو الكونغرس من ولاية ماساشوستس قائلاً "يبدو أن الموافقة تمت على القرار، حتى من قبل الفدراليين، لأنه كان البديل عن الحرب" ، وأيضاً ، قال في تموز عام ١٨٠٨ " اليوم ليس بعيداً أن تكون الحرب أفضل من الحظر " (Morse, 1883, p. 810).

لقد كان الحظر الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية على بريطانيا وفرنسا سلاح ذو حدين ، فإلى جانب منع المنتجات الأمريكية من تصديرها الى اوروبا ، الذي حرم الشعب الأمريكي من استيراد المنتجات الصناعية الاوربية ، وفي هذا الشأن كتب الوزير الأمريكي المفوض في لندن وليم بينكني William Pinkney (١٧٦٤-١٨٢٢) الى ماديسون في صيف عام

١٨٠٨ قائلاً " السلطات في بريطانيا فعلت بشكل طبيعي لهزيمة الحصار ، كانوا يجبرون بعض السفن الامريكية الى الدخول الى موانئهم ، من خلال إصدار تصاريح لهم للدخول للموانئ المحرمة في القارة " (Muzzey, 1918, p. 276).

اضطرت بريطانيا بعد تشريع هذا القانون الى البحث عن الاستيراد من أطراف جديدة ، فأنها حاولت أن لا تتأثر بهذا الحظر الامريكي للتجارة معها (النيرب، ١٩٩٧، صفحة ١٥٠).

اما فرنسا فقد كانت دولة زراعية ومكتفية ذاتياً ، عدا ارتفاع بعض السلع الكمالية ، لكن هذا أثر فقط على عدد محدود وكانت المصانع ذات اهمية قليلة ، لأن الثورة الصناعية لم تبدأ بعد ، لذلك كان طلب القطن ضعيفاً ، وأن نابليون قد سيطر على مساحات واسعة في اوروبا ، فقد كانت الامدادات تأتي من مختلف الأماكن في وقت لاحق اثناء غزو موسكو ، كما يقال انه يلبس الصوف والاحذية من بريطانيا لذلك استطاعت اوروبا تجاوز هذا الحظر (٢) (Jonnings , 1918, p. 70). ومن جانب الولايات المتحدة ، فقد ازدادت عمليات التهريب ، وخصوصاً مع كندا ، والتي دعت وزير المالية كالاتين الطلب في اجتماع مجلس الوزراء في الخامس من نيسان ١٨٠٨ الى الحاجة الى عشرين سفينة حربية في ميناء اورليانز ، وعدد من الافراد لتقوية قواتهم لمنع التهريب من كندا (Sears, 1927, p. 64) . طلب ايضاً كالاتين نقل تحصيل وتفتيش السفن الى موظفي وزارته ، من حكام الولايات ، لانتهاك هؤلاء للقانون من خلال تأثير المحسوبة عليهم (Sears, 1927, p. 79) .

كانت هناك مفاوضات مع الجانب البريطاني ، فإن نجاح هذا المفاوضات أو فشلها ايضاً يعتمد على موقف بعض الولايات التي عارضت الحظر ، فبدأ جيفرسون يتحرك بعد اعلان ولايات نيو اورليانز وجورجيا ، وكارولينا الجنوبية ونيو هامبشير انها لن تلتزم بالحظر ، فأصدر قراراً في الخامس والعشرون من نيسان ١٨٠٨ ، يجيز له احتجاز جميع السفن في السواحل وبضائعها وتفتيشها لمنع التهريب ، وايضاً من اجل ضمان امدادات الطحين والمواد الضرورية الى الولايات المتحدة ، وهذا الاجراء أدى الى ضغط كبير على وزارة الخزانة وسكرتيرها البرت كالاتين (Sears, 1927, p. 76) Albert Gallatin (١٧٦١-١٨٤٩)، الذي التزم بتنفيذها بالرغم من معارضته

الولايات الأمريكية الشمالية عانت كثيراً من الحظر ، فضلاً عن أن الولايات الوسطى هذه والجنوبية ، التي لم تستطع من تصريف بضائعها ومنتجاتها الزراعية (زاوتر ، ٢٠٠٦ ، صفحة ٤٠) ، وتداعت الاسعار بعد أن تكدست المنتجات الزراعية في الاسواق الأمريكية ، مما أدى الى انخفاض الاسعار في سنة واحدة الى خمس حجمها السابق (نيفينز وكوماجر ، ١٩٩٠ ، صفحة ١٦٤)

ان عدم نجاح الولايات المتحدة في حظرها للتجارة مع بريطانيا وفرنسا قد عُزي الى الافتقار الى التنفيذ الفعال ، والى عدم القدرة على الحاق ضرر اقتصادي اكبر على بريطانيا العظمى ، لكن فعالية الحظر اقتصرت على الموائى الداخلية ، والتي أدت الى زيادة في الاسعار للسلع المستوردة من بريطانيا ، وأدى الحظر الى انخفاض الصادرات الأمريكية اثنان وعشرون مليون دولار امريكي ، والواردات الى ستة وخمسون مليون دولار في عام ١٨٠٨ (Muzzey, 1918, p. 282) . وبمرور الوقت ادت الخسائر الكبيرة للولايات المتحدة في الضغط على الرئيس جيفرسون ، الذي اعتقد في بداية شهر ايلول ١٨٠٨ ، ان ثبات بريطانيا في موقفها ، جعله يشعر باليأس من تغيير سياسة بريطانيا ، فضلاً عن ان مناقشات الكونغرس في تشرين الثاني ، والتي انتظرتها البلاد بفارغ الصبر لسماع ما سيقوله جيفرسون لهذه الهيئة التشريعية هل سيعلن بعد خيبات الامل في الداخل والخارج من نجاح الحظر ، والتي ادت الى خسارة حزبه لجميع اصوات ولايات الشمال في الانتخابات الرئاسية (Morse, 1883, p. 311).

من جانب اخر لعبت الصحافة دوراً مهماً في إثارة مشاعر الرأي العام ضد الحظر وبالأخص في ولايات الشمال والوسطى منتقدةً اصرار الرئيس جيفرسون في المضي في هذا القانون الجائر ، ففي صحيفة بوسطن كتبت مقالاً حاء فيه " أن حكومتنا قد وصلت الى أقصى اجراءاتها الدفاعية ، دون وجه حق تريد منا أن نتفوق ، لأننا لا نريد الاصطدام مع فرنسا وبريطانيا ، ويجب علينا البقاء في منازلنا لكي نجوع ، ويجب أن نبحث عن العلاج من خلال المغامرة في الخارج ، ونتحاشى مقاومتها" ، وفي مقال آخر في بوسطن قالت " من واجب أي مواطن أن يطيع القوانين ، لكن أيضاً من حقه أن يرفض ظلم هذا القانون ، والمطالبة بإلغائه " (Jonnings, 1918, p. 94) . في الواقع أن الادارة الأمريكية كانت بحاجة الى دعم بعض الولايات الوسطى ، مثل ولاية بنسلفانيا والتي عانت ايضاً من الحظر خلال هذه الفترة، مما أدى الى انخفاض في التصويت لصالح اي اجراء تتخذه الحكومة لمواصلة الحظر، وأن مرور كل يوم

على الحظر سوف يؤدي الى زيادة المعارضة ، وبالتالي الى التفكير بحدوث ثورة ضد الحكومة او حرب اهلية (Marting, 1922, p. 165).

زاد السخط من الاطراف المعارضة للحظر ، وخاصة من السياسيين في ولايات الشمال، وأعلنت ولاية نيويورك تمردا ، وأخذ التمرد بالامتداد ليصل الى الميسيسيبي ، إذ أقدمت بعض الولايات على اعلان التمرد بدعوى حماية أراضيهم وتجارتهم من الغراء ، من الحزب الفدرالي ، فهذا تيموثي بيكرينغ Timothy Pirckering* ، كتب الى المبعوث البريطاني جورج كاننغ George Canning**³ "أن مصالح الولايات المتحدة منسجمة مع مصالح بريطانيا العظمى" (Muzzey, 1918, p. 277)، وقد هدد بإنفصال ولايات الشمال داعياً الولايات التي تقع مزارعها على المحيط أن تنظر بجدية الى مصالحها وضرورة الحفاظ عليها (Muzzey, 1918, p. 277).

كتب كاننغ في الرابع من أيار عام ١٨٠٨ الى بيكرينغ قائلاً " أن الملك قد أمر بضرورة إنشاء مراكز جديدة للتبادل التجاري في كوينهاكن وموانئ اخرى في نيوزلندا للتعويض عن المنتجات والسلع الأمريكية " (Jonnings, 1918, p. 32)، وفي الثالث والعشرين من حزيران ١٨٠٨ ، أصدر البرلمان الانكليزي ، قانوناً يسمح به بالاستيراد المباشر للسلع الأمريكية لبريطانيا العظمى ، اذا تم نقل هذه السلع في سفن بريطانية أو سفن امريكية تم الاستيلاء عليها (Jonnings, 1918, p. 32).

على الرغم من أن الحظر كان له أثر سلبي على التجارة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن الرئيس جيفرسون يحذوه الأمل في أن يؤدي الحظر فضلاً عن تلقين أوروبا درساً، الى زيادة بدائل الاستيراد ، وتشجيع الانتاج والمشاريع التجارية داخل البلاد ، والى تعليم الأمريكيين بوجه عام أن يقللوا من اعتمادهم على الآخرين ، والواقع أن الصناعة الأمريكية ، قد تلقت دعماً ، ولاسيما في بنسلفانيا ، لكن في النهاية ، وعلى المدى القصير ، بدأ المزارعون في الادخار والتجار الى التمرد ، والمحامون وموظفو الضرائب في رفع عدد كبير من الدعاوى القضائية او قبول الرشاوي (هيتشنز ، ٢٠٠٨ ، الصفحات ١٥٧-١٥٨).

اتهم جيفرسون بأنه يريد تدمير التجارة ، وأنه كان يجرب الحظر على نطاق واسع ، لكن بعض الآراء المؤيدة له أنه حاول بصدق الحفاظ على السلام وحماية الشحن ، والتجارة ،

والمنتجات المستوردة من الاعفاءات (Jonnings, 1918, p. 45). بالإضافة الى اتهامه بأن الحظر كان أكثر تشدداً على بريطانيا مقابل التساهل مع فرنسا ، لاعتقاده أنها دولة داخل جزيرة ولديها عدد أكبر من السفن، ومستعمراتها الكثيرة في مختلف بقاع العالم ، وأن مزيداً من الوقت سيؤدي الى استسلامها بدون شروط (هيتشنز ، ٢٠٠٨ ، صفحة ١٥٨). هذا التشدد لم يمنع جيفرسون من القول " أن عودة السلام في اوربا سيزيل كل أسباب الحظر " (Abams , 1890, p. 204). ومن جانب اخر أدرك جيفرسون ان مناقشات الكونغرس في التاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٨٠٨ ، أن معارضة القانون في الكونغرس قد انتهت ، بعد انخفاض عدد الذين صوتوا في مجلس النواب الى اثنان وعشرون فقط ضد قانون الحظر التكميلي ، أما في مجلس الشيوخ فلم تسجل أي معارضة ، وقد اعتبره جيفرسون النجاح الذاتي لسياسة تجنب الحرب ، لكن استمرار الحظر زاد الأمر سوءاً بالنسبة للمواطن الأمريكي ، فقد وجد اكثر من (٣٧) الف شخص ممن يعملون على السفن والبواخر الأمريكية أنفسهم دون عمل أو مصدر رزق ، وأعلن الكثير من اصحاب السفن افلاسهم ، لركود التجارة ، وامتألت السجون بالمديونين ، لذلك كان لهذا القانون تأثير مأساوي على الولايات المتحدة أكثر من تأثيره على بريطانيا أو فرنسا ، علاوة على ذلك هو عدم تحقيقه الغاية المنشودة ، وهي اجبار القوتين الاوربيتين على تغيير سياستهما (الخفاجي، ٢٠١٠، صفحة ٨٦).

كانت هناك كثير من الدلائل التي ظهرت تدلل أن الحرب الاهلية قادمة لا محالة ، ففي الرابع من كانون الثاني ١٨٠٩ كتب جوزيف ستوري Joseph Story (١٧٧٩-١٨٤٥) عضو الكونغرس من ماساتشوستس الى احد الاصدقاء قائلاً " اذا استمر الحظر ، فان فصل الولايات الشمالية الشرقية عن الاتحاد سيكون قريباً " (Jonnings, 1918, p. 163)، وتحدث جون كوينسي ادمز John Quincy Adams (١٧٦٧-١٨٤٥) من ماساتشوستس، عن عدم رضاه من الولايات الشمالية الشرقية ، التي رفضت الحظر ، وبدأت تتفاوض سراً مع بريطانيا ، لأجل انفصال ولايتهم عن الاتحاد ، وهذا يدل على عدم اخلاصهم الى الاتحاد (Jonnings, 1918, p. 163). كل هذه المشاكل التي حدثت بعد اعلان الحظر من قبل الرئيس وتأثيرها على الوضع الاقتصادي الأمريكي ، ولاسيما ان الولايات المطلة على المحيط ، ولحدوث عمليات التهريب الكثيرة ، والاعفاءات والتساهل في تطبيق القانون من قبل بعض الولايات ، كل هذا دفعت الرئيس جيفرسون الى التراجع جزئياً عن قانون الحظر ، واستبداله بقانون اخر يمنح الرئيس الحق بإعادة

قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الأمريكية

العلاقات التجارية مع أي من الدولتين الأوربيتين ، التي تتعهد بإحترام حرية الملاحة الأمريكية (الخفاجي، ٢٠١٠، صفحة ٨٦). وقد شرع هذا القانون لتنظيم التجارة للولايات المتحدة ولصيانة المصالح الأمريكية والحفاظ على تجنب الولايات المتحدة الحرب (محمد، ٢٠٠٩، صفحة ٧٥).

الخاتمة :

ومن خلال البحث هذا توصل الباحث الى هذه النتائج:

- عندما اندلعت الحرب بين بريطانيا وفرنسا عام ١٨٠٣، أعلنت الولايات المتحدة عن التزامها بالحياد مرة أخرى.
- اعلان نابليون بونابرت حصاره القاري عام ١٨٠٦، واصداره مراسيم برلين وميلانو لمنع استيراد البضائع الانكليزية لمحاصرة بريطانيا اقتصادياً بعد عجزه من احتلالها عسكرياً، السياسة الخارجية الأمريكية منذ حكومة جورج واشنطن الاولى عام ١٧٨٩، وأعلنت حيادها من الحروب في القارة الاوربية عام ١٧٩٣-١٧٩٤، خشية من التورط بها، ولان الولايات المتحدة بلد ناشئ بحاجة الى السلام والاستقرار.
- ردت بريطانيا على مراسيم نابليون بعقوبات مماثلة على فرنسا ، ومنع السفن من نقل البضائع الفرنسية، وشمل هذا حتى الدول المحايدة ، وانعكست هذه الاجراءات على التجارة الأمريكية، التي كانت تستورد البضائع من البلدين، وتعرضت السفن التجارية الأمريكية في البحار والمحيطات الى التفتيش والاحتجاز والمصادرة.
- أثارت هذه الاجراءات التعسفية غضب الحكومة والرأي العام الأمريكي ، ودعا الكثير من الشخصيات السياسية الى مقاومة هذه الاجراءات ، وخاصة ضد بريطانيا ، التي حاولت الانتقام من الولايات الأمريكية بسبب إعلانها الاستقلال عنها.
- أصدر الرئيس قانون الحظر عام ١٨٠٧ رداً على الحرب التجارية من قبل البلدين المتحاربين.
- كان لقانون الحظر تأثير سيئ على الاقتصاد الأمريكي، إذ ادى الى توقف الصادرات الأمريكية الى الخارج، وحدث كساد للبضائع ، مما ادى الى زيادة التهريب على الحدود، وعدم التزام عدد من الولايات بهذا القانون، وخاصة الشمالية.
- اضطر الرئيس توماس جيفرسون الى التراجع جزئياً عن هذا القانون ، استبداله بقانون آخر أخف تأثيراً.

المصادر والمراجع

١- المصادر العربية

أ- الرسائل والاطاريح:

١. الخفاجي ، بيان عبد زيدي ، (٢٠١١)، جهود نابليون بونابرت بناء امبراطوريته (١٨٠٤-١٨٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، جامعة ذي قار .
٢. الخفاجي، حاكم فنيخ علي ،(٢٠١٠)، الحزب الديمقراطي ودوره في الحياة السياسية الامريكية (١٨٠١-١٨٢٨) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية-صفي الدين الحلي، جامعة بابل.
٣. الدليمي ، سحر احمد ناجي، (٢٠١١). سياسة بريطانيا الخارجية تجاه فرنسا في اوروبا (١٧٥٦-١٨١٥)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة بغداد.
٤. عبدالله ،حسن عطية، (٢٠٠٦)، مبدأ مونرو واثره على السياسة الخارجية الامريكية للفترة (١٨٢٣-١٨٦٥)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد.
٥. محمد ، لطفي جميل، (٢٠٠٩)، حرب عام ١٨١٢ (الحرب الامريكية البريطانية ١٨١٢-١٨١٤)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة.

ب: الكتب العربية والمعربة:

١. بيرد ، تشارلز وماري، (١٩٤٤)، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية، بيروت، مكتبة اطلس.
٢. جوردن ،جون سنيل، (٢٠٠٨)، امبراطورية الثروة، الكويت، عالم المعرفة
٣. راشد ، زينب عصمت ،(د.ت)، تاريخ اوروبا في القرن التاسع عشر، القاهرة، دار الفكر العربي.
٤. زاوتر ، اودو، (٢٠٠٦)، رؤساء الولايات المتحدة الامريكية منذ ١٧٨٩ حتى الان، لندن، دار الحكمة.
٥. السروجي ، محمد محمود ،(٢٠٠٥)، سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ الاستقلال الى منتصف القرن العشرين، الإسكندرية ، مركز الاسكندرية للكتاب.

قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الامريكية

٦. صبحي ، حسن ، (١٩٦٨)، معالم التاريخ الامريكي بيروت، دار النهضة العربية.
٧. كلارك ، جون ، (٢٠٠٦)، موجز التاريخ الأمريكي ، واشنطن، مكتب الاستعلامات الخارجية.
٨. الحمدي ، صبري فالح. (٢٠٠٦). قضايا تاريخية عربية ودولية. بغداد: دار الحوراء للطباعة والنشر.
٩. نوار وجمال الدين ، عبد العزيز سليمان ومحمود محمد، (١٩٩٩)، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي.
١٠. النيرب ،محمد محمود ، (١٩٩٧)، المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية حتى عام ١٨٧٧، الإسكندرية ، دار الثقافة الجديدة.
١١. نيفينز وكوماجر ، الان وهنري ستيل، (١٩٩٠)، موجز تاريخ الولايات المتحدة، مصر، الدار الدولية للنشر والتوزيع.
١٢. هيتشنز ، كريستوفر (٢٠٠٨) ، توماس جيفرسون وعلان استقلال أمريكا، القاهرة ، كلمات عربية للترجمة والنشر.
- هيز ، كارلتون، (١٩٨٧) . التاريخ الاوربي الحديث(١٧٨٩-١٩١٤) ،ترجمة : فاضل حسين، دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل.
١٣. وزارة الخارجية الامريكية ، مكتب الاستعلامات، (٢٠٠٠)، موجز التاريخ الأمريكي ،(شيرين سعيد شلبي، المترجمون) الإسكندرية ، مكتبة الاسكندرية.

٢-المصادر الإنكليزية

أ-الكتب:

- Abams , H. (1890). *History of the United States of America*. New York.
- Jonnings, W. (1918). *The American Embago 1807-1809*. Iowa.
- Bureau of International Information Programs, U.S. (2011). *Out Line of U.S.History*. Washington.
- .London *A History of the United States* .(١٩١٩).Cecil Chesterton

Marting, L. (1922). *The Middle States and the Embargo of 1808*. Durham.

Mashaw, J. (2007). *Relucant Nationalists :Federal Administration and Administrative Law in the Republican Era 1801-1883*. New York.

Morse, J. (1883). *Thomas Jefferson*. Boston.

Muzzey, D. S. (1918). *Thomas Jefferson*. New York: Scribners Sons.

Sears, L. M. (1927). *Jefferson and Embargo*. North Carliona.

الان وهنري ستيل نيفينز وكوماجر. (١٩٩٠). موجز تاريخ الولايات المتحدة. مصر: الدار الدولية للنشر والتوزيع.

اودو زاوتر. (٢٠٠٦). رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ حتى الان. لندن: دار الحكمة.

بيان عبد زيبيدي الخفاجي. (بلا تاريخ). جهود نابليون بونابرت بناء امبراطوريته (١٨٠٤-١٨٠٨). رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية، جامعة ذي قار: ٢٠١١.

تشارلز وماري بيرد. (١٩٤٤). تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. بيروت: مكتبة اطلس.

جون ستيل جوردن. (٢٠٠٨). امبراطورية الثروة. الكويت: عالم المعرفة.

جون كلارك. (٢٠٠٦). موجز التاريخ الأمريكي. واشنطن: مكتب الاستعلامات الخارجية.

حاكم فنيخ علي الخفاجي. (٢٠١٠). الحزب الديمقراطي ودوره في الحياة السياسية الأمريكية (١٨٠١-١٨٢٨). رسالة ماجستير. كلية التربية-صفي الدين الحلي، جامعة بابل.

حسن صبحي. (١٩٦٨). معالم التاريخ الأمريكي. بيروت: دار النهضة العربية.

حسن عطية عبدالله. (٢٠٠٦). مبدأ مونرو واثره على السياسة الخارجية الأمريكية للفترة (١٨٢٣-١٨٦٥). رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب، جامعة بغداد.

زينب عصمت راشد. (د.ت). تاريخ اوروبا في القرن التاسع عشر. القاهرة: دار الفكر العربي.

سحر احمد ناجي الدليمي. (٢٠١١). سياسة بريطانيا الخارجية تجاه فرنسا في اوروبا (١٧٥٦-١٨١٥). اطروحة دكتوراه غير منشورة. كلية الاداب، جامعة بغداد.

صبري فالح الحمدي. (٢٠٠٦). قضايا تاريخية عربية ودولية. بغداد: دار الحوراء للطباعة والنشر.

عبد العزيز سليمان ومحمود محمد نوار وجمال الدين. (١٩٩٩). التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى. القاهرة: دار الفكر العربي.

قانون الحظر عام ١٨٠٧ وأثره على التجارة الأمريكية

كريستوفر هيتشنز . (٢٠٠٨). *توماس جيفرسون و اعلان استقلال امريكا*. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر.

لطي جميل محمد. (٢٠٠٩). *حرب عام ١٨١٢ (الحرب الأمريكية البريطانية ١٨١٢-١٨١٤)*. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة.

محمد محمود السروجي. (٢٠٠٥). *سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ الاستقلال الى منتصف القرن العشرين*. الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب.

محمد محمود النيرب. (١٩٩٧). *المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٨٧٧*. الاسكندرية: دار الثقافة الجديدة.

مكتب الاستعلامات ووزارة الخارجية الأمريكية. (٢٠٠٠). *موجز التاريخ الأمريكي*. (شيرين سعيد شلبي، المترجمون) الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية.

الهوامش:

* نابليون بونابرت: ولد في مدينة اجاكسيو في جزيرة كورسيكا في عام ١٧٦٩، اظمر تفوقا في العلوم العسكرية في المدرسة الحربية عام ١٧٨٥، اصبح ضابطا في سلاح المدفعية في الجيش الملكي الفرنسي، شارك في حروب الثورة الفرنسية عام ١٧٩٣، قاد الحملتين على ايطاليا في عام ١٧٩٦، وعلى مصر ١٧٩٧، اصبح قنصلاً أول في عام ١٧٩٩، وامبراطوراً في ١٨٠٤ تم نفيه الى جزيرة البا بعد هزيمته من التحالف الاوربي بعد هزيمته بمعركة واترلو عام ١٨١٥ للمزيد من التفاصيل:

<https://www.encyclopedia.com/history/modern-europe/wars-and-battles/french-revolutionary-wars>

** الطرف الأغر : وهي معركة جرت بين الاسطولين البريطاني والفرنسي واسفرت هذه المعركة عن تم تدمير أسطول نابليون البحري بالقرب من الميناء الاسباني قادش (Cadiz) في يوم ٢١ تشرين الأول عام ١٨٠٥ تلك المعركة التي قضت على الأسطول الفرنسي ، وأصبحت بريطانيا صاحبة السيادة في البحار للمزيد من التفاصيل انظر: كارلتون هيز، التاريخ الاوربي الحديث (١٧٨٩-١٩١٤) ، ترجمة: فاضل حسين، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص ٥٩ .

* أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، ولد عام ١٧٣٢ في مقاطعة ويست مورلاند West Moreland ، عمل مساحاً والتحق بفرق الحرس الوطني في فرجينيا ، قاد حرب الاستقلال الأمريكية ، وترأس المؤتمر الدستوري في فيلادلفيا ، تولى السلطة في الثلاثين من نيسان عام ١٧٨٩ بدوريتين رئاسيتين حتى عام ١٧٩٧ ، توفي عام ١٧٩٩ ، للمزيد من المعلومات انظر: . Encyclopedia Americana Vol. 28, P. 387

* تيموثي بيكرينغ : من مواليد مدينة سالم ، ماساتشوستس ، تخرج من كلية هارفارد في عام ١٧٦٣ وحصل على درجة الماجستير في الآداب عام ١٧٦٦. بعد دراسة القانون،لتحق اصبح محامياً عام ١٧٦٨.دخل بيكرينغ الجيش الثوري كعقيد في عام ١٧٧٥ وانتخب لعضوية المجلس التشريعي في ماساتشوستس في العام المقبل.في عام ١٧٧٧ تم تعيينه مساعداً عاماً وانتخبه المؤتمر القاري كعضو في مجلس الحرب.شغل منصب ريان عام للجيش من ١٧٨٠ حتى ١٧٨٤.بعد الحرب ،انتقل بيكرينغ إلى ولاية بنسلفانيا ومثل مقاطعة لوزيرن Luzerne County في ١٧٨٧ في المؤتمر الاتحادي لمناقشة الدستور الجديد والمصادقة عليه في الولاية.(1789-1790) أصبح بيكرينغ مديرعام للبريد في عام ١٧٩١ ، والذي استمر حتى عام ١٧٩٥. وتم تعيينه وزيراً للحرب في كانون الثاني ١٧٩٥. أصبح عضواً في مجلس الشيوخ الفيدرالي من ولاية ماساتشوستس من عام ١٨٠٣ حتى عام ١٨١١ ، ثم من عام ١٨١٣ حتى عام ١٨١٧،توفى عام ١٨٢٩.للمزيد من التفاصيل أنظر:

<https://history.state.gov/departmenthistory/people/pickering-timothy>

** جورج كاننغ : رجل دولة بريطاني ،ولد في لندن عام ١٧٧٠،درس في مدرسة ايتون،وكلية كرايست تشرتش،نقل العديد من المناصب، الى ان اصبح وزيراً للخارجية للاعوام ١٨٠٧ -١٨٠٩،كان معارضاً لسياسة الدول الاوربية لقمع الحركات التحررية في مختلف دول العالم، اعترف باستقلال المستعمرات الاسبانية في امريكا الجنوبية،ونادى بحرية التجارة، تقلد منصب الخارجية مرة اخرى في عام ١٨٢٢،اصبح رئيساً للوزراء عام ١٨٢٧، توفى في نفس العام .انظر:آلان بالمر،موسوعة التاريخ الحديث(١٧٨٩-١٩٤٥)،ترجمة: سوسن فيصل السامروبيوسف محمد امين،دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ، ١٩٩٢،ص١٥٣.

الوحدة الوطنية في منظور عدد من الصحف العراقية بعد انقلاب

٨ شباط ١٩٦٣ - ١٧ تموز ١٩٦٨ (الاكرد انموذجاً)

National unity in the perspective of a number of Iraqi
newspapers after the coup of February 8, 1963 - July 17,
1968 (the Kurds as a model)

د.م. عبدالسميع خلف عبد

M.Dr. Abdulsamea Kh. Abid

المديرية العامة لتربية الانبار

Edu.G.D.in Anbn

الوحدة الوطنية في منظور عدد من الصحف العراقية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ - ١٧
تموز ١٩٦٨ (الأكرد انموذجاً)

د.م. عبدالسميع خلف عبد

الملخص:

كان للصحافة العراقية دور كبير في الحديث والكتابة عن الوحدة العراقية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، ومحاولة التقريب بين وجهات النظر بين الحكومة العراقية وبين الأكرد الذين كانوا يطالبون باقليم اداري ضمن الحكومة المركزية، واستطاعت الصحافة العراقية ان تضع حقائق الاحداث بيد ابناء المجتمع لتوعيته بان هناك اطراف خارجية تبحث عن اثارة الطرف الكردي لتبقى الاوضاع الداخلية داخل العراق مضطربة، ولتضعف الحكومة المركزية التي استطاعت بتغيير نظام حكم عبدالكريم قاسم.

ان موضوع الوحدة الوطنية كان من المواضيع التي شغلت الصحافة العراقية، والتي اعطت صورة واضحة بان القتال بين ابناء الشعب الواحد هو خسارة لاي طرف منتصر، ولذلك طالبت الأكرد بتهدئة الاوضاع والامتنال الى قرارات الحكومة المركزية، فضلاً عن دور الصحافة في ايجاد مخرج يتلائم مع مطالب الأكرد.

Abstract

The Iraqi press had a major role in talking and writing about Iraqi unity after the February 8, 1963 coup, and trying to bridge the gap between the views between the Iraqi government and the Kurds, who were demanding an administrative region within the central government. A foreign ministry is looking to provoke the Kurdish party to keep the internal situation inside Iraq in turmoil, and to weaken the central government, which was able to change the regime of Abdul Karim Qasim.

The issue of national unity was one of the topics that preoccupied the Iraqi press, which gave a clear picture that the fighting between the sons of one people is a loss for any victorious party, and therefore demanded the Kurds to calm the situation and comply with the decisions of the central government, as well as the role of the press in finding a way out that fits with the demands of the Kurds.

المقدمة :

تعد الصحافة منبراً فكرياً يعبر عن وجهات نظر محرريها وكتابها لاجداث وقعت في مدة زمنية في البلد والوطن العربي والعالم ، والصحافة العراقية كانت تشعب من الواقع المادي لحياة الامة والشعب العراقي ، مما جعل تلك الصحافة مصدراً مهماً من مصادر المعرفة التاريخية ، اذ كانت الدراسات التي اهتمت بالمشكلة الكردية بعيدة كل البعد عن الاراء والمقالات التي تحدثت عن الوحدة الوطنية ، ولذلك تركز البحث عن موقف عدد من الصحف العراقية من الوحدة الوطنية واهم ايجابيات هذه الوحدة. تم تقسيم البحث الى مبحثين ، اشار المبحث الاول الى موقف عدد من الصحف العراقية من الوحدة الوطنية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ - ١٤ نيسان ١٩٦٦ ، وأما المبحث الثاني فقد ركز على موقف الصحف العراقية من الوحدة الوطنية ١٤ / نيسان / ١٩٦٦ حتى قيام انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ .

المبحث الاول

موقف عدد من الصحف العراقية من الوحدة الوطنية بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ - ١٤ نيسان ١٩٦٦

المشكلة الكردية ليست وليدة الاحداث القريبة التي ادت الى قيام البعث باسقاط حكومة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقياداتها الممثلة بعبدالكريم قاسم عبد^(١) الذي استلم رئاسة الوزراء بعد سقوط النظام الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والذي اعلن فيه عن بنود الدستور العراقي الجديد والتي أُجريت تعديلات على النظام الاساسي العراقي والذي عد اول دستور مؤقت صدر في ٢٧ تموز ١٩٥٨ ، والذي تضمن مسألتين هما: ان العراق جزء من الامة العربية ، وعلى ان العرب والاكرد هما شركاء في هذا الوطن^(٢) ، فكانت المادة الثالثة في الدستور هي الاقرب الى نفوس الاكرد الدستورية والتي نصت " يقوم الكيان العراقي على اساس التعاون بين المواطنين كافة باحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم ويعتبر العرب والاكرد شركاء في هذا الوطن ، ويقر الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية"^(٣) ، ومن بعدها اصدرت الحكومة عدة قرارات باعادة البرزانيين الذي هربوا الى خارج العراق في العهد الملكي^(٤) ، هذا اعطى تقارباً بين عبداكريم قاسم والملا مصطفى البارزاني^(٥) الذي لم يدم طويلاً بسبب خلافات ظهرت بينهما ، اصدار قانون الاصلاح الزراعي ، وزيارة السفير البريطاني همفري تريلفيان (Hmfry)^(٦) Tryflyan للملا مصطفى في مقره في بغداد في ٢١ شباط ١٩٦٠ ، وبالمقابل زار الملا مصطفى البارزاني بعد اسبوع السفير البريطاني ، وزيارة الملا مصطفى الى موسكو في ٥ تشرين الاول من العام نفسه بدون علم الحكومة ادى الى نشوب الحرب بين الحكومة من جهة والاكرد من جهة اخرى في ايلول ١٩٦١^(٧) ، مما فسح المجال للاكرد بالتعاون مع البعثيين والقوميين لاسقاط نظام عبداكريم قاسم ، وتحققت الاهداف المشتركة في هذا التعاون ، ليستلم عبداالسلام محمد عارف^(٨) السلطة الجديدة في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ بقيادة حزب البعث المحظور^(٩) .

بعد الانقلاب في ٨ شباط ١٩٦٣ اهتمت الصحافة العراقية وبشكل دائم ببيانات الحكومة الجديدة وما اعلنته في بيانها الاول الذي اكد على مسألة رئيسية هي تحقيق وحدة الشعب والمحافظة على الاخوة العربية - الكردية^(١٠).

اهتمت الحكومة الجديدة بالمشكلة الكردية اهتماماً كبيراً في سبيل ايجاد الحلول لها ، فقد نشرت صحيفة الحرية الناطقة عن ان قيادة الانقلاب التي اكدت في بيانها الصادر في الاول من آذار ١٩٦٣ بأن الحقائق التي لا تقبل المناقشة والجدل من العلاقة الوطيدة التي ارتبط بها العرب مع الاكرد وذلك بفعل قوتها ويفعل اشتباك المصالح فيما بينهما ، ولا يمكن لأي قوة من زعزعة تلك الوحدة الرصينة ، وأكدت الصحيفة بان الأخوة العربية الكردية ستكون نموذجاً عالمياً رائعاً للإخاء الانساني ، وان وحدة الوطن ستكون عصية بوجه المغامرين او العابثين بأمن الوطن او قطاع الطرق الذين يحسبون انفسهم اصحاب البطولات ويفتعلون المشاكل على حساب وحدتنا الوطنية ارضاً وشعباً^(١١).

بدأت المفاوضات بين الحكومة والاكرد من شهر شباط ١٩٦٣ للوصول الى حل متلائم مع الاهداف التي جاء بها الانقلاب بتحقيق الحكم الذاتي للاكرد ، لكن المباحثات تعثرت لاسباب تتعلق بالشخصيات السياسية التابعة لحكومة الانقلاب التي ادارت المباحثات والتي اختلفت مع الوفد الكردي^(١٢) على موعد توقيع اعلان الحكم الذاتي والذي قام بدوره في ابلاغ الملا مصطفى البارزاني الذي رفض تأجيل التوقيع^(١٣).

في هذه المدة التاريخية من حياة العراقيين كان الطرفين يبحثان عن اثبات الوجود ، بما ان قادة الانقلاب لا يريدون التنازل للاكرد عن حقوق يظنون بانها تؤدي الى تقسيم العراق الى قوميات متعددة ، اما الجانب الكردي فإنه وجد نفسه امام استحقاق ناضل من اجله سنوات طويلة ، واصبحت الفرصة سانحة في هذا الوقت بالضغط على الحكومة للحصول الحكم الذاتي للاكرد.

اشارت صحيفة الوحدة القومية^(١٤) في مقال لها بعنوان (الثورة والقضية الكردية) الى الدور التخريبي الذي قامت به القوى الاستعمارية والقوى الرجعية في المنطقة الشمالية ، مع اظهار براءة المواطنين العرب والاكرد في تأزم العلاقة القائمة بين الحكومة والقيادات الكردية ، وازافت الصحيفة ان الثورة فتحت الابواب على مصراعها للقاء الاخوي بين القيادات العربية والكردية لتكون عامل مساعد في الوحدة الوطنية التي تتادي بها الجماهير من كلا الطرفين^(١٥).

اما صحيفة الجماهير بصفتها لسان حال حزب البعث المنحل فقد نشرت في اعلى صفحتها الاولى ، مقالاً (المجلس الوطني يقر حقوق الاكرد على اساس اللامركزية) ، وركزت الصحيفة في مقالها بان اللامركزية من فوائدها بانها طبقت في العديد من دول العالم ولاقت نجاحاً كبيراً في تلك الدول، وان قيادة الانقلاب قد اعلنت في بيانها الاول عن تأكيدها على ما جاءت به في قيمها ومبادئها وحرصها على

صيانة الاخوة العربية - الكردية وذلك من خلال اعلانها بإقرار الحقوق القومية للشعب الكردي على اساس اللامركزية^(١٦).

ذكرت صحيفة الجماهير الى مسألة الوحدة في صفحتها الاولى عندما اعلن المجلس الوطني منهاجه المرحلي ، اذ اكد على الوحدة الوطنية من خلال التزام الحكومة بأحترام جميع الحقوق المشروعة للاقليات التي سكنت العراق عبر تاريخه الطويل والحافل بالعدل والمساواة والاخاء ، والحكومة لها نظرة مستقبلية الى طموح الاكرد في زيادة مساهمتهم في التطور الحاصل في العراق بكافة مجالاته السياسية والاقتصادي والثقافية والاجتماعية ، لكن يقيناً ان الاستعمار لن يترك العراق بحاله وسيبذل قصارى جهده في زرع الفتنة والدس لعاقة الوحدة الوطنية العراقية .^(١٧)

عاودت صحيفة الجماهير الى الاشادة بالوحدة العربية الكردية من خلال اعادة مشروع الحكومة اللامركزي وانطلاقها بأنها مؤمنة بأهمية الوحدة الوطنية ، والتي اصبحت مهددة بسبب قيام جماعة مصطفى البارزاني بالتمرد على الحكومة المركزية وتجدد القتال في شمال العراق^(١٨) ، وكانت قوى عديدة منها عالمية واقليمية ساندت الاكرد في مواصلة القتال ضد حكم عبدالسلام محمد عارف وعدم فسح المجال لتطور العراق في المستقبل^(١٩)

استمر القتال لمدة ثمانية اشهر في شمال العراق ، فسعى الرئيس جمال عبدالناصر^(٢٠) للتوسط عند عبدالسلام محمد عارف اثناء اجتماع الرؤساء العرب في ١٧ كانون الثاني ١٩٦٤ للوقف القتال والجلوس في مفاوضات مع الاكرد ، وعلى اثر ذلك تم اعلان بيان ١٠ شباط من العام نفسه^(٢١)

الوحدة الوطنية مشروع كبير يحقق السعادة للجميع من ابناء الوطن ، لكن عندما تبتعد عن الهدف السامي وتعبث بها الايادي الخفية المجهول بحرب لا ترحم تصبح مرحلة مؤلمة من تاريخ العراق يدفع ثمنها ابناء الوطن ، وتكون النتائج وخيمة على مجمل نواحي الحياة.

كتبت صحيفة الفجر الجديد المستقلة^(٢٢) مقالاً افتتاحياً بعنوان (العرب والاكرد جناحا هذا الوطن العزيز) ، جاء فيه " واخيراً استجاب اخواننا في الشمال الى دواعي الاخوة وعادوا الى حظيرة الوحدة العراقية المقدسة ، فانتصرت بذلك ارادة الشعب العراقي بعربه واكراده ومختلف قومياته المتحدة المتأخية على ارادة الاستعمار ودسائس عملائه " ، واضافت الصحيفة بان الدماء الزكية امتزجت بتربة الوطن من قبل العرب والاكرد وارتبط تاريخهم ومجدهم بتاريخ الوحدة العراقية ، وكانت السياسات غير الناضجة في العهد الملكي والجمهوري القريب ادت الى بعض الملابس التي عكرت اجواء المنطقة الشمالية وعصفت بأمنه واستقراره وظهور العنف والفوضى ، والذي استطاعت الحكومة الجديدة من وضع الحلول المناسبة لإعادة الامن والاستقرار الى هذا الجزء العزيز ، لتعيد الثقة والاطمئنان الى اهله الطيبين الذين هم الركن البارز في كيان الوحدة الوطنية العراقية ، واختتمت الصحيفة في مقالها ، ان البيان الذي

اعلنه الرئيس عبدالسلام عارف قائد الحكومة الجديدة لم تغفل عن حقوق الاكرد القومية التي لا بد من اخذ مكانها المرموق ليس على مستوى السلطة فحسب ، بل من الدستور المؤقت الذي ذكر في البيان^(٢٣). وقد نشرت صحيفة الفجر الجديد على صفحتها الرابعة في عمود بعنوان (عبرة) ، ذكر فيه ، ان ما تمخضت عنه حوادث الشمال عن حقيقة طالما لم يدركها الاستعمار وعملاؤه وكثيراً ما تعمدوا في تحديها للمضي في تأمرهم ومخططاتهم على سلامة وحدة الشعب الكريمة، ان استجابة الاخوة الاكرد لدواعي الاخوة والوحدة الوطنية تعبر عن تلاحم ابناء هذا الشعب بعضهم الى بعض اقوى من كل المؤامرات التي تستهدف الايقاع بالشعب وتبذير طاقاته من خلال خلافاته الطارئة ، وازافت ان الاخلاص والوطنية التي يمتلكها ابناء هذا الوطن هو الذي يدعم الوحدة الوطنية من اي تصدع ، على الرغم من محاولات الاستعمار استغلال الحالة الشاذة في المنطقة الشمالية ، الا ان الاخوة الاحرار استطاعوا القضاء على وهم الاستعمار ويرفعون راية الاطمئنان والاستقرار في سماء العراق معلنين عن المبادئ الحقيقية للاخوة والوحدة الوطنية ، وهذ ما تجسد في عودة الحياة الطبيعية الى الشمال^(٢٤) ،

اما صحيفة الجمهورية^(٢٥) فقد نشرت مقالاً بعنوان (الوحدة الوطنية)، اكدت فيه ، بعد زيارة عبدالسلام عارف للشمال ، اصبحت الآمال معقودة لتحقيق الخطوات الايجابية التي تمكن الحكومة الوطنية من الاصلاح والتنمية والبناء ، ذهب عهد الفوضى الذي فرق القلوب ، اصبح عهد الوحدة الذي يجمع القلوب ، ان الوحدة التي جمعت قلوب العرب والاكرد والطوائف الاخرى ، خرجت منتصرة بعد صمودها بوجه كل المؤامرات والتحديات الاستعمارية ، ان الوحدة الوطنية هي المشاركة الكاملة في الجهاد في سبيل المحافظة على كل الاهداف التي جمعت العرب والاكرد^(٢٦) .

كانت الاحداث السياسية متوافقة بين عبدالسلام عارف والملا مصطفى البارزاني للمصالحة الاخيرة ، لكنها احدثت خلاف مع اقطاب الاكرد جلال الطالباني^(٢٧) وابراهيم احمد^(٢٨) اللذان هربا الى ايران مع اتباعهم البالغ عددهم ٤٠٠ مسلح ، وطالب الملا البارزاني بتسليم الطالباني مما ادى الى منحه حق اللجوء السياسي في ايران^(٢٩).

وقد كتبت صحيفة الجمهورية مقالاً افتتاحياً آخر بعنوان (وحدة الصف) ، اكدت فيه : ان الشعب العراقي لم ينس المرحلة الصعبة التي عاشها في العهد الملكي وعهد عبدالكريم قاسم ، وان تلك المرحلة كانت محملة بالفوضى واضطراب الامن وصعوبة الحياة فيها ، بينما استطاعت الحكومة الجديدة ان تعيد الامن والاستقرار الى البلاد ، فضلاً عن المحافظة على الوحدة الوطنية والوصول الى الالفة والمحبة الصادقة ونقاوة القلوب ، فادركت الدولة ان تستمر بروحها الوطنية وبسط السلام في تلك البقعة الخضراء من بلادنا ، لكن الاستعمار لم تعجبه حالة الاستقرار فعدّها صدمة من قبل حكومة استطاعت بحنكتها ان تتجاوز الاضطراب والدمار وذهاب الاموال هدرًا ، وازافت المقال ان وحدة الصف الوطني اصبحت من القوة ومن الصعوبة على الحاقدين ان ينالوا منها، واختمت المقال ، ان الشعب العراقي بكافة طوائفه

سيبقى صفاً واحداً في انطلاقته لبناء مجتمع الكفاية والعدل ، ولن تتزعزع وحدته مهما تكن الظروف بل ان ابناء هذا الوطن في كل جزء من ارضه الحبيبة شركاء بمصير واحد تجمعهم وحدة الصف الوطني ويؤلف بين قلوبهم الدين الحنيف وتتداعى ارواحهم للمحبة والاخاء رغم نويا الاستعمار وعملاته الخبيثة^(٣٠) .

قام الملا مصطفى البارزاني في تشرين الاول ١٩٦٤ من تأسيس برلمان ومجلس وزراء كردي مكون من احدى عشر وزيراً ، ليضع الحكومة العراقي في الامر الواقع ، وهذا ادى الى اثاره الحكومة العراقية ، ولكن الطرفين الحكومي والاکراد كانا يبحثان للهدنة والتي استمرت الى عدة اشهر^(٣١) .

واصلت صحيفة الجمهورية في نشرها المقالات عن الوحدة الوطنية برغم التطورات الاخيرة للموقف الكردي ، اذ نشرت مقالاً افتتاحياً بعنوان (مناعة الوحدة الوطنية) ، اكدت فيه: دائماً من يريد الحرية عليه ان يحارب قوى الشر المتمثلة بالاستعمار التي تحاول الوقوف بوجه قوى الخير التي يمثلها المخلصون العاملين بصدق ونزاهة وامانة ، وان يكون الجميع بمستوى المسؤولية الوطنية ... ان الاستعمار استخدم اوراقه في التفريق بين العرب والاکراد ، لكنه وجد ان الاکراد احب الى قلوب اخوانهم العرب الذين بادلوهم بالمشاعر النبيلة ولم يبخلوا عليهم شيئاً ، ولذلك الاکراد المخلصون يتساءلون لمصلحة من يعمل الاستعمار على هذا التفريق؟ علماً ان الاستعمار لم يكن مخلصاً معهم ورغم ذلك لم يقفوا ضده ويعرضوا عن تحريضه وكبده ، والعراق دائماً في ذكر مواقفهم الوطنية بفخر واعتزاز وحرصهم على سلامة الوطن ، مع الاسف الحوادث ادت الى تأخر التطور في الشمال كان بالإمكان ان تكون بصورة اجمل من ناحية العمران ومعالم الحياة العصرية، ومع ذلك فان الحكومة سارعت الى البناء والعمران وخلق حياة حقيقة بتوفير مصادر الخير والنعيم^(٣٢) .

نشرت صحيفة الفجر الجديد حول الوحدة الوطنية مقالاً افتتاحياً بعنوان (وحدتنا الوطنية قاعدة انطلاقنا الى المستقبل المنشود) اكدت فيه :... ستبقى الوحدة الوطنية قوية ومتماسكة يلتقي في ظلها الشعب على اختلاف طبقاته وقوميته، بقدر ما يكون النجاح حليف كل مسعى يهدف الى خير الشعب ويضمن بلوغ اهدافه ... ولذلك اعطت حكومة الانقلاب موضوع الشمال اهمية بالغة مع التركيز على معالجة المشكلة بالحكمة وبروح من العدالة والوطنية، وازافت الصحيفة ان الشعب ادرك جيداً ماذا يتحقق من جراء الوحدة الوطنية ، تكون ذات ابعاد وتأثيرات بعيدة المدى في شحن كل القوى الخيرة في العراق والتي تساهم بالانتصار على الاستعمار ، من خلال الحس الوطني والشعور بالمسؤولية تجاه الوحدة الوطنية المراد تحقيقها^(٣٣) .

استمرت المفاوضات الحكومية مع الاکراد حتى بداية عام ١٩٦٥ ، ونتيجة للمطالب الكردية التي عدتها الحكومة العراقية تحدياً لهيئة الدولة ، ادت الى نشوب الحرب في ٤ اذار ١٩٦٥ ، التي استنزفت

الكثير من الموارد البشرية والاقتصادية بسبب الدعم الكبير الذي قدمته الدول العالمية والاقليمية للاكرد في هذه الحرب^(٣٤) .

كلمتي الحرب والسلام متناقضتان ومختلفتان من حيث الاهداف والنتائج ، فكان الطرفين الحكومي والكردي يكتبون اتفاقاتهم الوهمية على الورق دون تحقيق شيء على ارض الواقع والذي تجد فيه بأن الايادي قابضة على زناد السلاح لتطلق رصاصه الرحمة على الحبر الموقع بين طرفي النزاع لأعلان مرحلة جديدة هي اكثر قساوة وألم الا وهي لغة الحرب المدمرة .

كتبت صحيفة الفجر الجديد مقالاً لها بعنوان (اخوة الاسلام لا تسمح باتباع الخوارج) ، وقد اكدت فيه: الاكرد فهموا ووعوا حقيقة الدين الاسلامي ورسالته السامية ودرسوا القران الكريم وحفظوا منه لان ايمانهم بالله وبما انزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك يجب عليهم فهم قوله تعالى " يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا لو عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون " ، ولذلك هم مدعون الى فهم ان الفرقة لا تترك الى الدمار والهلاك لمن لا يستجيب الى الحق " وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية " ، والعربي هو مرآة صافية لآخيه الكردي ، وكذلك الكردي المؤمن هو مرآة صافية لآخيه العربي^(٣٥) .

ونشرت الصحيفة نفسها مقالاً اخر بعنوان (وحدتنا الوطنية درعنا الحصين لرد غوائل الاستعمار ومؤامراته) ، فقد اكد على ان موقف الملا مصطفى البارزاني اصبح هشاً وان نهايته قد اقتربت ، ولذلك تخلى عنه اكثر اصحابه الذين شدوا ازر الحكومة الوطنية في القضاء على التمرد والمساهمة في حركة اعمار الشمال ، واكد المقال ان الوحدة الوطنية هي البنيان المرصوص الذي لا يسمح للاستعمار من اختراقه ، وهي الصخرة التي تتحطم عليها مؤامرات المستعمرين واعوانهم^(٣٦) .

اصبح عبدالرحمن البزاز^(٣٧) اول رئيس وزراء مدني للعراق في ١٥ ايلول ١٩٦٥ ، وبالمقابل كان اغلب أعضاء الوزارة المشكلة من العسكريين على رأسهم عبدالعزيز العقيلي^(٣٨) الذين كان رأيهم استخدام القوة العسكرية ضد الاكرد هو الحل الامثل لردع المتمردين في شمال الوطن^(٣٩) .

واصلت صحيفة الفجر الجديد بكتابة المقالات اذ كتبت مقالاً افتتاحياً اخر حول الوحدة الوطنية بعنوان (وحدة الشعب وجيشه وحكومته الوطنية ترهب المستعمرين واذنابهم) ، فقد اكد على : الوحدة الوطنية سلاح فتاك دائماً يهابه المستعمرون واذنابهم واقوى شيء يفزعهم من ذلك التلاحم بين ابناء الشعب وجيشه وحكومته الوطنية ، ولذلك حمل الاستعمار على عاتقه ان يجند عملائه الى التمرد والخروج عن الحكم الوطني ، لكنهم اصطدموا بصخرة الوحدة الوطنية بفضل الجيش العراقي الذي نذر نفسه للعراق ووحدته الوطنية^(٤٠) .

نشرت صحيفة المنار^(٤١) في عمود لها على صفحتها الاولى بعنوان (الاستقرار والوحدة الوطنية) وصفت فيه : ان العناصر الرجعية تزداد شراسة في مخططاتها لوقف المسيرة الثورية ، ولذلك على

الجماهير الوقوف في وجه العناصر المخربة وقطع الطريق لمحاولاتها الفاشلة ، وهذا لا يكون الا بتعزيز الوحدة الوطنية وحماية الاستقرار لوطننا ... ان تضافر الجهود من اجل وحدة

الصف الوطني والقومي هو السلاح الفعال في المعركة التي ستحسم لصالح ابناء الوطن الواحد^(٤٢).

استمرت المعارك في شمال العراق حتى نهاية حكم عبدالسلام محمد عارف الذي قتل اثر تحطم طائرة الهليكوبتر في البصرة في ١٣ نيسان ١٩٦٦ ، وكان معه مجموعة من الوزراء والقادة العسكريين وابرزهم وزير الداخلية عبداللطيف الدراجي^(٤٣) .

وبذلك استمرت الصحافة في اشادتها بالوحدة الوطنية العربية الكردية رغم تجدد المعارك في شمال العراق ، وقد لعبت الدول الاقليمية والعالمية في اثاره الطرف الكردي لابقاء حالة العراق ممزقة دون حل ، حتى تبقى تلك الدول اللاعبين الاساسي في التدخل بشؤون العراق الداخلية.

المبحث الثاني: الصحف العراقية وموقفها من الوحدة الوطنية ١٤ نيسان ١٩٦٦ - ١٧ تموز ١٩٦٨

على اثر مقتل عبدالسلام محمد عارف تم انتخاب عبدالرحمن محمد عارف^(٤٤) رئيساً للجمهورية العراقية خلفاً لآخيه، فكانت المشكلة الكردية من الاوليات التي اهتم بها لوضع الحلول الجذرية وتجنب القتال بين الحكومة المركزية والاكرد ، فتحدث عبدالرحمن عارف الى صحيفة المنار مؤكداً على الوحدة الوطنية من خلال خطابه الذي القاها بعد اربعة ايام من تسلمه الحكم ، وأكد ان الوحدة الوطنية ورص الصفوف وجمعها بكلمة واحدة من زاخو في الشمال الى الفاو في الجنوب هي اهم اهداف الجمهورية الجديدة ، وان لم الشمل وتحقيق وحدته الوطنية سيسمح لتحقيق الوحدة القومية الشاملة بين اطياف الشعب^(٤٥) .

دارت في شهر ايار ١٩٦٦ معارك شرسة في بين الجيش العراقي والاكرد في محاولة اثبات امكانية الحكومة العراقية في مواجهة المتمردين في عهد عبدالرحمن عارف وعدم ضعفها بوفاة الرئيس السابق عبدالسلام محمد عارف ، وهذا ما اكده المقال الذي نشرته صحيفة المنار في عمود كلمة المنار بعنوان (مصيرهم المحتوم) ، اذ اكد فيه: ان انتصارات الجيش العراقي المتواصلة ضد المتمردين وسحقهم لفلول الانفصاليين والرجعيين ومطاردتهم في كل شبر من ارضنا المباركة ، علماً ان الحكومة اعطت فرص كثيرة لهؤلاء لكن بعضهم فضل البقاء تحت وصاية الاجنبي وتنفيذ مخططاته الدنيئة للنيل من الشعب والحكومة فكان جزاءه الخيبة والخسران ، وان الجيش العراقي الذي يحمل راية الوحدة الوطنية لن تتوقف مسيرته الا بعد القضاء على هؤلاء المتمردين بشكل نهائي ، لان جيشنا وشعبنا استنفذا كل الوسائل السلمية والدبلوماسية مع هؤلاء الخونة^(٤٦) .

وفي بداية شهر حزيران من عام ١٩٦٦ اوجدت الحكومة العراقية في منهاجها الوزاري حلاً للمشكلة الكردية ، وعلن ذلك رئيس الوزراء عبدالرحمن البزاز الذي اكد على وجود اتصالات مع الجانب الكردي من اجل ايقاف الحرب بين الاخوة العربية الكردية في الوطن ، واوضح بوجود منهاج كامل لحصول الاكرد على حقوقهم بتفعيل قانون الادارة اللامركزية^(٤٧) .

ادت الشخصيات العسكرية التي استلمت منصب رئيس الوزراء دوراً كبيراً في استخدام القوة العسكرية لفرض هيبة الدولة ضد الاكرد ، لكن قدوم شخصية مدنية كشخصية عبدالرحمن البزاز استطاع بمدة قصيرة ان يقنع رئيس الجمهورية بتقارب وجهات النظر بين الحكومة المركزية والاكرد للوصول الى انهاء استخدام القوة العسكرية والجلوس في مفاوضات مع الطرف الكردي .

نشرت صحيفة الفجر الجديد مقالها الافتتاحي عن الوحدة الوطنية بعنوان (الاخوة العربية الكردية اقوى من كل المؤامرات والفتن) ، اكد المقال على الترابط الوثيق بين العرب والاكرد في مختلف العصور التاريخية ، فقد دلت على قوتها التي لا تقهر، ومنذ آلاف السنين وحتى التاريخ الحديث فهو مليء بالأمثلة التي اكدت على متانة هذه الاخوة المثالية ، فان ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني قامت في اغلب مناطق الشمال من قبل الاخوة الاكرد بمختلف مناطقهم وعشائهم ، وازدادت الاخوة متانة عندما سقط النظام الملكي ، عندما اندفع الشعب العراقي بعربه واكرده في تحطيم الطغيان^(٤٨) .

كما نشرت صحيفة الجمهورية مقالاً افتتاحياً بعنوان (امانة الاخوة) ، اكدت فيه : عاش العرب والاكرد منذ اقدم العصور في هذا البلد متحابين تجمعهم الاخوة النقية الصافية ... فالعربي يرى اخوه الكردي ذلك الاخ الذي رفض القطيعة والخصومة ، والكردي الذي لا يرى في اخوه العربي الا ذلك الاخ الذي اعتر به باخوته وحافظ عليها اكثر من غيره ، وان الحوادث التي تحدث في شمال العراق قد يستغلها الاستعمار والصهيونية لصالحهم ، فلا بد من حشد القوى وتنمية التعاون وتقوية الوحدة الوطنية لمواجهة كل ما تخطط له القوى الاستعمارية والصهيونية^(٤٩) .

نشرت صحيفة المنار مقالاً افتتاحياً بعنوان (الاخوة الخالدة) ، جاء فيه " استقبل ابناء الشعب عرباً واكرداً الخطوات الايجابية التي خطتها الحكومة لانتهاء اقتتال الاخوة. وقطع الطريق على مؤامرات الاستعمار واعوانه ، بالتأييد والترحيب واستبشروا بان هذه الخطوات ستمهد الطريق لأعمال البناء والاعمار ... " وازداد المقال ان كل هذه الوفود التي تتوافد الى بغداد ما هي الا دليل اخلاص اغلبية ابناء المناطق الشمالية للحكومة المركزية وايمانهم بوحدتهم الوطنية وثقتهم بان الحكومة الوطنية هي تعمل من اجلهم ، وان الاخلاص الذي عبر عنه المواطنين الاكرد هو الحل لقطع الطريق بوجه الاستعمار واذنابه ويجعل من الاخوة الوطنية الهدف السامي الذي يفوق كل الاعتبارات ويقوي الاخوة العربية الكردية، ان الشعب بعربه واكرده ينتظر الفرج الذي طال امده لإعادة الامور الى مجاريها وفتح صفحة جديدة تحقق الوحدة الوطنية المنشودة^(٥٠) .

كتبت جريدة المنار عن منهاج الحكومة عنواناً (وطن واحد يضم قوميتين رئيسيتين) ، تضمنت الفقرة الرابعة من تكليف تشكيل الوزارة ، قد اكد على الحفاظ على وحدة العراق وتحقيق الوحدة الوطنية ، ونتيجة للروابط الوثيقة وجذورها التاريخية المتشابكة بين العرب والاكرد والتي تدعوها للتكاتف والتآزر في العمل الحثيث المخلص لكل ما يمكن قطفه من ثمار الخير للوطن المشترك ، وعلى هذا الاساس اصبح

واضحاً افراد القومية الكردية وحقوقهم القومية ضمن اطار الوطن الواحد المشترك الذي دمج القوميتين الرئيسيتين هم العرب والاکراد وهم يتمتعون بنفس الحقوق والواجبات^(٥١).

اما صحيفة صوت العرب^(٥٢) نشرت مقالاً افتتاحياً بعنوان (لنقف صفاً واحداً) ، اكدت على : ان الجهات الاستعمارية سوف تسعى وتبذل كل ما عندها من اجل زرع الشكوك واحداث نوع من الريبة بين الحكومة الوطنية وبين اخواننا شمال العراق ، ونجد ان الاستعمار وجه كل اجهزته الاعلامية للتشكيك بنوايا الحكومة الوطنية بمنهاجها الوزاري في اعادة الاستقرار الى ربوع الشمال ، ان ما يشكك به الاستعمار ليس له اساس من الصحة لان مجريات الامور تؤكد في تعزيز وتماسك الاخوة وترسيخ الوحدة الوطنية ، وان الحكومة اولت اهتماماً كبيراً لهذه المسألة، وعلى الجانب الاخر على الاخوة الاکراد تنفيذ الفقرات الواردة في البيان لكي يكون هناك تبادل ثقة عالية بين الطرفين، فهذه المسؤولية التاريخية لا بد من فهم الظروف المحيطة بالواقع وادراك الابعاد الحقيقية للوحدة الوطنية^(٥٣).

كتبت صحيفة الفجر الجديد مقالاً افتتاحياً بعنوان (الوحدة الوطنية)، جاء فيه " كانت الوحدة الوطنية اول فقرة من فقرات المنهاج الوزاري الذي اعلنته الحكومة ... فقد احسنت الحكومة صنعاً حين ربطت اهتمامها بتدعيم الوحدة الوطنية بالتزامها بالمنهاج الذي اعد لتوطيد السلام في ربوع الشمال واعماره وتطويره ..."^(٥٤).

كما نشرت صحيفة صوت العرب مقالاً افتتاحياً عن الوحدة الوطنية بعنوان (ماذا بعد الوحدة الوطنية) اكدت فيه : بعد ان اصبحت مشكلة الشمال بحكم المنتهية وعاد السلام الى تلك البقعة العزيزة من ارض العراق ليعود معه الاخاء وهو مطرز بذلك الحب التاريخي الاصيل بين العرب والاکراد ... وازداد المقال حتى لا ندور في حلقة مفرغة اسمها الوحدة الوطنية ، مضيفاً " يجب علينا ان نوضح معالم الطريق الى الوحدة السياسية التي ستعقب الوحدة الوطنية ، كما نحدد الخطوات الموصلة الى تحقيقها ..حتى نعرف ماذا سنفعله غداً والى اين نتجه ومتى نصل الى الهدف المنشود"^(٥٥)

نشرت صحيفة الفجر الجديد مقالاً افتتاحياً بعنوان (الاخوة العربية الكردية اقوى من المؤامرات والاستفزازات) ، اكدت فيه : قضى العراق على آمال المستعمرين عندما وجه لهم ضربة قاضية بعودة الاستقرار الى شمال العراق ، اذ تصور المستعمرون باستطاعتهم تمزيق الوحدة الوطنية لكن خابت آمالهم بفضل الوعي الكبير الذي يتمتع به المواطنين بعربه واکراده وكافة القوميات والاطياف الاخرى ، فهو دائماً يخلق حوادث لا وجود لها ، ان الاخوة العربية الكردية لن تستسلم لأقاول دعاة الحرب بين الاشقاء، خابوا وخسئوا على نواياهم الشريرة ، ادرك المواطنون لعبة الاستعمار فكان الانتصار الحقيقي بوحدة العرب والاکراد الابدية^(٥٦).

واصلت صحيفة الفجر الجديد اهتمامها بموضوع الوحدة الوطنية ، اذ كتبت مقالاً افتتاحياً بعنوان (ترصين اسس الوحدة الوطنية في ضوء لائحة الانتخابات) ، تطرقت فيه : يجب ان نعترف بشكل صادق

بأن الاخوة العربية الكردية اصبحت اكثر رسوخاً واكثر متانة من قبل ، وان هذه الاخوة تعتبر من العوامل الفعالة التي رسخت الوحدة الوطنية وفي دعم وزيادة اسسها وتقوية وتعزيز قواعدها ، ان هذه الاخوة قابلها فشل نزيح منيت به القوى الامبريالية والاستعمارية عندما حاولوا بكل الاساليب اثاره المشاكل والفرقة بين القوميتين واضعاف تلك الاخوة التي تربط بينهما منذ قرون عديدة ، واضاف المقال ومن نتائج هذه الاخوة استطاع شعبنا بعريه واكراده ان يقضي على الاوضاع الشاذة في الشمال واعلن بانه عازم على البناء والاعمار^(٥٧) .

كما نشرت صحيفة التآخي^(٥٨) مقالاً عن الوحدة الوطنية بعنوان (الوحدة الوطنية سلوك وعمل وليس شعاراً وأملاً) ، تطرقت فيه: ان الحديث عن الوحدة الوطنية كثير ، اذ نجد في مختلف الصحف الحكومية والمؤيدة للحكومة ، وهي تضع الوحدة الوطنية في كتاباتها اول المهام الرئيسة لكي يخطو العراق الى الامام ... ان تحقيق الوحدة الوطنية وتقوية الجبهة الداخلية ليس رفع الشعارات وعواطف بل هو سلوك وجداني وعمل وايمان ، فان الدعوة المجردة من الجوهر الحقيقي وهو المحتوى العملي لا يمكن تحقيق الوحدة الوطنية الا اذا هو الايمان الحقيقي بالشعب وبقدراته ودوره واحترام العقائد والافكار والاتجاهات السياسية ... ان انجاز الوحدة الوطنية يتطلب عملاً جدياً هادفاً ومرسوماً من كل القوى الخيرة التي تدعي بايمانها على شعبها وعلى مصيره ومستقبله تمهيداً لبناء هذه الوحدة ومن بعدها الاعتراف بالمعتقدات السياسية والاتجاهات الوطنية وتخليص معتنقيها من واقعه المريع واطلاق سراح السجناء والمحتجزين وتمكين تلك القوى من التعبير بحرية عن آرائها وافكارها وايجاد حوار ايجابي وديمقراطي لتحقيق ارادة الشعب الحقيقية^(٥٩) .

ان حديث الصحافة العراقية بشكل عام عن الوحدة الوطنية اعطي تقريبا نسقاً واحداً فيما نشرته الصحف العراقية وكأن الوحدة الوطنية متحققة وليس هناك عوائق لهذه الوحدة الوطنية ، وبطبيعة الحال للصحف الحكومية والمالية لها الدور الابرز في هذا الوصف ، اما صحافة الاكراد والتي مثلتها صحيفة التآخي تتحدث عن الوحدة الوطنية لكنها تطالب بمتطلبات تلك الوحدة التي تعتبرها مفقودة لان ما كتب على الورق لم يطبق على ارض الواقع .

الخاتمة

اثبتت الاحداث التي شهدها العراق بأن الصحافة العراقية كان لها دور كبير في التشجيع المستمر على نقاوة وحدة الاخوة العربية الكردية ، وعبرت الصحف الحكومية في اغلب مقالاتها بان الوحدة الوطنية لن تستطيع اي قوة استعمارية ان تفتت تلك الوحدة ، ورغم الدعم الاقليمي والدولي للاكرد فانها صمدت طويلاً مؤكدة لكل القوى الشريرة بان الوطن لا يباع بالمؤامرات ولا بالاغراءات لبعض المجرمين والقتلة وفاقدي الضمير ، بينما انتهجت الصحف المستقلة خطأ موازياً لاتجاهات الحكومة وما تنادي به من اجل تلك الوحدة ، اما الصحف المعارضة للحكومة لم يكن لها وجود ولكن صحيفة التاخي ادت دورها في مطالبتها للحكومة بحقوق الاكرد مع التأكيد على الوحدة الوطنية التي وعدت بتنفيذها وفق بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ ، لكن توقفت لمدة من الزمن لمطالبتها بالحقوق الدستورية للاكرد فاصبحت مقالاتها تميل الى المعارضة للحكومة المركزية.

ويمكن القول اعطت الصحف العراقية صورة جميلة للاخوة العربية الكردية بما تمتاز به من مقومات لا تستطيع القوى الامبريالية ان تنهي تلك الوحدة الوطنية بين اطراف الشعب.

كان للصحف دور متميز في التأكيد على الوحدة الوطنية والمحافظة على هوية الوطن الواحد ، وقد اظهرت صحف الفجر الجديد والجمهورية والمنار والصحف المتبقية لهذه الوحدة الوطنية التي طالبت الاكرد بتهدئة الاوضاع في شمال العراق وتجنب الاصطدام مع الحكومة المركزية لان المنتصر فيها هو خاسر لانها تستنزفت طاقات البلد من موارد بشرية واقتصادية لا تخدم الا القوى المعادية والقوى الرجعية.

الهوامش:

(١) عبدالكريم قاسم : ولد في بغداد عام ١٩١٤ من عائلة فقيرة ، ولد في محلة المهديّة، وكانت مهنة والده نجاراً ، يعود نسبه الى قبيلة زبيد ، عين معلماً في مدرسة ابتدائية لكنه ترك مهنة التعليم ، دخل المدرسة العسكرية في ٨ نيسان ١٩٣٢ ، منح رتبة ملازم ثاني حسب كتاب الارادة الملكية (١١٥) في ٨ نيسان ١٩٣٤ ، ترفع الى رتبة ملازم اول حسب كتاب الارادة الملكية (٥١٦) في ٤ ايلول ١٩٣٤ وتدرج في الرتب العسكرية ، اصبح بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ قائداً للقوات المسلحة ورئيساً للوزراء ووكيلاً لوزير الدفاع حسب المرسوم الجمهوري (٢١٠) في ١٦ تموز ١٩٥٨ وترفع إلى رتبة لواء ركن في ٦ كانون الثاني ١٩٥٩ ، وفي ٦ كانون الثاني ١٩٦٣ إلى رتبة فريق ركن قبل شهر من انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ، تم اعدامه في ٩ من الشهر نفسه. مديرية التقاعد العامة ، الاضبارة الشخصية لعبدالكريم قاسم ، الملف المرقمة (١١٠٧٩٠٧٠١٤) ، دفتر الخدمة العسكرية نموذج رقم (١٨) . للمزيد من التفاصيل ينظر : مؤيد شاكر شكر ، الدور الوطني لعبد الكريم قاسم في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٤-٣٧.

- (٢) ليلاف حمد أمين عزيز ، الحقوق السياسية في الدول التي تضم كردستان (دراسة تحليلية مقارنة) ، مكتب الفكر ، سليمانية ، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٣-١٦٤ .
- (٣) الوقائع العراقية ، العدد ٢ ، ٢٨ تموز ١٩٥٨ .
- (٤) الوقائع العراقية ، العدد ٢٤ ، ٣ ايلول ١٩٥٨ ؛ الجمهورية ، العدد ٤٠ ، ٣ ايلول ١٩٥٨ .
- (٥) الملا مصطفى البارزاني : ولد عام ١٩٠٤ في منطقة بارزان ، عام ١٩٣١ هرب إلى إيران مع اخيه احمد ، انضم إلى جمهورية مهاباد عام ١٩٤٦ ، ترأس الحزب الديمقراطي الكردستاني ، تم ملاحقته من قبل القوات العراقية والقوات الإيرانية فاجبر على لجوئه إلى روسيا ، قضى ١٣ عاماً في المنفى ، عاد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، قاد الحركة الكردية في نضالها في عقد الستينات ، توفي عام ١٩٧٩ . حسن لطيف كاظم الزبيدي ، موسوعة الاحزاب السياسية ، ط٢ ، المعارف ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ؛

Michael M Gunter The A to Z of

Kurds, Toronto, 2009, p.23

- (٦) همفري تريلفيان: ولد عام ١٩١٥ تخرج من جامعة كامبردج ، خدم في السلك المدني لدى السلطات البريطانية في الهند حتى استقلال الهند ، انتقل بعدها الى السلك الدبلوماسي ، اذ تقلد مناصب متعددة ، اصبح من عام ١٩٥٣ القائم بالاعمال البريطاني في الصين حتى عام ١٩٥٥ اصبح فيما بعد سفير بريطانيا في مصر من عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ عين سفيراً في العراق من عام ١٩٥٨ - ١٩٦١ وسفيراً في الاتحاد السوفيتي من عام ١٩٦٢ - ١٩٦٥ ، ثم اصبح المفوض السامي في اليمن الجنوبي ، وفي عام ١٩٦٨ اصبح في مجلس اللوردات ومنح لقب البارون لقاء خدماته التي قدمها لبريطانيا ، توفي ٨ شباط ١٩٨٥ . خليل علي مراد ، مهيطان محمد حسين ، موقف بريطانيا من القضية الكوردية في العراق - ١٩٦١ ، ١٩٧٥ ، مجلة جامعة زاخو ، م ، ٤ عدد ٣ آذار ٢٠١٧ ، ص ٦١٥ .
- (٧) كاظم حبيب ، لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكردي في كردستان العراق ، ط ٢ ، دار نارس ، اربيل ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٩٥ .
- (٨) عبدالسلام محمد عارف: ولد في بغداد عام ١٩٢١ اصله من الرمادي من عشيرة الجميلة في عنه ، دخل المدرسة العسكرية في ١٩ شباط ١٩٣٨ منح رتبة ملازم ثان في ٧ أيار ١٩٣٩ ، تدرج في المناصب العسكرية ترفع إلى رتبة عقيد ركن في ٧ أيار ١٩٥٦ حسب كتاب الإرادة الملكية ٣٤٨ في ١ أيار ١٩٥٦ ، قاد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، اصبح رئيس لجمهورية العراق بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ، قتل في تحطم الطائرة مع مجموعة من الوزراء في زيارة الى البصرة في ١٣ نيسان ١٩٦٦ ، م.ت.ع ، الاضبارة الشخصية لعبد السلام عارف ، الملف المرقمة ١١٠٢٥٨٦٠٢٤ ، دفتر الخدمة العسكرية ، نموذج رقم (١٨) . للمزيد ينظر: علي ناصر علوان الوائلي ، عبدالسلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام ١٩٦٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٢-١٦٥

- (٩) معد فياض ، من ذاكرة جلال الطالباني ، حلقات نشرتها جريدة الشرق الاوسط ما بين ٩ الى ١٨ اب ٢٠٠٩ ، ص ١٢٣ .
- (١٠) الجماهير ، العدد ١ ، ١٢ شباط ١٩٦٣ .
- (١١) احسان علي حسين الشمري ، موقف جريدة الحرية في التطورات السياسية في العراق (١٩٤٥ - ١٩٦٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٨ ، ص ١٢٨ .
- (١٢) الوفد الكردي : جلال الطالباني وصالح اليوسفي وشوكت عقراوي
- (١٣) معد فياض ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
- (١٤) الوحدة : صحيفة قومية الاتجاه ، مديرها المسؤول باسل الكبيسي ، صدرت في ١٧ شباط ١٩٦٣ ، وكانت موالية للحكومة الانقلابية ، الغي امتيازها في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ . زاهده ابراهيم ، كشاف بالجرائد والمجلات العراقية ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ١٨٥ .
- (١٥) الوحدة ، العدد ٤ ، ٥ اذار ١٩٦٣ .
- (١٦) الجماهير ، العدد ٢٤ ، ١٠ اذار ١٩٦٣ .
- (١٧) الجماهير ، العدد ٣١ ، ١٦ اذار ١٩٦٣ .
- (١٨) الجماهير ، العدد ١٠٩ ، ١١ حزيران ١٩٦٣
- (١٩) الجماهير ، العدد ١٢٥ ، ٢٧ حزيران ١٩٦٣
- (٢٠) جمال عبدالناصر : ولد في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٨م في مقاطعة أسيوط من صعيد مصر. كان والده موظفا في البريد وينتهي إلى طبقة الفلاحين ، حاز عام ١٩٣٤م على شهادة البكالوريا وشرع في دراسة الحقوق ، اشترك عام ١٩٣٥م في المظاهرات التي عمت مصر ضد المستعمر البريطاني وضد الملك ، وعندما تسلم حزب الوفد السلطة عام ١٩٣٦م فتح أبواب المدرسة الحربية أمام أولاد الطبقة البرجوازية الصغيرة فاستطاع عبدالناصر الانتساب إليها ، وأصبح بعد ذلك ملازماً وألتحق للمرة الأولى بإحدى الحاميات القريبة من مسقط رأسه. انضم الى حركة الضباط الأحرار ، وفي تموز من عام ١٩٥٢م حتى قامت الثورة التي يتزعمها هؤلاء الضباط وأطاحت بالملك فاروق بعد ثلاثة أيام وأجبرته على اختيار المنفى ، تقلد منصب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في شباط ١٩٥٣ ، لعب دور كبير في مؤتمر باندونج في اندونيسيا عام ١٩٥٥ ، امم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، تولى الوحدة العربية المتحدة مع سوريا عام ١٩٥٦ ، تنحى عن الحكم بعد نكبة ٥ حزيران ١٩٦٧ ، لكنه اعيد الى الحكم بعد اسبوعين ، توفي في ٢٨ ايلول ١٩٧٠ . علي مولا ، الموسوعة العربية الميسرة ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ٢٠١٠ ، ص ١٢١٦ ؛ للمزيد من المعلومات ينظر: فراس البيطار ، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج ٢ ، دار اسامه ، الاردن ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٧٧ - ٥٨٨ .
- (٢١) هادي علي ، الشعب الكوردي والسياسات الدولية في القرن العشرين كوردستان العراق انموذجاً ، سيما ، السليمانية ، ٢٠٠٨ ، ص ١٠١

- (٢٢) الفجر الجديد : صحيفة سياسية يومية مستقلة ، صدرت في بداية عام ١٩٥٩ لصاحبها محمد طه الفياض وعوني جاسم وعبدالرحمن زيدان وآخرين ، حصلت على الامتياز ٣٠ ايار ١٩٦٣ ، وكانت ذات اتجاه حكومي . فائق بطي ، الموسوعة الصحفية العراقية ، ط ١ ، المدى ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ص ٣٦٨ .
- (٢٣) الفجر الجديد ، العدد ٦٢٩ ، ١١ شباط ١٩٦٤ .
- (٢٤) الفجر الجديد ، العدد ٦٣٣ ، ١٨ شباط ١٩٦٤ .
- (٢٥) الجمهورية : صدرت في ١٧ تموز ١٩٥٨ ، وهي "جريدة يومية سياسية عربية وكان صاحب الامتياز عبدالسلام محمد عارف ورئيس تحريرها سعدون حمادي ومدير تحريرها معاذ عبدالرحيم ، وبعد اسبوع واحد تحول الامتياز الى رشيد فليح - واغلقت فيما بعد ومجموع ما صدر عنها (٩٤) عدداً ، عادت في الاصدار عام ١٩٦٠ باسم (الطريق) وابدلت الى اسم الجمهورية ، توقفت في ١١ آذار ١٩٦١ وصدرت مرة اخرى في ٧ كانون الاول ١٩٦٢ لصاحبها عبدالرزاق البارح ، توقفت بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ، وصدرت في ٢٣ تشرين الثاني من العام نفسه واصبح فيصل حسون رئيس تحريرها ، وعندما وضع قانون المؤسسة العامة للصحافة صدرت صحيفة الجمهورية بأعداد جديدة ، وبعد انقلاب ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ توقفت الصحيفة ، صدرت فيما بعد في ٤ كانون الاول ١٩٧١ ، واصبح سعد قاسم حمودي رئيس تحريرها ، واصبحت الناطقة باسم حزب البعث العربي الاشتراكي المنحل الى جانب صحيفة الثورة . زاهده ابراهيم ، ص ٥٧ - ٥٨ ؛ فائق بطي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٠ ، ٣٠٢ . للمزيد من المعلومات ينظر : فيصل حسون ، صحافة العراق ما بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٧٠ ، دن ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٧٧ - ٤١١ .
- (٢٦) الجمهورية ، العدد ١١٧ ، ٩ نيسان ١٩٦٤ .
- (٢٧) جلال الطالباي : : ولد في اربيل عام ١٩٣٣ ، اصبح احد أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة الملا مصطفى البرزاني، وبعد خلافات جوهرية بينهما انفصل عن الحزب ، هرب إلى ايران في تموز ١٩٦٤م، وبعد عودته الى العراق اعتقل من قبل الملا مصطفى البرزاني، لكنه استطاع الهروب في كانون الثاني ١٩٦٦م، أسس عصابة كادحي كردستان ١٩٧٠ ، انتخب رئيساً للجمهورية العراقية في ٦ نيسان ٢٠٠٥م. حسن الزبيدي، المصدر السابق، ص ٤٤٨ - ٤٥٠ .
- (٢٨) ابراهيم احمد : ولد في مدينة السليمانية عام ١٩١٤ ، درس وتخرج من مدارسها ، دخل كلية الحقوق في بغداد وتخرج منها عام ١٩٤٠ ، اصبح رئيس هيئة تحرير صحيفة خه بات الناطقة بلسان الحزب الديمقراطي الكردستاني ، وفي عهد عبدالكريم قاسم اعتقل ثم افرج عنه ، التحق بحركة الاكراد في ايلول ١٩٦١ واصبح قائد في قوات البيشمركة ، توفي في عام ٢٠٠٠ . محمد علي الصويركي الكردي ، المصدر السابق ، م ١ ، ص ١٠ - ١٢ .
- (٢٩) محمود رزوق احمد ، الحركة الكردية في العراق دور البرازنيين في طريق الحكم الذاتي ١٩١٨ - ١٩٦٨ ، دار المعتز ، الاردن ، ٢٠١٤ ، ص ٢٠٠ .

- (٣٠) الجمهورية ، العدد ٢١١ ، ٢٩ تموز ١٩٦٤ .
- (٣١) محمود رزوق ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
- (٣٢) الجمهورية ، العدد ٣٢٩ ، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٤ .
- (٣٣) الفجر الجديد ، العدد ٨٨٦ ، ٢٤ كانون الاول ١٩٦٤
- (٣٤) هادي علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- (٣٥) الفجر الجديد ، العدد ٩٦٩ ، ٦ نيسان ١٩٦٥
- (٣٦) الفجر الجديد ، العدد ١٠٢١ ، ١٤ حزيران ١٩٦٥ .
- (٣٧) عبدالرحمن البزاز : عبد الرحمن البزاز:- ولد في عنه عام ١٩١٣م، درس في كلية الحقوق وتخرج منها عام ١٩٣٥م، وحصل على شهادة LLB من جامعة لندن عام ١٩٣٩م، اعتقل بعد حركة أيار ١٩٤١م، عمل في وزارة العمل، نقلت خدماته إلى وزارة المعارف في عام ١٩٥٥م، أصبح عميد كلية الحقوق، تم اقصائه من منصبه في ١٧ كانون الأول ١٩٥٦م، أُعيدَ إلى منصبه عميد كلية الحقوق، أصبح نائباً لرئيس الوزراء في ٦ أيلول ١٩٦٥م، ثم أصبح رئيس الوزراء في ٢١ أيلول ١٩٦٥م وبذلك يكون أول رئيس وزراء مدني منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م، وبعد وفاة الرئيس عبد السلام محمد عارف رشح إلى رئاسة الجمهورية لكن العسكريين اجبروه على التنازل إلى عبدالرحمن محمد عارف، قدم استقالته في رئاسة الوزراء في ٧ اب ١٩٦٦م، توفي في عام ١٩٧٣م. د. ت. ع. الاضبارة الشخصية لعبد الرحمن البزاز، الملفة المرقمة (٣١٠٤٢١٤٠٢٣)، دفتر الخدمة العسكرية، نموذج رقم (١٨) ؛ للمزيد من المعلومات ينظر: محمد كريم مهدي المشهداني ، عبدالرحمن البزاز ودوره الفكري والسياسي في العراق حتى ١٧تموز١٩٦٨م ، (مكتبة اليقظة العربية ، بغداد، ٢٠٠٢) ، ص ١٩ - ٢٤٣ .
- (٣٨) عبدالعزيز العقيلي : ولد عام ١٩١٩ في الموصل ، دخل الكلية العسكرية ١٩٣٩ ، دخل كلية الاركان ١٩٤٣ ، وصل برتبة زعيم ركن واصبح قائد الفرقة الاولى ، استلم منصب وزير الدفاع ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، توفي عام ١٩٨١ . ستار نوري العبودي ، عبدالعزيز العقيلي حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق ١٩١٩ - ١٩٨١ ، ط ١ ، مكتبة مصر ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ٧ - ١٧٧ .
- (٣٩) هادي علي ، المصدر السابق ، ص ١٠٦
- (٤٠) الفجر الجديد ، العدد ١١٩٨ ، ١٢ كانون الثاني ١٩٦٦ .
- (٤١) المنار: صحيفة يومية سياسية ، صدرت في البصرة لمدة طويلة ، ثم منحت الامتياز في ٣ ايار ١٩٦٤ بموجب قانون المطبوعات الى عبدالعزيز بركات وفي عام ١٩٦٦ تولى فيصل حسون مكان عبدالمطلب بركات ، كان اتجاهها حكومي ، وكانت من الصحف الناجحة وواسعة الانتشار ، الغي امتيازها في تشرين الثاني ١٩٦٨ . فائق بطي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٦ ؛ مليح صالح شكر ، تاريخ الصحافة العراقية في العهدين الملكي والجمهوري ١٩٣٢ - ١٩٦٧ ، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ٣٨٥ .
- (٤٢) المنار ، العدد ٣٣٤٨ ، ٣٠ آذار ١٩٦٦ .

(٤٣) عبداللطيف الدراجي : - ولد في الرمادي ١٩١٣ ، هو من عشيرة البودراج ، درس الابتدائية في الفلوجة، دخل دار المعلمين في بغداد، اصبح معلماً في أول تعيينه في مدرسة البوعيثة الاولى، أستمر فيها من تشرين الاول ١٩٣٣- ١١ آذار ١٩٣٧، ثم أنتقل الى مدرسة هيت ومن بعدها انتقل الى مدرسة الزهيرات، قدم استقالته ودخل المدرسة العسكرية في ٢٨ ايلول ١٩٣٧ ، منح رتبة ملازم ثانٍ حسب الارادة الملكية (٥٢٨) في ٢١ كانون الاول ١٩٣٨، ترفع الى رتبة ملازم اول حسب الارادة الملكية (٧٨٩) في ١٤ كانون الاول ١٩٤١، تدرج في المناصب العسكرية، كان له دور بارز في القضاء على النظام الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، عين متصرفاً للواء الكوت حسب المرسوم الجمهوري المرقم (٦٨٠) في ٣٠ ايلول ١٩٥٩ ، ثم عين متصرفاً للواء الموصل في نيسان ١٩٦١ ، بعد ذلك عين سفيراً في وزارة الخارجية ، ومن بعدها عين سفيراً في ليبيا حسب المرسوم الجمهوري المرقم (٨٠٢) في ٢٨ آب ١٩٦٣، ثم نقل سفيراً الى أنقرة حسب المرسوم الجمهوري المرقم (١١٨٩) في ٨ كانون الاول ١٩٦٤، أستلم منصب وزارة الداخلية في وزارتي عارف عبدالرزاق (٦ ايلول ١٩٦٥- ٢١ ايلول ١٩٦٥) وعبدالرحمن اليزاز في ٢١ ايلول ١٩٦٥ ، أستشهد مع رئيس الجمهورية اثر تحطم الطائرة في البصرة في ١٣ نيسان ١٩٦٦ م.ت.ع ، الاضبارة الشخصية لعبد اللطيف الدراجي ، الملفة المرقمة (١١٠٣٣٧٨) . دفتر الخدمة العسكرية نموذج ، رقم (١٨) ؛ سدير فاروق نوري علي الراوي ، عبداللطيف الدراجي ودوره في تاريخ العراق المعاصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، جامعة الانبار ، ٢٠١٩ ، ص ١٦- ٢٣٩ .

(٤٤) عبدالرحمن محمد عارف :ولد في بغداد عام ١٩١٦ ، اصله من الرمادي من عشيرة جميلة في عنه ، دخل الكلية العسكرية عام ١٩٣٦ ، منح رتبة ملازم ثانٍ حسب كتاب الارادة الملكية (٣٨٦) في ١٧ تموز ١٩٣٧ ، ترفع الى رتبة ملازم اول حسب كتاب الارادة الملكية (٤١٥) في ٧ ايلول عام ١٩٤٠، تدرج في المناصب العسكرية، شارك في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، فرفع الى رتبة لواء ، استلم منصب رئيس الجمهورية في ١٧ نيسان ١٩٦٦ ، أقصى من منصبه على أثر انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ ، توفي في الاردن عام ٢٠٠٧ م . ت.ع . الاضبارة الشخصية لعبد الرحمن محمد عارف الملفة المرقمة (١٠٠٣٧١٦٠٠٨) ، دفتر الخدمة العسكرية ، نموذج رقم (١٨) ؛ للمزيد من المعلومات ينظر : زينب محمود عبد الحسن الزهيري، عبد الرحمن عارف ودوره السياسي في العراق للفترة (١٩١٦-٢٠٠٧)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة اليرموك، ٢٠١٠، ص ١٠-٢٦٠.

(٤٥) المنار ، العدد ٣٣٦٦ ، ٢١ نيسان ١٩٦٦ .

(٤٦) المنار ، العدد ٣٣٩٨ ، ٢٦ ايار ١٩٦٦ .

(٤٧) الفجر الجديد ، العدد ١٣٢٢ في ١٦ حزيران ١٩٦٦

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) الجمهورية ، العدد ٨٧٩ ، ٢٢ حزيران ١٩٦٦ .

(٥٠) المنار ، العدد ٣٤٢٧ ، ٢٥ حزيران ١٩٦٦ .

(٥١) المنار ، العدد ٣٤٣٢ ، ٣٠ حزيران ١٩٦٦

- (٥٢) صوت العرب : صحيفة يومية سياسية ، ويتاريخ ٢٢ تموز ١٩٦٤ منح امتيازها لمجموعة من الصحفيين منهم فوزي عبدالواحد ، عطلت بتاريخ ٩ ايلول ١٩٦٤ ، منح امتياز جديد الى فوزي عبدالواحد بتاريخ ٩ اب ١٩٦٥ ، الغي امتيازها بشكل نهائي في ٣ كانون الاول ١٩٦٧. فائق بطي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٢ للمزيد ينظر : فيصل حسون ، المصدر السابق ، ص ٤٨٤ - ٤٩٦ .
- (٥٣) صوت العرب ، العدد ٣١٨ ، ١٧ اب ١٩٦٦ .
- (٥٤) الفجر الجديد ، العدد ١٣٧٨ ، ٢٤ آب ١٩٦٦ .
- (٥٥) صوت العرب ، العدد ٣٩٣ ، ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦
- (٥٦) الفجر الجديد ، العدد ١٥٠٣ ، ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٧ .
- (٥٧) الفجر الجديد ، العدد ١٥١٦ ، ٥ شباط ١٩٦٧ .
- (٥٨) التآخي صحيفة يومية سياسية ، منحت الامتياز في ٢٠ آذار ١٩٦٧ لصاحبها صالح اليوسف ، وهي ناطقة بلسان الحزب الديمقراطي الكردستاني ، كانت معارضة ضد الحكومة عطلت عدة مرات ، نشرت مقال عن تعديل الدستور فتم تعطيلها في ايار ١٩٦٨ ، وبقت متوقفة حتى اعلان بيان ١١ آذار ١٩٧٠ .، فائق بطي ، المصدر السابق ، ص ٣٨١ .
- (٥٩) التآخي ، العدد ٣٣١ ، ٥ آذار ١٩٦٨ .

المصادر :

الوثائق غير المنشورة :

مديرية التقاعد العامة:

- ١- د. ت. ع. الاضبارة الشخصية لعبد الرحمن البزاز، الملفة المرقمة (٣١٠٤٢١٤٠٢٣)، دفتر الخدمة العسكرية، نموذج رقم (١٨).
- ٢- م. ت. ع. الاضبارة الشخصية لعبد الرحمن محمد عارف الملفة المرقمة (١٠٠٣٧١٦٠٠٨) ، دفتر الخدمة العسكرية ، نموذج رقم (١٨).
- ٣- م.ت.ع ، الاضبارة الشخصية لعبد السلام عارف ، الملفة المرقمة (١١٠٢٥٨٦٠٢٤)، دفتر الخدمة العسكرية ، نموذج رقم (١٨).
- ٤- م.ت.ع ، الاضبارة الشخصية لعبدالكريم قاسم ، الملفة المرقمة (١١٠٧٩٠٧٠١٤) ، دفتر الخدمة العسكرية نموذج رقم (١٨).
- ٥- م.ت.ع ، الاضبارة الشخصية لعبد اللطيف الدراجي ، الملفة المرقمة (١١٠٣٣٧٨) . دفتر الخدمة العسكرية نموذج ، رقم (١٨)

المصادر العربية:

الكتب العربية :

- ١- زاهده ابراهيم ، كشاف بالجرائد والمجلات العراقية ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٧٦ .

- ٢- فيصل حسون ، صحافة العراق ما بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٧٠ ، دن ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ٣- ستار نوري العبودي ، عبدالعزيز العقيلي حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق ، ١٩١٩ - ١٩٨١ ، ط١ ، مكتبة مصر ، بغداد ، ٢٠٠٩ .
- ٤- ليلاف حمد أمين عزيز ، الحقوق السياسية في الدول التي تضم كردستان (دراسة تحليلية مقارنة) ، مكتب الفكر ، سليمانية ، ٢٠٠٧ .
- ٥- كاظم حبيب ، لمحات من نضال حركة التحرر الوطني للشعب الكردي في كردستان العراق ، ط٢ ، دار نارس ، اربيل ، ٢٠٠٥ .
- ٦- محمد كريم مهدي المشهداني ، عبدالرحمن البزاز ودوره الفكري والسياسي في العراق حتى ١٧ تموز ١٩٦٨ م ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ٢٠٠٢ .
- ٧- محمود رزوق احمد ، الحركة الكردية في العراق دور البرازنيين في طريق الحكم الذاتي ١٩١٨ - ١٩٦٨ ، دار المعتز ، الاردن ، ٢٠١٤ .
- ٨- معد فياض ، من ذاكرة جلال الطالباني ، حلقات نشرتها جريدة الشرق الاوسط ما بين ٩ الى ١٨ اب ، ٢٠٠٩ .
- ٩- مليح صالح شكر ، تاريخ الصحافة العراقية في العهدين الملكي والجمهوري ١٩٣٢ - ١٩٦٧ ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠١٠ .
- ١٠- هادي علي ، الشعب الكوردي والسياسات الدولية في القرن العشرين كوردستان العراق انموذجاً ، سيما ، السلیمانية ، ٢٠٠٨ .

الرسائل والاطاريح

- ١- احسان علي حسين الشمري ، موقف جريدة الحرية في التطورات السياسية في العراق (١٩٤٥ - ١٩٦٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٨ .
- ٢- زينب محمود عبد الحسن الزهيري ، عبد الرحمن عارف ودوره السياسي في العراق للفترة (١٩١٦-٢٠٠٧) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة اليرموك ، ٢٠١٠ .
- ٣- سدير فاروق نوري علي الراوي ، عبداللطيف الدراجي ودوره في تاريخ العراق المعاصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى مجلس كلية الاداب ، جامعة الانبار ، ٢٠١٩ .
- ٤- علي ناصر علوان الوائلي ، عبدالسلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام ١٩٦٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٥ .
- ٥- مؤيد شاكر شكر ، الدور الوطني لعبد الكريم قاسم في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٤ .

الموسوعات

- ١- حسن لطيف كاظم الزبيدي ، موسوعة الاحزاب السياسية ، ط٢ ، المعارف ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

- ٢- علي مولا ، الموسوعة العربية الميسرة ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ٢٠١٠ .
- ٣- فائق بطي ، الموسوعة الصحفية العراقية ، ط ١ ، المدى ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ٢٠١٠ .
- ٤- فراس البيطار ، الموسوعة السياسية والعسكرية ، ج ٢ ، دار اسامه ، الاردن ، ٢٠٠٣ .
- ٥- محمد علي الصويركي الكردي ، الموسوعة الكبرى لمشاهير الكرد عبر التاريخ ، م ١ ، ط ١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

الصحف

- ١- التآخي... (العدد ٣٣١ ، ٥ آذار ١٩٦٨)
- ٢- الجماهير ... (١ ، ١٢ شباط ١٩٦٣) (٢٤ ، ١٠ آذار ١٩٦٣) (٣١ ، ١٦ آذار ١٩٦٣) (١٠٩ ، ١١ حزيران ١٩٦٣) (١٢٥ ، ٢٧ حزيران ١٩٦٣) .
- ٣- الجمهورية ... (٤٠ ، ٣ ايلول ١٩٥٨) (١١٧ ، ٩ نيسان ١٩٦٤) (٢١١ ، ٢٩ تموز ١٩٦٤) (٨٧٩ ، ٢٢ حزيران ١٩٦٦) (٣٢٩ ، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٤) .
- ٤- الفجر الجديد.. (٦٢٩ ، ١١ شباط ١٩٦٤) (٦٣٣ ، ١٨ شباط ١٩٦٤) (٨٨٦ ، ٢٤ كانون الاول ١٩٦٤) (٩٦٩ ، ٦ نيسان ١٩٦٥) (١٠٢١ ، ١٤ حزيران ١٩٦٥) (١١٩٨ ، ١٢ كانون الثاني ١٩٦٦) (١٣٢٢ في ١٦ حزيران ١٩٦٦) (١٣٧٨ ، ٢٤ آب ١٩٦٦) (١٥٠٣ ، ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٧) (١٥١٦ ، ٥ شباط ١٩٦٧) .
- ٥- المنار ... (٣٣٤٨ ، ٣٠ آذار ١٩٦٦) (٣٣٦٦ ، ٢١ نيسان ١٩٦٦) (٣٣٩٨ ، ٢٦ ايار ١٩٦٦) (٣٤٢٧ ، ٢٥ حزيران ١٩٦٦) (٣٤٣٢ ، ٣٠ حزيران ١٩٦٦) .
- ٦- الوحدة ... (٤ ، ٥ آذار ١٩٦٣) .
- ٧- الوقائع العراقية ... (٢ ، ٢٨ تموز ١٩٥٨) (٢٤ ، ٣ ايلول ١٩٥٨)
- ٨- صوت العرب ... (٣١٨ ، ١٧ اب ١٩٦٦) (٣٩٣ ، ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦) .

البحوث

- خليل علي مراد ، مهيطان محمد حسين ، موقف بريطانيا من القضية الكردية في العراق - ١٩٦١ ، ١٩٧٥ ، مجلة جامعة زاخو ، م ٤ ، عدد ٣ ، آذار ٢٠١٧ .

المصادر الاجنبية

Michael M Gunter The A to Z of Kurds, Toronto, 2009.

شواهد القبور في الاندلس
”دراسة تاريخية“

ا.م.د. انعام حسين احمد المحمدي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم التاريخ

Tombstones in Andalusia

"historical study"

Assistant Professor Dr . Anaam Hussein Ahmed

Al mohammadi

Al- Mustansiriya Universit / College of Education

History Department

Email: anaamAnaamhussein12@gmail.com

شواهد القبور في الأندلس "دراسة تاريخية"

أ.م.د. انعام حسين احمد

(المستخلص)

تعتمد الزخارف الإسلامية من فنون العمارة الإسلامية التي انتشرت في الأمصار وكانت شاهد عصر على النتاج العربي الإسلامي الذي تلاق مع الحضارات الأخرى وانبج زخارف إسلامية ويخطوط عربية ظلت أثارها شامخة لهذا اليوم واصبحت دليل مادي ولموس للعمران الحضاري في المدن والقلاع والاسوار والقصور والمساجد والمقابر والشواهد ، فقد اعتنى الأندلسيون بفن الزخرفة وهندسيته وكتاباته المحفورة والبارزة والنقوش النباتية فكتبت على شواهد المتوفين واصبحت دليل قوي على تواجد العرب المسلمون في تلك البلاد ونشر الثقافة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية : (الأندلس - الزخرفة - القبور - الشواهد - الرخام)

Research Summary

The Islamic motifs are based on the Islamic architecture that has spread in the cities, and the witness of Egypt was based on the Arab-Islamic production that crossed with other civilizations and produced Islamic decorations and Arab plans whose effects remained lofty for this day and became a tangible material evidence of civilized urbanism in cities, castles, walls, palaces, mosques, tombs and gravestones, the Andalusians took care of The art of decoration, its geometry, its engraved and prominent writings, and the plant inscriptions were written on the gravestones of the deceased, and it became a strong evidence of the presence of Arab Muslims in those countries and the spread of Islamic culture.

key words:(Andalusia - Ornamentation - Graves - Tombstones - Marble)

مقدمة البحث

تعد العمارة الإسلامية من اوضح وابرز الشواهد الحضارية التي وجدت على ارض الأندلس ، حيث نرى عظمة الفن العربي الإسلامي المتمثل بالخط و الزخارف على جدران القصور و المساجد وكذلك المقابر وشواهد القبور الإسلامية الأندلسية ، فقد امتزجت الحضارة العربية الإسلامية المشرقية مع بيئة بلاد الأندلس لتمتزج لنا وتظهر لنا حضارة عربية أندلسية كانت نتاج تلاقح الافكار و الحضارات لتتصهر في بودقة التمدن الإسلامي ، فكان الخط الكوفي المشرقي شاهد عيان على استخدامه في الكتابات و النقوش الإسلامية المزخرفة على الشواهد المادية للحضارة ، ومنها شواهد القبور في بلاد

الأندلس موضوع بحثنا فكان لا بد من إعطاء فكرة للقارئ عن فن الزخرفة الإسلامية و أنواعها ثم التكلم عن هذه الشواهد لأجل إعطاء صورة واضحة للقارئ .

اعتمد البحث على المصادر الأولية مثل كتب الطبقات و التراجم لأنها تبحث في ترجمة العلماء و الفقهاء وتشير بإشارات عن شواهد هذه القبور وما كتب عليها مثل ، ابن الفرضي وكتابه تاريخ علماء الأندلس ، وابن بشكوال وكتاب الصلة ، و الضبي ، بقية الملتمس وابن خلدون في كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر ، فضلا عن المراجع الحديثة التي بحثت في فن الزخرفة الإسلامية و العمارة الأندلسية و من أهمها ، السلمي إبراهيم بن عتبة بن هلال وكتابه العدو الأندلسية من عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها بيد الإسبان ، وعبد الواحد ذنون طه ، الزخرفة العربية في الأندلس .

وقد واجه الباحث صعوبات في ندرة المعلومات و الاشارات قمنا بإثباتها في ثنايا البحث لا سيما ما يتعلق بالأثر المادي لهذه الشواهد الشاخصة التي نالها الزمن من التغيرات الطبوغرافية للمنطقة مما جعل التركيز يكون عليها قليل مقارنة بالأخبار الأخرى في المصادر الأندلسية

المبحث الأول

الزخارف والنقوش الإسلامية في الأندلس

الزخرفة:

لغة: هي زخرفة زينه وحسنه وأصله تزيين الشيء بالزخرف وهو الذهب وزخرف القول حسنه بترقيش الكذب^(١) (البستاني ، ٢٠١١ ، صفحة ٢٦٩).

أما اصطلاحا، فالزخرفة هي النقوش التي تزين بها البناء سواء كانت من مادة الجص او الحجر او الخشب او الرخام^(٢) (رزق ، ٢٠١٣ ، صفحة ١٣٠).

وتنقسم الزخرفة إلى ثلاثة أنواع شاع استعمالها في القبور والمزارات و الاضرحة في بلاد الأندلس

وهي :-

١ - الزخرفة النباتية: وهي التي تكون عناصرها الأساسية المكونة لوحدها المتكررة من أجزاء النباتات كالورقة أو الزهرة أو الشجرة^(٣) (ذنون ، دوت ، صفحة ٣) وكانت بداية هذه الزخرفة في بلاد المغرب العربي لاسيما بعد الفتوحات الإسلامية لها، وهذا ما نلاحظه في مزار عقبة بن نافع الفهري^(٤) (عثمان ، ١٩٩٣ ، صفحة ٢١٥)^(٥) (عقبة بن نافع الفهري ، قائد عربي مسلم وهو من اشهر الولاة في بلاد المغرب وكانت له ولايتين الأولى من (٤٩ - ٥٥ هـ / ٦٦٩ - ٦٧٥ م) و الثانية من (٦١ - ٦٣ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٢ م) وقد كان له الفضل في بناء مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م استشهد في معركة تهوده ضد الروم و البربر سنة ٦٣ هـ / ٦٨٢ م مع ثلاثمائة فارس وعرفت المقبرة بمقبرة الشهداء^(٥) (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، ج١/ صفحة ٢٣ ، صفحة ٢٨) وبمرور الزمن أدخل هذا النوع إلى فن العمارة وانتقل إلى بلاد الأندلس بعد الفتوحات الإسلامية سنة (٩٢ هـ / ٧١١ م) وأصبحت

الزخارف النباتية تكسوا المقابر الأندلسية على درجة عالية من الدقة والرقّة ويلتف أشكالها حول أغصان نباتية متداخلة وفق نسق معين ، وقد نقشت على جدران وأسقف قبور الأمراء والخلفاء والأولياء في بلاد الأندلس^(٦) (عثمان ، ١٩٩٣ ، ص ٢١٦) كان تجسيد الزخرفة النباتية على جدران قبور الأمراء والخلفاء والأولياء نابعاً من تعلقهم بالطبيعة وحبهم للتشجير والتزيين بأنواع الورود والأشجار^(٧) (ضيف ، ٢٠١٤ ، صفحة ٨ ، صفحة ١١٢) .

ولم تقتصر الزخرفة النباتية على قبور المسلمين فقط بل وانما تأثرت فيه الديانات الأخرى فشملت المقابر والأضرحة اليهودية والنصرانية ومراقدهم وكنائسهم ومدافنهم إذ أن أهل الذمة تأثروا تأثيراً كبيراً بالحضارة الإسلامية المغربية والأندلسية بحكم التركيبة الاجتماعية إذ كانوا يغلفون القبور بالخشب المشغول أو الآجر الملون والمنقوش لاسيما قبور الأثرياء منهم كما هو الحال في مدافن اليهود في مدينة طليطلة^(٨) (مدينة أندلسية ازلية في القدم كانت مركزاً للديانة المسيحية في ظل دولة الرومان و القوط الغربيون وكانت مقر ملك القوط وهي تمتاز بالحصانة و المنعة . البكري ، ١٩٩٢ ، ج ٢ / صفحة ٧٧صفحة ٩) ، وكنيسة سان أندرس ويلقب في التقليد الارثوذكسي بأول المدعوين وهو احد رسل السيد المسيح عليه السلام ويعرف ايضاً باسم القديس اند رؤس التي اصبحت مدفناً للكثير من النصارى^(٩) (باسيلو ، د٠ ت ، صفحة ١٢١) .

٢ - الزخرفة الهندسية:

ويقصد بها استعمال الأشكال الهندسية المستوية أو المجسمة أو الوحدات الزخرفية المنفذة بقياسات محددة على التحف والجدران والمباني ، والزخارف الهندسية هي التكوينات التي يمكن تشكيلها من تلاقي بعض أنواع الخطوط^(١٠) (النجاري ، د٠ ت ، صفحة ٣٧) .

وقد انحصرت عناصر هذه الزخرفة في الوحدات الهندسية التي كانت لها أهمية خاصة لدى المسلمين من النواحي الفلسفية والكونية والرمزية، كما أصبحت التصاميم الزخرفية الهندسية تغطي كافة المساحات ضمن أطار هندسي متناسق بحيث تتداخل الأشكال مع بعضها البعض لملئ الفراغات بزخارف نباتية متبعين بذلك القواعد في النهج الإسلامي^(١١) (النجاري ، د٠ ت ، صفحة ٣٨) .

وقد تكون الزخرفة الهندسية على هيئة ضفائر على شكل خطوط متوازية منكسرة وقد اشتهرت فيها المقابر الأندلسية^(١٢) (الشافعي ، د٠ ت ، صفحة ٤١) وقد سبقت زخرفة القبور الهندسية في عمارة مسجد قرطبة وقصورها وبيوت الأمراء والخلفاء وحتى منازل الطبقة العامة من فئة الأغنياء^(١٣) (حسن ، د٠ ت ، صفحة ١٢) .

٣ - الزخارف الكتابية:

تعد العناصر الكتابية من أبرز الزخارف المميزة للفن الإسلامي وهي من الوثائق التاريخية التي تميز الدولة والعصر التي انجزت فيه، فضلاً عن أنها كتبت باللغة العربية التي

ارتبطت بالقرآن الكريم وتأثرت حروفها به فجاءت أغلبية الحروف والزخارف بآيات كريمة. (١٤) (ويلسون ، د.ت ، صفحة ١٢) .

والتكوينات الزخرفية الكتابية حملت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأبيات الشعرية وعبارات الدعاء وقد أبدع الفنان في توظيف الزخرفة الشعرية الكتابية فسعى إلى تناسق حروفها وتزيين سيقانها ورؤوسها بالفروع النباتية والأزهار ، كما زخرفت أرضيتها بتكوينات متنوعة مبدعاً في كتاباته المتداخلة لتظهر العبارات في شكل مربع أو مستطيل وبأشكال زخرفية متنوعة وأحياناً على صور بعض الحيوانات^(١٥) (الشرقاوي ، ٢٠٠٠ ، صفحة ٢٧) .

وقد أدخل الفاتحون المسلمون إلى بلاد المغرب والأندلس الخطين الشائعين الاستخدام الخط الحجازي والخط الكوفي ، وقد ذكر ابن خلدون^(١٦) (ابن خلدون ، ١٩٦٨ ، صفحة ٢ ، صفحة ١١٢) أن أول خط مغربي وأندلسي تميز عن الخط الكوفي المشرقي هو الخط القيرواني الذي أنتقل إلى الأندلس و ظل معروف الرسم به وكان قريباً من أوضاع الخط المشرقي^(١٧) (ابن خلدون ، المقدمة ، صفحة ٣٤٥) .

٤ - الزخرفة الرمزية (رموز الحيوانات)

دأب الفنان المسلم على تطوير مفردات فن الرسم للرموز الطبيعية في الحضارات السابقة وفق منظور الدين الإسلامي والتي جسدها الفنان المسلم فناً دنيوياً للزينة ، وهو مطلب رجال البلاط وعمامة الناس الذين استخدموا ظهور الفصوص التي ظهرت في المباني الدينية في أفريقية أيام الدولة الفاطمية ولاسيما بالمقابر والأضرحة في مدينة المهديّة^(١٨) ، مدينة تقع على ساحل البحر المتوسط قام ببنائها عبيد الله المهدي سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م واتم سورها سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م وكانت قاعدة لحكم الدولة الفاطمية بالمغرب (البكري ، ١٩٩٢ ، ج ٢ ، صفحة ١١٤) وتلمسان^(١٩) ، مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ، ولها خمسة ابواب ، وهي قاعدة المغرب الاوسط لها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار وهي دار مملكة زناته (البكري ، ١٩٩٢ ، ج ٢ ، صفحة ٧٤٦) ، وهذا النمط من الرسم أنتقل إلى الأندلس و اتصف بالجمالية ، وهذه الصفة أو السمة المشتركة للفن بين البلدين قد انتشرت في عمارة القبور في عهدي المرابطين^(٢٠) ، فرع من قبيلة صنهاجة وهم من لمتونة وهي احد القبائل البربرية و اليها انتهت رئاسة المرابطين بالصحراء الذي اقام دولتهم يوسف بن تاشفين في بلاد المغرب و الأندلس (ابن الصيرفي ، ٢٠١٨ ، صفحة ٩٤) والموحدين^(٢١) ، قبائل بربرية الاصل ، مؤسس الدعوة محمد بن تومرت الهرغي المعروف ابن تومرت ، ومؤسس الدولة عبد المؤمن بن علي الكرمي وقد وحدت بلاد المغرب بأقسامه الثلاثة و الأندلس تحت امرتهم (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، ج ٤ ، صفحة ١٦-١٧) فزينت المقابر والأضرحة الدينية ومدافنهم كما هو الحال في مدينة طليطلة والمرية^(٢٢) (الطيب ، د.ت ، صفحة ٤٦) .

وقد ظهر هذا الفن من الزخرفة في العمارة الدينية مثل صور الغزال وصور الطيور ولاسيما النوارس وصور الفراشات ، وكان الغرض من وراء هذه الرسوم هي للتعبير عن ديمومة الحياة واستمرارها فضلا عن الشعور بالراحة للناظر وهي مستوحاة من الحياة العامة و المتمثلة بالبيئة الجميلة للأندلس^(٢٣) (الطيب ، د ٠ ت ، صفحة ٤٧) .

٥- الزخرفة الأدمية والحيوانية:

لقد أتخذ الفنان المسلم من الكائنات الحية عناصر زخرفية يكتفيها ويحورها بأشكال مختلفة في تصاميمه، ورغم هذا التكيف والتحويل فأن بإمكاننا معرفة هذا الحيوان أو الطائر وحقيقة الوضع المرسوم فيه وحركته الكاملة، كما ألف صوراً خيالية من مخلوقات عجيبة من باب الخيال و التصور الاسطوري ومن المناظر التي تظهر كثيراً في الفن الإسلامي^(٢٤) (الشرقاوي ، د٠ ت ، صفحة ٢٧) .

وتعد مادة الجص من أهم المواد المستعملة في الزخرفة فضلاً عن استعماله كمادة تغطي مادة البناء الخشن كالحجارة أو الأجر أو الدبش أو الطابية، فأن الجص يستخدم لا كساء الجدران بطبقة لتكوين الزخرفة، فالجص من أحسن المواد عزلاً للحرارة والصوت ومن أنسب المواد في حال تعرضها للرطوبة الشديدة والتقلبات الجوية^(٢٥) (الشرقاوي ، د٠ ت ، صفحة ٢٨) .

ومن نماذج الزخارف الجصية تلك الزخارف الموجودة في أضرحة سلاطين مملكة غرناطة إذ تعد نموذجاً فريداً من نوعه الذي أستخدم في هذه المرحلة التاريخية متأثرين بالزخارف الدينية في المغرب الأقصى وزخارف قبور وأضرحة أمراء دولة بني زيان في المغرب الأوسط^(٢٦) (علي ، د٠ ت ، صفحة ٤) .

المبحث الثاني

أولاً : الفن المعماري لزخرفة القبور في بلاد الأندلس :-

أهتم الأندلسيون بالقبور والمقابر في بلادهم ويرجع ذلك لسبب تأثرهم بالحضارات التي كانت قائمة على ارض تلك البلاد مثل الحضارة الرومانية واليونانية والتي امتزجت مع تعاليم الدين الاسلامي من حيث اكرام الميت دفنه وهذه سنة الرسول محمد(صلى الله عليه وعلى اله وسلم) التي اوصى بها المسلمون بعد دفن موتاهم والصبر على الرزية لقوله عليه الصلاة والسلام لامرأة تبكي عند قبر فقال "اتقي الله واصبري"^(٢٧)(البخاري ، د٠ ت ، صحيفة ٢٢١) وكان لنا في رسول الله(صلى الله عليه وعلى اله وسلم) اسوة حسنة عند وفاة ولده القاسم بالقول "انا بك لمحزونون" وقوله "تدمع العين، ويحزن القلب"^(٢٨)(البخاري ، د٠ ت ، صفحة ٢٢٩) كذلك نرى ان آيات الذكر الحكيم تؤكد على الانسان باتخاذ الموعدة من الدنيا وبالأقوام السابقة بدليل قوله تعالى ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢٩)﴾ (سورة التكاثر ، اية رقم ١-٢) وهي سورة مكية والتكاثر يعني في الدنيا^(٣٠) (ابن الجوزي ، د٠ ت ،

صفحة ١٦٦) ولفضل هذه الآية القرآنية روت زينب بنت جحش عن النبي (صلى الله عليه وسلم) انه قال " اذا قرأ قارئ الهكم التكاثر " يدعى في ملكوت السموات والارض بمدد عن الشكر لله" (٣١) (ابن الجوزي ، د . ت ، صفحة ١٦٦) .

ولذلك حرص الأندلسيون على دفن موتاهم المسلمين على الطريقة الشرعية للدفن، وقد انشئت مقابر كثيرة في الأندلس لهذا الغرض وغالباً ما يكون وضع المقابر وأماكنها في اطراف المدينة أو خارجها وقد أشار ابن بشكوال عند ذكر تراجم علماء وفقهاء محدثين انهم دفنوا في المقابر ومنها "مقبرة ام سلمة، ومقبرة ابن حازم، ومقبرة قريش، ومقبرة الرضى، ومقبرة العباس وقيل ابن عباس الوزير، ومقبرة فرانك، ومقبرة متعة وهي احدى الجوارى للأمير عبد الرحمن الاوسط، ومقبرة حلال، ومقبرة الحوض في المريه، مقبرة المغيرة، مقبرة الكلاعي و مقبرة مرمرة" (٣٢) (ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ١٢٦) .

وقد وصفت مقابر الأندلس بأنها ذات تنظيم معين، وانها ذات ترتيب منسق، وتمتاز بوجود الرياض والحدائق الغناء التي تأخذ القلوب بالفرجة والجمال وانها كانت عليها شواهد للموتى مبنية من مواد جيدة لتواجه الظروف المناخية وتغيرات الأزمنة (٣٣) (ابن سعيد المغربي ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، صفحة ٣٢١ ، السلمي ، ٢٠١٣ ، ط ١ ، صفحة ٢٦٩) يشير بالنتيـا ان المقابر في الأندلس كانت أشبه بالحدائق فمثلاً عندما اورد ترجمة الشاعر ابو عامر بن شهيد (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) وهو سيد الأدب في عصره، ورغم مكانته الادبية إلا انه تعرض للعذاب والتنكيل من قبل امراء الطوائف وعندما توفي دفن في مقبرة الخير في حدائق قرطبة قائلاً "فرقد رقدة الابد تحت الزهور" (٣٤) (بالنتيـا ، د . ت ، صفحة ٩٧) .

كذلك دفن الفقيه والمحدث أبو الوليد في مقبرة مؤمرة دون غسل أو تكفين أو صلاة بعد ان عثر عليه مقتولاً في داره جراء الفتنة البربرية التي حدثت في الأندلس والتي عمت الفوضى واصبح دم المسلم مستباح نتيجة هذه الفوضى السياسية (٣٥) (بالنتيـا ، د . ت ، صفحة ٣١٣)، كذلك دفن القاضي سعيد بن يحيى التجيبي في طليطله مكبلاً بالأصفاد في المقبرة بعد ان ذاق العذاب واوصى بأن يدفن هكذا ليشكو الظلم إلى بارئه ويلاقى ربه هكذا جراء ما عملت به السلطة الحاكمة (٣٦) (ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ٢١٨) .

ثانياً: النقوش والزخارف والشواهد على القبور في الأندلس :-

تشير الدراسات ان لفن الزخارف قسط وافر في بلاد الأندلس، حيث كان ذا طابع فني يمزج بين الخطوط العربية والرسومات الهندسية والنباتية اذ تجلت هذه الزخارف على الألواح المصنوعة من الخشب أو المرمر (٣٧) (السلمي ، ٢٠١٣ ، صفحة ٢٨٣) .

ولهذا نجد ان الشواهد الموضوعية على القبور للدلالة على اصحابها كانت تعمل من المرمر أو الرخام الابيض فقد اشتهرت مدينة المريه بصناعته لاسيما الرخام الابيض والذي امتاز بغلاء ثمنه

وارتفاع سعره لاستخدامه في العمارة الأندلسية سواء القصور أو المساجد وحتى القبور، كذلك اشتهرت مدينة ماردة بصناعته أيضاً^(٣٨) (الحميري ، ١٩٧٩ ، صفحة ١٨٤) .

ومن الشواهد التي تم العثور عليها شاهد في الجزيرة الخضراء في الأندلس مصنوع من المرمر يكون على شكل مسطح ومستطيل يبرز بها الجزء الذي نقش عليه العبارات المكتوبة ويبلغ طوله ٨٦ سم وارتفاعه ١٧,٥ سم ، كذلك شاهد يعود لسنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م شكل مستطيل عامودي وقد ناله الكثير من التلف وبقي عليه بعض النقوش^(٣٩) (السلمي ، ٢٠١٣ ، صفحة ٢٦٩) .

وكانت هذه الشواهد توضع فوق القبور للدلالة على الأشخاص المتوفين كي يزورهم اهاليهم وتأخذ هذه الشواهد أشكال مختلفة مثل الشكل المستطيل الأفقي ، والعمودي ، وشكل النجمة والذي يوضع عند جانب القبر، وشاهد على شكل مثلث وجدت نماذج منه في مقابر قرطبة واشبيلية وغرناطة إلا أنها اندثرت وبقي الشاهد المستطيل هو السائد والمعمول به في بلاد الأندلس^(٤٠) (بروفنسال ، دوت ، ج١ ، صفحة ٣٥٠) .

وهناك شواهد اسطوانية استخدمها أهل طليطله حيث انها انتشرت ايضاً لاسيما وهو مصنوع من المرمر أو ما يعرف بالرخام الابيض ويكتب عليه بخط اما يكون بارزاً أو يكون محفوراً^(٤١) (عيد ، ١٩٥٣ ، صفحة ٤١) .

أما الخط المستخدم في الكتابة فقد اشارت معظم المصادر التاريخية بأن الأشهر هو الخط الكوفي المزهر، الذي كان ينقش به على الرخام الابيض وهو صاحب الحظوة الاوحد في الكتابة وقد انتشر في بقاع الارض ويصل الى ١٢ نوع منها "الاسماعيلي، المكي، المدني، الأندلسي، الشامي، العراقي، العباسي، البغدادي، المشعب، الريحان، المصري، المجرى"^(٤٢) (ثويني ، ٢٠٠٥ ، صفحة ٣٠٠) .

وقد تفرع من المدني خط المدور والمثلث أو الثلث ، والنتم، وقد امتاز الخط الكوفي بجودته وجماله واصبح رمزاً للعمارة الدينية بمعالمها الروحية والثقافية والخلودية ويشمل الخط الكوفي الكتابات القرآنية والاحاديث والشعر وتواريخ البناء والمراسيم السلطانية كذلك يشمل زخارف الابواب والجدران والنوافذ والأبواب والمقابر، والأضرحة، والقبور، والشواهد، والتوابيت^(٤٣) (ثويني ، ٢٠٠٥ ، صفحة ٣٠١) .

يشير د. علي ثويني ان استعمال الخط الكوفي في شواهد القبور من العلامات المميزة للعلاقة بين الخط والعمارة حيث حفظ لنا الكثير من المعلومات والكتابات التي تدل على التاريخ والعمارة فضلاً عن انه يستخدم في الكتابة على الحجر ويحفر عليه وكذلك الرخام مثلاً الذي ذاع استخدامهما في الأندلس^(٤٤) (ثويني ، ٢٠٠٥ ، صفحة ٣٠٨) .

أما أبرز الكلمات المكتوبة بالخط الكوفي على الشواهد فهي عبارات اسلامية، تؤكد على فكرة الخلود والدوام لله سبحانه وتعالى مثل "الحمد لله، المجد لله، الملك لله، الدوام لله"^(٤٥) (حقي ، ٢٠١٨ ، صفحة ٦٣) .

كذلك تكتب بعض الآيات القرآنية مثل ما وجد على شاهد القاضي سعيد بن يحيى قوله تعالى "إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"^(٤٦) (ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ٢١٨) .

كذلك يكتب على الشاهد معلومات عن الشخص المتوفى مثل اسمه وكنيته ولقبه، وعلمه، مع ذكر أبيات من الشعر تمجد الشخص سواء ان كان محدث أو فقيه أو قاضي أو حاكم أو قائد عسكري وكذلك تؤرخ سنة الوفاة مثل ما أورده ابن الفرضي من عبارات في كتابه تاريخ علماء الأندلس "كتب على قبره أو كتب على شاهد قبره"^(٤٧) (ابن الفرضي ، ٢٠١١ ، صفحة ٨٧ ، صفحة ٥٩ ، صفحة ١١٥ ، صفحة ٢٠٠) .

كذلك ما وجد على شاهد قبر يعود للقرن الرابع للهجري / العاشر الميلادي وفيه اشارة لما عمله الفقيه ابن منازل (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م) حين اوصى ما يريد نقشه وكتابته على شاهد قبره^(٤٨) (ابراهيم ، د.ت ، صفحة ٨٤) .

كذلك ما وجد على شاهد قبر في الأندلس نقش عليه "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد ، هذا قبر" ساقط" المغيرة بن محمد (ت ٥٢٢هـ) كذلك شاهد آخر عثر عليه نقش عليه "....ناقص....) ، الله توفى سير يوم اثنين وعشرين (.....ناقص...) ترحم عليه"^(٤٩) (السلمي ، ٢٠١٣ ، صفحة ٢٦٩)، وهذا معناه ان هناك كلمات تسقط من بعض الشواهد بسبب عامل الزمن و الطبيعة وبذلك تتعرض للتلغف اذا لم يكن هناك من يداوم على صيانتها .

ولابد من الاشارة إلى ان الموتى في الأندلس كان يضعون في توابيت مصنوعة من الخشب اذ عرفت مدينة المرية بصناعة نماذج من التوابيت معمولة من اربع بلاطات تنتهي إلى مشابك مرتبطة بعضها مع الآخر وقسم آخر يكون صندوق املس وآخر مزين بالنقوش ويقال ان هذه الظاهرة نتيجة التأثر بالحضارات الرومانية والبيزنطية إلا انها ظل معمول بها في الإسلام وكانت الكتابة بالخط الكوفي على هذه التوابيت^(٥٠) (السيد ، ١٩٨٠ ، صفحة ١٧٠) .

يشير ابن بشكوال انه عندما توفي ابن افرانك حكم بن محمد (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) بمقبرة ام سلمة بقرطبة كان على نعشه يوم دفنه طيوراً لم تعهد بعد، كانت ترفرف فوقه وتتبع جنازته إلى ان ووري في لحد^(٥١) (ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ١٣٦) .

كذلك كانت هناك مواقيت للدفن بعد أن يصلى عليه وفي الغالب تكون الصلاة في المساجد الموجودة في المقابر ، فمثلاً دفن خلف بن محمد بن عبدالله القرطبي (ت

٥١٤هـ / ١١٢٠م) بعد صلاة العصر لثلاث خلون من جمادي الأولى^(٥٢) (ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ،
، صفحة ١٢٦) ، وزيايد بن عبدالله الشامي توفي في صدر صفر من سنة (٤٣٠هـ / ١٠٣٩م)^(٥٣)
(ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ١٣٦) وعبدالله بن احمد بن عبد الملك بن هاشم (ت ٤٣٥هـ /
١٠٤٤م) دفن عشية يوم الاثنين لثلاث عشر خلت نم جمادي الأولى ،وعبدالله بن ابراهيم بن عبدالله
المعافري (ت ٤٩٨هـ / ١١٠٥م) توفي ليلة الخميس اول الليل لثلاث بقين من شهر المحرم^(٥٤)
(ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ١٦٤) .

وبذلك يتضح للباحث ان الأندلسيون كانوا حريصين على الاهتمام بالمقابر لكونها اول منزلة من
منازل الآخرة ، وأنها دار البقاء ودار الحق فضلا عن الاهتمام بنظافتها وترتيب القبور والشواهد وضرب
الأخبية وقراءة القرآن والأدعية وأحيانا التبرك بالشخص المتوفى لاسيما اذا كان عالم او رجل صالح
ويصبح قبره مزارا ، تطلب عنده الحاجات من باب التبرك مثل ابن مدين الحسين بن شعيب الأندلسي
والذي أصبح قبره مزارا ولهذا اليوم في مدينة بجاية المغربية^(٥٥) وهي مدينة عتيقة من
بناء الرومان وهي في منحدر جبل شاهق على البحر المتوسط ، تحيط بها اسوار عالية متينة (ليون ،
دوت ، صفحة ٥٠) .

كذلك اهتم اهل الأندلس بتغسيل الموتى ودرج اكفانهم فقد وردت إشارات عن ذلك احمد بن علي ابن
عبدالله بن مريوال القرطبي الذي كان فقيها وزاهدا ، رقيق القلب ، غزير الدمع وكان يغسل الموتى ويجيد
غسلهم وتجهيزها وقد الف كتابا حافلاً في هذا المعنى توفي رحمه الله سنة (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م)^(٥٦) (ابن
بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ٤٧) وكذلك احمد بن محمد بن سعيد الأموي القرطبي المعروف بابن
برلمان حيا سنة (٤٠٢هـ / ١٠١٢م) أيضا كان من اهل الخير والصلاح وكان يغسل الموتى جيدا وقد
توفي ببيت المقدس بعد أن أدى فريضة الحج^(٥٧) (ابن بشكوال ، ٢٠٠٣ ، صفحة ٥٠) وايضا كان
سعيد بن محسن الغاسل وهو من اهل قرطبة ومن المجاهدين فقد تولى منصب القضاء ، كان يغسل
موتى أولى النباهة من القوم وكان مواظبا على الجهاد توفي سنة (٤٠١هـ / ١٠١١م)^(٥٨) (ابن بشكوال
، ٢٠٠٣ ، صفحة ١٨٣) .

الاستنتاجات

في نهاية هذا البحث وجدنا أن هناك أنواع عديدة في النقوش والزخارف والخطوط اعتمدت
في بلاد الأندلس ، وكانت مكتوبة على شواهد القبور وكيف أهتم الأندلسيون بترتيب وتنظيف وتزيين
المقابر وزرعها بالأشجار ، فكانت مثل الحدائق وكذلك تطرقنا الى أنواع الاحجار المستخدمة بهذه
الشواهد من الحجر ومادة الرخام الابيض والعبارات المثبتة والتي تدل على فناء الاشياء ودوام الملك لله
سبحانه وتعالى .

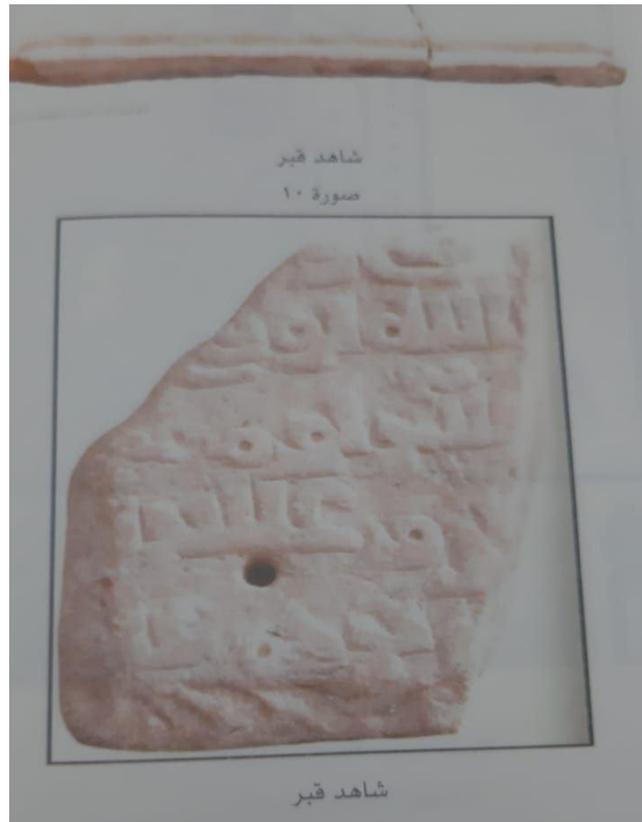
شواهد القبور في الأندلس "دراسة تاريخية"

كذلك أهم العبارات التي تكتب على الشاهد من أسم الشخص والكنية واللقب وتاريخ الوفاة، والتعريف به كان يكون عالم أو فقيه أو محدث أو قائد عسكري، أو حاكم أو أمير وأحياناً تكتب بعض المآثر للشخص المتوفى بأبيات من الشعر على شاهد قبره توضح فيه جهاده ضد الممالك الإسبانية ومن الأشياء التي تبنت في البحث أسماء المقابر التي كانت تقع في اطراف المدن وهو المعتاد عليه في تخطيط المدن الإسلامية وكانت تحمل أسماء اما لموقع او اسم شخص سواء أن كان رجلاً أو امرأة مثل " أم سلمة، المقبرة، الحوض(ام سلمة، مقبرة قرطبة، الحوض، افرانك، مقبرة قريش، مقبرة متعة نسبة لجارية الامير عبد الرحمن الاوسط، مقبرة الوزير ابن عباس، مقبرة حلال وهذه احدى الجوارى للأمير عبد الرحمن الاوسط، وغيرها من أسماء المقابر وتوضح انها تحمل أسماء اشخاص او مدن او جوارى)" وكذلك مقابر لليهود الموجودين على ارض الأندلس والذي كان لهم حي يعرف بحي اليهود وكانت طريقتهم على ما شرع في ديانتهم وهذا دليل واضح على التعايش السلمي بين الأديان التي شهدته ارض الأندلس .



أحد شواهد القبور الأندلسية المحفوظة في المتاحف

الإسبانية - مصدر الصورة



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الاولية

القران الكريم

- ٠ البخاري ، ابي عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
١ - صحيح البخاري، دار صادر ، بيروت، د.ت.
- ٠ البكري ، اب عبيد عبد الله بن عبد العزيز ، ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .
٢ - المغرب في ذكر افريقيه و المغرب وهو جزء من المسالك و الممالك ، تحقيق ادريان فان ليوفن ، اندري ، فيري ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٢،
- ٠ ابن بشكوال ، ابي المقاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/، ١١٨٣م)
٣ - الصلة في تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق ، صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، ط ١ ، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٠ ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ / م)
٤ - بستان الواعظين ورياض السامعين ، ط ١ ، دار ابن جرزي ، القاهرة، د.ت.
- ٠ الحميري، محمد عبد المنعم (ت ٩١١هـ / ١٢٠٠م)
٥ - الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: احسان عباس، بيروت، ١٩٧٩.
- ٠ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / م)
٦ - تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، تحقيق: سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٨.
- ٠ ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨١هـ / م)
٧ - المغرب في اخبار المغرب ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة، ١٩٥٥.
- ٠ السلمي الاندلسي ، عبد الملك بن حبيب ت ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م .
٨ - كتاب التاريخ ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٨ .
- ٠ ابن عذاري المراكشي ، ابو عبد الله محمد كان حياً سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م .
٩ - البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان ، أ . ليفي بروفنسال ، ط ١ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

ابن الصيرفي ، ابي بكر يحيى بن محمد بن يوسف الانصاري ت ٥٥٧هـ /
١١٦١ م .

١٠ - الانوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية ، تحقيق محمد علي دبور ، ط ١ ،
القاهرة، ٢٠١٨ .

ابن الفرضي ، ابو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف
(ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢ م) .

١١ - تاريخ علماء الاندلس ، تحقيق روحية عبدالرحمن السويدي، دار الكتب
العلمية ، ط ١، بيروت، ٢٠١١ .

ليون الافريقي ، الحسن الوزان ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠ م .

١٢ - وصف افريقيا ، تحقيق محمد الاخضر ، المغرب ، د.ت .

ثانياً: المراجع الثانوية

١ - باسيلو ، بابون مالدونادو ، الفن الاسلامي في الاندلس الزخرفة الهندسية ،
ترجمة علي ابراهيم علي ، مصر ، د.ت .

٢ - بالنثيا ، انحل جنتالث، تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الاسبانية حسين
مونس ، ط ٢، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، د.ت .

٣ - بروفنسال ، ليفي ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، مجلة معهد الدراسات في
مدريد ، القاهرة ، د.ت .

٤ - البستاني ، بطرس ، القاموس المحيط ، لبنان ، ٢٠١١ .

٥ - جمعة ، ابراهيم ، دراسات في تطور الكتابات التاريخية على الاحجار في
مصر ، القاهرة، د.ت .

٦ - حسن ، زكي محمد ، تراث الاسلام في الفنون الفرعية ، مصر ، د.ت .

٧ - شوقي ، ضيف، تاريخ الادب العربي، دار المعارف ، القاهرة، ٢٠١٤ .

٨ - طه، عبد الواحد ذنون ، الزخرفة العربية في الاندلس، الموصل ، د.ت .

٩ - السلمي ، ابراهيم بن عتبة الله بن هلال ، المقدمة الاندلسية من عصر
ملوك الطوائف الى سقوطها في ادي الاسبان ، دراسة سياسية حضارية ، ط ١ ،
الرياض ، ٢٠١٣ م .

١٠ - السيد ، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة الحرية ، الكويت، ١٩٨١ .

١١ - الشرقاوي ، داليا احمد فؤاد ، الزخارف الاسلامية ، مكتبة الاسكندرية ،
٢٠٠٠ .

- ١٢ - محمد حقي، مهن الموت في الاندلس ، بحث منشور على وحدة النت ، مجلة عصور الجديدة ، ٢٠١٨ ، مج ٨ ، ص ١٢١ .
- ١٣ - الطيب محمد عذاب ، لمحات عن العمارة والفنون الاسلامية في المغرب والاندلس ، المغرب، د.ت.
- ١٤ - عبد ، يوسف، الفنون الاندلسية وأثرها في أوروبا ، القروسطية ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٥٣ .
- ١٥ - عبد عثمان ، عثمان اسماعيل و تاريخ العمارة الاسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الاقصى ، ط١، دار الهلال ، ١٩٩٣ .
- ١٦ - علي ثويني، معجم عمارة الشعوب الاسلامية ، ط١، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٥ .

List of sources and references

First: primary sources

The Holy Qura

Al-Bukhari, Abi Abdullah Muhammad bin Ismail (d. 256AH/869AD) .

1 - Sahih Al-Bukhari, Dar Sader, Beirut, D .

Al-Bakri, Abu Obaid Abdullah bin Abdul Aziz, died 487 AH / 1094 AD .

2 - Morocco in the Remembrance of Africa and Morocco, which is part of the tracts and kingdoms, achieved by Adrian van Leeuwen, Andre, Ferry, Arab Book House, Tunisia, 1992 .

Ibn Bashkwal, Abi al-Muqasem Khalaf bin Abd al-Mal (D. 578 AH / 1183 AD) .

3 - Connection in the History of Andalusian Scholars, investigation, Salah Al-Din Al-Hawari, Al-Mataba Al-Asriyya, 1, Beirut, 2003 AD.

Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman (D. 597 AH / AD) .

4 - The Garden of Preachers and Riyadh Al-Sami'in, 1st Edition, Dar Ibn Al-Jerzy, Cairo, D.T.

Al-Humairi, Muhammad Abdel-Moneim (died 911 AH / AD) 0

5 - Al-Rawd Al-Maatar in the news of the countries, investigation: Ihsan Abbas, Beirut, 1979.

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman bin Muhammad (died 808 AH / AD) .

6 - The History of Ibn Khaldun, called Diwan al-Mubtada wa al-Khabar fi Akhbar al-Arab, al-Ajam, al-Berber, and those of their contemporaries of greater concern, investigated by: Suhail Zakkar, Damascus, 1968.

Ibn Said al-Mughrabi, Abu al-Hasan Ali ibn Musa (d. 681 AH / AD) .

7 - Morocco in the news of Morocco, investigation: Shawky Dhaif, Cairo, 1955.

- Al-Salami Al-Andalusi, Abd al-Malik bin Habib, died 238 AH / 852 AD .
8 - The History Book, 1st floor, Al-Asriya Library, Beirut, 2008 .
Ibn Adhari al-Marrakchi, Abu Abdullah Muhammad was alive in the year 712 AH / 1312 AD .
9 - Al-Bayan Al-Maghrib in the news of Andalusia and Morocco, investigation and review c. s . Colan, A. Levi Provencal, 1st floor, Scientific Books House, Beirut, 2009 .
Ibn Al-Sayrafi, Abi Bakr Yahya bin Muhammad bin Yusuf Al-Ansari, died 557 AH / 1161 AD .
10 - The Clear Lights in the News of the Almoravid State, Investigated by Muhammad Ali Dabour, 1st Edition, Cairo, 2018 .
Ibn Al-Fardi, Abu Al-Walid Abdullah bin Muhammad bin Yusuf (died 403 AH/1012 AD) .
11 - The History of Andalusian Scholars, Realization of the Spirituality of Abd al-Rahman al-Suwaifi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1, Beirut, 2011.
Leon the African, Al-Hasan Al-Wazzan T. 957AH / 1550AD 0
12 - Description of Africa, investigated by Muhammad al-Akhdar, Morocco, DOT.

Second: secondary references

- 1 - Basilo, Baboon Maldonado, Islamic Art in Andalusia, Geometric Decoration, translated by Ali Ibrahim Ali, Egypt, D. .
2- Palencia, The Dissolution of Gentiles, History of Andalusian Thought, quoted from the Spanish by Hussein Mu'nis, 2nd Edition, Library of Religious Culture, Cairo, D.T.
3- Provencal, Levi, History of Islamic Spain, Journal of the Institute of Studies in Madrid, Cairo, D.T.
4 - Al-Bustani, Boutros, Ocean Dictionary, Lebanon, 2011.
5- Gomaa, Ibrahim, Studies in the Development of Historical Writings on Stones in Egypt, Cairo, D.T.
6 - Hassan, Zaki Muhammad, The Heritage of Islam in Sub-Arts, Egypt, D.T .
7 - Shawky, guest, History of Arabic Literature, Dar Al Maaref, Cairo, 2014.
8 - Taha, Abdul Wahed Thanoun, The Arab Ornament in Andalusia, Mosul, D.T.
9 - Al-Salami, Ibrahim bin Utbah Allah bin Hilal, The Andalusian Introduction from the Era of the Sects' Kings to its Fall in the Valley of the Spaniards, A Political and Civilized Study, 1st Edition, Riyadh, 2013 AD.
10 - Mr. Abdul Aziz Salem, The History of Freedom City, Kuwait, 1981.
11 - Al-Sharqawi, Dalia Ahmed Fouad, Islamic Decorations, Bibliotheca Alexandrina, 2000.
12 - Muhammad Haqqi, Professions of Death in Andalusia, a paper published on the Internet Unit, New Ages Magazine, 2018, Vol. 8, p. 121.

13 - Al-Tayeb Muhammad Azab, Glimpses of Architecture and Islamic Arts in Morocco and Andalusia, Morocco, D.T.

14 - Abd, Youssef, Andalusian arts and their impact on Europe, the Middle Ages, Dar Al-Fikr, Beirut, 1953.

15- Abd Othman, Osman Ismail, History of Islamic Architecture and Applied Arts in the Far Maghreb, 1st Edition, Dar Al-Hilal, 1993 0

16 - Ali Thuwaini, Dictionary of Islamic People's Architecture, 1st Edition, House of Wisdom, Baghdad, 2005.

محاولات التسوية في الصين : مؤتمر شنغهاي

للسلام ١٩١٩-١٩٢٠

أ.م.د. نادية كاظم محمد العبودي

قسم التاريخ/ كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية

dr.nadia.kadhim@uomustansiriyah.edu.iq

n20171975@gmail.com

محاولات التسوية في الصين: مؤتمر شنغهاي للسلام ١٩١٩-١٩٢٠

أ.م.د. نادية كاظم محمد العبودي

ملخص البحث

يعد مؤتمر شنغهاي للسلام أبرز محاولة لوضع تسوية سلمية للأمر وإعادة وحدة الصين التي عصفت بها الانقسامات السياسية والصراعات العسكرية الداخلية في فترة أمراء الحرب التي امتدت ١٩١٦-١٩٢٨. عقد المؤتمر بين وفدين عن طرفي الصراع؛ الحكومة العسكرية في الجنوب والتي تمتلك الشرعية الدستورية وحكومة بكين (الشمال) التي تتمتع بالاعتراف الدولي والدعم الياباني. دارت اغلب المحادثات في المؤتمر حول المطالب التي تقدم بها وفد حكومة الجنوب والتي تجلت بإعادة العمل بدستور ١٩١٢ ووقف البرنامج العسكري لحكومة الشمال، والتي كان من الصعب على الأخيرة أجابتها؛ فالأولى تفقدها شرعيتها الدستورية، والثانية تحد من قدراتها العسكرية. لذا سادت المؤتمر أجواء عدم الثقة في موقف حكومة الشمال في الاستجابة لمطالب حكومة الجنوب على نحو قاد لتعليق جلسات المؤتمر لأكثر من مرة.

الكلمات المفتاحية: تاريخ الصين السياسي، صن يات صن، توان تشي جوي.

Abstract

The Shanghai Peace Conference is the most prominent attempt to peacefully settle matters and reunite China, which was wracked by political divisions and internal military conflicts in the warlord era of 1916-1928. The conference was held between two delegations from both sides of the conflict; The military government in the south, which has constitutional legitimacy, and the Beijing government (the north), which enjoys international recognition and Japanese support. Most of the talks in the conference revolved around the demands made by the delegation of the southern government, which were manifested in the restoration of the 1912 constitution and the cessation of the military program of the northern government, which it was difficult for the latter to answer; The first loses its constitutional legitimacy, and the second limits its military capabilities. Therefore, the conference prevailed in an atmosphere of distrust in the position of the northern government in responding to the demands of the southern government, which led to the suspension of the conference sessions more than once.

Keywords: China's political history, Sun Yat-sen, Tuan Chi Jui.

المقدمة

بعد نهاية الحرب العالمية الاولى تغير الموقف الدولي تجاه الوضع في الصين، ولاسيما بعد ان وصل الى مرحلة خطيرة من الصراعات السياسية والعسكرية، رافقها تفاقم كبير في حجم النفوذ الياباني على حساب بقية الدول الاخرى ذات النفوذ في الصين. فأخذ الحلفاء، ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية، يحثون طرفي الصراع الحكومة العسكرية في الجنوب (كانتون) وحكومة الشمال (بكين) على وضع حد للصراع واعادة وحدة البلاد. وانسجاما مع ذلك عقد مؤتمر شنغهاي للسلام. دارت أغلب محادثات المؤتمر حول المطالب التي جاء بها وفد حكومة الجنوب، ولاسيما إعادة العمل بدستور ١٩١٢ وحل البرلمان الجديد ودعوة البرلمان القديم للانعقاد، ووقف البرنامج العسكري لحكومة الشمال وكشف الاتفاقيات السرية التي وقعتها حكومة الشمال مع اليابان. وعلى نحو عام سادت المؤتمر اجواء عدم الثقة في موقف حكومة الشمال في الاستجابة لمطالب وفد حكومة الجنوب. وضمن هذه السياقات تثار أسئلة عدة، ترى، ما هي المنطلقات التي استندت اليها الحكومتين، في إدارة مفاوضات السلام؟ والى أي حد كانت حكومة الشمال جادة في الوصول الى السلام؟ وماهي طبيعة السلام الذي أرادته؟ وكيف أثر خضوع الحكومة العسكرية في الجنوب لعصبة كوانجسي على موقفها من مفاوضات السلام؟ وهل تأثرت المفاوضات بمقررات مؤتمر الصلح في باريس؟ هذه وغيرها من التساؤلات حاولنا الاجابة عنها من خلال الرجوع الى تقارير ومراسلات المفوضية الامريكية في بكين وقنصلياتها العامة في كانتون وشنغهاي، التي تابعت عن كثب مجريات هذا المؤتمر. والتي دبجت ضمن مجلدات بعنوان

(Papers Relating to the Foreign Relations of the United States)

للأعوام ١٩٢٠، ١٩١٩، ١٩١٨ فقد تتبعت المفوضية الامريكية في بكين ومقيمياتها في كانتون وشنغهاي مجريات المؤتمر وما نشرته الصحافة الصينية والاجنبية في الصين من مواقف وتصريحات للمسؤولين الصينيين للحكومتين الشمالية والجنوبية، الامر الذي مكنا من الوقوف على تفاصيل دقيقة ومهمة حول حقيقة ما كان يدور في جلسات المؤتمر والعوامل المؤثرة فيها. كما اعتمد البحث على عدد من الكتب الاجنبية التي تطرقت الى مؤتمر شنغهاي، ولاسيما كتاب الباحث والسياسي الصيني لي تشن نونغ الذي كان معاصرا لأحداث تلك المرحلة لذا أتمم بالدقة فيما أورده من معلومات حول طبيعة العلاقة بين الحكومتين الشمالية والجنوبية وما شهدته الصين آنذاك من تداعيات سياسية

Li Chien-Nung, The Political History of China 1840-1928,

الى جانب ذلك لا يمكن اغفال كتاب الباحث ادوارد ل. دراير الصين في الحرب ١٩٠١-١٩٤٩ الذي ركز على دراسة الصراعات العسكرية التي شهدتها الصين في النصف الاول للقرن العشرين، والذي أعطى تفاصيل مهمة عن العصب العسكرية الصينية التي سيطرت على الحياة السياسية في الصين،

ولاسيما في فترة أمراء الحرب. , Edward L. Dreyer , China at War 1901 – 1949 , Second Impression (London, 1998). اما كتاب جيمس شيردن فقد عني بتتبع إجراءات أمراء الحرب وسيرهم الذاتية، وما شهدته الصين من انقسامات وحروب أهلية منذ بداية العهد الجمهوري حتى قيام جمهورية الصين الشعبية. وعلى ذلك فقد تطرق شيردن الى تفاصيل الاحداث التي سبقت انعقاد مؤتمر شنغهاي وبين دور الاحزاب العسكرية الشمالية في حل البرلمان وبقية المؤسسات الدستورية وما قاد اليه ذلك من انقسام الصين الى حكومتين شمالية وجنوبية وتحولها الى مناطق نفوذ لأمراء الحرب. James E. Sheridan, China in Disintegration 1912-1949,(United States of Amreca,1974).

أهمية البحث

اغفلت الدراسات العربية التي تناولت تأريخ الصين السياسي الحديث والمعاصر الكثير من الاحداث السياسية المهمة التي شهدتها الصين على الصعيد الداخلي في مطلع القرن العشرين، اما الدراسات الاجنبية فقد ركزت على جانب الانقسامات الداخلية ولم تعط محاولات التسوية حقها في البحث والتقصي عن الحقائق فهي وان جاءت على بعض مجريات المؤتمر الا انها أغفلت جوانب أخرى مهمة. من هنا جاء هذ البحث للتغطية على مجريات أبرز محاولات التسوية السلمية آنذاك والعوامل التي أثرت فيها من خلال الرجوع للوثائق.

الإطار المكاني والزمني للدراسة

ركز البحث على مجريات المؤتمر الذي دار في شنغهاي اهم مدن الصينية لاسيما مع اطلالها على اهم الموانئ الصينية التي كانت وما زالت أخصب مناطق العالم بالنشاط التجاري، فضلا عن اشتغالها على ما كان يعرف بالمستوطنة الدولية، الى جانب كونها أبرز اماكن تواجد الطبقة البرجوازية الصينية الناشئة. اما الإطار الزمني للبحث فتحدد بعامي ١٩١٩-١٩٢٠ التي عقدت اثنائها جلسات المؤتمر وعلى فترات زمنية متقطعة، فقد علقت جلسات المؤتمر لأكثر من مرة وعادت فاستؤنفت اما بضغط دولي او وساطة محلية او لمستجدات داخلية.

تمهيد

سياسة توان تشي جوي والموقف المحلي والدولي منها

شهدت الصين منذ مطلع عام ١٩١٧ أنقسامات سياسية تبعتها صراعات عسكرية كان باعثها الاساس سياسة رئيس الوزراء توان تشي جوي^(١) المتمثلة بإلغاء دستور عام ١٩١٢، وحل البرلمان وبقية المؤسسات الدستورية^(٢). حتى أسفرت سياسته عن انسحاب زعيم الحزب الوطني صن يات صن^(٣) وأكثر

من ٣٣٠ نائباً في البرلمان من الحزب نفسه^(٤) باتجاه شنغهاي وكانتون. وإعلانهم عن عدم اعترافهم بالحكومة المركزية في بكين وتشكيلهم حكومة جديدة في كانتون (مركز مقاطعة كوانغتونغ جنوبي الصين) هي الحكومة العسكرية. ونظموا في الثامن عشر من آب ١٩١٧ برلماناً جديداً في كانتون وقرروا ان يبقى منعقداً حتى يتم إعادة العمل بدستور عام ١٩١٢ وإنعقاد البرلمان المنحل^(٥). وفي الحادي والثلاثين من آب عقد البرلمان الجديد اجتماعاً فوق العادة أقر قانون تنظيم الحكومة العسكرية وانتخب صن يات صن قائداً عاماً^(٦). وفي كانون الثاني ١٩١٨ أثمرت اجراءات هذه الحكومة عن تشكيل اتحاد بين ست مقاطعات (كوانغتونغ، كوانجسي، يونان، هونان، كويتشو، وزتشوان) عرف بـ(الاتحاد من أجل حماية الدستور)^(٧). وفي ضوء ذلك أعلن الجنوبيون عدم اعترافهم بحكومة بكين وظلوا ينظرون الى الرئيس السابق لي يوان هونغ^(٨) على انه الرئيس الشرعي للبلاد وأن البرلمان المنحل هو الهيئة القانونية الوحيدة التي تمثل الشعب^(٩). ولا نجاف الحقيقة اذا ما أشرنا هنا الى ان هاتين المسألتان بقينا مثارا للخلاف بين حكومتي الشمال والجنوب، وأن تنظيم هذه الحكومة كان يعني انقسام الصين الى كيانين سياسيين منفصلين الحكومة العسكرية التي امتد نفوذها الى كل مقاطعات الجنوب والجنوب الغربي، وحكومة بكين التي سيطرت على بقية انحاء البلاد من الناحية النظرية فحسب، ولاسيما مع النمو المتزايد في قوة الحكام العسكريين في المقاطعات الوسطى والشمالية.

وفي ظل ظروف الحرب العالمية الاولى أعلن رئيس الوزراء لحكومة الشمال توان تشي جوي في آب ١٩١٧ دخول الصين الحرب الى جانب الحلفاء، واستغل هذا الموقف للتفاوض مع اليابان لعقد سلسلة قروض^(١٠)، وعلى وفق هذه المستجدات أنشأ مكتباً خاصاً عرف بمكتب المشاركة في الحرب ووضعه تحت رئاسته. وقدرت القروض التي حصل عليها آنذاك من اليابان بـ(١٢٠) مليون دولار فضلاً عن قروض أخرى^(١١). أنفق قسماً كبيراً منها على الجيش الذي تم إعداده رسمياً للمشاركة في الحرب، وواقعياً لإبادة العصب العسكرية الاخرى بما فيها عصابة تشيلي^(١٢) التي انشقت عن جيش بيانغ^(١٣) وإعادة وحدة البلاد بالقضاء على الحكومة العسكرية في الجنوب. وفي سياق آخر أنفق توان تشي جوي قسم من هذه القروض على البرلمان الجديد الذي أنشأه في بكين والذي سيطر عليه الحزب العسكري الشمالي الانفو(عصابة انهوي)^(١٤). وعلى نحو لا لبس فيه زادت تلك القروض في قوة توان تشي جوي وحزبه العسكري، فأتجه لتحقيق وحدة البلاد وانهاء استقلال الجنوب بالقوة العسكرية. فخاضت قواته حرباً ضد الجنوب في المدة ١٩١٧-١٩١٨ تخللتها انقطاعات متكررة. عندئذ تدخل الحكام العسكريين لمقاطعات تشيلي، هوبي، زتشوان، وجيانغسو ودعوا لتوقيع هدنة مع الجنوب، الأمر الذي أضطر توان تشي جوي لتقديم استقالة في العشرين من تشرين الثاني ١٩١٧^(١٥).

لم يمه ذلك نفوذ توان تشي جوي السياسي وسيطرته على عصابة انهوي ومصادر التمويل الياباني^(١٦). وبإقرار رينش الوزير المفوض الامريكي في الصين، فشلت محاولات الرئيس فينغ كوتشانغ^(١٧)

في ابعاد تون عن مسرح الأحداث الداخلية بتعيينه قائداً عاماً للجيش المكلف بالمشاركة في الحرب بل ان ذلك مكنه من اعادة ارتباطه الكامل بالزعماء العسكريين في الشمال^(١٨).

وفي الوقت الذي ظهرت فيه دعوات لإيجاد حل توافقي سلمي مع الجنوب، ولاسيما من الجنرال لي شون حاكم كيانجسو وهو أحد جنرالات عصابة تشيلي، وجمعية كيانجسو^(١٩)، برزت محاولات وضغوطات استهدفت دفع الرئيس فينغ كو تشانغ للاستقالة^(٢٠). لذا اضطر الاخير لإعادة تعيين تون تشي جوي رئيساً للوزراء في الثالث والعشرين من آذار ١٩١٨^(٢١).

كانت بادرة اعماله، توقيع اتفاقيتين سريتين بشأن التعاون البحري والعسكري مع اليابان وذلك في السادس عشر والسابع عشر من أيار على التوالي، وتمت المصادقة عليهما في الثلاثين من أيار للعام نفسه^(٢٢). واتفاقية أخرى في الخامس والعشرين من ايلول للعام نفسه تعهد فيها تون تشي جوي بتأييد مصالح اليابان في إقليم شانتونغ في مؤتمر الصلح (الذي كان من المتأمل عقده بعد الحرب) بمقابل تعهد اليابان بسحب قواتها من شانتونغ الى مدينة تسنجتاو ونشر قوات يابانية على طول سكة حديد شانتونغ، وتحويل مسؤولية حماية المناطق التي يخليها الجيش الياباني الى السلطات الصينية، وان تصبح عائلية خط سكة حديد شانتونغ مشتركة بين الصين واليابان مقابل قرض تقدمه اليابان الى الصين بقيمة (٤٠) مليون ين ياباني لإنشاء سكك حديد جديدة في المنطقة وبالمقابل تضع اليابان جميع ممتلكات وايرادات هذا المشروع تحت رعايتها لحين تسديد القرض. واتفق الطرفان على ان تبقى هذه الاتفاقية سرية لحين انعقاد مؤتمر الصلح^(٢٣). وليس من الغريب ان تثير سرية هذه الاتفاقيات ردود فعل سلبية لدى دول الحلفاء بسبب استثنائها من المشاركة فيها كما خشيت من أن تكون بداية لمطالب جديدة تتقدم بها اليابان إلى الصين، كما أثار تبيد العوائد الوطنية موجة استنكار عامة لدى الصينيين^(٢٤).

وتحت تأثير تلك المتغيرات، لم يعد تون تشي جوي مصرا على حل القضية مع الجنوب عسكريا. وبدت الامور تسير باتجاه التقارب مع الجنوب والشروع بسياسة التسوية السلمية ولاسيما بعد انتخاب هسو شيه تشانغ^(٢٥) رئيسا للجمهورية في الشمال وانتخاب تشن تشون هسوان رئيسا للحكومة في الجنوب وكلاهما من المؤيدين لإنهاء الحرب الأهلية^(٢٦).

الاهم من ذلك بدأ الموقف الدولي يتغير بعد نهاية الحرب العالمية الاولى، تجاه الوضع الداخلي في الصين وتوسع النفوذ الياباني فيها. وضمن هذا السياق برز الموقف الامريكي واضحا، ففي برقية رفعها الرئيس الامريكي وودرو ولسن (١٩١٣-١٩٢١)^(٢٧) إلى الرئيس الصيني هسو شيه تشانغ هنئه فيها بمناسبة انتخابه رئيسا للجمهورية، حثه على ضرورة تحقيق السلام وإعادة وحدة البلاد قبل أن تتطلع الصين إلى التعاون مع الدول الشقيقة^(٢٨). من المرجح هنا أن الولايات المتحدة وجدت أن تحقيق السلام في الصين قد يحد من إمكانية توسع النفوذ الياباني في الصين ، ولاسيما ان اليابان انتهجت سبيل دعم بعض الاحزاب العسكرية الشمالية على حساب الاحزاب الاخرى.

لم يكن غريباً والحال هذا ان تنبتهت حكومة الولايات المتحدة إلى الدور الذي كان يؤديه مكتب المشاركة في الحرب في إرساء النفوذ الياباني في الصين، أثناء الحرب، من خلال توقيعه القروض التي ضمنت بموارد الصين الطبيعية. وأن نشاطه كان يميل باتجاه فرض الحكم العسكري على الصين تحت زعامة توان تشي جوي وتحقيق المكاسب الشخصية والقضاء على حكومة الجنوب أكثر من رغبته في المشاركة في الحرب. وفي ضوء ذلك أشار الوزير المفوض الأمريكي رينش على حكومته تقديم الدعم المعنوي لمحاولات التسوية والتشجيع على عقد مؤتمر وطني لإيجاد نوع من التوازن في الوضع السياسي في الصين، وبرأيه ان هذا كفيل بوضع حد لعصبة توان تشي جوي وتلاعبها بموارد الصين الطبيعية. ولتحقيق ذلك دعا لاتخاذ الخطوات التالية^(٢٩):

١. أن تتبنى حكومة الولايات المتحدة حملة دعائية واسعة لنشر كل الاتفاقيات التي وقعتها الحكومة الصينية مع اليابان وخاصة تلك المتعلقة بموارد الصين الطبيعية. ولاسيما أن تلك الأثناء شهدت ممارسة عصبة توان تشي جوي(انهوي) لأساليب قمعية تجاه الجهات الصينية التي حاولت نشر أو تسريب معلومات حول تلك الاتفاقيات.

٢. إعلام الحكومة الصينية بأن حكومة الولايات المتحدة تنظر بعدم الرضا لأسلوب إدارتها الأوضاع في الصين ولاسيما تلك التي مهدت لاحتكار اليابان لموارد الصين الطبيعية. ويجب أن تؤسس لعلاقات سليمة لمرحلة ما بعد الحرب.

٣. أن يكون واضحاً للسياسيين والعسكريين والرأي العام الصيني رفض الولايات المتحدة استخدام مكتب المشاركة في الحرب لأغراض شخصية وسياسات حزبية وإنما يجب أن يتحدد نشاطه بالهدف الذي أنشأ لأجله. وأن تقوم الحكومة الصينية ببذل الجهود وعلى نحو مستمر لتوحيد البلاد تحت سلطتها وإلا فإن الاعتراف بشرعية حكمها تصبح محط نقاش.

٤. الإكمال السريع لإعادة تنظيم مالية الصين وعلى أسس ثابتة، وان يرافق ذلك إلغاء القروض الصناعية الفاسدة.

وفي السياق نفسه أوعز الرئيس ولسن إلى القنصل العام الأمريكي في كانتون بإقناع الحكومة العسكرية في الجنوب بضرورة تحقيق السلام والوحدة في البلاد. ويضاف الى ذلك أن دول الحلفاء الأخرى (بريطانيا وفرنسا) قدمت عن طريق وزرائها المفوضين في الصين احتجاجات شديدة للجهة إلى الحكومة الصينية في بكين بشأن اقتنار مشاركتها في الحرب على الناحية الاسمية فقط، وأنها أنفقت الموارد المالية المتبقية من غرامات حرب البوكسر (١٨٩٨-١٩٠١)^(٣٠) التي وافقت دول الحلفاء على تأجيل تسلمها منها مدة خمسة أعوام، على الصراعات الحزبية. الامر الذي عد ضربة قوية لعصبة توان، ولحققتها ضربة أخرى ولاسيما بعد تغير الحكومة اليابانية إذ تم حل مجلس وزراء تيراوتشي وشكل هاراتاكاشي مجلس وزراء

جديد. وغيرت الحكومة الجديدة سياستها المؤيدة لتوان تشي جوي نتيجة الرفض الغربي لزيادة توسعها في الصين، واحتجاج الحكومة العسكرية في الجنوب أيضا^(٣١). في ظل تلك الاجواء خشيت الحكومة اليابانية من أن تتصدر دول الحلفاء الموقف في الصين من خلال دعوتها للسلام، فكان لا مفر لها هنا، من أن تظهر نفسها بمظهر الداعي للسلام فدعت على لسان سفيرها في واشنطن، الحكومة الأمريكية لتبني توجيه رسالة ودية إلى الزعماء العسكريين في الشمال والجنوب لإنهاء حالة الحرب وتحقيق السلام وإعادة وحدة البلاد. وذلك بالاشتراك مع حكومات بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وأوضح رأي حكومته في انه لا توجد معوقات تعترض طريق وضع تسوية للأوضاع في البلاد إذا ما تخلى الطرفان عن المصالح الشخصية والآليات الدستورية. وفي حال تبني حكومة الولايات المتحدة لهذه المحاولة فعليها ان تحيل مناقشتها وقرارها الى ممثلي القوى الخمسة (بريطانيا، الولايات المتحدة، فرنسا، إيطاليا، اليابان) في بكين، على ان تأخذ بنظر الاعتبار تجنب ابداء أي مظهر من مظاهر الاعتراف بالحكومة العسكرية في الجنوب^(٣٢). وهذا يعني استمرارها في دعم حكومة بكين، وان مصالحها تقتضي عدم الاعتراف بحكومة الجنوب.

وردا على ذلك أعربت حكومة الولايات المتحدة على لسان وزير خارجيتها أنها تتفق وبشكل كامل مع وجهة نظر الحكومة اليابانية. وأوضحت أن إقناع الطرفين المتنازعين يجب أن يتم تعزيزه بتقديم مساعدات مالية مقابل ضمانات مرضية^(٣٣). وانسجاما مع ذلك أجرى رئيس حكومة الشمال هسو شيه تشانغ اتصالات مع الزعماء الجنوبيين تلقى خلالها تأكيدات باستعدادهم للتسوية. فكان من نتيجة ذلك ان اصدر في السابع عشر من تشرين الثاني ١٩١٨ أمرا بإيقاف العمليات العسكرية وانسحاب القوات الشمالية ودعم جهود توحيد البلاد^(٣٤). ليعقب ذلك عقد مؤتمر للسلام.

وعلى الصعيد الدولي جرت منذ مطلع كانون الثاني ١٩١٩ محادثات عدة بين ممثلين عن حكومة بكين وممثلين عن دول الحلفاء حول اصدار بيان بإيقاف تقديم أية قروض اجنبية الى الصين حتى يتم تحقيق السلام وإعادة وحدة البلاد، واقترحت الولايات المتحدة فرض حصار على توريد الاسلحة الى الصين. الا انه لم يتم اتخاذ اجراء محدد بهذا الشأن في ذلك الوقت، بسبب رفض الحكومة اليابانية التدخل في العقود والاتفاقيات التي تربطها مع الصين بذلك الشأن^(٣٥). من الواضح ان دول الحلفاء ولاسيما الولايات المتحدة كانت حريصة على وقف عمليات الاقتتال الداخلي التي كان من المحتم ان تسير في صالح الحزب الموالي لليابان، طالما ان الاخيرة مستمرة في دعمه، لذا سعت الولايات المتحدة ودعمت عمليات تحقيق السلام.

أولاً: انعقاد مؤتمر شنغهاي للسلام (شباط-آذار ١٩١٩)

انسجاما مع مقتضيات الموقف المحلي والدولي، اعدت حكومتا الشمال والجنوب وفدين لتمثيلهما في مفاوضات التسوية فكان وفد حكومة الشمال (بكين) برئاسة وزير الداخلية السابق تشوتشي تشيان، أما

وفد الحكومة العسكرية في الجنوب (كانتون) فكان برئاسة عضو المجلس الاداري تونغ تشاو يي وعضوية تانغ تشي -تشاو، وهو هان مينغ وآخرون^(٣٦).

وتم تحديد العاشر من شباط ١٩١٩ موعدا لافتتاح المؤتمر وحث رئيس وفد الحكومة العسكرية تونغ شاو يي أعضاء الوفد على ضرورة القدوم الى شنغهاي قبل الموعد المحدد. ولتغطية نفقات المؤتمر تم رصد مبلغا قدره عشرة آلاف دولار من عائدات ضريبة الملح وسلم المبلغ كاملا الى تونغ شاو يي^(٣٧). واقتрحت حكومة الشمال ان تكون نانكنج مقرا لانعقاد المؤتمر، فيما اصرت حكومة الجنوب على ان يعقد المؤتمر في شنغهاي، ووافقتها حكومة الشمال الى ذلك^(٣٨). وتفسير ذلك نجده في أن شنغهاي كانت مركزا للطبقة البرجوازية الصينية التي طالما قدمت دعمها لصن يات صن، يضاف الى ذلك أن شنغهاي كانت مركزا للجاليات الاجنبية في الصين الامر الذي جعلها أقرب الى أن تكون حلا وسطا بين الطرفين. اما نانكنج فكانت قد اصبحت أحد مراكز قوة العصب العسكرية الشمالية لذلك أرادت حكومة الجنوب الابتعاد عنها.

ومن الاهمية بمكان الاشارة، هنا، الى تأخر بدء المفاوضات بين الطرفين لوجود عقبات عدة منها عدم اعتراف حكومة الشمال بشمول مقاطعة شنسي بمنطقة الهدنة، إذ بقيت منطقة متنازع عليها بين الحكومتين، وتجلى ذلك واضحا بالعمليات العسكرية المتكررة التي شنتها قوات حكومة الشمال على مقاطعتي شنسي وفوكين الواقعة تحت سيطرة حكومة الجنوب . وفي ضوء ذلك وجه تونغ شاو يي برفقية الى الهيئة الدبلوماسية في بكين ناشد فيها وضع حد فعلي للعمليات العسكرية التي كانت تشنها قوات الشمال في شنسي وعدم الاكتفاء بالتصريحات بالدعوة للسلام ودعا الى تبني المقترحات التي تقدم بها الحاكم العسكري لمقاطعة كيانجسي الجنرال لي تشون في السادس من شباط ١٩١٩^(٣٩). والذي أصبح وسيطا للسلام بين حكومة بكين والحكومة العسكرية والتي اشتملت على^(٤٠):

- ١-وقف العمليات العسكرية لكلى الجيشين في فوكين وشنسي وغرب هوبي.
- ٢-ايقاف تقدم قوات المشاة نحو هوبي وشنسي، وان تتولى السلطات مسؤولية قمع قطاع الطرق والامتناع عن زيادة أعداد جيوشها.
- ٣-ان يتم تثبيت إجراءات الهدنة في غرب هوبي وجنوب شنسي وعلى نحو متبادل من قبل قادة الجيوش أنفسهم.
- ٤-أرسال ضباط معروفين الى داخل شنسي يتم اختيارهم من قبل زعميي الوفدين المفاوضين، لمراقبة تقسيم الاراضي على طول خط الجبهة.
- ٥- بعد أن يعرف كل طرف الارض التابعة له سيكون الجيش مسؤولا عن قمع قطاع الطرق وحماية السكان ضمن حدوده، والامتناع عن شن أي هجمات طويلة فترة الهدنة.

رفعت نسختين من هذه المقترحات، وجهت احدهما الى حكومة بكين فأبدت موافقتها عليها، فيما رفعت الاخرى الى الحكومة العسكرية في كانتون، فعقد المجلس الاداري فيها اجتماعا ناقش فيه هذه المقترحات وانتهى الى الموافقة عليها^(٤١). وعلى أساس ذلك أعلن في الثالث عشر من شباط عام ١٩١٩ عن شمول مقاطعتي شنسي وفوكين ضمن منطقة الهدنة، ومع ذلك شهدت الفترة اللاحقة خروقات عسكرية من جانب قوات حكومة الشمال^(٤٢) كما سيتبين.

وعلى الرغم من الاتفاق على قضية شنسي وفوكين فقد كانت هناك عقبات أكثر أهمية عرقلت بدء المفاوضات ولاسيما مسألة حل مكتب المشاركة في الحرب واستمرار حكومة الشمال ببرنامجه العسكري وتلقيها مساعدات مالية من دول اجنبية^(٤٣). فبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى أعلنت حكومة الشمال عن نيتها في الاستمرار بتنفيذ برنامجها العسكري بالاعتماد على المساعدات المالية اليابانية حتى يتم توقيع السلام في مؤتمر فرساي. وهذا ما يتناقض مع المطالب التي جاء بها وفد حكومة الجنوب^(٤٤). وعلى الرغم من الإعلان المسبق للدول الغربية ذات النفوذ في الصين عن عدم رغبتها في التدخل في المفاوضات الا انها كانت على اطلاع كامل على تفاصيل سير المفاوضات بين الطرفين.

يتضح ذلك من خلال ما أورده سامونس القنصل العام الامريكي في شنغهاي في مذكرة موجهة الى رينش الوزير المفوض الامريكي في الصين، بقوله إن السيد تونغ شاو يي رئيس الوفد المفاوض لحكومة الجنوب أرسل اليه نسخة من برقيته الموجهة الى الهيئة الدبلوماسية في بكين والتي اشتملت على آراء عدة فيما يتعلق بالموقف من قضية شنسي، فضلا عن أرفاقه معها نسخة من البرقية التي وجهها رئيس وزراء حكومة بكين الى تونغ شاو والتي أوضحت موقف حكومة الشمال من مطلب حكومة الجنوب المتعلق بحل مكتب المشاركة في الحرب^(٤٥). من الواضح هنا أن الولايات المتحدة والدول الاخرى ذات المصالح في الصين لم تكن بعيدة عن مجريات المفاوضات وإنها كانت بموقف المتأهب لكل ما قد يؤثر على طبيعة ارتباطاتها ومصالحها.

ولا مناص من القول إن إصرار حكومة الشمال على الاستمرار ببرنامجه العسكري آخر افتتاح المؤتمر حتى العشرين من شباط، حيث افتتحت جلسات المؤتمر فيما كان يعرف بالنادي الالمانى^(٤٦). ومع ذلك تأخر الانعقاد الفعلي لجلساته حتى الثامن والعشرين من شباط وقدم تونغ تشاو يي رئيس وفد حكومة الجنوب مطالب حكومته التي تلخصت بما هو آت^(٤٧):

- ١- الغاء الاتفاقيات العسكرية الصينية- اليابانية لعام ١٩١٨.
- ٢- حل جيش المشاركة في الحرب.
- ٣- التوقف عن استلاف القروض.
- ٤- ارسال الوثائق الدبلوماسية كافة، المتعلقة بالاتفاقيات العسكرية الصينية- اليابانية إلى مؤتمر السلام لدراستها

رفضت المطالب الثلاث الاولى رفضا قاطعا من لدن حكومة الشمال، فيما لقي المطالب الاخير قبولا من لدن رئيس وفدها تشو تشي تشان، ولكنه فوجئ برفض حكومته ارسال الوثائق بل انها اعلنت وثيقة جديدة وقعتها مع اليابان في الخامس من شباط ١٩١٩، أي اثناء الاستعداد لافتتاح المؤتمر، نصت على اطالة امد التعاون العسكري الصيني الياباني^(٤٨). وان دل هذا على شيء انما يدل على ان رئيس الوفد لم يزود بصلاحيات كافية كما ان حكومته لم تكن لديها النية في الموافقة على أي شرط من شأنه ان يمس بمصادر قوتها، بل انها اخذت تزيد في تحصين موقعها. كما ان اعلان هكذا وثيقة وبمثل تلك الظروف كان بمثابة وضع حكومة الجنوب تحت طائلة الضغط والتهديد العسكري واشعارها بضعف موقفها وان حكومة الشمال تتصرف من منطلق قوة واسناد خارجي، وانها ليست على استعداد للتحية بمصادر قوتها.

حاولت حكومة الشمال ان تمتص نقمة حكومة الجنوب، فأعلنت عن تأسيسها جيش الدفاع الوطني وهو في الواقع لم يتعد كونه اسما آخر لجيش المشاركة في الحرب، وبقي حلما مطلبا ثابتا من مطالب حكومة الجنوب^(٤٩). ويضاف الى ذلك يمكن القول ان هكذا مناورة هدفت الى توفير غطاء شرعيا لقوات حكومة الشمال.

وبعد أن تبين لتونغ شاو يي أن وفد حكومة الشمال لم يزود بصلاحيات كافية بدأ يتصل على نحو مباشر بالهيئة الدبلوماسية في بكين عبر سلسلة مراسلات ففي السابع والعشرين من شباط ١٩١٩ وجه برفقية الى الرئيس هسو شيه تشانغ انتقد فيها استمرار حكومة الشمال ببرنامجه العسكري الذي تمثل بمكتب المشاركة في الحرب واستتلاف القروض وسريان الاتفاقيات العسكرية الصينية اليابانية. وردا على ذلك أجاب شين نينغ - هسون رئيس وزراء حكومة الشمال ببرقية موجهة لرئيس الوفد المفاوض لحكومة الجنوب في الثامن والعشرين من شباط، أوضح فيها أن مكتب المشاركة في الحرب هو نتاج لمشاركة الصين في الحرب العالمية الاولى ويشكل حاليا منفذا لتزويد الصين بالأسلحة والاموال والسفن، وان المساعدات المالية اليابانية جاءت نتيجة طبيعية لموافقتنا على القرض الياباني والاتفاقية الصينية اليابانية. لذا فإن مكتب المشاركة في الحرب سيستمر حتى يتم توقيع السلام في أوروبا وانسحاب قوات الطرفين لان اتفاقية قرض المشاركة في الحرب ستبقى سارية حتى ذلك اليوم. وعندها سيفقد مكتب المشاركة في الحرب أهميته وتنقل صلاحياته الى وزارة الدفاع. وتساءل شين نينغ هسون في الوقت نفسه مستنكرا موقف تونغ تشاو يي، هل إن انفصال الجنوب الغربي (منطقة نفوذ حكومة الجنوب) وانعقاد مؤتمر شنغهاي للسلام بين الشمال والجنوب موجه ضد قرض المشاركة في الحرب؟ وهل إن حل جيش المشاركة في الحرب وإنهاء ذلك القرض من شأنه أن يعيد الوحدة للبلاد؟ وفي ختام البرقية دعاه الى اخذ وجهة نظر حكومة الشمال بعين الاعتبار^(٥٠).

لقد ادرك الوفد الممثل لحكومة الجنوب حجم المناورة الجديدة التي تزامنت معها خروقات جديدة للهدنة العسكرية من جانب قوات حكومة الشمال في شنسي بقيادة الحاكم العسكري في شنسي الجنرال شن شو. وعلى اساس ذلك فاتح رئيس الوفد المفاوض تونغ شاو يي السيد جون جوردن الوزير المفوض البريطاني في بكين ودعا الى ان يضع حدا لتلاعب حكومة الشمال بالالتزام الفعلي بالهدنة^(٥١). فأهل وفد حكومة الشمال ثمان واربعون ساعة لإجابة مطالب حكومة الجنوب. ومرت الثمان واربعون ساعة دون تلقي أي رد فتم تفسير ذلك بان حكومة الشمال غير راغبة في تحقيق السلام. وفي ضوء ذلك أعلن وفد حكومة الجنوب في الثاني من اذار ١٩١٩ تعليق المفاوضات إلى اشعار اخر وأعقب ذلك اعلان رئيس وفد حكومة الشمال استقالته^(٥٢). ولتسوية الموقف أمام الرأي العام الذي وجه اللوم الى الوفود أصدر وفد حكومة الجنوب في اليوم نفسه بيانا موجها الى الصحافة الصينية وجميع الهيئات التشريعية والمنظمات التجارية والتعليمية، أشار فيه ابتداء الى الاسباب الموجبة لعقد المؤتمر، وبين أهم التعقيدات في قضيتي شنسي وحل جيش المشاركة في الحرب واعتراضهما طريق تحقيق السلام، فضلا عن عدم حصول الوفد على نسخ كاملة من الاتفاقيات العسكرية الصينية اليابانية ومرفقاتها ونسخة كاملة من اتفاقية قرض المشاركة في الحرب، إذ لم يقدم وفد الشمال سوى نسخ من الاتفاقيات البحرية والعسكرية دون اسنادها بالمرفقات. وأضاف انه لا يمكن تحقيق السلام الا بالحصول على الاصول الخاصة بكل الاتفاقيات وإزالة العقبات التي تعترض السلام، وان نجاح الخطوتين يعتمد على بعضهما البعض^(٥٣).

هكذا توقفت جلسات المؤتمر دون ان يتم التوصل لشيء، وبحسب تقدير الوزير الامريكى رينش قد يرتبط ذلك بانتظار الوفدين ما ستؤول اليه نتائج مؤتمر فرساي، فلم يحاول أيا منهما ان يلزم نفسه بأي تأكيدات سياسية. الا ان الموقف ترك اثارا سلبية على الوضع في الصين فقد خسر التيار الداعي للسلام بزعامة الرئيس هسو شيه تشانغ الكثير من هيئته، فضلا عن التشكيك في امكانية المؤتمر بإيجاد تسوية. اضافة الى ذلك في الوقت الذي أظهر فيه الرئيس صدق دوافعه في تحقيق السلام فقد بذل زعماء الحزب العسكري الشمالي (عصبة الانفو) أقصى ما في وسعه لعرقلة نجاح المؤتمر، الامر الذي أدى الى فشل المؤتمر حتى في ادراك مسؤولياته حيث دخل الوفدان في مشاحنات لاحد لها، في الوقت الذي كان ينبغي فيه صياغة برنامج لإعادة اعمار البلاد. اما الحكومة العسكرية في الجنوب فقد كانت غير واعية بالكامل او تجاهلت عن عمد الموقف في الصين وأسهمت هي الاخرى في تدمير المؤتمر من خلال تكريس جهودها في تدبير المكائد السياسية لتعزيز موقفها في المقاطعات المتنازع عليها^(٥٤). من الواضح ان توقف جلسات المؤتمر في ذلك الحين كان مرحليا وبقدر تعلق ذلك بمجريات مؤتمر فرساي، فإنها تأثرت بتناقضات الموقف في الشمال وانقسامه ما بين حزب السلام الذي قاده الرئيس وبين الحزب العسكري الموالي لليابان والذي كان يسعى لفرض ارادته في المؤتمر.

ومن الاهمية بمكان الاشارة هنا الى انه خلال المدة من تقدم الولايات المتحدة بمقترح حصار الاسلحة على الصين في كانون الاول ١٩١٨ حتى التعليق النهائي لعمليات التسليم في منتصف آذار ١٩١٩ سلمت الحكومة اليابانية حكومة بكين من الاسلحة والذخائر ما قيمته خمسة عشر مليون ينا . لذا فإن اعتماد حظر الاسلحة في ذلك الحين لم يثر مواقف سلبية لدى الحكومة العسكرية في الجنوب، وان الحكومة الشمالية تلقت من الاسلحة والذخيرة ما يمكنها من استئناف العمليات العسكرية ضد الجنوب في أي وقت تشاء^(٥٥).

وفي السابع من نيسان استؤنفت المفاوضات بين الوفدين، بعد وساطة اجراها الحكام العسكريون لمنطقة وادي نهر اليانغتسي الوسطى وقائد فرقة ووفو في مقاطعة هانغتشو^(٥٦). وفي تلك الاثناء بدا ان الوفدين كانا يميلان لإبعاد مجريات المفاوضات عن الدعايات الاعلامية، فقررنا عقد جلسات سرية، لاسيما ان بعض الصحف الصينية الممائلة للسياسة اليابانية في الصين لاسيما صحيفة شنغهاي تايمز عملت على اثارة سوء الفهم بين الوفدين من خلال التشكيك برئيس الوفد الجنوبي تانغ تشي ياو^(٥٧). أدرج ضمن جدول اعمال المؤتمر مناقشة المقترحات التي تقدم بها وفد حكومة الجنوب والتي تضمنت^(٥٨):

- ١- الغاء الاتفاقية العسكرية الصينية اليابانية.
- ٢- الغاء مكتب الدفاع الوطني والقوات الخاصة به (ويعني بذلك مكتب المشاركة بالحرب وجيشه).
- ٣- تصفية قروض المشاركة في الحرب.
- ٤- استعادة البرلمان القديم (برلمان ١٩١٢) لسلطاته.
- ٥- استخدام حكومتي الشمال والجنوب القروض التي وقعت لغرض المشاركة في الحرب (الحرب العالمية الاولى) في اجراء اصلاحات في مقاطعتي شنسي وهنان.
- ٦- اختزال اعداد الجيوش في البلاد.
- ٧- تطوير الاقتصاد الوطني وتنظيم قروض الاصلاح.
- ٨- فصل الحكومات المدنية والعسكرية والحكومات الذاتية المحلية.

من الواضح أن النقاط الاربعة الاولى مست المرتكزات التي استند اليها رئيس الوزراء توان تشي جوي في دعم قواته واسنادها فيما مثلت النقاط الاربعة الاخيرة محاولة للشروع بإصلاحات استراتيجية مهمة في البلاد^(٥٩). وعلى الرغم من مساندة الرأي العام الصيني المطالب الاربعة الاولى الا ان حكومة الشمال رفضتها بالكامل، أما مسألة استعادة البرلمان القديم فلم تحظ لا بمبالاة الرأي العام، ولا موافقة حكومة الشمال ايضا^(٦٠).

ثانياً: تأثير مقررات مؤتمر فرساي على المفاوضات

استمر توان تشي جوي وحزبه العسكري عصابة الانفو بتلقي الدعم والتمويل الياباني وإسناد جيش المشاركة في الحرب الذي اعيد تسميته بجيش الدفاع الوطني. وبمقابل ذلك فان الثمن كان ما اصطلح عليه بـ(التعاون أو الاتفاق السعيد) والذي تمثل في تعاون توان تشي جوي في موضوع خلافة اليابان (الشرعية) لألمانيا في اقليم شانتونغ^(٦١)، فلدى انعقاد مؤتمر فرساي كشف الوفد الياباني المفاوضات في اجتماع مجلس القوى العشرة في الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩١٩ أن الحكومة الصينية وقعت مع حكومته في الرابع والعشرين من أيلول ١٩١٨ اتفاقية سرية أقرت فيها الوجود الياباني في شانتونغ في مقابل ان تقدم اليابان للحكومة الصينية قرصاً بقيمة عشرين مليون يناً^(٦٢). الامر الذي أثار موجة استياء عامة في الصين لاسيما لدى الطبقة المثقفة^(٦٣).

وفي اليوم التالي رفع أعضاء المجلس الاداري لحكومة الجنوب مذكرة إلى القنصل الامريكي في كانتون بونتسيوس موجهة إلى الرئيس الامريكي ويلسون ورئيس الوزراء البريطاني لويد جورج^(٦٤) نبهوا فيها إلى حجم الاضرار التي حققتها المطالب الواحد والعشرين^(٦٥) بسيادة الصين وسلامة اراضيها فضلاً عن انتهاكها للالتزام الصين بالمعاهدات مع الدول الاخرى وتناقضها مع نص وروح النقاط الاربع عشرة التي اعلنها الرئيس الامريكي ودررو ويلسون، وفي ضوء ذلك دعوا إلى ضرورة الاصغاء لمطالب الوفد الصيني المفاوضات في مؤتمر فرساي، والمتعلقة بالمطالب الواحد والعشرين والمؤتمرات السرية وما ترتب عليها من اتفاقيات سرية^(٦٦). غير ان مقررات المؤتمر جاءت مخيبة للأمال ففي الثامن والعشرين من نيسان ١٩١٩ قرر المؤتمر الاعتراف بانتقال الامتيازات الالمانية في شانتونغ إلى اليابان^(٦٧). أثارت مقررات مؤتمر فرساي ردود فعل سلبية في الصين ولاسيما لدى الطبقة المثقفة الجديدة في المجتمع، إذ شهدت جامعة بكين تظاهرات طلابية نددت بهذه المقررات^(٦٨).

وألقى هذا الامر بانعكاسه على مجريات مؤتمر شنغهاي للسلام ففي ظل الهيجان الثوري قدم وفد حكومة الجنوب في المؤتمر في الثالث عشر من أيار ١٩١٩ انذاراً نهائياً لحكومة الشمال صيغ في ثماني مطالب واعقبه تقديم كلا الوفدين استقالتهما الى مرؤوسيهما، وتمثلت المطالب بما يلي^(٦٩):

- ١- على مؤتمر السلام في شنغهاي اعلان رفضه الاعتراف بقرار مؤتمر فرساي الذي قضى بانتقال الامتيازات الالمانية في اقليم شانتونغ إلى اليابان.
- ٢- ان يعلن المؤتمر ان كل الاتفاقيات السرية الموقعة بين حكومة بكين والحكومة اليابانية باطلة ولاغية ومعاقبة المسؤولين عن ابرامها.
- ٣- الحل الفوري لجيش المشاركة في الحرب وجيش الدفاع الوطني وجيش الدفاع عن الحدود، وهذه التشكيلات هي حصيلة الاتفاقية العسكرية الصينية اليابانية.

٤- طرد حكام المقاطعات العسكريين (التوشونات) والمدنيين، المعروفين بسمعتهم السيئة ولا يتمتعون بتأييد الرأي العام.

٥- اصدار المؤتمر بيانا يقر فيه بعدم شرعية حل الرئيس السابق لي يوان هونغ للبرلمان في عام ١٩١٧. وبحسب وجهة نظر الموقعين ان هذا الشرط من شأنه ان يبطل الاتفاقيات الصينية اليابانية بسبب عدم تصويت البرلمان الشرعي (القديم) عليها.

٦- تشكيل مجلس اداري خاص من الرجال الوطنيين المتميزين يختاره ويوصي به المؤتمر، ويخضع تشكيل مجلس الوزراء للحكومة الموحدة لموافقة هذا المجلس، على ان يتم حل هذا المجلس فور عقد البرلمان.

٧- ان تتم دراسة جميع القضايا التي احالها المؤتمر الى لجان خاصة للتحقيق والقضايا الاخرى التي ستطرح امام المؤتمر بصورة منفصلة.

٨- ان يعترف المؤتمر رسميا بالسيد هسو شيه تشانغ رئيسا مؤقتا للجمهورية، لأداء مهام ذلك المكتب الى ان يقرر البرلمان رسميا انتخاب خلف له.

فيما يتعلق بالمطلب الاول فقد كان الوفدان متفقين بذلك الشأن. اما المطلب الثاني فقد أوضح وفد حكومة الشمال ان الاتفاقية العسكرية الصينية اليابانية ستنتهي بمجرد توقيع اتفاقية السلام في مؤتمر فرساي. اما المطلب الثالث فأكد الوفد انه سيتم حل هذه الجيوش بمجرد الاتفاق على التفكيك العام للجيوش على وفق الخطة التي وضعت مسبقا. اما المطلب الرابع المتعلق بطرد الحكام العسكريين والمدنيين السيئين السمعة فأوضح الوفد ان ذلك من اختصاص الحكومة الاتحادية ولا يحق للمؤتمر التدخل في الشؤون الادارية^(٧٠). اما المطلب الخامس المتعلق باستعادة البرلمان القديم فقد كان القضية الاكثر تعقيدا وتحكم فيها امران الاول يتعلق بموقف الحكومة اليابانية التي حرصت على استمرار تنفيذ الاتفاقيات العسكرية الصينية اليابانية، وبالتالي فأنها على اتم الاستعداد لإلحاق الهزيمة بأي برلمان لا يقر هذه الاتفاقيات. اما الامر الثاني فهو تمسك الاحزاب العسكرية الشمالية المدعومة من اليابان بالبرلمان الجديد الذي كلفها الكثير من الآمال في الانتخابات، ومن وجهة النظر القانونية ان الفترة الدستورية للبرلمان القديم اصبحت منتهية ولا يمكن اعادته^(٧١). اما المطلبين السادس والسابع فلم يكن الموقف محسوما بشأنهما. والمطلب الاخير المتعلق بالاعتراف بالرئيس هسو على انه رئيسا مؤقتا فلم يحظ بموافقة وفد الشمال الذي أوضح ان الرئيس هسو حصل على اعتراف دولي منذ فترة طويلة، وان أي اجراء من هذا القبيل من شأنه ان يزعزع أسس الحكومة ويلحق الضرر بالبلاد^(٧٢).

قدم رئيس الوفد المفاوضات لحكومة الجنوب تونغ تشاو يي تلك المطالب وهو متيقن من عدم امكانية احراز أي نتائج ايجابية من مؤتمر شنغهاي وبعد اجتماع قصير عقده ممثلوا الطرفين، طلب الوفدان من حكومتيهما قبول استقالتهما. وبمحاولة لتهدئة الموقف اعلنت حكومة الشمال استعدادها لمناقشة البند

الاول من المطالب التي قدمها وفد حكومة الجنوب^(٧٣). وهي حتى في ذلك لم تكن جادة وذلك لعمق ارتباط مصالحها باستمرار الوجود الياباني في الصين.

والدليل على ما تقدم انها لم تكثف بقبول استقالة وفدها، بل أمرت الوفود الحاضرة في المؤتمر كلها بمغادرة شنغهاي مباشرة إلى بكين. لإثبات الانقطاع التام لمفاوضات السلام. في حين رفضت حكومة الجنوب قبول استقالة وفدها واعلنت استعدادها لمواصلة محاولات التسوية بين الطرفين^(٧٤).

والواقع ان الاحزاب الشمالية بعد قرار مؤتمر فرساي بشأن قضية شانتونغ اصبحت أكثر تزمنا في موقفها فقبل ذلك الحين ابدت نوعا ما رغبة في ايجاد حل وسط للأمر من قبيل حل البرلمانين الشمالي والجنوبي وتشكيل برلمان جديد، الا انها بعد قرار مؤتمر فرساي اصبحت غير مستعدة تماما لسماع اي فكرة عن حل وسط للأمر. وعندما وصلت مطالب الجنوب الثمان الى بكين عقد اجتماع في قصر الرئيس هسو عبر فيه قادة حزب الانفو عن رفضهم لتلك المطالب مستخدمين أعنف العبارات، وأشاروا الى انه لم يعد امام حكومة بكين اي باب مفتوحة، واستدعوا الوفد الشمالي للمفاوض الى بكين فورا، وتم توجيه انذار نهائي الى المقاطعات الجنوبية طالبوها فيه بإنهاء استقلالها والخضوع لحكومة بكين، وهددوا باستخدام القوة العسكرية ضدها في حال تخلفها عن ذلك. وفي سياق اخر احرزت جهودهم باستمالة بعض العسكريين الجنوبيين كل على انفراد وذلك بترغيبهم بالمشاركة بعائدات قرض إعادة التنظيم تقدما في التوصل الى تفاهم^(٧٥).

من جانب آخر كان توان تشي جوي قد وضع شروطا لإعادة البرلمان القديم، ولاسيما استمرار جيش المشاركة في الحرب وعدم حل قواته، واستمرار سريان المعاهدات السرية الصينية اليابانية. كما ان الرئيس هسو ابدى استعداده لإعادة البرلمان القديم اذا ضمن إعادة انتخابه رئيسا للبلاد، الا ان حكومة الجنوب رفضت هذه التسوية^(٧٦).

أسفر تقديم الوفد الجنوبي لتلك المطالب الثمان عن تعليق جلسات المؤتمر في الخامس عشر من أيار واستقالة كل من وفدي الشمال والجنوب. لقد كان هذا التعليق الثاني لجلسات المؤتمر بمثابة الإخفاق النهائي لبرنامج الرئيس هسو للسلام، وانتصارا للحزب العسكري المؤيد لليابان في بكين، وفشل حكومة الجنوب في قبول التسوية، وليس هناك شك بأن مسؤوليه فشل المؤتمر تقع على عاتق الحزب العسكري الشمالي(الانفو) الذي كان يهيمن على السلطة السياسية في بكين^(٧٧). وفي تلك الاثناء كانت هناك مقترحات لاستدعاء اللواء لي شون من نانكينغ للتوسط بين الشماليين والجنوبيين. ويرأي العديد من الخبراء والمسؤولين الصينيين ان مؤتمر شنغهاي كان فاشلا ولا يتوقع منه الكثير بشأن السلام. ومن وجهة نظر الاجانب المقيمين في الصين ان الصينيين فشلوا في تطوير امكانياتهم لحل مشاكل البلاد، وان الحزب العسكري الشمالي وبدعم من اليابان كان لهم ثقل كبير في الصين^(٧٨).

فشلت محاولة حكومة الجنوب تضيق الخناق على حكومة الشمال دوليا ومحليا لان مؤتمر فرساي لم يتعامل مع قضية شانتونغ على انها قضية صينية وطنية، بل تعامل معها على انها قضية مساومات وتسويات دولية بين اليابان ودول الحلفاء، وأسندته في ذلك خيانة رئيس الوزراء الصيني توان تشي جوي الذي اقر وفقا لمعاهدة ١٩١٨ بانتقال شانتونغ إلى اليابان مقابل تقديمها الدعم والاسناد. ويضاف الى ذلك ان دول الحلفاء لم تكن في وضع يسمح لها آنذاك بالسعي الجدي لتقويض نفوذ اليابان في الصين. وفي سياق اخر ينبغي ان ندرك أيضاً ان دول الحلفاء كان يهمها ان تبقى حكومة بكين مسيطرة على السلطة بوصفها الحكومة الرسمية في البلاد ومرتبطة معها بمعاهدات دولية وعلى الصعيد المحلي يلاحظ ان حكومة الجنوب بطرحها تلك المطالب هدفت الى تحويل انظار الرأي العام الصيني من مؤتمر فرساي الى مؤتمر شنغهاي للسلام لعله يؤثر على موقف حكومة بكين.

ثالثا: استئناف المفاوضات

في مطلع تموز ١٩١٩ قدم ممثلوا الدول ذات المصالح في الصن لاسيما بريطانيا، فرنسا، ايطاليا، اليابان، والولايات المتحدة مذكرة مشتركة سلمها الوزير البريطاني بالنيابة عنهم الى حكومتي بكين وكانتون أشاروا فيها الى ان دولهم تنتظر ببالغ القلق حيال تأخر تسوية الصعوبات في الصين بسبب تعليق مؤتمر شنغهاي للسلام، ودعوا الى اعادة عقده واتمام المفاوضات بنجاح في أقرب وقت ممكن من خلال ايجاد حل عادل لجميع القضايا وتحقيق المصلحة المشتركة للبلاد والشعب الصيني، واتخاذ الاجراءات اللازمة بشأن الطرف الذي يبادر باستئناف العمليات العسكرية^(٧٩). وانسجاما مع ذلك عقد مجلس وزراء حكومة بكين اجتماعا قرر فيه تكليف السيد تشو تشي شين بالعودة الى شنغهاي واستئناف المفاوضات مع وفد الجنوب. وفي حال رفضه استئناف منصبه يكلف السيد وانغ يي تانغ رئيس مجلس النواب والرئيس السياسي للحزب العسكري الشمالي(الانفو) بذلك، الا ان مجلس الوزراء خشي من ان يؤدي ذلك الى فرض حزب الانفو ارادته على الحكومة الامر الذي يعرض المؤتمر لخطر كبير. وعلى نحو عام لقيت المذكرة ترحيبا لدن الرأي العام بوصف ان الموقف الدولي قادرا على اتخاذ اجراءات حاسمة لإعادة تنظيم الوضع في الصين^(٨٠). وفي رد رسمي للحكومة العسكرية في الجنوب أوضح الدكتور وو تنغ فانغ ان الحكومة العسكرية تؤيد وبحزم وزراء دول الحلفاء الداعي الى إعادة عقد مؤتمر شنغهاي للسلام واستئناف المفاوضات. وفي السابع من تموز علقت صحيفة كانتون تايمز في مقالها الافتتاحي على تلك المذكرة، معبرة عن رأي العديد من المثقفين الكانتونيين بأنه اذا كانت المذكرة تمنع بالفعل العسكريين من تنفيذ تهديداتهم العسكرية فهذا يعطي الامل بالاستقرار مع ذلك فالجنوب غير متفائل بشأنها، إذ ان اهداف حكومة بكين تتعارض مع مطامح ومطالب الجنوبيين الدستورية وأضاف المقال انه "اذا رغبت القوى في اظهار حسن نواياها وصدق اهتمامها فيجب عليها ان تتعامل بشكل عادل مع الصين، وان تعيد كياوتشو والمصالح الالمانية السابقة في شانتونغ الى الصين وتسحب الاعتراف والدعم من الخونة

والعسكريين الفاسدين الذين ازدهروا واكتسبوا ثراءا كبيرا بسبب المساعدة التي تلقوها من خلال الاعتراف الاجنبي بهم. يجب على هذه الدول اظهار تعاطفها مع قضية الديمقراطية ومساعدة الشعب على تحقيق طموحاتهم المشروعة^(٨١).

في ضوء ما تقدم اتجهت الحكومتان في آب ١٩١٩ نحو استئناف المفاوضات فأعلنت حكومة الشمال أن المتحدث باسم البرلمان السيد وانغ أي تانغ هو رئيسا للوفد الشمالي المفاوض. وكان هذا أبرز زعيم مدني في الحزب العسكري الشمالي الانفو، ولم يحظ هذا الامر بموافقة حكومة الجنوب وطالبت باستبداله برجل اخر الا ان حكومة بكين تمسكت به وهددت باستخدام القوة في حال استمر الجنوبيون برفض التعامل معه، بدعوى ان الجنوبيين رفضوا المفاوضات. وفي تلك الاثناء صرح رئيس الوفد الجنوبي تانغ تشاو أي بأنه لن يسمح بأي اعتراضات شخصية ضد رئيس وفد الشمال من شأنها ان تدمر مفاوضات السلام. وفي الوقت نفسه وضعت الحكومة الجنوبية كشف الحكومة الشمالية للاتفاقيات السرية مع اليابان شرطا اساسيا لافتتاح المفاوضات، وبينت انه قبل اعادة الاتحاد مع الشمال ينبغي معرفة الى أي مدى وبأي طريقة كانت الدولة ملتزمة بالتعهدات الاجنبية. وسعى رئيس وفد الشمال الى اجابة هذا المطلب بعرض الوثائق المعنية على المؤتمر والتي ادعى انه تلقاها من حكومة بكين. الا ان رئيس الوفد الجنوبي السيد تانغ رفض أسلوب العرض السري للوثائق في المؤتمر، وأشار ايضا الى ان هذه الوثائق لا تشتمل على كل الاتفاقيات التي تم التوصل اليها. وأعلن استقالته عقب ذلك الا ان حكومة الجنوب رفضت الاستقالة وذلك في الخامس من تشرين الاول. وسعى رئيس الوفد الشمالي من جانبه لدعوة تانغ لفتح مفاوضات رسمية فأرسل اليه مندوبين عنه الا انه رفض استقبالهما، وتلا ذلك استقالة عددا من اعضاء وفد الشمال ومغادرة عددا آخر من اعضاء وفد الجنوب شنغهاي. وانتقل الامر بعدها لحرب اعلامية بين الجانبين وحاول كل منهما ان يلقي باللائمة عن فشل المفاوضات على الآخر^(٨٢).

قدمت في تلك الاثناء الكثير من البرقيات والالتماسات الى حكومة بكين والتي شجبت فيها رئيس الوفد الشمالي. وقد ارجع كرين الوزير المفوض الامريكي في الصين ذلك الى امرين؛ الاول منهما انها تمثل جانبا اعلاميا مارسه حزب الانفو، والثاني هو الرأي العام الصيني الذي كان يعتبر حزب الانفو، اي الحزب الذي ينتمي اليه رئيس الوفد الشمالي، بأنه مهتم بمصالح اليابان، التي تصاعدت المعارضة الشعبية لها على نحو كبير عقب قرار مؤتمر فرساي بشأن قضية شانتونغ. ومع ذلك بقي وانغ مصرا على موقفه ولم يقدم استقالته لأنه كان مدركا لما سيؤدي اليه ذلك من خسارة كبيرة لهيبة حزبه وموقفه. وفي منتصف شهر تشرين الاول تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة. وعلى حد تقدير الوزير الامريكي المذكور لم يكن لدى حزب الانفو ولا المتطرفين في الحكومة العسكرية في الجنوب أي رغبة قوية في ايجاد حل عملي للصعوبات والتعقيدات التي اعترضت طريق السلام. كما ان القضية الدستورية التي كانت السبب الاسمي للحرب الاهلية قد تراجعت و اصبح الصراع بين مجموعتين من السياسيين المهنيين والقادة

العسكريين. كل ذلك جعل احتمالات تحقيق السلام في مطلع عام ١٩٢٠ تبدو ضعيفة. وبما ان حدود سلطات الحكومتين المتنافستين لم تكن تتعد بضعة اميال عن عاصمتهما لذا فإن دورهما كان ضعيفا في ادارة انحاء البلاد سواء كان الحاكم العسكري الفعلي للمقاطعة يستمد سلطته من بكين أو من كانتون^(٨٣). وبحسب تقدير القنصل العام الامريكى في كانتون بيرغولز ان السبب الرئيس في فشل مفاوضات السلام هو رفض رئيس الوفد الشمالي المفاوضات لمطلب الوفد الجنوبي المتعلق بالبند الخامس من المطالب الثمان الذي قضى بالاعتراف بسلطة الرئيس السابق لي يوان هونغ وتفويضه بحل البرلمان الجديد الذي شكلته حكومة الشمال. وأعرب رئيس الوفد الشمالي تشونشي تشين عن ذلك بقوله "انه من المستحيل تماما بالنسبة للشمال القبول بالبند الخامس... وانه إذا لم يتم تغيير ذلك فإنه لم يكن هناك أي مجال لمناقشة أو عرض أي مسائل أخرى"^(٨٤)، ولكن هناك أسبابا أخرى أسهمت في فشل المفاوضات ولاسيما اصرار حزب الانفو على استخدام القوة العسكرية في اخضاع خصومها. وعدم استعداد الرئيس هوشيه-تشانغ لخسارة منصبه رئيسا للجمهورية. كما ان استمرار وجود البرلمان الجديد في الشمال كان يعني عدم تمكن البرلمان القديم الذي كان متواجدا في الجنوب من استعادة سلطاته. كما عجز الطرفان عن العمل بنزاهة، ووقف تدمير الدستور من قبل الشماليين واعلان الجنوبيين حمايته عائقاً في طريق في التوصل إلى السلام واعادة وحدة البلاد^(٨٥). ولا تتعد عن تلك الاسباب، ايضا، مقررات مؤتمر فرساي التي أدت الى فقدان حكومة الجنوب الثقة بحكومة الشمال ودول الحلفاء التي كانت قد طالبت بضرورة ايجاد تسوية للوضع في البلاد.

رابعا: فشل محاولات التسوية

شهدت الحكومة العسكرية في الجنوب في ربيع عام ١٩٢٠ ظروفا انعكست بشكل واضح على سير مفاوضات السلام وأبداء مرونة وتغيير في طبيعة المطالب، ففي تلك الاثناء تمكنت عصابة كوانجسي العسكرية في كانتون من فرض سيطرتها على نحو تام على الحكومة العسكرية في كانتون، الامر الذي أسفر عن انسحاب عددا من أعضاء المجلس الاداري والبرلمان القديم من كانتون^(٨٦). ومع الاستعداد لجولة المفاوضات المزمع أجراؤها في خريف عام ١٩٢٠ قدمت الحكومة العسكرية في أيار مذكرة مثلت في واقع الحال رأي من تبقى من أعضاء المجلس الاداري وكبار المسؤولين في اقليم كوانغتونغ، بينت فيها الشروط الواجب اتخاذها اساسا لمفاوضات السلام بين الحكومتين. والتي وصفتها بانها خطوة سريعة لتحقيق وحدة البلاد وقبل تحديد تلك الشروط، بين اعضاء المجلس الاداري طبيعة الموقف الداخلي ولاسيما الحركات الطلابية التي اصبحت بحسب وصفهم لا تحتمل وجود حكومة في بكين لا تلغي المعاهدات العسكرية الموقعة مع اليابان في الاعوام 1918, 1919, 1920 كذلك فان حكومة الجنوب لا تقبل بتصريح منفرد الجانب بشأن الغاء هذه الاتفاقيات واشترطت أيضاً ضرورة معرفتها بكل تفاصيل تلك الاتفاقيات وتزويدها بنسخ منها وتجاهل كافة الخلافات والنزاعات السياسية، التي نشبت بين الشمال

والجنوب منذ عام ١٩١١ وفي سياق اخر عدت الحكومة العسكرية تمسك بقايا حزب الوطني (الكومينتانغ) بدستور عام ١٩١٢، قضية أضعفته وأبعدته عن الاهتمام بالوضع الراهن وفي ضوء ذلك صيغت الشروط الواجب اتخاذها اساسا للمفاوضات^(٨٧):

١- على حكومة بكين وحكومة كانتون العسكرية معا، اصدار كتاب يشتمل على المعاهدات والاتفاقيات والملاحظات والمذكرات كافة التي تم تبادلها بين حكومة بكين والدول الاجنبية اثناء الحرب العالمية الاولى. ويجب على الحكومتين ان تصبا اهتماميهما على قضية السلام في الصين، وعلى الطرفين تجنب اعلان الوثائق أو التصاريح التي من شأنها اثاره الرأي العام.

٢- على الحكومتين الاعتراف بهسو شيه تشانغ رئيساً للجمهورية، وعد انتخابه قانونيا وان يستمر بحكمه سنة ونصف من تاريخ توقيع اتفاقية السلام، المزمع التوصل اليها وبالإمكان اعادة انتخابه مرة اخرى بما يتوافق وشروط الدستور التي ستناقش بالفقرات الاخرى. (وهذا يعني تنازلها عن العمل بدستور عام ١٩١٢ ولاسيما البند الخامس منه)

٣- أن تمثل المقاطعات الخاضعة لحكومة بكين ونظيرتها الخاضعة للحكومة العسكرية في مجلس وزراء مؤقت يتم تعيينه من قبل الرئيس وبموافقة برلمان حكومة بكين والبرلمان القديم. على ان تكون مدة هذا المجلس لسنة ونصف وله حق اختيار خلفائه بموافقة الرئيس.

٤- وبعد مصادقة مجلس الوزراء مباشرة يعد البرلمان القديم وبرلمان حكومة بكين لاغيان. وتتاط السلطات التشريعية بمجلس الوزراء لمدة سنة ونصف من تاريخ المصادقة.

٥- إجراء انتخابات المجالس المحلية مباشرة بعد مصادقة مجلس الوزراء، على أن يتم ذلك تحت مراقبة مفوضين معينين من قبل مجلس الوزراء. على أن لا ينتسب هؤلاء المفوضين للمقاطعات التي تم انتدابهم للعمل فيها، ولم يسبق لهم أن تقلدوا فيها مناصبا عاما خلال العهد الجمهوري. كما لا يمكن لاي شخص أن يكون مفوضا انتخابيا في أي مقاطعة له أو لزوجته فيها أقارب من ذوي المناصب العليا وفي حال ثبوت ذلك يتم طرده من وظيفته. ويضاف الى ذلك ينبغي إجراء الانتخابات انسجاما مع الاعراف والقوانين الخاصة بكل مقاطعة. وأن يشكل المفوضون الانتخابيون هيئة استئناف للنظر إن كان هناك تزوير في الانتخابات. أما مقر قيادة الهيئة فبالإمكان أقامته أي مقاطعة على أن تستثنى من ذلك مقاطعتي تشيلي ومركزها بكين وكوانتغونغ ومركزها كانتون.

٦- انعقاد المجالس المحلية بعد ستة أشهر من مصادقة مجلس الوزراء على الغاء البرلمانين الآنفين الذكر، لانتخاب خمس ممثلين عن كل مقاطعة لتشكيل جمعية لوضع دستور للبلاد.

٧- انعقاد جمعية لسن الدستور قبل مضي ثمانية أشهر من تاريخ مصادقة مجلس الوزراء. على أن لا تتعقد الجمعية لافي بكين ولافي كانتون ولافي عاصمة أي مقاطعة أخرى. وأن تعقد الاجتماعات لوضع الدستور خلال ستة أشهر من تاريخ اليوم الاول للاجتماع. على ان تتخذ الجمعية المعنية

بوضع الدستور من الدستور المؤقت (دستور عام ١٩١٢) أساسا في وضع الدستور الجديد. وان تتم الموافقة على القرارات عن طريق التصويت بأغلبية الممثلين الحاضرين، علما أن النصاب القانوني للجمعية هو ثلاثة ارباع عدد الاعضاء. وإذا فشل الاعضاء في التوصل الى قرار خلال ستة شهور واستأنفوا اجتماعاتهم من جديد فستضاف ستة شهور لعمر مجلس الوزراء.

٨- بعد اكمال الدستور من قبل الجمعية فإنه يجب أن يقدم الى المجالس المحلية وان ينشر على نطاق واسع في البلاد وان يقرأ بصوت مرتفع في دور العدل والاسواق والمعابد والاماكن العامة الاخرى قبل مصادقة المجالس المحلية عليه. وفي حال مصادقة الاخيرة عليه بأغلبية ثلاثة ارباع يتم إعلانه وتصبح البلاد ملزمة بتطبيقه، وانسجاما مع ذلك فإنه يتوجب على مجلس الوزراء إصدار أمر بإجراء انتخابات البرلمان طبقا لبنود الدستور. وبعد افتتاح دورة البرلمان مباشرة فعلى الرئيس ومجلس الوزراء تقديم استقالتهم، ولكنهم يستمرون بإدارة مكاتبتهم الى أن يتم اختيار خلفاء لهم على وفق سياقات الدستور.

٩- من المحتمل أن لا يكون مجلس الوزراء قد وقع خلال السنة ونصف، اتفاقيات او قروض او أي تدابير أخرى من شأنها تهديد أمن الصين وحقوقها. وأن لا يتم التفاوض بشأن أي قرض مع أي دولة ، وانما يجب أن تأتي جميع القروض من الاتحاد المالي الدولي (الكونسورتيوم). وفي حال توصل حكومة بكين والحكومة العسكرية الى اتفاق سلام فإنه يجب على الهيئة الدبلوماسية في بكين تزويد الحكومة العسكرية بنسخة من كل وثيقة تم تبادلها مع البنوك الاجنبية. وبخلافه تعد جميع القروض والمعاهدات مرفوضة^(٨٨). من الواضح أن التغيير الحاصل في بعض وجهات نظر المجلس الاداري كان نابعا من التغييرات التي طرأت على المجلس ذاته والتي تمثلت باستحواذ عصبة كوانجسي على أغلب مقاعده، فأبدت مرونة في امكانية التخلي عن البرلمان القديم والتشبت برئيس الجمهورية السابق لي يوان هونغ على أنه الرئيس الشرعي للبلاد وهذا يعني تخليهم عن الاسس الدستورية التي أقرها دستور عام ١٩١٢.

وبأزاء ذلك ندد أعضاء المجلس الاداري الاربعة المنسحبين (صن يات صن، تانغ شاويي، ووتنغ فانغ، تانغ تشي ياو) الذين اتخذوا من شنغهاي مقرا لهم بموقف الزعماء العسكريين الذين استحوذوا على الحكومة العسكرية. وضمن هذا السياق أصدروا في الثالث حزيران ١٩٢٠ بيانا مشتركا عدوا فيه أعضاء المجلس الاداري مغتصبين للسلطة وان عدم اكتمال النصاب القانوني للمجلس يفقد قراراته صفة الشرعية ولاسيما مع عدم تواجد البرلمان في كانتون، كما دانوا مفاوضاتهم مع الشمال وعدوها مجرد محاولة لكسب المزيد من الغنائم وانهم تخلوا على نحو فعلي عن حماية الدستور، وان استخدامهم شعار حماية الدستور ما هو الا وسيلة للتغطية على تصرفاتهم^(٨٩). في ظل تلك الظروف اصبحت المهاترات السياسية وتبادل القاء التهم بين الخصوم شائعة فان مسألة الاتصال بحكومة الشمال لإبرام تسوية كان كل طرف من أطراف النزاع

ينظر إليها من زاويته الخاصة فالملاحظ مما تقدم ان طرفي الصراع كان قد اتصل بحكومة الشمال ومع ذلك انكروا على بعضهما ذلك واتهمه بالخيانة.

وفي ضوء ذلك أعلن اعضاء المجلس الاداري المنسحبين بأنهم مازالوا يشكلون المنظمين الشرعيين للحكومة العسكرية. وان مفاوضات السلام ستستمر ومركزها شنغهاي وان كل القرارات التي اتخذها (مغتصبوا) السلطة في كانتون ومفاوضاتهم مع حكومة الشمال وحول القروض هي باطلة^(٩٠).

وللتخفيف من حدة الازمة حاولوا اجراء مفاوضات مع حكومة الشمال ففي الخامس من حزيران ١٩٢٠ اتصل تانغ شاو يي برئيس الوفد المفاوض لحكومة الشمال وانغ آي- تانغ في شنغهاي لأجراء مفاوضات بين الطرفين الا ان ذلك تزامن مع اصدار توان تشي جوي وهسو شو- تشنغ، بيانا اوضحا فيه استعدادهما للهجوم على قوات الجنوب التي اصبحت طرفا في الحرب بين عصبتي الانفو وتشيلي كما ان هذه المفاوضات كانت عديمة الجدوى، في حينها، لان حكومة كانتون كانت قد اعلنت تخليها عن اعضاء المجلس الاداري المنسحبين^(٩١). لتجردهم بذلك من أي صفة شرعية لتمثيل الحكومة العسكرية في المفاوضات مع حكومة بكين.

انسجاما مع مقتضيات الوضع الجديد أصدر اعضاء المجلس الاداري الجديد في الخامس عشر من حزيران ١٩٢٠ بيانا أكدوا فيه استقلال المقاطعات الجنوبية الغربية والبحرية عن حكومة بكين وتأسيس حكومة مستقلة في كانتون بعنوان "الحكومة العسكرية لجمهورية الصين" وان هدفهم الوطني يتجلى بالدفاع عن الدستور وانقاذ البلاد^(٩٢). والواقع ان هذا الموقف يعد تراجعاً عما أبداه المجلس سابقاً من مرونة في إرساء شروط التفاوض مع حكومة بكين. كما انه محاولة لسحب البساط من تحت اقدام صن يات صن وبقية المدراء التنفيذيين المنظمين الفعليين لهذه الحكومة منذ عام ١٩١٧ والذين انسحبوا من تشكيلة المجلس الاداري احتجاجاً على اتجاه عصبة كوانجسي لافراغ الحكومة العسكرية من اهدافها الحقيقية المتمثلة بالدفاع عن الدستور والبرلمان القديم.

وفي السياق ذاته تضمن البيان اتهاماً لصن يات صن بالتحالف مع توان تشي جوي وانه خلال الشهور الستة الماضية- أي التي سبقت اصدارها هذا البيان- كانت هنالك اتصالات سرية بين صن يات صن وتانغ تشاو يي وبين توان تشي جوي لتبادل الشروط والآراء وقد نشرتها الصحافة القومية في بكين وتينتسين وشنغهاي وهونغ-كونغ ووفقاً لتلك الشروط فانه يتوجب على هسو شيه- تشانغ رئيس حكومة الشمال التنحي وينتخب بدلاً عنه الجنرال توان تشي جوي، ويصبح وانغ يي تانغ رئيساً للوزراء، وتانغ شاو- يي وزير الخارجية، وتانغ تشي- ياو المفتش العام لثلاث مقاطعات (يونان، زتشوان، كويتشو) أما ابن ووتنغ فانغ وو تشاو- تشو فيصبح الوزير في واشنطن أما صن يات صن فيتسلم مبلغ قدره ثمانية الاف دولار سنوياً مقابل بقاءه خارج البلاد وعدم خلق المشاكل. وفي البيان نفسه عد زعماء الحكومة العسكرية ان هذه هي الاسباب الحقيقية في التغير المفاجئ لموقف صن يات صن وتانغ تشاو- يي

وانصارهم وهي كذلك السبب في قرار تانغ تشاو يي بالانسحاب من المجلس الاداري. كما اتهموا صن يات صن بخيانة قضيتهم والتآمر على الحكومة العسكرية ومحاولته القضاء عليها. فضلا عن تدابير ومؤامرات اخرى حيكت حول قيادة جيش يونان الذي كان تحت امرة لي -كان- يوين وهو مواطن من يونان ومواليا للحكومة العسكرية. وفي الوقت نفسه أعلن زعماء الحكومة العسكرية عن طردهم لموفدهم لمؤتمر السلام تانغ تشاو-يي، واستبداله بالسيد وين تسونغ-ياو وزير الخارجية في التشكيلة الجديدة للمجلس الاداري، وان أي اجراء أو تفاوض يعقده تانغ تشاو-يي مع حكومة الشمال يعد لاغياً^(٩٣). وتلك هي محاولة اخرى من محاولات التسقيط السياسي لصن يات صن الذي عرف بوطينته وخدمته للقضية الدستورية، بل ومحاولة لإفراغه من السعي الحقيقي والجاد لإعادة الدستورية إلى نصابها، من خلال السعي لإعادة الاعتراف بشرعية الرئيس السابق لي يوان هونغ وبرنامج برلمان ١٩١٣ وان اتهمه بالتوصل لتلك الشروط لإيجاد تسوية مع الشمال وموافقته على ترشيح توان تشي جوي رئيسا للحكومة بدلا من الرئيس هسوشيه-تشانغ يعني اتهمه بالتخلي التام عن اهدافه الدستورية.

الاستنتاجات

- ١- كان هناك انقسام واضح في الموقف بين الرئيس الصيني هسو شيه تشانغ الراغب بأجراء تسوية سلمية للأمر مع الجنوب وبين الحزب العسكري الشمالي الانفو الراغب بحسم الموقف عسكريا انطلاقا مما تمتع به من الدعم الياباني المالي والعسكري على اساس ذلك أبدى تمسكا كبيرا في رفض مطالب الحكومة العسكرية في حل مكتب المشاركة في الحرب والتوقف عن استتلاف القروض وإعلان الاتفاقيات السرية، لان اجابة هذه المطالب كان يعني تخليه عن مرتكزات قوته.
- ٢- أظهرت الحكومة العسكرية في الجنوب حتى أواخر عام ١٩١٩ تمسكا كبيرا بالدفاع عن القضية الدستورية وعدم أبداء أي مرونة في التفاوض بهذا الشأن.
- ٣- ألفت مقررات مؤتمر فرساي بأثارها على مجريات مؤتمر شنغهاي، لاسيما بعد ان كشف المؤتمر عن الاتفاقيات السرية، إذ فقدت الحكومة العسكرية في الجنوب ثقها وعلى نحو تام بحكومة الشمال التي توأطت مع اليابان حول قضية شانتونغ في مقابل الاستمرار بدعمها ضد الحكومة العسكرية في الجنوب.
- ٤- أثر انسحاب عددا من أعضاء المجلس الاداري واعضاء البرلمان القديم من حكومة كانتون، على إدارة مفاوضات مؤتمر شنغهاي، وطبيعة المطالب نفسها. فقد أبدت عصبة كوانجسي التي تسلطت على سياسة الحكومة العسكرية عدم مبالاتها بتحقيق الاهداف الدستورية التي نظمت لأجلها هذه الحكومة.

- ٥- انطلق موقف موقف حكومة الشمال في مؤتمر شنغهاي من منطلق الحفاظ على ما حققته من مكتسبات سياسية وعسكرية لاسيما بعد إمساك الحزب العسكري الشمالي بالسلطتين التشريعية والتنفيذية، بالإفادة من الدعم الياباني.
- ٦- ارتبط دعم الموقف الدولي لاسيما الولايات المتحدة الامريكية لمفاوضات التسوية بمحاولة وضع حد لتوسع النفوذ الياباني في الصين.
- ٧- بدا واضحا ان الحزب العسكري الشمالي كان مصرا على فرض ارادته في المؤتمر وهو ما رفضته الحكومة العسكرية الامر الذي قاد الى تعليق جلسات المؤتمر لأكثر من مرة.

الهوامش:

(١) سياسي صيني ولد عام ١٨٦٥ في أسرة اقطاعية في مقاطعة هيبه، خدم جده وابوه في جيش لي هونغ تشانغ . دخل أكاديمية تيانجين العسكرية عام ١٨٨٥متخصصا في صنف المدفعية، تلقى فيها تدريبا حديثا أهله لإثبات جدارة في قيادة الجيش. حظي باهتمام لي هونغ تشانغ فأرسله إلى المانيا لدراسة العلوم العسكرية لمدة عامين. وبعد عودته إلى الصين، التحق بجيش بيانغ، ثم اصبح مدرسا أكاديمية يهاي العسكرية. وفي تلك الاثناء قويت علاقته بيوان شي كاي الذي عينه قائدا للمدفعية في الجيش الجديد. وفي عام ١٩٠٥تولى قيادة فرقة في جيش بيانغ،وفي عام ١٩٠٦ أصبح بما يعادل منصب عميد في كلية باودينغ العسكرية، الامر الذي أعطاه فرصة لتشكيل عصابة عسكرية خاصة به من الضباط الموالين له عرفت لاحقا بعصابة الانفو.وفي عام ١٩١١شارك في محاولة قمع الثورة ، وقدم دعمه واسناده ليوان شي كاي الذي اصبح رئيسا للجمهورية عام ١٩١٢ فعينه حاكما عسكريا في كل من هونان وهوبي، ووزيرا للحرب عام ١٩١٢ورئيسا للوزراء عام ١٩١٣وبعد وفاة يوان استمر توان بمنصب رئيس الوزراء حتى عام ١٩١٨.مع بعض التقطع ،وشغل منصب رئاسة الجمهورية للمدة ١٩٢٤-١٩٢٦توفي عام ١٩٣٦. ينظر: نادية كاظم محمد العبودي، التطورات السياسية في الصين في عهد أمراء الحرب: توان تشي جوي انموذجا ١٩١٦-١٩١٨، الطبعة الثانية، بغداد، ٢٠١٨؛

Jack Gray, *Rebellions and Revolutions: China from the 1800s to 2000*, (New York, 2002), PP. 168-169; James E. Sheridan, *China in Disintegration 1912-1949*, (United States of Amreca, 1974), P.5; Edmund Club, *20th Century China*, (Columbia University Press, 1972), P.58.

(2) Edward L. Dreyer, *China at War 1901 – 1949, Second Impression*, (London, 1998), P. 65.

(3) سياسي صيني، ولد عام ١٨٦٦ في أسرة ريفية مسيحية قرب كانتون في إقليم كوانغتونغ جنوبي الصين ، تلقى تعليماً ثانوياً في مدارس الإرساليات التبشيرية الأجنبية، وتخرج طبيباً من هونغ كونغ عام ١٨٩٢. تأثر صن يات صن بما كانت تعانيه الصين من ترد في أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فترك مهنة الطب واتجه للعمل السياسي، فأسس في عام ١٨٩٤ أول تنظيم ثوري (جمعية احياء الصين) وتمكن من أن يضم إليه لفيماً من المثقفين من داخل الصين وخارجها، وفي عام ١٩٠٦ شكل تحالفا مع الجمعيات السرية المعارضة لأسرة المانشو وأطلق عليه أسم هيئة التحالف المشترك(تونغ مينغ هوي) تمكن هذا التحالف في عام ١٩١١ من القيام بثورة أطاحت بالنظام الامبراطوري وإقامة الحكم الجمهوري فأصبح صن يات صن عام ١٩١٢ أول رئيس لجمهورية الصين .تجلت فلسفته في الحكم ببرنامج ديمقراطي قائم على ثلاث مبادئ سياسية القومية والديموقراطية ومعاش الشعب . وحدد ثلاث مراحل للثورة

لتحويل الصين إلى جمهورية، المرحلة الأولى هي إقامة حكومة عسكرية مع التمسك بديكتاتورية الزعامة القوية المستنيرة بهدف إنهاء الحكم الامبراطوري واستئصال جهازه الإداري، والمرحلة الثانية هي ما اصطلح عليه بالقوامة (الرعاية) السياسية، ويعني بها تدريب الشعب على الممارسة الديمقراطية من خلال إعادة البناء القومي، ثم في المرحلة الثالثة تكون البلاد مهيأة لانتخاب حكومة وطنية ورئيس جمهورية. في عام ١٩١٢ أسس حزب الكومينتانغ وفي عام ١٩١٣ تزعم ما عرف بـ(الثورة الثانية) ضد الرئيس يوان شي كاي ، وفي عام ١٩١٧ شكل حكومة عسكرية مستقلة في الجنوب. وفي عام ١٩١٩ أعاد تنظيم الحزب الوطني وفي عام ١٩٢١ تحالف مع الحزب الشيوعي الصيني، دفعه هدفه لاعادة وحدة الصين الى القبول بالمساعدات السوفيتية واعادة تنظيم حزبه على أساس النموذج السوفيتي عام ١٩٢٣. توفي إثر مرض عضال عام ١٩٢٥ قبل أن يحقق وحدة بلاده. ينظر:

James Z. Gao, Historical Dictionary of Modern China (1800 – 1949), (Lanham, 2009), PP. 345-348.

(٤) تشكل الحزب الوطني الصيني (الكومينتانغ) عام ١٩١٢ من اندماج هيئة التحالف المشترك مع اربعة احزاب اخرى، كان صن يات صن زعيما للحزب وسونغ جياو رن مسؤولا عن ادارة الاعمال العامة للحزب. تمكن الحزب من إحراز الاغلبية في الانتخابات البرلمانية لعام ١٩١٣ وفي سياق تشكيله الحكومة واجه اضطهاد رئيس الجمهورية يوان شي كاي، الامر الذي اضطره لخوض ما عرف بالثورة الثانية ١٩١٣ التي انتهت بالفشل وهروب اعضاء الحزب الى خارج البلاد وتشكيلهم الحزب الثوري. وفي عام ١٩١٧ شكل الحكومة العسكرية في الجنوب. وفي عام ١٩١٩ أعاد صن يات صن تنظيم الحزب واستأنف اسمه السابق واطلق حملة حماية الدستور التي كان فشلها عام ١٩٢١ اضرية قوية للحزب. لذا قرر صن يات صن إعادة تنظيم الحزب والتي أسفرت عن التحالف مع الحزب الشيوعي الصيني وقبول المساعدات السوفيتية عام ١٩٢٣ واعادة تنظيم الحزب على وفق النسق السوفيتي. توفي صن يات صن عام ١٩٢٥ وخلفه في زعامة الحزب جيانغ كاي شيك الذي قاد الحملة الشمالية عام ١٩٢٧ أرغم فيها امراء الحرب الشماليين على الخضوع للحكومة المركزية في نانكينغ. واقرب ذلك القيام بحملات تطهير واسعة ضد اعضاء الحزب من الشيوعيين. وبعد غزو اليابان للصين شكل الحزب عام ١٩٣٧ جبهة متحدة مع الحزب الشيوعي. وفي عام ١٩٤٥ قاد الصين للاحاق الهزيمة باليابان والتي قدمت الصين بوصفها واحدة من الدول الاربعة الكبار في الساحة الدولية، ومع ذلك فإن قيام الحرب الاهلية بينه وبين الحزب الشيوعي عام ١٩٤٦ وحدثت الازمات الاقتصادية والفساد السياسي وفشل الجيش كل ذلك قاد الى سقوط حكومة الكومينتانغ في البر الصيني عام ١٩٤٩ وانسحاب الحزب الى جزيرة تايوان.

James Z. Gao, Op.Cit., PP.68-69.

(5) William Li. Tung, The Political Institutions of Modern China, Second Printing, Martin us Nijhoff, (The Netherlands, 1968), PP.72– 73; Warlord, New Culture, 1916, P.37.

(6) F. R. U. S., 1918, Vol.1, (Extract) The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State , Peking , June 5 , 1918, P. 95 .

(7) Edward L. Dreyer, Op.Cit., P. 69.

(٨) سياسي صيني ولد عام ١٨٦٤ في مقاطعة هوبي ، وفي عام ١٨٨٩ تخرج من أكاديمية بيانج البحرية وفي عام ١٨٨٩ عمل في أسطول بيانغ، حظي بأعجاب تشانغ تشي تونغ نائب الامبراطور في اقليم ليانغ جيانغ (هنان-هوبي) فدعاه الى هوبي لتدريب الجيش الجديد . وفي عام ١٩٠٦ عين قائدا للواء الحادي والعشرين في الجيش الامبراطوري في هانكو ولاسيما مع تصاعد المد الثوري للحركة الجمهورية، واكتسب سمعة جيدة بين الجنود واقام معهم علاقة طيبة .

في عام ١٩١١ انظم الى جانب الثوار وعين رئيسا في الحكومة المؤقتة التي شكلها الثوار في نانكينج وفي عام ١٩١٢ انتخب لي نائباً لرئيس جمهورية الصين واستمر بمنصبه هذا حتى عام ١٩١٦ وفي تلك الفترة رفض توجهات الرئيس يوان شي كاي لاعادة النظام الامبراطوري وبعد وفاة الاخير شغل منصب رئاسة الجمهورية لفترتين (١٩١٦-١٩١٧) و (١٩٢٢-١٩٢٣) حيث اجبر في المرة الثانية على الاستقالة وغادر بكين باتجاه تيانجين حيث توفي فيها عام ١٩٢٤.

James Z. Gao , Op . Cit, p .196-197

(9) Madeleine Chi, China Diplomacy 1914-1918, East Asia Research Center, (Harvard University, 1970), P. 136.

(10) Edmund Club, 20th Century China Columbia University Press, 1972, P.75.

(11) Li Chen Nung, Op.Cit., PP.383-384.

(١٢) هي إحدى الفصائل العسكرية العديدة التي انشقت عن جيش بيانغ بعد وفاة الرئيس يوان شي كاي عام ١٩١٦ اذ كان يوان الجنرال الوحيد الذي حافظ على وحدة هذا الجيش. سميت بهذا الاسم نسبة الى مقاطعة تشيلي (هيبي اليوم) تمكنت هذه العصابة من فرض سيطرتها على مقاطعات الصين الوسطى تشيلي، جيانغسو، جيانغسي، وهوبي لفترة طويلة. كان من أبرز قادتها الرئيسيين فنغ كو تشانغ ، تساو كون ، ووو بيفو ، الذين كانوا من الضباط العسكريين المهمين ليوان شيكاي في جيش بيانغ. تشكلت هذه العصابة من قبل الضباط الذين شعروا بالتمييز ضدهم من قبل رئيس الوزراء توان تشي جوي في مسائل التعيين والترقية. احتشدوا حول الرئيس فنغ غوزانغ الذي كان عليه أن يتقاسم السلطة مع عصابة أنهوي المهيمنة على الحكومة. شكلت العصابة جناحا سياسيا وخاضت صراعا عسكريا مع أمراء الحرب من الفصائل العسكرية الأخرى للسيطرة على حكومة بكين ، ونتج عن ذلك دخولها في حروب عدة؛ حرب تشيلي انهوي عام ١٩٢٠، وحرب تشيلي فنغتيان الأولى عام ١٩٢٢ والثانية عام ١٩٢٤، التي كلفت الصين تكاليف باهظة في الأرواح والدمار الاقتصادي. في عام ١٩٢٧ ، تمكن الحزب القومي (الكومينتانغ) من شن الحملة الشمالية ضد أمراء الحرب. وكانت عصابة تشيلي هي العصابة الوحيدة التي تم تدميرها في هذه الحملة وتم القضاء على القوة السياسية لها.

James Z. Gao , Op . Cit, pp.444.

(١٣) قوة عسكرية حديثة أنشأت في شمال الصين من قبل يوان شي كاي استجابة لمرسوم امبراطوري وجه اليه بعد هزيمة الصين في الحرب مع اليابان عام ١٨٩٥ وأسندت قيادتها اليه واصبحت تعرف بأسم الجيش الحديث، إذ تم تنظيمه وتدريبه وتسليحه على وفق السياق الغربي وأصبح هذا الجيش ماليا له شخصيا وليس للامبراطور او للحكومة المركزية . وفي عام ١٩٠١ أصبح هذا الجيش النواة الاولى لما عرف بجيش بيانغ أي جيش الشمال الذي أنشأه يوان شي كاي في مقاطعة تشيلي. وانشأ أكاديمية عسكرية في باودينغ لتدريب الضباط وفي مرحلة لاحقة اصبح العديد منهم شخصيات قيادية في الصين بما في ذلك ثلاثة رؤساء جمهورية الصين، رئيس الوزراء واحد، والعديد من أمراء الحرب. أسند هذا الجيش يوان شي كاي في فترة رئاسة الجمهورية. وبعد وفاته عام ١٩١٦ انقسم الى ثلاث عصب عسكرية: عصابة انهوي (الانفو) برئاسة توان تشي جوي، عصابة تشيلي برئاسة فينغ كوتشانغ، وعصابة فنغتيانغ برئاسة تشانغ تسولين، وهم اكبر أمراء الحرب في الصين. وعلى نحو عام عرف جميع امراء الحرب في شمال نهر اليانغتسي ب(امراء حرب بيانغ) وحظي امراء الحرب بدعم بريطانيا واليابان وروسيا. وسعى كل منهم ليس فقط لتحقيق استقلال في منطقة نفوذه بل الى فرض سيطرته على كل انحاء الصين وضمن هذا السياق نشبت الكثير من الصراعات العسكرية كان أبرزها حرب تشيلي-الانفو عام ١٩٢٠ وحرب تشيلي-فنغتيانغ عام ١٩٢٢. وبقي امراء الحرب يسيطرون على المشهد

السياسي في شمال الصين حتى قيام الحملة الشمالية التي وجهها اليهم جيانغ كاي شيك عام ١٩٢٧ والتي ارغمهم فيها على الخضوع للحكومة المركزية التي اقامها في نانكينغ. ينظر:

Larry M. Wortzel, Dictionry of Chinese Contemporary History, Green Wood, (Westport, 1999), P.30; James Z. Gao , Op . Cit, PP23-25.

(١٤) هي إحدى الفصائل العسكرية العديدة التي انشقت عن جيش بيانغ بعد وفاة الرئيس يوان شي كاي سميت بهذا الاسم نسبة لمقاطعة أنهوي ، مسقط رأس مؤسسها الجنرال توان تشي جوي وعددا من جنرالاتها الاخرين. وأسست لها جناحا سياسيا عرف بنادي الانفو الذي سيطر على البرلمان، واصبح زعيمها توان تشي جوي رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع (١٩١٦-١٩١٨) في جمهورية الصين وكان يسيطر على الحكومة المركزية والبرلمان في بكين. وفي عام ١٩١٧ ، وسعت عصابة أنهوي قواتها ، وأخذت قروضاً أجنبية وحظيت بالدعم الياباني، وحاولت توحيد الصين بالقوة العسكرية. وفي عام ١٩٢٠ خاضت حربا ضد عصابة تشيلي وهُزمت فيها وفقدت السيطرة على السلطة المركزية. وفي عام ١٩٢٤ ، قدمت قوى سياسية مختلفة ، بما في ذلك عصابة تشيلي وعصابة فنغتيان وانهوي حلاً وسطا في صراعهم على السلطة وانتخبوا توان تشي جوي رئيسا للوزراء وكالة. ومع ذلك، ففي العام نفسه، تم سحق آخر القوات من عصابة أنهوي في معركة تشجيانغ - جيانغسو ، وكان ذلك إيذانا بانهياب عصابة أنهوي. ينظر:

James Z. Gao , Op . Cit, PP.7;S. Tikhvinski, Histoire La China Les Temps Modernes, (Moscou, 1983), P.659.

(15) Ibid., P. 657.

(16) Edward L. Dreyer, OP. Cit ., P. 66 .

(١٧) سياسي صيني ولد عام ١٨٥٩ في عائلة فلاحية في مقاطعة هيبه لم يتمكن من اكمال تعليمه لصعوبة دفع التكاليف وحينما بلغ فينغ كو تشانغ التحق بالجيش، وبعد شروع الحكومة بسياسة الاصلاح شاعت الصدف ان يكون فينغ جنديا في فصائل جيش بيانغ بقيادة يوان شي كاي ثم التحق بأكاديمية باودونغ العسكرية واصبح من المقربين ليوان شي كاي وفي عام ١٨٩٥ اصبح ملحقا عسكريا في طوكيو وبعد عودته الى الصين التحق مجددا بجيش بيانغ واصبح من المع قاداته واكثرهم قربا ليوان شي كاي. وفي الفترة التي جرد فيها يوان من مناصبه وأبعد عن الحياة السياسية (١٩٠٨-١٩١١) بقي فينغ على تواصل معه وكان يطلعه على مجريات الامور ، واصبح بمثابة حلقة وصل بينه وبين جيش بيانغ. وفي احداث ثورة ١٩١١ وعودة يوان لقيادة الجيش المناهض للثورة اصبح فينغ تحت قيادته مجددا. وعلى الرغم من وقوفه الى جانب يوان في مدة رئاسته (١٩١٢-١٩١٦) الا انه رفض فكرة يوان في اعادة النظام الامبراطوري وتخلي عنه، فتعرض إثر ذلك لمحاولة اغتيال فاشلة من اتباع يوان. وفي فترة رئاسة لي يوان هونغ اصبح فينغ نائبا للرئيس، وبعد استقالة لي اصبح فينغ رئيسا بالوكالة وتوفي اثناها في بكين عام ١٩١٩.

James Z. Gao, Op. Cit, P.403.

(18) F. R. U. S., 1918, Vol.1, (Extract), The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State , Peking , February 12, 1918, P. 84 .

(19) Ibid., P. 88.

(20) F. R. U. S., 1918, Vol.1, (Telegram – Extract) The Charge in China (Spencer) to the Secretary of State, Peking, March 3, 1918, P. 88.

(21) Li Chien Nung , OP. Cit., P. 388 .

(22) F. R. U. S.,1918, Vol.1, (Report) The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State Peking, June29,1918, P.106.

(23) F. R. U. S.,1918, Vol.2, Telegram from The Japanese Embassy to the Department of State,30 October, P.405.

(24)F. R. U. S.,1918, Vol.1, (Report), The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State Peking, June29,1918, P.108; See also: W. Reginald Wheeler, China and the World War, The Macmillan Company, (New York,1919), PP.71-82.

(٢٥) هسو شيه تشانغ (١٨٥٥-١٩٣٩) رئيس جمهورية الصين للمدة من ١٠ تشرين الاول ١٩١٨ إلى ٢ حزيران ١٩٢٢. ولد شو في جيكيان في مقاطعة هنان ، لعائلة من المسؤولين الحكوميين ذوي الرتب المنخفضة. أصبح هسو ويوان شيكاي أخوين محلفين في عام ١٨٧٩. وتحت رعاية يوان ، ذهب هسو إلى بكين لإجراء امتحان الخدمة المدنية. حصل على درجة جينشي عام ١٨٨٦ وتم تعيينه في أكاديمية هانلين. خدم على التوالي في حكومة تشينغ كقائد لمنشوريا ، ووزيراً للخدمات البريدية ، وعضواً في المجلس الكبير. وفي غضون ذلك ، أصبح يوان قائداً عسكرياً قويا لجيش بيانغ. وفي عام ١٩١١ ، عندما أُجبر يوان على التقاعد في قريته ، حث هسو حكومة المانشو على استدعاء يوان للتعامل مع الثوار. وفي عام ١٩١٤ ، عين يوان ، بصفته رئيساً لجمهورية الصين ، شو رئيساً للوزراء. الا ان هسو لم يؤيد محاولة يوان لإعادة النظام الملكي فاستقال من منصبه. بصفته سياسياً بارزاً له علاقات وثيقة مع جيش بيانغ ، أدى هسو دور الوسيط في النزاعات بين مختلف أمراء الحرب والأحزاب السياسية. وفي عام ١٩١٨ ، وبدعم من أمراء الحرب من عصبة أنهوي ، انتخب هسو رئيساً لحكومة بكين. في عام ١٩٢٢ ، عندما هزمت عصبة تشيلي عصبة انهوي ووصلت إلى السلطة ، زعموا أن رئاسة هسو كانت غير قانونية. وهكذا أُجبر شو على التنحي.

James Z. Gao , Op . Cit, P.403.

(26)Li Chien Nung, OP. Cit., PP.388-389.

(٢٧) الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية ، ولد في ولاية فيرجينيا عام ١٨٥٦ درس المحاماة في جامعة برنستون. ثم عمل في التدريس فيها ، ثم أصبح رئيساً لها في عام ١٩٠٢. وانتخب رئيساً للجمهورية عن الحزب الديمقراطي عام ١٩١٢ وحاز على أغلبية الأصوات ضد منافسه روزفلت. وأعيد انتخابه عام ١٩١٦. عرف بنزعه الديمقراطية ورغبته بالإصلاح الاجتماعي، وخلال رئاسته أصدر تشريعات ضد احتكار مؤسسات الترسن. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى حاول الحفاظ على الموقف الحيادي لبلده غير أن حرب الغواصات الألمانية كانت من أسباب دخول الولايات المتحدة للحرب. وفي عام ١٩١٨ أعلن مبادئه الأربعة عشر التي اتخذ منها أساساً لإنهاء الحرب. وفي أثناء مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ نجح في إنشاء عصبة الأمم بيد أن مجلس الشيوخ الأمريكي الذي شكل الحزب الجمهوري الأغلبية فيه رفض انضمام الولايات المتحدة ليها. وفي العام نفسه أصيب بالشلل الأمر الذي وقف عقبة أمام مستقبله السياسي فخلفه في منصبه الرئيس هاردنغ، وبقي ويلسن في عزله حتى توفي عام ١٩٢٤. ينظر: أحمد عطية، القاموس السياسي، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ١٤٠٩.

(28) F. R. U. S.,1918, Vol.1, (Telegram)President Wilson to President Hsu Shih-chang, Washington, October 10,1918, P,111.

(29) F. R. U. S.,1918, Vol.1, (Telegram – Extract) The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State, Peking, October19,1918, PP.113-114.

(30) وقع برتوكول اليوكسرز في السابع من أيلول عام ١٩٠١ من قبل لي هونغ تشانغ الحاكم العام لاقليم تشيلي، والأمير شينغ أحد أمراء المانشو مسؤول التسونغ لي يامين (دائرة الشؤون الخارجية) عن الحكومة الصينية مع اثنتا عشرة دولة . ومن أهم مانص عليه البروتوكول : أن تدفع الصين غرامة قدرها (٤٥٠) مليون تايل (أي ما يعادل ٣٣٠ مليون دولار)، على مدى (٤٠) عاماً بفائدة قدرها (٥) بالمئة ليصبح بذلك المجموع الكلي مليار ليانغ قابل للدفع بالذهب توزع على دول التحالف ((٢٩) بالمئة لروسيا، (٢٠) بالمئة لالمانيا، (١٦) بالمئة لفرنسا، (١١) بالمئة لبريطانيا، (٨.٥) بالمئة لليابان، (٧.٥) بالمئة للولايات المتحدة، وتتقاسم بقية المبلغ كل من ايطاليا وبلجيكا والنمسا - المجر والاراضي المنخفضة واسبانيا والبرتغال والسويد والنرويج بنسب متفاوتة)، وأن تكون مضمونة بالعوائد الكمركية البحرية والكمارك الداخلية وضريبة الملح . وهدم حصن تاكو . اجراء تعديلات على اتفاقيات التجارة والملاحة وتقديم المزيد من التسهيلات فيها . إرسال اثنين من أمراء المانشو الى ألمانيا واليابان لتقديم اعتذار رسمي عن مقتل مندوبيهما (كتلر و سوغياما) في أثناء الثورة . والسماح للمفوضين الأجانب بتوسيع وتعزيز حي الأجانب في بكين بالقوات العسكرية ، معاقبة الموظفين المتعاونين مع اليوكسرز وعددهم ٩٦ موظفاً عقوبة كانت بين النفي مدى الحياة والإعدام . وتعطيل امتحانات الخدمة العامة في (٤٥) منطقة من المناطق التي عومل فيها الأجانب معاملة سيئة، مدة خمسة أعوام . وتحويل التسونغ لي يامين الى وزارة الخارجية . وفرض حظر أستيراد الأسلحة الى الصين مدة عامين . وأن تجري معاملة الممثلين الأجانب في البلاط الصيني على قدم المساواة وهو ما يعني تخلي الصين رسمياً عن مراسيم الكوتو .

L'affaire De La Perquisition De Lambassade a Peking, Per Les autorites, Revue General Droit International Public, Troisieme Serie Tom XXXV,1928, P187

(31) Li Chen Nung, Op.Cit., P. 389.

(32) F. R. U. S.,1918, Vol.1, The Japanese Embassy to the Department of State, PP.114-115.

(33) F. R. U. S.,1918, Vol.1, (Telegram), The Secretary of State to the Minister in China(Reinsch), Peking, November16,1918, P.120.

(34) F. R. U. S.,1918, Vol.1, (Telegram), The Secretary of State to the Minister in China(Reinsch), Peking, November18,1918, P.

(35) F. R. U. S.,1919, Vol.1, (Report) The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State,Peking, June 6,1919, PP.329-330.

(36) F. R. U. S.,1919 Vol.1, The Consul at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, February21,1919, P.299

(37) F. R. U. S.,1919, Vol.1, The Consul at Canton (Pontius) to the Minister in China (Reinsch), Canton, February10, 1919, P.296.

(38) F. R. U. S.,1918 Vol.1, (Extract), The minister in Chain (reinsch) to the secretary of state, Peking, December 31, 1918, p. 135.

(39) F. R. U. S.,1919, Vol.1, (Enclosure)The Consul General at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, February14,1919, P.299.

(40) F. R. U. S.,1919, Vol.1, The Consul at Canton (Pontius) to the Minister in China(Reinsch), Canton, February10, 1919, P.296.

(41) Ibid.

(42) F. R. U. S.,1919, The Consul General at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, March ٤,1919, P.303.

(٤٣) استمرت حكومة بكين في سعيها للحصول على القروض من المصارف اليابانية حتى اثناء التحضير لعقد المؤتمر، ففي الخامس من كانون الاول ١٩١٨ اعلمت السفارة اليابانية وزارة الخارجية الامريكية بأن حكومة بكين فاتحت المصرفيين اليابانيين برغبتها في الحصول على قرض من اجل حل القوات وايدت السفارة اليابانية امتعاضها من احتمال ان يؤدي ذلك إلى سوء فهم مع حكومة الجنوب. وفي الوقت نفسه لوححت حكومة الشمال انه في حال رفض طلبها فانها ستتجه بطلبها هذا إلى المصرفيين الامريكيين واوضحت استعدادهم لتلبية طلبها وفي ضوء ذلك طالبت السفارة اليابانية الخارجية الامريكية بالحيلولة دون ذلك. ينظر:

F. R. U. S.,1919, Vol.1, (Telegram), The Acting secretary of state to the minister in china (reinsch) Felle, Washington, December 5, 1918, p. 135.

(44) Li Chien Nung, op.cit., p. 390.

(45) F. R. U. S.,1919 Vol.1, The Consul General at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, March3,1919, P.303.

(46) F. R. U. S.,1919, Vol.1, The Consul at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, February21,1919, P.299; Northern Times (News Paper),1Mar,1919, P.4.

(47) Li Chien Nung, op.cit., p. 390

(48) Ibid, p. 390-391

(49) F. R. U. S.,1919, Vol.1, (Extract) The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State,Peking, September 10 ,1919, P.361. .

(50) F. R. U. S.,1919, Vol.1, Translation of a telegram of 28th February from Mr. Chien Nenghsun (Premier of the Peking Government) to Mr.Tong Shao-yi, the Southern Chief Delegate, PP.305-306.

(51) F. R. U. S.,1919, Vol.1, (Enclosure), the Intelligence Bureau of the Constitutional Government of China, Shanghai, March2,1919, PP.304-305.

(52) F. R. U. S.,1919, Vol.1, The Consul General at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, March٤,1919, P.303.

(53) F. R. U. S.,1919, Vol.1, The Consul General at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, March٤,1919, PP.308-309.

(54) F. R. U. S.,1919, Vol.1, (Report) The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State,Peking, June6,1919, P.328.

(55) F. R. U. S.,1919, Vol.1, (Report) The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State, Peking, June 6,1919, PP.329-330.

(56) Li Chien Nung, op. cit , p. 391-392.

(57) F. R. U. S.,1919, Vol.1, The Consul at Shanghai (Sammons) to the Minister in China(Reinsch), Shanghai, April7,1919,P.342.

(58) Li Chien Nung, op. cit, p. 391-392.

(59) Ibid, p. 391-392.

(60) Ibid, p. 392.

(61) Edward L. Dreyer, op. cit., p. 72.

(62) F.R.U.S. Notes of a Meeting Held at President Wilson's House in the Place des Etats-Unis, Paris, on Tuesday, April 22, 1919, Vol.V, PP.125-128.

(٦٣) للمزيد ينظر: نادية كاظم محمد العبودي، حركة الثقافة الجديدة في الصين نافذة على التطورات السياسية والثقافية ١٩١١-١٩٢١، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، برلين-ألمانيا، ٢٠٢٠، ص ١٠٥-١٠٦.

(٦٤) سياسي بريطاني ولد عام ١٨٦٣ باليونان من ويلز زاول مهنة المحاماة في مقتبل حياته، دخل مجلس العموم عام ١٨٩٠ عن حزب الأحرار وفي عام ١٩٠٥ ترأس مجلس التجارة، وفي عام ١٩١٥ اثناء الحرب العالمية الأولى شغل منصب وزارة الذخيرة، وفي السنة التالية تولى منصب رئاسة الوزراء في الحكومة الائتلافية وبقي فيها حتى عام ١٩٢٢، خلفا لاسكويث، وعلى صعيد خارجي عمل على توحيد صفوف الحلفاء لكسب الحرب في معاركها الأخيرة عام ١٩١٨، إلا أن مشاكل ما بعد الحرب من قبيل انتشار البطالة وقضية أيرلندا وفشل سياسته تجاه اليونان والثورة الروسية والانشقاق في حزبه أدى إلى تراجع مكانته وابتعاده عن مسرح الأحداث، وفي عام ١٩٣٧ عارض سياسة تشامبرلن السلمية، وفي عام ١٩٣٩ دعا إلى توسيع الانتاج الزراعي كضرورة حربية، منح لقب اللوردية قبل وفاته عام ١٩٤٥. ينظر: أحمد عطية، المصدر السابق، ص ١٠٧٥.

(٦٥) تضمنت هذه المطالب خمس مجموعات تتعهد الحكومة الصينية بموجبها بالموافقة التامة على التسويات كافة التي تتم بين اليابان وألمانيا فيما يتعلق بمناطق الامتيازات الألمانية في الصين ومنح اليابان امتيازات تجارية واسعة في مقاطعة شانغونغ. تتعهد الحكومة الصينية بعدم التخلي عن أي جزء من مقاطعة شانغونغ أو تأجيرها لأي دولة أخرى. وتوافق على تمديد إيجار اليابان لمباني ميناء بورت آرثر ودالين، وإيجار سكة حديد شانغونغ وسكة حديد انتونغ - موكدن لمدة ٩٩ عاماً. وأن يكون للرعايا اليابانيين في جنوب منشوريا وشرق منغوليا الداخلية حق الإقامة والسفر وامتلاك الأراضي اللازمة وتأجيرها لإقامة مبان للتجارة والصناعة والزراعة. ولهم الحق أيضاً في تعدين جميع المناجم في جنوب منشوريا وشرق منغوليا الداخلية. واشتملت هذه المجموعة أيضاً على شرط وجوب قيام الحكومة الصينية باستشارة الحكومة اليابانية عند منح ترخيص لرعايا أية دولة ثالثة لإنشاء سكك حديد، أو استخدام مستشارين ماليين أو عسكريين في جنوب منشوريا أو شرق منغوليا، وأكدت على أن تكون شركة هانينغ للتعدين مشتركة بين الصين واليابان، وأن لا تسمح الحكومة الصينية من دون موافقة الحكومة اليابانية مسبقاً، على منح حق التعدين في المناجم المجاورة لمناجم الشركة لأشخاص لم ينتسبوا للشركة. وأن تتعهد الحكومة الصينية بالانتقال أو توجر لدولة ثالثة أي ميناء أو خليج أو جزيرة على طول ساحل الصين. وأن تستخدم الحكومة الصينية مستشارين يابانيين في شؤونها السياسية والاقتصادية والعسكرية. ينظر:

G. Zay Wood, The Twenty-One Demands Japan Fersus China,(New York 1921); W. Reginald Wheeler, Op.Cit., PP.14-21.

(٦٦) F. R. U . S., 1919, (Telegram) The Consul at Canton (Pontius) to the Secretary of State, Canton, April 23. 1919, p; Paul S. Reinsch (American Minister on China 1913-1919), An American Diplomatic in China, New York, 1922), pp.358-368.

(٦٧) John King Fairbank, Edwin O. Reischauer, China Tradition and Transformation, George Allen and Unwin, (Hong Kong, 1973), 433; Stephen A. Schuker, The 1919 Peace Settlement: A Subaltern View: Reviews in American History, Volume 36, Number 4, December, 2008, P.583.

نادية كاظم محمد العبودي، حركة الثقافة الجديدة في الصين نافذة على التطورات السياسية والثقافية، ص ١٠٥-١١٤؛

- Kodansha Encyclopedia of Japan, vol. I, (Japan, 1983), p. 288; R.S. Gupta, History of Modern China Nationalism and Communism in China, (New Delhi, 1971), p. 170; B.R. Chatteriji, Modern history of China, a Short history, (India, 1969), p. 48; Stephen A. Schuker, op.cit., 583.
- (69) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Consul at Shanghai (Sammons) to the Minister in China (Reinsch), Shanghai, May 16, 1919, PP.347-349.
- (70) Ibid., P.345.
- (71) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State, Peking, May 17, 1919, P.351.
- (72) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Consul at Shanghai (Sammons) to the Minister in China (Reinsch), Shanghai, May 16, 1919, P.345.
- (73) Ibid.
- (74) Ibid.
- (75) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State, Peking, May 17, 1919, PP.351-352.
- (76) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Consul at Shanghai (Sammons) to the the secretary of state, Shanghai, May 16, 1919, P.342.
- (77) F. R. U. S., 1919, Vol.1, [Extract] The Consul at Shanghai (Sammons) to the the secretary of state, Shanghai, September 10, 1919, PP.360-361.
- F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Consul at Shanghai (Sammons) to the Minister in China ^(٧٨) (Reinsch), Shanghai, May 20, 1919, P.345.
- (79) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Minister in China (Reinsch) to the Secretary of State, Peking, July 3, 1919, P.351.
- (80) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Minister in China (Reinsch) to the Acting Secretary of State, Peking, June 7, 1919, PP.356-357.
- (81) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Cansul at Canton to the Minister in China (Reinsch), Canton, June 7, 1919, PP.357-358.
- (82) F. R. U. S., 1919, Vol.1, The Minister in China to the Secretary of State, Peking, September 1, 1919, PP.396-397.
- (83) Ibid., P.397.
- (84) F. R. U. S., 1920, Vol.1, The Consul General at Canton (Berghoiz) to the secretary of state, Canton, April 28, 1920, PP. 418-419.
- (85) Li Chien Nung, op.cit., p. 394.
- (86) Willim Li Tung, op.cit., p. 76.
- (87) F. R. U. S., 1920, vol. I, (Encluser) The Consul General at Canton (Berghoiz) to the Secretary of State, Canton, May 31, 1920, pp.420-421.
- (88) F. R. U. S., 1920, vol. I, (Encluser) The Consul General at Canton (Beerghoiz) to the Secretary of State, Canton, May 31, 1920, pp.421-423.
- (89) F. R. U. S., 1920, vol. I, Manifesto issued by four Southern constitutionalist leaders, Jun 3, 1920, p. 424.

(90) Ibid.

(91) F. R. U. S., 1920, vol. I, Quarterly Report of Legation in China for the Period April 1- June 30, 1920, P. 436.

(92) F. R. U. S., 1920, Vol., (Encloser, I), The consul general at Canton (Bergholz) to the Secretary of state, Canton, June 18, 1920, 1920, pp. 428-431.

(93) Ibid.

قائمة المصادر

الوثائق الأمريكية

- "Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1918" (1918) (Washington, DC: Government Printing Office) Vol.1.
- "Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1919" (1919) (Washington, DC: Government Printing Office), Vol.1.
- "Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1919" (1919) (Washington, DC: Government Printing Office), Vol.V.
- "Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1920" (1920) (Washington, DC: Government Printing Office), Vol.1.
- "Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1921" (1921) (Washington, DC: Government Printing Office), Vol.1.

الوثائق الفرنسية

- General Droit International Public, "L'affaire De La Perquisition De Lambassade A Peking", Per Les autorites , Revue, (Troisieme Serie Tom XXXV, 1928).

الكتب باللغة العربية

- العبودي، ن، (٢٠٢٠)، "حركة الثقافة الجديدة في الصين نافذة على التطورات السياسية والثقافية ١٩١١-١٩٢١"، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، برلين-المانيا.
- العبودي، ن، (١٩١٨)، التطورات السياسية في الصين في عهد أمراء الحرب: تونان تشي جوي نموذجاً ١٩١٦-١٩١٨، الطبعة الثانية، بغداد، ٢٠١٨.

القواميس

- عطية الله، أ، (١٩٦٨)، (القاموس السياسي)، الطبعة الثالثة، (القاهرة، دار النهضة العربية).

- Chatteriji, B. , (1969) “*Modern history of China, a Short history*”, (India: Road Darya Ganj).
- Chi, M. , (1970) “*China Diplomacy 1914-1918*”, (Harvard University: East Asia Research Center).
- Chesneaux, J. and others,(1977), “*China from the 1911 Revolution to liberation*”, translal from French, (New York: Pantheon Books)
- Club, E. , (1972) “*20th Century China*”, (United States of America :Columbia University Press).
- Cohen. I. , (2010) “*America’s Response to China: A History of Sino-American Relations*”, (5edn), (United States of America: Columbia University Press).
- Dreyer, E. , (1998) “*China at War 1901 – 1949*”, (2edn), (London: Longman).
- Fairbank, J., Reischauer, O. , (1973) “*China Tradition and Transformation*”, (Hong Kong: George Allen and Unwin).
- Gupte, R., (1971) “*History of Modern China Nationalism and Communism in China*”, (New Delhi: Sterling).
- Gray, J. ,(2003), “*Rebellions and Revolutions: China from the 1800s to 2000*”, (New York: Oxford University Press).
- - McDonald,A. ,(1978),”The Urban Origins of Rural Revolution: Elites and the Masses in Hunan Province, China,1911-1927”, (London: Uneversity of California Press).
- Mackerras, C. , (1998) “*China in Transformation 1900-1949*”, (London, Longman Notations edition)
- Nung, L. , (1956) “*the Political History of China 1840-1928*”, Trans. By Ssu-Yu Teng, Jeremy Ingalls, and (Princeton: Van Nostrand Company).
- Reinsch, A., (1922) (American Minister on China1913-I919), “*an American Diplomatic in China*”, (New York: Garden City).
- Rodzinski,W.,(1979), “*A History of China*”, Vol .1, ,(Oxford: Pergaman Press), ,Jean Chesneaux, the Federalist movement in China, pp. 107-108.
- Sheridan, J.,(1974), “*China in Disintegration 1912-1949*”, (United States of America: University of California Press).
- Tikhvinski, S., (1983) “*Histoire La China Les Temps Moderns*”, (Moscou: Éditions du Progrès).
- Sutton,D., “*Provincial Militarism and the Chinese Republic the Yunnan Army 1905-25*”, (Center of Chinese Studies of the University of Michigan Press)
- Tung, W. ,(1968) “*The Political Institutions of Modern China*”, (2edition), (The Netherlands: Martin us Nijhoff).
- Kent,P. ,(1973), “*The Twentieth Century in the Far East, A Perspective of Events, Cultural Influence and Policies*”, (2edition), (Washington: Kennikat Press).
- Wheeler, W., (1919),“*China and the World War*”, (New York: The Macmillan Company).

- Wood,G. ,(1921), “*The Twenty-One Demands Japan Fersus China*” , (New York, Fleming H. Revell company)
- Wortzel, L., (1999), “*Dictionary of Chinese Contemporary History*”, (Westport : Green Wood) .

الموسوعات والقواميس

- Gao,J.,(2009), “*Historical Dictionary of Modern China (1800 – 1949)*”, (Lanham:Scarecrow Press).
- Kodansha, (1983) “*Encyclopedia of japan*”, vol. I, (Tokyo: Kodansha).

البحوث والمقالات

- Billington.M,(2004) “*Synrchism and World war, How London, wall street backed Japan's war against china and sun yat sen*”. (This article appears in the Jun11, issue of executive intelligence review).
https://larouchepub.com/other/2004/3123morgan_v_dr_sun.html
- Chan, F.,”(1979), *An Alternativeto Kuomintang-Communist Collaboration: Sun Yat-sena nd Hong Kong, January-June1 923*”, Modern Asian Studies, Vol 13, No I.
- Marling, M. ,(2012). “*Anarchism and the Question of Practice: The Role of the New Culture Movement in the Innovation and Legitimation of Early Anarchist Ontology 1919-1927*”, Quarterly Journal of Chinese Studies(Peking University),Vol. 1 ,No2.
- Northern Times.(1Mar ,1919), (*News Paper*).
- Schuker, S., (December2008) “*the 1919 Peace Settlement: A Subaltern View*”, Reviews in American History, 36, 4.
- Warlord,(1916) “*New Culture*”, P.37. <https://quizlet.com/70016787/new-culture-movement-and-warlord-era-flash-cards>

تطور مدينة سامراء

العتبة العسكرية المقدسة أنموذجاً

أ.د. ناهض عبد الرزاق دقتر

جامعة بغداد/كلية الاداب/قسم الآثار

أ.د. سهيلة مزيان حسين

جامعة الامام الصادق(ع) كلية الاداب/قسم التاريخ

تطور مدينة سامراء العتبة العسكرية المقدسة أنموذجاً

أ.د. ناهض عبد الرزاق دفتر

أ.د. سهيلة مزبان حسين

الملخص:

ورد اسم مدينة سامراء في نصوص العصر الاشوري والبابلي سرمراتي كما وردت عند اللغويين والجغرافيين، فتقع مدينة سامراء على ضفاف نهر دجلة، انشأها الخليفة المعتصم واصبحت سامراء مقراً للخلافة العباسية اذ حكمها خمسة خلفاء في سامراء كان فيها الكثير من المعالم الاثرية كالمئذنة الملوية والنافورة قصر باكوره قصر العاشق والمعشوق،... كما ضمت الكثير من الشوارع والمحلات والمعابد والمساجد مثل المسجد الجامع لمدينة المتوكلية.

سكت في سامراء الكثير من النقود الذهبية والفضية والنحاسية.

كما شيدت العتبة العسكرية المقدسة والتي كانت بالاصل داراً للامام الهادي (عليه السلام) وقد سميت بأسماء عدة منها الروضة العسكرية الشريفة، مقام ، ضريح، مشهد، ومرقد، وحرم، للامامين العسكريين عليهما السلام اذ تعد من المباني التاريخية الدينية المرتبطة بالامامين العاشر والحادي عشر وفي العتبة العسكرية المقدسة سرداب يسمى سرداب الغيبة.

الكلمات المفتاحية:

اصل التسمية، الموقع، نشأتها، معالمها الاثرية، نقود سامراء في العتبة العسكرية المقدسة، مراحل انشاء واعمار العتبة العسكرية المقدسة سرداب الغيبة.

Abstract

The name of the city of Samarra was mentioned in the texts of the Assyrian and Babylonian Sarmarati era, as it was mentioned by linguists and geographers. The city of Samarra is located on the banks of the Tigris River. It was established by Caliph Al-Mu'tasim. The Lover and the Beloved, It also included many streets, shops, temples and mosques, such as the Jami Mosque of the city of Al-Mutawakkiliya.

Many gold, silver and copper coins were minted in Samarra.

The Holy Military Shrine, which was originally a house for Imam al-Hadi (peace be upon him), was also built. The Military Holy Shrine is a crypt called the crypt of alibi.

key words

The origin of the name, the location, its inception, its archaeological features, the coins of Samarra in the Holy Military Shrine, the stages of construction and reconstruction of the Holy Military Shrine, the basement of the occultation

المقدمة:

تناولت الدراسات اللغوية والتاريخية اصل تسمية سامراء فمنهم من رأى اسمها تصاريف بين مقصور او ممدود وسر من رأى مقصور الاخر او مهموز.

ان مدينة سامراء وفي معظم تاريخ الدولة العباسية كانت باهرة في مشاهدها وعامرة في بناءها حتى كان قد اطلق عليها ب (سر من رأى) قبل ان تدمج حروف تلك التسمية (سامراء) ، تقع سامراء على ضفاف نهر دجلة وكانت مقر عاصمة اسلامية منذ عهد الخليفة المعتصم.

اشار البحث الى ابرز معالمها الاثرية اذ كان يحيط بها سور مضع على شكل يميل الى الاستدارة وكانت منتشرة في ارجاء المدينة الحقائق العامة والخاصة وفي مدخل المدينة يقع مشروع التراث ومن معالمها الاثرية المأذنة الملوية والنافورة وقصر بلكواره، قصر العاشق والمعشوق، قصر المعتصم، قصر المختار، القبة الصليبية... كما ضمت المسجد الجامع لمدينة المتوكلية سنة ٢٤٥هـ.

اشار البحث الى نقود سامراء التي تعد من الوثائق المهمة في عهد الخلفاء المعتصم سنة ٢٢٦هـ، فكانت من الذهب (الدنانير) والفضة (الدراهم) ونحاسية الفلوس، كما في البحث الى نقود الخليفة الواثق بالله ٢٣١هـ والمتوكل سنة ٢٤٧هـ والخليفة المستنصر بالله سنة ٢٤٨هـ والخليفة المستعين بالله وقد سك خلال حكمه ٢٤٨هـ-٢٥٢هـ دنانير ودراهم وفلوس والخليفة المعتز بالله سنة ٢٥١هـ والخليفة المهدي بالله والمعتمد على الله سنة ٢٥٦هـ.

أكد البحث على العتبة العسكرية المقدسة وأظهر مراحل عمارتها إذ مرت بمراحل عديدة كما وصف البناء الداخلي للعتبة وقبتها الشريفة وكسوتها بالذهب إذ تعد أكبر قبة مذهب في العالم الإسلامي وفي غرب الصحن الشريف قبة مكسوة بالكاشي الكربلائي الملون البديع تقع فوق سرداب دار الأئمة عليهم السلام والذي أصبح مزاراً إذ يبلغ محيط تلك القبة ١٥م وقطرها ١٥م ، تعرف العتبة العسكرية المقدسة أو الروضة العسكرية الشريفة وتعرف أيضاً كمقام وضريح ومشهد ومرقد وحرَم الإمامين العسكريين (عليهم السلام) وأحياناً الجامع العسكري.

ثبت البحث على مراحل انشاء واعمار العتبة العسكرية المقدسة كما أصبحت مدافن لأئمة عليهم السلام إذ دفن فيه الإمام الحسن عليه السلام بجوار والده الإمام الهادي عليه السلام كما ضمن الدار الكثير من جثامين الأئمة الأطهار وزوجاتهم.

وبعد اتصال مركز الخلافة الى بغداد فقدت سامراء عامة والعتبة خاصة من ايام وزهوها واقتصر الاهتمام بالعتبة على بعض الاسر المحبة للإمامين عليهما السلام منذ سنة ٣٣٢هـ زمن الامير ناصر الدولة الحمداني (ت ٣٥٨هـ) إذ قام بتشييد الدار من جديد ومن سنة ٣٣٧هـ شيدت اول عمارة على شكل مزار زمن معز الدولة البويهري وفي سنة ٣٦٨هـ اكمل عضد الدولة البويهري سياج من جهته ومن سنة ٤٤٠هـ قام البساسيري بعمارة المرقد وفي سنة ٦٠٦هـ قام الناصر لدين الله العباسي... الخ

سامراء (أصل التسمية):

تعددت اراء المؤرخين واللغويين بشأن اصل موقعي سامراء منهم من رأى في تسميتها تصريف بين مقصور او ممدود وسر من رأى مقصور الآخر او مهموز.^(١)

كما ورد اسم المدينة في نصوص العصر الاشوري والبابلي سرمراتي (surmarrata) وهي قريبة من الصيغة التي عرفها العرب بالعصور الوسطى الإسلامية وشاعت عندهم مما يدل على أنهم تصرفوا بالصيغة وفي مراحل تاريخية لاحقة من تاريخ اللغة العربية التي ورثت تلك التسميات لبعض مدنه من ارض الرافدين اضيفت علامة الهمزة الى مفردتي (سامرا) و (كربلا) فأصبحتا (سامراء و كربلاء).

ومعلوم ان مدينة سامراء في معظم تاريخ الدولة العباسية كانت باهره في مشاهدتها وعامرة في بنائها حتى كان قد اطلق عليها منذ ذلك الوقت بـ (سر من راي) قبل ان تدمج حروف تلك التسميه بصيغة (سامراء).^(٢)

ويعود اكتشاف مدينة سامراء الى عصور قديمة فقد ذكرها المؤرخ الروماني اميانس مرقلينس (٢٢٠ - ٣٩٠ م) بصيغه (sumera) ونوه عنها المؤرخ اليوناني زوسيمينس بصوره سوما (suma) وفي التدوينات الآشورية جاء ذكر اسمها بصيغة سرمارتا (suurmarta) في حين ورد سامراء في مصنفات الاخوه السريان على كونه (شومرا) وتم ذلك قبل ان يبينها مجددا الحاكم العباسي المعتصم.^(٣)

الموقع:

تقع مدينة سامراء على ضفاف نهر دجلة وعلى مسافه (١٢٥) كم شمال بغداد، وكانت مقر عاصمه اسلامية منذ عهد الخليفة المعتصم اذ شهدت (سامراء) عظمة الخلافة العباسية التي بسطت نفوذها على مناطق واسعة من العالم وقد بنيت سمراء لتحل محل بغداد كعاصمة للعباسيين اذ اصبحت سامراء الشاهد المادي الوحيد على عظمة الخلافة العباسية في اوج عزها وازدهارها، ضمت مدينة سامراء القديمة على اكبر المساجد الجامعة في العالم الاسلامي (المسجد الجامع المعروف بـ مؤذنته الشهيرة الملوية ومسجد ابي دلف) كما اشتهرت بالقصور والتي تعد اكبر القصور في العالم الاسلامي مثل قصر الخليفة المسمى الجعفري و قصر المشتاق....الخ).^(٥)

نشأتها:

كان الخليفة المعتصم قد خص الاتراك بالنفوذ فقلدهم الجيش وجعل لهم مراكز في مجال السياسة والحرب وحرّم العرب مما كان لهم من قياده الجيوش واسقط اسماءهم من الدواوين وادر على الاتراك الهيئات والارزاق وآثرهم على العرب والفرس في كل شيء.

حتى ان المساكن والطرق ضاقت على الناس لكثرة العساكر الاتراك التي تجمعت مع المعتصم مما زاد من سوء تصرف الاتراك.^(٦)

لذا فان الخليفة المعتصم كان يخشى الفتنة وثورة اهل بغداد وبعض العساكر فيها لسخطهم على تقريب الاتراك، فيرى الطبري : ((ان المعتصم قال لأحمد بن ابي خالد اني اتخوف ان يصبح لـ

هؤلاء الحربية فيقولوا غلماني حتى اكون فوقهم فأن رابني منهم ريب اتيتهم في البر والبحر حتى اتي عليهم)).^(٧)

ويبدو لنا مما تقدم ان الخليفة المعتصم خاف من الجند في بغداد ولم يثق بهم وعد الاطمئنان المعتصم للجند القداماء ببغداد فكان لتلك الاسباب التي دعت المعتصم ان يفتش عن موضع لبناء عاصمته الجديدة و استقر رايه بعد عرض عليه اكثر من مدينه حتى وصل الى سامراء والتي تبعد بحوالي ٦٠ ميلاً شمال بغداد فوجده فيه دير للمسيحيين واقام فيه ثلاثة ايام

ليتاكد من ملائمة المحل، واخذ في سنة ٢٢١ هـ في تخطيط مدينته الجديدة التي سميت سامراء وعندما اتم المعتصم بناء سامراء انتقل اليها مع ابرز قادته في سنة ٢٢١ هـ.^(٨)

وبعد الخليفة المعتصم ببيع الواثق للخلافة سنة ٢٢٧ هـ ولم يضيف لسامراء شيئاً وبعد وفاة الواثق سنة ٢٣٢ هـ ببيع المتوكل خليفة للمسلمين فكان للخليفة المتوكل رعيه كبيره للبناء والعمران فأقام المتوكل الكثير من القصور فيها ومنها قصر بلا كورا والعروس والصبيح واللؤلؤ والمختار اذ يتميز عصره بعدد كبير من الجوامع والقصور فبنى الجامع الكبير وشيد له مئذنة عاليه اشبه باللولب (الملوية).

يقول ياقوت الحموي: ((لم يبق احد من الخلفاء بسر من رأى من ألابنيه الجليلة مثل ما بناه المتوكل)).^(٩)

اصبحت مدينه سامراء مقر الخلافة العباسيه من ٢٤٧هـ - ٢٧٩ هـ اثناء حكم خمس خلفاء: المستنصر ٢٤٧ هـ، المستعين ٢٤٨ هـ، المعتز ٢٥٢ هـ، المهدي ٢٥٥ هـ، المعتمد ٢٥٦هـ - ٢٧٩ هـ ولم يحدث اي عمران بها خلال تلك الحقبة.

وبعد عام ٢٧٩ هجرى اخذه الخلفاء العباسيين بغداد حاضره لهم فاذن ذلك بخراب مدينة سامراء.

معالمها الاثرية:

كان يحيط بالمدينة سور مضلع على شكل يميل الى الاستدارة يبلغ محيطه ٢كم ولا يتجاوز قطره ٦٨٠م، مبني بالجص والاجر يصل ارتفاعه الى (٧ م) وكان له ١٩ برجاً وأربعة ابواب هي باب القاطول وباب الناصريه، وباب الملطوش وباب بغداد وظل هذا السور ماثل للعيان

حتى سنة (١٣٥٦ هـ - ١٩٣٦ م).

وكانت تنتشر في ارجاء المدينة الحقائق العامه والخاصة وفتح فيها في العقود الاخيرة متحف وضعت فيه المخطوطات والمصورات المهمة عن اثارها وفي مدخل المدينة يقع مشروع التراث

الذي يقي بغداد من الغرق ومن معالمها الاثرية المئذنة الملوية، النافورة، قصر بلكواره، قصر العاشق والمعشوق قصر المعتصم ، (الجوسق الخاقاني) ، قصر المختار ، القصر الوزيري، قصر العروس، القصر الجعفري، مدينة المتوكلية، قصر الجص، بركة السباع، القبه الصليبيه دار العامه، تل الصوان، سور سامراء.^(١٠)

وضمت سامراء على الكثير من الشوارع والمحلات منها العابد البوجل و البويدري، البونيسان، المحلة الغربية ، القاطول ، القلعه والمحلّه الشرقية.

ومن الشوارع التي اشتهرت فيها سامراء شارع الخليج وشارع السريجه وشارع الحير الاول، وشارع ابي احمد بن الرشيد ، شارع برغممش التركي.

اما مساجدها فكان اشهرها جامع سامراء الكبير الذي شيده الخليفه المعتصم سنة ٢٢١ هـ^(١١) والمسجد الجامع لمدينة المتوكليه سنة ٢٤٥ هـ والذي بناه الخليفة المتوكل وشيد مئذنته الشهيرة الملوية^(١٢) و جامع ابي دلف بملويته الثانيه الذي يبعد نحو ١٥ كيلومتر عن شمال المدينة وجامع القلعه و مسجد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام و مسجد اولاد الحسن عليه السلام.^(١٣)

نقود سامراء:

تعد النقود من اهم الوثائق التي لا بد من الرجوع اليها في الحوادث التاريخية اذ كانت تسد بعض الفجوات في المصادر التاريخية لذا لا بد من الرجوع اليها عند التوثيق.

ومن خلال عهد بانيتها الخليفة المعتصم بالله وبخاصة الدنانير الذهبية للسنوات ٢٢١هـ-٢٢٥هـ واول دينار سك في سر من رأى كان في سنة ٢٢٦هـ ونصوصه كما يلي:

لا اله الا

مركز الوجه: الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر بسر
من رأى سنة ست وعشرين ومائتين
الطوق الثاني: لله الامر من قبل ومن
بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

المعتصم بالله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.^(١٤)

اما دراهم سر من رأى فقد ابتدأت منذ سنة ٢٢١ هـ ونصوصه كما يلي:

لا اله الا الله

مركز الوجه: الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم....
رأى في سنة احدى وعشرين ومائتين.

الطوق الثاني: لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

المعتصم بالله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ثم ينقطع سك الدراهم الفضية بسر من رأى للسنوات ٢٢٢-٢٢٣هـ ثم يظهر في سنة ٢٢٤هـ بالنصوص التالية-

مركز الوجه: لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بسر من رأى سنة اربع وعشرين ومائتين.

الطوق الثاني: لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ثم ينقطع سك الدراهم بسر من رأى بعد هذه السنة ٢٢٣هـ ثم يظهر كما اسلفنا سنة ٢٢٤هـ وربما كانوا يتداولون دراهم المدن الاخرى مثل دراهم مدينة السلام.

اما الفلوس النحاسية للخليفة المعتصم بالله والتي تكون اسرع للتلف وذلك بسبب تأثر الفلوس بالرطوبة والعوامل الطبيعية الاخرى لذلك لم نحصل ابد على فلس واحد مضروب في دمشق سنة ٢٢٢هـ.

نقود الخليفة العباسي الواثق بالله ٢٢٧هـ-٢٣٢هـ.

ومن دنائيره الذهبية التي ضربها بسر من رأى دينار سنه ٢٣١هـ ونصوصها كما يلي.

الطوق الاول: بسم الله ضرب هذا

الدينر بسر من رأى سنة احدى وثلاثين ومائتين.

الطوق الثاني: لله الامر من قبل

ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

الواثق بالله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.^(١٥)
وبعد وفاة الخليفة الواثق نصب اخيه المتوكل على الله ٢٣٢هـ-٢٤٧هـ وقد سك هذا الخليفة
الدنانير الذهبية والدراهم الفضية ومن نصوصها:

لا اله الا

مركز الوجه: الله وحده

لا شريك له

المعترز بالله

الطوق الاول: بسم الله ضرب هذا الدينر بمدينة المتوكلية سنة سبع واربعمين ومائتين.

الطوق الثاني: الله الامر من قبل

ومن بعد يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

المتوكل على الله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
كما استمرت دنانير الخليفة المتوكل على الله في سر من رأى سنة ٢٣٦هـ ونصوصه كما يلي:

مركز الوجه: لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

ابو عبد الله

الطوق الاول: بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة ست وثلاثين ومائتين.

الطوق الثاني: الله الامر من قبل

ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

لله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

المتوكل على الله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
(ابو عبد الله) هي كنية ابنه المعتز وفي هذه السنة نصب المعتز ولياً للعهد كما استمر ضرب دنانير الخليفة المتوكل على الله في كل من مدينة السلام طيلة خلافته ٢٣٢هـ-٢٤٧هـ اما دراهمه الفضية فقد سكت في العديد من المدن منها المدينة المتوكلية وسر من رأى مدينة السلام البصرة... الخ، اصفهان، الشاش، فارس، قم، المحمدية، الكوفة، مرو، واول درهم للخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣هـ لانه ببيع سنة ٢٧ ذي الحجة من سنة ٢٣٢هـ^(١٦) اي لم يتبق منها سوى ثلاثة ايام، ودرهم سر من رأى كان في سنة ٢٣٣هـ وكذلك درهم ضرب سنة ٢٣٤هـ ومنذ سنة ٢٣٩هـ حملت الدراهم كنية ولي العهد (المعتز بالله) استعمل نصوص مركز الوجه وحملت دراهم سر من رأى لسنة ٢٤٠هـ (المعتز بالله) اسفل نصوص مركز الوجه، واستمر هذا النمط حتى سنة ٢٤٦هـ وتغير نمط الدراهم سنة ٢٤٧هـ وهي السنة الاخيرة للخليفة المتوكل على الله وخاصة دراهم المدينة المتوكلية.^(١٧)

وقد قتل الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ بالمدينة المتوكلية وقد سك الخليفة المتوكل على الله بالاضافة الى الدنانير الذهبية والدراهم الفضية الفلوس النحاسية اذ وصل الينا فلس نحاسي وحمل هذا الفلس كلمة دينار بدل من الفلس^(١٨) ويعد هذا الفلس وبحسب ما اشار اليه الدكتور فهمي^(١٩) بأن مزيف من اجل الغش .

وجاء بعد الخليفة المتوكل ابنه المنتصر بالله سنة ٢٤٧هـ -٢٤٨هـ وعى الرغم من قصر حقبة المنتصر فإنه سك الدنانير والدراهم والفلوس ومن دنانيره المضروبة بسامراء سنة ٢٤٨هـ

مركز الوجه: لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة ثمان واربعين ومائتين.

الطوق الثاني: الله الامر من قبل

ومن بعد يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

مركز الظهر : محمد

رسول

الله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.(٢٠)
ويضم المتحف العراقي ثلاثة وثلاثون درهماً مضروبة بمدينة السلام وسر من رأى.
سك الخليفة المنتصر بالله الفلوس النحاسية ونصوصها كما يلي:

مركز الوجه: لا اله الا الله

المنتصر بالله

امير المؤمنين

الطوق: ممسوح

الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

عليه

الطوق: ممسوح

وقد تلقب المنتصر بالله الامام المنتصر بالله امير المؤمنين ولم تظهر تلك الالقاب على دنائيره او
دراهمه وبعد وفاة الخليفة المنتصر بالله جاء بعده المستعين بالله ٢٤٨هـ-٢٥٢هـ وقد سك الخليفة
المستعين بالله النقود خلال سنوات حكمه ٢٤٨هـ-٢٥٢هـ ومن دنائيره الذهبية.

مركز الوجه: لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الطوق الاول: بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة ثمان واربعين ومائتين.

الطوق الثاني: لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

مركز الوجه: محمد

رسول

الله

المستعين بالله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وقد حمل العباس بن امير المؤمنين نصوص مركز الوجه وذلك قبل سنة ٢٤٩هـ واستمر سك الدنانير حتى سنة ٢٥١هـ وسكت دنانيره في (سامراء) مدينة السلام، البصره، صنعاء، مكة، مصر، سمر قند، الشام، مرو، اما دراهمه الفضية فقد سكت في العديد من المدن (سر من رأى، مدينة السلام، البصرة، الكوفة، دمشق، اصبهان، قم، وفارس) وحملت دراهم سر من رأى سنة ٢٤٩ عبارة (العباس بن امير المؤمنين) اسفل نصوص مركز الظهر.^(٢١)

وبعد مقتل الخليفة المستعين بالله على يد المعتز بالله سنة ٢٥٢هـ سك الدنانير من عدة مدن منها (سر من رأى، مدينة السلام، مصر) ومن دنانيره المضروبة بسر من رأى سنة ٢٥١هـ.

مركز الوجه: لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة احدى وخمسين ومائتين

الطوق الثاني: لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

المعتز بالله

امير المؤمنين

وقد يصح هذا الدينر بأن المعتز بالله بدأ خلافته سنة ٢٥١هـ وليس ٢٥٢هـ ونصوص دينار آخر مضروب بسر من رأى سنة ٢٥١هـ حمل في نصوصه.

مركز الوجه: الطوق (لا اله الا الله، المعتز بالله ، ابقاه الله)

اما الدراهم الفضية فقد سكت بعدة مدن منها (سر من رأى ، مدينة السلام، البصرة، واسط، الرافقة، الرقة، مصر، سمرقند، نصيبين). (٢٢)

جاء بعده الخليفة المهدي بالله ٢٥٥هـ-٢٥٦هـ والذي سك الدنانير في عدة مدن (سر من رأى ، مدينة السلام، صنعاء) وحملت نصوص التالية:

مركز الوجه: لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين

الطوق الثاني: لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

صلى الله عليه وسلم

الخليفة المهدي

اما الدراهم الفضية للخليفة المهدي بالله سك دراهمه في العديد من المدن (سر من رأى، مدينة السلام، الرافقة، سمرقند) وكان لسك الفلوس في عهده ضرورة لان الحياة الاقتصادية كانت رخيصة ويحتاجون الفلوس.

وفي سنة ٢٥٦هـ جاء الخليفة المعتمد على الله اذ سك نقوداً منها الدنانير والدراهم والفلوس خلال سنوات حكمه ٢٥٦هـ-٢٧٩هـ وقد سك دنانيره الذهبية في العديد من المدن (سر من رأى، مدينة السلام، الكوفة، صنعاء، مصر، سمرقند، ونصيبين) ومن دنانيره الذهبية الدينار المضروب بسر من رأى سنة ٢٥٦هـ.

مركز الوجه: لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

جعفر

الطوق الاول: بسم الله ضرب هذا الدينر بسر من رأى سنة ست وخمسين ومائتين

الطوق الثاني: لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

الله

مركز الظهر: محمد

رسول

الله

المعتمد على الله

الطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

العتبة العسكرية المقدسة...

مرت عمارة العتبة العسكرية المقدسة بمراحل عديدة فقد كانت بالاصل داراً للامام الهادي (عليه السلام) حين وصوله الى سامراء سنة ٢٤٣هـ.

يتخذ البناء الداخلي شكلاً مربعاً تقريباً حيث يبلغ طوله ١٤٦ م وعرضه من جهة الشمال وعرضها ٣٧ م وارتفاعها ١١ م وفوق الاضرحة ترتفع القبة الكبيرة وتقوم هذه القبة على رقبة بأرتفاع متر واحد اما ارتفاع القبة نفسها فيبلغ اربعة وستين متر ومحيطها ٦٨ م وقطرها ٢٢ م وتتميز هذه القبة بأنها مكسوة بالذهب ، حيث يبلغ عدد الطابوق المطلي بالذهب ٧٢٠٠ طابوقه وتعد اكبر قبة مذهبية في العالم الاسلامي.

يتقدم الحرم طارمة عالية مزوقة بأفانين من الزخارف الاسلامية، للحرم خمسة ابواب، هي الباب الغربي والباب الجنوبي.

ويسمى باب القبلة ويقع في وسط سوق الهادي، والباب الشرقي وبابان في الشمال.

وفي غرب الصحن الشريف قبة مكسورة بالكاشي الكربلائي الملون البديع، تقع فوق سرداب دار الائمة (عليهم السلام) والذي اصبح مزاراً، فيبلغ محيط تلك القبة ٤٥ م وقطرها ١٥ م.

وتعرف العتبة العسكرية المقدسة او الروضة العسكرية الشريفة وتعرف ايضاً كمقام وضريح ومشهد ومرقد وحرم الامامين العسكريين (عليهم السلام) واحياناً الجامع العسكري وهي مجموعة من المباني التاريخية الدينية المترابطة بالامامين العاشر والحادي عشر من الائمة الاثنا عشر علي الهادي وابنه الحسن العسكري تقع في مدينة سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة تضم المجموعة ضريحيهما تحت القبة الذهبية والجامع الكبير ومسجد المهدي المشهور بسرداب الغيبة وعدة ابواب تاريخية.

تحيطها منطقة سكنية وتجارية وفنادق عديدة، حيث تعد قلب المدينة ومركزاً سياحياً ودينياً في العراق^(٢٣).

مراحل انشاء واعمار العتبة العسكرية المقدسة:-

تمثل العتبة العسكريه المقدسه ذلك البناء الشامخ الذي بني على اطلال الدار التي تعود له ثلاثه من ائمه اهل البيت عليهم السلام قد سكنها اثنين منهم مده من الزمن وهما الامام علي بن محمد الهادي و ولده الامام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام.

بعد استدعاء الامام ابي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي عليه السلام من المدينه المنوره الى سامراء سنة ٢٤٣ هجريه من قبل الخليفه المتوكل اذ اتصفت سر من رأى بصفات منها طيب هوائها وعذوبة مائها وقلة دائها^{٢٤}

فأشترى الامام الهادي (عليه السلام) له داراً حين قدومه لسامراء نصراني يقال له دليل بن يعقوب فسكنها الامام مع اهله وعياله الذين جاء بهم من المدينه المنوره معه دون ان يعلم الناس في ذلك الزمن ان لهذا الحدث سيغير تاريخ سامراء.

اذ اصبحت هذه الدار فيما بعد مركز امراء حين تحولت الى اقدس موضع فيها فبنيت دور سامراء كعاصمة لبني العباس.

وبعد وفاة الامام ابو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) سنة ٢٥٤ هـ زمن الخليفة المعتز اذ دس له السم وسبب بمقتله ودفن في صحن داره وقد بلغ من العمر عند وفاته ٤٢ سنة وكان عمر ولده الحسن يوم وفاه ابيه ٢٢ سنة.

سكن الامام الحسن عليه السلام سامراء لحين وفاته سنة ٢٦٠ هجريه زمن الخليفه المعتمد ودفن الامام الحسن عليه السلام بجوار والده الامام الهادي عليه السلام ، وتعد عمليتي الدفن هاتين نواه تكون العتبة العسكريه المقدسه باعتبار ان الدار اصبحت فيما بعد مزارا قبل ان يهدم ويتحول الى مسجد تحيطه الاروقه والصحن ثم السور.

ضمت هذه الدار الكثير من جثامين الائمة الاطهار وزوجاتهم فعلى سبيل المثال توفيت السيدة نرجس والدة الامام المهدي عليه السلام الذي ولد في هذه الدار سنة ٢٥٥ هـ وكانت قد ولدت في ذلك السرداب ضمن دار الائمة عليهم السلام^(٢٥).

كما دفنت السيدة حكيمة بنت الامام الجواد عليه السلام سنة ٢٧٤ هـ فدفنت جوار اخيها ودفنت حديثه والدة الامام الحسن العسكري عليه السلام والحسين بن الامام علي الهادي وابو هاشم الجعفري داود بن القاسم وابنه جعفر فقتل سنة ٢٨٠ هـ في خلافة المعتضد بالله^(٢٦) ارسل المعتضد جنداً من بغداد لالقاء القبض على الامام المهدي عليه السلام وحمله الى بغداد لكن

استطاع الامام ان يتخلص منهم فتركت الدار بعده خاليه من ساكنيها اذ اغلقت بابها حتى وفاة الخليفة المعتضد سنة ٢٨٩ هـ^(٢٧).

وفي سنة ٢٨٩ هـ وبعد وفاه الخليفة المعتضد بالله نصب شباك في جدار الدار يشرف منه المارة في الشارع على تلك القبور التي بداخلها فكان بعض الناس يقومون بزيارة الأمامين عليهم السلام من وراء الشباك.

وبقيت بالعتبة على هذا الحال ما يقرب من نصف قرن تقريبا دون ان تمسها يد التعاهد والاصلاح وذلك بسبب انتقال مركز الحكم منها الى مدينة السلام بغداد فقدت الكثير من ايام زهوها واصبحت المدينة خاليه من ساكنيها الا ان الاهتمام بالعتبة اصبح مختصرا على بعض الاسر المحبه للأمامين عليهم السلام والذين تولوا العناية بالعتبة والتعهد بتلك الروضة المقدسه وصيانتها والقيام بشؤون زوارها اذ كانوا ينظمون القوافل في المناسبات و يرافقون الزوار من بغداد الى سامراء ثم يعودون بهم الى بغداد^(٢٨).

وفي سنة ٣٣٢ هجريا قام الامير ناصر الدولة الحمداني (ت٣٥٨هـ) قام الامير بتشديد الدار من جديد ورفع جثتي الامامين عليهم السلام وكللهما بالستور وبنى عليهما قبه صغيره واحاط سر من راي بسور ليأمن ساكنوها او من يريد سكنها كما بني دورا حول دار الامام واسكنها جماعه وفي سنة ٣٣٧ هـ شيدت اول عماره على شكل مزار من قبل معز الدولة البويهى بعد ان اكمل عماره الحمداني وغير في طراز البناء.

فأسس الدعائم وعمار القبه التي على الضريحين وسرداب الدار واقام على القبرين صندوقا خشبيا وملئ حوض الدار بالتراب بعد ان صارت كالبئر لكثرة من اخذ الناس من ترابه للبركة وجدد بناء صحن الدار وسوره وانفق في ذلك اموالاً جزيلة كما رتبمعز الدولة للروضة والقوام عليها والكتاب وزوارها بالخدمه اللازمه^(٢٩).

ثم اكمل الامير البويهى عضد الدولة سنة ٣٦١ هـ عمل سياج من الصنج حول المرقدين الطاهرين كم وسع الصحن وستر الضريحين بالدبياج وعماره اروقته وفي سنة ٤٠٧ هـ^{٣٠} وقع حريق في بعض اطراف المرقد المطهر وكانت اضرار طفيفه، وفي سنة ٤٤٥ هـ قام اليسانسيري بعمار المرقد الشريف فعمر القبه والضريحين من جديد وعمل صندوقين من الساج ووضعهما على القبرين وجعل رمانتهما من الذهب فكانت هذه اول قطع ذهبيه تهدي الى مرقد الامامين عليهم السلام^(٣١).

لم يكن الاهتمام بالمرقدين الشريفين في العصر البويهى بل استمر في العصر السلجوقي من قبل الملك بركياروق بن ملكشاه السلجوقي في سنة ٤٩٥ هـ كلف بركياروق وزيره مجد الدولة في اجراء اصلاحات على مرقد الامامين العسكريين عليهم السلام فقد اعيد بناء سور المرقد الشريف وتجديد جميع ابواب الروضة العسكريه من اجود انواع الخشب كما رمت القبة والرواق والصحن^(٣٢).

وفي سنة ٦٠٦ هـ قام الخليفة العباسي الناصر لدين الله ٥٧٥هـ - ٦٢٢ هـ بتعمير القبة وتزيين الروضة من الداخل و امر ببناء مؤذنتين وجدد بناء السرداب وكتابة اسماء الائمة الاثني عشر عليهم السلام مع النبي (صلى الله عليه واله وسلم) و ابنته الصديقه فاطمه الزهراء عليها السلام على باب خشبي من داخله في شباك وضعه على سقيفه في اخر السرداب و لا يزال هذا الباب موجود الى يومنا هذا، كما كتب عليه من الخارج ايات قرانيه واسم الناصر لدين الله^(٣٣).

كما تم تعمير وبناء مرقد الامامين العسكريين عليهما السلام في سنة ٦٤٠ هـ بعد ان شب حريق داخل روضه الامامين عليهم السلام فاستبدل الصندوقين المحترقين بصندوقين من الساج وعمارته المشهد الشريف والروضه المباركه وذلك في عهد المستنصر بالله اذا مر بعمارته وازاله من اصابها من اثار الحريق وكان المستنصر قد كلف السيد جمال الدين احمد بن طاووس ان يتولى الاشراف على اعمال البناء والصيانه^(٣٤).

وفي سنة ٧٥٠ هـ قام الامير ابو ويس الشيخ حسن برزك الجلائري بتزيين الضريح وجدد القبة والدار وعمل بهوا امام المرقدين ثم امر بنقل المقابر التي في صحن المرقد والتي اخذت تتزايد يوما بعد يوم اذا مر بنقلها الى الصحراء في مقبره خاصه^(٣٥).

وفي سنة ١١٠٦ هـ وقع حريق كبير في داخل الروضة المقدسه ادى الى احتراق بعض الفرش والخشب حتى التهمت صندوقي المرقدين والابواب فوصل الخبر الى الشاه حسين بن سليمان الصفوي ١١٤٢ هـ فأمر بصنع اربعة صناديق منها اثنين لضريحي الامامين العسكريين عليهما السلام والاخران للسيدتين الكريمتين نرجس وحكيمة بنت الامام الجواد عليه السلام كما عمل شباك فولاذي ليوضع فوق الصناديق، ودعم البناء ، وزين الروضة من الداخل بخشب الساج وفرش ارض المرقد بالرخام وامر السلطات جماعة من العلماء والاعيان بمرافقة الصناديق والضريح والهدايا التي ارسلها معهم الى سامراء والاشراف على عمليات النصب وكان دخولهم يوما مشهودا وقد كتب اسم الشاه حسين على واجهة باب الشباك الفولاذي^(٣٦).

وفي سنة ١٢٠٠ هـ قمره الملك المؤيد الشهيد احمد خان الدمبلي احد امراء اذربيجان بعماره المشهد المقدس للامامين العسكريين عليهما السلام وتولى احد علماء ذلك الوقت الميرزا محمد محمد رفيع السلماني الاشراف على نفقات عمليات الصيانة والتعمير والبناء تشرع بعماره الروضة والسرداب بال حجر الصوان والرخام وقد كان للسرداب باب من جهه القبلة يدخله الزائر بعد زياره مرقد العسكريين عليهما السلام بان ينزل درج ثم يسير في ممر ضيق جدا حتى يدخل السرداب^(٣٧).

وفي سنة ١٢٠٢ هـ ردم الباب من جهه القبلة وجعل للسرداب بابا من الجهه الشماليه واستبدلت الابواب الخشبيه ثم شمل البناء الرواق والايوان والصحن وجدده بناء السور وروعي في ترتيب البناء ان يحاكي مرقد الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف الاشراف في ذلك الوقت وقد اضافه الى البناء الجديد صحن اخر و رواقا ينتهي الى السرداب وبنيت الروضة الشريفه على اجمل طراز وحدث من هندسي كما شمل الاعمار ضريحي السيدتين نرجس وحكيمة وقد صرفت مبالغ طائلة على هذا المشروع التجديدي لكن الاحداث والظروف لم ترسل الامير احمد خان فقط قتل في نفس العام ودفن في رواق الامامين في سامراء^(٣٨).

تولى حسين علي خان ابن احمد خان المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ مقاليد الامور وحل محل والده فواصل ما كان ابوه قد ابتدأه فأكمل البهو والابواب وزين جامع السرداب بالنقوش وكتبت الايات القرانيه على اركانه كما زين القبه بالكاشاني الازرق المعرق، وأخيرا اعد لنفسه قبرا حفره الى جنب قبر ابيه في الرواق فدفن فيه بعد وفاته^(٣٩).

بقي الميرزا محمد رفع بعد ذلك ينفق على مشاريع البناء والاعمار حتى في عام ١٢٢٥ هـ وفي سنة ١٢٨٥ هـ وخلال حكم ناصر الدين شاه القاجاري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ امرا بتعيين وتجديد بناء الروضة المطهره وفرشت ارضها بالرخام الاخضر والذي جولبه من ايران وجدد الشباك الفولاذي بأخر فضي مذهب التاج ورخم ارضه كما اعاد فرش ارض الرواق و البهو والصحن بالمرمر وابدل الابواب ورمم السور الذي بناه دنبلي واصلح بعض جوانب الصحن المتصدعه والمنهاره ولاول مره كسيت القبه المنوره واطراف المنائر بالذهب ونصبت ساعه على السور فوق الباب الرئيسي للصحن وهي الساعه الموجوده حاليا ويبدو ان هذه اخر عماره اساسيه لمرقد الامامين العسكريين عليهم السلام الذي كان في كل مره يزداد اتساعا ورونقا حتى وصل الى ما هو عليه من الابهة والسعة.

وفي سنة ١٢٨٧هـ قام ناصر الدين شاه في زياره العتبات المقدسه (النجف الاشرف و كربلاء وسامراء المقدستين) وقد حمل معه من التحف والهدايا والاموال الشيء الكثير ولم نعلم مقدار ونوع الهدايا التي قدمت لحضره الامامين في سامراء وقد اجريت بعد الزياره بعض الاصلاحات والانشاءات الخدميه من قبيل تبديل الابواب وتفضيض الشباك وتذهيبه كما انجزت مشاريع توسعيه حول الصحن الشريف بنفس التاريخ وفي سنة ١٣٤١ هجري في زمن فيصل الاول ملك العراق توسعه الطرق حول الصحن وبين الدول التي تحيط به وفي سنة ١٣٤٣هـ تم ايصال الماء عبر الانابيب الى الصحن المطهر و انشئت محلات الوضوء و دورات المياه الصحيه لتسهيل زياره افواج الزائرين المتدفق باستمرار على المرقدين المطهرين^(٤٠).

وفي سنة ١٣٥٩ هـ اجريت بعض الاصلاحات والترميمات الطفيفة وتوسيع الشوارع المحيطة بالحرم المطهر وتم نقل شباك الامام الحسين عليه السلام الفضي من كربلاء الى سامراء وذلك في سنة ١٣٦٠ هـ لنصبه على ضريح الامامين العسكريين عليهم السلام بعد ان رمم واصلح كما نصب في سنة ١٣٨١ هـ شباك فضي مذهب جديد وهو الموجود قبل تفجيره مع الجزء الاكبر من حرم وأروقه العتبة المقدسه والقبه الشريفه في يوم ٢٢ / ٢ / ٢٠٠٦ اذ تبلغ ابعاد هذا الشباك ٣ امتار عرضاً و ٦ امتار طولاً ٢,٥٠ متر ارتفاعاً.

سرداب الغيبه:

يوجد في سامراء سرداب اثري في العتبة العسكريه المقدسه في جهتها الغربيه يدعى بسرداب الغيبه. وهو سرداب ألائمه الذين عاشوا فيه وولد اخرهم في هذا الدار ويعد وجود هذا السرداب في دارهم هذه امر طبيعي لانها في العراق وكل دوره في السهل الرسوبي عدا المناطق الشماليه منهم تحتوي سرداباً يأوي اليه اهل الدار من اشهر الحر التي تتميز بها اغلب اشهر السنه في العراق . اختص سرداب الغيبه بمزيد من الاحترام والتبرك به فلما رات سيده رغبة المؤمنين الى زياره تلك البقعه الشريفه جعلوا ياخذون تراب ذلك المكان و يعطونه الزائرين بازاء دراهم قليله فادى ذلك الى ان حفره تلك البقعه مقدار درجتين ثم تصدى الى طفها العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني ثم حفرها بعض السدنه لمقاصدهم الخاصه وسموها بئر صاحب الزمان ومع ذلك فقد جعلوا الان قبه تحت الرخام بمقدار يدخل الكف فيه لاخذ التراب وربما وضع التراب من الخارج لاعطائه الزائرين الذين لا يعلمون حقيقه التراب^(٤١)، وللسرداب باب خشبي باقي من عهد الحاكم العباسي الناصر لدين الله وقد عمله سنة ٦٠٦ هـ اي انه مضى على صنعه اكثر من سبعة قرون

وتم توسعه الباب بقول **الشيخ ذبيح الله المجلاتي**: (ليس اشتهار هذا السرداب بسرداب الغيبة لان الحجة عليه السلام غاب فيه كما زعمه من يجهل التاريخ، بل لان بعض الاولياء تشرف بخدمته وحيث ان مبيت الثلاثة من الائمة طوال المده وحضي فيه عده من العلماء بلقائه فصار من البقاع المتبرك فينبغي اتيانه بخضوع وخشوع وحضور القلب والوقوف على بابه بالدعاء^(٤٢) .

الخاتمة:

يتضح لنا من خلال هذا البحث انها مدينة سامراء من المدن العربية الاسلامية العريقة والتي تميزت بموقها الجغرافي على نهر دجلة .

ضمت سامراء قصور عده للخلفاء الذي حكموا الدولة العربية الاسلامية اذ كانت عاصمة الخلافة العباسية الثانية .

كما شيدت فيها الكثير من المعالم الاثرية التي لا يزال بعضها قائماً وتعد صروحاً من صروح العلم والمعرفة ذات الطراز الهندسي المتميز من ضمنها قصر الخليفة المعتصم، المتوكل ... ومسجد سامراء الكبير، مآذنه سامراء المتميزة وجامع (ابي دلف) ومنارته الشاخصة.

اظهر البحث ان العديد من الخلفاء في سامراء قد سكوا نقوداً ذهبية وفضية ونحاسية . كماوضح البحث اهمية العتبة العسكرية المقدسة اذ استمرت اهمية سامراء بوجود المرقدين الشريفين ولم يكن مرقدين للأمامين (عليهم سلام) فحسب فقد دفن جثمان زوجات وابناء الامامين . واصبح مزارا يشار له بالبنان لكن مع الاسف تعرضت العتبة العسكرية للحرق بقصد وبدون قصد لاسباب عده .

لكن لكل حقه من الحرق والتخريب كان هناك من رجالات سواء كانوا في الدولة او رجال العلم والبر اذ يقومون باصلاح ما اتلف فيها .

المصادر والمراجع:

- ١- ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن (ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ،
- ٢- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٨هـ) فتوح البلدان.
- ٣- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ط دار الكتب.
- ٤- الحسيني، محمد حسين، مزارات اهل البيت وتاريخها، ط بغداد
- ٥- الحموي، ياقوت، معجم البلدان ط.بيروت

تطور مدينة سامراء العتبة العسكرية المقدسة أنموذجاً

- ٦- الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ط بيروت، ١٩٨٧.
- ٧- شيال، علي، مسكوكات الخلافة العباسية في سامراء، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٩٠م.
- ٨- الطبري، محمد بن جرير الطبري بن يزيد (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، ط قم، ١٤٠٨.
- ٩- الطبرسي، حسين النوري، ت ١٣٢٠هـ، مستدرک الوسائل.
- ١٠- ابن الطقطقي، محمد بن علي طبطبا ت ٧٠٩هـ، الفخري في الاداب السلطانية، ط بيروت، ١٩٩٧.
- ١١- عبد الرحمن، فهمي، فجر السكة العربية، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ١٢- العزاوي، عباس، العراق بين احتلالين، ط بغداد، ١٩٣٥م.
- ١٣- العشي، محمد ابو الفرج، النقود العربية الاسلامية، ط قطر،
- ١٤- القزويني، محمد كاظم، الامام الحسن العسكري من المهد الى اللحد، ط قم، ١٤٢١هـ.
- ١٥- القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) الامالي ط بيروت ١٩٨٢.
- ١٦- القمي، عباس، منتهى الامال، تحقيق ناصر باقري رقم ١٣٧٩هـ.
- ١٧- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط القاهرة
- ١٨- المجلتي، ذبيح الله، من مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ط ١٣٨٨هـ.
- ١٩- المظفر، الشيخ محمد، رضا، عقائد الامامية، ط بغداد،
- ٢٠- اليعقوبي، ابو العباس احمد بن اسحاق (ت ٢٥٨هـ) البلدان، ١٨٩٢م.
- ٢١- تاريخ اليعقوبي، ط ، ١٨٦٠م.

الهوامش:

- ١ - الجوهرى، الصحاح ص ١٦٩.
- ٢ - اليعقوبي، البلدان، ص ٢٥٦.
- ٣ - اليعقوبي، تاريخ، ١٦٩/٢.
- ٤ - المسعودي، مروج الذهب، ٧/٤.
- ٥ - الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢١٠.
- ٦ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٤/٩.
- ٧ - تاريخ الرسل والملوك، ١٥/٩.
- ٨ - اليعقوبي، البلدان ص ٢٥٩.
- ٩ - معجم البلدان، ١٧/٣.
- ١٠ - المسعودي، مروج الذهب، ٢١٠/٩ وما بعدها.
- ١١ - اليعقوبي، البلدان، ص ٢٥٩.
- ١٢ - البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٥٠.

- ١٣ - اليعقوبي، البلدان، ص ٣٦٥.
- ١٤ - علي شيال، مسكوكات الخلافة العباسية في سامراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، ١٩٩٠، ص ٥٥.
- ١٥ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٢٥/٩.
- ١٦ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٠/٥.
- ١٧ - المسعودي، مروج الذهب، ١٢٩/٤.
- ١٨ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٤/٩.
- ١٩ - فهمي، عبد الرضا، فجر السكة العربية، ص ٩٩.
- ٢٠ - العش، محمد ابو الفرج، النقود العربية الاسلامية، كتالوك قطر. ص ٧٥.
- ٢١ - اليعقوبي، تاريخ، ٢٣١/٣.
- ٢٢ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٥٨/١٢.
- ٢٣ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٨٥/٩.
- ٢٤ - القالي، الامالي، ٧٥/١.
- ٢٥ - القمي، منتهى الامال، ١٨٧٢/٣.
- ٢٦ - ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ٢٢/٥-٢٣.
- ٢٧ - ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٦/١١.
- ٢٨ - احمد شلبي، موسوعة التاريخ والحضارة، ٢٣١/٣.
- ٢٩ - المظفر، الشيخ محمد رضا، عقائد الامامية، ١١١/١.
- ٣٠ - ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٧٧/١١.
- ٣١ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٠٥٠/٩.
- ٣٢ - المسعودي، مروج الذهب، ٢٥٠/٤.
- ٣٣ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٢٠/٨.
- ٣٤ - ابن كثير، البداية والنهاية، ١٥٢/١٣.
- ٣٥ - احمد شلبي، موسوعة التاريخ والحضارة، ٢٧٥/٣.
- ٣٦ - عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ١٧٥/٢.
- ٣٧ - جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسه، ط بيروت ١٩٨٧م، ص ٢٢٠.
- ٣٨ - الطبرسي، مستدرك الوسائل، ٢٥/١٧.
- ٣٩ - جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسه، ص ٥٨.
- ٤٠ - محمد حسين الحسيني، مزارات اهل البيت وتاريخها، ص ٨٥. ينظر محمد كاظم القزويني والامام الحسن العسكري من المهدي الى اللاحق، ص ٣٢٠.
- ٤١ - الشيخ النوري، كشف الاستار، ص ٤٣.
- ٤٢ - مأثر الكبراء، ط ١٣٨٨، ٢٨٨/١.

تصوير العمائم

والعبي والحجاب والقبعات في فنون بلاد الرافدين

Depicting turbans, robes, veils and hats in the arts
of Mesopotamia

حنان عبد الواحد صولاغ

Hanan Abdul Wahid Solagh

أ.د. قصي صبحي عباس

Prof.Dr. Qusay Subhi Abbas

تصوير العمائم والعبي والحجاب والقبعات في فنون بلاد الرافدين

حنان عبد الواحد صولاغ

أ.د. قصي صبحي عباس

مقدمة

كانت أغطية الرأس من مكملات المظهر الخارجي للفرد سواء أكان غطاء الرأس للأشخاص الذين يتميزون بمكانة دينية (كالعمائم) أو للأشخاص من عامة الناس، فضلاً عن أغطية رأس أخرى خُصصت للطقوس والمراسيم الدينية.

كما أسهمت العادات والتقاليد التي شاعت في مجتمع بلاد الرافدين الى ظهور نوع من الاغطية التي سنتطرق لدراستها وهي العبااء والقبعات والحجاب فعلى الرغم من ندرة المعلومات التي نتحدث عن هذه الظاهرة وأسباب وجودها الا ان هناك من المؤشرات والدلائل ما يُبرهن على أهمية تأثيرها في المجتمع، فقد أشارت القوانين العراقية القديمة (لاسيما الاشورية) على ضرورة تحجب المرأة المتزوجة ومنع التحجب على الإماء.

Introduction

Head coverings were complements to an individual's external appearance, whether it was the head covering for people of religious status (such as turbans) or for people from the common people, as well as other head coverings dedicated to rituals and religious ceremonies.

The customs and traditions that spread in Mesopotamia society have also contributed to the emergence of a type of covering that we will discuss, namely, abayas, hats, and the veil. The ancient Iraqi laws (especially the Assyrian) stipulate the necessity of veiling married women and prohibiting the veiling of female slaves.

العمائم

صورت نماذج العمائم في فنون بلاد الرافدين وهي عبارة عن قطعة من القماش تلف حول الرأس عدة لفات حول طاوية (عرقجين) سميكة^(١)، وقد امتدت اشكال تلك العمائم الى وقتنا الحاضر^(٢). ومن النماذج الفنية التي نشاهد فيها هذا النوع من العمائم لا سيما في عصري الوركاء وجمدة نصر تمثال رجل " او مايعرف بكاهن_الملك^(٣) او ربما الامير^(٤)، المتبقي منه القسم العلوي يظهر واضع يديه الى صدره وهو عاري معتمراً فوق راسه " عمامة" كروية الشكل مثبتة بشريط او قطعة من القماش السميكة الطويل ملفوف حولها، اذ عملت بشكل حافة عريضة تلامس الجبين. ينظر شكل (١) ان غطاء الرأس

هذا يناظر "العقال" ^(٥). هناك نماذج اخرى مشابهة لتلك العمامة التي يعتمرها الشخص العاري او مايعرف "بكاهن الملك" ^(٦) وهي عبارة عن شكل كروي تقريباً يحيط بها شريط سميك ذو حافة بارزة للخارج ملفوف حولها من جميع الجهات شد حول جبهته. ينظر الشكل (٢)

كما صور على مسلة صيد الاسود من عصر جمدة نصر الحاكم كصياد واقفاً بشكل جانبي واضعاً فوق رأسه غطاء رأس (عمامة) ^(٧) عبارة عن شكل بيضوي يحيط بها شريط عريض وسميك ملفوف حولها، ويظهر الصدر عاري ومرتدياً وزرة قصيرة مثبتة بحزام عريض، ماسكاً بيديه رمحاً يغزره في الاسد المهاجم عليه، وفي الاسفل ماسكاً بيديه القوس والرمح ليسدد الضربة على الاسد الواقف امامه. ينظر الى الشكل (٣)

وهناك مجموعة اختتام اسطوانية تعود لهذا العصر صور فيها مشاهد مختلفة وقد تضمنت العديد من الشخصيات الا ان ابرزها كان يمثل فيها "الكاهن الملك" كمحارب كما في الشكل (٤) او كصياد ^(٨) كما في الشكل (٥) وفي كلا المشهدين يظهر الحاكم مرتدياً عمامة (كعمامة) ذات الشكل الكروي الصغيرة الحجم التي تحيط بقمة الرأس وتصل الى فوق الاذن، ويحيط بها شريط او لفة من القماش السميك الملفوف حولها.

اما العمامة في العصر فجر السلاطات فقد جاءت نماذج قليلة منها ما صور على ختم اسطواني تضمن مشهد صراع اذ مثل فيه البطل الحامي ^(٩) على جانبي المشهد يعلوه كتابة مسمارية، اذ يظهر واضعاً فوق رأسه اشبه بالعمامة وهي مسطحة. ينظر شكل (٦)

اما من العصر الاكدي فقد جاءت اهم النماذج الفنية التي مثلت فيها اغطية رأس اشبه "بالعمامة" ابرزها مسلة نفذت بالنحت البارز من قرية بير حسن ^(١٠) اذ يظهر فيها الملك نارام سين متجهاً نحو اليسار، نقش بجانبه نص مدون باللغة الاكدية يذكر فيه اسم هذا الملك واعماله ومنجزاته العسكرية، وقد صور الملك نارام سين معتمراً عمامة بيضوية الشكل تتكون من طبقات عدة او حروز افقية عملت بشكل لفائف من الخيوط السمكية، وللعمامة حافة عريضة وبارزة يعتقد بأنها معمولة من الجلد ^(١١).

او ربما من القماش ذو النوعية الجيدة والسميكة، ويظهر من تحتها شعر الرأس الذي قد عمل بشكل ظفيرة تلف حول الرأس وهو يغطي الجبهة ويلاحظ من الخلف شعر كثيف ومجد ^(١٢) ويمسك الملك بكتا يديه مايشبه صولجان فقدت معظم اجزائه ^(١٣)

من النماذج الاخرى العائدة لهذا العصر منها ماصور على ختم اسطواني لمتبارزين يهاجمان اسداً ^(١٤)، المشهد من اليمين صور فيه رجل معتمراً اشبه "بالعمامة" وهي بيضوية الشكل لها حافة ضيقة تلامس الجبين، المشهد من اليسار يظهر فيه رجل واضع فوق راسه اشبه "بالعمامة" وهي بيضوية الشكل ذو ارتفاع قليل نسبياً وهي مقسمة الى حقول او حروز افقية عدة (ان شكل تلك العمامة تناظر عمامة الملك الملك نارام سين المصورة على مسلته من ديار بكر) ينظر شكل (٧).

وفي العصر السومري الحديث فقد شاع فيه نمط جديد لعمائم الحكام السومريين من أشهرها عمامة كوديا "حاكم مدينة لكش" وهي عبارة عن عمامة نصف كروية ذات حافة سميكة تحيط بها، بعضها غير مزخرف والبعض الآخر زخرفت بزخارف هندسية دقيقة تتمثل بحلزونات دائرية عملت بشكل صفوف متراسة وقد رتبت عمودياً وافقياً^(١٥).

من نماذج تماثيل كوديا التي يعتمر فيها تلك العمامة تمثاله وهو واقف في هيئة تعبد، وفي تمثال آخر يظهر فيه ماسكاً بيده الأثناء الذي يتدفق منه الماء إذ يظهر واضحاً على رأسه عمامة ربما قد تكون معمولة من الصوف أو لربما عملت من الفرو لفت حول رأسه بشكل نصف كروي تمتد من قمة رأسه حتى اذنيه، وهي ذات الحاشية العريضة المستديرة التي تلامس الجبين ومزخرفة بصفوف حلزونية. ينظر شكل (٨)

وهناك تمثال آخر لكوديا يظهر فيه واقفاً وواضحاً فوق رأسه عمامة كروية الشكل ذات الحاشية العريضة ربما عملت من الصفوف الملفوف أو المموج^(١٦)، وقد زينت العمامة بنقوش من جميع الجوانب والجهات وهي عبارة عن نقوش هندسية جميلة تضمنت دوائر صغيرة متراسة ببعضها البعض عملت بعدة حقول وطبقات، وهي تناظر النقوش التي تزين حاشية ثوبه من الأسفل، إذ يظهر مرتدياً رداءً طويل يكشف عن كتفه الأيمن، وللرداء حاشية مزينة بخطوط متقاطعة، أما في الحاشية السفلى فقد تضمنت نقوش عبارة عن خطوط أفقية ودوائر صغيرة، وفي قفا التمثال كتابة مسمارية. ينظر شكل (٩).

من نماذج العمائم في هذا العصر منها تمثال يعود لايشتوب-ايلوم (حاكم ماري)^(١٧) وهو واقف بوضعية تعبد ومعتماً فوق رأسه عمامة دائرية الشكل لفت حول رأسه وهي ذو حجم صغير تصل فوق اذنيه بقليل، ولها حاشية عريضة مثبتة فوق الجبين، والعمامة خالية من الزخارف. شكل (١٠).

ويظهر الملك أورنمو مصوراً في مسلته وهو يقوم بتأدية فعالية طقوسية تتعلق بسكب السائل المقدس على نبتة أمام الهته الرئيسيين الإله نارار (اله القمر) وزوجته الإلهة نينكال^(١٨)، وقد صور الملك واقفاً بشكل جانبي معتماً فوق رأسه عمامة بيضوية الشكل لها حاشية عريضة تلامس الجبين وهي خالية من الزخارف على العكس مما لاحظناه في عمامة الحاكم كوديا. شكل (١١).

أما أبرز انتاجات الفنية العائدة الى العصر البابلي القديم تتمثل براس تمثال ربما يعود للملك حمورابي^(١٩) يظهر معتماً عمامة نصف كروية الشكل، بحافة عريضة نسبياً ملفوفة حولها (إلا أنها أقل ارتفاعاً من عمائم العصر السابق لا سيما عمائم الحاكم كوديا)، تصل عمامة حمورابي الى مستوى اذنيه وتغطي نصف الجبين إذ يظهر قسم من خصلات شعرة المصفوفة على جبينه من تحت حاشية العمامة، ونلاحظ عدم وجود الزخارف عليها. شكل (١٢).

وهناك نماذج أخرى صور فيها الملك مرتدياً العمامة بشكل وتصميم مشابه للنموذج السابق كما نلاحظها في مسلته المشهورة "مسلة حمورابي". ينظر شكل (١٣).

هناك مسلة من حجر الكلس تعود للعصر نفسه صور فيها رجل في حالة تعبد من المحتمل انه يمثل الملك حمورابي^(٢٠) اذ نلاحظ بان هناك ارتباطاً وثيقاً بين هيئة الرجل في هذه المسلة مع الملك حمورابي المصور على مسلته المشهورة "مسلة حمورابي" المسلة مستطيلة الشكل مثل فيها المتعبد واقفاً بشكل جانبي في وضعية تعبد، واضعاً فوق راسه عمامة ذو شكل نصف كروي بحافة عريضة ملفوفة حولها ونلاحظ عدم وجود الزخارف عليها، ويرتدي رداء طويل يكشف عن كتفه الايمن، ويظهر رافعاً يده بمستوى فمه لالقاء التحية والسلام واليد الاخرى مثنية ومضوعة تحت الصدر. ينظر شكل (١٤).

لم تقتصر العمائم على الملوك في هذا العصر بل كانت من اغطية الرأس الشائعة عند المتعبدين وغيرهم من الاشخاص، من نماذجها تمثال لرجل راكع في وضعية صلاة، او ما يعرف "بالرجل ذو العمامة"^(٢١) اذ يظهر واضعاً فوق رأسه عمامة لفت حول رأسه وهي سميكة وذات حجم كبير، تمتد من قمة الرأس حتى الاذن بشكل كروي وبحافة عريضة خالية من الزخرفة، تعد هذه العمامة من العمائم المميزة اذ تناظر من ناحية الشكل والتصميم العمائم في وقتنا الحالي. ينظر شكل (١٥).

من النماذج الاخرى لشكل العمامة العائدة لهذا العصر ماظهر في رسم جداري في قصر الملك زمريلم في مدينة ماري تضمنت مشهد تنصيب الملك زمريلم في قاعة العرش^(٢٢).

يتوسط المشهد حقلين صور في الحقل العلوي مشهد تنصيب الملك من قبل الالهة عشتار وهو يستلم منها العصا والحلقة رمزا السلطة في بلاد الرافدين اذا يظهر معتمراً عمامة كروية الشكل ذو ارتفاع عالي، لها حافة عريضة تصل الى مستوى الاذن وقد عملت بأرتفاع ومستوى عالي اذ تختلف عن باقي العمائم التي يرتديها الملوك في هذا العصر. ينظر الشكل (١٦).

اما الرسم الجداري الاخر المصور على جدار قاعة الاستقبال في قصر ماري فقد مثل فيها مشهد سكب السائل المقدس من قبل الملك زمريلم امام اله جالس^(٢٣)، اذ يظهر فيها الملك معتمراً عمامته نصف كروية الشكل ذو الحافة السميكة البارزة نحو الخارج وهي خالية من النقوش والزخارف، ينظر شكل (١٧).

يتبين من خلال النماذج الفنية بأن العمائم الخاصة بحكام وملوك العصر السومري الحديث تختلف عن عمائم ملوك العصر البابلي القديم، فقد تميزت عمائم العصر السومري الحديث بأنها ذو حجم طبيعي للرأس تقريباً فقد غطت معظم محيط الرأس من قمته وجبهة الرأس حتى اذنيه، وكانت احياناً مزينة بنقوش وزخارف عبارة عن حلزونات دائرية غطت معظم اجزاء العمامة ربما قد تكون ذو غرض ديني.

اما عمائم حكام العصر البابلي القديم فقد تميزت بكونها صغيرة الحجم "قياساً بنماذج حكام لكش الثانية" اذ صورت وهي تحيط بمحور الرأس " القمة والجبهة" وتصل فوق مستوى الاذن كما انها خالية من النقوش والزخارف.

وقد استمر ارتداء العمائم في العصر البابلي الوسيط بتصميم مشابه لعمائم العصر البابلي القديم، منها ماصور على ختم اسطواني لمتعبد مواجه له جالس^(٢٤)، اذ يظهر المتعبد واضعاً فوق رأسه عمامة نصف كروية الشكل بحافة طبقة وسميكة تلامس الجبين، ويظهر خلفه ربما له ثانوي . ينظر شكل (١٨).

مما صور في ختم اسطواني من العصر الاشوري الحديث، لمتعبد مواجه له مسلح، اذ يظهر ذلك المتعبد معتمراً غطاء رأس اشبه بالعمامة النصف كروية الشكل وهي صغيرة الحجم نسبياً اذ تمتد من قمة الرأس حتى مستوى الاذن بقليل، لها حافة ضيقة عملت من القماش الملفوف حولها، وقد وضع بين المتعبد والاله المسلح بالقوس والسيف وحاملاً بيده فأس ايضاً رمزين تمثلاً بالمجرفة والقلم المستدق النهاية الموضوعين فوق منصة^(٢٥) . ينظر شكل (١٩).

واستمر ظهور العمائم حتى العصر البابلي الحديث بنفس التصميم وهي عبارة عن عمامة نصف كروية الا انها ذو ارتفاع واطيء وهي عريضة نسبياً منها ماصور على ختم اسطواني لمتعبد مواجه منصتين (الاولى وضع عليها مساحة وقلم مستدق النهاية والثانية وضع عليها كلب جالس)^(٢٦)، يظهر المتعبد معتمراً فوق رأسه عمامة نصف كروية الشكل مرتفعة قليلاً ولها حافة ضيقة من القماش الملفوف حولها، ويتدلى شعره على الاكتاف شكل(٢٠).

ومما صور في الختم اخر من هذا العصر لعمامة مشابهة التصميم معتمرها^(٢٧)، متعبد وهي عبارة عن عمامة كروية الشكل ذو ارتفاع عالي نسبياً، ينظر شكل (٢١). وبحافة عريضة ملفوفة حولها، وهو يواجه قرص شمس مجنح فوق نبات ومذبح مزود بمجرفة وقلم مستدق النهاية.

نستلخص مما ذكرناه بأن تصوير العمائم على المشاهد الفنية قد تضمنت اغلبها مواضيع دينية اذ خصصت تلك العمائم لشخصيات لهم دور في ممارسة طقوس العبادة، وقد استمر ظهورها عبر العصور بالشكل نفسه مع اختلافات بسيطة.

العبي

من أولى النماذج الفنية لأشكال العبي، تمثال لامرأة من مدينة ماري من عصر فجر السلالات الثالث^(٢٨)، إذ صورت وهي جالسة على كرسي وقد ارتدت عباءة مخصلة ربما صنعت من الصوف أو هي جزة خروف تغطي الرأس والجسم تاركة الوجه ظاهراً، وقد عملت العبء من القماش نفسه المعمول منه رداؤها المخلص المصفوف بعدة طبقات، يظهر من تحت العبء غطاء رأسها الذي يتمثل بقبعة كروية كبيرة الحجم لها حافة ضيقة وسميكة تحيط الجبين.

ونلاحظ استعمال هذا النوع من غطاء الرأس لعدد من تماثيل نسائية جاءت من مدينة ماري تعود لهذا العصر^(٢٩). ينظر شكل (٢٢).

على الرغم من ذكر العبي في النصوص الاقتصادية وذكر أنواعها المتعددة إلا أنها لم تظهر في فنون بلاد الرافدين في العصور اللاحقة باستثناء العصر الآشوري الحديث الذي اقتصر نماذجه على نساء صورت في مشاهد تشير إلى انهن كن أسيرات.

لقد أمدتنا المنحوتات الآشورية التي جاءت من العصر الآشوري الحديث لاسيما من عهدي الملكين تجلاتبلاصر الثالث وسرجون الثاني بنماذج العبي، إذ صورت اغلبها لنساء أسيرات، فضلاً عن بقية المنحوتات التي عاصرتها أو التي أعقبها يمكن ان نستكشف أساليب ارتداء العبي، حيث تمثل بعضها بشكل شال طويل أو عباءة تلبسه المرأة فوق ثيابها التي تكون على الأغلب لتغطي به رأسها ومعظم جسدها^(٣٠).

وتظهر العبي أحيانا بحياكة بسيطة وبعضها تكون مزركشة ومزينة بطرق فنية وتقنيات عالية في الصنع وفق مكانة المرأة ومركزها الاجتماعي^(٣١).

ومن ابرز نماذج العبي منها ما جاء في لوح يعود للملك تجلاتبلاصر الثالث صور فيه امرأة في حالة سير، ينظر شكل (٢٣)، وهي ترتدي رداء طويل ذو أكمام قصيرة وقد زينت حاشيته بشراريب، وترتدي فوق رأسها عباءة طويلة ذات حاشية تنتهي بشراريب قد غطت رأسها وجسدها^(٣٢).

وفي لوح اخر من عهد الملك تجلاتبلاصر الثالث أيضا شكل (٢٤) صور فيه مركبة ذات عجلتين يجرها ثورين وهي تقل عائلة صغيرة تتكون من ثلاثة أشخاص امرأتان وطفل^(٣٣)، ويظهر من خلال ذلك اللوح شكل العباءة التي تغطي الرأس والجسم، إذ تمتد من قمة الرأس حتى اسفل الركبة وقد غطت جزءاً من ثوبها البسيط.

وفي لوح آخر جاء من عهد الملك سنحاريب ينظر شكل (٢٥) صور فيه امرأة أسيرة من مدينة لاختيش اليهودية (في فلسطين)^(٣٤)، تظهر فيه مرتدية رداء طويل ذو أكمام قصيرة وفوقها عباءة غطت بها رأسها وجسدها وهي خالية من الزخارف.

على الرغم من أن القوانين الآشورية الوسيطة قد أفردت مادتين للحجاب وفصلت في أحدهما مما كان ينبغي بيان شكل الحجاب وطريقة ارتدائه من قبل النساء الآشوريات، وعلى الرغم من قلة المعلومات للإشارة عن ذلك ومعرفة ما اذا كان المقصود بالحجاب هو العباءة التي تغطي الجسم بكامله مع الراس، أم كان يقتصر على غطاء الرأس والوجه فقط^(٣٥)، وقد تضاربت بهذا الشأن آراء الباحثين فهناك من يجعل الاحتمال الأول الأكثر قبولاً وترجيحاً في شكل الحجاب وطريقة ارتدائه، بينما تبين لنا من خلال البقايا الفنية بان شكل الحجاب على الأرجح كان يغطي الرأس والوجه فقط، بينما الغطاء الذي يغطي الجسم بكامله هو عباءة.

ومن ابرز النماذج الفنية لشكل الحجاب في المنحوتات الآشورية شكل (٢٦) صور فيه امرأة أسيرة من عهد الملك سرجون الثاني^(٣٦) إذ تظهر مرتدية حجاب يغطي الرأس ومحيط الوجه والرقبة، ويتدلى

جزء منه خلف الأكتاف ليصل إلى منتصف الظهر، وترتدي رداء طويل زينته بشرايب وهو ذو أكمام قصيرة وفوقه شال يغطي الكتف والظهر وقد زينته حافته بشرايب أيضا.

القبعات

من اغطية الراس الاخرى القبعات والتي تختلف في مفهومها عن التيجان فتلك مخصصة لأصحاب السلطة والملوكية ، اما القبعات فقد خصصت لأشخاص عدة و لمختلف الطبقات في المجتمع و قد كان اول ظهور للقبعات من عصر فجر السلالات فمن ابرز النماذج الفنية المؤرخة لهذا العصر منها ما جاء من مدينة ماري تمثل مجموعه رؤوس لتمائيل نسائية يرتدن اغطية راس "قبعات" ^(٣٧) ، كروية الشكل او ما تعرف "بالقبة المقببة" و هي ذو ارتفاع قليل نسبيا و بعرض واسع ، و لها حافة سميقة تلامس الجبين ، و القبعة خالية من النقوش و الزخارف ينظر الشكل (٢٧) من النماذج ايضا تمثال لامرأة من مدينة ماري ^(٣٨) ' ينظر الشكل (٢٨) اذ تظهر واقفة و هي في حالة تعبد ^(٣٩) ، معتمرة فوق راسها قبعه عالية اسطوانية الشكل تتسع عند القمة و هي خالية من النقوش و الزخارف ، و لها حافة عريضة و سميقة تلامس الجبين ، و هناك نموذج اخر مشابهة لها من ماري ، اذ تظهر امرأة واقفة ^(٤٠) و هي في حالة تعبد ايضا ، تظهر واضحة فوق راسها قبعه عالية اسطوانية الشكل مع بروز و ميلان عند القمة في اعلى الغطاء ينظر شكل (٢٩) .

و هناك نموذج اخر لراس تمثال لامرأة من مدينة ماري ايضا ، تظهر واضحة فوق راسها غطاء راس فريد من نوعه وهو عبارة عن قبعه اسطوانية ^(٤١) ، ذات حافة سفلى قرصية مثقوبة من الجانبين بثقب دائري ربما لتميرير شيء ما فيها كالحبل او خيط رفيع لتعليقها حول الرقبة للتثبيت (كما هو حال القبعات في وقتنا الحاضر) و يعلوها شكل اسطواني مرتفع صغير الحجم ، لم يتبقى منه الا القليل بسبب الكسر ينظر الشكل (٣٠).

يتبين مما سبق ان تلك الاغطية الخاصة بالراس و الفريدة من نوعها للتمائيل النسائية قد تكون اشارة بكونهن الهات او كاهنات و حتى ملكات ^(٤٢) ، لكن الادلة شحيحة لاي من هذه التفسيرات ^(٤٣) .

اما القبعات في العصر الاكدي فامتازت بكونها صغيرة الحجم وبارتفاع قليل نسبيا وقد عملت بشكل "مشابه لشكل السلحفاة" ومنها ما صور على ختم اسطواني يظهر فيه متعبد جالس ^(٤٤) ، معتمرا فوق راسه قبعه صغيرة ذات شكل سلحفاة ذات حافة مسطحة و مائلة قليلا نحو الخارج ، و القمه محدبة وهي خالية من النقوش و الزخارف، ينظر شكل (٣١).

و من العصر البابلي القديم فقد صور على لوح فخاري مستطيل الشكل امرأة عارية ^(٤٥) ، واقفه بشكل مواجه امامي و هي في حالة تعبد حيث تظهر اليدان مشبوكتان تحت الصدر ، يعلو راسها قبعه كروية

الشكل محززة بحزوز عمودية ، ولها حافة عريضة و سميكة ، صف شعرها على جانبي الوجه بشكل خصلتين حلزونيتين، ينظر الشكل (٣٢).

هناك لوح فخاري من العصر نفسه من موقع حوض حميرين مشابه له و هو عبارة عن لوح فخاري مستطيل الشكل صور فيه امرأة عارية واقفه بشكل مواجه امامي^(٤٦) ، تضع فوق راسها قبعة اسطوانية الشكل مرتفعة تتسع عند القمة ، والقبعه محززة بحزوز عمودية مشكلة زخرفة على شكل مستطيلات اشبه بالطلعات و الدخلات " التي كانت تزين واجهات المباني لاسيما المعابد في بلاد الرافدين"^(٤٧) ، يفصل بين حافة القبعة و القسم العلوي منها حقل زخرفي يتمثل بخطوط حلزونية ، اما الحافة فهي عريضة و سميكة عملت بشكل مقوس تلامس الجبين ، ويتدلى شعرها على جانبي الوجه بشكل حلزوني ينظر الشكل (٣٣) .

و صور في ختم اسطواني في العصر البابلي الوسيط (الكاشي) متعبد^(٤٨) . واقف بشكل جانبي فوق راسه قبعة صغيرة سلحفاتيه الشكل ذات حافه مسطحة تميل وتبرز للخارج قليلا ينظر الشكل (٣٤).

وهناك نموذج اخر لقبعه مشابهة صورت على ختم اسطواني من العصر نفسه يظهر فيه متعبد وامامه رجلا واقفا ممسكا بقوسه^(٤٩).

يعتمر المتعبد قبعة صغيرة الحجم سلحفاتية الشكل^(٥٠) ، ذات بروز عند الحواف للخارج^(٥١)، ينظر شكل (٣٥) .

فضلا عن ذلك ظهر على ختم اسطواني من العصر نفسه تصميم لقبعه يرتديها كاهن^(٥٢) ، وهي مخروطية الشكل عريضة من الاسفل و تضيق كلما ارتفعت ، ولها قمة مدببة وبارزة وهي خالية من النقوش والزخارف ، نلاحظ بان شكلها عمل بشكل تصميم الخوذ ينظر الشكل (٣٦).

من النماذج الاخرى للقبعات في العصر البابلي الوسيط القبعة الاسطوانية التي صورت على رسم جداري^(٥٣) في احدى قاعات قصر مدينة عكركوف^(٥٤)، يظهر فيه رجل يعتمر قبعة اسطوانية الشكل اشبه بالطربوش ، ذو قمة مسطحة وبحافه تلامس الجبين ينظر الشكل (٣٧).

ظهر هذا النوع من القبعات الاسطوانية لكن شكلها اقرب للمخروطي في العصر الاشوري الحديث اذ صور رجل على منحوتة حجرية تعرف بالمعسكر الاشوري من عهد الملك اشور ناصربال الثاني^(٥٥) ، معتمرا قبعة صغيرة مخروطية الشكل ذو حجم وارتفاع قليل تميل الى الداخل كلما ترتفع و هي ذو قمة مسطحة. ينظر الشكل (٣٨).

هناك نموذج اخر للقبعة و هي قبعة طويلة مخروطية الشكل ذو ارتفاع عالي وبحافة عريضة و سمكة و بدن مخروطي تميل و تنقلص عند الحافة العليا منها ، و التي تبدو على شكل بدن و ذيل سمكة. صورت على الواح حجرية من عهد الملك سنحاريب في قوينجق ، صور فيها موسيقيين اشوريين^(٥٦) ، في حالة سير يظهر احدهم وهو يعزف على آلة معتمرا هذا النوع من القبعات ينظر الشكل (٣٩) ، وهناك قبعة اخرى مشابهة لها صورت على لوح حجري كان يزين الجناح الملكي من عهد الملك سنحاريب ايضا في قوينجق ، اذ تضمنت مشهد طقوسي صور فيه كهنة^(٥٧) ، في حالة تعبد وهم معتمرين قبعات مخروطية الشكل ذو ارتفاع عالي ، و تبدو على هيئة بدن و ذيل سمكة اذ تميل نحو الداخل ، و تنقلص عند القمة وهي ذو حافة و قمة مسطحة ، ينظر الشكل (٤٠) .

ان ظهور هذين النموذجين ربما يشير الى ان هذا النوع من غطاء الراس كان مخصصا لنوع محدد من الكهنة لاسيما ان في هذا العصر كان شائعا ارتداء الكهنة لغطاء راس بشكل سمكة كاملة اثناء تأديتهم لطقوس خاصة.

من نماذج القبعات المخروطية التي ظهرت على مسلة من تيماء من العصر البابلي الحديث^(٥٨) صور في الحقل العلوي منها رجل واقف بشكل جانبي حاملا بيده عصا طويلة ومعمترا فوق راسه قبعة مخروطية الشكل ذو ارتفاع عالي وعريضة من الاسفل و تضيق كلما ارتفعت نحو الاعلى^(٥٩) . ينظر شكل (٤١).

الهوامش:

(١) رجب عبد الجواد، المعجم العربي لاسماء الملابس، ط١، (القاهرة-٢٠٠٢)، ص ٣٢٦، بدري محمد فهد، ألعمامة، (بغداد-١٩٦٨)، ص٥.

(٢) اعتمدت العمائم من قبل الرجال اذ عرفت بأسم (الجرابية) البغدادية، وهي عبارة عن قطعة من القماش تلف حول طاقية (عرقجين) ينظر: بدرية محمد فهد، العمامة....، ص٥.

(٣) Hansen, D. "Art of The Early city states", Art of the first cities, (london-2003), p. 25, fig (11.b).

(٤) Verlag, P., and Mainz, R., Der Garten In Eden Jahrtausende kunst und kultur an euphrat und Tigris, (Ber lin_1979), p. 92, fig(34)

(٥) Gavin young, Return to the marshes life with the marsh Arabs of Iraq, (london-1977), p.58_59

(٦) Verlag, p., and Mainz, R., der Garten....., p.38, fig (8),

٣ انطوان مورنكات، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طة التكريتي، (بغداد_١٩٧٥). ص ٣٢-٣٤، شكل رقم (٦-٧-٨-١٠)

(٧) Hansen, D., Art of the Early....., p.22;

فرج بصمة جي، "مسلة صيد الاسود من الوركاء"، سومر، ج١، مج (٥)، (١٩٤٩)، ص٤٩.

(٨) Hansen, D., Art of the Early....., p23-24;

- انطوان مورتكات، الفن في العراق....، ص ٤٠
- (٩) صبحي انور رشيد، تاريخ الفن في العراق القديم، فن الاختام الاسطوانية، ج ١، (بغداد)، ص ٤٣، لوح (٢٢)
- (١٠) قرية بير حسن: تقع على بعد (٢٥ كم) الى الشمال الشرقي من ديار بكر جنوب شرق الاناضول. ينظر عادل ناجي، "النحت الاكدي"، سومر، مج (٢٤)، (١٩٦٨)، ص ٩٤.
- (١١) عادل ناجي، "النحت الاكدي...، ص ٩٤-٩٥.
- (١٢) عادل ناجي، المصدر نفسه، ص ٩٥.
- Hansen, D., "Art of the Akkadian Dynasty" Art of the First Cities, (New York-2003), p.203-204;
- انطوان مورتكات، الفن في العراق....، ص ١٧٣.
- (١٣) للمزيد عن المسئلة ينظر:
- هالة عبد الكريم، المسلات الملكية في العراق القديم دراسة تاريخية- فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، (موصل- ٢٠٠٣). ص ٧٨-٧٩:
- كرار فوزي، الملك نرام-سين (سيرته ومنجزاته)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، (بغداد- ٢٠١٧)، ص ١٤٩.
- كذلك ينظر: طارق مظلوم، "النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث" حضارة العراق، ج ٤، (بغداد- ١٩٨٥)، ص ٤٤.
- (14) Porada, E., The Collection of the Pierpont Morgan Library, vol. I, p,22, fig (166).
- (١٥) هناك من يذكر اعداد تلك الحلزونات الدائرية او " الحلقات" التي تتوزع على النحو الاتي:
- الصفوف المترتبة عمودياً على "العمامة" كان مايقارب عددها حوالي ستة صفوف، اما عدد الصفوف المترتبة افقياً حول العمامة فقد وردت حوالي تسعة عشر صفاً، وهذه الارقام ربما ثابتة نسبياً في جمع التماثيل. ينظر:
- حنان شاكر حمدان، جوديا امير سلالة لكش الثانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار، (بغداد- ٢٠٠٣)، ص ٧٠-٧١.
- (16) Evans, j. M., "Approaching the Divine: Mesopotamian Art at the End of the Third millennium B.C.", Art of the First Cities, (london-2003), p.430-431.
- (١٧) انطوان مورتكات، الفن في العراق....، ص ٢١٥.
- (١٨) زهير صاحب وحميد نفل، تاريخ الفن....، ص ١٤٢.
- (١٩) انطوان مورتكات، الفن في العراق....، ص ٢٨٢؛
- Frankfort, H., The Art and the Architecture of the Ancient Orient, (London:1970), p.118, fig (133).
- (٢٠) انطوان مورتكات، الفن في العراق....، ص ٢٦٤.
- (21) Sallberger, E., "Old Babylonian worshipper Figurines" Iraq, vol.(31), (1969), P. 92;
- اندرى بارو، سومر فنونها وحضارتها....، ص ٣٤٠؛
- انطوان مورتكات، الفن في العراق....، ص ٢٧٦.
- (٢٢) اندري بارو، سومر فنونها وحضارتها....، ص ٣٣٤؛ انطوان مورتكات، الفن في العراق....، ص ٢٣٥.
- (٢٣) اندري بارو، سومر فنونها وحضارتها....، ص ٣٣٨؛ زهير صاحب وحميد نفل، تاريخ الفن....، ص ١٦٧؛ انطوان مورتكات الفن في العراق....، ص ٢٤٣.
- (24) Porada, E., The collection of the Pierpont..., p.65, fig. (569)
- (25) Ibid, p.85, fig. (692).

(26) Porada ,E., The collection of the Pierpont..., P. 95-96, fig. (786)

(27) Ibid, P. 95-96, fig. (786).

(28) أنطون مورتكات، الفن في العراق...، ص ١٣٣، شكل (٩٥)؛ اندري بارو، سومر فنونها وحضارتها...، ص ١٧٥، لوح (١٥٤).

(29) Aruz, J., Art of The First..., P. 153, Fig. (92 ab).

(30) عبد الرحمن يونس، "التحجب في العراق القديم وأثره في الحياة العامة"، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج ٣، (الموصل-٢٠٠٦). ص ١٣؛ ايمان هاني، الحياة الاجتماعية...، ص ٧٦.

(31) المصدر نفسه، ص ١٣؛ المصدر نفسه، ص ٧٦.

(32) صورت امرأة على لوح وهي تتقدم عدد من الجمال إذ من المعتقد ان هذا اللوح هو جزء من الألواح التي تمثل انتصار جيوش الملك تجلاتبلاصر الثالث على الملكة شمسي (ملكة العرب)، لذا فربما أنها تمثل تلك الملكة شمسي ملكة العرب التي أسرت أثناء الحملات العسكرية على منطقة الجزيرة العربية واقتيدت إلى بلاد اشور كأسيرة كما ذكر ذلك الملك تجلاتبلاصر في حولياته. ينظر: عيسى سلمان، الأزياء الآشورية...، ص ١٤٠، شكل رقم (٥٧).

(33) عيسى سلمان، الأزياء الآشورية، ص ١٤٢، شكل رقم (٥٨).

(34) المصدر نفسه، ص ١٤٧، شكل رقم (٦٠).

(35) فاضل عبد الواحد وعامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، (موصل-١٩٧٩). ص ٧٦؛ عبد الرحمن يونس، التحجب في العراق...، ص ١٣.

(36) عيسى سلمان، الأزياء الآشورية...، ص ١٤٤، شكل رقم (٥٩).

(37) انطون مورتكات، الفن في العراق...، ص ١٢٧؛ اندري بارو، سومر فنونها و حضارتها ...، ص ١٧٣-١٧٥.

(2) Margueron ,j.c."Mari And the Syro – Mesopotamia World" , Art of the first cities , (London-2003) , p.153 , fig (q2.b) .

(3) Ibid , p.154 , stromenger ,E., The Art of Mesopotamia ... , Fig (109) .

(40) انطون مورتكات، الفن في العراق...، ص ١٣٤، لوح رقم (٩٧) .

(41) انطون مورتكات، الفن في العراق...، ص ١٢٩، شكل رقم (٩٠) .

(2) Margueron ,j.c."Mari And the Syro...", p.154.

(3) يذكر (margueron) بان تلك القبعات ربما تكون مرتبطة بالإلهة، لكن تمثال (Narundi) التي تؤرخ الى سلالة اور الثالثة تظهر بغطاء راس مقرن كما في عصر السلالات مما يشير الى ان هذا النوع من غطاء الراس كان مفضلا لدى الالهات المؤنثات ينظر .Ibid p .154.

(44) الازياء البابلية شكل رقم (١٩) .

(45) اندري بارو، سومر فنونها وحضارتها...، ص ٣٥٤.

(46) فيحاء مولود، الواح فخارية من مواقع حوض حمرين من العصر البابلي القديم (دراسة فنية-حضارية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، (بغداد-٢٠٠٦).، شكل رقم (P٤٦).

(47) المصدر نفسه، شكل رقم (P٤٦).

(48) الازياء البابلية، شكل رقم (٣٢)؛

porada , E., The Collection of The Pierpont Morgan Library ,(u.s.a-1947) ,p65,pL.(LxxIx), fig (576).

(1) الازياء البابلية شكل رقم (٣٣)؛

Porada , E , the collection ofp.65, Fig (574),pL.(LxxIx) .

(٢) وهناك قبعات اخرى مشابهة لها صورت على اختام اسطوانية من العصر البابلي الوسيط لمتعبدين مرتدين القبعات ذاتها ينظر :

الازياء البابلية ، شكل رقم (٣٤)؛

Porada , E , the collection of ...,fig (570,571).

(3) Ibid p.65 , fig (574) ;

المصدر نفسه شكل رقم (٣٥)

(4) Ibid , p.66, . pL (LxxxI)fig (588) .

(٣) كان يزين جدار احدى القاعات الكبيرة في احد قصور مدينة كوريكالزو (عقروك حاليا) اذ يمثل الرسم صفا من الرجال ربما من الموظفين او مسؤولين في الدولة" يدخلون القصر ويخرجون منه ، وقد خطت اشكالهم باللون الاسود لتلون شعر الراس والذقن بينما الاجسام لونت باللون الأحمر ، ينظر :- انطون مورتكارت ، الفن في العراق...، ص ٣٠٣ ; لمياء محمد ، بلاد بابل (كاردونيائس) في العهد الكشي (سلالة بابل الثالثة) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الآثار ، (بغداد-٢٠٠٤) ، ص ٩٣.

(٤) انطون مورتكارت ، الفن في العراق...، ص ٣٠٣ ; ثروت عكاشة، تاريخ الفن العراقي سومر و بابل و اشور، (بيروت) ، ص ٣٨٧ ; زهير صاحب و حميد نفل ، تاريخ الفن...، ص ١٨٠-١٨١.

(1)Gadd, C.J.,The Stones ..., pL.22 ;Black , J .,And green , A.,Gods , Demons ... ,P.151,PL.(123).

(2)Madhloom , T.A , The Chronology... ,P.71 , P.81.

(3)Ibid , PL. (xI.1).

(٥٨) وهي عبارة عن مسلة مستطيلة الشكل ذات قمه محدبة ، وقد ضم الوجه الامامي منها نقشا كتابيا بالخط الارامي بينما ضم الوجه الاخر حقلين تصويرين يمثلان مشاهد نحتية نفذت بالنحت البارز يفصل بينهما شريط بارز . ينظر :- صبحي انور رشيد ، "دراسة تحليلية للتأثير البابلي في اثار تيماء" ، سومر مج (٢٩) ، (بغداد-١٩٧٣) ، ص ١٢٩ ; هاله عبدالكريم ، المسلات الملكية... ، ٢٣٩-٢٤٠.

(٥٩) تضاربت الاراء حول الشخصية المصورة على المسلة فبعضهم ذكر انه اله الا ان ذلك يخالف تماماً اسلوب تمثيل الالهة في المنحوتات اذ لم يظهر الشخص مرتديا التاج المقرن والملابس ذات الطيات الخاصة بالالهة ، اذ وضع على راسه قبعة مخروطية الشكل بدل التاج المقرن الذي تضعه الالهة عادة ، وثوبه عادي لا يشبه الثياب التي ترتديها الالهة ، لذلك ان الشخصية المصورة على المسلة لاتمثل الها ربما ملكا ، وان تصميم القبعة المخروطية لا يمكن ان تكون اشورية فهناك من يذكر بان زيه يعود الى العصور الاشورية ، لذا فان القبعة المخروطية التي يضعها الملك فوق راسه في هذه المسلة يؤكد استخدامها و شيوعتها في الاستعمال من قبل البابليين في العصر البابلي الحديث و هذا ما يمكن ملاحظته عند مشاهدة الاعمال الفنية العائدة لهذا العصر حيث شاع فيه هذا النوع من القبعات المخروطية الشكل ينظر :- المصدر نفسه ، ص ١٢٦ _ ١٢٨ ; المصدر نفسه ، ص ٢٣٧.

البساتين والادب (الاساطير انموذجاً)

زينب فاضل علي

zainbfadel885@gmail.com

أ.د. سعد سلمان فهد

saadsalman.coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الآثار

البساتين والادب (الاساطير نموذجا)

زينب فاضل علي

أ.د. سعد سلمان فهد

الملخص

يعد الادب واحد من اهم المظاهر الحضارية في بلاد الرافدين، وتأتي اهميته من خلال الجوانب المتعدد له والمضامين المتنوعة التي تناولها والتي ابرز فيها الاديب في حضارة بلاد الرافدين نتاجات رائعة عكست رقي في الفكر والمعتقد، ومن خلال النتاجات المتنوعة لأدب بلاد الرافدين نجده في احيان معينة يلتزم بواقعية الاشياء وامكانية حدوثها اما الشق الاخر منه فقد انطلق به اديب بلاد الرافدين الى سماء الخيال ليعكس لنا تصور وبعد فكري لهذا الاديب، وعلى الرغم من ان الشق الثاني من هذا الادب يأتي في اطار مدلولات خيالية بعيدة عن الواقع الا ان المتلقي لهذا الادب تعامل معه بواقعية وشمولية ليتاثر بهذا النتاج الادبي الذي يسمو لغايات دينية واجتماعية بحتة.

اقترن ادب بلاد الرافدين بالعديد من مفاصل الحياة اليومية ولم يخرج عن هذا الاطار الزراعة بمفهومها الشامل وما يرتبط منها من جزئيات عديدة يأتي في مقدمتها البساتين التي وردت في جوانبه المتعددة ومنها الاساطير والملاحم والحكم والمناظرات وغيرها من الجوانب الابدئية.

الكلمات الافتتاحية: البساتين ، الادب ، الاساطير ، بلاد الرافدين، البستاني، الهة الانوناكي، النماء الزراعي، التنقيبات الاثرية

Abstract:

Orchards and literature (legends as a sample)

Literature is one of the most important manifestations of civilization in Mesopotamia, and its importance comes from the multiple aspects of it and the various contents that it dealt with, in which the writer of Mesopotamia civilization highlighted wonderful products that reflected the advancement of thought and belief. The realism of things and the possibility of their occurrence. As for the other part of it, the Mesopotamian writer went to the sky of imagination to reflect upon us a perception and an intellectual dimension of this

writer, and although the second part of this literature comes within the framework of imaginary connotations far from reality, the recipient of this literature dealt with it realistically and comprehensively. To be affected by this literary product, which transcends purely religious and social purposes. The literature of Mesopotamia was associated with many aspects of daily life, and agriculture in its comprehensive concept and the many related particles that came in the forefront of which came in its many aspects, including myths, epics, governance, debates and other literary aspects.

Keyword: Orchards. Literature, legends, Mesopotamia, gardener, annunakki gods, agriculture, growth, archaeological, excavation

الاساطير:

تعد الاساطير واحدة من اهم المظاهر الفكرية الدينية في حضارة بلاد الرافدين* (مسلان، ٢٠٠٩، ص ٢٧٣) (الحيالي، ٢٠١٦، ص ٤-٥) (البياتي، ٢٠٠٤، ص ١-١٥)، وهي تعكس لنا مدى الإبداع الفكري الذي يجول في عقول وفكر الاديب في هذه الحضارة. لقد تنوعت الاساطير في بلاد الرافدين وضمت مواضيعاً متعددة حملت في طياتها العامة جوانب متعددة في حياة سكان بلاد الرافدين، والمتتبع لهذا الاساطير يجد أنها في مضامينها العامة تحمل أهدافاً دينية ودنيوية، ولم تقتصر الاساطير على آله واحد وإنما ارتبطت بإلهة متعددة وقد تصدرت الإلهة عشتار الإلهة الإناث في ورودها في اساطير حضارة بلاد الرافدين. أن الاسطورة كمنحى ادبي تعالج في مضامينها في احيان كثيرة مواضيع شتى أي أنها تحوي على عدة افكار منتظمة في ذات الاسطورة بيد أنها في مجمل إطارها العام تحوي على موضوع رئيسي ومواضيع فرعية أخرى (سيديا، ١٩٩٥، ص ٧٥)، وهذه الخاصية نجدها متجسدة بشكل واضح في اسطورة اينانا والبستاني الذي عرف باسم شوكاليتودا (Sefati, 1998,p.86).

١- اسطورة انكي وتنظيم الكون:

من الاساطير التي خلفها لنا ادب بلاد الرافدين هي اسطورة انكي وتنظيم الكون، وتعد من اطول الاساطير السومرية نظماً إذ حوت على ما يقارب ٤٦٦ سطراً (الجنابي، ٢٠٠٧، ص

* الاسطورة من الناحية الاصطلاحية هي مجموعة من المكونات الثقافية الجوهرية لأي حضارة انسانية فهي ليست ضرباً من الخيال الممزوج بالحقيقة فحسب وإنما هي تاليف قائم بذاته يلجأ إليها الانسان لتعنيه على كشف حقيقه معينة او وضعها ليجيب على تساؤلات تتعلق بالظواهر الكونية او مشاكل الخلق.

ص ٣٤-٣٦)، بداية هذه الأسطورة يشوبها التلف مما جعل الباحثين الدارسين لها في موقف صعب إزاء ترجمتها لرداءة العلامات المسمارية والكسور التي تعثرها، وعلى ما يبدو من خلال ما تبقى منها تشير المقدمة إلى ترتيبية تمجيد للإله أنكي، ثم تتبع ذلك الفقرة الخاصة بتمجيد الذات الإلهية التي تنطق على لسان الإله أنكي وجل ما تحويه هذه الفقرة هي العلاقة المتبادلة ما بين الإله أنكي وبقيه الإلهة الرئيسية ومنهم أنو وأنليل والإلهة ننتو، وكذلك العلاقة بما يعرف بالإلهة الأنوناكي anunnakkū* ، (Black & Green, 1992, P. 34) (Telling, 2012, P.53) وبعد ان يبدأ الاله انكي في الاسطورة بتمجيد نفسه وقوة كلمته (أمره) في نشر الخير والرخاء على الأرض يصف روعة وجمال معبد الابزو وكذلك تلك الرحلة التي قام بها على قارب الماكور ma₂-gur₇ والذي سماه بوعل الابزو والتي ارست بعدها بلاد مكان (عمان) و دلمون (البحرين) وملوخا (على الأرجح الهند) سفنها المثقلة بالهدايا إلى مدينة نفر إرضاءً وتوسلاً للإله أنليل، ومن بعد ذلك تعرج الاسطورة إلى خضوع إلهة الانوناكي للإله أنكي وابداء الطاعة له سيما وأنه يمتلك نواميس me (نواميس الإلهة ومقدراتها). ثم تعرج هذه الاسطورة إلى ذكر أهم الطقوس والشعائر التي كانت تؤدي من قبل الكهنة والتقاة في معبد الابزو الذي كرس لعبادة الإله أنكي(الجنابي) ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٤-٣٥)، ثم يصيب النص تهشماً يجعل من معرفة محتواه صعباً، ومن ثم يعرج النص إلى ذكر الإله أنكي مرة أخرى في قاربه وهذه المرة تقدم مخلوقات البحر الطاعة والولاء له ويعم وينتشر الخير في الكون ويصبح الإله أنكي مستعداً في تقدير المصائر مبتدئاً ببلاد سومر نفسها فرجع من شأنها كما تذكر ذلك الاسطورة(كريم، ١٩٧٣، ص ٢٣٣-٢٣٤) (علي، ٢٠٠٠، ص ٩٢-٩٣).

(...يا سومر ! ايها البلد العظيم، يا اعظم بلد في العالم

لقد غمرتك الاضواء المستديمة، والناس من مشرق الشمس الى مغربها، هم طوع شرائعك المقدسة.

ان شرائعك سامية لا يمكن ادراكها

وقلبك عميق لا يمكن سبر اغواره

* الأنوناكي من الالهة السومرية ، استعمل مصطلح الانوناكي للإشارة الى الالهة بشكل عام في بداية العصور السومرية المبكرة سيما تلك الالهة التي ولدت اولاً او نشأت في البداية، وفي مدينة اريدو كان هناك خمسون الالهة من الالهة الأنوناكي، ووصف الاله انو بانه ملك الأنوناكي، وفيما بعد وخاصة في العصر البابلي الوسيط عدت هذه الالهة بانها الالهة الارض لتمييزها عن الايكيكي igigū التي هي الالهة السماء.

ان المعرفة الصحيحة التي تأتي بها... كالسما لا يمكن ان تمس
الملك الذي تلده يزين نفسه بالحلي الدائمة.
الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس
ربك هو رب معظم، مع (آن) يجلس في المكان المقدس في السماء
الملك هو الجبل العظيم، هو الاب (أنليل)
وهو مثل... اب البلدان جميعها
الانوناكي، الآلهة العظام
في وسطك اتخذوا محل سكناهم
في بستانك الكبير، يأكون طعامهم...

ومن خلال هذه الأبيات نجد التعظيم لشأن بلاد سومر واضحاً في ثناياها فهي البلاد التي
تزرع بالشرائع والتي يخضع لها الناس (أي سيادة العدالة في البلاد) وهي البلاد التي يستضاء
بنورها والبلاد ذات المعرفة الحاذقة والكبيرة والتي تزرع بالعطاء الإلهي والديني وقد وهب لها
مقومات دينية بارزة تجلت ببهاء وسمو ورقى الإلهة بها، أما فيما يتعلق بالبساتين فقد أوردت لنا
الاسطورة معلومة مهمة حول البساتين مفادها أن هذه البلاد تنعم بالبساتين الكبيرة وأن هذه
البساتين بنحو أو بأخر خصص البعض منها للإلهة لتكون مرتعاً ومكان لهم يتمتعون فيها بقضاء
الأوقات الممتعة وكذلك مكاناً مفضلاً لتناول الطعام من ثمارها.
ثم نجد تلك الدعوات المستفيضة لهذه البلاد بأن يعم فيها الرخاء الاقتصادي وتكون قبلة للإلهة
وتحديد مصائر البشرية منها (كريمـر، ١٩٥٦، ص ١٧٩-١٨٠)
(Benite, 1969, P. 117-137).

(...إيه يا دار سومر! عسى ان تكثر اسطبلاتك! عسى ان تكثر ابقارك عسى ان تزداد زرائبك!
عسى ان تكثر اغنامك، بحيث لا يمكن ان تعد ولا تحصى!
عسى ان ...يجلس

عسى ان ... الراسخ يرفع يده الى السماء

عسى ان تقدر الانوناكي المصائر في وسطك...

٢- اسطورة انكي ونخرساك:

دونت هذه الاسطورة على لوح مؤلف من ستة حقول بواقع ثلثمائة سطر وهو محفوظ في
متحف بنسلفانيا (Eidem, 1991, p. 41) (Leick, 1991, p. 41) (Kramer, 1945, pp.1-40)

(1993,pp.441-448)، ابطال هذه الاسطورة كل من الإله انكي ونخرساك وتدور احداث هذه الاسطورة في ارض دلمون (البحرين) التي كانت لها صلات تجارية واقتصادية مع حضارة بلاد الرافدين. (Nejat 1998, p. 183) (باقر، ١٩٧٦، ص ٨٨)، وتشير هذه الاسطورة أن هذه البلاد كانت من البلدان المقفرة ذات طبيعة صحراوية والتي لا تتمتع بأي مقومات اقتصادية وزراعية ويفضل الإله أنكي الذي امدها بالعصب الرئيسي للحياة وهي المياه أصبحت تتمتع بالمياه الغزيرة العذبة وبالتالي فإن هذه المدينة احييت إلى مدينة تتمتع بخيرات وفيرة وهي بلد بحسب الاسطورة الصفاء والطهارة ورغد العيش أرض لا موت ولا مرض ولا شر فيها، كما أن هذه الاسطورة تشير إلى أن أرض دلمون تمتعت بفضل الإله أنكي بالبساتين الكبيرة والزروع والحقول الجيدة، ومما يلاحظ في هذه الاسطورة وبقية الاساطير حينما يتم العروج وذكر البساتين فان ذلك يعكس افكارهم بارتباط هذا النوع من المزروعات بمؤشرات جيدة للحالة الاقتصادية للبلدان وكذلك مؤشراً مهماً للاستقرار الاقتصادي والديني سيما وأن الإلهة تتخذ منها مكاناً تشعر بقضاء اوقات الراحة وتناول طيب المأكّل فيها، ونقرأ من الاسطورة الاتي (Alster, 2007,p.1ff) (Dickson, 2007,pp.18-20):

(...حينما ملا(الاله انكي) الارض بالماء،هو ملا السدود بالماء،ملا الاراضي بالماء، ملا القنوات بالماء،(ففرج) البستاني ومن فرحته سعد على التربه واحتضنه (قائلاً)من انت الذي اعدت الحياة الى البستان...)

ومن خلال النص اعلاه نجد ان الاله انكي المرابط بتوفير المياه في القنوات والانهار كان له الفضل الرئيس في نمو وازدهار البساتين بعد ان كانت خاوية بسبب قلة المياه، ان احتضان البستاني للمتسبب بإعادة الحياة للبساتين(الاله انكي) ما هي الى انعكاس لصورة مجتمعية اراد الكاتب ايصالها للمتلقي بما ينسجم مع الحدث فاحتضان الانسان للاخر يعد تعبيراً عن الاعتزاز والمحبة والاحترام.

وقد ورد في الاسطورة مقومات للمدينة الجيدة التي تعكس طبيعة الحياة اليومية التي ينشدها البشر حيث لا مرض ولا اضرار بالمزروعات والحيوانات وحتى الشيخوخة لا تكون ذات طابع سلبي وهذه الصفات والمقومات الجيدة اغدقتها الاسطورة على مدينة دلمون(ساكر، ١٩٧٩، ص ٤٧٢) (باقر، ١٩٧٦، ص ٨٨) (موسى، ١٩٩٦، ص ٩٩)،اذ نقرأ:

(...دلمون ارض طاهرة، دلمون ارض نظيفة

الاسد لا يفترس والذئب لا يمس الحمل

الطيور التي تلتهم الحبوب غير معروفة.

ليس هناك امرأة مسنة تقول انا امرأة مسنة

وليس هناك رجل مسن يقول انا رجل مسن

والكلب قاتل الجداء غير معروف هناك

والارمد لا يقول اني ارمد، ومن به صداع لا يشكو من الصداع...

بيد أن هذه المدينة كان ينقصها الماء العذب لذا وبناء على طلب من الإله الرئيس لمدينة

دلمون نن-سيكيل* (Espak, nin-sikil) (Black.,1992,P.66 and p.123)

(Jordan,2004,p.223) (2006,p.166) إلى الإله أنكي بأن يمد هذه المدينة بعنصر الحياة

وهو الماء الأمر الذي لباه الاله انكي واصبحت هذه المدينة تتمتع بمقومات الحياة الجيدة(كريم،

١٩٥٦، ص ٢٤١) ومنها النماء الزراعي الذي شمل البساتين.

٣- اسطورة إنكي والرحلة من اريدو الى نفر:

تعد مدينة اريدو واحدة من أهم المدن السومرية في حضارة بلاد الرافدين (Green,

1975,p.14ff)، تقع اطلالها فيما يعرف بتل أبو شهرين ويعود تاريخها إلى عصور ما قبل

التاريخ وقد نقتبت بشكل واسع من قبل البعثات التنقيبية وافرزت هذه التنقيبات الأثرية عن معلومات

مهمة وكثيرة حول حضارة هذه المدينة بشكل خاص والحضارة السومرية بشكل عام وتعلقت

بمفردات ومفاصل عديدة من الحياة اليومية لسكان بلاد الرافدين (Safar, and Others,

1981)، وطبقاً للمآثر السومرية فإن أريدو تعد من أولى المدن السومرية وهي من المدن الخمس

التي وجدت ما قبل الطوفان (Langdon, 1923,p.8).

ان اسطورة انكي والرحلة من اريدو الى نفر هي احدى الأساطير المهمة في حضارة بلاد

الرافدين والتي من خلالها نستشف العديد من الأمور التي تتعلق بأدب رحلات الإلهة أن صح

التعبير، فهذه الاسطورة تعرج على مدينة أريدو التي كانت تقع بحسب فكرهم في الأزمنة القديمة

متاخمة للخليج العربي إذ بنى في هذه الرقعة الجغرافية الإله أنكي بيته البحري وكسى الأرض

بغطاء مخضر من النباتات والاعشاب، ولإضفاء الهيبة والسمو والرفعة ذكرت الاسطورة أن بيته

قد بني من الفضة وحجر اللازورد، ومن ثم تعرج الاسطورة على عملية خلق المخلوقات الذكية في

المياه العميقة، تلك الكائنات التي وقفت جميعها حول سيدهم نوديمود nudimmud* (Black,

* الالهة نن-سيكيل هي الالهة الرئيسية لمدينة دلمون يعني اسمها الملكة (السيدة)النقية

* نوديمود هو احدى تسميات الاله انكي

(Vanstiphout, 1994, pp. 135-145); (p. 75, 1992)، ثم تعرج هذه الاسطورة على ذكر رسول الإله أنكي المدعو ايسمو وتأديته إلى صلاة خاصة بالإله أنكي و قيام الإله أنكي برفع مدينة اريدو من الماء وجعلها شامخة عالية كالجبل وهي إشارة واضحة أيضاً إلى انبثاق هذه المدينة من المياه التي يعتقد سكان بلاد الرافدين القدماء بقديستها وارتباطها بالحكمة وبالإله أنكي وبعبارة أخرى يريد الكاتب ايصال فكرة انبثاق هذه المدينة من رحم المياه المقدسة ،وبعد انبثاق هذه المدينة قام الإلهة أنكي بدوره الحيوي الكبير في عملية الزراعة والنماء الزراعي ومن خلال الاسطورة وارتباطها بهذا الجانب وخاصة فيما يتعلق بالبساتين أنشأ الإله أنكي البساتين في هذه المدينة جاعلاً إياها مليئة بالثمار المزهرة والطيور المتنوعة ومائلاً قنواتها بالاسماك المتنوعة أي بمعنى آخر اغدق الوفرة والرخاء لهذه المدينة فنثار البساتين وزروعها وتنوع الطيور والاسماك كلها تعد من المصادر المهمة في غذاء سكان بلاد الرافدين.

وعلى الرغم من ارتباط مدينة أريدو بالمياه المقدسة وبحسب الاسطورة ودور الإله أنكي في انبثاقها إلى أن اتخاذ الإله أنكي قارباً له محاولاً السفر الى مدينة نفر حيث مقر الإله أنليل وطلبه من هذا الإله مباركة هذه المدينة ما هو إلا أضعاف مزيداً من القدسية الدينية حول هذه المدينة وارتباطها بإلهين رئيسيين في حضارة بلاد الرافدين وهما الإله أنكي والإله أنليل (فالكشتاين، ١٩٥١، ص ص ١٨٥-١٨٧)، ومن ثم تقديم الإله أنكي الأنواع المتنوعة من الخمر للإله أنليل وابتهاج الإله أنليل وبقية الإلهة بهذه الهدايا ما هو إلا انعكاس في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين مما تقدمه هذه الخمر من بواعث نفسية مريحة تنعكس على استرخاء العقل والجسم وتضيف له أجواء من الانعاش والرغبة الايجابية في التعامل مع الآخرين وبالتالي فإن الإله أنليل يبارك لانباق هذه المدينة التي اتسمت بتنوع حقولها ونماء وازدهار بساتينها وتنوع ثمارها (الجنابي، ١٩٥٧، ص ص ٨٥-٨٦) (علي، ٢٠٠٠، ص ص ٩٦-٩٧)، كما اشارت الى ذلك الاسطورة وكالاتي: (Al- Fouadi , 1969, pp. 49-51) (Espak, P, 1969, pp. 16-17)

(...بعد ان قدر مصير ماء الخليفة

وبعد ان ولد الاسم (خيكال) (الوفرة) في السماء

وكسى الارض بغطاء من النباتات والاعشاب (ومنها البساتين)

سيد المياه التي لا يسبر غورها، الملك (إنكي)

(إنكي) السيد الذي يقدر المصائر

بنى داره من الفضة وحجر اللازورد

ان فضة الدار وحجرها اللازوردي هي كالضوء المتألق.
الاب احكم بناءها في المياه التي لا يسبر غورها.
(المخلوقات) الذكية الحكيمة خلقت في المياه التي لا يسبر غورها
وقفوا جميعهم حول السيد (نوديمود)
الدار الطاهرة التي بناها، زينها بحجر اللازورد، ملاًها بالذهب الوفير
في (اريدو) بنى دار شاطي الماء
الاجر فيها يلفظ الكلمات، ويسدى النصح
ان..... يشبه خوار الثور
ان دار (إنكي) تنطق بوحى من الرب...).

ومن خلال هذه المقاطع اشارة إلى عملية الخلق ومن ثم الاستقرار في المعبد فخلق الماء ثم اكساء الأرض بالنباتات والاعشاب وخلق المخلوقات الذكية في المياه ومن ثم بناء معبده الذي وصفه بانه دار شاطي الماء والذي زين بحسب الاسطورة بالفضة واحجار اللازورد لاضفاء السمو والعظمة والرفعة له.

وفي إشارة إلى ذكر البساتين في هذه الاسطورة نجد أن هذه الاسطورة قد عرجت إلى ذكر بساتين مدينة اريدو الخضراء والتي تتمتع بوفرة الثمار وتنوعها والمملوءة بالطيور وانواع الاسماك التي تعيش في القنوات التي تروبوها(الجنابي، ٢٠٠٧، ص ص ٤٧-٥٢)، ان هذه الوفرة وهذا التنوع في الثمار يعكس لنا الجوانب الايجابية المتعلقة بالحالة الاقتصادية والسياسية لهذه المدينة.
٤- اسطورة اينانا والبستاني:

كان هناك فلاح اسمه شوكالتودا بحسب رواية الاسطورة وكان يعاني من صعوبات شتى في عملية الزراعة نتيجة لارتفاع درجات الحرارة والرياح العاصفة، ومن بعد ذلك استطاع من خلال دأبه في تعلم طالع النجوم والبحث في قرارات الإلهة من أن يجد السبل الناجحة في التخلص من الصعوبات التي كانت تواجهه في عملية الزراعة وفي عملية وفرة المحاصيل الزراعية وبذلك حافظ على زراعته من النقصان أو الفشل(جمعة ، ٢٠١١، ص ١٣٣).

اعتقد سكان بلاد الرافدين بان الإلهة هي التي خلقت الإنسان وهي التي أوجدت مفردات الحياة ومنها الزراعة وهي مطلعة ومسؤولة عن كل ذلك، وقد اشارت الاسطورة إلى عملية البستنة التي يتبعها البستاني وذلك بغرس النباتات تحت ظل الاشجار لكي تحميها من حرارة الشمس القوية

والرياح العاصفة وهي واحدة من الطرق التي مارسها المزارعون القدماء في حضارة بلاد الرافدين منذ آلاف السنين وحتى الوقت الحاضر (كريم، ١٩٥٦، ص ١٤٤).

خلاصة هذه الاسطورة إلى أن الإلهة اينانا قد قررت الهبوط إلى الأرض لتحقيق غايات وأهداف تتعلق بالبشرية وأن الإله انكي توجه إلى طائر الغراب الذي يقوم بعمل البستاني وكأنه رجل وقد طلب منه اتباع عملية زراعية أثمرت في النتيجة إلى خلق شجرة النخلة (أو الشجرة المقدسة) (الجبوري، ٢٠١٤، ص ٥٦)، وهذه الشجرة تتميز بأن لها ظلًا يبقى شاخصاً من مطلع الشمس إلى مغربها ونتيجة لذلك استطاع من خلال هذه التجربة الناجحة في فنون البستنة في أن يزدهر بستانه من أنواع متعددة من الثمار وكسي بستان بالنباتات الخضراء المزدهرة (باقر، ١٩٥١، ص ٣٧-٣٨) (Kramer , 1949 , P. 402) .

ان هذا البستاني الذي يدعى شوكلتودا كان عارفاً بأمور البستنة وفي احد البساتين حطت اينانا لكي ترتاح عن عناء السفر ونامت فراءها البستاني في حافة البستان وقام بمضاجعتها وعند استيقاظها فتشت ولم تعرف مغتصبها فأخذت بالانتقام واحداث الدمار في البلاد، اما البستاني فقد اتبع نصيحة الإله أنكي بأن يقصد نوي الرؤوس السود وأن يلازم الأماكن والمواطن التي فيها سكنى أي بمعنى آخر أن يختفي بين الناس في المدن والقرى فيصعب بذلك على الإلهة اينانا في أن تعثر عليه. وبالفعل فقد عمل شوكلتودا بالنصيحة ولهذا لم تستطع أن تعثر عليه الإلهة اينانا. ثم قامت الإلهة اينانا باتباع طريقة ضغط اخرى للظفر بشوكلتودا بأن سلطت الرياح والعواصف المدمرة على البلاد مما سببت أضراراً مادية جسيمة فاقتلعت الاشجار والبيوت على حد سواء وعاد شوكلتودا مرة أخرى كي يطلب النصح لاستنقاذه والبلاد مما حل فيهما واخبر بالنصيحة نفسها بان يبقى مختبئاً بين السكان وهكذا مرة أخرى لم تستطع الإلهة اينانا من ايجاده (كريم، ١٩٥٦، ص ١٤٥)، فعمدت مرة ثالثة انزال بلاء آخر لم يتم التعرف عليه بسبب الكسر الذي يشوب النص ، وتساهم الإلهة اينانا الإله انكي في ان يسلم لها البستاني دون أن تلحقه بأي إذى وهكذا تأخذه معه إلى السماء ليتحول إلى نجم في السماء ويبقى اسمه متداولاً بين الشعراء (الشواف، ١٩٦١، ص ٨٦-١٠٠). ونورد موجزاً عن هذه الاسطورة (كريم، ١٩٥٦، ص ١٤٧) (البياتي، ٢٠٠٤، ص ص ٦١-٦٢):

(...اقتربت البغي المقدسة (انانا) الى البستان، من اثر وعناء السفر، وغطت في النوم

فراها (شوكلتودا) من حافة بستانه...

ضاجعها وقبلها وعاد الى حافة بستانه..

طلع الفجر واشرقت الشمس،

فنظرت المرأة حولها جزعة،

نظرت (انانا) حولها وجلة فزعة،

فتأمل! ...

لقد ملأت جميع آبار البلاد بالدم،

فأمثلات جميع الأحراش والبساتين في البلاد بالدماء

لقد صار العبيد حين يذهبون للاحتطاب لا يشربون إلا الدم،....).

ومما نلاحظه من خلال النص واستقرار المعلومات المهمة منه ان البساتين كانت تمثل أيضا مكانا لراحة المسافرين وعابري السبل لقضاء وقتاً معيناً سواء اكان نوماً أو يقظيه لراحة الجسم من عناء السفر وجهده، كما أن البساتين ممكن أن تشكل مكاناً مخفياً لإقامة العلاقات الحميمة سواء اكانت هذه العلاقات بين البشر أو حتى بين البشر والإلهة ويبدو ان الإلهة في هذه الاسطورة لم تكن تعلم بهذه العلاقة إلا بعدما استيقظت وجلة فزعة من حقيقة ما حدث لها وبالتالي كانت ردة فعلها قوية جداً بحيث احيلت الأرض إلى ساحة صراعات مليئة بالدماء التي ملئت الآبار والبساتين وصبغت الدماء مياه الشرب، كما ان الاسطورة عرجت أيضاً على معلومات مهمة ممكن للقارئ ان يستنبطها من خلال سطورها فالاسوار التي تبنى عادة ما تطل على الفضاءات الخارجية وبالتالي فأنها تكون أماكن مناسبة جداً في عملية الاستطلاع والمشاهدة بما يجري خارجها وأن الموت هو نهاية حتمية لبني البشر وأن الإنسان مهما بلغ من مكانة ومرتبة فإنه لا يستطيع أن يصل إلى أسرار السماء وخلود الإلهة(باقر، ١٩٧١، ص ١٨٩).

ويرى الدكتور فاضل عبد الواحد أن الطوفان أو كوارث الدمار التي حلت في بلاد الرافدين يمكن لها من الناحية الواقعية تكون قد حدثت فعلا في عصور سحيقة في القدم وقد تناقلت هذه الحادثة لأجيال شفاها ثم فيما بعد تم تدوينها(علي، ٢٠٠٠، ص ٩١)، ومن خلال استقراء الكوارث الطبيعية في النصوص المسمارية نجد أن الكاتب في حضارة بلاد الرافدين اشار إلى قضية مهمة وهي أن هذه الكوارث حدثت نتيجة خطايا ارتكبها الإنسان بحق الآخرين أو الإلهة وأن هذه الكوارث ما هي إلى عقاب تنذر به الإلهة الإنسان حينما يخرج عن طوعها ولا يقدم لها الأضاحي والقربانين، او يعتدي عليها، او يزعجها(Millard, 1987, p. 68).

ومن خلال هذه الاسطورة يتبين أيضا أن الإنسان لا يمكن له أن يتعدى على الخطوط الحمراء التي رسمتها له الالهة وخاصة فيما يتعلق بحدوث أمر يחדش من عظمتها وكبريائها

فاعتداء شوكاليتودا على الإلهة اينانا هو اعتداء على مكانة وسمو الإلهة الأمر الذي يستدعي عقاباً جماعياً لبنوا البشر مع ملاحظة أن المعتدي فرداً إلا أن العقوبة الإلهية تشمل الجميع.

٥- أسطورة سرقة الواح القدر :

فحوى هذه الاسطورة تدور حول سرقة ألواح القدر من قبل طائر الانزو وقد كانت هذه الألواح قبل أن تسرق عند الإله انليل (Wisnom, 2019.P.269)، دونت هذه الاسطورة بنسختين الأولى تعود إلى العصر البابلي القديم وقد دونت باللغة الاكديّة وقد كان بطلها الإله نكرسو الذي خاض معركة ضد طائر الانزو واستطاع ان يعيد هذه الالواح، أما النسخة الثانية فكان بطلها الإله ننورتا الذي خاض صراع قوي مع طائر الانزو واستعاد الواح القدر وهذه النسخة الثانية تصل إلى نحو سبعمائة سطر كتبت على ثلاث الواح وكل لوح منها يتكون من اربعة اعمدة (Alster, 1977, p.120).

عرف الإله ننورتا بأن المحارب القوي وله من المآثر الحربية الشيء الكثير كما أنه عد إله للزوابع وقد لقب بالفلاح إذ كانت له علاقة مع الخصب والنماء وهو ابن الإله أنليل (علي، ٢٠٠٠ ، ص ١٢٦) (Leick, 1991, P.135)، أما أهم ما افرزته هذه الاسطورة وعلاقة الإله ننورتا بالبساتين هو أن هذا الإله ذكر فيها احدى وظائفه وهو (.. يسقي زرائب الماشية ويروي البساتين) (Dalley, 1989, pp. 205 -207) (الجنابي ، ٢٠٠٧، ص ص ٦٢-٦٣) وكالاتي: (..سأتغنى بالابن الجليل لملك البلدان المعمورة.

اتغنى بمحبوب الإلهة مامي (Mami)

وامتدح ننورتا محبوب الإلهة مامي

الإله الصنديد ابن الإله انليل

وليد معبد أي -كور (E₂-Kur)، قائد آلهة الانوناعي (Anunnaki)

ومحط انظار معبد إي - ننو (E₂-ninnu)

الذي يسقي زرائب الماشية ويروي البساتين

في الارياف والمدن

انه طوفان المعارك... والمحارب

الذي اخضع جبال الصخر وعقلها بضراوته

الذي قهر الطائر انزو بسلاحه

وذبح الرجل -الثور في البحر.

المحارب الصنديد الذي يذبح الاعداء بسلاحه...

عد الإله ننورتا إليها للخصوبة وقد ارتبط هذا الإله بالفيضانات التي كانت تحدث في بلاد الرافدين (كوننينو، ١٩٨٦، ص ٤١٨) ، إن هذه الاسطورة تعبر عن الدور الكبير الذي يؤديه هذا الإله في عملية الزراعة والنماء الزراعي سواء اكان في الحقول أو البساتين ولعل من أهم الإشارات التي يمكن أن نستشفها من خلال سطور هذه الاسطورة هو أن النماء الزراعي وانتشار ونمو الثمار في البساتين أمراً يفرح الإلهة ويسعدها وبطيّب قلبها.

٦- اسطورة ننورتا وصراعه مع الشيطان اساك* asag :

(Black., 1992,pp.35-36)

تدور أحداث هذه الاسطورة من قبل شخصيتين احدهما الإله ننورتا الإله المحارب القوي في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين وهو يعد أبناً للإله أنليل، اما الطرف الآخر من الاسطورة فهو أحد الشياطين الذي يدعى اساك asag .

وقد ارتبط هذا الشيطان ارتباطاً وثيقاً بالأمراض والعلل اما مسكنه فكان يقطن في العالم السفلي، وتبدأ هذه الاسطورة بخطاب سلاح الإله ننورتا المعروف بأسم شارور šar₂-ur₄ (Leisten, 2015,p.260) (Wisnom, 2019,p.131 ff) (علي ، ٢٠٠٠ ، ص ١١٧) وهو احد اسلحة الإله ننورتا مخاطباً الإله أنليل وهي إشارة واضحة وجلية في فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين بأن اغلب الرموز والأسلحة المتعلقة بالإلهة ممكن لها أن تتكلم أيضاً وتخطب على الأقل الإله الخاص بها وقد اشارت هذه الاسطورة إلى عزم شارور في منازلة الشيطان اساك(جاكوبسن ، ٢٠٠٤، ص ١٦٧) أما لماذا هذا الشيطان بالذات فلم توضحه الأسطورة ولم يتم التعرف على هذا السبب ايضاً من خلال الاساطير الأخرى المماثلة، ف جاء هذا السلاح مخاطباً الإله ننورتا ومعظماً له بالتمجيد والاطراء وذكر المآثر البطولية لهذا المحارب وحثه على محاربة الشيطان اساك وعلى ما يبدو أنه في الوهلة الأولى لم يعزم هذا الإله على مقارعة هذا الشيطان فراح السلاح شارور بمعاودة حثه في المحاربة وتشجيعه وتذكيره في المآثر البطولية التي قام بها(يحيى، ٢٠٠٧، ص ١٦٨-١٦٩)، فيقوم الإله ننورتا بالهجوم على ذلك الشيطان بأسلحته المتعددة وينتصر عليه .

* يطلق عليه باللغة الاكدية asakku برز في القصيدة السومرية المعروفة ب lugal-e بانه شيطان وحشي والذي هزم من قبل الاله ننورتا، ويصور هذا الشيطان بمظهر مخيف، وعد ابنا لكل من انو an والارض ki ، ويحسب فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين فان جيش هذا الشيطان كان مؤلفا من الحجارة

وبعد أن مات هذا الشيطان حلت في بلاد سومر مشكلة كبيرة وهي خروج مياه العمق من باطن الأرض بحيث أنها أثرت على وصول المياه العذبة إلى الحقول والبساتين كما أن مستويات المياه في نهر دجلة لم ترتفع وشحت المياه العذبة في جداوله وفروعه مما أدى إلى قحط شديد في البلاد بسبب قلة المياه العذبة التي تستعمل لارواء البساتين والحقول والمزارع ولشدة هذا الاضمحلال في المياه بينت الاسطورة أنه لم يعد بالاماكن حتى غسل اليد في القنوات والجداول الصغيرة لشحة المياه واضمحلالها كما اشارت إلى ذلك الاسطورة وكالاتي (Jacobsen, 1970,pp.104-131):

(...كان القحط شديدا قاسيا فلم ينتج أي شئ

في الانهار الصغيرة لم يعد بالامكان حتى غسل الايدي
و ظلت المياه واطئة ضحلة

و الحقول لم ترو

و لم تحفر الجداول (لري الحقول)

و انعدم الزرع من البلاد

و لم ينم سوى الحشائش

و عندها تدبر الاله الامر في فكره الثاقب

ننورتا ابن اينليل اتى الى الوجود بأشياء عظيمة...)

ومن خلال هذه الاسطر من الاسطورة يتبين أيضاً أن هناك صراعات وتجاوزات بين المخلوقات غير البشرية وحتى الشياطين التي عادة ما ينظر لها بالجانب المظلم والسلبي فأن موتها وهلاكها يجلب النحس والفقر للبلاد الأمر الذي يستدعي تدخل الإلهة بشكل مباشر لحل هذه المشاكل التي تؤثر بعملية استقرار الإنسان وديمومة حياته، وهناك من يرى أن الشيطان اساك يمثل عنصر مياه البحر البدائي والتي احدثت خلافا في اوصول المياه العذبة إلى الحقول والبساتين والأراضي الزراعية (الشواف، ١٩٩٩، ص٢٢٩)، وقد قام الإله ننورتا بحل هذه المشكلة التي احدثت المشاكل في عملية الإرواء والسقي الزراعي.

لقد أشارت هذه الاسطورة إلى واحدة من أهم المشاكل التي كانت تواجه الزراعة في حضارة بلاد الرافدين وهي طفح وعلو المياه الجوفية وقدمت هذه الاسطورة واحدة من الحلول التي يمكن لها بحسب فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين أن تقلل من تأثيراتها السلبية على الزراعة وهي ارضاف الحجارة على الارض وتكوين اشبه ما يكون بالجدار العازل الأرضي والذي يقوم بوظيفة الحيلولة

دون تأثير هذه المياه وصعودها على السطح وتأثيرها على الاراضي الزراعية، لقد اطلق على هذا الجدار اسم خور-ساك hur-sag اي الجبل العظيم وبعد ان بارك ذلك الجبل انتجت المحاصيل والنباتات والجمعة ومختلف أنواع الثمار والماشية والاعنام وبقية المخلوقات ذات الأربع قوائم (حنون ، ١٩٧٨ ، ص ص ٢٧-٢٨)، أما فيما يتعلق بالمياه التي سبق وأن طفحت على السطح فقد قام الإله ننورتا بتصريفها في نهر دجلة وبهذا استطاع هذا الإله من أن يحل المشكلة التي واجهت عملية الزراعة وشحة المياه التي بزغت إلى حيز الوجود بعد مقتل الشيطان أساك كما أشارت الاسطورة وكالاتي (يحيى، ٢٠٠٧، ص ١٦٩) :

(... ما تبدد و فاض (من المياه) جمعه

ما تبدد و فاض من (مياه) كور

اجراه و سلطه في دجلة

فأجرى المياه الفائضة العالية على الحقول

فأنظر الان كل شئ على الارض

فرح يحمد ننورتا ملك البلاد

اخذت الحقول تنتج الغلة الوفيرة

و ثقلت البساتين و الكروم بالأثمار

و جمع المحصول و كدس في الاهراء و في التلال

لقد ازال الرب الحزن و الحداد من البلاد

" و اسعد ارواح الالهة...)

ومن خلال هذا النص نستطيع أن نستشف بأن الرخاء والاستقرار في البلدان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوفرة المحاصيل الزراعية وديمومة الزراعة وكذلك استقرار ما تنتجه البساتين الزراعية من ثمار متنوعة ترفد بنحو أو بآخر اقتصاد البلاد وتنوع المحاصيل.

لقد عزت هذه الاسطورة الى عمليات القحط التي تصيب البلدان والتي تتاثر بها حقولها وبساتينها وواحدة من اهم اسباب حلول القحط بحسب فكرهم ومعتقدهم هو حلول لعنة من الالهة او من الشياطين تاثر تأثيرا مباشرا على العملية الزراعية سواء اكانت في البساتين ام في غيرها ،ومن يرفع هذه اللعنة والقحط هي الالهة والتي تسبب النماء والرخاء في الاراضي الزراعية ومنها البساتين.

٧- اسطورة ايرا * (اللوح الرابع): (Black., 1992,pp.135-136)

تشير هذه الاسطورة الى عزم الإله ايرا على اجتياح الارض قاصداً بشكل خاص مدينة بابل مدينة الإله مردوك ملك الإلهة، وحيث أنه لا يستطيع أن يخطو هذه الخطوة الجبارة بوجود الإله مردوك أما خوفاً أو ايماناً منه بحتمية الهزيمة فقد عزم على سلك طريق الاحتيال بأن يقنع الإله مردوك بتزك مدينة بابل ومعبد الايساكيلا لمدة معينة(كريم، ١٩٧٤، ص ١٠٤).

وهكذا الحق الدمار في مدينة بابل والمدن المجاورة وعمت الفوضى في المدينة(الاسود، ٢٠٠٢، ص ص ٩١-٩٢)،ومن خلال هذه الملحمة نجد ان الإله مردوك ينحب هذه المدينة التي صنعها وعشقها وتظهر في هذه المرثية البساتين كجزء من حالة عامة وقد شبهت بابل بذلك البستان الذي لم يذق طعم ثماره وكأن الإله مردوك أراد أن يوصل رسالة أن هذه المدينة وبعد أن انشأها وحماها ورعى كل أراضيها ومن ضمنها بساتينها إلا أنه لم يستطع أن يقطف ثمار ذلك لأن البلاء والتدمير قد حل بالمدينة.

وفي اسطورة الخلق من أريدو هناك اشارات مهمة حول الإله مردوك وعلاقته بالزراعة والمحاصيل الزراعية فينسب له بحسب هذه الاسطورة خلق العشب والاعصان والقصب والغاب وخلق خضار السهب كما ينسب اليه أيضاً خلق البساتين والغابات أيضاً(يحيى، ٢٠٠٧، ص ١٦٠).

* الاله ايرا erra: يرتبط هذا الاله ارتباطاً وثيقاً بالاله نركال، وفي البداية كان هذين الالهين منفصلين عن بعضهما البعض الا انه فيما بعد اشارت الدلائل الى علاقتهما الوثيقة ببعضهما البعض، فقد عرف الاله نركال باسم لوكال-ايرا lugal-irra

الاستنتاجات:

- ١- ارتبط الادب في حضارة بلاد الرافدين بمفاصل الحياة العديدة ولعل ذلك ناتج من خلال التجارب المادية التي يحاول ان يوصلها الاديبي في حضارة بلاد الرافدين للمتلقي.
- ٢- تعد الاسطورة واحدة من الالوان الحضارية المهمة والمتعلقة بادب بلاد الرافدين وقد حملت الاساطير في حضارة بلاد الرافدين مواضيع متنوعة شكلت في طياتها جوانب الحياة المختلفة ومنها زراعة البساتين.
- ٣- اشارت الاساطير في حضارة بلاد الرافدين الى البساتي الكبيرة والجميلة والتي تتخذ منها الالهة ملاذا ومرتعا لهم في سبيل قضاء الاوقات الجميلة والتلذذ بالمظاهر الخلابة لهذ البساتين.
- ٤- اشارت الاساطير في حضارة بلاد الرافدين بان وجود البساتين وتنوعها يعكس فكر ومعتقد سكان بلاد الرافدين بارتباط ذلك بالجوانب الاقتصادية الايجابية الجيدة للقرى والمدن وهي ايضا مؤسرا ايجابيا للاستقرار الديني والاقتصادي على حد سواء.
- ٥- بحسب اساطير سكان بلاد الرافدين عد الالهة انكي من الالهة المسؤولة على توفير المياه للبساتين وهو المنقذ للبساتين التي يقل ويشح المياه فيها حينما يقوم باروائها، ولم يقتصر دور الاله انكي على الارواء في حضارة بلاد الرافدين فحسب بل تعدى ذلك الى حضارات وبلاد اخرى ومنها دلمون.
- ٦- من خلال اساطير بلاد الرافدين عزي نمو البساتين وازدهارها وكثرة وتنوع المحاصيل فيها الى الالهة وخاصة الاله انكي، ولعل هذا التخصيص والتفضيل للاله انكي وارتباطه بالنمو والنماء لان هذا الاله مرتبط بالمياه التي تعد العصب الرئيسي للحياة وخاصة اذا ما علمنا دورها الكبير في الزراعة ومنها البساتين.
- ٧- اعتقد سكان بلاد الرافدين بان الالهة خلقت الانسان وهي التي اوجدت مفردات الحياة بشموليتها ومنها زراعة البساتين، وقد اشارت الاساطير الى معلومات مهمة حول فن البستنة وزراعة النباتات والخضروات تحت ظل الاشجار لكي تحميها من حرارة الشمس والرياح العاتية وهي بذلك عكست لنا واقع من الحياة اليومية التي ارتبطت ارتباطا مباشرا بالبساتين.
- ٨- من خلال اساطير بلاد الرافدين عدت البساتين مكانا لراحة المسافرين وعابري السبيل لقضاء وقتا محددًا للراحة من عناء السفر، ولا يقتصر الامر على البشر فحسب بل تعدى

ذلك ليشمل الالهة، كما ان هذه البساتين عدت مكانا مخفيا لاقامة العلاقات الحميمة سواء اكانت لبني البشر او بين البشر والالهة على حد سواء.

٩- اشارت الاساطير بان الكوارث الطبيعية التي تفتك بالحقول والبساتين والمزارع ماهي الا عقاب تسلطه الالهة والشياطين على بني البشر وهي نتيجة لارتكابهم الخطايا بحق الالهة او بحق الاخرين، وان هذه الكوارث تسلطها الالهة لؤلئك الذين يخرجون عن طوعها ولا يرضوها ويتعدون عليها او حتى يزعموها.

١٠- عد الاله ننورتا بحسب اساطير بلاد الرافدين الها للخصب والنماء وقد ارتبط هذا الاله بالفيضانات التي تحدث بلاد الرافدين، وهو مسؤول عن النماء الزراعي سواء اكان للحقول او البساتين على حد سواء، وبحسب اساطير سكان بلاد الرافدين ان ازدهار البساتين ونمائها وكثرة ثمارها ينعكس ايجابيا على فرح وبهجة الالهة.

١١- عزت الاساطير النحس الذي يتولد حين موت الشياطين والذي يؤثر سلبا على مجريات الحياة اليومية ومنها زراعة البساتين، وبموت الشياطين تظهر المشاكل والمعوقات التي تصيب مفاصل الحياة ومنها الزراعة، بيد ان الحلول دائما تكون عند الالهة التي تعالج مثل هذه المشاكل وهو الامر الذي يعكس في جنباته الصراع ما بين الخير والشر وارتباطه بالانسان وديمومة الزراعة ومنها زراعة البساتين.

١٢- اشارت لنا اساطير بلاد الرافدين بان الدمار الذي يحل بالبلاد منشاه الالهة او الشياطين وان هذا الدمار يشمل جميع مفاصل الحياة ومنها البساتين، وان دمار البساتين في احيان اخرى يكون نتيجة تجاذبات وصراعات بين الالهة والشياطين وان ممكن لها ان تعتدي على مدن اخرى وتسبب في خراب البلاد ومنها البساتين.

المصادر العربية:

١. الاسود، حكمت مجيد بشير، (٢٠٠٢): أدب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم الآثار.
٢. باقر، طه، (١٩٥١): نصوص من الأدب العراقي القديم، "سومر"، العدد ٧.
٣. باقر، طه، (١٩٧١): ملحمة كلكامش، ط٢، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد.
٤. باقر، طه، (١٩٧٦): مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد.
٥. اللياتي، سوسن هادي جعفر، (٢٠٠٤): اساطير العراق القديم-البابلية والسومرية دراسة في شكلها السردي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية، قسم اللغة العربية.
٦. جاكوبسن، ثوركيلد، (٢٠٠٤): اديان ما بين النهرين- إطلالة عامة، (١٩٨٧)، بحث ضمن موسوعة: تاريخ الأديان، ج٢، تحرير: فراس السواح، دار علاء الدين، دمشق.
٧. الجبوري، اسماء عبد الكريم، (٢٠١٤): النخلة في حضارة العراق القديم، بغداد.
٨. جمعة، احمد بشار، (٢٠١١): فكرة الصراع في الأساطير والملاحم العراقية القديمة (٣٠٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، قسم التاريخ.
٩. الجنابي، شيماء صلاح احمد، (٢٠٠٧): الإله انكي في حضارة بلاد الرافدين (في ضوء النصوص المسمارية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار.
١٠. الجنابي، كاظم، (١٩٥٧): مقدمة لدراسة اقدم ادب عرفه الانسان، بغداد.
١١. حنون، نائل، (١٩٧٨): "شخصية الالهة الام ودور الالهة "انانا - عشتار" في المصادر المسمارية"، سومر، العدد ٣٤.
١٢. الحياي، فيحاء مولود علي، (٢٠١٦): الاساطير المنفذة في فنون بلاد الرافدين (دراسة مقارنة)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الآثار.
١٣. ساكز، هاري، (١٩٧٩): عظمة بابل، تر: عامر سليمان، الموصل.
١٤. سيدا، عبد الباسط، (١٩٩٥): من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري (بلاد ما بين النهرين)، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق.
١٥. الشواف، قاسم، (١٩٦١): ديوان الاساطير، أناشيد الحب السومرية، الكتاب ١، ط١، بيروت.
١٦. الشواف، قاسم، (١٩٩٩): ديوان الاساطير، سومر واكاد واشور، الحضارة والسلطة، اشراف ادونيس، الكتاب الثالث، بيروت.
١٧. علي، فاضل عبد الواحد، (٢٠٠٠): سومر اسطورة وملحمة، بغداد.
١٨. فالكشتاين، آدم، (١٩٥١): "ترتيبة اريديو" تر: محمود الامين، مجلة سومر، مجلد ٧.

١٩. كريمر، صموئيل نوح، (١٩٥٦): من الواح سومر، تر: طه باقر مراجعة، احمد فخري، بغداد.
٢٠. كريمر، صموئيل نوح، (١٩٧٣): السومريون، تر: فيصل الوائلي، الكويت.
٢١. كريمر، صموئيل نوح، (١٩٧٤): أساطير العالم القديم، أساطير سومر وأكاد، ترجمة د. أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٢. كونتينو، جورج، (١٩٨٦): الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ط٢، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
٢٣. مسلان، ميشال، (٢٠٠٩): علم الاديان مساهمة في التأسيس، تر: عز الدين عناية، ابو ظبي .
٢٤. موسى، مريم عمران، (١٩٩٦): الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار.
٢٥. يحيى، اسامة عدنان، (٢٠٠٧): الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم دراسة في الاساطير، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم التاريخ.

المصادر الاجنبية:

1. Al-Fouadi, A. (1969): Enki's Journey to Nippur: The Journeys of the Gods, Ph.D. dissertation, University of Pennsylvania.
2. Alster, B.,(1977): “ "Ninurta and the Turtle", UET 6/1 2", JCS, Vol.24, No.4.
3. Alster, B.,(1978):“Enki and ninhursag:the greation of the first women”,Ugarit-forschungen, Vol.10.
4. Benite, G., (1969): Enki and Ninmah and Enki and the world Order, London.
5. Black., J. & Green, A., (1992): Gods. Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, , London.
6. Dalley, S., (1989): Myths from Mesopotamia, New York.
7. Dickson,K., (2007): “Enki and ninhursag :the trickster in paradise”, JNES, Vol.66, No,1.
8. Eidem, J, and Hojlund, F.,(1993): “Trade or diplomacy? Assyrian and dilmun in the eighteenth century BC”, World Archaeology, Vol. 24, No.3.
9. Espak, P, (2006): Ancient near eastern gods enki and ea, tartu.
- 10.Green, M, W., (1975): Eridu in Sumerian literature,Chicago.
- 11.Jacobsen, T., (1970): “Sumerian mythology”, Harvard semitic studies, Vol.21.
- 12.Jordan, M., (2004): Dictionary of gods and goddesses, second edition, New York.
- 13.Kramer , S. N., (1949): “ A Blood - Plague Motifin Sumerian Mythology ”, ArOr, Vol.17 .

- 14.Kramer, S. N, and Albright, W.F.,(1945): “Enki and Ninḫursag :A Sumerian “paradise” Myth”, American schools of oriental research,No.1,new haven.
- 15.Langdon, M. A, (1923): Historical inscription, containing principally the chronological prism,W-B.444,Oxford.
- 16.Leick, G., (1991): A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London and New York.
- 17.Leisten, B., (2015): Religion and ideology in Assyria, Berlin.
- 18.Millard, A.R. ,(1987): “The Sign of the Flood ” ,Iraq, Vol.49.
- 19.Nejat, K.R.N., (1998): Daily life in Ancient Mesoptamia, Hendrickson.
- 20.Safar, F. and Others, (1981): Eridu, Baghdad.
- 21.Sefati, Y, (1981): Love songs in Sumerian literature,Jerusalem.
- 22.Telling, M., (2012): Slave species of the gods, the secret history of the anunnakki and their mission on earth,USA.
- 23.Vanstiphout, H. L. J., (1994): “another attempt at the spell of nudimmud”, Revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale, Vol.88, No.2.
- 24.Wisnom, S., (2019): Weapons of words: intertextual competition in Babylonian poetry, Brill.
- 25.Wisnom, S.,(2019): “Blood on the Wind and the Tablet of Destinies: Intertextuality in Anzû, Enūma eliš, and Erra and Išum”, Journal of the American Oriental Society,Vol.139,No.2.

الاستشارة والنصح في عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٣-٧٥٥م)
Consultation and advice during the reign of rulers
(95-138 AH / 713-755 AD)

رياض عدنان محمد

RIYADH ADNAN MOHAMMED

riyadh197157@gmail.com

أ.م.د. نبراس فوزي جاسم حسن

PROF. NIBRAS FAWZI JASSIM HASSAN, PH.D

جامعة بغداد

كلية الآداب/ قسم التاريخ

الاستشارة والنصح في عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٣-٧٥٥م)

رياض عدنان محمد

أ.م.د. نبراس فوزي جاسم حسن

الملخص

ان اهمية الاستشارة وانعكاساتها على مختلف الجوانب، في صنع القرارات، واثرها الايجابي او السلبي على حياة الانسان، قد اولى الاسلام لها المكانة ذاتها في شرعة وايجاد الحلول لها. فالاستشارة والنصح من اسس عدالة السلطة، واصل من اصول شؤون المجتمع الذي تتفرع منه احكام وضوابط متكاملة، اذ لم تكن الاستشارة والنصيحة مقتصره على شؤون الحكم والسياسة، وإنما شملت كل ما فيه رعاية مصلحة أو دفع مفسدة، كون ديننا يندب الجميع للاستشارة والتشاور والنصح قبل اصدار اي قرار، فضلا عن ندب صاحب الرأي ان يقدم النصيحة ولو لم تطلب منه، امتثالاً وقياماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالفتح الاسلامي لإسبانيا قام على الاستشارة وابداء النصح، وما تمخض منه ان حدث اضطرابات على طوال مدة الفتح الاسلامي نتج عنه ان قتل اغلب ولاة الاندلس بسبب القبلية والعرقية فضلا عن البعد السياسي والعسكري الذي بين مقر الخلافة الاموية في دمشق وما يمثلهم في الاندلس وهيمنة الولاة، ونتيجة لذلك تولى الاندلس اكثر من عشرين من الولاة على طوال اكثر من اربعون عاما، ومع تلك الاضطرابات فقد اندمج هؤلاء الفاتحين ليكونوا مجتمعا كان له اثر فيما بعد.

Abstract

The importance of counseling and its repercussions in various parts of the neighboring region, and its positive or negative impact on human life, Islam has given it a place in the charter of response, and finding solutions to it. Consultation and advice are one of the foundations of the justice of the authority, and the foundation of the foundations of society's affairs, including integrated projects, and advice and advice is limited to matters of governance and politics, and everything that involves taking care of an interest or repelling a corrupting, since our religion delegates everyone to consult and , as well as the political and military dimension between the

seat of the Umayyad caliphate in Damascus and what represented them in Andalusia and the dominance of the governors, and as a result Therefore, Andalusia assumed more than twenty governors over a period of more than forty years, and with those disturbances, these conquerors merged to form a society that had an impact later on.

اولا: الاستشارة والنصح في عهد الوالي عبد العزيز بن موسى (٩٥-٩٨هـ/٧١٣-٧١٦م) :

بالنظر للأحداث السياسية التي تلت بعد قفول موسى عن الاندلس، وامارة ابنه عبد العزيز على تلك الجزيرة البعيدة عن مركز الخلافة، وبقاء حبيب بن ابي عبيده الفهري (ابن يونس، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) معه واندماج المجتمع الاسباني بالمجتمع العربي (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس) وما تمخض منه من تصاهرات جعلت المجتمع العربي الذي خرج للجهاد تاركا وراءه الاهل والاحباب، يتناسى تلك البقعة التي خرج منها مجاهدا في سبيل الله، بسبب تقبل الاسبان لتلك الاجناس التي دخلت عليهم من العرب والبربر، لما كانوا يعانونه من سياسه الغوط الاستبدادية، لكن ذلك الاندماج الذي طبقه عبد العزيز، على نفسه كان سببا من اسباب هلاكه (مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ١٤٠٧هـ/٩٨٦م) فهنا تكمن لنا اشكاليه مفادها ؟ هل ان مشورة ونصيحة ارملة لذريق لزوجها عبد العزيز، بان يعظموه ويحنوا رؤوسهم كما يعظم الغوط ملوكهم، كانت سببا في هلاكه ؟ ام هو حسد الجند له طمعا بولاية الاندلس ؟ فضلا عن ذلك هل امر سليمان بقتل عبد العزيز بن موسى، نكاية بابيه موسى ؟ ام ان عبد العزيز قتل لتذمره من سياسة سليمان التي مارسها ضد اهله بأفريقية ؟.

يذكر ابن عبد الحكم خبر قتل عبد العزيز، اذ ثار به حبيب ابن أبي عبيدة الفهري (الحميري م.، ١٣٨٦هـ/٩٦٦م) الذي جعله موسى وزيرا له ومعينا (ابن عذاري .١، ١٤٠٤هـ/٩٨٣م) وزياد ابن النابغة التميمي وأصحاب لهم من قبائل العرب، بعد ان تشاوروا من امر عبد العزيز، اذ اجتمعوا على قتله لما بلغهم من امر زوجته، ارملة لذريق، وحثه على تعظيم اهل مملكته له (ابن تغري بردي، د.ت) واذاف لنا ابن القوطية رواية " انه لما صار الامر الى سليمان حبس موسى وأغرمه" (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس) واكد لنا ابن الاثير ذلك بقوله " مات الوليد بن عبد الملك، واستخلف سليمان بن عبد الملك، وكان منحرفا عن موسى بن نصير، فغزله عن جميع أعماله، وأقصاه وحبسه وأغرمه حتى احتاج أن يسأل العرب في معونته" (ابن الاثير أ.، ١٤١٨هـ/٩٩٧م) وتسامع الناس باضطهاده، فأصبح مصير موسى ومصير أولاده في مهب الريح، رجالا بلا غد حتى قيل " كان سليمان قد أمر الوالي محمد بن يزيد بأخذ أهل موسى وولده

وكل من تلبس به واستئصال أموالهم وتعذيبهم حتى يؤدوا ثلاثمائة ألف دينار " (ابن عذاري ا.، ١٤٠٤هـ/٩٨٣م).

لما بلغ عبدالعزیز، ما فعله سليمان بأبيه وأخيه وأهل بيته كان حتما عليه ان يتذمر لسياسة الامويين ضد اهل بيته فخلع دعوة بني مروان واستبد بأمره فتكلم بكلام حملته عليه حمية فنمت الى سليمان أن عبد العزيز يريد ان يخلع طاعة الامويين، وحتى يتبين من امر عبد العزيز كتب الى خمس من الاشخاص منهم حبيب بن ابي عبيدة الفهري، وزياد ابن النابغة التميمي (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس) بينما يذكر ابن قتيبة انهم سته فضلا عن ما تم ذكره ومنهم سعد بن عثمان بن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمرو بن كثير وعمرو بن شرحبيل، كتابا ليعلموه بالذي بلغه من امر عبدالعزیز وما هم به من الخلع حتى كتب لهم سليمان وأعطاهم عهدا "ان من قتل منكم فهو أمير" (ابن قتيبة ا.، د.ت) حتى ذكر لنا ابن عذاري، بقوله "وأكثر الناس على أن هذه الحكاية لا تصح، وإنما قتلوه بأمر سليمان إذ نكب والده" (ابن خلدون ع.،

١٤٠٩هـ/٩٨٨م) فاجتمعت الاسباب لقتل عبد العزيز حتى استشار بعضهم بعضا وتناصخوا فقالوا، فليدخل معنا ابن اخت موسى ايوب بن حبيب اللخمي، فقالوا له ان قتلتك انت مكانه على الاندلس، فوافق لكن ابن النابغة التميمي قام عليه بعد ان قال له عبد العزيز، نجني ولك ما سألت فقال "لا تذق الحياة بعدها" فاجهز عليه واحتز رأسه ووفد حبيب بن ابي عبيده، برأس عبد العزيز الى سليمان بن عبد الملك (ابن عبد الحكم ع.، ١٣٨٤هـ/٩٦٤م) حتى وضعه بين يدي موسى وهو في عذابه فكان فعل سليمان هذا من هفواته التي تزل تنقم عليه (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس) وكان قتله سنة (٩٨هـ/٧١٦م) (الطبري م.، ١٣٨٧هـ/٩٦٧م) وقد اشار احد الباحثين ان قتل عبد العزيز كان بمشورته أيوب بن حبيب اللخمي (خطاب م.، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ويذكر ابن الفرضي، ان زياد بن عذرة البلوي (ابن الفرضي ع.، ١٤٠٩هـ/٩٨٨م) قام على عبد العزيز بالسيف وهو يقول، "قد حقت عليك يا ابن الكذا" (ابن الفرضي ع.، ١٤٠٩هـ/٩٨٨م).

ومما سيق يتجلى لنا ان الذي شارك بقتله تجاوز العدد الذي ذكره ابن قتيبة وابن القوطية ومن ذلك تبين ان عبد العزيز لم يكن له مدافع من هؤلاء ولا من غيرهم لأشياء نقموها عليه حتى وصل الامر الى ان تخلى عنه بن خالته ايوب بن حبيب والذي تصدر المشهد السياسي بعد قتله، نتيجة ما أصبح عليه موسى وأهل بيته من نقمه وكان لذلك اثر على ضعف عبد العزيز حتى أصبحت الفرصة سانحة أمام الطامعين والمنافسين له (خطاب) ليس لسخطهم عليه، بل طمعا

بولاية الاندلس (السامرائي خ.، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ومع ذلك فقد حتى المؤرخين على ان سليمان هو من امر بقتل عبد العزيز (ابن عبد الحكم ع.، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) وقد تبين لنا ذلك من ان ابن النابغة التميمي، طمع بملك الاندلس ولاسيما بعد ان كتب سليمان عهدا نقله لنا ابن قتيبة، ان من قتله فهو امير الاندلس فأراد الأمانة له، على عكس تفكير اصحابه عندما ارادوا ان يكون ابن اخت موسى هو من يقتله لربما رغبته منهم بإمارته للاندلس، لكن الشيء اللافت للنظر لماذا لم يتولى ابن النابغة ولاية الاندلس كونه حصل على عهد الخليفة بان من يقتل عبد العزيز هو امير الاندلس!؟.

ومهما يكن فأن الوالي عبد العزيز، قتل سواء بمشورة الخليفة سليمان ام ايوب بن حبيب ام باستشارة ونصح وزيره حبيب ابن أبي عبيدة الفهري، اذ جاء مقتله على موسى كالصاعقة على رأسه متناسين جهاده وفتوحاته، ولعل ماضيه المجيد أصبح وبالا عليه، فسقط مضرجا (متلخا) بدمائه بسيوف لم تفرح عدوا في ساحات الجهاد، وضربت مجاهدا فاتحا في بيت من بيوت الله.

ثانيا: الاستشارة والنصح في عهد ايوب بن حبيب اللخمي (٩٨-٩٨ هـ / ٧١٦-٧١٦م)

بقي أهل الأندلس بعد قتل عبد العزيز بن موسى، سنين لا يجمعهم وإل وهذا ما ذكره ابن القوطية بقوله " ان الاندلس بقت سنين لا يجمعهم وإل الا ان البربر قدموا على انفسهم ايوب بن حبيب اللخمي" (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس) وذكر ذلك من قبله ابن عبد الحكم بقوله " وأمروا على الأندلس أيوب ابن أخت موسى بن نصير بعد ان مكث أهل الأندلس سنين لا يجمعهم وإل" (ابن عبد الحكم ع.، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) الا ان ابن الاثير يحدد بقاء اهل الاندلس ستة أشهر لا يجمعهم وإل (ابن الاثير، الكامل في التاريخ) وان هذه الفترة سنلاحظها تتكرر في قرطبة عند عزل القاضي او عند وفاته اذ تبقى قرطبة دون قاضي فترة ستة اشهر.

لربما جاء ذلك التأخير بسبب ما الت اليه الاندلس من خلافات بعد مقتل واليها ، والا لماذا بقت كل هذه الفترة من بدون ان يجمعها وإل!؟.

عقد زعماء جذام ولخم التي ينتمي لها ايوب الذين رافقوا موسى وممن نزلوا بشرق الاندلس واشبيلية، مجلسا استشاريا بمعيه البربر تناولوا فيه من يتولى ولاية الاندلس، فانفقوا حسب ما ذكره ابن القوطية وبعض المؤرخين على توليه أيوب بن حبيب اللخمي سنة (٩٨ هـ / ٧١٦م) (السلوي، ١٣١٢هـ/١٨٩٤م) والشيء اللافت للنظر ان هؤلاء الزعماء لم يلتزموا بعهد الخليفة الوليد! الذي نقله لنا ابن قتيبة "ان من قتله منكم فهو أمير" (الذهبي ش.، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) كون ابن النابغة

بعد فعلته لم يكن مقبولاً لدى الزعماء ولاسيما البربر، بالرغم من مشاركة الجميع بقتل عبد العزيز فجعل محط استتكار الجميع ولسخطهم على ما فعل الخليفة بال موسى انعكاسه على والي الاندلس، جعلهم محط نكايه به وعدم الامتثال لأوامره، اذ لم تفكر تلك الزعامات ان تستشير والي افريقية ولا الوليد بمن يخلف عبد العزيز، كون ظروف الأندلس أحياناً تُحتم على اصحاب الحل والعقد من زعماء العرب والبربر تعيين والٍ يتفق عليه حتى يأتي تأييد الخليفة أو والي أفريقية عليه (السامرائي).

ولتأكيد ما تم الإشارة اليه ان الخواطر قد هدأت بعد تولي ايوب امارة الاندلس، ثم استشار اصحابه بأمر نقل دار السلطان من اشبيلية دار حكم عبد العزيز إلى قرطبة (عنان م.، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

وهذا النص يوحي لنا ان بعد فترة قتل عبد العزيز دخل الجميع بصراع دام طويلاً وهذا ما اشار اليه المؤرخين، حتى تمكنوا اخيراً من تصيب ابن حبيب واليا على الاندلس.

واحتل ايوب بقصر قرطبة الذي اختطه مغيث الرومي (ابن عذاري، البيان المغرب) على الرغم من قصر ولايته التي استمرت ستة اشهر (ابن قتيبة) حاول تثبيت السلطة العربية وتطهير المنطقة الشمالية من مقاومة القوط، حتى امر بإنشاء قلعة أيوب (الحموي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) لإبراز القوه العسكرية كون بناء القلاع يعد احد مظاهر التعبير عن هذه القوة (الرحيلي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) وعلى الرغم من هذا فقد ظلت المناطق الشمالية الغربية العقبة الأساسية في سبيل استكمال فتح شبه الجزيرة بكاملها (السامرائي).

ثالثاً: الاستشارة والنصح في عهد والي الحر بن عبد الرحمن القيسي (٩٨-١٠٠هـ/٧١٦م) (٧١٨م)

"تتابعت ولاة العرب على الأندلس من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله على القيروان وتارة من قبل الجند" (المقري ش.، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) وهذا ما رأيناه بولاية ايوب بن حبيب اللخمي وعند عزله قام محمد بن يزيد " (سبط ابن الجوزية، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) الذي ولي افريقية باستشارة الخليفة سليمان للفقير رجاء ابن حيوة (المقدمي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) وكان محمد من مولى قيس " يولي من احب على الاندلس " (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس) فولى سنة (٩٨هـ/٧١٦م) الحر بن عبد الرحمن الثقفي القيسي (ابن عساكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) وارسل معه أربعمائة رجل من وجوه إفريقية فنقل الحر الولاية من إشبيلية إلى قرطبة (ابن عذاري، البيان المغرب) فأقام عليها

سنتين وأشهر حتى عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) (ابن الاثير، الكامل في التاريخ)

يفهم من النص ان الوالي محمد بن يزيد القيسي لم يستشير الخليفة سليمان بتولي الحر امارة الاندلس، ولاسيما ان ولاة افريقية كانوا يولون من يرتضون به شريطة ان يكون من انصار الوالي، قيسيين ام يمينيين وهذا ما كان معمول به، فضلا عن ذلك ان الحر لم يستشير والي افريقية بنقل الحاضرة من اشبيلية الى قرطبة، على عكس ما فعله ايوب بن حبيب من قبل عندما استشار بنقل مركز سلطانه، والعمل الذي قام به الحر جاء نتيجة تجنب التصادمات التي قد تكون بين القيسية واليمينية من جهة وبينه وبين البربر من جهة اخرى والا لماذا ارسل والي افريقية معه اربعمائة رجل، ولشده حرص الخليفة عمر على عدم ممارسه التفرقة بين العرب قام بعزل والي افريقية محمد بن يزيد القيسي والحر بن عبد الرحمن القيسي والي الاندلس اليمينيين لما عزله الخليفة عمر وارسل ابو الخطار اليميني عن ذلك ان ولاة الاندلس كانوا قادة مقاتلين قبل ان يكونوا اداريين، فلذلك اقتضت الضرورة ان يقوم الحر بنقل الحاضرة، دون استشارتها منه للوالي محمد بن يزيد.

رابعاً: الاستشارة والنصح واثرها بسياسة الوالي السمع بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ/٧١٨-٧٢٠م) (الزركلي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)

قبل وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة (٩٩هـ/٧١٧م) استشار الفقيه رجاء بن حيوة، فيمن يعقد له امر الخلافة فأشار عليه رجاء بعمر بن عبد العزيز وسدد له رأيه فيه فوافق ذلك رأي سليمان وقال لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب فلما اشتد به وجعه عهد عهدا لم يطلع عليه أحدا إلا رجاء بن حيوة الكندي (ابن عبد الحكم ع.، ١٤٠٤هـ/٩٨٤م) واستخلف عمر بن عبد العزيز سنة (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) الذي كان يستأنس برأي رجال دولته وستناصحهم له في سياسية الرعية وكان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء (ابن القيم الجوزية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

وحتى يبدأ عمر بن عبد العزيز بسياسة تقتضي العدل بين الناس أرسل بطلب محمد بن كعب القرظي (الهجراني، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م) فقال له ما العدل فقال "بخ لقد سألت عن امر جسيم كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا وللمثل منهم أبا وللنساء كذلك وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسادهم ولا تضرين بغضبك سوطا واحدا متعديا فتكون من العادين" (السيوطي، د.ت).

ولحرص الخليفة عمر على رعاياه في الاندلس، ولي عليهم السماح بن مالك الخولاني سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) (الحميدي م.، ١٣٨٦هـ/٩٦٦م) بعد ان كان قد رأى منه أمانة وديانة عند الوليد بن عبد الملك فاستعمله (ابن الاثير، الكامل في التاريخ) فقام عليه ناصحا اذ "أمره أن يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفيق، وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها، ويكتب إليه بصفة الأندلس وأنهاها" (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس).

كانت نفس الخليفة تلوج الى ارجاع المسلمين عن الاندلس، وهذا ما ذكره ابن عذاري بقوله "وكان هذا رأيه بنقل المسلمين من الاندلس وإخراجهم عنها، لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأعداء الله الكفار فقليل له إن الناس قد كثروا بها، وانتشروا في أقطارها فأضرب عن ذلك" (ابن عذاري، البيان المغرب) فكان هذا رأي جلسائه من الفقهاء الذين كان يستشيرهم في جل اموره ومنهم سالم بن عبد الله (الذهبي، تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة (الشيزري، د.ت) لم يعارض عمر بن عبد العزيز رأي الفقهاء، اذ كان باستطاعته التفرد برأيه من دون مستشاريه لكن مبدأ الشورى عنده فوق كل اعتبار ولهذا اخذ برأي الفقهاء الذين اشاروا عليه ونصحوه بتترك المسلمين بالاندلس فكان لهذا الامر اثر واضح بعدله واحسانه ومن مبدأ "يد الله مع الجماعة" (الترمذي، .، ١٤١٠هـ/٩٩٨م).

اراد عمر بنصيحة للسماح ان يذكره بعدم الميل لأبناء قومه، كما فعل محمد بن يزيد بأفريقية والحر في الاندلس، لان ذلك سيخلف اثرا في النفوس سواء اكان يمينا ام قيسي، فضلا عن أمتثل السماح بنصيحة الخليفة بتخميس ارض الاندلس، ونتيجة لما قام به السماح، رأي عمر عزل الاندلس عن ولاية إفريقية، وان تتبع الخلافة مباشرة فعزلها "اعتناء بأهلها وتهما بشأنها" (ابن عذاري، البيان المغرب).

ثم سعى السماح بان يجعل للمسلمين مكان يخصص لدفن موتى المسلمين، فلذلك استشار الخليفة بان يسمح له بان يخرج من ذلك الخمس ارض البطحاء المعروفة بالربض، وهذا ما اشار اليه ابن عذاري "فخرج من الخمس البطحاء المعروفة بالربض، فأمر الخليفة عمر أن يتخذ بها مقبرة للمسلمين فتم ذلك" (ابن عذاري، البيان المغرب).

عبر السماح سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) على رأس جيشه جبال البرتات (ابن الاثير، الكامل في التاريخ) فكان يقف من جنوده موقف الناصح والواعظ لهم مذكرهم بآيات الله {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ} (سورة ال عمران اية ١٦٠) ففتح الله على يده أربونة و سبتمانيا حتى ارتد عن مهاجمة طولوز، ليلقى جيش الدوق اودو، وعلى الرغم من تفوق عدد الفرنج

(الحجي، ١٣٨٩هـ/٩٦٩م) كان يظهر في كل مكان وسيفه يقطر دما وهو يرفع معنويات رجاله بقوله وفعله (مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ١٤٠٧هـ/٩٨٦م) حتى وقع شهيدا سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) (بروفنسال، ١٣٨٧هـ/٩٦٧م) وقد اورد مؤلف مجهول نصا يشير فيه الى ان السماح قد عزل عن ولاية الاندلس سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) بقوله "ولى يزيد بن عبد الملك، بشر بن صفوان (الكندي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) اخا حنظلة بن صفوان افريقية فعزل بشر السماح بن مالك وولى عنبسة بن سحيم الكلبى" (مؤلف مجهول، اخبار مجموعة) ولاسيما ان ولاية بشر بن صفوان كانت سنة (١٠٢-٢٠٩هـ/٧٢٠-٧٢٧م) (ابن خياط أ.، ٨٠٠هـ/١٣٩٧م).

يتبين ان مؤلف مجهول لم يكن دقيق بنقل رواية السماح عندما ذكر انه كان حيا بوقت ولاية بشر بن صفوان، فضلا عن ذلك فقد " كان يولي كل ولاية الاندلس بغير امر الخليفة، فان كره اهل الاندلس واليا كتبوا الى بشر بن صفوان فامر بعزله وولاهم من يرضون" (مؤلف مجهول، اخبار مجموعة).

يتضح ان بشر بن صفوان، كان يتجنب الصراعات التي لربما تحصل جراء الحصول على امانة الاندلس فلذلك نراه لا يعارض على اي شخص يقدموه له اهل الاندلس، وهذا التصرف يدل لنا ان بشر لا يرجع الى استشارة الخليفة بهذا الامر. ومها يكن لم تستطع فلول الجيش الإسلامي العودة الى الاندلس بعد مقتل الوالي السماح بن مالك الخولاني بجنوب بلاد الغال الارض الكبيرة سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) (المقري، نفح الطيب) إلا بفضل نصح ومشورة عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (ابن الفرضي) "عندما أقامه العسكر رئيسا عليهم" (المقري، نفح الطيب) بعد ان تشاوروا فيما بينهم، فبذل الهمة في جمع شتاتهم والنهقر بهم، حتى عاد إلى الأندلس وعند قفوله الى قرطبة اقرته الجماعة واليا على الاندلس سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) (ابن عذاري، البيان المغرب).

١- الاستشارة العمرانية في عهد الوالي السماح بن مالك الخولاني (١٠٠-١٠٢هـ/٧١٩-

٧٢٠م) (المقري، نفح الطيب)

لما ولي الخليفة عمر بن عبدالعزيز السماح امانة الاندلس امره ان يكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها (ابن عذاري، البيان المغرب) فكان السماح قبل ان يكتب الى الخليفة يروم بالقيام ببعض الاصلاحات العمرانية (مؤلف مجهول، اخبار مجموعة) ففي سنة (١٠١هـ/٧١٩م) كتب السماح للخليفة عمر يستشير، بأعاده بناء سور قرطبة من جهة الغرب، اذ كانت تلك الجهة عارية مطلعة ابنيتهما على الداخلين فيها والخارجين من دون ان يحميها سور، كما استشاره بترميم القنطرة (مؤنس، ١٤٠٥هـ/٩٨٥م) القريبة من السور، فأشار الخليفة على السماح ونصحه بان يكون بناء

القنطرة اولا من صخور السور، كون اصلاحها يسهل ارتباط نواحي جنوبي الاندلس بعضها ببعض، ومن ثم يتم اصلاح ذلك السور وما تلتئم منه باللبن (مؤلف مجهول، اخبار مجموعة) وقد ايد ذلك مؤلف مجهول بقوله "كتب السماح لعمر يستشيريه ويعلمه ان مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ٠٠٠ وان احب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم ٠٠٠ فامر ببنيان القنطرة بصخر السور وان يبني السور باللبن" (سالم، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) وقد حرص الحكام على حماية المدن واهلها وتوفير الامن وصد غزوات المعتدين عليهم (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس).

لاشك من ان ترميم القنطرة كانت من الامور الملحة على ولاة الاندلس، ولاسيما بعد ان اصبحت حاضرة المسلمين، فكان حتما ربط المدينة عن طريق القنطرة بعد ان ازداد عدد سكانها فكان من الصعب عبور تلك الاعداد لتسير اعمالهم دونها، فكانت اعمال الترميم تتم بسرعه لان موقع السور المتخرب كان قريب من اعمال ترميم القنطرة، والجدير بالذكر وبعد ما تبين سير الاحداث ان سور مدينة قرطبة الذي تم ترميمه كان قد حاول مغيث لرومي تسلقه عند زحفة لفتح قرطبة فعمل على نقب ذلك السور وهدمة من الجهة الغربية فبقى على حاله حتى تم ترميمه بعد استشارة الخليفة عمر (ابن عبد الحكم) لقد نال اهتمام الولاة والامراء من بعد ترميم وبناء الاسوار فقد حرصوا على بناء الابراج والحصون، لتكون اداة ومراكز متقدمة للدفاع فضلا عن حماية المقاتلين، وعوائلهم المتواجدة داخلها.

اشارت النصوص التاريخية على ان السماح بن مالك الخولاني عند ولايته الاندلس التي استمرت لأكثر من سنتين (ابن عذاري، البيان المغرب) وتوغله في بلاد الفرنجة (المقري، نفع الطيب) امر ببناء جانبا من الأبراج على قنن الجبال على طول الساحل الشرقي والجنوبية الشرقية للاندلس (ارسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا واطاليا وجزائر البحر المتوسط، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) وكانت متسقة على طول تلك السواحل، وكانت عادة العرب إيقاد النيران في تلك الأبراج إيداناً بالحرب وقد نشر العرب هذا النمط من الأبراج النارية من الإسكندرية إلى طنجة (ارسلان، تاريخ غزوات العرب).

نال السماح رضى الخليفة عمر بن عبد العزيز اذ كان لا يتخلف عن استشارته بجميع امور الاندلس، وبعد استكمال بناء القنطرة والسور، وعزل الاندلس عن ولاية إفريقية انفرد السماح بولايتها، وهذا يدلنا على ان السماح اخذ قرار بناء تلك القلاع من ذاته من دون الرجوع الى الخليفة عمر واستشارته.

خامساً: الاستشارة والنصح في عهد عبد الرحمن الغافقي (١١٢-١١٤هـ / ٧٣٠-٧٣٢ م) لم تدم ولايته عبد الرحمن الغافقي الاولى (١٠٢هـ/٧٢٠م) سوى شهر واحد بعد استشهاد السمح بن مالك الخولاني سنة (١٠٢هـ/٧٢٠م) (ابن عذاري، البيان المغرب) الا انه في سنة (١١٢-١١٤هـ / ٧٣٠-٧٣٢ م) تولى ولاية الثانية والتي استمرت سنتين وسبعة أشهر (ابن عذاري، البيان المغرب) بعد ان عقد اهل الاندلس مجلساً لأجل ذلك (المراكشي، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) وقد اشرفنا على ان ولاية الأندلس كان يعينون مرة من قبل الخليفة ومرة من قبل والي افريقية ومرة من قبل قادة الاندلس (المقري، نفع الطيب) اذ ان تلك السياسة كانت متبعة لدى اهل الاندلس بتعيين ولايتها وهذا ما حصل لأيوب بن حبيب اللخمي بعد مقتل عبد العزيز سنة (٩٨هـ/٧١٦م) (الطبري) فأرسل والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (١١٠-١١٤هـ/٧٢٨-٧٣٢م) (القلقشندي، د.ت) الذي تولى بأمر هشام بن عبد الملك (ابن سعد، ١٤٠٨هـ/٩٨٧م) موافقته على ولاية الغافقي (ابن الاثير، الكامل في التاريخ) فبدأ الغافقي بتحسين الثغور الشمالية، وهو على ذلك كادت تقوم ثورة في الشمال بزعامة حاكما، مونوسه البربري الذي حكم من (١٠٧-١١٣هـ/٧٢٥-٧٣٠م) بعض ولاياتها باسم حكومة الأندلس (عنان، دولة الاسلام في الاندلس) ونتيجة لذلك ارسل الدوق أودو أمير أكويتين الى مونوسه يستشيريه بتوحيد الرأي ضد المسلمين، والاستقلال بحكم الولايات الشمالية، والخلص في نفس الوقت من خصمه زعيم الفرنج، ولاسيما بعد ان قدم ابنته لامبيجيا عروسا له (عنان، دولة الاسلام في الاندلس) وقد استغل ذلك بعد ازدياد حالة التوتر بين البربر والعرب في كل من أفريقية والاندلس، وبتمرده عقد الصلح مع الفرنجة، ووثق علاقته معهم دون ان يكون لتلك العلاقة اثر ايجابي على المسلمين، وبعد ان كشف مونوسيه القناع واعلن الثورة بانشقاقه عن امارة المسلمين استطاع الغافقي قطع مخطط مونوسيه الذي ارتسمه مع الدوق فارسل جيشاً لقتاله بقيادة ابن زيان، فتمكن من قتله واسر زوجته وارسالها الى بلاط دمشق سنة (١١٣هـ/٧٣٠م) (الجبالي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) وبعد سنة من قتله، استشهاد الغافقي في وقعة بلاط الشهداء (عنان، دولة الاسلام في الاندلس) في رمضان سنة (١١٤هـ/٧٣١م) (الكتاني، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)

سادساً: الاستشارة والنصح في عهد عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤٠) كانت شؤون البلاد تدار من الشمال الأفريقي بواسطة عامل اتخذ له من مدينة القيروان مركزاً لحكمه (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون) والواقع أنه في هذه المرحلة كانت البلاد التي يفتحها المسلمون، تدار امورها بصورة حازمة بالقدر الذي كانت تسمح به الأوضاع الأمنية وصعوبة

المواصلات، وفق سياسة تضعها الحكومة المركزية اذ برزت هذه السياسة في شمال أفريقيا مع والي افريقية عبيد الله ابن الحباب (١١٦-١٢٣هـ/٧٣٤-٧٤٠م) (ابن خياط ، تاريخ ابن خياط) الذي تولى افريقية بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس) الذي اتبع سياسة متعالية ومتعطرسة حيال البربر تميل نحو تغليب مصالح العرب ولو خرج في ذلك عن قواعد الإسلام وسنة الولاة الأوائل، اذ أراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين (ابن عذاري، البيان المغرب) عزم ابن الحباب، على تقدم عقبة بن الحجاج، دون أولاده والآخرين (ابن عذاري، البيان المغرب) فأراد امتحان اولاده، فلما دخل عقبه على ابن الحباب أقعده على سريره، فعند خروجه أنكر أولاده عليه ذلك فاستشارهم بأمر عقبه توليته ولاية الاندلس "فقالوا إن تعطيه شيئاً وتصرفه عنا فلا يكسر شرفنا فقال لهم نعم" (ابن عذاري، البيان المغرب) فجمع الناس فدخلوا عليه ودخل عقبه بن الحجاج في جملتهم فقام إليه وأجلسه على سريره ووقف قائماً فقال "أيها الناس إن بني هؤلاء غرتهم غرة الشيطان لعزة السلطان وأرادوا أمراً أخرج به عن الحق وأنكروا ما رأوا من بري بهذا الرجل وإنما أخبركم أنه مولاي وأن أباه أعتق أبي وإن أكره كتمان أمر الله والله شهيد به علي" (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس) وجاءت رواية مؤلف مجهول تحمل نفس معنى رواية ابن القوطية "وان شأت وليتك الاندلس فأختار عقبه الاندلس وقال اني احب الجهاد وهي موضع جهاد" فولاة عليها سنة (١١٦ هـ/٧٣٤م) (مؤلف مجهول، اخبار مجموعة).

يتبين مما ذكر ان ابن الحباب اراد ان يوصل رساله ويبين لأولاده امام الجميع عندما استشارهم بأمر عقبه بن الحجاج انهم ليس بأشرف نسبا ومركزا من عقبه وان تبجحهم وغرورهم بانهم اولاد والي افريقية يجب ان لا يقلل من منزلتهم للأخريين، فصرح امام الجميع ما ذكره ابن القوطية من فضل والده عقبه على والد عبيد الله، فاراد ان يرد فضل ابيه فخيره باي ولاية يحب ان يحكم، فهذه دلالة واضحة من عبيد الله بن الحباب بأنه استشار عقبه باختيار الجهة التي يرغب بولايتها اكراما له ولوالده فضل عقبه على الاندلس حتى سنة (١٢١هـ/٧٣٨م) (ابن عذاري، البيان المغرب).

ونتيجة للسياسة التي انتهجها ابن الحباب ضد البربر، تشاور البربر بان يبعثوا وفدا للخليفة هشام، يرفع إليه ظلامتهم ويطالب بإنصافهم فانتخبوا من بينهم سبع عشر رجلا (الثعالبي ،١. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) من بينهم ميسرة المطغري (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس) ومغرور بن طالوت، وطريف البرغواطي، فقصدوا الشام، ولما وصلوا دمشق استأذنوا بالدخول على الخليفة وانتظروه فترة طويلة حتى يئسوا من لقائه (الثعالبي) فأتوا الوزير الابرش الكلبى (ابن

حزم، ١٤٠٤هـ/٩٨٣م) الذي يعد من مستشاري الخليفة هشام، والذي قدموا له عريضة ذكروا فيها شكواهم لكن دون جدوى (الثعالبي) وجراء تلك السياسة خرجت ثورات في عموم افريقية والتي هي بالأساس كانت امتداد لتلك الثورات التي حدثت في الأندلس وهذه السياسة التي انتهجتها الدولة الأموية التي قامت على سيادة العنصر العربي وفرض الجزية وعدم المساواة بين العناصر الأخرى، حتى انتشرت عدوى هذه الثورة إلى بربر الأندلس الذين أيدوا مطالب إخوانهم في المغرب لاسيما وأن العرب في الأندلس قد استأثروا بجل المناطق و ثروات البلاد وإقصاء البربر (بوابية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ونتيجة لهذه السياسة والتي زاد في ضرامها الخليفة هشام ونصحاءه بإصرارهم على تنفيذ تلك السياسة مهما كلفهم الامر التي بسببها تعطلت الفتوحات (الثعالبي) اذ جرت بين العرب والبربر معركة قتل فيها حماه العرب وفرسانها فسميت غزوة الاشراف (ابن خياط، تاريخ ابن خياط) وانتفضت البلاد وخرج امر الناس وبلغ اهل الاندلس البر فثار البربر بأمر الاندلس، عقبه بن الحجاج فعزلوه سنة (١٢١هـ/٧٣٨م) (ابن عذاري، البيان المغرب) بعد ان اشار عليهم بذلك عبد الملك بن قطن (الحميدي) وهذا ما اكده ابن القوطية "فلما بلغ اهل الاندلس ثورة البربر بطنجة ثاروا على واليهم عقبة بن الحجاج، فخلعوه وكان القائم بذلك عبدالله بن قطن الفهري، فولي الامر ولم يخلع دعوة ولا طاعة ودانت له الاندلس" (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس) اذ كان قطن، حاقدا عليه وعلى سياسة ابن الحباب، لعدم توليه للأندلس فأتخذ الثورة وسيله للحصول على ولاية الاندلس دون امر ابن الحباب، ونتيجة لتلك الخسارة اختلت الأمور على ابن الحباب، "فاجتمع الناس عليه وعزلوه" (ابن عذاري، البيان المغرب) ورواية ابن القوطية تشير الى ان الخليفة هشام اراد الانتقام من البربر فقام بعزل ابن الحباب، وتوليه كلثوم بن عياض القيسي (ابن منظور م.، ١٤٠٥هـ/٩٨٤م) بعد اذ اشار عليه الخليفة بان الحال لا ينتهي الا بقتل البربر و اشار عليه ايضا ان يكون بلج بن قشير خلفا له ومن بعده ثعلبه بن سلامة العاملي (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس)

وعلى ما يبدو لنا ان رواية اجتماع الناس وابداء رأيهم بعد المشاورات بعزل ابن الحباب، هي الاقرب الى الصواب من رواية ابن القوطية هذا اذا سلمنا بان الاجتماع يراد به الاصلاح، وان كان نتيجة الروايتين هي عزل ابن الحباب ولاسيما ان تلك السياسة اتجاء البربر اثرت على الوالي عقبه بن الحجاج في الأندلس، فأطاحت به، كون اغلب الناس ارادوا تهدئة الوضع بين البربر والعرب ولاسيما بعد ان عدو البربر فيء للعرب المسلمين. لكن رغبة الناس كانت لا تتماشى مع رغبة الخليفة القمعية على عكس رواية ابن القوطية التي كانت نتيجتها توحى بان الخليفة هشام

ارسل الى كلثوم من اجل الخلاص من البربر، وجعل بلج وثعلبه خلفا له، وكأنه قلب التاريخ ورأى ان هذه المعركة ستكون كغزوة مؤته سنة (٨٠هـ/٦٢٩م) عندما عد لها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث قاده فقال اذ قتل زيد بن حارثه كان عليكم عبد الله بن رواحة واذ قتل كان عليكم جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم (ابن اسحاق، ١٣٩٨هـ/٩٧٨م) وكون هشام كان يعلم مدى قوة وعناد البربر اعد لهم هذا الامر.

فغضب الخليفة هشام من فعل البربر فقال "لأغضب للعرب غضبه واسير جيشا يكون اولهم عندهم واخرهم عندي" (ابن الاثير، الكامل في التاريخ) حتى جرت معركة بين العرب بقيادة والي افريقية كلثوم بن عياض والبربر، وكان عليهم ميسرة المطغري، الا ان البربر انكرت عليه فقتلوه سنة (١٢٤هـ/٧٤١م) (ابن خياط، تاريخ ابن خياط) وامروا عليهم خالد ابن حميد الزناتي (الذهبي، تاريخ الاسلام) وكانوا خلقا لا يحصى فاشتد القتال بينهم، ونتيجة لتلك السياسة قتل كلثوم سنة (١٢٤هـ/٧٤١م) (ابن خياط، تاريخ ابن خياط) وأضربت العساكر فمضى أهل الشام مطاردين يفرون من ارض المعركة نحو سبته، يقودهم بلج بن بشر القشيري (ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون).

نرى ان تلك الصراعات كانت بداية النهاية للدولة الاموية في المشرق، فما كان على الخليفة الا ان يجري تغييرا سياسيا واداريا للوقوف من جديد فقام بتغيير مستشاريه ونصحاءه، وبالتالي انعكس ذلك ايجابا على سياسه الدولة، ولاسيما مع البربر، في المغرب والاندلس، وهذا ما سنراه عند ولاية حنظلة بن صفوان الكلبى في أفريقية، وابو الخطار الكلبى في الاندلس، ولا ننسى حقيقة الامر ان المقربين للخليفة من وزراء او مستشارين او قضاء لم يمارسوا دورهم الاصلاحى، للحد من سفك الدماء، ولاسيما الابرش الكلبى، ومسلمه اخ الخليفة الاموي الذين كانوا من مستشاريه ونصحاءه المقربين، ولا نعرف اهو خوفا من الخليفة؟ ام هي نكاية لغير العربي؟ ونتيجة لتلك الاحداث والتي كانت سببا لزعزعة الاستقرار السياسى والعسكري لأفريقية والاندلس، وما كان لها اثر سلبي على مكونات المجتمع، اذ كانت تلك الثورات تندلع من فترة الى اخرى اذ تقوى بضعف السلطة الحاكمة وتضعف بقوة السلطة وظلت مستمرة الى نهاية ولاية الاميرعبدالله، الاموي(٢٧٥-٣٠٠هـ /٨٨٨-٩١٢م)، في الاندلس لتعود من جديد نهاية الدولة العامرية سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)، لتستمر حتى نهاية الدولة الاموية في الاندلس (٤٢٢هـ/١٠٣٠م).

نتائج البحث

استهدف البحث دراسة الاستشارة والنصح بعهد الولاة وبين اهميتها ولاسيما بمراحل عبور المسلمين الى ارض الاندلس، وقد لخص البحث الى النتائج التالية:

كشفت الدراسة الدور البارز للاستشارة والنصح وما تخللها من نصوص تاريخية دلت على الكثير من الاستشارات التي ادلو بها الولاة وقاداتهم في الاندلس وتناصحو على الكثير من الامور السياسية والعسكرية فضلا عن المعمارية، حتى انهم اتفقوا على قتل اول ولاة الاندلس عبد العزيز لما بلغهم من امر زوجته، ارملة لذريق، ولاسيما بعد ان أمر سليمان بن عبد الملك بذلك فقام عليه ابن النابغة التميمي فاجهز عليه واحتز رأسه، لم تتوقف الاستشارة على امر سياسي معين، فقد قام السمح بن مالك الخولاني بالاستشارة من اجل أعاده بناء سور قرطبة كما استشار بترميم القنطرة القريبة من السور.

ومع تلك الاستشارة وما تمخض منها بأبداء النصيحة للمستشير، كان الاستبداد بالرأي دون الاخذ من الاخرين حاضراً، ونتيجة لذلك ان جعل بعض العرب تهيمن على حرية الفرد والجماعات حتى احدث ذلك خللاً على الصعيدين الداخلي والخارجي، حتى استغل معارضي الاندلس هذا الامر لصالحهم، فلولا تلك التفرة العنصرية لما كان ما كان من امر الاندلس، ومن نتاج ذلك الاستبداد ان انتهى عهد الولاة سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م).

المراجع

(بلا تاريخ).

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ) الماوردي. (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). ادب الدنيا والدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (٥٨١هـ) الميداني، و ابو الفضل، شهاب الدين

محمود (١٢٧٠هـ) الالوسي. (د.ت؛ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م). مجمع الامثال؛ روح المعاني في

تفسير القرآن والسبع المثاني. بيروت: دار المعرفة؛ دار الكتب العلمية.

أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (٥٨١هـ) النيسابوري. (د.ت). مجمع الامثال. بيروت: دار المعرفة.

ابي المنصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ)، الثعالبي. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). تحفة الوزراء.

بيروت: الدار العربية للموسوعات.

- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت ٤٢٩هـ) الثعالبي. (١٤٠١هـ/١٩٨٠م). التمثيل والمحاضرة (المجلد ٢). بيروت: الدار العربية للكتاب.
- محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى (ت ٢٧٩هـ) الترمذي. (١٤١٠هـ/١٩٩٨م). سنن الترمذي. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- ابراهيم انيس. (د.ت). المعجم الوسيط. دمشق: دار الكتاب للطباعة.
- إبراهيم بن ناصف بن عبد الله بن ناصف (١٣٢٤هـ) بن جنبلط. (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م). نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد. القاهرة: مطبعة المعارف.
- ابن الاثير. (بلا تاريخ). الكامل في التاريخ.
- ابن الاثير. (بلا تاريخ). الكامل في التاريخ.
- ابن الاثير. (بلا تاريخ). الكامل في التاريخ.
- ابن الاثير. (بلا تاريخ). الكامل في التاريخ.
- ابن الفرصي. (بلا تاريخ). تاريخ علماء الاندلس.
- ابن القوطية. (بلا تاريخ). تاريخ افتتاح الاندلس.
- ابن القوطية. (بلا تاريخ). تاريخ افتتاح الاندلس.
- ابن القوطية. (بلا تاريخ). تاريخ افتتاح الاندلس.
- ابن القوطية. (بلا تاريخ). تاريخ افتتاح الاندلس.
- ابن خلدون. (بلا تاريخ). تاريخ ابن خلدون.
- ابن خلدون. (بلا تاريخ). تاريخ ابن خلدون.
- ابن خياط. (بلا تاريخ). تاريخ ابن خياط.
- ابن خياط. (بلا تاريخ). تاريخ ابن خياط.
- ابن خياط. (بلا تاريخ). تاريخ ابن خياط.
- ابن خياط. (بلا تاريخ). تاريخ ابن خياط.
- ابن عبد الحكم. (بلا تاريخ). فتوح مصر والمغرب.
- ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.
- ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.
- ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.
- ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.

- ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.
ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.
ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.
ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب.
ابن عذاري. (بلا تاريخ). البيان المغرب ال.
ابن قتيبة. (بلا تاريخ). الامامة والسياسة.
ابو الحسن احمد بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ) ابن فارس. (١٣٩٩هـ/٩٧٨م). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
ابو الحسن اسحاق بن ابراهيم بن سليمان (ت ٣٣٥هـ) الكاتب. (١٣٨٩هـ/٩٦٩م). البرهان في وجوه البيان. القاهرة: مطبعة الرسالة.
أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ) ابن الاثير. (١٤١٨هـ/٩٩٧م). الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتاب العربي.
ابو الحسن علي بن اسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ) ابن سيده. (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). المحكم والمحيط. بيروت: دار الكتب العلمية.
ابو العباس احمد بن علي، (ت ٨٢٠هـ) القلقشندي. (د.ت). صبح الاعشى في صناعة الانشا. بيروت: دار الكتب العلمية.
ابو العلاء احمد بن عبدالله (ت ٤٤٩هـ) المعري. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي. الرياض: مركز الملك فيصل.
ابو الفضل بن موسى بن عمرون اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ابن عياض. (١٤٣٢هـ/٢٠١١م). التنبهات المستبقة على الكتب المدونة والمختلطة. بيروت: دار ابن حزم.
ابو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) الالوسي. (١٤١٥هـ/٩٩٤م). روح المعاني في تفسير القران والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (٥٠٢هـ) الأصفهاني. (١٩٩٩هـ/١٤٢٠). محاضرات الادباء ومحاولات الشعراء ووالبلغاء. بيروت: دار الارقم بن ابي الارقم.
أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ) ابن عساكر. (١٤١٦هـ/٩٩٥م). تاريخ دمشق. بيروت: دار الفكر.

- ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جار الله (٥٣٨هـ) الزمخشري. (١٤١٩هـ/١٤٤٤م)). اساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جار الله (٥٣٨هـ) الزمخشري. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). اساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابو براهيم اسحاق بن ابراهيم بن الحسن (٣٥٠هـ) الفارابي. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). معجم ديوان الادب. القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة.
- ابو بكر محمد بن الحسن الازدي (٣٢١هـ) ابن دريد. (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). جمهرة اللغة. بيروت: دار العلم للملايين.
- ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد (٣٤٧هـ) ابن يونس. (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). تاريخ ابن يونس. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابو عبد الله احمد بن محمد بن هلال الشيباني (٢٤١هـ) ابن حنبل. (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). مسند الامام احمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (٢٣٠هـ) ابن سعد. (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). الطبقات الكبرى. الرياض: مكتبة العلوم والحكم.
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (٧٠٣هـ) المراكشي. (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصله. تونس: دار العرب الاسلامي.
- ابو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (٦٩٥هـ) ابن عذاري. (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م). البيان المغرب. بيروت: دار الثقافة.
- ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر (٦٧١هـ) القرطبي. (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م). تفسير القرطبي. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- ابو عبدالله محمد بن ادريس بن العباس (٢٠٤هـ) الشافعي. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). تفسير الامام الشافعي. الرياض: دار التدميرية.
- ابو عبيد احمد بن محمد (٤٠١هـ) الهروي. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). الغريبين في القرآن الحديث. الرياض: مكتبة نزار مصطفى.
- أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري (٣٥٥هـ) الكندي. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). كتاب الولاة. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني (ت ٢٤٠هـ) ابن خياط. (٨٠٠هـ/١٣٩٧م). تاريخ ابن خياط. بيروت: دار القلم.

أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ) الهجراني. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م). قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر. الرياض: دار المناهج.

أبو محمد عبد الله روزية بن داوذية (١٤٢هـ) ابن المقفع. (د.ت). الادب الغير. الاسكندرية: دار ابن القيم.

أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ) الدارمي. (١٤١٢هـ/١٩٩١م). سنن الدارمي. الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع.

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (٤٥٦هـ) ابن حزم. (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م). جمهرة انساب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (٣٧٠هـ) الازهري. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). تهذيب اللغة. بيروت: دار احياء التراث العربي.

أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي (٣٩٣هـ) الجوهري. (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين.

أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ) الدينوري. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). عيون الاخبار. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبي محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) ابن قتيبة. (د.ت). الامامة والسياسة. القاهرة: مطبعة الفتوح الادبية.

أبي الفرج علي بن الحسن صدر الدين (٦٥٩هـ) البصري. (د.ت). الحماسة البصرية. بيروت: عالم الكتب.

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (٧٣٣هـ) النويري. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). نهاية الارب. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر (٤٢٨هـ) القدوري. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). التجريد. القاهرة: دار السلام.

أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤هـ) عمر. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتاب.

الثعالبي. (بلا تاريخ). تاريخ شمال افريقيا.

- الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ) الصنعاني. (١٣٩١هـ/٩٧١م). التكملة والذيل والصلة
لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية. القاهرة: دار الكتب.
الحميدي. (بلا تاريخ). جذوة المقتبس.
- الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) الفراهيدي. (د.ت). العين. بيروت:
دار ومكتبة هلال.
- الذهبي. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال. القاهرة: مكتبة الفاروق.
الذهبي. (بلا تاريخ). تاريخ الاسلام.
- السامرائي. (بلا تاريخ). تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس.
- الشافعي. (١٣٧٠هـ/١٩٥١م). مسند الامام الشافعي. بيروت: دار احياء التراث العربي.
الشافعي. (١٤٠٠هـ/١٩٧٩م). المسند. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشيخ احمد محيي الدين العجوز. (١٤٠١هـ/١٩٨٠م). مناهج الشريعة الاسلامية. بيروت: مكتبة
المعارف.
- الشيخ محمد الغزالي. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). الاسلام والاستبداد السياسي (المجلد ٦). القاهرة:
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الطبري. (بلا تاريخ). تاريخ الطبري.
- القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (٥١٦هـ) البصري. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). درة
القواص في اوهام الخواص. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
- القاضي حسين بن محمد المهدي. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). الشورى في الشريعة الاسلامية. بيروت:
دار الكتاب.
- القاضي محمد بن عبدالله المعافيري (٥٤٣هـ) ابن العربي. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). احكام القران
(المجلد ٣). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الماوردي. (د.ت). تسهيل النظر وتعجيل الظفر في اخلاق الملك. بيروت: دار النهضة العربية.
المقري. (بلا تاريخ). نفح الطيب.
المقري. (بلا تاريخ). نفح الطيب.
المقري. (بلا تاريخ). نفح الطيب.
المقري. (بلا تاريخ). نفح الطيب.

- المهلب بن احمد بن اسيد بن عبدالله الاسدي (ت ٤٣٥هـ) ابو صفرة. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الصحيح. الرياض: دار التوحيد.
- امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) الطبرسي. (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). مجمع البيان
في تفسير القران. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
- برهان زريق. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). الشورى في الاسلام. دمشق: وزارة الثقافة والاعلام.
- بن الحجاج ابو الحسن القشيري (ت ٢٦١هـ) مسلم. (د.ت). المسند الصحيح المختصر. بيروت: دار
احياء التراث العربي.
- توفيق الشاوي. (١٤١٢هـ/١٩٩١م). فقه الشورى والاستشارة. القاهرة: دار الوفاء للطباعة والتوزيع
والنشر.
- جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) السيوطي. (د.ت). الدر المنثور. بيروت: دار
الفكر.
- جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن حسين (ت ٩٠٩هـ) ابن المبرد. (١٤١١هـ/١٩٩٠م). الدر
النقي في شرح الفاظ الخرقى. الرياض: دار المجتمع للنشر والتوزيع.
- حسن ضياء الدين محمد عز. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). الشورى في ضوء القران والسنة. دبي: دار
البحوث للدراسات العلمية.
- حسين مؤنس. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). رحلة الاندلس حديث الفردوس المفقود. جدة: دار السعودية
للنشر.
- خالد حسن حمد الجيالي. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). الزواج المختلط بين المسلمين والاسبان. القاهرة:
مكتبة الاداب.
- خطاب. (بلا تاريخ). قادة فتح الاندلس.
- خليل ابراهيم السامرائي. (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس. بيروت: دار
الكتاب الجديد.
- خليل بن اسحاق بن موسى المصري (ت ٧٧٦هـ) الجندي. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). التوضيح في شرح
المختصر الفرعي. سرايفو: مركز نجيبوية للمخطوطات.
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت ١٣٩٦هـ) الزركلي. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). الاعلام
(المجلد ٥). بيروت: دار العلم للملايين.

رينهارت بيتر آن (ت ١٣٠٠هـ) دوزي. (١٤٠٠هـ/١٩٧٩م). تكلمة المعاجم العربية. بغداد: وزارة الثقافة والاعلام.

زين الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر (ت ٦٦٦هـ) الرازي. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). مختار الصحاح. بيروت: المكتبة العصرية.

سورة ابراهيم، اية ١٥. (بلا تاريخ).

سورة ال عمران اية ١٦٠. (بلا تاريخ).

سورة ال عمران، اية ١٨٧. (بلا تاريخ).

سورة ال عمران، اية ١٥٩. (بلا تاريخ).

سورة الانعام ، اية ٩٤. (بلا تاريخ).

سورة الانفال، اية ٥٨. (بلا تاريخ).

سورة الزمر، اية ٢٩. (بلا تاريخ).

سورة الشورى، اية ٣٨. (بلا تاريخ).

سورة الطلاق، اية ٦. (بلا تاريخ).

سورة المنافقون، اية ٤. (بلا تاريخ).

سورة النحل، اية ٤. (بلا تاريخ).

سورة ص ، اية ٢١. (بلا تاريخ).

سورة ق، اية ٢٤. (بلا تاريخ).

شكيب ارسلان. (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

شكيب ارسلان. (بلا تاريخ). تاريخ غزوات العرب.

شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزوغلي (ت ٦٥٤هـ) سبط ابن الجوزية. (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

مرأة الزمان في تاريخ الاعيان. دمشق: دار الرسالة العالمية.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) الذهبي. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). تاريخ الاسلام

ووفيات المشاهير والاعلام. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) الحموي. (١٤١٦هـ/١٩٩٥م). معجم البلدان.

بيروت: دار صادر.

- شهاب الدين احمد بن خالد بن محمد (ت ١٣١٥هـ) السلاوي. (١٣١٢هـ/١٨٩٤م). الاستقصا
لاخبار دول المغرب الاقصى. المغرب: الدار البيضاء.
- شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ) المقري. (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م). نفع الطيب.
بيروت: دار صادر.
- صلاح الدين خليل بن ابيك (٧٦٤هـ) الصفدي. (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). تصحيح التصحيح وتحريير
التحريف. القاهرة: مكتبة الخاني.
- عبد الرحمن بن عبد الله ابو القاسم المصري (ت ٢٥٧هـ) ابن عبد الحكم. (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). فتوح
مصر والمغرب. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) ابن عبد الحكم. (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م). فتوح
افريقيا والاندلس. بيروت: دار الكتاب اللبنانية.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابو زيد (ت ٨٠٨هـ) ابن خلدون. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). تاريخ ابن
خلدون (المجلد ٢). بيروت: دار الفكر.
- عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب (ت ٥٩٠هـ) الشيزري. (د.ت). المنهج السلوك في
سياسة الملوك. عمان: مكتبة المنار.
- عبد الرحمن علي الحجي. (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م). اندلسيات. بيروت: دار الرشاد.
- عبد العزيز الثعالبي. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي الى نهاية
الدولة الاغلبية. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- عبد العزيز سالم. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس. القاهرة: مؤسسة شباب
الجامعة.
- عبد القادر بوباية. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). البربر في الأندلس و موقفهم من فتنة القرن الخامس
الهجري الحادي عشر الميلادي (٣٠٠ - ٤٢٢ هـ / ٩١٢ - ١٠٣٠ م). وهران: جامعة
وهران.
- عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع (ت ٢١٤هـ) ابن عبد الحكم. (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). سيرة عمر بن
عبد العزيز (المجلد ٦). بيروت: عالم الكتاب.
- عبد الملك بن هشام بن ايوب المعافيري (ت ٢١٣هـ) الحميري. (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م). السيرة النبوية
لابن هشام. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

عبدالله بن محمد ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) العباسي. (د.ت). طبقات الشعراء (المجلد ط٣). القاهرة: دار المعارف.

عبدالله بن محمد بن يوسف ن نصر (ت٤٠٣هـ) ابن الفرضي. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). تاريخ علماء الاندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عدنان علي رضا النحوي. (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). الشورى وممارساتها الايمانية (المجلد ط٣). الرياض: دار النحوي للنشر.

علي بن ابي بكر بن عبد الجليل (ت٥٩٣هـ) المرغياني. (د.ت). هداية في شرح بداية المبتدي. بيروت: دار احياء التراث العربي.

علي بن محمد المنتصر بالله (ت١٤٢٢هـ) الكتاني. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). انبعاث الاسلام في الاندلس. بيروت: دار الكتب العلمية.

عمرو بن بحر بن محبوب الليثي (ت٢٥٥هـ) الجاحظ. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

عنان. (بلا تاريخ). دولة الاسلام في الاندلس.

عنان. (بلا تاريخ). دولة الاسلام في الاندلس.

عنان. (بلا تاريخ). دولة الاسلام في الاندلس.

عودة (١٣٧٣هـ) عبد القادر. (١٤٠٢هـ/١٩٨١م). الاسلام واوضاعنا السياسية. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

فتحي الدريني. (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). خصائص التشريع الاسلامي في السياسة والحكم. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ليفي بروفنسال. (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م). تاريخ اسبانيا الاسلامية من الفتح الى سقوط الخلافة القرطبية. مدريد: المجلس الاعلى للثقافة.

مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ). الفيروزابادي. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة دار الرسالة.

مجد الدين المبارك بن محمد عبد الكريم (ت٦٠٦هـ) ابو السعادات. (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). النهاية في غريب الحديث والاثر. بيروت: المكتبة العلمية.

محمد ابو فارس عبد القادر. (١٤٠٠هـ/١٩٧٩م). النظام السياسي في الاسلام. عمان: دار الفرقان.

- محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ) ابن القيم. (١٤١١هـ/١٩٩٠م).
اعلام الموقعين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد (ت٧٥١هـ) ابن القيم الجوزية. (١٤١١هـ/١٩٩٠م). اعلام
الموقعين عن رب العالمين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمد بن احمد بن الهروي (ت٣٧٠هـ) الازهري. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). تهذيب اللغة. بيروت: دار
احياء التراث العربي.
- محمد بن احمد بن محمد بن سليمان (ت٦٣٣هـ) ابن بطال. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). المستعذب في
تفسير غريب الفاظ المهذب. الرياض: المكتبة التجارية.
- محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله (٣٠١هـ) المقدمي. (١٤١٥هـ/١٩٩٤م). التاريخ واسماء
المجدثين وكناهم. غزة: دار الكتاب والسنة.
- محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ) البخاري. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). الادب المفرد
بالتعليقات. الرياض: مكتبة المعارف.
- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت٣٢٨هـ) الانباري. (١٤١٢هـ/١٩٩٢م). الزاهر في معاني
كلمات الناس. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت٣١٠هـ) الطبري. (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م). تاريخ الرسل والملوك.
بيروت: دار التراث.
- محمد بن حيان بن احمد بن حيان (ت٣٥٤هـ) البستي. (١٤١٧هـ/١٩٩٦م). السيرة النبوية
والخلفاء. بيروت: الكتب الثقافية.
- محمد بن رواس القلعجي. (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م). معجم لغة الفقهاء (المجلد ط٢). بيروت: دار
النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد بن عمر بن اقد السهمي الاسلامي (ت٢٠٧هـ) الواقي. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). المغازي.
بيروت: دار الاعلمي.
- محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت٢٧٩هـ) الترمذي. (د.ت). الشمائل المحمدية. بيروت: دار
احياء التراث العربي.
- محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد (ت٤٨٨هـ) الحميدي. (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م). جذوة
المقنَّبس في ذكر ولاة الاندلس. القاهرة: الدار المصرية للتأليف.

- محمد بن فتوح بن عبدالله بن فتوح (ت ٤٨٨هـ) الحميدي. (١٣٨٦هـ/٩٦٦م). جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس. القاهرة: الدار المصرية للتأليف.
- محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ (ت ٣٣٩هـ) الفارابي. (د.ت). مجموع في السياسة. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت ٧١١هـ) ابن منظور. (١٤٠٥هـ/٩٨٤م). مختصر تاريخ دمشق. دمشق: دار الفكر للطباعة.
- محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ) ابن منظور. (١٤١٤هـ/٩٩٣م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- محمد بن منصور بن حبيش (ت ٦٧٣هـ) ابن الحداد. (١٤١٧هـ/٩٩٦م). الجوهر النفيس في سياسة الرئيس. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- محمد بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ) ابن اسحاق. (١٣٩٨هـ/٩٧٨م). سيرة ابن اسحاق. بيروت: دار الفكر.
- محمد طاهر بن محمد بن محمد الطاهر (١٣٩٣هـ) ابن عاشور. (١٤٠٥هـ/٩٨٤م). التحرير والتوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- محمد عبد اللطيف صالح الفرفور. (د.ت). خصائص الفكر الاسلامي. القاهرة: دار الامام الاوزاعي.
- محمد عبد الله (ت ١٤٠٦هـ) عنان. (١٤١٨هـ/٩٩٧م). دولة الاسلام في الاندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- محمد عبده بن حسن (ت ١٣٢٣هـ) خير الله. (د.ت). رسالة التوحيد. بيروت: دار الكتاب العربي.
- محمود شبيب (ت ١٤١٩هـ) خطاب. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). قادة فتح الاندلس. الرياض: مؤسسة علوم القرآن.
- محمود شيت خطاب. (١٤١٠هـ/٩٨٩م). الشورى في الاسلام، الشورى العسكرية في الاسلام. عمان: مؤسسة ال البيت.
- محمود عباس العقاد. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). الديمقراطية في الاسلام. القاهرة: شركة نهضة مصر.
- مؤلف مجهول. (١٤٠٧هـ/٩٨٦م). اخبار مجموعة. مجريط: مطبعة ريدنير.
- مؤلف مجهول. (بلا تاريخ). اخبار مجموعة.
- مؤلف مجهول. (بلا تاريخ). اخبار مجموعة.

- مؤلف مجهول. (بلا تاريخ). اخبار مجموعة.
- مؤلف مجهول. (بلا تاريخ). اخبار مجموعة.
- مؤلف مجهول. (بلا تاريخ). اخبار مجموعة.
- نشوان بن سعيد اليميني (ت ٥٧٣هـ) الحميري. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). شمس العلوم ودواء. بيروت:
دار الفكر المعاصر.
- نشوان بن سعيد اليميني (ت ٥٧٣هـ) الحميري. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). شمس العلوم ودواء كلام
العرب من الكلوم. بيروت: دار الفكر المعاصر.
- هاني سليمان الطعيمات. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). حقوق الانسان وحرياته الاساسية. بيروت: دار
الشرق للنشر.
- وفاء زين عبيد الرحيلي. (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م). الدور العسكري للحصون الاندلسية. جدة: مجلة
جامعة الملك عبد العزيز/ العدد ١.
- يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤هـ) ابن تغري بردي. (د.ت). النجوم الزاهرة في ملوك
مصر والقاهرة. القاهرة: دار الكتب.

الدولة الفاطمية نشأتها وتطورها وتوسعاتها

The Fatimid state . It's origin , Development and Expansion

م. جواد كاظم حسن

كلية الامام الكاظم (ع) / قسم القانون

Instructor Jawad Kadhim Hassan

Imam Al-Kadhim College (IKC)—Department of Law

Kadhimjawad697@alkadhumi-col.edu.iq

الدولة الفاطمية نشأتها وتطورها وتوسعاتها

م. جواد كاظم حسن

المستخلص

لم يكن ظهور الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب العربي مفاجئة للنظام السياسي العباسي في حضرته بغداد ، بل كان متوقعا لكثير الاعمال التي قام بها العباسيين ضد العلويين ومنه النفي والطرده الى اطراف الدولة العباسية في المناطق الجبلية منها خاصة ، ولقد استعان الفاطميون بكثير من القبائل التي تقطن تلك المناطق لقيام دولتهم في المغرب ثم الانتقال الى بلاد النيل (مصر) في بلادهم ، لدولة في تلك البلاد.

الكلمات المفتاحية: الدعوة الفاطمية . سجلماسة . المغرب . عبدالله الشيعي . كتامة . بدر الجمالي

Abstract

The emergence of Fatimid in Al- Maghreb(Morroco) was not a surprise to the Abbasid political regime in its presence in Baghdad. Rather, it was expected due to the large number of actions undertaken by Abbasids against Al-alawyeen including exile and expulsion to the outskirts of the Abbasid state, especially in the mountainous areas. The Fatimids used many of the tribes that inhabiting those neighboring areas to establish their state in Al-Maghreb and then move to Egypt to be more near to the Abbasids in Baghdad. Moreover, the Fatimids used many of the tribes in Egypt to establish their state in that country.

المقدمة

لم يكن ظهور الدعوة الفاطمية^(١) في بلاد المغرب الأوسط في نهاية القرن الثالث الهجري/ بداية القرن العاشر الميلادي(٢٩٧هـ/٩٠٩م) قد فجأ العالم الإسلامي لأنَّ اهتمام بني عبيد بالمغرب، بدأ في بلاد المشرق، منذ إرسال الداعيتين لهما من مقرهم في السلمية(٢) وهما عبد الله بن علي المعروف بالحلواني(٣) وأبو سفيان الحسن بن القاسم(٤)، حيث زودا بالوصايا في استمالة البربر لدعوتهم، وقد استطاع هذان الداعيان، أن يكسبا أنصاراً في العديد من المدن والحوضر المغربية في

المغربين الأوسط والأقصى وأهمها مدينة "تادلة"^(٥)، ومدينة مرمجة^(٦)، والأريس^(٧)، ونفطة^(٨)، ومسكيانة^(٩)، ومجانة^(١٠)، وسببية^(١١)، وباغاية^(١٢)، مما أوجد ركائز ومنطلقات للحركة الفاطمية السياسية في فضاء هذه المدن، هذا فضلاً عما اكتسبته الحركة في استقطاب واستمالة الكتاميين البربر من دعوة الأدارسة لحركتهم وقيام دولتهم باسم العلويين الحسينيين مما هيا الفرصة لنجاح حركة الفاطميين الحسينيين^(١٣)، ويوضح موسى لقبال هذه الفكرة بافتراضه، إن قيام دولة الفاطميين في المغربين الأوسط والأقصى يمثل أول نجاح لهم يحمل في طياته الإرهاص بنجاح فرع الحسينيين في إقامة أكبر دولة علوية في بلاد المغرب^(١٤).

غير أن مناهضة أهل المغرب للفاطميين^(١٥) تحت هذا الاسم باستعداد البربر عليهم بزعم أن هؤلاء ليسوا من العلويين، بل هم عبيديون^(١٦) لا ينسبون إليهم، كما هو الشائع في الكتابات التاريخية للمؤرخين المشاركة والمغاربة.

وهكذا فإننا لا نسرف بالقول، فقبل أن يتوج جهود الفاطميين بقيام دولتهم السياسية استطاعت المعارضة المتجهة من المشرق أن تزرع في ربوع المغرب الحركة الانفصالية ضد الدولة العباسية، التي أيعت بظهور مجموعة من إمارات المدن والمراكز في المغربين الأوسط والأقصى ولكن لم يتح لها النمو والتوسع وبقت داخل حدودها^(١٧) الأمر الذي شجع الفاطميين على النهوض، إذ إن لقاء هذه الإمارات أسيرة داخل المدن، أفسح المجال للعمل على استقطاب الفاطميين للأتباع والأنصار إليهم. والظاهر أن انتهاء الداعيتين عبد الله بن علي بن أحمد الحلواني وأبي سفيان الحسن بن القاسم اللذين أرسلهما عبيد الله المهدي بوافتهما، أدى إلى اختيار ما عرفته المصادر باسم "الداعي" وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الذي يُكنى بأبي عبد الله، كما كانت له ألقاب عدة منها "الصنعاني" و"المحتسب" و"المعلم" و"الصوفي" و"الشيوعي" و"الأحوازي"^(١٨).

لكي يحلّ بأرض المغرب ويقود الدعوة الفاطمية، ويذكر ابن عذارى^(١٩) إنَّ أبا عبد الله، التقى بعشرة من زعماء قبيلة كتامة في الحجاز واستمالهم لدعوته، واتفق معهم على الرحيل إلى بلاد المغرب ليعبئ كتامة^(٢٠) وبقية القبائل البربرية الأخرى مثل "عجبة" و"زواوة"، فيكون بها قوة تستطيع أن تثبت أقدامها في هذه البلاد النائية عن نفوذ العباسيين^(٢١) وأمرائهم، فقد بدأت بطول أبي عبد الله الشيعي لبلاد المغرب، مرحلة مهمّة من مراحل التقدم الفاطمي في توسيع فضاء الدعوة وتأمين مرتكزاتها وتقويته للأوضاع والظروف، فاستطاع أن يوحد صفوف قبيلة كتامة للنهوض بأعباء الدعوة من الناحيتين الاجتماعية والعسكرية، فكان يقول لهم: "أنا لا أدعوكم لنفسي، وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت"^(٢٢). وقد عدَّ المقرئزي أبا عبد الله الشيعي (أحد رجالات العالم) القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظام من غير مال أو رجال^(٢٣).

ويبدو أن أول قوة سياسية، كان عليه أن يجابهها أبو عبد الله الشيعي ويعلن تحديه لها هم الأغلبية^(٢٤). وقد جاء ما يشير إلى ذلك فيما ذكره المؤرخون، أن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٤-٩٠١م) أرسل إليه أحد رجاله، ليستطلع جلية أمر الداعي، بعد أن ظهر في مدينة " يركان " ^(٢٥)، ولما عاد رسول الأمير إليه كانت ردود أبي عبد الله على رسالته، تبعث على الخوف وعدم الاطمئنان^(٢٦) حتى أنه " عرف أنه قطع دعوته " ^(٢٧).

المبحث الاول/ قيام الدولة الفاطمية

على الرغم من أن الأمراء الأغلبية الذين خلفوا إبراهيم بن أحمد، قاوموا الحركة الفاطمية، بجهود موفقة، ضد مناطق نفوذها في مدن " تازروت " ^(٢٨)، و " رميلة " ^(٢٩)، غير أن الكارثة حلت بأسرة الأغلبية في مدينة الأريس، إذ فرّ آخر أمرائهم وهو زيادة الله إلى بلاد المشرق. ويذهب موسى لقبال إلى أنه كان يمكن للحركة الفاطمية أن تُشل ويبدد شمل رجالها على يد الأغلبية، لو لم يرتكب زيادة الله آخر أمرائهم، بدافع الخوف على مركزه جرمًا كبيرًا بقتله لأخيه أبي عبد الله محمد الملقب بالأحول، الذي أبانت الأحداث عن مدى أهميته لاستمرار نظام الدولة، وإنّ اختفائه كان بداية النهاية لأسرة الأغلبية في بلاد المغرب^(٣٠).

ويمكن القول: إنّ الانكسار الأغلبي الذي تعرضت له جيوشهم قد مهدّ لاتخاذ الخطوة الثانية التي بدأ أبو عبد الله الشيعي ينفذ خيوطها بالهجوم على المدن والمناطق والإجهاز على الإمارات ودويلات المدن والمجمعات القبائلية وإخضاعها بالقوة أو بالأمان، وكانت سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م) سنة انتشار العساكر الفاطمية في المغربين الأوسط والأقصى، بعد أن تمكّن أبو عبد الله من استخلاص القادة من رجال القبائل الموالية، وكانت هزيمة عساكر الأغلبية في موقعة " كينونة " ^(*) قد فتحت الطريق أمام الفاطميين لتسجيل النصر على جيوش الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى^(٣١)، ومن ثم أتيح له

الزحف نحو مدن " سطيف " ^(٣٢)، و " بلزمة " ^(٣٣) و " باغاية "، و " قرطاجنة " ^(٣٤)، و " تبسة " ^(٣٥)، و " القصرين " ^(٣٦) في إقليم قمودة^(٣٧) ثم الاستيلاء على " قسنطينة " ^(٣٨)، و " تيجس " ^(٣٩)، و " ققصة " ^(٤٠)، ومن ثم دخلت جيوشهم مدينة الأريس مما أتاح لهم احتلال مدينة " رقادة " ^(٤١) حيث تمت تصفية دولة الأغلبية بالزحف النهائي على القيروان^(٤٢).

وهكذا، فقد تراءى لأبي عبد الله الشيعي، أنه لم يتبقّ أمامه سوى النهايات لاستحكام حلقات سيطرته التامة على أهم مفاصل بلاد المغربين الأوسط والأقصى، فكتب إلى عبيد الله المهدي، يحثه على القدوم، وحينما حلّ هذا الأخير متخفيًا إلى مدينة " سجماسة " ^(٤٣) حاضرة بني مدرار حيث أكرمه أميرها اليسع بن مدرار^(٤٤)، ولكن مهما يكن من أمر وفادة عبيد الله المهدي وتكريمه في البداية

والتضييق عليه فيما بعد بوضعه في سجن انفرادي عرف بالمطبق وتعريض أتباعه للتعذيب، فإنَّ وصول الجيوش الفاطمية إلى مشارف سجلماسة لتحريره أصبحت حقيقة واقعة، فكان أبو عبد الله الشيعي يجد في السير نحوها ليرغم أميرها على الخضوع مما ترتب عليه إحكام السيطرة على المدينة وهروب الأمير اليسع بن مدرار ورجاله ليلاً في مجاهل الصحراء وتم تحرير عبيد الله المهدي وأصبحت سجلماسة في إطار النفوذ الفاطمي^(٤٥).

ومهما يكن من أمر قيام الدولة الفاطمية، بعد أن وطّد أبو عبد الله الشيعي نفوذها في نفوس المغاربة سواء في مدينة سجلماسة أو في مدينة رقادة فإنَّ المغرب شهد وضعاً سياسياً جديداً، اختزل عدداً من الإمارات والدول، بكيان واحد على أنقاضها هي الدولة التي سعى إليها دعاة الفاطميين، فابن خلكان يذكر أن في رقادة والقيروان دعا لأبي محمد عبيد الله الملقب بالمهدي^(٤٦)، فقال: " ودعا له بالخلافة على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين بعد رجوعه من سجلماسة وما جرى له بها ما جرى "^(٤٧). أما ابن عذارى فقد قال: " أخرج أبو عبد الله الشيعي، عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم، وكانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار، فلما بصر به أبو عبد الله الشيعي، ترجّل له، وخضع بين يديه، وبكى من إفراط سروره به، ثم مشى أمامه راجلاً وسلّم إليه الأمر وقال لمن معه: " هذا هو مولاي ومولاكم، قد أنجز الله له وعده وأعطاه حقه وأظهر أمره "^(٤٨).

ويمكن أن نفهم من عبارته: " وأنجز الله له وعده " أي بتحقيق حلمه في قيام دولة لها نفوذها ورجالها وميدانها. ثم يواصل ابن عذارى قوله: " وانتهب أبو عبد الله الشيعي ورجاله، سجلماسة، وأحرقت، وهرب منها اليسع صاحبها في جماعة من بني عمه ليلاً، فطلبه أبو عبد الله الشيعي فلم يقدر عليه "^(٤٩) وهو لا يقَرَّ بأنَّ قيام الولاية لعبيد الله المهدي في مدينة سجلماسة، فلو أقرَّ ذلك لما سعى إلى حرق المدينة وإعفاء آثارها ونهبها مع رجاله.

ويوضح ابن عذارى في موضع آخر من كتابه، وصول عبيد الله المهدي إلى مدينة رقادة ومعه ابنه أبو القاسم ، ثم يصف استقبال أهل المدينة له، حينما وصل موكبه الذي كان يتقدمه أبو عبد الله الشيعي، والناس حوله " وبين يديه أقوام يسلمون عليه، فنزل عبيد الله في القصر المعروف بالصحن ونزل ابنه بقصر أبي الفتح وتسمّى عبيد الله المهدي "^(٥٠) وهي إشارة واضحة إلى قيام الدولة الفاطمية بالسلطتين الدينية والسياسية، حتى وضعت ديباجة إيمان قبيلة كتامة في أول دخولهم إفريقية تعظيماً وتشريفاً بعبيد الله المهدي : " وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة "^(٥١).

ويروي مؤرخ مجهول رواية مشابهة إلى ما جاء عند المؤرخين قوله: " استتفر الداعي (أبو عبد الله الشيعي) قبائل كتامة ومن استجاب لدعوته وقصد سجلماسة فدخلها لحينه وفرَّ اليسع فقتلته

طائفة من رعيته، ووصل الداعي من فوره لدار بنت مدرار واستخرج عبيد الله من سجنه وقال لهم: هذا مولاي الإمام فهو مولاكم. قال له عبيد الله: قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهداية وسرّ من فورك واستخرج مولاك أبا القاسم من سجن عدو الله وعدو أوليائه، فنهض الداعي راجلاً واستخرج أبا القاسم بن عبيد الله وأركبه بغلة أخيه أبي العباس واستخرج أهل سجلماسة من مواطنهم وقال لهم: لا يحلّ لكم أن تستوطنوا بلداً امتحن فيه الإمام، فلما خرجوا أمر بسلبهم ففتشوا كلهم رجالاً ونساءً وأخذ أموالهم وصرفهم ثم دخل رقادة وباع بها لعبيد الله المهدي وأقامه وأدخله القيروان وبنى المهديّة^(٥٢).

أما الحميري فيقول في معرض حديثه عن مدينة سجلماسة: "وبسجلماسة كان قيام بالدعوة العبيدية وإخراج أبي عبد الله الشيعي، لعبيد الله المهدي من سجن اليسع بن مدرار"^(٥٣). ويمضي الحميري متنبئاً ومحققاً لأهل المغرب بوصول المهدي إلى ربوع الدولة الدرارية عن طريق مصر في عصر الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م^(٥٤).

وينقل الحميري عن المؤرخين المتقدمين، مغالاة القول بالطعن في الدعوة الفاطمية ودعاتها، ويردد الأقوال فيقول: "إنه حينما دخل بهما رقادة (أي بعبيد الله المهدي وابنه) وباع بها لعبيد الله ثم أدخله القيروان وبنى له المهديّة" ثم يتقول عن ارتكاب عبيد الله المهدي الحرمات فأنكرت كتامة ذلك واتصلوا بأبي عبيد الله الداعي، فوافقهم على الإنكار والارتياح، ولما احتجوا لديه على حدّ زعمه، أمر عبيد الله المهدي بقتل أبي عبد الله الداعي الشيعي وأخيه، وأمر بالكتب إلى الأمصار، إنّ أبا عبد الله أحدث حدثاً فطهرناه بالسيف ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه^(٥٥).

وهكذا بلغت المغالاة المذهبية مذهباً في الطعون والاختلاف وبخاصة في بلاد المغرب، فكان المالكيون يطعنون بأهل العراق ويسمونهم "الحنفية" يعارضون الحضور في مجالسهم^(٥٦)، كما كانوا يطعنون في أنساب بعضهم، فقد أورد الحميري، أن الصولي كان يزعم أن جدّ عبيد الله المهدي صلبه الخليفة العباسي المهدي على الزندقة، وقال ثم أثبت آخرون نسبه، وحينما مات عبيد الله بالمهديّة سنة ٣٢٢هـ وولّى ولده أبو القاسم فأظهر مذهب أهل البيت نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق وإلى علي بن أبي طالب عليهما السلام، ثم بدأ يعدّد إسقاطات يزعم أنها من مذهب أهل البيت^(٥٧).

ويمكن القول إنّ قيام الدولة الفاطمية أيام عبيد الله المهدي وفي زمن ولده أبي القاسم وحفيده إسماعيل المنصور بن أبي القاسم، قد شهدت توطداً وتوسعاً ونفوذاً في بلاد المغرب وذلك بعد الانتصار على الثورات والتمردات والحركات التي واجهتهم وآخرها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكار الذي كان على مذهب الخوارج الصفزية سنة ٣٣٢هـ، وقد تم قمعها على يد إسماعيل المنصور بن أبي القاسم "ودانت للشيعي بلاد المغرب كلها وإفريقية"^(٥٨).

ولعلّ ما جاء عند ابن عذاري من التفصيلات حول اتخاذ الفاطميين مدينة رقادة مركزاً وقاعدة لدولتهم، يكتسب أهمية في التاريخ اللاحق للفاطميين في بلاد المغرب، ففي هذه المدينة، اتخذ عبد الله المهدي جملة من الإجراءات بعد إقامته في قصر الصحن ومقابلته لوفود الفقهاء ووجوه أهل القيروان الذين دعوا له وهنئوه وأظهروا له السرور بأيامه وسألوه تجديد الأمان لهم^(٥٩)، وقد أجابهم إلى ذلك بقوله: " أنتم آمنون في أنفسكم وذراريكم "^(٦٠). وكان من أهم ما اتخذته لقب " المهدي أمير المؤمنين " واصطناع وجوه جديدة من رجاله بإسناد مناصب لهم في الدولة، مثل الإشراف على بيت المال وقضاء رقادة وديوان الكتابة وديوان الخراج والحجابه والتعيين على منطقة قابس وإثبات الموالي وأبناء العبيد في ديوان العطاء وضرب السكة^(٦١).

غير أن أخطر قرار اتخذته عبيد الله المهدي كما تزعم المصادر هو تصفية أبي عبد الله الشيعي، قائده ومؤسس دولته، فقد عمد إلى تجريده من سلطاته وإبعاد رجاله عنه بالقضاء عليهم تدريجياً، ثم الإجهاز عليه واغتياه بخطة أعدّها مع بعض رجال كتامة^(٦٢) وزعمت المصادر إنَّ من بين الأسباب التي دفعت عبيد الله المهدي للتخلص من أقدر رجاله وأخلصهم له ما يشير إليها ابن خلدون، باتفاق أبي عبد الله وأخيه أحمد أبي العباس، على تحريض قبيلة كتامة وقبائل البربر ضده والطعن في خلافته سراً، ودعوة الناس لامتحانه وخلعه والقول إنه ليس هو الإمام المعصوم، فقال فيه المهدي إنه مفسد للهية " ^(٦٣).

ولكن أي من المصادر المعاصرة، لا تتحدث أو تشير حتى من طرف خفي إلى هذه الأسباب باختلاف الرأي مع أبي عبد الله وموقف عبيد الله المهدي منه الذي وصل إلى حدّ التصفية، مع ما كان لأبي عبد الله من مآثر في نشر الدعوة الفاطمية وإقامة دولتها، لا يرقى كحقيقة تاريخية رصينة، فلو قرأنا بإمعان كتاب النعمان أبي حنيفة المغربي " رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة " المتوفى سنة ٣٦٣هـ الذي شهد أحداث الدعوة منذ النصف الأخير من القرن الثالث الهجري وتحديداً سنة ٢٩٧هـ حتى وفاته في الربع الأول من القرن الرابع الهجري لا نجد فيه أثراً لمتبنيات المصادر المتأخرة وتسقطها لإدعاءاتها حول مقتل أبي عبد الله وأخيه، سوى إننا نقرأ ما يفيد إلى تأكيد النعمان عبارة عبيد الله المهدي: " رحمك الله أبا عبد الله وجزاك في الآخرة "^(٦٤) وقوله فيما اختلفت فيه بعض أذرع من كتامة في أبي عبد الله الشيعي من ثارات قديمة، فأوعزوا عبيد الله المهدي، ولكن بالتأكيد ليس إلى الحد الذي يفرض به إلى قتله على يده أو بواسطة آخرين. وإنَّ رسالة عبيد الله المهدي إلى الأمصار " وكتب إلى الشيعة بالمشرق في أمرهما "^(٦٥) مثل أخبار الوضع التي سعى إليها المؤرخون والإخباريون عن الأفراد الأبطال التاريخيين وتبرير قوتهم وجبروتهم أو الحطّ من شأنهم في نسبهم، ولم يكن عبيد

الله المهدي في وسط بيئة المغرب السادرة بالعنف المذهبي لا يسلم من قولات مؤرخي هذا العصر وكتّابه وإخبارييه وهو المشرقي الذي غلب المغرب وأدان له^(٦٦).

وهكذا فقد أثار مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس مشكلات بوجه الدولة الفاطمية الفتية، هي في غنى عنها في ظروفها الحرجة التي كانت تجتازها، إذ أظهرت بعض بطون كتامة الخلاف على عبيد الله المهدي^(٦٧)، وقيام مجموعة من كبراء أهل القيروان بمعارضة سياسته ودبروا له مؤامرة لاغتياله ومنهم محمد بن أبي سعيد الملي صاحب السوق وعبد الله بن محمد المعروف بابن النديم ومحمد بن أبي رجّال وأبي الوهب بن عمر بن زرارة العبدي^(٦٨)، ثم ثورة أهل طرابلس وبعض عناصر من كتامة على عامل الفاطميين، فقد أغلقوا أبواب المدينة وقتلوا من بداخلها وقدموا على أنفسهم محمد بن إسحق المعروف بابن القرنين، فأخرج المهدي جيشاً وحاربه شهرراً وأوقع فيهم كما سار أبو القاسم بن عبيد الله إلى طرابلس سنة ٣٠٠هـ وقمع ثورتهم، بعد أن استطاع الثوار من حرق مراكب الفاطميين ولكنه انتصر عليهم في البر^(٦٩).

المبحث الثاني/ محاولة الفاطميين إخماد الثورات

على الرغم من أن الفاطميين استطاعوا إخماد الثورات والفتن، ولكن عليهم أن يواجهوا احتمالات المستقبل المشحون بالأخطار ونذر الشرِّ ومصاعب الحروب الحقيقية، سواء في ميدان القتال ضد القبائل المعارضة في الفضاء المغربي برمته أو في الحواضر الكبرى، حيث كانت تضم فئات وعناصر معادية لإجراءاتهم ومخالفين لهم مذهبياً^(٧٠).

ويذهب موسى لقبال، إلى أن التحول الذي شهدته الحركة الفاطمية من دعوة سرّية تمتلك أنصاراً ومتطوعين وحشداً من الدعاة التاريخيين، إلى نظام دولة تقليدية مستقرة، لها رئيس وموظفون رسميون وتقاليده ورسوم جديدة، إنّ هذا التحول، فرض وضعاً جديداً لأنصار الدولة من البربر وبخاصة بربر كتامة وأدى إلى حدوث انشقاق خطير بين بناء الدولة وأخصّ رجالها وإلى تصدع في صلب عقيدتهم^(٧١).

فإنّ موضوع قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، متزامناً مع مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، يثير تساؤلات أمام المؤرخين الذين يبحثون عن صناعة دراسات رصينة في التاريخ المغربي بحضور الحسّ النقدي والمنهجية العلميّة، واستعباد الأفكار المسبقة من دينية ومذهبية وقومية وغير ذلك، فحين كتب المؤرخون التقليديون المغاربة ابتداءً من ابن عذارى^(٧٢) والبكري^(٧٣) والرقيق القيرواني^(٧٤) والمراكشي^(٧٥) وابن أبيك الداوداري^(٧٦) وابن سعيد المغربي^(٧٧) وابن خلدون^(٧٨) وابن أبي دينار^(٧٩) لم يتساءل أحد منهم، كيف يمكن تخوين أبي عبد الله الشيعي إمامة عبيد الله المهدي الذي قال عنه حينما حرره من سجن اليسع بن مدرار، ولما بصر به، ترجل له، وخضع بين

يديه وبكى من إفراط سروره ثم مشى أمامه راجلاً وسلم إليه الأمر وقال لمن معه: " هذا هو مولاي ومولاكم " قد أنجز الله وعده وأعطاه حقه وأظهر أمره".

في حين يتحدث هؤلاء المؤرخين، أن أبا عبد الله الشيعي كان يقول: " أخشى أن أكون قد غلطتُ بعبيد الله المهدي " وكان قد رآه وهو يخرج من السجن، ثم يزعم المؤرخون أن عبيد الله المهدي كتب رسالة وبعثها إلى شيعة المشرق حول مقتل أبي عبد الله وأخيه، وفي هذا المجال يبدو من الضروري إعادة طبيعة هذه الرسالة وأسبابها التي يزعم المؤرخون أنه وجهها إلى الشيعة بالمشرق. ولا بُدَّ أن تكون هذه الرسالة قد دَبَّجت في القرون اللاحقة لقيام دولة الفاطميين في المغرب، لكن من هم أولئك الذين وجَّهت إليهم الرسالة؟ من أولئك المخاطبون وفي أي بلد من بلدان العالم الإسلامي؟^(٨٠).

لقد حرص واضعو الرسالة أن تكون بهذا الاختصار والربط بين موقف أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس من الإسلام! فهل ارتدا حينما استنزلهما الشيطان؟ فقتلتهما؟ قد صور المؤرخون خروج أبي عبد الله وأخيه ليس خروجاً عن طاعة عبيد الله المهدي بل عن الإسلام، في حين يكفر هؤلاء المؤرخين عبيد الله المهدي وداعيته أبي عبد الله بقولهم: **الجورُ قذُ رضينا لا الكفر والحماقة** وقولهم: ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر فاستجازه^(٨١).

وينبغي في هذا الصدد، أن نشير إلى قرينتين لإثبات عدم صدقية النصوص التاريخية التي جاء بها المؤرخون القدماء، ومدى التلفيق في حادثة مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس على يد عبيد الله المهدي، أولهما، خروج أبي العباس من رقادة في جموع لفك أسر عبيد الله المهدي من سجلماسة، وكان معه وجوه رجاله وأهل دعوته، وفيهم إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بأبي اليسر الكاتب وزيادة ابن خلفون المتطبيب مولى بني الأغلب وأحمد بن محمد بن سيرين الفقيه بمذهب أهل العراق. إذن كيف لنا أن نهمل جمهرة العلماء والفقهاء والقضاة، أولئك حينما شاهدوا عبيد الله المهدي وهو يخرج من السجن، وترجلوا أمامه، والزعم الذي جاء به المؤرخون هؤلاء على لسان أبي عبد الله الشيعي بأنه ليس هو الشخص الحقيقي لعبيد الله المهدي، فيما أقرَّ أمام هؤلاء العلماء والدعاة أنه هذا هو " إمامي وإمامكم " وفي رواية " مولاي ومولاكم "^(٨٢) والقرينة الثانية أن أبا عبد الله الشيعي وأخيه، كانا دائماً في حضرة عبيد الله المهدي في مجلسه وطعامه " على جاري عادتتهما " فإذا كان لدى أبي عبد الله شكوك في أمره، فإنَّ فرصته متاحة للخلاص منه.

وعلى أية حال، فلا يبدو من المستغرب، الإطاحة بأبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس، بمؤامرة حكمت من بعض عناصر كتامة، وهي القبيلة التي لا يمكن لعبيد الله المهدي التخلي عنها،

وفي الأقل أن مقتل قائده ومساعدته ومكرّس سلطته ودولته، كان على مضض منه، وقد جاء عند النعمان أبو حنيفة المغربي الإشارة من طرف خفي إلى هذه المؤامرة^(٨٣).

وهنا ما يمكن التأكيد عليه بين قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغربين الأوسط والأقصى وتأسيس مدينة " المهديّة " ^(٨٤) فقد شرعوا في تأسيسها كعاصمة لهم واتخاذها " عدّة للشدى " ^(٨٥) ولكي " تعنصم بها الفواطم ساعة من نهار " ^(٨٦).

وكان عبيد الله المهدي قد بدأ النظر فيها سنة ٣٠٠ هـ بغية استكمال مقومات دولته، وتم الانتقال إليها سنة ٣٠٨ هـ ^(٨٧). وعندئذ قال: " أمنت اليوم على الفواطم " ^(٨٨).

ويشير ابن عذارى إلى أنه في سنة ٣٠٠ هـ خرج عبيد الله المهدي من مدينة رقادة ماراً بتونس وقرطاجنة ونواحي البحر، يرتاد موضعاً ليتخذة دار مملكته، فوقع اختياره على جزيرة جمّة، فابتدأ ببنائها وهي التي تسمى " المهديّة " ^(٨٩).

ومهما تكن البواعث لبناء عبيد الله المهدي، مدينة المهديّة، يبقى ما أشار إليه البكري، يستأثر بالاهتمام، حول النوايا التي كان يتضمّرها أعداؤه له من قبيلة كتامة، يدلّ عليه ثورة الكتاميين في مدينة القيروان^(٩٠)، أما مدينة رقادة التي ولدت فيها بدايات الدولة الفاطمية، فيبدو أنها لا تصلح لتطلعات المستقبل الذي ربما يحمل بين ثناياه الحاجة إلى قاعدة عسكرية يمكن الاعتماد عليها في التوسع صوب مصر أو الأندلس " فاستكثر بها من العدّة والخزير " ^(٩١) أو الاحتماء بها من الغزاة والطامعين وجعلها موقع مواجهات قوية وصامدة أمامهم أو مركز انطلاق لإخماد الحركات والثورات التي يتوقع عبيد الله المهدي أن يقوم بها أنصاره بالأمس.

حرص الفاطميون بجعل عاصمتهم الجديدة، ميناءً بحرياً عسكرياً وتجارياً ومما ترتب عليه اختيار موضعها في جزيرة متصلة بالبر " كصورة كف اتصلت بزند " ^(٩٢). والبحر قد أحاط بها من ثلاث جهات، وإنما يدخل إليها من الجانب الغربي^(٩٣) الذي كان له بابان من الحديد لا خشب فيهما، وقد نقش عليها تخطيطات لرسوم الحيوانات^(٩٤) لكي تغلقا فيحكم تحصينها ويصعب الدخول إليها.

أما مرسى السفن في المدينة فهو منقور في صخر يسع ثلاثين مركباً من المراكب القادمة من الإسكندرية وبلاد الشام وصقلية والأندلس ومن غيرها، وقد حصّن مرساها بسلسلة من الحديد ضد أساطيل البيزنطيين وجعل من المدخل الوحيد إلى المدينة ستة عشر برجاً للمراقبة والرصد، كما أقيمت دار الصناعة " صناعة السفن ورصيف ترسو فيه المراكب، يسع أكثر من مائتي مركباً، وفيها قبوان كبيران طويلان، يغطي المراكب الراسية أو الجائمة وآلاتها فيقيها من الشمس والمطر^(٩٥)، ولعلّ ذلك يسمح لنا بالقول، إن هذه المظاهر التي يحرص الفاطميون على إنجازها، تدلّ على متطلبات نمو دولتهم وظهورها.

أما الاستحكامات العسكرية، فيشير إليها ابن عذارى بقوله: إنَّ مدينة المهديّة تبدو صعبة المنال، فلا يقربها الغازي والطامع، وفيها دار صناعة الإنشاء العجيبة، فلا يعلم به حتى يفجأ القاصد، فيحيط به فلا يقربها العدو لأجل ذلك^(٩٦).

فإنَّ الفاطميين، كورثة للأغالبة في القوة البحرية التي كانوا يمتلكونها، فلا غرو أن يمدّوا بأبصارهم إلى آفاق أبعد من مناطق نفوذهم، لتكون ضمن دولتهم التي يريدون لها مزيداً من التوسع والنفوذ سواء في مصر أو في الأندلس. ونعتقد أن الفاطميين فضلاً عن ذلك إنما كانوا يتطلعون إلى الحدّ الذي يمكنهم من القدرة على تصفية أنظمة الحكم المبتوثة في مناطق المغرب^(٩٧) التي ما تزال في حلٍّ من سيطرتهم وما تزال تناصبهم العداء سياسياً ومذهبياً.

ولكن على الرغم مما كان يشغلهم في توسيع مناطق نفوذهم في بلاد المغرب كانوا يتطلعون على المدى البعيد إلى مصر والاستحواذ عليها، فعَدّوا للأمر عدته باتخاذ عاصمتهم "المهديّة" في شبه جزيرة قريباً من مدن تونس وسوسة^(٩٨) وقفصة^(٩٩)،

وصفاقس^(١٠٠)، وهي مراكز تجارية بحرية مهمّة ترتبط بخطوط التجارة البحرية مع الإسكندرية، على أمل تحقيق أهدافهم التوسعية في مصر، وذلك بالاعتماد على أسطولهم من الناحيتين التجارية والعسكرية، فيذكر ابن عذارى أن أبا القاسم بن عبيد الله المهدي دخل بعساكره مدينة الإسكندرية (سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م) فألفاه خالية، قد هرب أهلها في البحر، بما خف من أموالهم وأسلموا سائر أئقالمهم، فاحتوى أبو القاسم وحباسة القائد على جميع ذلك ووصل أبو القاسم إلى الفيوم، فعسكر بها حتى قدم قائد الخليفة مؤنس الفتى من العراق لمحاربتة^(١٠١).

وعاد أبو القاسم بن عبيد الله المهدي غازياً مصر سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م في سفرته الثانية بعد أن حشد من كتامة جُملاً كثيرة من عرب إفريقية وبربرها وخرج معه خليل بن إسحق^(١٠٢) وأبو غانم الكاتب^(١٠٣)، وغيرهما من رجال أبيه^(١٠٤)، وفي السنة التالية، قدم أبو القاسم، سليمان بن كافي^(١٠٥)، صاحب مقدمته إلى الإسكندرية في جملة من رجال كتامة وغيرهم، فوجد أهلها غافلين فلما أحسّوا بالخيل، وتلاحق بهم أبو القاسم بجيوشه، أخلوا المدينة وتركوها وانتهب أموالها وسبى الذريّة وجبى الخراج، وأقبلت العساكر من إفريقية يتلو بعضها بعضاً، فاجتمع إلى أبي القاسم عدد يحلّ عن الإحصاء إلى الفيوم فنزل بالأشمونيين^(١٠٦) وألغى الأطمعة في الأنادر لم تخزن فانتهبها العساكر وغلت الأسعار في مصر^(١٠٧).

وأغلب الظن أن غزوات أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، إلى أرض مصر ومدنها الإسكندرية، والفيوم، والأشمونيين، كانت تمهّد لانتقال الفاطميين إلى مصر وإرهاصاً بإقامة دولتهم في هذه البلاد.

وحيثما ولي الدولة أبو تميم، المعز لدين الله، معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، شهد الكيان الفاطمي، هذا التحول التاريخي فهو " أول من ملك مصر من بني عبيد " (١٠٨) وكان الأخشيديون هم ولاية لمصر نيابة عن الدولة العباسية، فلما توفي كافور الأخشيدي أمير مصر، بعث المعز لدين الله القائد أبا الحسن جوهر الصقلي (١٠٩) إلى مصر، على رأس جيش " فافتتحها يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان، وهرب أعيان الأخشيديين من مصر إلى الشام، قبل وصول جوهر، وأقيمت الدعوة للمعز، يوم الجمعة الموفى عشرين لشعبان من سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) في الجامع العتيق " (١١٠).

ولعل من أهم الإجراءات التي اتخذها جوهر الصقلي، لتثبيت الحكم الفاطمي في مصر، هو إحدائه لمدينة القاهرة، المدينة العظمى التي تقع بجانب الفسطاط، وقد ذكر ياقوت، أن السبب في استحداثها، أن المعز، أنفذه في الجيوش من أرض إفريقية للاستيلاء على الديار المصرية في سنة ٣٥٨هـ، فسار في جيش كثيف حتى قدم مصر، وقد تمهدت القواعد بمراسلات تقدمت، وذلك بعد موت كافور، فأطاعه أهل مصر واشترطوا عليه ألا يسكنهم، فدخل الفسطاط وهي مدينة الديار المصرية، فاشتقها بعساكره، ونزل تلقاء الشام بموضع القاهرة اليوم، وكان هذا الموضع تبرز إليه القوافل إلى الشام، وشرع فبنى فيه قصرًا لمولاه المعز وبنى للجند حوله، واستمرت الحال إلى الآن على ذلك، فهي أطيب وأجل مدينة لاجتماع أسباب الخيرات والفضائل بها " (١١١).

ولما استقر سلطان الفاطميين في مصر، واتخذوها مقرًا لخلافتهم، ساروا على طريقة العباسيين في الاعتماد على غير أبناء جنسهم، فصار جيشهم في عهد المعز يتألف من قبائل كتامة وزويلة، ومن الصقلية (١١٢).

وظل الحال على ذلك إلى أن ولي الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الخلافة، فقرّب إليه الكتاميين في بداية عهده، ثم انحرف عنهم واعتمد في جيشه على الجنود الأتراك والسودانيين (١١٣). قامت الدولة الفاطمية على أكتاف المغاربة ولاسيما الكتاميين في مصر، وكانوا يدينون بعقائد المذهب الفاطمي وهم عصب الدولة الفاطمية وقوتها في مصر ومن زعمائهم أبو محمد أبو الحسن بن عمّار الذي ولاه الحاكم بأمر الله الوساطة وخلع عليه سنة ٣٨٦هـ ولقب بأمين الدولة، وبلغ نفوذه أن ألزم سائر الناس بالترجل له (١١٤)، وازداد المغاربة جرأة، فعاثوا فساداً في القاهرة ونهبوا المتاجر واشتبكوا مع الأتراك في بعض المعارك، وتطورت هذه المعارك إلى قتال بين الطرفين، وانتهى الأمر بهزيمة المغاربة (١١٥)، عندها ضعف نفوذ الكتاميين منذ ذلك الوقت حتى صاروا من جملة الرعية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بعد أن كانوا من أكابر الدولة (١١٦).

ثم استعان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بالسودانيين، الذين بدأ ظهورهم في مصر منذ أيام كافور الأخشيدي، جاءوا من الجنوب كجنود، ولم يسبق إلى استخدامهم في الجيش، وعندما استخدمهم الخليفة الحاكم بأمر الله هاجموا أعداء الفاطميين في أرجاء القاهرة واقتحموا بيوتها وحماماتها وهبوا أسواقها^(١١٧)، ثم ازداد خطرهم على أمن الدولة في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، فثاروا بتنيس سنة ٤١٥ هـ مطالبين بأرزاقهم، فبعث إليهم الوزير الفاطمي نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجرائي من قبض على الجناة، وأخضع ثورتهم^(١١٨).

ثم ظهر أمر الأتراك في عهد الخليفة العزيز بعد أن استكثر منهم، وقربهم إليه، وأصبحوا من ذلك الوقت عنصراً مهماً في الجيش الفاطمي، كان يتولى قيادة الأتراك في أوائل عهد الخليفة المستنصر ناصر الدين الحسين بن حمدان الثعلبي، وقد ازداد نفوذهم في القاهرة بعد طرد السودانيين إلى الصعيد، لم يقنع ضد الأتراك بالرتبات التي قررها لهم الخليفة المستنصر، بل اكتفى في زيادة مخصصاتهم، ولما ظهر عجزه عن تلبية طلباتهم لقلّة إيرادات الدولة ألزموه ببيع ذخائره، فأخرجها إليهم وقوموها على أنفسهم بأبخس الأثمان^(١١٩).

المبحث الثالث/ قيام الدولة الفاطمية في مصر

أدت هذه الأمور إلى الفوضى والاضطرابات التي انتابت مصر وأدت إلى مقتل ناصر الدولة بن حمدان، بعد أن ازداد نفوذه وأتباعه من الأتراك واستبدوا بالأمور من دون الخليفة المستنصر حتى ضاق بهم ذرعاً واضطر سنة (٤٦٦ هـ) أن يبعث إلى بدر الجمالي^(١٢٠)، والي عكا يطلب منه القدوم ليتولى تدبير شؤون دولته وإصلاح ما فسد من أمور مصر، فاشتراط أن يحضر معه من يختاره من عساكر بلاد الشام ليستعويض بهم عن الجند الأتراك والمغاربة والسودانيين الموجودين بمصر، فوافق المستنصر على طلبه، وأتم بدر الجمالي إعداد عدته للرحيل إلى مصر، أبحر من عكا ومعه كثير من الأرمن وغيرهم، غير مبالٍ بأخطار البحر في فصل الشتاء ونزل مع جنده بدمياط، ثم تابع سيره حتى صل قليوب، وهناك بعث إلى المستنصر يقول له إنه لن يدخل القاهرة إلا بعد قتل (بلدكوز)، أحد أمراء الأتراك، فوافقه الخليفة على طلبه^(١٢١)، واستطاع بدر الجمالي بعزمه ومهارته أن يعيد إلى البلاد المصرية ما كانت تتمتع به من رخاء قبل الشدة العظمى التي حلت بها واستمرت سبع سنوات (٤٥٧ هـ . ٤٦٤ هـ) وانتهاز بدر الجمالي فرصة استبداده على مقاليد الأمور في أواخر عهد المستنصر بالله الفاطمي، وعهد لابنه الأفضل الاستيلاء على مقاليد الأمور في الدولة، فلما توفي بدر الجمالي سنة (٤٨٧ هـ) وهو في الثمانين من عمره، خلفه ابنه الأفضل شاهنشاه في الوزارة، وظل المستنصر الفاطمي في عهد وزارته كالمحجور عليه كان قد توفي سنة (٤٨٧ هـ).

ثم حدثت الفتنة بين ولديه نزار والمستعلي بالله واستمرت إلى حين سيطرة المستعلي بالله وقيامه بالخلافة سنة (٤٩٠ هـ) وتمسك طائفة من الفاطميين بإمامة نزار وأسسوا فرقة منشقة سميت بالنزارية^(١٢٢).

وهكذا يمثل قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وسيطرتها على مصر فيما بعد، منعطفاً ملحوظاً في التاريخ، حيث تبين أن المحاولات قد تكللت بالنجاح لحركتهم، بإقامة كيان دولة كبرى ذات رسوم وشيّدت حكماً يقوم على نظام الخلافة في المشرق منافساً لنظام الخلافة في بغداد^(١٢٣)، إذ كان العباسيون ينظرون إلى محاولات الفاطميين، حينما زرعوا نفوذهم في المغرب ثم إقامة دولتهم هناك، على أنها تحدّ سافر لنفوذهم الروحي والسياسي، يجب وقفه ببعث روح جديدة بالأنظمة التي تدين لهم بالتبعية، فكانت دولة الأغلبية، وحثّ رعاياهم هناك على الوقوف صفّاً لقتال "عدو الله الخارج، الناجح بأطراف نواحي المغرب وأنصاره من بربر كتامة، أشياح الضلال وأوياش الجهال والباغين في الفتن لتطرفهم وقسوتهم على غيرهم من المسلمين وإشاعتهم الفرقة والانفصال في المنطقة"^(١٢٤). إن هذه النداءات التي جهرت بها الخلافة العباسية باءت بالفشل، فقد أظهرت قوة الفاطميين ليس فقط بإمكانها الاستيلاء على بلاد المغربين الأوسط والأقصى، بل الهيمنة على البلاد المصرية، إذ تقدّمت جيوشهم نحو مدينة الإسكندرية من دون مقاومة ثم تسرّبت إلى مدينة الفسطاط وفرضت سيطرتها على المدينة، على الرغم من المقاومة التي أبدتها الأخشيديون^(١٢٥) وقطعوا الخطية للعباسيين والدعوة للمعز لدين الله، وإزالة شعار العباسيين وجعل شعار الفاطميين على سكتهم بدار السكة^(١٢٦).

ويمكن القول: إنّ قيام دولة الفاطميين في مصر، الذي هو امتداد لقيامها في بلاد المغرب، اقترن بحركة علمية وفكرية أرسى دعائمها الخلفاء الفاطميين بتشجيعهم للعلماء والفقهاء والمحدثين والقراء والنحاة واللغويين والأدباء، وأصحاب المواهب والكفاءات من المؤرخين والشعراء والمتصوفة، فقد اوجدوا مرتكزاتها في المهديّة والقيروان ومن ثم بالقاهرة والفسطاط فشيّدوا القصور والعمائر التي أصبحت ميداناً لتجمع العلماء والفقهاء، يتنافسون ويتفاخرون ويتطارحون في العلوم الدينية واللغة والفقهاء والأدب وكانت المساجد بمثابة مراكز للعلماء والقضاة والوزراء، يحاضرون فيها الناس في العقائد والفقهاء، فلا غرو أن يتحول "الجامع الأزهر" الذي كان في بدايته يقتصر على إقامة الدعوة للفاطميين والخطبة لهم، إلى جامعة تدرس فيها العلوم والآداب. وقد أشار الكاتب المجهول إلى بنائه فقال: "وكان الحاكم من بني عبيد، قد بنى بين الفسطاط والقاهرة، مسجداً عظيماً على ثلاثة مشاهد، كانت هناك، وجعل فيه سدة وخداماً، يوقدون فيه السرج الليل كله"^(١٢٧) كما ذكره الحميري بقوله: "وكان الحاكم بأمر الله منهم، بنى بين الفسطاط والقاهرة مسجداً عظيماً على ثلاثة مشاهد كانت هناك،

وجعل فيه سدنة وخدمة يوقدون فيه السرج الليل كله" (١٢٨)، كما دأب الفاطميون على تأسيس المكتبات وخزائن الكتب والمصنفات، وهي لعامة الناس، وألحقت في القصور مكتبات خاصة، حرصوا أن يستزيدوا في كتبها، ولعل من أهم المكتبات التي أوجدها هي " مكتبة دار الحكمة " التي أسست سنة (١٠٠٥هـ/١٠٠٥) وألحق بها عدد من الشيوخ من العلماء والفقهاء والنحاة واللغويين والأطباء والمؤرخين (١٢٩) ومكتبة " دار العلوم " أو دار العلم التي أمدتها الفاطميون بكثير من المؤلفات، وكانت متصلة بدار الحكمة، إذ تقام فيها المناظرات والمساجلات والمحاورات في العقائد والشرائع أو في مسائل العلوم العقلية (١٣٠).

وليس أدل على هذا الإثراء الثقافي والعلمي والفكري من احتواء مكتبة القصر الذي اتخذته الخلفاء الفاطميون، لا يبالغ ابن تغري بردي، كثيراً بتقديرها بمليون مجلد (١٣١) فيما يقدرها عماد الدين الكاتب الأصفهاني، مبالغاً بمليون كتاب ومجلد (١٣٢) مما يجعلها تفوق غيرها من مكتبات العالم الإسلامي، إذ ينقل أبو شامة عنها قوله: " إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام، دار كتب أعظم من التي كانت في القاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من كتاب الطبري، تاريخ الرسل والملوك " (١٣٣). ويذكر المقرئ أن الكتب التي اشتملت عليها مكتبة المدرسة الفاضلية، التي أسسها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البياني سنة ٥٨٠هـ (١٣٤) الذي كان يشغل وظيفة صاحب ديوان الإنشاء أيام الخليفة الفاطمي، الحافظ أبي الميمون بن عبد المجيد بن محمد (٥٢٤ - ٥٤٤هـ/١٠٣٠-١٠٤٩م) يقدرها بمائة ألف مجلد، نقلت إليها من مكتبة القصر أثر سقوط الدولة الفاطمية (١٣٥).

والظاهر، إن مكتبات الفاطميين، كانت تتفرد، باقتناء كتب لم يكن لها وجود في مكتبات العالم الإسلامي، مثل قرطبة، دمشق، بغداد أو أي مركز حضاري آخر، فكان الفاطميون يتوفرون على نسخها بأعداد كبيرة ويخلقون الاهتمام بها لدى الناس كافة سواء في بلاد المغرب أو في مصر. وعُني الفاطميون، منذ وطأت دولتهم أرض مصر، بالعلوم الإسلامية مثل علم التفسير والقراءات والحديث والفقهاء وعلم الكلام وعلوم العربية مثل النحو واللغة والبيان والأدب، فضلاً عن العلوم العقلية والعقلية والحكمة الفلسفية التي كان يطلق عليها علوم الأوائل والعلوم الدخيلة مثل علم الهندسة والرياضيات والنجوم والموسيقى والكيمياء والعلوم الطبيعية والإنسانية، كما قدموا علم الطب واستقدموا الأطباء، يذكر ابن العبري: " من الأطباء المتقدمين بالديار المصرية منصور بن مقشّر أبو الفتح المصري النصراني " الذي كانت له منزلة سامية من أصحاب القصر سيّما في أيام الخليفة الفاطمي العزيز أبو منصور نزار (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، فقد كتب الخليفة إليه تقديراً بشأنه: " بسم الله الرحمن الرحيم طيبينا سلّمه الله سلام الله الطيّب وأتمّ النعمة عليه، وصلت إلينا البشارة بما

وهبه الله من عافية الطبيب وبرئه والله العظيم لقد عدل علينا ما رزقناه نحن من الصحة في جسمنا. أقالك الله العثرة وأعادك إلى أفضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقواه، كما خدم هذا الطبيب، ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٢٢٠م)^(١٣٦).

ولا شك في أن نشر المذهب الإسماعيلي الفاطمي، قد ترافق مع قيام دولتهم في بلاد المغرب، وأخذ مداه الواسع في البلاد المصرية، لذلك استلزم عليهم تبصير المغاربة والمصريين بفقهم وآرائهم وعقائدهم، فكان له دعائه وشيوخه ومنظريه أنشأوا الجامع الأزهر وغيره من الجوامع والمساجد، وقربوا الشعراء والأدباء وتمكينهم من بلاطاتهم للإشادة بمجدهم، وكانوا يفعلون ذلك لكي يحاكي شعراؤهم الشعراء العباسيين، فضلاً عن تشجيع العلوم الأخرى في الدولة الجديدة، وقدمت العلم والأدب والفن في مصر والشام خطوات؛ حتى لا يعد شيئاً بجانبها، مما كان في العهد الطولوني والأخشيدي، ويصح أن تقارن وتتساوى مما كان في العراق وخاصة العلوم العقلية والفلسفية فإنها نبغت فيها^(١٣٧)، لتزدهر القاهرة حاضرة الفاطميين بعد أن تولى المعز شؤون مملكته الجديدة بنفسه، واستبقى جوهرها في قيادة الجيش^(١٣٨).

وفي صفر سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م) في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان التميمي بالجامع الأزهر، وقرأ مختصر أبيه القاضي أبو حنيفة النعمان في فقه آل البيت وهو المسمى بكتاب الاقتصار في جمع من العلماء، وأثبتت أسماء الحاضرين، فكانت هذه أول حلقة للدرس في الجامع الأزهر^(١٣٩)، وبدأ الأزهر في القيام برسائلته العلمية إلى جانب رسالته الدينية، ثم أنشأت دار الحكمة الفاطمية، عهد بالإشراف عليها إلى زعيم ديني خاص يلي قاضي القضاة في الرتبة ويسمى داعي الدعاة^(١٤٠).

بينما استمر الجامع الأزهر مركزاً للثقافة الدينية المحضة، إذا بدار الحكمة تعنى إلى جانب مهمتها في نشر علوم آل البيت القيام بتدريس اللغة والطب والرياضيات والمنطق والفلسفة وما إليها^(١٤١).

وكذلك كان الأزهر عنصراً مهماً من عناصر الحركة الفكرية، وكانت تعقد فيه إلى جانب الحلقات الدراسية مجالس الحكمة للنساء^(١٤٢)، كتشجيع الفاطميين للعلماء والكتّاب منذ بداية مجيئهم إلى المغرب وبناء دولتهم إلى دخولهم مصر، الأثر الكبير في ظهور طائفة كبيرة منهم في المغرب ومصر، ومشاركتهم في تأليف الكتب ويُعدُّ الخليفة المعز لدين الله مشاركاً للقاضي النعمان في تأليفه الكتب، فهو الذي شجعه على البحث في أصول العقيدة الفاطمية وأخرج إليه من كتب، ويذكر النعمان: " وأمرني المعز لدين الله بجمع أخبار الدولة في كتاب ومناقب بني هاشم ومثالب عبد شمس

في كتاب ففعلتُ وجمعتُ من كل فن من هذين الفنين كتاباً ضخماً جامعاً يجتمع على أجزاء كثيرة على ما رتبته لي وأفاد دينه، ورفعتهما إليه فاستحسنهما وارتضاها واستجاد معناهما^(١٤٣).

واشتهر من المؤرخين في العصر الفاطمي، أبو الحسن علي بن محمد الشاشتي الذي اتصل بخدمة الخليفة العزيز بأمر الله، فولاهُ خزنة الكتب، وتوفي سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م) في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي، ومن مصنفاته كتاب الديارات أورد فيه أخبار كثيرة من الأديرة في مصر^(١٤٤)، وابن زولاق المصري الحسن بن إبراهيم الليثي المؤرخ (٣٩٦هـ/٩١٩م . ٤٨٣هـ/٩٩٧م)^(١٤٥)، وعبد الغني المصري (٣٣٢هـ . ٤٠٩هـ) وكان حافظ مصر في عصره^(١٤٦)، والحسن بن الحسن بن الهيثم عالم البصريات والفيلسوف نزيل مصر (ت ٤٣٠هـ)^(١٤٧)، وابن يونس بن عبد الأعلى كان منجماً معنياً بالرصد، وله شعر ، توفي سنة (٣٩٩هـ/١٠١١م)^(١٤٨)، والمسيحي المصري الكاتب (٣٦٦-٤٢٠هـ)^(١٤٩)، وهو من أعلام الفكر والأدب واسمه عز الملك بن عبد الله بن أحمد الحرائي، وكان من أقطاب العلماء والأمرء تولى الوزارة للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ونال حظوة لديه وشغف المسيحي بتدوين التاريخ وألف فيه كتب منها تاريخه الكبير المسمى (أخبار مصر) وهو أثر ضخم يتناول تاريخ مصر وما بها من الأبنية والعجائب حتى أوائل القرن الخامس الهجري والتي وصلت عن المقريري وغيره^(١٥٠).

وحقيقةً إن هؤلاء العلماء حملوا معهم مشاعل المعرفة والثقافة التي تزودوا بها في الأزهر فأضاعوا الأرض علماً ونوراً بإلقاء ثمرات قرائحهم على تلاميذهم في حلقات الأزهر العلمية التي كانت النساء يحضرن فيها^(١٥١).

فكان على داعي الدعوة أن ينظم باستمرار مجالس الدعوة، فيخصص يوم الأحد للرجال، ويوم الأربعاء للنساء، ويوم الثلاثاء للأشراف وذوو الأقدار^(١٥٢). وكانت الدعوة تقرأ في الجامع الأزهر، وهو أول مكان للدعوة أنشأه الفاطميون بعد دخولهم مصر سنة (٣٥٩هـ/٩٦٩م) وثم بناؤه في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في رمضان سنة (٣٦١هـ/٩٧٣م)^(١٥٣).

الخاتمة

ان قيام الدولة الفاطمية سياسيا في بلاد المغرب رغم المعارضة الكبيرة لدولتهم ، والثورات التي قامت عليهم وخاصة ثورة ابو يزيد بن كيدار النكار المسمى (صاحب الحمار) والذي كان على مذهب الصفرية ، بعد ان استقر سلطان الفاطميين في المغرب لم تغب مصر عن طموحاتهم ولقد فتحت الباب نحو مصر وبخاصة عندما ولي امر الدولة الفاطمية ابو تميم المعز لدين الله وهو اول من ملك مصر من بني عبيد ، وكان الاخشيديون هم ولاة مصر نيابة عن الدولة العباسية التي حاضرتها بغداد، فلما توفي كافور الاخشدي امير مصر ، بعث المعز لدين الله الفاطمي ، القائد جوهر الصقلي

دخول مصر واسس لبناء مدينة القاهرة وكذلك الجامع الأزهر وكان هذا الجامع يدرس العقيدة الفاطمية في أول نشأته ثم توسع وشمل المذاهب الإسلامية الأخرى كذلك حاضره به العديد من القضاة ورجال العلم ، وبعد قيام الدولة الفاطمية واستقرار سلطانها تذكر المصادر التاريخية ترك الفاطميين بلاد المغرب بعد ان ظل تحت سيطرتهم ردحا من الزمن .

الهوامش ;

- (١) يذهب البعض إلى أن لفظ الفاطميين الذي عرف به أولاد عبيد الله المهدي، رأس الدعوة في بلاد المغرب الأوسط، جاء بكونهم أولاد فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهم فاطميون، وإن نسب هذه الأسرة، كانت ولا تزال موضوعاً كثرت فيه آراء المؤرخين والكتّاب، الأقدمين منهم والمحدثين على السواء (حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية (القاهرة . ١٩٥٨م) ص ٥٧-٧٩). كما عرفوا بالعبيديين، نسبةً إلى عبيد الله المهدي (أبو عبد الله محمد بن علي بن حمّاد (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم (تحقيق ودراسة: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة . ١٩٨٠م).
- (٢) مدينة في بلاد الشام بين حملة ورفينة (ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان (تقديم: عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . ١٩٩٦م) ، ٣ / ٦١-٦٢) وسلمية بلد من أعمال قنشرين بثغور الشام على طرف البادية وهو حصن كالمدينة صغير عامر أهل بينه وبين حمص مرحلة (الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار (تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ط ٢ . ١٩٨٩م) ص ٣٢٠.
- (٣) ترجمته في: ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (إعداد: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١ . ١٩٩٨م) ، ٣ / ٢١٥.
- (٤) ترجمته في: ابن شاعر الكتبي، محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ) فوات الوفيات والذيل عليها (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت) ، ١ / ١٩٥.
- (٥) من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس (ياقوت، معجم البلدان ، ١ / ٤٢٥، ويسميتها الحميري " تادلى " من بلاد المغرب، مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول (الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٢٧).
- (٦) قرية بإفريقية لهوارة قبيلة من البربر (ياقوت، معجم البلدان ، ٧ / ٢٥١، ويسميتها الحميري "مرمجة" بإفريقية قريب من الأريس وبينها وبين مجانة مرحلتان (الروض المعطار ص ٥٤٠).
- (٧) مدينة وكورة بإفريقية (ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ١ / ١١٥؛ قال الحميري: مدينة بينها وبين القيروان إفريقية مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين باجة مرحلتان (الروض المعطار ص ٢٤).

- (٨) مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير وأصلها شراة إباضية ووهبية متمردون (ياقوت، معجم البلدان ، ٨ / ٣٩٦، وعند الحميري: في قصطيلية من بلاد الجرير في إقليم إفريقية (الروض المعطار ص ٥٧٨).
- (٩) قرية بقرب مجانة المطاحن عند نهر ملاق وبقرب باغاية، وهي مدينة عامرة قديمة أزلية بها زروع ومكاسب وهي أكبر من مرماجنة (الحميري، الروض المعطار ص ٥٥٨).
- (١٠) وهو موضع وناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان وهي في قول الشاعر ذي الرمة:
نظرتُ بجرعاء السببية نظرةً ضحى وسوادُ العينِ في الماسِ غامس
 (ياقوت، معجم البلدان ، ٥ / ٢٠، قال عنها الحميري: من القيروان إلى وادي الرمل أربعون ميلاً ومنها إلى سببية وهي مدينة أولية ذات أنهار وثمار (الروض المعطار ص ٣٠٤).
- (١٢) مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة الهواء (ياقوت، معجم البلدان ، ٢ / ٢٥٩؛ وهي عند الحميري: مدينة بإفريقية أولية جلييلة بقرب مسكيانة (الروض المعطار ص ٧٦-٧٧).
- (١٣) وقد أشار إلى هذه الفكرة: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية (الجزائر ١٩٧٩م) ص ١٩٨.
- (١٤) دور كتامة في قيام الدولة الفاطمية ص ١٩٩.
- (١٥) عرفوا أنفسهم بواسطة الدعوة، بأنهم أعقاب إسماعيل بن جعفر الصادق . سادس الأئمة الأثنى عشرية ، كما عرفوا بالإسماعيليين وسموا بالسبعية والتعليمية والباطنية، إذ قالوا: بالتأويل أي لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً فالسبعية لقولهم، إنَّ أدوار الإمامة سبعة والانتهاه إليه هو آخر الدور وإن تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة، أما التعليمية فلأن مذهبهم دعوة الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم وإبطال ما سواه واستخدام العقل، والباطنية من يعتقدون أن لكل نص باطناً يدركه الخاصة من الناس بطريق التأويل وهؤلاء يسقط عنهم التكليف بخلاف الجهال (أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) فضائح الباطنية (القاهرة ١٩٦٤م) ص ١١-١٧؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٣ هامش رقم (٤١).
- (١٦) عبيد الله بن المهدي بن محمد بن حبيب الذي ولد في سلمية وقيل بالكوفة، وهو آخر الأئمة المستورين (ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١ / ٢٧٢) وهم المستورون في ذات الله (الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت . ٢٠٠١م) ، ٢ / ٥؛ ابن أبيك الداوداري، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت ٧٣٦هـ) الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية (كتاب كنز الدرر وجامع الغرر (القاهرة . ١٩٧٢م) ، ٤ / ٦.
- (١٧) ولعلّ من بين هذه الإمارات (إمارة هاز) قرب مدينة المسيلة وكان يسيطر عليها الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي، و (منطقة متّيجة) قرب مدينة فررونة وهي مركز لبني محمد بن جعفر الحسني، وحوض الشلف الذي يشقه نهر شلف أكبر الأنهار في المغرب الأوسط، إذ توجد فيه مدن ومراكز عدّة ومدينة سوق إبراهيم يسيطر عليها فرع علوي من بني الحسن ومنهم إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد

الله، وإمارة " ثمطلاس " في مضارب قبيلة مطماطة البريرية، وإمارة " إيزرج " وحاكمها إبراهيم بن محمد البربري المعتزلي، ثم دار مملكة " زناتة " ومدينة حمزة (البويرة) نسبت إلى حمزة بن الحسن بن سليمان، ومدينة تنس قرب البحر ليني محمد بن محمد بن سليمان، وغيرها من الإمارات (البكري، أبو عبيد، عبد الله ابن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (الطبعة الأوروبية . ١٨٥٧م) ص ٦٣-٨٨؛ موسى لقبال، دور كتامة ص ٢٠٩-٢١٣.

(١٨) يذكر المؤرخون، إنه لما اتصل بقائد الدعوة عبيد الله المهدي في سلمية، وجد فيه الذكاء والنشاط، فضمه إلى سلك دعائه، ثم أرسله إلى مركز تكوين الدعاة الماهرين في بلاد اليمن، إذ يوجد هناك كبير دعائهم منصور اليمن الذي رحب به وأوضح له أن أرض كتامة من المغرب، موطأة ممهدة لك " ثم أرسله مع مساعد له حتى أرض كتامة (النعمان، أبو حنيفة المغربي (ت ٣٦٣هـ) رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة (بيروت . ١٩٧٠م) ص ٢٧؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة . ١٩٢٣م) ، ٢٦ / ٢٥.

(١٩) المراكشي أبو عبد الله محمد (ت ٦٩٥هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (دار الثقافة . ١٩٢٩) ، ٣ / ٣١١.

(٢٠) موسى لقبال، دور كتامة ص ١٢٤-١٢٥.

(٢١) ابن عذارى، البيان المغرب ، ٣ / ٣٢٢.

(٢٢) أبو حنيفة النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٣٩.

(٢٣) اتعاض الحنفا، ٦٨ / ١.

(٢٤) قامت دولة الأغلبية بإرادة العباسيين، فقد استحصل إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي وهو أحد قادة الجيش العباسي في عهد الخليفة هارون الرشيد وموافقته بتبنيته في ولاية إفريقية (تونس) سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م) ومن ثم الإقرار له بتأسيس إمارة تدين بالولاء السياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية، واتخاذ القيروان حاضرة لولايته (١٨٤-٢٩٦هـ / ٨٠٠-٩٠٨).

(٢٥) جبل بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة وبه حصن حصين ومعقل منيع، وتمتد عمارة كتامة بهذه الأرض إلى أن تجاور أرض القل وبونة، وفيهم كرم وبذل طعام لقاصدهم وهم أكرم الرجال للأضياف حتى استسهلوا مع ذلك بذل أولادهم للأضياف فلا يرون بذلك عاراً وبالغت الملوك في عقوبتهم على ذلك فما انتقلوا عنه ولا امتنعوا عن عاداتهم وقد فنوا وكانوا قبل هذا أعداداً لا تحصى (الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٧١-٧٢).

(٢٦) النعمان، افتتاح الدعوة، ٤٢ / ٧٩-٨٠.

(٢٧) لسان الدين بن الخطيب محمد (ت ٧٧٦هـ) أعمال الأعلام (دار الكتاب، الدار البيضاء . ١٩٦٤م) ، ٣ / ص ٣٨-٣٩.

- (٢٨) وهي قرية كبيرة جداً من أكثر بلاد الله قصب سكر، وهذا البلد أخصب بلاد المغرب، مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، دار النشر المغربية) ص ٢١١-٢١٢.
- (٢٩) مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام (ياقوت، معجم البلدان، ٨/ ٣٥٦، وعنها قال الحميري: مدينة على أربع مراحل من قلعة حمّاد وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة خرج المنصور العبيدي أو غيره غازياً لكتامة (الروض المعطار ص ٥٦٨-٥٦٩).
- (٣٠) دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٦٣.
- (*) ويلفظها الحميري: "كيانة وهو جبل بمقربة المسيلة في البلاد الإفريقية وفي قلعتها كانت معركة بين مخلد بن كيداد الخارج على الفاطميين (الروض المعطار ص ٥٠٤).
- (٣١) تمثل دولة بني مدرار (١٤٠-٣٥٤هـ/٧٥٧-٩٦٥م) نفوذ الخوارج الصفرين في المغرب الأقصى (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٣١٩-٣٢٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، ١٠٥/١؛ العيني، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (القاهرة، ١٩٣٩م)، ١١١/٤٦٤.
- (٣٢) مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب، ومنها خرج أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المسمى بالمهدي (ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٤٦)، وعنها قال الحميري: "مدينة أو حصن، بينها وبين ميلة مرحلة، وهي قديمة أزلية كثيرة الخلق كالمدينة وكان عليها سور صخر عظيم قديم خربته كتامة مع أبي عبد الله الشيعي (الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣١٨).
- (٣٣) وهي حصن أولي بمقربة من بلد قسنطينة وبينهما يومان، وهي حصن لطيف وفي أهله عزّة ومنعة وله ريبض وسوق وآبار طيبة الماء وهو في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى (الحميري، الروض المعطار ص ١٠٣).
- (٣٤) بلد قديم من نواحي إفريقية، وقيل اسمها قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها (ياقوت، معجم البلدان، ٧/ ٣١، وفي الحميري: "قرطاجنة أفريقية وهي أجلها وأشهرها، مما في الأندلس وبين قرطاجنة وتونس عشرة أميال أو نحوها ومرسهما واحد وقرطاجنة من المدن المشهورة وفيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس في بلد شرقاً ولا غرباً (الروض المعطار ص ٤٦٢-٤٦٥).
- (٣٥) بلد مشهور من أرض إفريقية بينه وبين قفصة ست مراحل في قفر سببية، وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد خرب الآن أكثرها (ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٤٣١)، وعنها يقول الحميري: "هي تبسا، من بلاد إفريقية بقرب وادي ملاق مدينة قديمة أولية فيها آثار كثيرة للأول ومبانٍ عجيبة ما بإفريقية بعد قرطاجنة أعظم منها وبها دار ملعب قد تهدم (الروض المعطار ص ١٢٩-١٣٠).
- (٣٦) عند الحميري: "القصر القديم: عند القيروان أسسه إبراهيم بن الأغلب سنة أربع وثمانين ومائتين وصار دار أمراء بني الأغلب وهو في قبلة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها (الروض المعطار ص ٤٧٦).
- (٣٧) في قبلة لقيروان على مسافة يومين منها: وهو قطر واسع فيه مدن وحصون والمدينة العظمى القديمة يقال لها سبيطلة (الحميري، الروض المعطار ص ٤٧٢).

- (٣٨) مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء وهي قلعة كبيرة جداً حصينة عالية(ياقوت، معجم البلدان ، ٧ / ٥١). وعنها قال الحميري: " من مشاهير بلاد إفريقية بين تيجس وميلة وهي مدينة أولية كبيرة أهلة فيها آثار للأول (الروض المعطار ص ٤٨٠).
- (٣٩) بمقربة من تيفاش بقرب وادي الدنانير عند قصر الإفريقي، وهي مدينة أولية شامخة البناء وفي أيام محمد بن أحمد بن الأغلب المعروف بأبي الغرانيق صاحب القيروان كانت وقبعة تيجس، إذ قتل البربر والي الأغالبة محمد بن سالم بن غلبون فأمر الأمير بقتل البربر(الحميري، الروض المعطار ص ١٤٦).
- (٤٠) اسم البلد وهو عجمي، بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجرير بينها وبين القيروان ثلاثة أيام (ياقوت، معجم البلدان ، ٧ / ٧٧، وهي مدينة من البلاد الجريرية على حد قول الحميري، بينها وبين نقيوس مرحلة وهي كبيرة قديمة أزلية (الروض المعطار ص ٤٧٧).
- (٤١) بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال وإن اسمها جاء أن أحد بني الأغلب أرمد وشرده عنه النوم فعولج بالمشي إلى موضع رقادة فنام فسميت رقادة يومئذ (ياقوت، معجم البلدان ، ٤ / ٤١١-٤١٢) وعنها قال الحميري: على أربعة أميال من قيروان إفريقية وكانت مدينة كبيرة، أمر الملك بالخروج والنتزه والمشي فلما وصل إلى موضع رقادة نام فسميت رقادة من يومئذ(الروض المعطار ص ٢٧١).
- (٤٢) ابن الأثير، عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ(بيروت ١٩٦٦م) ، ٨ / ١٤؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٧٠.
- (٤٣) مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام (ياقوت، معجم البلدان ، ٥ / ٢٥؛ وقال عنها الحميري: من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء وبينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين، وهي محدثة بنيت سنة أربعين ومائة أسسها مدرار بن عبد الله(الروض المعطار ص ٣٠٥-٣٠٧).
- (٤٤) ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٣ / ٩٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ١ / ١٥٦ ، ١٥٧.
- (٤٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٣ / ٩٨.
- (٤٦) ترجمته في: النعمان، افتتاح الدعوة، صفحات متفرقة؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٨ / ٢٨٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب ، ١ / ١٥٨؛ ابن أبيك الداوداري، الدرّة المضيّة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٠٨؛ الذهبي، العبر في خبر من غير ، ٢ / ١٩٢؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ص ٧٠، ٤٣٧؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت ٨٤٥هـ) اتعاط الحنفا بذكر الأئمة الخلفاء(القاهرة . ١٩٤٨م) ص ٦٠.
- (٤٧) وفيات الأعيان ، ٣ / ٩٩.
- (٤٨) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ١ / ١٥٣.
- (٤٩) البيان المغرب ، ١ / ١٥٣.
- (٥٠) البيان المغرب ، ١ / ١٥٨.

- (٥١) البيان المغرب ، ١ / ١٦٠ .
- (٥٢) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار (نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد) ص ٢٠٤ .
- (٥٣) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٠٦ .
- (٥٤) وكان الخليفة المعتضد بالله قد أنفذ خطابه إلى صاحب مصر في طلب عبيد الله المهدي والقبض عليه، فلما خرج هذا الأخير ووصل إلى المغرب أمروا صاحب سجلماسة وكان موالياً للعباسيين، بقبضه، ففعل وأودعه السجن في قرية بلقرب من سجلماسة، فخاطب من السجن أبا عبد الله الداعي فأعلمه بحاله فاستنفر الداعي كتامة ومن استجاب لدعوته وقصد سجلماسة، ووصل الداعي إلى عبيد الله فاستخرجه من سجنه وأخرج ولده وأدخلهما رقادة (الروض المعطار ص ٣٠٦-٣٠٧) .
- (٥٥) الروض المعطار ص ٣٠٧ .
- (٥٦) قال أبو زيد الدباغ عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ (ت ٦٩٦هـ) يتحدث عن يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكنانى الأندلسي الفقيه والقاضي (ت ٢٨٩هـ) من أهل القيروان وهو في مجلسه قال: " وحضر يوماً مجلسه رجل من أهل العراق فقال يحيى: " من كان ها هنا من أهل العراق فليقم عنا " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تعليق وتصحيح: إبراهيم شبوح (مكتبة الخانجي بمصر . ١٩٦٨م ط ٢ مطبعة السنة المحمدية) ، ٢ / ٢٤٠ .
- (٥٧) الروض المعطار ص ٣٠٧ .
- (٥٨) الحميري، الروض المعطار ص ٣٠٧ .
- (٥٩) البيان المغرب ، ١ / ١٥٨ .
- (٦٠) البيان المغرب ، ١ / ١٥٩ .
- (٦١) استحجب أبا الفضل جعفر بن علي وأبا أحمد جعفر بن عبيد الله وأبا الحسن طيّب بن إسماعيل وأبا سعيد عثمان بن سعيد، واستكتب أبا البشر إبراهيم بن محمد البغدادي الشيباني وولى على بيت المال أبا جعفر الخزري وعلى ديوان الخراج أبا القاسم بن القديم وعلى السكة أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي وعلى العطاء عبدون بن حباسة وعلى قضاء مدينة رقادة أفلح بن هارون الملوسي وأقر عمالة القيروان الحسن بن أبي الخنزير وعلى القضاء بها المروزي (البيان المغرب ، ١ / ١٥٩) .
- (٦٢) ذكر ابن عذار: إنَّ عبيد الله المهدي، أمر عروبة بن يوسف الملوسي وجبر بن نحاسب الملي، أن يكمنوا له خلف قصر الصحن، فإذا مرَّ بهما أبو عبد الله وأخوه أبو العباس، طعنوهما بالرماح حتى يموتا، فاستجابا هما هناك مع جماعة من كتامة، وبعث عبيد الله المهدي في استحضارهما طعامه على جاري عاداته معهما، فلما مرا بالموضع الذي فيه الكمين وخرجا عليهما، صاح أبو عبد الله، بعروبة: " لا تفعل يا ولدي " فقال له عروبة: " أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته وانخلعت له من الملك بعد توطئته " ثم طعنه بيده طعنة واحدة خرَّ منها صريعاً ووقعت في أبي العباس تسع عشرة طعنة وذلك يوم الثلاثاء وقت

- الزوال مستهل ذي الحجة، ومكثا صريعين على صفّ الحفير المعروف بالبحر إلى بعد الظهر، ثم أمر عبد الله بدفنهما فدفنا في الحنان وقال: " رحمك الله أبا عبد الله وجزاك في الآخرة بقديم سعيك " ولا رحمك الله أبا العباس فإنك صددته عن السبيل وأوردته موارد الهلاك " البيان المغرب ، ١ / ١٦٤ .
- (٦٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٧٦ (حتّ أبو عبد الله رؤساء كتامة على امتحانه وذكروا أن شيخاً منهم جاء إليه وقال له: " جئنا بأية من أمرك فقد شككنا فيك، فقتله المهدي على الفور).
- (٦٤) رسالة افتتاح الدعوة ، ٢ / ٨٥ .
- (٦٥) ابن عذارى، البيان المغرب ، ١ / ١٦٥ .
- (٦٦) وخط على ابن عذارى على أي نسب يرجع عبيد الله المهدي، فهو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصري (البيان المغرب ، ١ / ١٥٨).
- (٦٧) وكانت رسالة عبيد الله المهدي تنص برواية ابن عذارى: " أما بعد فقد علمتم محل أبي عبد الله وأبي العباس من الإسلام فاستنزلهما الشيطان فطهرتما بالسيف " ويمضي في قصة قتلتهما إن : أبا عبد الله نام يوماً بحضرة أصحابه وعنده جماعة من دعاة كتامة، فتحرك من نومه فانكشفت سؤته، فنظر بعضهم إلى بعض ولم يقدموا أن يستروه، فمدّ عروبة بن يوسف يده إلى الملحفة فستره بها وانتبه أبو عبد الله فقال: " من سترني إذ انكشفت؟ " فقالوا له: عروبة فقال: " هو والله قاتلي " فجعل عروبة يبكي بين يديه ويقول له: " يا سيدي مرّ بقتلي، فقال له: " لا سبيل إلى ذلك! لكنك والله قاتلي " فكان الأمر كما ذكر. (ابن عذارى، البيان المغرب ، ١ / ١٦٥).
- (٦٨) البيان المغرب ، ١ / ١٦٧ .
- (٦٩) البيان المغرب ، ١ / ١٦٨-١٦٩ .
- (٧٠) موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٣٢ .
- (٧١) دور كتامة ص ٣٣٣ .
- (٧٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .
- (٧٣) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب .
- (٧٤) تاريخ إفريقية والمغرب .
- (٧٥) المعجب في تلخيص أخبار المغرب .
- (٧٦) الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية (كنز الدرر وجامع الغرر).
- (٧٧) المغرب في حُلَى المغرب .
- (٧٨) العبر وديوان المبتدأ والخبر .
- (٧٩) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس .

(٨٠) لا يمكن أن يكونوا في العراق، يحكمه العباسيون المعادون للعلويين وكان أكثر الأئمة الأثني عشر وقعوا ضحية غدرهم وتعسفهم وظلمهم، ولا في بلاد الشام تنقاسمها دويلات وإمارات ورثت العداة والنصب لآل علي بن أبي طالب عليهم السلام منذ واقعة الطف وما خلفته سياسة الأمويين من الكراهية، ولا في بلاد مصر التي تتبع الحكم العباسي، ولا في اليمن أو في الحجاز مما نجد لهم أتباعاً ومريدون وأنصاراً يتابعون أخبار الفاطميين في بلاد المغرب؟.

(٨١) وكان فيما مدح به شعر لمحمد البديل، كاتب قضاة:

حَلَّ بِرَقَادَةِ الْمَسِيحِ حَلَّ بِهَا آدَمَ وَنُوحَ
حَلَّ بِهَا أَحْمَدَ الْمَصْفَى حَلَّ بِهَا الْكَبِشَ وَالذَّبِيحَ
حَلَّ بِهَا اللَّهِ ذُو الْمَعَالِي وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحَ

(ابن عذاري، البيان المغرب ، ١ / ١٦٠).

(٨٢) ابن عذاري، البيان المغرب ، ١ / ١٥٣ "حدث ذلك يوم السبت خلون من ذي الحجة سنة ٣٩٦هـ (احتلّ مدينة سجلماسة) يوم الأحد من السنة نفسها أخرج عبيد الله المهدي وابنه أبا القاسم من حبسهما.

(٨٣) رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة ، ٢ / ٩٣.

(٨٤) مدينة عظيمة بناها عبيد الله المهدي، إذ قام عليه أبو عبد الله الداعي وهو الذي أقامه ونصره، وبين المهدي والقيروان ٦٠ ميلاً قد أخاط بها البحر من جميع جهاتها إلّا من الجانب الغربي (مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١١٧؛ وقال عنها ياقوت: وهذه المدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدي وبينها وبين القيروان مرحلتان القيروان في جنوبها) معجم البلدان ، ٨ / ٣٤٤-٣٤٥، وعنها قال الشريف الإدريسي كانت مرسى وفرضة للقيروان واستحدثها المهدي عبيد الله وسماها بهذا الاسم وهي في نحر البحر، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ١ / ٢٨١؛ والحميري قال عنها: مدينة محدثة بساحل إفريقية، كان يقال لتلك الناحية الجمّة، بناها عبيد الله المهدي الشيعي الخارج على بني الأغلب وهو سماها المهديّة نسبة إلى نفسه (الروض المعطار ص ٥٦١-٥٦٢).

(٨٥) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ق ٣ (دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٤م) ص ٥٠.

(٨٦) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٧٩.

(٨٧) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٢٥-٣٠.

(٨٨)

(٨٩) البيان المغرب ، ١ / ١٦٩.

(٩٠) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٣٠-٣١.

(٩١) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٥٠.

(٩٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٧٩.

(٩٣) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٢٥.

- (٩٤) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٢٩.
- (٩٥) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٣٠.
- (٩٦) البيان المغرب ، ٢٠٧/١.
- (٩٧) من الدول التي كانت تتاجزهم، الدولة الرستمية وهم من الخوارج الإباضية (١٤٤-٣٣٦هـ/٧٢١-٩٤٧م) في المغرب الأوسط، ودولة بني مدرار من الخوارج الصفرية(١٤٠-٣٥٤هـ/٧٥٧-٩٦٥م) في المغرب الأقصى، ودولة الأدارسة العلوية(١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م) في مدينة فاس في المغرب الأقصى وأجزاء من المغرب الأوسط.
- (٩٨) وهي مدينة عظيمة بها قوم لونهم لون الحنطة، وهي بنواحي إفريقية بينها وبين سفاقس يومان أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة(ياقوت، معجم البلدان ، ٥ / ٩٣-٩٤، وقال عنها الكاتب المجهول: مدينة أزلية قديمة فيها آثار لأول وهي على ساحل البحر وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب(كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١١٩)، وعرفها الحميري قائلاً: من بلاد إفريقية، مدينة قديمة فيها آثار لأول وهي على ساحل البحر وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب (الروض المعطار ص ٣٣١).
- (٩٩) بلدة صغيرة في طرف أفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجرير(ياقوت، معجم البلدان ، ٧ / ٧٧، وقال الكاتب المجهول: مدينة كبيرة قديمة أزلية كان لها سور حصين من صخر جليل بأحكام صناعة(كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١٥٠) وقال الشريف الإدريسي: مدينة حسنة ذات سور ونهر جارٍ ماؤه أطيب من ماء قسطنطينية نزهة المشتاق ، ١ / ٢٧٧، وعنها قال الحميري: من البلاد الجريرية بينها وبين تقيوس مرحلة وهي كبيرة قديمة أزلية (الروض المعطار ص ٤٧٧-٤٧٩).
- (١٠٠) مدينة من نواحي إفريقية، جلّ غلاتها من الزيتون وهي على ضفة الساحل(ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ٥ / ٤٨، وقال عنها الكاتب المجهول: مدينة أزلية عليها غابة كبيرة من الزيتون(كتاب الاستبصار ص ١١٦، ووصفها الشريف الإدريسي: بأنها مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة(نزهة المشتاق ، ١ / ٢٨٠، وقال الحميري: مدينة بإفريقية بينها وبين قفصة ثلاثة أيام وهي مدينة عامرة، لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها سور حجارة (الروض المعطار ص ٣٦٥-٣٦٦).
- (١٠١) البيان المغرب ، ١ / ١٧٢.
- (١٠٢) ترجمته في: لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ٢ / ٣١٠.
- (١٠٣) ترجمته في : ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٣ / ١٧٩.
- (١٠٤) البيان المغرب ، ١ / ١٨١.
- (١٠٥) ترجمته في: لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام ص ٩٨.
- (١٠٦) يقول ياقوت: هي " أشمون " بالنون وأهل مصر يقولون أشمونين، وهي مدينة قديمة أزلية عامرة أهلة إلى هذه الغاية، وهي قسبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل (معجم البلدان ، ١ / ١٦٣) وفي كتاب

- الاستبصار في عجائب الأمصار: قرية لها الأشمون، لا أحد أن يقرب من شاطئها ص ٨٥ وقال عنها الشريف الإدريسي: مدينة مشهورة يعمل بها وفي طرزها ستور صوف وأكسية صوف منسوب إليها ويقال أن التمساح يضرب في عدوة الأشموني (نزهة المشتاق ، ١/١٢٥).
- (١٠٧) البيان المغرب ، ١/١٨٢.
- (١٠٨) ابن عذارى، البيان المغرب ، ١/٢٢١.
- (١٠٩) ترجمته في : ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١/٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ٤ / ٢٨؛ ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ٣ / ٤١٦؛ ياقوت، معجم البلدان ، ٤ / ٣٠١، مادة: القاهرة، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٩٠؛ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٤ / ٦٧٤.
- (١١٠) البيان المغرب ، ١/٢٢١.
- (١١١) معجم البلدان ، ٧ / ١٤.
- (١١٢) بن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٩٠.
- (١١٣) المقرئزي، الخطط ، ٢ / ١٢؛ محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٣.
- (١١٤) المقرئزي، الخطط ، ٢ / ٢٦.
- (١١٥) المقرئزي، الخطط ، ٢ / ٣٦-٣٧.
- (١١٦) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٤.
- (١١٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤ / ١٨١-١٨٢.
- (١١٨) المقرئزي، الخطط ، ١ / ١٨١.
- (١١٩) ابن ميسر، تاريخ مصر ص ١٧.
- (١٢٠) كان بدر الجمالي أرمناً للأمير جمال الدولة، ثم أخذ يترقى في المناصب لما أظهره من كفاية خلال الحروب التي قامت في بلاد الشام حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة (٤٥٦هـ) وأخذ يحارب الأتراك في تلك البلاد ولم يلبث أن أصبح من أقوى قوادها، ثم تقلد نيابة عكا سنة (٤٦٠هـ)، (المقرئزي، الخطط ، ١ / ٣٨١).
- (١٢١) المقرئزي، الخطط ، ١ / ٣٨١.
- (١٢٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ٩ / ٣٠٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ٣ / ٢٣٦؛ المقرئزي، الخطط ، ١ / ٣٥٧؛ ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم ص ١١.
- (١٢٣) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب ، ١ / ١٧٥.
- (١٢٤) ابن عذارى، البيان المغرب ، ١ / ٢٢٨؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا ص ١٤٧.
- (١٢٥) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعمال ، ٣ / ٥٨.

- (١٢٦) المقرئزي، اتعاظ الحنفا ص ١١٥-١١٦؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب(ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة . ١٩٢٣م) ، ٢٦ / ٤١ " عبارة: علي أفضل الوحيين ووزير خير المرسلين "
- (١٢٧) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص ٨٣.
- (١٢٨) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٤٥٠.
- (١٢٩) وذلك على غرار " بيت الحكمة " في بغداد، التي أقامها الخلفاء العباسيون، إذ تعهدوها بالرعاية والإنماء ، حتى أصبحت بمثابة جمعية علمية (أكاديمية) التي تُعنى بالعلوم ودراستها واستيعابها والتناظر والتحاوُر فيها. وتعني أكاديمية هي موضع ظليل بأشجار الزيتون في ضواحي مدينة أثينا في اليونانيسمى " أكاديمية أفلاطون " يلتقي فيه طلابه ومريديه ليحاوُرهم ويعلمهم الفلسفة والعلوم وقد تتلمذ " أرسطو " على أستاذه أفلاطون في أكاديميته " (عبد الحليم منتصر، تاريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه (دار المعارف، مصر . ١٩٧٥م) ص ٢٨-٣٠).
- (١٣٠) المقرئزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (بولاق . ١٢٧٠هـ) ، ١ / ٤٠٩.
- (١٣١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (الطبعة الأوربية . ١٨٥٥م) ، ٢ / ٤٨٢.
- (١٣٢) ذكره أبو شامة نقلاً عن الأصفهاني، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، طبعة القاهرة ، ١ / ٢٦٨.
- (١٣٣) كتاب الروضتين ، ١ / ٢٧١.
- (١٣٤) اتخذه أسد الدين شيركوه، عم صلاح الدين الأيوبي، كاتباً له، ومن ثم اتخذه الأخير كاتباً وسكرتيراً له واستعان به كمنظّر لإزالة الدولة الفاطمية، ومنذ استأثر صلاح الدين بحكم مصر استخلصه وزيراً ومستشاراً له، وقد بقى في الوزارة حتى سنة ٥٩٦هـ، وله كثير من الرسائل والكتب والمصنفات (ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١ / ٣٥٧-٣٥٩؛ المقرئزي، المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٦٦.
- (١٣٥) المواعظ والاعتبار ، ٢ / ٣٦٦.
- (١٣٦) غريغوريوس، أبو الفرج بن أهارون الملطي(ت ٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول (وقف على تصحيحه وفهرسته الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، (لبنان . ١٩٨٣م) ص ٣١٦.
- (١٣٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٣٢-٣٣؛ أحمد أمين، ظهر الإسلام ، ١ / ١٨٨.
- (١٣٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ١ / ١٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٤ / ٣٣.
- (١٣٩) المقرئزي، الخطط ، ٤ / ١٥٦؛ عنان، عبد الله، تاريخ الجامع الأزهر، (القاهرة . ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ص ١٨-٢٠.
- (١٤٠) المقرئزي، الخطط ، ٢ / ٢٢٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ٣ / ٤٨٧؛ الأعظمي، حسن محمد، عبقرية الفاطميين ص ٨٥.
- (١٤١) دار الحكمة أو دار العلم أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي في العاشر من جمادي الآخر سنة (٣٩٥هـ)، (المقرئزي، الخطط ، ٢ / ٣٢٤).

- (١٤٢) المقرزي، الخطط، ٢ / ٣٣٤.
- (١٤٣) النعمان، المجالس والمسائرات ص ١١٧-١١٨.
- (١٤٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١ / ٤٢٦؛ سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، (القاهرة . ١٩٧٤م)، ص ٧٩.
- (١٤٥) ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ٧ / ٢٢٥-٢٣٠.
- (١٤٦) ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ٢ / ٦.
- (١٤٧) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف القفطي (ت ٦٤٦هـ/١٢٦م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (الخانجي . ١٣٢٦هـ)، ص ١١٤-١١٥.
- (١٤٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ / ٨٥-٨٦.
- (١٤٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦ / ٢٤٢-٢٤٥.
- (١٥٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦ / ٣٤٢-٣٤٣.
- (١٥١) المقرزي، الخطط، ٢ / ٣٢٦.
- (١٥٢) المقرزي، الخطط، ٢ / ٣٤٢.
- (١٥٣) المقرزي، الخطط، ٢ / ٢٧٣-٢٧٧.

المصادر

- ١- ابن الاثير، عزالدين محمد بن عبدالكريم الشيباني الحذري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)، الكامل في التاريخ، (بيروت - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٦ م).
- ٢- الادريسي، الشريف ابو عبدالله محمد بن عبدالعزيز (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م)، نزهة المشاق في اختراق الافاق، تحقيق لوزي، (لندن - ١٨٦٦ م).
- ٣- البكري، ابو عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)، المعرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، المطبعة الاوربية ١٨٥٧ م.
- ٤- الداوداري، ابو بكر بن عبدالملك بن ايبل (ت ٧٣٦ هـ / من علماء القرن الثامن الهجري)، الدرّة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية، (القاهرة، ١٩٧٢ م).
- ٥- الذهبي، محمد بن عبدالله بن احمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، العبر في خبر من غير، تحقيق فؤاد السيد، الكويت - ١٩٦٠ م.
- ٦- الحميري، محمد عبدالمنعم (ت ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م)، الروض المعطار في خير الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٩ م.
- ٧- ابن الخطيب الغرناطي، محمد لسان الدين التلمساني (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)، اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاصلاح من ملوك الاسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت - ١٩٥٦ م).

- الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان (القاهرة - ١٣١٩ م) .
- ٨- ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابراهيم (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ، وفيات الاعيان وابناء الزمان ، اعداد ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ، ١٩٨٠ م .
- ٩- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) ، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، (بيروت - ١٩٥٩ م) .
- ١٠- ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاس يوسف بن تغري بردي الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) ، النجوم الزهرة من ملوك مصر والقاهرة ، طبعة القاهرة ، لا . ت .
- ١١- ابن سعيد ، علي بن موسى المغربي (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٥ م) ، المغرب في حلى المغرب ، (ليدين - ١٨٩٨ م) .
- ١٢- ابو شامة ، شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ / ١١٤٧) ، الروضتين في اخبار الدولتين ، تحقيق محمد محمد احمد ، (القاهرة - ١٩٦٢ م) .
- ١٣- ابن شاکر الکتبی ، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤ هـ ، ١٣٧٤ م) ، فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت لا . ت .
- ١٤- الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبدالکريم (ت ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، دار المعرفة ، بيروت - ٢٠٠١ م
- ١٥- ابن عذاري ، محمد بن عذاري المراكشي (ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، (بيروت - ١٩٥٠ م) .
- ١٦- ابن عساکر ، القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ / ١١٨٢ م) ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، دار احياء التراث العربي .
- ١٧- ابو عبدالله محمد بن علي حماد (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) ، اخبار ملوك بني عبید وسيرتهم ، تحقيق التهامي نقره وعبدالحميد عويس ، دار الصحوة للنشر ، (القاهرة - ١٩٨٠ م) .
- ١٨- العيني ، بدرالدين محمد بن احمد (ت ٨٥٥ هـ) ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، (القاهرة - ١٩٣٩ م) .
- ١٩- الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الطوسي الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١٦ م) ، فضائح الباطنية ، (القاهرة - ١٩٦٤) .
- ٢٠- غريغوريس ، ابو الفرج بن اهارون الملطي (ت ١٨٥ هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق الاب انطون صالحى اليسوعي ، دار الرائد البناني ، (لبنان - ١٩٨٣ م) .
- ٢١- الفلقشندي ، ابو العباس شهاب الدين احمد بن علي الفلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٥١٨ م) ، صبح الاعشا في صناعة الانشا ، (القاهرة - لا . ت) .

- ٢٢- القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف (ت ٨٢١ هـ / ٤١٨ م) ، اخبار العلماء
باخبار الحكماء ، (الخانجي ١٣٢٦ هـ) .
- ٢٣- المراكشي ، ابو عبدالله محمد (ت ٦٩٥ هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب (دار الثقافة -
١٩٢٩ م) .
- ٢٤- المقرئ ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ٤٤٠١ م)
- المواعظ والعبر في ذكر الخطط والاثار ، (القاهرة - ١٨٥٣ م) .
- اتعاط الحنفاء في ذكر الائمة الخلفاء ، (القاهرة - ١٩٤٨ م) .
- ٢٥- ابن ميسر ، محمد بن علي بن جلب (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٨٧ م) ، تاريخ مصر، طبعة هنري ، مطبعة
(القاهرة - ١٩١٩ م) .
- ٢٦ - مؤلف مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، الناشر سعد زغلول عبدالحميد ، دار الشؤون
الثقافية ، بغداد ، دار النشر العربية ، ١٩٥٨ م .
- ٢٧- النويري ، احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣١ م) ، نهاية الادب في فنون الادب ، (القاهرة -
١٩٢٣ م) .
- ٢٨- النعمان ، ابو حنيفة ابو عبدالله محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي التميمي (ت ٣٦٣ هـ /
٩٧٤ م)
- المجالس المسابير ، تحقيق الحبيب الفقي واخرون ، (تونس / ١٩٧٨ م) .
- رسالة افتتاح الدعوة وابتداء الدولة ، (بيروت - ١٩٧٠ م) .
- ٢٩- ياقوت ، شهاب الدين ابو عبدالله بن عبدالله الحموي الرومي ، (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، معجم البلدان ،
تقديم عبدالرحمن المرعشلي دار احياء التراث العربي، (بيروت - ١٠٩٦ م) .

المراجع الحديثة

- ١- احمد امين ، ظهر الاسلام ، (القاهرة - ١٩٦٢)
- ٢- الاعظمي ، حسن محمد ، عبقرية الفاطميين ، منشورات دار مكتبة الحياة .
- ٣- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، (القاهرة - ١٩٥٨ م) .
- ٤- عبدالله عنان ، تاريخ الجامع الازهر ، (القاهرة - ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م) .
- ٥- عبدالحليم منتصر ، تاريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه دار المعارف في مصر - ١٩٧٥ م
- ٦- ماجد عبدالمنعم ، نظم الفاطميين ورسومهم ، مطبعة البيان ، (القاهرة - ١٩٥٣ م) .
- ٧- محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية في العربي في مصر ، دار الفكر العربي ، (القاهرة -
١٩٦٥ م)
- ٨- موسى قبال ، دور كنامة في تاريخ الدول الفاطمية ، الجزائر ١٩٧٩ م .

الرواية التاريخية عن الأمراء والملوك في كتاب أخبار
الأذكىاء لابن الجوزي

سعاد الرزاق فتاح

<mailto:suaadshirza2000@gmail.com>

أ.د. عربية قاسم احمد

جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد قسم التاريخ

<mailto:arabyah.ahmed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq>

الرواية التاريخية عن الأمراء والملوك في كتاب أخبار الأذكىاء لابن الجوزي

سعاد عبد الرزاق فتاح

أ.د. عربية قاسم احمد

المقدمة:

إنَّ العوامل التي أدَّت إلى الكتابة التاريخية عند العرب تتصل بالتطورات الثقافية من جهة، وبالتيارات والاتجاهات العامة في المجتمع العربي من جهة ثانية. واهتمام العرب قبل الإسلام بالأيام والأنساب، ورواياتهم لما يتعلق بها من أخبار وشعر، يتصل بالآراء الاجتماعية السائدة لديهم حول الحسب والنسب، ومن المنتظر أن تكون الروايات شفوية كما يناسب الوضع الثقافي السائد، وكانت الأخبار التي تروى ملكاً مشتركاً للعائلة أو القبيلة، تتداول في الوسط الاجتماعي، ولم تكن اختصاص الأفراد، وكانت تؤلف جزءاً من الثقافة العامة، واستمر هذا الاهتمام بعد ظهور الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الملوك، الرواية، الأمراء، ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء

Introduction

The factors that led to Arab historical writing are related to cultural developments on the one hand, and general trends and trends in Arab society on the other hand. And the interest of the Arabs before Islam in the days and lineages, and their narrations for the related news and poetry, related to the prevailing social opinions about lineage and lineage. It was not the specialty of individuals, and it was part of the general culture, and this interest continued after the advent of Islam.

Keywords: Kings, the novel, the princes, Ibn al-Jawzi, the news of the intelligent

أولاً: الرواية التاريخية عن الأمراء في كتاب أخبار الأذكياء:

١- الرواية التاريخية عن جعفر بن يحيى البرمكي:

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٨٩) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the)

(Nobles, Vol. 6, p. 89)

تبين الرواية اهتمام ابن الجوزي بهذه الشخصيات التاريخية وتدوينها في كتاب الأذكياء، نلاحظ أن الرواية تميل إلى الاختصار ربما كان هدف بن الجوزي تسريع الرواية التاريخية لتشويق المتلقي لقراءتها: مثال على ذلك:

قال جعفر بن يحيى البرمكي لبعض ندمائه: اشتهي والله أن أرى إنساناً تليق به النعمة، فقال له: أنا أريك ذاك عياناً، فقال: هات فأخذ المرأة فقربها من وجهه.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٥٥) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p. 155)

ذكر ابن الجوزي الرواية في أخبار الظراف ولكنه لم يذكر مصدر الرواية وبهذا يكون ابن الجوزي قد انفرد بذكر الرواية.

والمغزى من الرواية هو بيان أقوال وأفعال تصدر من عوام الناس تدلُّ على قوة الذكاء وحُسن

التصرف (ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٤٨) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p. 148)

٢- الرواية التاريخية عن الحجاج:

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٠١) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the)

(Nobles, Vol. 12, p. 301)

تبين الرواية اهتمام ابن الجوزي بذكر روايات عن الشخصيات التاريخية لما لهذه الشخصيات من أهمية في ذكر الأحداث التاريخية.

حدثنا المبارك قال: بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل مقارب الخلق أفجع ذو غدرٍ بيّن، فلما رآه الحجاج قال: مرحباً بأبي عادية، فلم يزل يرحب به حتى أجلسه على سريره ثم قال: أنت قاتل

ابن سمية (ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٢٥٩) (Ibn Saad, At-Tabaqat, Vol. 2, p.)

259)؟ قال: نعم، قال: كيف صنعت؟ قال: صنعت كذا وفعلت كذا حتى قتلتها، قال الحجاج لأهل

الشام: من سرّه أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية، ثم

سار أبو غادية فسأله شيئاً فأبى عليه فقال أبو غادية: نعطي لهم الدنيا ثم نسألهم منها شيئاً فلا

يعطونا وتزعم أنه عظيم الباع يوم القيامة، قال: أجل، والله أن من كان ضرسه مثل أحد وفخذه مثل ورقان، وساقه البيضاء، ومجلسه ما بين المدينة إلى الزبيد لعظيم الباع يوم القيامة والله لو أن عمار بن سمية قتل أهل الأرض لدخلوا كلهم النار.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٣٢) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, pg. 132)

نلاحظ من خلال الرواية أن الحجاج وصف شكل الرجل الذي قتل عمار ابن سمية وبين من خلال كلامه مع الرجل مكانته يوم القيامة، قائلاً: من سرّه أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية.

وهذا هو المغزى من الرواية وهو نقل الأحداث التاريخية إلى الأجيال القادمة. ذكر ابن الجوزي الرواية من دون ذكر المصدر وبعد البحث والقراءة تبين أن الرواية ذُكرت في مؤلفات أخرى.

(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ١٢٣) (Ibn al-Atheer, al-Kamil fi al-

Tarikh, vol. 3, p. 123)

(العسقلاني، الإصابة، ج ٧، ص ٢٥٨) (Al-Asqalani, Al-Isbah, vol. 7, p. 258)

وهي مشابهة لرواية ابن الجوزي في الفحوى والمحتوى.

٣- الرواية التاريخية عن أسلم بن زرعة:

تشير الرواية إلى أسلم بن زرعة وإنهزم أمام مرداس بن أدية والرواية هي: قيل لأسلم بن زرعة إن انهزمت من أصحاب مرداس بن أمية يغضب الأمير عبيد الله بن زيادس.

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٤٥) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the)

(Nobles, Vol. 3, p. 545)، قال: يغضب عليّ وأنا حي أحبّ من أن يرضي عني وأنا ميت.

ذكر ابن الجوزي الرواية ولم يُشر إلى المصدر الذي أخذ منه الرواية وبعد البعث في المصادر تبين أن الرواية ذكرها الدينوري وهو أن أسلم بن زرعة قد أرسل في جيش عدته ألفا مقاتل، وكان مرداس في أربعين رجلاً ومع ذلك انتصر عليهم (عيون الأخبار، ج ١، ص ١٦٣) (Oyoun Al-Akhbar, Vol. 1, p. 163)

٤- الرواية التاريخية عن خالد بن برمك:

(الذهبي سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٢٢٩) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the Nobles,

Vol. 7, p. 229)

(الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٢٩٥) (Al-Zarkali, al-Alam, Vol. 3, p. 295)

ذكر ابن الجوزي الرواية ولم يذكر من هو الأمير ومن هو الرجل الذي أنقذه من الأعداء وكذلك اختصر في أحداث الرواية ربما كان القصد تسريع الأحداث التاريخية، ومثال على ذلك: خرج أمير ومعه رجلٌ فيه ذكاءٌ فبينما هم على الغداء قال للأمير: أركب فقد لحقنا العدو، قال: كيف وما يرى أحد؟ قال: أركب عاجلاً فإن الأمر أسرع مما تحسب فركب وركب الناس فلاحت العُبرةُ وطلع عليهم سُرعان الخيل، فعجب الأمير، وقال: كيف علمت؟ قال: أما رأيت الوحش مَقْبِلَةً علينا، ومن شأن الوحوش الهرب منا، فعلمت أنها لم تدع عاداتها إلاّ للأميرٍ قد دَهَمَهَا.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٧٨) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p. 178

وذكر الرواية الدينوري ولكن بشكل أكثر تفصيلاً وإن الرجل الذكي هو خالد بن برمك أما تفصيل الرواية: ذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٢٢) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the Nobles, Vol. 9, p. 222)

أن خالد بن برمك، حين فصل مع قحطبة من خراسان، بينما هو على سطح بيت قرية نزلاها وهم يتغدون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء أقبلت من جهة الصحاري حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة، أيها الأمير نادِ في الناس: يا خيل الله أركبي، فإن العدو قد نهد إليك، وغاية أصحابك أن يسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل فقام قحطبة مذعوراً فلم ير شيئاً يروعه ولم يعاين غباراً، فقال لخالد، ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير لا تتشاغل بي وناد في الناس، أما ترى أقاطيع الوحوش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس، أن وراءها لجماً كثيفاً قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد اصطم.

(عيون الأخبار، ج ٢، ص ١١٧) (Oyoun Al-Akhbar, Vo.2, p. 117)

٥- الرواية التاريخية عن ولاية مصر:

قال مؤلف الكتاب: وبلغنا عن بعض ولاية مصر، أنه كان يلعب بالحمام فتسابق هو وخادم له، فسبقه الخادم فبعث الأمير إلى وزيره ليعلم الحال، فكره الوزير أن يكتب إليه أنك قد سُبِقْتَ، ولم يدر كيف يكتئى عن ذلك، فكان ثم كاتب فقال: إن رأيت أن تكتب شعراً :

يا أيها الملك الذي جدُّه
طائرِك السَّابقُ لكنَّه
لكلِّ جدِّ قاهرٍ غالبُ
أتى وفي خِدْمته حاجِبُ

فاستحسن ذلك وأمر له بجائزة وكتب به

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٦٣) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)
(p.63)

تبين الرواية ذكاء الوزير والطريقة التي سلكها لينال رضا الوالي وذلك بمدحه ببيت شعري، إذ كان الناس يألّفون الشعر، وكان الشعر وسيلة للوصول إلى الغايات. أراد ابن الجوزي أن ينقل لنا صورة واضحة لعلماء ووزراء وأمراء المسلمين وما يتمتعون به من الطرافة والفكاهة، فهي مبعث لصفاء الذهن وتجم انفوس وتريح القلب من كد الفكر.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٥٣) (Ibn al-Jawzi, News of the)
(Intelligent, P. 53)

٦- الرواية التاريخية عن سيف الدولة الحمداني:

(الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٢٣٢١) (Al-Zarkali, al-Alam, Vol. 3, p. 2321)
تبين الرواية اهتمام العرب بالشعر والشعراء، عن طريق الشعر ينالون استحسان الأمراء والملوك.

قال أبو الحسن السلامي الشاعر، مدح الخالديان سيف الدولة بن حوران بقصيدة:

تصدُّ ودارها صدَدَ وتوعدهُ ولا تعدُّ
وقد قتلتُه ظالمةً فلا عقلٌ ولا قودُ

وقالا فيها في مدحه:

فوجة كُلهُ قمرٌ وسائرُ جسمه أسدُ

فلما أنشده أعجب بها سيف الدولة واستحسن هذا البيت منها وجعل يردد إنشاده فدخل عليه الشبيطي الشاعر، فقال له: أسمع هذا البيت وأنشده إياه، فقال له الشبيطي: أحمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٦٢) (Ibn al-Jawzi, News of the)
(Intelligent, p. 162)

لم يُشر ابن الجوزي إلى السند، لكنه أثبت صحة الرواية من خلال الأبيات الشعرية، حيث كان العرب يألّفون الشعر وبه يتناقلون الأخبار.

٧- الرواية التاريخية عن العريان بن الهيثم أمير الكوفة

(ابن سعد، الطبقات، ج ٦، ص ٢١٤) (Ibn Saad, At-Tabaqat, Vol. 2, p. 259)

ذكر ابن الجوزي الرواية وكانت بين العريان بن الهيثم وبين شيخ يدعونه بالمخنث، لكن الرواية ذُكرت في مصادر أخرى (الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٢٩) (AI- Hussary, Collecting the Jewels in the Salt and the Anecdotes, p. 29) بين المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، والرواية هي:

أدخل مخنثٌ على العريان بن الهيثم وهو أمير كوفة، فقال يا عدو الله أتتخنت وأنت شيخ؟ فقال: مكذوب عليّ كما كُذِبَ على الأمير أعزّه الله فاستوى جالساً وقال: ما يقولون فيّ؟ قال: يسمونك العريان وأنت صاحب عشرين جُبّة، فضحك وخالاً سبيله.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٥٥) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p. 155)

المغزى من الرواية أن الشيخ استطاع أن ينقذ نفسه من أمير الكوفة، إذ مزج بين الجد والهزل وخالاً سبيله.

٨- الرواية التاريخية عن سعيد بن سلم: (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ١٠٥)

(Al-Khatib Al-Baghdadi, History of Baghdad, Vol. 10, p. 105)

ذكر ابن الجوزي الرواية بأسلوبه الذي عني كثيراً إلى الاختصار وعدم ذكر المصدر والراوي لأجل أن ينسب إليه، والرواية كانت بين عبد الملك بن مروان وعروة ابن الزبير (الدينوري، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٢٣٠).

لكن ابن الجوزي ذكر الرواية لسعيد بن سلم، مثال على ذلك:

قال سعيد بن سلم لبعض جلسائه في بستانه: ما أحسن هذا البستان؟ قال: أنت أحسن منه لأنه يوّتي أكله كل عام مرّة، وأنت توّتي أكلك كل يوم.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٥٤) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p. 154)

٩- الرواية التاريخية عن أحمد بن طولون

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٩٤) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the Nobles, Vol. 13, p. 94)

ذكر ابن الجوزي أكثر من رواية عن أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية، كان رجل دولة سائساً عارفاً ببواطن الأمور وكانت لديه فراسة تكشف عن حقيقة أنه بالفعل كان رجل دولة، وقد وضّح ابن الجوزي هذه الصفات من خلال هذه الرواية: ذكر محمد بن عبد الله الهمداني

(الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٦٧) (Al-Zarkali, al-Alam, Vol. 6, p. 267)

أن أحمد بن طولون جلس يوماً في منتزه يأكل فرأى سائلاً في ثوب خلق فوضع يده في رغيف ودجاجة وفرخ وقطع لحم وقطعة فالودج وأمر بعض الغلمان بمناولته فرجع الغلام وذكر أنه ما هسّ له، فقال ابن طولون للغلام: جنني به فمثل بين يديه فاستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيئته، فقال له: أحضرنى الكتب التي معك واصدقني من بعث بك فقد صحّ عندي أنك صاحب خبر، واستحضر السياط فاعترف له بذلك، فقال بعض من حضر: هذا والله السحر، فقال أحمد: ما هو بسحر ولكنه قياس صحيح، رأيت سوء حال هذا فوجهت إليه بطعام يُسرّ إلى أكله الشبعانُ فما هسّ له ولا مدّ يده، فأحضرته فتلقاني بقوة جأشٍ فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جنانه علمتُ أنه صاحب خبرٍ

(ابن الجوزي، أخبار الأذكيا، ص ٦٠) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)

(p.60)

وهذه رواية أخرى عن أحمد بن طولون تؤكد أنه رجل دولة وكشفه بواطن الأمور. رأى ابن طولون يوماً حمالاً يحمل صندوقاً وهو يضطرب تحته، فقال: لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمّال وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحطّ الصندوق فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت، فقال: أصدقني عن حالها؟ فقال: أربعة نفرٍ في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة، فضرب الحمّال مائتي عصا وأمر بقتل الأربعة.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكيا، ص ٦٠) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)

(p.60)

وذكر ابن الجوزي رواية أخرى تبين فيه أن ابن طولون كان يتنكر ويطوف بالبلد:

كان ابن طولون يُكرِّم ويخرج فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب، فدعا بعض أصحابه يوماً، وقال: أمضِ إلى المسجد الفلاني وأعطِ إمامه هذه الدنانير قال: فمضيتُ فجلستُ مع الإمام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها الطلق ولم يكن معه ما يصلح شأنها، وإنه صلى فغَلَطَ مراراً في القراءة فعدت إلى ابن طولون فأخبرته، فقال: صدق وفتتُ أمس فرأيتُهُ يغلطُ كثيراً فعلمتُ شغل قلبه.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ٦٠) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.60)

١٠- الرواية التاريخية عن سهل بن محمد السجستاني:

حدثنا سهل بن محمد السجستاني.

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٢٦٩) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the

Nobles, Vol. 12, p. 269)

قال: وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت

مسلمًا عليه فقال: يا سجستاني من أعلمكم بالبصرة؟ قال: الزيادي (ياقوت الحموي، معجم الأدباء،

ج ١، ص ٦٣) (Yaqout al-Hamawi, Dictionary of Writers, Vol.1, p.63)

أعلمنا بعلم الأصمعي (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ١٧٩) (Al-Dhahabi, Sir

Flags of the Nobles, Vol.10, p. 179)

والمازني (القفتي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ص ٢٤٦)

(Al-Qifti, Inbah of the Narrators on the Inbah of the Grammarians, p.

246)

أعلمنا بالنحو وهلال الرأي.

(العسقلاني، لسان الميزان، ج ٦، ص ٢٠٢) (Al-Asqalani, the tongue of the

balance, Vol.6, P:202)

أفقهنا، والشاذكوني.

(العسقلاني، لسان الميزان، ج ٢، ص ٧٤) (Al-Asqalani, the tongue of the

balance, Par.6, P:202)

أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي (الخطيب البغدادي،

تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٥٦) (Al-Khatib Al-Baghdadi, History of Baghdad,)

(Vol. 6, p. 56) من أكتبنا الشروط، قال: فقال لكاتبه: إذا كان غدً فاجمعهم إليّ، قال: أيكم

المازني؟ قال أبو عثمان: ها أنا ذا يرحمك الله، فال: هل يُجزئُ في الظَّهَارِ عتقُ عبدٍ أعور؟ فقال

المازني: لستُ صاحب فقه أما صاحبُ عربية، فقال: يا زيادي كيف نكت بين بعلي وامرأة خالعتها زوجها على الثلث من صداقها؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شانكوني، من قرأ: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ (سورة هود، الآية: ٥)، قال: ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم، فقال: يا أبا حاتم كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة وما أصابهم في الثمرة وتساله لهم النظر في البصرة؟ قال: لست رحمك الله صاحب بلاغة وكتابة أنا صاحب قرآن، قال: ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فناً واحداً حتى إذا سُئِلَ عن غيره لم يجُل فيه ولم يمر عالمنا بالكوفة الكسائي لو سُئِلَ عن هذا كله لأجاب (العسكري، الحسن بن عبد الله، المصون في الأدب، ص ١٢٣) (Al-Askari, Al-Hasan bin Abdullah, (Al-Masun fi Al-Adab, p. 123

لم يذكر ابن الجوزي مصدر الرواية ولكن بعد البحث والقراءة في المصادر عثرتُ على هذه الرواية ذُكرت في المصون (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٦١) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent, p. 178)، وليس هناك اختلاف في تفاصيل الرواية.

ومعنى الرواية إنه وفد إلى البصرة عامل الخراج والصدقات وهو محمد بن مسلم الكوفي من الكوفة فسأل السجستاني من علمائكم بالبصرة، فذكر له عدداً من العلماء ذُكرت أسمائهم بالرواية فجمعهم محمد الكوفي وسألهم بعض الأسئلة الفقهية لكنهم لم يعرفوا الإجابة فقال الكوفي: ما أقبح بالرجل أن يتعاطى العلم خمسين عاماً ولا يعرف إلا فناً واحداً أي علماً واحداً، ولو سأل هذه الأسئلة لعالمنا بالكوفة لأجاب على كل هذه الأسئلة.

١١- الرواية التاريخية عن الفتح بن خاقان:

(الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٣٤) (Al-Zarkali, al-Alam, Vol. 3, p.134)

تبين الرواية الاهتمام الذي أبداه الفتح بن خاقان للمتوكل العباسي ومكانته عند المتوكل بوصفه من أخلص رجاله وأقربهم إليه، والرواية هي:

رأى الفتح بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً فلم يمسه بيده ولا قال له شيئاً، ولكنه نادى: يا غلام مرآة أمير المؤمنين، فجاء بها فقابل بها وجهه حتى أخذ ذلك الشيء بيده.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٥١) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent, p.51)

(p.51)

وتتدرج هذه الرواية ضمن الروايات السياسية بوصفها تتحدث عن رجال الدولة وسياستهم، وذُكرت في محاضرات الأدباء (الراغب الأصفهاني، ج ١، ص ١٩٦) (agheb Al-Isfahani, (

Ibn al-Jawzi, (Vo.1, p.196) وأخبار الظراف. (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٥٣) (Ibn al-Jawzi, (News of the Intelligent, p.53

تشير الرواية إلى ذكاء الفتح بن خاقان، وبين ابن الجوزي من خلال الرواية بعضاً من دهائه.

١٢ - الرواية التاريخية عن الفضل بن سهل:

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٤١) (Ibn Khalkan, Wayat al-A'yan, vol. 4, (p. 41

(الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٤٩) (Al-Zarkali, al-Alam, Vol. 3, p.149)

تشير هذه الرواية أن الفضل بن سهل كان يحب الشعر ويشجع الشعراء، لذلك نجد أن جعفر الضبي عندما دخل عليه قام بمدح الفضل لينال استحسانه، والرواية هي:

قال: دخل جعفر الضبي على الفضل بن سهل فقال: أيها الأمير أسكتني عن أوصافك تساوي أفعالك في السؤدد، وحيرني فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل، فإن أردت وصف واحدة اعترضت أختها فلم تكن الأولى بالذكر فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها.

Ibn al-Jawzi, News of the (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٦٣) (Intelligent, p. 163

وهذه الرواية ذكرها الدينوري أيضاً وفيها أنه الحسن بن سهل وليس الفضل بن سهل.

(Oyoun Al-Akhbar, Vol. 1, p. 95) (عيون الأخبار، ج ١، ص ٩٥)

١٣ - الرواية التاريخية عن عبد الملك بن صالح

(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٨٥) (Ibn al-Atheer, al-Kamil fi al-Tarikh, vol.6, p.85)

(ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٦٠٢) (Ibn Taghri Bardi, The Shining Stars, Vol.2, p.602

تشير الرواية إلى ما دار بين أمير بني العباس عبد الملك بن صالح والرشيد: دخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد فلقبه إسماعيل بن صبيح الحاجب فقال له: أعلم أنه ولد لأمير المؤمنين ابنان فعاش أحدهما ومات الآخر، فيجب أن تخاطبه بحسب ما عرفتك، فلما صار بين يديه قال: سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك، وجعلها واحدة بواحدة تستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين.

Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,) (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٦٣) (p. 163

تبين من خلال الرواية بلاغة عبد الملك بن صالح عندما التقى بالرشيد. حيث كان كلامه مطابقاً لحال الخليفة، وكانت النتيجة أن بلاغته في الكلام نال استحسان الخليفة الرشيد، وهي من الروايات التاريخية التي تبين تعامل الأمراء مع الخلفاء والملوك والذكاء والفتنة التي تتمتع به هذه الطبقة من المجتمع.

لم يذكر ابن الجوزي المصدر الذي أخذ منه الرواية وبهذا يكون ابن الجوزي انفرد بذكرها دون غيره.

١٤- الرواية التاريخية عن عمرو بن العاص

Ibn al-Atheer, The Lion of the Forest, p.) (ابن الأثير، أسد الغابة، ص ٩٤٤) (944

تؤكد هذه الرواية على الجدل بين عمرو بن العاص وأحد رجاله، إذ كان ابن العاص شديد في تصرفه معهم، مثال على ذلك :

بلغنا عن عمرو بن العاص أنه منع أصحابه ما كان يصل إليهم فقام إليه رجل فقال: أيها الأمير: اتخذ جنداً من الحجارة لا تأكل ولا تشرب، فقال له عمرو: أخسأ أيها الكلب، فقال له الرجل: أنا من جنديك، فإن كنتُ كلباً فأنت أمير الكلاب وقائدها.

Ibn al-Jawzi, News of the) (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٤٧) (Intelligent, p.147

لم يذكر ابن الجوزي المصدر الذي أخذ منه الرواية وبهذا يكون قد انفرد بذكر هذه الرواية. وهي من الروايات التقليدية تبين حاكم مستبد يحاول فرض هيمنته، لكن الرجل استطاع بذكائه أن يغلب عمرو بن العاص.

١٥- الرواية التاريخية عن طاهر بن الحسين:

(Al-Dhahabi, Sir Flags of the) (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ١٠٨) (Nobles, Vol. 10, p. 108)

تشير الرواية إلى خروج طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن ماهان: خرج طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن ماهان فخرج وفي كفه دراهم يفرقها على الفقراء ثم سها وأسبل كفه فتبددت فنطير، فقال له شاعر في ذلك:

هذا تفرّق جمّعهم لا غيرُهُ
وذهابُهُ منا ذهابَ الهَمِّ
شيء يكون الهَمُّ نصف حُرُوفه
لا خير في إمساكِهِ في الكَمِّ

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٦٢) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)
(p. 162)

وتتدرج الرواية ضمن الروايات السياسية للأمراء، ولم يذكر ابن الجوزي مصدر الرواية، وبعد القراءة والبحث تبين أن ابن الجوزي كتب في المخطوطة الأصلية طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن همام، وهو خطأ في النقل، فالمعروف هو طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن ماهان كان قائداً للأمين وهو الذي حرّضه على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وقد خرج إلى خراسان في جيش بلغت عدته مائة وأربعين ألف مقاتل فتلقاه طاهر بن الحسين قائد المأمون في الري فقتله وانهزم أصحابه في سنة (١٩٥هـ/٨١٠م)

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٦٢) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)
(p. 162)

(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٧٩) (Ibn al-Atheer, al-Kamil fi al-Tarikh, vol.6, p.79)

(ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٤٩) (Ibn Taghri Bardi, The Shining Stars, Vol.2, p.149)

١٦- الرواية التاريخية عن عضد الدولة:

(ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٥٠) (bn Khallikan, The Deaths of Al-Aylan, Vol. 4, p. 50)

لجأ ابن الجوزي إلى عنايته بالشخصية التاريخية في الرواية التاريخية وولعه الشديد بالتوثيق التاريخي للأحداث، فقد ذكر في كتاب أخبار الأذكىاء جملة من أسماء الأمراء الذين عرف عنهم الذكاء والفتنة، ومنها هذه الرواية عن عضد الدولة.

روى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٠٢) (bn Khallikan, The Deaths of Al-Aylan, Vol. 2, p.202)، قال: حكى السلامي الشاعر، قال: دخلت على عضد الدولة، فمدحته فأجزال لي عطيتي من المال والدنانير وبين يديه حسام خسرواني فرآني الحظّة فرمى به إليّ وقال: خُذْهُ، فقلت: وكل خير عندنا من

عنده، فقال عضد الدولة: ذاك أبوك، فبقيت متحيراً لا أدري ماذا أراد، فجنث أستاذي وشرحت له الحال، فقال: ويحك قد أخطأت خطيئةً عظيمةً لأن هذه الكلمة لأبي نؤاس يصف كلباً:

أنعتُ كلباً أهله في كدهِ قد سعتُ حُدودهم بحدِه

وكل خيرٍ عندهم من عندهِ

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٥٦) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)

(p.56)

قال: فعدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدي الملك فقال: ما لك؟ فقلت: حُمت الساعة، فقال: هل تعرف سبب حُماك؟ قلت: نظرت في ديوان أبي نؤاس، فقال: لا بأس عليك من هذه الحمى، فسجدت بين يديه وانصرفت.

نلاحظ أن ابن الجوزي هو الراوي الرئيس للرواية وهو أخذ الرواية من الراوي الثاني المشارك في الحدث المتمثل بالشاعر السلامي، إذ يروي للراوي الرئيسي - ابن الجوزي - ما مر به من أحداث وهو عند عضد الدولة.

تشير هذه الرواية إلى ذكاء عضد الدولة عندما أعاد العقد إلى صاحبه بعد أن أخفاه العطار وامتنع عن إعادته لصاحبه والرواية هي:

قال المؤلف: بلغني أن رجلاً قديم إلى بغداد للحج وكان معه عقد من الحَب يساوي ألف دينار فاجتهد في بيعه فلم ينفق، فجاء إلى عطار موصوف بالخير فأودعه إياه ثم حجَّ وعاد فأتاه بهدية، فقال له العطار: مَنْ أنت؟ وما هذا؟ فقال: أنا صاحب العقد الذي أودعتك، فلما كلمه حتى رفسه رفسةً رماه عن دكانه، وقال: تدعي عليّ مثل هذه الدعوى، فاجتمع الناس وقالوا للحاجي: ويلك هذا رجل خير ما لحقت من تدعي عليه إلا هذا، فحير الحاجي وتردد إليه فما زاده إلا شتماً وضرباً، فقيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة، فله في هذه الأشياء فِراسه، فكتب قصته وجعلها على قسبة ورفعها لعضد الدولة، فصاح به فجاء فسأله عن حاله، فأخبره بالقصة فقال: أذهب إلى العطار بكرة وأقعد على دكته فإن منعك فاقعد على دكة تقابله من بكرة إلى المغرب ولا تكلمه وافعل هذا ثلاثة أيام، فإني أمر عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٥٣) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent, p.53)، فلا تقم لي ولا تزدني على رد السلام وجواب ما أسألك عنه فإذا انصرفت فأعد عليه ذكر العقد ثم أعلمني ما يقول لك، فإن أعطاك فجاء به إليّ، قال: فجاء إلى دكان العطار ليجلس فمنعه فجلس بمقابلته ثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم فلما رأى الخراساني وقف

وقال: سلام عليكم، فقال الخراساني ولم يتحرك: وعليكم السلام فقال: يا أخي تقدم فلا تأتي إلينا ولا تعرض حوائجك علينا؟ فقال: كما اتفق ولم يشيعه الكلام وعضد الدولة يسأله يستحفي وقد وقف ووقف العسكر كله والعطار قد أغمى عليه من الخوف، فلما انصرف التفت العطار إلى الحاجي فقال: ويحك متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء كان ملفوقاً؟ فذكرني لعلي أذكره فقال: من صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم نفض جرّة عنده فوق العقد فقال: قد كنت نسيت ولو لم تذكرني في الحال ما ذكرت، فأخذ العقد ثم قال: وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة ثم قال في نفسه: لعله يريد أن يشتريه فذهب إليه فأعلمه فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار وصلّبه بباب الدكان، ونودي عليه هذا جزاء من استودع فجحد، فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد فسلمه إلى الحاجي وقال: أذهب

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ٥٣-٥٤) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.53-54)

ثانياً: الرواية التاريخية عن الملوك في كتاب أخبار الأذكياء:

١- الرواية التاريخية عن كسرى:

تؤكد هذه الرواية على ذكاء كسرى بعد أن وجهه الأصبهني إلى بلاد الروم وانتصر عليهم ثم حاول التخلص منه وبعد أن عرف الأصبهني أن كسرى عزم على التخلص منه دبر له مكيده لكن كسرى كان أدكى منه، والرواية هي:

حكى عن كسرى بن هرمز أنه كان بعث الأصبهني إلى الروم في جيش عظيم وأعطى من الظفر ما لم يعطه أحد قبله، وأخذ الأصبهني خزائن الروم وجهها على هيئتها إلى كسرى، ففطن كسرى أن مال الأصبهني من الظفر وإن هذا يغيره عليه ويوجب له كبراً، فبعث إليه رجلاً ليقتله وكان المبعوث عاقلاً، فلما رأى الأصبهني وتدبير عقله قال: ما يصح قتل هذا بغير جرم ثم أخبره - بالذي جاء له، فأرسل الأصبهني إلى قيصر، أني أريد أن ألقاك قال: إذا شئت فالتقيا فقال له: إن هذا الخبيث قد همّ بقتلي ووجه إلي رجلاً بذلك وأنني أريد هلاكه كالذي أراد مني والبادي أظلم فاجعل لي من نفسك ما اطمئن إليه وأعطيك من بيوت أمواله مثل الذي أصبت منك ومثل الذي أنت منفقة في مسيرك هذا فأعطاه من الموائق ما اطمئن إليه، وسار قيصر في أربعين ألفاً فنزل بكسرى، فعلم كسرى كيف جرى الأمر فاحتال لفض جنود قيصر فدعا قيساً منتصراً في دينه فقال: إنني كاتب معك كتاباً لطيفاً لتبلغه الأصبهني فلا تطلعن على ذلك أحداً وأعطاه ألف دينار وعلم كسرى أن القس يوصل كتابه إلى قيصر لأنه تحته هلال الروم وكان في الكتاب، إلى الأصبهني،

أني كتبت إليك وقد دنا مني قيصر فقد أحسن الله إلينا وأمكنني منهم بتدبيرك لأعدمت صواب الرأي وقد خرجت عليهم وأنا ممهلة حتى يقرب من المدائن ثم أغافله في كذا فغره على من قتلك إياي فأني استأصلهم فخرج القس بالكتاب فأوصله إلى قيصر، فقال قيصر، هذا الحق وما أراد إلا هلاكنا فتولى متصرفاً واتبعه كسرى إياس بن قبيصة الطائي فقتل أصحابه ونجاه قيصر من شردمة قبيلة.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٦٩-١٧٠) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.169-170)

لم يذكر ابن الجوزي مصدر الرواية ولا من هو الراوي وبذلك يكون ابن الجوزي الراوي الرئيس للرواية ولكن بعد البحث في المصادر تبين أن الرواية ذكرت في مصادر أخرى.

(الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٩٩) (Al-Tabari, History of the)

(Messengers and Kings, Vol. 2, p. 99)

(النويري، نهاية الأرب، ج ٧، ص ٢٢٣) (Al-Nuwairi, Nikita Al-Arb, part 7, p. 223)

وهذه الرواية أيضاً عن كسرى تشير إلى حيل ومكر الملوك وسياستهم مع الرعية ومنهم كسرى، مثال على ذلك:

قال منجمو كسرى: إنك تُقتل فقال لاقتلن من يقتلني، فأمر بسم فخلط في أدوية، كُتب عليه: دواء للجماع مُجرب، من أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة، فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزائنه مر به، فقال في نفسه: هذا الدواء الذي كان يقوي به على السراري، فأخذ منه فقتله وهو ميت.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٧٧) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.177)

في هذه الرواية أيضاً لم يذكر ابن الجوزي المصدر ولا الراوي الذي نقل له الرواية ومن أين نقلها وبهذا يكون ابن الجوزي انفرد بذكر الرواية، وبجهد المتواضع بحثت في المصادر وتبين أن الرواية ذكرت في مصادر أخرى. (الدينوري، عيون الأخبار، ج ١، ص ١٤) (Al-Dinori,)

(Oyoun Al-Akhbar, Part 1, p. 14)

(الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢٢١) (Al-Tabari, History of the)

(Messengers and Kings, Vol. 2, p. 221)

(ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٣٦) (Ibn Abd Rabbo, The Unique)
(Contract, Vol.1, p. 36

تشير هذه الروايات إلى الحيل والدهاء الذي يتمتع به الملوك والمحاربين، وتشير الرواية إلى الذكاء الذي كان يتمتع به كسرى فقد روي:

كان كسرى من الذكاء على غاية، فروينا عنه أنه نَمَّ إليه رجلٌ بصديقٍ له، فكتب كسرى للنمام: قد اخترنا نُصْحَكَ ودممنا صاحبك لسوء اختياره الإخوان. بيّن ابن الجوزي من خلال الرواية أن هناك أناس لا تصحُّ معاشرتهم كالذي ذكره في الرواية وهو النمام الذي ذمَّ صاحبه، فمن أراد أن يكون صالحاً عليه معاشرته الصالحاء، قال تعالى في كتابه: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا * يُنَوِّتُ لِيَتْنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا حَلِيلًا﴾ (سورة الفرقان، الآيتان: ٢٧-٢٨)، ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (سورة الفرقان، الآية: ٢٩)

تشير الرواية إلى الملك الذي كانت أسراره تظهر لعدوه ولكنه عرف كيف يكشف الخائن الذي يفشي أسراره. ذكر أن ملكاً كانت أسراره تظهر كثيراً إلى عدوه فيبطل تدبيره على العدو فبلغ ذلك عنه فشكا إلى أحد نصحائه، وقال له: إن جماعة يطلعون على أسرار لي لا بدُّ من إظهارها لهم، ولست أدري أيهم يظهرها، وذكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن، فدعا بكتاب فكتب فيه أخباراً من أخبار المملكة وجعلها كذباً كلها دعا برجل رجل كل واحد من دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره، فقال للملك: أخبر كل واحد منهم بخبرٍ على حدة لا تظهر عليه سائر أصحابه وأمر كل واحد بستر ما أسرت إليه، وأكتب على كل خبر اسم صاحبه فلم يلبث أن ظهر الخونة ما أفشى إليهم وانكتمت أخبار الناصحين فعرف من يفشي سره فحذره.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٥٢) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)
(p.52

لم يذكر ابن الجوزي مصدر الرواية لذلك يكون قد انفرد بذكر الرواية والمغزى من الرواية أن كتمان الأسرار قيمة أخلاقية ولها أهمية في درء المفساد، وفي إفشاء الأسرار انتهكت أعراض لاستهانة بعض الناس بأهمية حفظها وعدم اكتراثهم برعايتها وكتمانها.

(الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، ص ٢٦٧)

(Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad, Literature of the World and Religion, p. 267)

وفي رواية أخرى:

استأذن حاجب بن زُرارة (الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٥٣) (Al-Zarkali, al-Alam, Vol. 3, p.153) على كسرى فقال له الحاجب: من أنت؟ قال: أنا رجل من العرب، فأذن له فلما وقف بين يديه قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب، قال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى ولكنني وقفتُ بباب الملك وأنا رجل منهم فلما وصلت إلى الملك سُدُّنُهم، فقال كسرى: زه، أحشوا فاه دُرّاً.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٩٨) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,) (p.98)

ثبّين الرواية إعجاب كسرى بجواب ابن زُرارة، ذكرت الرواية في مصادر أخرى غير ابن الجوزي. (ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٢، ص ٣٥) (Ibn Abd Rabbo, The Unique) (Contract, Vol.2, p. 35)

(الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ٦، ص ١٦٤)

(Ragheb Al-Isfahani, Lectures of Writers, Vol. 6, p 164)

(ابن الجوزي، أخبار الظراف، ص ١١٤) (Ibn al-Jawzi, Akhbar al-Zarf, p.)

114)، تقول الرواية أن حاجب بن زُرارة ذهب إلى كسرى ليستأذنه أن تنزل مضر جنوب العراق: بعد قحط حل: بديارهم، استأذن حاجب للدخول عند باب كسرى فقال كسرى: أسألوه: من سادات العرب، أم من أوسطهم أم من أذنيها؟ فأجاب حاجب: من أوسطها وعندما دخل عليه، أعاد عليه السؤال، فقال حاجب: من ساداتها، فقال له كسرى: ألم تقل أنك من أوسطها فقال حاجب: ذلك قبل أن أدخل عليك، فسّر كسرى بجوابه وقرّبه إليه وأكرمه.

(الراغب الأصفهاني، العقد الفريد، ج ٢، ص ٧٥) (Ragheb Al-Isfahani, Lectures of Writers, Vol. 2, p.75)

(النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٦، ص ٣٣٤)

(Al-Nuwairi, Nihayat Al-Arb fi Fnoun Al-Adab, vol. 16, p. 334)

٢- الرواية التاريخية عن الإسكندر (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٥، ص ١٨٩-١٩٣)

(Al-Nuwairi, Nihayat Al-Arb fi Fnoun Al-Adab, vol. 5, p. 189-193)

تناول ابن الجوزي روايات عن جميع الفئات في المجتمع مثل الخلفاء والأمراء والملوك، وبيّن من خلال هذه الروايات نكاه الحكام في التعامل مع المعوقات التي تواجههم ومنهم الإسكندر:

فقد روي أن الإسكندر رأى في عسكره سميّاً له لا يزال يندهم، فقال له: أما أن تغير أسمك أو فعلك.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٦٨) (Ibn al-Jawzi, News of the

(Intelligent, p.168

ذكرت الرواية عند مؤرخين سبقوا ابن الجوزي ورويت كما رواها ابن الجوزي من دون اختلاف. (ابن عبد ربه، بهجة المجالس وأنس المجلس وشحذ الذاهن والهاجس، ص ١٣٥)

(Ibn Abd Rabbo, The Joy of the Majlis, Anas the Majlis, and the sharpening of the mind and the obsession, P:135)

وخرج يوماً في الحرب من صف أصحابه وأمر منادياً فنادى: يا معشر الفرس قد علمتكم ما كتبنا لكم من الأمانات فمن كان على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاة بما ضمنناه فأتهمت الفرس بعضها بعضاً، وكان أول اضطراب حدث بينهم. (النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، ج ١٥، ص ٢٣٨)

(Al-Nuwairi, Nihayat Al-Arb fi Fnoun Al-Adab, vol. 15, p. 238)

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٦٨) (Ibn al-Jawzi, News of the

(Intelligent, p.168

أما هذه الرواية لم يُشر ابن الجوزي إلى مصدر الرواية، وذكرها النويري وهي لا تختلف في المضمون عما ذكره ابن الجوزي، والمغزى من ما روي عن الملوك والأمراء أراد ابن الجوزي أن يعرف القاري من خلال الروايات التاريخية بالشخصيات التاريخية فهي شخصيات حقيقية وظفها ابن الجوزي في نسيج من العلاقات داخل الرواية، ففي الماضي كان موضوعاً لرواية حقيقية هي قصة الحياة وله الأثر البارز الذي تلعبه في الماضي واشتهرت به.

(القاضي، محمد، الرواية والتاريخ - دراسات في التخيل المرجعي، ص ١٥-٢٠)

(Al-Qadi, Muhammad, Novel and History - Studies in the Reference Imagination, pp. 15-20)

وفي رواية أنه لما صافّ داراً أمر منادياً فنادى في عسكر داراً أيها الخائن، أما نحن قد فعلنا ما اتفقنا عليه، فكونوا من وراء ما ضمنتم فاستشعر داراً أن عسكره قد عزموا على تسليمه إلى الإسكندر وكان ذلك سبب هزيمته. (ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٦٨) (Ibn al-Jawzi,

(News of the Intelligent, p.168

ولما شخص عن فارس إلى الهند تلقاه ملكها في جمع عظيم ومعه التي قيل عليه السلاح والرجال في خراطمها السيوف، والأعمدة فلم تقف لها دواب الإسكندر فهزم وعاد إلى مأمته، فأمر باتخاذ فيلة من نحاس مجوف وربط خيله بين تلك التماثيل فملئت نفطاً وكبريتاً وألبسها الدرع وجرت على العجل إلى المعركة وبين كل تماثيل منها جماعة من أصحابه فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النار في جوف التماثيل فلما حميت انكشفت أصحابه عنها وغشيتها الفيلة فضربتها، بخراطيمها فتشيطت وولت مدبرة راجعة على أصحابها وصارت الدائرة على ملك الهند.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٦٩) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.169)

هذه الرواية ذكرها النويري وهي مشابهة لما ذكرها ابن الجوزي في فحواها ومحتواها. (نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٥، ص ٢٣٨) (The End of the Arabs in the Arts of Literature, Vol. 15, p. 238) والظاهر أن النويري نقلها عن ابن الجوزي. وفي رواية أخرى:

قال: ونزل مرة على مدينة حصينة فتحصن أهلها منه فأخبر أن عندهم من الميرة قدر كفايتهم، فدرس تجاراً متكرين وأمرهم بدخول المدينة، ورحل عنها وأمدهم بمال ومتاع فباعوا ما معهم وابتاعوا الميرة فلما أكثروا كتب: إن أحرقوا ما عندكم من الميرة وأهربوا فزحف إلى المدينة فحاصرها أياماً يسيرة فأخذها، وكان إذا أراد محاصرة بلد شرد من حولها من القرى فهربوا إليها فيسرعون في أكل الميرة فتقل فيحاصروهم فيفتحها. (ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١٦٨) (Ibn

(al-Jawzi, News of the Intelligent, p.168)

ذكرت هذه الرواية عند النويري. (نهاية الأرب، في فنون الادب، ج ١٥، ص ٢٣٩)

(The End of the Arabs in the Arts of Literature, Vol. 15, p. 239)

وهي لا تختلف عما ذكره ابن الجوزي، ولم يُشر إلى مصدر الرواية ولا اسم الراوي الذي أخذ منه الرواية.

تبين هذه الروايات عن مدى تمسك ابن الجوزي بالشخصيات التاريخية وأهميتها في تكوين الرواية التاريخية الخبرية، وتظهر الشخصيات التاريخية مع الأحداث والمواقف التي تقع فيها الأغلب، واختار ابن الجوزي من الشخصيات التاريخية، كسرى وقيصر والإسكندر، إذ يمثلون من العقول المدبرة لطالما أراد كل واحد منهم فرض هيمنة وسلطته على الآخر، مما دفع ابن الجوزي الحديث عنهم على سبيل النصح والإرشاد والاتعاظ ونقل المعلومات التاريخية إلى الأجيال القادمة.

(الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ١٠٣) (Al-Douri, The Rise of History)
(among the Arabs, p. 103)

وثب رجالن على بعض الملوك زمن الإسكندر، فقال الإسكندر: إن من قتل هذا عظيم
الفعال، ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق، ورفعناه على الناس، فلما بلغهما ذلك ظهرا فأقرآ، فقال
الإسكندر: أنا مجازيكما بما تستحقان، فما يستحق من قتل سيده ورافع قدره فغدر به إلا القتل، وأما
رفعكما على الناس فأني سأصلبكما على أطول خشب يمكنني. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك،
ج٢، ص٣١٠)

(Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 2, p. 310)

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٣٣) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,)
(p.133)

ذكر ابن الجوزي الرواية ولم يذكر المصدر الذي أخذ منه الرواية، لكن ذكرها النووي وهي
كما ذكرها ابن الجوزي من دون اختلاف . تبين الرواية حيل الملوك وذكائهم في كشف المحتال
عندما يحتال فينعكس عليه مقصوده.

٣- الرواية التاريخية عن شمر ذو الجناح:

(ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٣٧٩) (Ibn al-Atheer, al-Kamil fi al-
Tarikh, vol.1, p.379)

تشير هذه الرواية إلى ذكاء وفطنة الملك شمر ذو الجناح عندما سار إلى سمرقند (ياقوت
الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٦) (Yaqout al-Hamawi, Dictionary of)
(Countries, Vol. 3, p. 246)

فحاصرها ودخلها من دون قتال، والرواية هي:

وقد روينا أن ملكاً كان يقال له شمر ذو الجناح، سار إلى سمرقند فحاصرها فلم يظفر عنها
بشيء، فطاف حولها بالحرس، فأخذ رجلاً من أهلها فاستمال قلبه وسأله عن المدينة، وقال: أما
ملكها فأحمق الناس، ليس له هم إلا الشراب والأكل والجماع ولكن له بنت هي التي تقضي أمر
الناس، فبعث عنه هدية إليها وقال: أخبرها أنني لم أجد لالتماس المال فإن معي من المال أربعة
آلاف تابوت ذهباً وفضة وأنا دافعها إليها وأمضي إلى الصين، فإن كانت لي الأرض كانت
امراتي، وإن هلكت كان المال لها، فلما بلغها رسالتة قالت: قد أجبته فليبعث بالمال، فأرسل إليها
أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب بالجلجل، فلما

صاروا في المدينة ضرب بالجلجل فأخذوا الأبواب ونهض شمر في الناس فدخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها، ثم سار إلى الصين.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٧٦) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent,) (p.176)

ذُكرت الرواية عند الطبري، والتكملة، وعندما وصل إلى الصين فلقى الترك فهزمهم وانتهى إلى حسان بن تبع بالصين فوجده قد سبقه إليها بثلاث سنين. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٣٢٥).

(Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 2, p. 325)

والمغزى من الرواية أن المال أعمى بصيرة ابنة الملك وطمعها بالمال جعل العدو يدخل إلى مدنهم وبيوتهم وعاثوا فساداً وقتلاً وتخريباً.

٤- الرواية التاريخية عن ملك الروم:

يقال: وَلِيَ المسلمون أحدًا إلا وملك الروم مثله إن حازماً وإن عاجزاً، وكان الذي ملكهم على عهد عمر بن الخطاب هو الذي دَوَّن لهم الدواوين ودَوَّخ لهم العدو، وكان الذي على عهد معاوية يُشبهه معاوية في حزمة وعمله. (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١١٣) (Ibn al-Jawzi,) (News of the Intelligent, p.113)

ذكر الرواية الدينوري أيضاً وهي لا تختلف عما ذكره ابن الجوزي في فحواها ومحتواها. (عيون الأخبار، ج ١، ص ١٩٨) (Oyoun Al-Akhbar, Part 1, p. 198)، والمعروف أن ابن الجوزي لم يذكر مصدر الرواية كما في الروايات السابقة، ولم يُشر إلى الرواة الذين سمع منهم، تبين الرواية حيل الملوك والأمراء ومن احتال فانعكس عليه مقصوده.

٥- الرواية التاريخية عن الهرمزان:

حدثنا محمد بن سعد، قال: كان الهرمزان من أهل فارس، فلما انقض أمر جلولاء، خرج يزيدجر من حلوان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٢١) (Yaqout al-Hamawi,) (Dictionary of Countries, Vol. 2, p. 321) ثم أتى اصطخر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٠) (Yaqout al-Hamawi, Dictionary of Countries,) (Vol.2, p. 210)، ووجهه إلى تستر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠) (Yaqout al-Hamawi, Dictionary of Countries, Vol. 2, p. 30) فضبطها وتحصن في القلعة، وحاصره ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر فبعث أبو موسى بالهرمزان ومعه اثنا عشر

أميراً من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب وأسورة الذهب فقدموا بهم المدينة في زيهم ذلك فجعل الناس، فأتوا بهم فنزل عمر لم يصادفوه فجعلوا يطلبونه فقال الهرمزان بالفارسية، قد ضلّ ملككم قيل لهم: هو في المسجد فدخلوا فوجدوه نائماً متوسداً رداءه قال الهرمزان: هذا ملككم؟ قالوا: هذا الخليفة، قال: أما له حاجب ولا حارس؟ قالوا: الله حارسه حتى يأتي عليه أجله، فقال الهرمزان: هذا الملك الهنيء، فقال عمر: الحمد لله الذي أدلّ هذا وشيعته بالإسلام فاستسقى الهرمزان فقال عمر: لا يجمع عليك القتل والعطش فدعا له فأمسك بيده فقال عمر: أشرب لا بأس عليك أي غير قاتلك حتى تشربه فرمى بالإثاء من يده فأمر عمر بقتله، فقال: أولم تؤمني؟ قال: وكيف؟ قال: قلت لي: لا بأس عليك، فقال الزبير وأنس وأبو سعيد: صدق، فقال عمر: قاتله الله أخذ أماناً ولا أشعر ثم أسلم بعد ذلك الهرمزان.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٠١) (Ibn al-Jawzi, News of the

(Intelligent, p.101

ذكر ابن الجوزي الرواية من دون أن يشير إلى مصدرها وبعد البحث في المصادر تبين أن الرواية دُكرت عند مؤرخين سبقوا ابن الجوزي وهي لا تختلف عما ذكره ابن الجوزي. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ١٧١) (Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 3, p. 171

قيل: قبل أن يستسقي ماء عرض عليه عمر (رضي الله عنه) الإسلام، فرفض قائلاً: إنما اعتقد ما أنا عليه ولا أرغب في الإسلام. (ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ١١٢) (Ibn Abd Rabbo, The Unique Contract, Vol.1, p.112) وبعد أن أعطى الماء وألقاه أسلم، فقال عمر: اسلمت خير الإسلام فما أحرّك؟ قال: كرهت أن تظن بي أسلمت جزعاً من السيف وإيثاراً لدينه بالرهبة، فقال عمر: إن لأهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك، ثم أمر به أن يُبَرِّ وَيُكْرَمَ، فكان عمر يشاوره في توجيه العساكر والجيش لأهل فارس.

(ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ١١٢) (Ibn Abd Rabbo, The Unique

(Contract, Vol.1, p.112

٦- الرواية التاريخية عن شيرويه: (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢١٨-٢٢٩) (Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 2, p. 218-229)

تناولت الرواية نكاح كسرى في أخذ ثأره من قاتله، والرواية هي:

إنَّ شيرويه لما أراد قتل أبيه بعث إليه من يقتله، فلما دخل عليه قال: إنني أدلك على شيء لوجوب حقك يكون فيه غناك، قال: ما هو؟ قال: الصندوق الفلاني، فذهب الرجل إلى شيرويه فأخبره الخبر، فأخرج الصندوق وفيه حُقٌّ فيه حَبٌّ وثَمٌّ، مكتوب: من أخذ منه واحدةً افتَضَّ عشرة أ Bakar، فطمع شيرويه في صحة ذلك، فأخذه و عوض الرجل منه، ثم أخذ منه حبةً فكان هلاكه، وان كسرى أول ميت أخذ بثأره من حي.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكيا، ص ١٧٧) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.177)

الرواية ذكرها الدينوري وهي لا تختلف في المعنى والمغزى عما ذكره ابن الجوزي، والرواية ذكرها الطبري بشكل أكثر تفصيلاً. (الطبري، تاريخ الرسول والملوك، ج٢، ص ١٢٥)

(Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 2, p. 125)

٧- الرواية التاريخية عن جذيمة بن مالك (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٦١٣)

(Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 1, p.613)

من ضمن الروايات التي ذكرها ابن الجوزي في كتاب أخبار الأذكيا رواية عن جذيمة بن مالك ملك الحيرة، هذه الرواية طويلة جداً لكني أحببت أن أذكرها لأنها مشوقة وفيها الحكمة والذكاء.

ومعنى الرواية أن جذيمة كان ملكاً على الحيرة وجرى بينه وبين ملك الشام وأعلى الفرات حرباً فانتهصر عليه جذيمة وقتله وكان لهذا الملك بنت تدعى الزباء استطاعت الزباء بذكائها أن تأخذ بثأر أبيها، والرواية هي: قال هشام بن محمد الكلبي.

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ١٠١) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the)

(Nobles, Vol. 10, p. 101)، عن أبيه، قال: كان جذيمة بن مالك ملكاً على الحيرة وما حولها

من السواد، ملك ستين سنة، وكان به وضح وكان شديد السلطان يخافه القريب ويهابه البعيد، فتهيبت العرب أن يقولوا الأبرص فقالوا: الأبرش فعزا المليح بن البراء. (في تاريخ الطبري، اسمه

عمرو بن ظرب بن حسان العمليقي، ج١، ص ١٢٣)

(In Tarikh al-Tabari, his name is Amr bin Zarb bin Hassan Al-) Amiliqi, vol. 1, p. 123

وكان ملكاً على الحضر. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٦٧) (Yaqaout al-)

(Hamawi, Dictionary of Countries, Vol. 2, p.267) وهو الحاجز بين الروم والفرس

وهو الذي ذكره الشاعر عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت:

وأخو الحُضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلُ تَجْبَى إِلَيْهِ وَالخَابُورُ

(ديوان عدي، ص ٧٧) (Diwan Uday, p. 77) (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٧٠)
(Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent, p.170)

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام فلحقت بالروم، وكانت عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة، قال عنها الكلبي، ولم يكن في نساء عصرها أجمل منها وكان لها شعر إذا مشت سحبتة وراءها فسميت الزباء، وبعث عيسى بن مريم (عليهما السلام) بعد قتل أبيها، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها فأزالت جذيمة الأبرش عنها وابتننت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرق الفرات ومن غربيه وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات، وكانت إذا رامقها الأعداء آوت إليه وتحصنت به، وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء، وكانت بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها. (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٧٠) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent, p.170) (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٢٥) (Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 2, p. 125)، فجمع خاصته فشاورهم في ذلك، وكان له عبد يقال له: قصير بن سعد وكان عاقلاً لبيباً وكان خازنه وصاحب أمره، فسكت القوم وتكلم قصير فقال: أبيت اللعن أيها الملك، أن الزباء امرأة قد حرمت الرجال فهي عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثأر والدم لا ينام وإنما هي تاركتك رهبة وحذار دملة والحقد دفين في سويداء القلب، له كمون ككمون النار في الحجر إن اقتدحته أوري وإن تركته توارى... فقال جذيمة: يا قصير الرأي ما رأيت والحزم فيما قلت، ولكن النفس تواقفة إلى ما تحب وتهوى، فوجه إليها خاطباً وقال: أنت الزباء فاذا ذكر لها ما يُرغَبُ فيها وتصبُو إليه، فجاءتها خطبته فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له أنعم بك عينا وبما جئت به وله، وأظهرت له السرور به والرغبة فيه وأكرمت مقدّمه، ورفعت موضعه وقالت: قد كنت أضريت عن هذا الأمر خوفاً ألا أجد كفواً والملك فوق قدرتي وأنا دون قدره، وقد أجبته إلى ما سألت ورغبت فيما قال ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرت إليه ونزلت عليه وأهدت إليه هدية سنوية ساقت العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل وحملت من الثياب والعين، فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب، وأبهجه ما رأى من اللطف، وظن أن ذلك لحصول رغبة فأعجبه نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه، واستخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي وهو أول ملوك الحيرة من لخم... وسار إلى الزباء فلما صار ببقة نزل وقصيد وأكل وشرب

واستعداد المشورة والرأي من أصحابه فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد قال: ايها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فألى أف ما يكون كونه فلا تثق بزخرف قول... فأقبل جذيمة على الجماعة فقال: ما عندكم أنتم فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه، فقال جذيمة: الرأي للجماعة والصواب ما رأيتم...

تشير الرواية إلى ذكاء النساء وشجاعتهن في إدارة شؤون الدولة وقيادة الحروب والمعارك، والرواية ذكرها الطبري وهي لا تختلف في فحواها ومحتواها عما ذكره ابن الجوزي. (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ١١٦) (Al-Tabari, History of the Messengers and Kings, Vol. 1, p. 116).

٨- الرواية التاريخية عن فخر الدولة:

تشير الرواية إلى دور الملوك والأمراء في مناصرة الناس ومن يلجأ إليهم لحاجة. وقيل رُفعت إلى فخر الدولة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٦٥) (bn Khallikan, The Deaths of Al-Aylan, Vol.2, p.65) وزير السلطان قصة رجل سعى برجلٍ فكتب عليها السعاية قبيحة وإن كانت نصيحة فإن كنت أخرجتها بالنصح فخرانك فيها أكثر من الريح وأنا لا أدخل في محذور ولا أسمع قول مهتوك في مستور ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلتك على جريرتك مقابلة تشبه افعالك وتُردع أمثالك فأستر على نفسك هذا العيب واتق من يعلم الغيب، فإن الله للصالح والطيح بالمرصاد (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٥٢) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent, p.52)

لم يذكر ابن الجوزي مصدر الرواية ولا اسم الراوي الذي نقل منه الرواية، وهي من الروايات الاجتماعية للنصح والإرشاد، أراد ابن الجوزي أن يعلم المتلقي ويحيله إلى عصور وطبقات وشخصيات مختلفة تجذب الانتباه.

٩- الرواية التاريخية عن الأكاسرة:

تبين الرواية على أن بعض الملوك يتمتعون بالطرفة في بعض الأحيان: لقي بعض الأكاسرة في موكبه رجلاً أعوار فحبسه فلما نزل خلاه، وقال: تطير منك، قال: أنت أشأم مني لأنك خرجت من منزلك ولقيتني فما رأيت إلا خيراً، وخرجت من منزلي فلقيتك فحبستني فلم يعد بعدها يتطير. (ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ١٤٦) (Ibn al-Jawzi, News of the Intelligent, p.146)

تتسبب الرواية إلى هشام بن عبد الملك في مصادر أخرى، ولم يذكر ابن الجوزي المصدر الذي أخذ منه الرواية وبعد أن بحثت في المصادر تبين أن الرواية ذُكرت عند مؤرخين سبقوا ابن الجوزي.

(الحصري القيرواني، جمع الجواهر، ج ٢، ص ٢٣١) (Al-Husari Al-Qayrawani,)
(Collected Al-Jawhar, Vol. 2, p. 231

(الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ١، ص ٧٠)

(Ragheb Al-Isfahani, Lectures of Writers, Vol.1, p.70)

المغزى من الرواية أن الإنسان الذي يتمتع بالذكاء والفتنة يستطيع بذكائه أن يغلب الملوك والرؤساء.

١٠- الرواية التاريخية عن جلال الدولة

(ابن العديم الحلبي، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص ٢٢٤)

(Ibn al-Adim al-Halabi, butter of milk in the history of Aleppo, P.224)

تؤكد هذه الرواية على عدالة السلطان البويهبي مع الناس سواء كانوا فقراء أم أغنياء وبذكائه أعاد البضاعة المسروقة لصاحبه ومعاقبة السارق:

روى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي في تاريخه، قال: حدثني بعض التجار قال: كنت في العسكر واتفق أن ركب السلطان جلال الدولة يوماً إلى الصيد على عادته فلقبه سَوَادِيّ بيكي، فقال مالك؟ فقال: لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي وهو بضاعتي، فقال: أمض إلى العسكر فهناك قبة حمراء فأقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يُعنيك، فلما عاد السلطان قال لبعض شرطة قد اشتهيت بطيخاً ففتش العسكر وخيمهم على شيء منه، ففعل واحضر البطيخ فقال: عند من رأيتها فقبل لي خيمة فلان الحاجب، فقال أحضروه، فقال له: من أين هذا البطيخ؟ فقال الغلمان جاءوا به، فقال: أريدهم الساعة فمضى وقد أحسّ بالشر فهرب الغلمان خوفاً من أن يقتلوا، وعاد فقال: قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم فقال: أحضر السَوَادِيّ فأحضر فقال له: هذا بطيخك الذي أخذ منك؟ قال: نعم، قال: فخذ هذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته إليك ووهبته لك حين لم يحضر الذين أخذوا منك البطيخ، والله لئن خليتُه لأضربن رقبتك فأخذ السَوَادِيّ بيد الحاجب فأخرجه فاشتري الحاجب نفسه منه بثلاثمائة دينار فعاد السَوَادِيّ إلى السلطان وقال: يا سلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي ثلاثمائة دينار فقال: قد رضيت بذلك، قال: نعم، قال: أقبضها وأمض مُصاحباً للسلامة.

Ibn al-Jawzi, News of the) (ص ٥٦) أخبار الأذكىاء، ص ٥٦)

(Intelligent, p.56

لاحظنا خلال الرواية ما فعله السلطان من أجل إرضاء بائع البطيخ وهذا يدل على ذكاء وحكمة السلطان في إفشاء السلام ومعاينة الجاني، لاحظنا أن ابن الجوزي لم يذكره مصدر الرواية وانفرد بذكرها.

تبين الرواية حكمة السلطان في إيجاد الحلول للمشاكل التي تواجه الناس من دون إراقة الدماء.

قال الصابي: وحكى لي من كان حاضراً بأصفهان قال: جاء تركماني قد لزم يد تركماني فلما دخل إليه قال: هذا وجدته قد ابنتي بابنتي وأريد أن أقتله بعد إعلامك به، قال: لا، بل تزوجها به، ونعطي المهر من خزاننا فقال: لا أقنع إلا بقتله؟ قال: هاتوا السيف فجيء به فسله، وقال للأب: تعال: فلما قرب منه أعطاه السيف وأمسك بيد الجفن ولم يمكنه من إدخال السيف فقال: يا سلطان ما تدعي فقال: كذلك ابنتك لو لم تُرد ما فعل بها هذا فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فاقتلها جميعاً ثم أحضر من زوجه بها وأعطاه المهر من خزانته.

Ibn al-Jawzi, News of the) (ص ٥٧) أخبار الأذكىاء، ص ٥٧)

(Intelligent, p.57

ذكر ابن الجوزي الرواية ولم يذكر المصدر لذلك يكون ابن الجوزي انفرد بذكر الرواية، وهي من الروايات الاجتماعية التي تمثل بإبلاغ المروي له بأهمية العفة في المجتمع من خلال الإتيان بنماذج حية من الحياة الواقعية، هذه الرواية معبرة تحمل مفاهيم ومعاني عظيمة تحتاج وتفنن إليها الأمم.

(درج، فيصل، الرواية وتأويل التاريخ، ص ٢٧٦)

(Daraj, Faisal, the novel and the interpretation of history, P:276).

١١- الرواية التاريخية عن المعتضد بالله: (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٧١)

(Al-Suyuti, History of the Caliphs, p. 371)

تتناول الرواية إحدى المشاكل التي تواجه الناس منها الغدر والطمع ومحاولة المعتضد بالله كشف الغلام الأسود عندما غدر بالرجل وسرق ماله:
أنبأنا أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي.

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٢٣) (Al-Dhahabi, Sir Flags of the

Nobles, Vol. 20, p. 23)

عن أبي القاسم علي بن الحسن عن أبيه، قال: بلغني أن المعتضد بالله كان يوماً جالساً في بيت يبني له يشاهد الصناع فرأى في جملتهم غلاماً أسود مُنكر الخلق شديداً المرح يصعد على السلالم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضعف ما يحملونه فأنكر أمره فأحضره، وسأله عن سبب ذلك فلجلج فقال لابن حمدون وكان حاضراً: أي شيء يقع لك في أمره؟ فقال: ومن هذا الذي صرفت فكرك إليه؟ لعله لا عيال فهو خال القلب، قال: ويحك قد خمنت تخميناً ما أحسبه باطلاً، أما أن يكون معه دنائير قد ظفر بها دفعةً من غير وجهها أو يكون لصاً يتستر بالعمل في الطين فلاماه ابن حمدون في ذلك، فقال: عليّ بالأسود، وقال: مقارع فاضربه نحو مائة مقرعة وقرره، وخلف إن لم يصدقه ضرب عنقه وأحضر السيف فقال الأسود: لي الأمان؟ فقال: لك الأمان إلا ما يجب عليك فيه من حدّ، فلم يفهم ما قال له وظن أنه قد أمنه، فقال: أنا كنت أعمل في أتاتين الآجر سنين وكنت منذ شهر جالساً فاجتاز بي رجل في وسطه هميان فتبعته فجاء إليّ بعض الأتاتين فجلس وهو لا يعلم مكاني فحلّ هميان وأخرج منه ديناراً فتأملته فإذا كله دنائير فناورته وكتفته وسددت فاه وأخذت هميان وحملته على كتفي وطرحته في نقرة وطينته، فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه فطرحتها في دجلة والدنائير معي يقوي قلبي، فأمر المعتضد من احضر الدنائير من منزله وإذا على هميان مكتوب لفلان بن فلان فنودي في البلدة باسمه فجاءت امرأة فقالت: هذا زوجي وليّ منه هذا الطفل.

خرج في وقت كذا ومعهم هميان فيه ألف دينار فغاب إلى الآن فسلمّ الدنائير إليها وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن تحمل جثته إلى الأتون.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكىاء، ص ٤٦) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.46)

ذكر هذه الرواية النووي. (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٣، ص ٣٤٥) (AI- Nuwairi, Nihayat Al-Arb fi Fnoun Al-Adab, vol. 3, p. 345) أيضاً وهي لا تختلف عما ذكره ابن الجوزي، وهي من الروايات الاجتماعية التي تقدم التنصح والإرشاد عن طريق الأحداث الواقعية للرواية والابتعاد عن الطمع، وبيّنت الرواية عاقبة السارق، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (سورة طه، الآية: ١٣١)

١٢- الرواية التاريخية عن عضد الدولة وملك الروم:

تشير الرواية إلى ذكاء القاضي أبا بكر الباقلاني ودهائه وشدة ورعه وزهده في الدنيا:

حدثنا الحسين بن عثمان وغيره، أن عضد الدولة بعث القاضي أبو بكر الباقلائي. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٨١) (bn Khallikan, The Deaths of Al-Aylan, Vol. 1, p.481) في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم، ففكر الملك في أمره وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبل الأرض بين يدي الملك، فنتجت له الفكرة أن يضع سريراً الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه إلا راکعاً، ليدخل القاضي منه على تلك الحال من تكفيره بين يديه فلما وصل القاضي إلى المكان فطنَ بالقصة فأدار ظهره وحتى رأسه من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدُّره حتى صار بين يديه ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذٍ إلى الملك فعلم الملك من فطنته وهابه.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ١١٨) (Ibn al-Jawzi, News of the)

(Intelligent, p.118)

كان عضد الدولة يكثر من بعث القاضي الباقلائي لمناظرة النصارى في عهده وذلك لما عُرف عنه باشتغاله بالدفاع عن الدين والعقيدة الإسلامية ضد كل الذين يحاولون النيل والتشكيك والطعن فيه. ذكر الرواية ابن الأثير وهي مشابهة لما ذكره ابن الجوزي في معناها ومحتواها. (الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٦٠)

١٣- الرواية التاريخية عن ملك الروم:

حدثنا إبراهيم، قال: لما أسنَّ معاوية اعتراه أرقٌ وكان إذا هو نائم أيقظته النواقيس فلما أصبح ذات يوم ودخل الناس عليه، قال: يا معشر العرب هل فيكم من يفعل ما أمره به وأعطيه ثلاث دياتٍ أعجلها له وديتين إذا رجع، فقام فتى من غسان فقال: أنا يا أمير المؤمنين، قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم فإذا صرت على بساطه أذنت، قال: ثم ماذا؟ قال: فقط، قال: لقد كلفت صغيراً وأعطيت كثيراً فلما خرج وصار على بساط قيصر أذن، فمارت الطارقة واخترطوا سيوفهم فسيق إليه ملك الروم بحثاً عليه وجعل يسألهم بحق عيسى ويحقه عليهم حتى كفوا ثم ذهب إلى سريره حتى صعد به ثم جعله بين رجليه، فقال: يا معشر البطارقة أن معاوية قد أسنَّ ومن أسنَّ أرق وقد أدته النواقيس فأراد أن يُقتل هذا على الأذان فيقتل من ببلاده على ضرب النواقيس، وبالله ليرجعنَّ إليه على خلاف ما ظنَّ فكساه وحمله، فلما رجع إلى معاوية، قال له: أو قد جئتني سالماً، قال: أمّا من قبلك فلا.

(ابن الجوزي، أخبار الأذكيا، ص ١١٣) (Ibn al-Jawzi, News of the

(Intelligent, p.113

تبين هذه الرواية دهاء معاوية، وهو عندما كبر معاوية بن أبي سفيان في العمر ولازمه الأرق جراء ضرب النواقيس وأجراس الكنيسة وضاق ذرعاً وأراد أن يجد لها حلاً من دون أن يمنع النصارى من تأدية مناسكهم في بلاده، فخطرت له حيلة تمكّنه من منع عادة قرع الأجراس، فجمع معاوية رجاله وأعوانه وعرض عليهم مهمة أن يذهب رجل إلى ملك الروم وأن يؤذن أمام الملك بعد أن يعطيه رسالة من معاوية، وكان معاوية يعلم أن ملك الروم وقساوسته لم يسمحوا بالآذان في بلادهم، فيكون بذلك له العذر بمنع النواقيس أن تُضرب في بلاده، ويعد أن ارتحل الرجل إلى بلاد الروم وما أذن الرجل أمام الملك حتى صُعِقَ البطارقة والرهبان من حوله وهمّوا أن يقتلوه على الفور لأنه أذن، فأوقفهم الملك ومنعهم من قتله وفضن لحيلة معاوية وقال: يا معشر البطارقة إن معاوية قد كبر في السن وقد آذته النواقيس فأراد أن تقتل هذا على الآذان، فيقتل من يضرب النواقيس في برده، فرجع الرجل محملاً بالهدايا فعرف معاوية أن الملك كشف حيلته وليس له أن يمنع نصارى البلاد من ضرب النواقيس.

انفرد ابن الجوزي بذكر الرواية وتبين أن النويري نقلها من ابن الجوزي وهي لا تختلف عمّا

ذكره ابن الجوزي. (النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٠، ص ٢٢٥)

(Al-Nuwairi, Nihayat Al-Arb fi Fnoun Al-Adab, vol. 20, p. 2225)

المصادر باللغة العربية:

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
- _____، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، أخبار الأذكىاء، تحقيق: محمد مرسي الخولي، (القاهرة، مطابع الاهرام التجارية، ١٩٧٠م).
- _____، أخبار الظراف والتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الحلبي، (بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- ابن العديم الحلبي، زبدة الحلب في تاريخ حلب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، وزارة الثقافة والآثار القومي).
- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٨٦١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر).
- ابن سعد، محمد بن سعد منيع الزهري، (ت ٢٣٠هـ/٩٤٢م)، الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- ابن عبد ربه، احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، (بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بلا تاريخ)، ج ٢.
- الحصري القيرواني، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار الجيل للطباعة والنشر، د تخ).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ).
- دراج، فيصل، الرواية وتأويل التاريخ، (بيروت، المركز الثقافي، ٢٠٠٤م).

الرواية التاريخية عن الأمراء والملوك في كتاب أخبار الأذكىاء لابن الجوزي

- الذهبي، شمس الدين حمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف- محي هلال السرحان، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن علي (ت ٥٠٢هـ/١١٠٩م)، محاضرات الأدباء، ومحاورات الشعراء البلغاء، تحقيق: إبراهيم زيدان، (مصر، مطبعة الهلال، ١٩٠٢م).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن علي (ت ٥٠٢هـ/١١٠٩م)، العقد الفريد.
- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد عساف، (بيروت، دار المنهاج، ٢٠١٣م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر، دار المعارف، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- العسقلاني، أبو الفضيل شهاب الدين احمد بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود-علي محمد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- _____، لسان الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو رغبة، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ).
- العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ٣٨٢هـ/٩٩٢م)، المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م).
- عيون الأخبار، تحقيق: منذر محمد سعيد، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- القاضي، محمد، الرواية والتاريخ - دراسات في التخيل المرجعي، (تونس، دار المعرفة للنشر، ٢٠٠٨م).
- القفطي، جمال الدين أبي الحسن (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: محمد كريم راجح، (بيروت، دار أقرأ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.ح).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله اللحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م)، ج ١.

• _____، معجم البلدان، د.تح، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

المصادر باللغة الإنكليزية:

- The Holy Quran
- Al-Askari, Al-Hassan bin Abdullah (d. 382 AH / 992 AD), the preserved in literature, investigation: Abdul Salam Muhammad Harun, (Kuwait, Kuwait Government Press, 1984 AD).
- Al-Asqalani, Abu Al-Fadil Shihab Al-Din Ahmed bin Muhammad (died 852 AH / 1448 AD), the injury in distinguishing the Companions, investigation: Adel Ahmed Abdel-Mawgod - Ali Muhammad Moawad, (Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH / 1995 AD).
- Al-Asqalani, Lisan Al-Mizan, taken care of by: Abdel-Fattah Abu Raghda, (Beirut, Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, 1423 AH).
- Al-Baladhari, Abu Al-Abbas Ahmed bin Yahya (died 279 AH/892 AD), Fotouh Al-Buldan, investigation: Abdullah Anis Al-Tabbaa, (Beirut, Al-Maaref Foundation for Printing and Publishing, undated), part 2.
- Al-Hosari Al-Qayrawani, Collecting the Jewels in the Salt and the Anecdotes, investigated by: Ali Muhammad Al-Bajawi, (Beirut, Dar Al-Jeel for Printing and Publishing, Dr. Takh).
- Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmed bin Ali (d. 463 AH/1070 AD), The History of Baghdad, (Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1422 AH).
- Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad (died 450 AH/1058AD), the literature of the world and religion, investigation: Muhammad Karim Rajeh, (Beirut, Dar Iqra, 1405 AH/1985AD).
- Al-Nuwairi, Shihab Al-Din Ahmed bin Abdul-Wahhab (d. 733 AH / 1332 AD). The End of Al-Arb in the Arts of Literature, investigated by: Mufid Kamiha, (Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Dr. Tah).
- Al-Qadi, Muhammad, Novel and History - Studies in Reference Imagination, (Tunisia, Dar Al-Maarifa for Publishing, 2008).
- Al-Qafti, Jamal Al-Din Abi Al-Hassan (d. 624 AH / 1226 AD), the narrators' attention to the attention of the grammarians, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (Beirut, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1406 AH).
- Al-Ragheb Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Ali (d. 502 AH/1109 AD), the unique contract.
- Al-Ragheb Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Ali (d. 502 AH / 1109 AD), the lectures of the writers, and the dialogues of the rhetoric poets, achieved by: Ibrahim Zaidan, (Egypt, Al-Hilal Press, 1902AD).
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din bin Abdul Rahman bin Abi Bakr (d. 911 AH / 1505 AD), The History of the Caliphs, investigation: Muhammad Assaf, (Beirut, Dar Al-Minhaj, 2013 AD).
- Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir (d. 310 AH / 922 AD). History of the Messengers and Kings, achieved by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (Egypt, Dar Al-Maaref, 1387 AH / 1967 AD).

- Darrag, Faisal, The Novel and Interpretation of History, (Beirut, The Cultural Center, 2004).
- Ibn Abd Rabbo, Ahmed bin Muhammad Al-Andalusi (d. 328 AH / 940 AD), the unique contract, investigation: Mufeed Muhammad Qameiha, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1404 AH / 1983AD).
- Ibn Abd Rabbo, Bahjat Al Majalis, Anas Al Majlis, Sharpening the Mind and Al Hajes.
- Ibn al-Adim al-Halabi, Butter of Milk in the History of Aleppo, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1417 AH / 1996 AD).
- Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Abd al-Karim (d. 630 AH / 1232 AD), The Lion of the Forest in the Knowledge of the Companions, (Beirut, Dar Ibn Hazm, 1433 AH / 2012 AD).
- Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Abd al-Karim (d. 630 AH / 1232 AD), al-Kamel in History, investigation: Muhammad Youssef al-Daqqaq, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1424 AH / 2003 AD).
- Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad (d. 597 AH/1200 AD), the news of the intelligent, investigated by: Muhammad Morsi al-Khouli, (Cairo, Al-Ahram Commercial Printing Press, 1970 AD).
- Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman Ibn Ali Ibn Muhammad (d. 597 AH/1200 AD), Akhbar al-Zarf wa al-Mutamazinin, investigation: Bassam Abdul-Wahhab al-Halabi, (Beirut, Ibn Hazm House for Printing and Publishing, 1418 AH/1997AD).
- Ibn Khalkan, Shams al-Din Ahmed bin Muhammad bin Abi Bakr (d. 861 AH / 1282 AD), the deaths of notables and the news of the sons of time, investigation: Ihsan Abbas, (Beirut, Dar Sader).
- Ibn Saad, Muhammad bin Saad Manea Al-Zuhri, (d. 230 AH / 942 AD), al-Tabaqat al-Kabeer, investigation: Ali Muhammad Omar, (Cairo, Al-Khanji Library, 1421 AH / 2001 AD).
- Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Abu al-Mahasin (d. 874 AH / 1469 AD), the shining stars in the kings of Egypt and Cairo, (Cairo, Ministry of Culture and National Antiquities).
- Yaqout al-Hamawi, Dictionary of Writers, (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1971 AD), vol. 1.
- Yaqout al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah al-Lahmawi (d. 626 AH / 1228 AD), Lexicon of Countries, Dr. Tah, (Beirut, Dar Sader, 1397 AH / 1977 AD).
- Oyoun Al-Akhbar, investigation: Munther Muhammad Saeed, (Beirut, Islamic Bureau, 1429 AH / 2008 AD).
- * Al-Dhahabi, Shams Al-Din Hamad bin Ahmed (died 748 AH / 1348 AD). Biography of the Flags of the Nobles, investigated by: Bashar Awad Maarouf - Mohy Hilal Al-Sarhan, (Beirut, Al-Resala Foundation, 1996).

**الثلج استخداماته وطرق خزنه في بلاد الرافدين
في ضوء النصوص المسمارية**

م.د. هيفاء أحمد عبد

جامعة الموصل / كلية الآثار / قسم الآثار

التلج استخداماته وطرق خزنه في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية

م.د. هيفاء أحمد عبد

الملخص

كانت ولا زالت مادة الثلج واستخداماته ضروريا في الحياة اليومية ، اذ تعكس مضامين النصوص المسمارية ذات العلاقة ان العراقيين القدماء كان لديهم اهتمام واضح بجلب قطع الثلج واساليب تجهيزه وحفظه في اماكن مخصصة للحيلولة دون ذوبانه بتأثير أشعة الشمس في الاجواء الحارة ، فقد اشير في العديد من مراسلات الملوك وحكام المقاطعات من العصر البابلي القديم الى جلب كميات الثلج من الاماكن الجبلية الشمالية اثناء فصل الشتاء وكانت تحمل وتنقل على الدواب لمسافات طويلة قد تستغرق من (١٠ بيرو - ٢٠ بيرو) (والبيرو تبلغ حسب تقديراتنا الزمنية الحالية بنحو ساعتان) .

ويبدو انه كان للثلج استخدامات متعددة عند العراقيين القدماء فضلا عن استخداماته لتبريد مياه المشروبات الرائجة آنذاك ، كان يستخدم في المعالجات الطبية لتخفيف الالام وتخديرها عن طريق البرودة التي يحتويها الثلج ، كما يفهم من مضامين النصوص المسمارية ذات العلاقة توجيهات الملوك في العراق القديم حول عدم الاسراف في استخدامات قطع الثلج المحفوظ باستمرار وكل ما يتعلق بالحفاظ عليه وحسب حاجة الناس لأهميتها في حياتهم آنذاك.

**The Ice Uses and Storage Methods in Mesopotamia in the Light
Cuneiform Texts**

Abstract

The material snow and its uses were and still is necessary in daily life, as the contents of the relevant cuneiform texts reflect that the ancient Iraqis had a clear interest in bringing pieces of snow and methods of preparing it and preserving it in places designated to prevent it from melting by the influence of the sun's rays in hot climates. And the governors of the provinces from the ancient Babylonian era to bring quantities of snow from the northern mountainous places during the winter season, and they were carried and transported on animals over long distances that may take from (10 beru - 20 beru) (and beru is, according to our current time estimates, about two hours).

It seems that ice had multiple uses among the ancient Iraqis, in addition to its uses to cool the water of popular drinks at the time, it was used in medical treatments to relieve pain and anesthetize it through the cold contained in the ice, as it is understood from the contents of the relevant cuneiform texts, the instructions of the kings in ancient Iraq about not being extravagant in The uses of continuous ice chunks and everything related to preserving it, according to people's need for its importance in their lives at the time.

التلج لغةً واصطلاحاً:

تلج بالناء واللام مفتوحين وبالجم جمع تلوج، وقيل في اللغة تلجت نفسي كنصر وفرح تلوجاً^(١).

"وتلجت نفسي بالشيء تلجاً وتلجت تلج وتلج تلوجاً. لعيني أشفيت به واطمأننت اليه وقال ابن السكيت تلجت بما أخبرتني وقيل حتى أتاه الثلج واليقين، أي الخبر الذي لاشك فيه ويرجح النفس ومنه حديث ابن يزن تلج صدرك ويقال تلج قلبه اذا بلد وتلج به أي سر به وسكن، وتلج صدري خبر وارد أي شفاني وسكنني فتلجت اليه وقيل نصل ثلاجي اذا اشتد بياضه"^(٢).

الثلج الذي يسقط من السماء، معروف وفي حديث الدعاء "واغسل خطاياي بماء الثلج والبرد"^(٣)، وشخصهما بالذكر تأكيداً على طهارته وقد جاء في صيغة مبالغة فيها لانهما ماءان مفطوران على خلقتهما، لم يستعملا ولم تتالهما الايدي ولم تخضهما الارجل كسائر المياه التي خالطت التراب^(٤).

"ولما كانت الذنوب تؤثر في القلب دنساً كان الغسل مهماً لأن الذنوب تسبب اتساخاً وحرارةً فتحتاج إلى تنظيف وتبريد، لذلك جاء سؤال الله وقاية من تلك الادران بالغسل بالماء والثلج والبرد، كانه عبر عن الخطايا بمنزلة نار جهنم وعبر عن اطفاء حرارتها بالغسل بهذا التثليث"^(٥).

ويقال ارض مثوجة اصابها تلج وقد اتلج يومنا وتلجتنا السماء تلج بالضم، كما تقول مطرتنا وتلج الماء جعله بارداً في الثلج وماء مثلج بارداً كالثلج^(٦).

كما جاءت مفردات اخرى دلت على الثلج كالجليد والضرب المثل ضرباً واحداً وصيغاً صياغة واحدة والضرب الصقيع كأن السماء ضربت به الأرض^(٧).

والسقيط وهو ندى يسقط من السماء فيجمد على الأرض، تقول منه جلدت الارض من الجليد^(٨)، اما العضرس البرد وقد قيل عند العرب "أبرد من عضريس" والصقيع الجامد^(٩).

فضلا عن اسماء اخرى اشارت للتلج في اللغة العربية منها، الضحك، الهلهل، الغراب، الجمد، الدمق، الدميك، الخشيف، الخشف، الظلم، البرد^(١٠).

التلج في النصوص المسمارية

عرف مصطلح التلج في اللغة السومرية بصيغة و še-egŠEG أو ZA.M UŠ.DI ويقابله في اللغة الاكدية الصيغة šuripi ليعني "التلج" او الضريب وقد ظل مصطلح šuripi يستخدم لحد وقتنا الحاضر من قبل المزارعين فعندما نجد بساتين الخضرة قد اصبحت قطعة من الصقيع او الجماد يسمونها ضريبة اشارة الى تلف المحصول بسبب هذا التلج ، كما جاء مصطلح ثاني يشير الى الحالوب^(١١)، اذ تقرأ بالصيغة السومرية HALAB ويرادفها في اللغة الاكدية ḫalapu، وهي تقارب المعنى العربي لفظاً ومعنى، وقد يعبر عنه أحياناً بالمصطلح aban šame فيعني حرفياً "حجر السماء" اي البرد^(١٢) لتشير إلى كلمة "حالوب"، كما عرف الصقيع بالمصطلح šalgu^(١٣) بينما اطلق bit šuripi اي بيت التلج دلالة على أماكن جمع أو خزن التلج وربما كناية عن المناطق الجبلية المتواجد فيها التلج^(١٤).

كما وردت الاشارة الى مصطلح kušsu kūšu ليعني الصقيع الباردة ، الجماد ، مناخ بارد ... الخ، وورد ذكر المصطلح bit kušši للدلالة على بيت البرد، الشتاء^(١٥).

استخدامات التلج

استخدم التلج في بلاد الرافدين منذ العصور السومرية المبكرة اذ اشارت إلى ذلك اسطورة الالهة انا^(١٦) عندما حاولت نقل المراسيم المقدسة لتنظيم شؤون الحياة من اريدو^(١٧) مدينة الاله انكي^(١٨) إلى مدينة اوروك (الوركاء)^(١٩)، اذ نلاحظ كيف يخاطب انكي رسوله قائلاً:

"..... (انانا) وحدها توجهت بخطاها نحو الابسو

ادخل العذراء إلى (الابسو) اريدو

اعطها لتأكل كعك الشعير مع الزبد

قدم لها ماءً مبرداً لينتعش قلبها"^(٢٠).

كما كشفت النصوص معرفة العراقيين القدماء لاستخدامات التلج واهميته من خلال حديثهم عن الالهة^(٢١) وكيف كانت تشرب المياه وهي مبردة دلالة على تفضيلهم، او انتعاشهم للماء البارد^(٢٢)، كما اكدت ذلك نصوص الحاكم كوديا في سلالة لكش الثانية مشيراً إلى تقديم الماء البارد إلى الالهة كما في النص كالاتي:

"..... ba-gāra é id-dè lá-a-e im-ti-a-ta
ninda giš bi-tag a-šèd í-dé
lugal-ba-gāra-ra mu-na-gen
šùd mu-na-ra...".

"..... عندما اقترب من بكارا، المنزل (القمر) المعلق فوق النهر، قدم خبزاً وسكب ماءً بارداً،
وذهب إلى سيد بكارا ثم توسل إليه.....".

اذ يفهم من النص ان الثلج او المياه المبردة كانت تنعش المشروبات المزيكية واللذيذة التي
اعتقد العراقيون القدماء ان الالهة كانت تحب شربها لذا اعتاد الملوك على تقديمها مع بقية
القرايين بغية ارضائها وطلب الحاجات منها ثم جاء نص ثان عن تقديم الماء البارد للالهة
نانشة كما في النص الاتي :

"..... ninda giš bí-tag a-šèd i-dé
^dnanše mu-na-gen šùd mu-na-ra.....".

".... قدم خبزاً، سكب ماءً بارداً، وذهب إلى نانشي وتوسل إليها"^(٢٣).

واستمر استخدام الثلج كمادة مهمة في الحياة اليومية خلال العصر البابلي القديم اذ اهتم
الملوك بتوفيرها في بلاد بابل، وتزويدها بالثلج في حرارة الصيف الشديدة فقد اهتموا بتبريد الماء
وتوفير قطع الثلج من مناطق بعيدة اذ كان يجلب الثلج من المناطق الجبلية والمناطق الشمالية
الباردة في موسم سقوط الثلج ليتم خزنه وجمعه ونقله إلى بابل اذ وردت الإشارة إلى مدينة زيرانيم
التابعة لمدينة كركميش^(٢٤) (جرابلس حالياً) كمصدر للثلج فقد ارسل حاكم مدينة كركميش إلى ملك
مدينة ماري^(٢٥) يشير إلى وجود كميات ثلج وفيرة فيها كما في النص الآتي:

"... a-nu-um-ma šu-ri-pi-im
i-na zi-ra-nim^{ki} i-ba-aš-ši
TUR^{MEŠ}-ka ma-as-sa-ar-ti-šu
šu-ku-un-ma...".

"الآن يوجد ثلج في مدينة زيرانيم ثبت خدامك لحمايته....."^(٢٦).

ويبدو ان نسب التلج المتساقط في مدينة كركميش كانت وفيرة بحيث كتب زمري - ليم ملك ماري حول تكليف مجموعة من الرجال لنقل تلك الحمولات نحو مملكة ماري وعلى ما يبدو ان ملك ماري كان يبحث عن الرفاهية من خلال رسائله الى حكام المدن الشمالية بدليل الرسالة التي وجهها حاكم كركميش ولم يكتف ملك بابل بذلك بل تفاخر بالقابه بانه باني بيت التلج والذي لم يبنيه ملك سابق قط وهذا ما أكده في النص الآتي:

"^Mzi-i[m-ri-li-im] DUMU ia-aḥ-d[u-
un-li-im] LUGAL ma-ri^{ki} tu-ut-tu-
uL^{ki} ù ma-a-at [ḥa-na^{ki}] e-pi-iš
É šu [-ri-pi-im] ša iš-tu pa-na
L[UGAL] i-na a-aḥ^r I^r [BURANUN.KI]
ma-am-an L[a i-pu-šu]....".

زمري - ليم ابن يحدون - ليم ملك ماري، توتول وبلاد خانا باني (مؤسس) بيت التلج الذي سابقاً لم يعمله أي ملك على ضفة الفرات...^(٢٧).

خزن التلج وحفظه

لأهمية التلج فقد كان يتم جمعه في اماكن تواجدته ويتم خزنه في مخازن خاصة سميت بيت التلج وهو المكان الذي يخزن فيه التلج في مدينة ساكراتم وترقا^(٢٨) التابعة لنفوذ الملك زمري - ليم وقد بلغت مساحة بيت التلج ما بين (٦-١٢)م^٢ عن طريق حفر بركة ماء تتراوح ابعادها ما بين ١٠م عرضاً و ٢٠م طولاً وكان يتم وضع مظلة عليها لوقايتها من اشعة شمس الشتاء، فضلاً عن اقامة الجدران التي تحجب أشعة الشمس عنها من الجانبين، وفي ليالي الشتاء القارصة تكتسب قطع التلج صلابة أكثر، وعن طريق درجة البرودة المكتسبة من الارض، والانخفاض الشديد في درجات الحرارة ليلاً، يتجمد الماء، وفي اليوم الثاني يتم تقطيع التلج، ويوضع في صناديق خشبية، ويتم نقلها ليلاً إلى ماري، اما عن طريق النقل المائي بالزوارق او ربما كانت تنقل عن طريق العربات ويستعمل في فصل الصيف اذ غالباً ما تكون درجة الحرارة في ماري ٣٨ درجة مئوية وفي مثل هذا الطقس يكون الشراب البارد من دواعي البهجة والسرور^(٢٩).

وربما كانت هناك اواني او صناديق توضع ليجمع فيها الثلج المتساقط ومن ثم يتم نقلها الى المناطق المهيأة لخزنها، وقد جاء في رسالة اخرى الى كميات الثلج المتوفرة في المخازن كما يشير إليه النص المرسل من كبري - دكان حاكم ترقا إلى سيده الملك زمري يخبره قائلاً الآتي:

[aš-šum] šu-ri-pi-im ma-di-im

[na-k]a-mi-im be-li iš-pu-ra-am

.....

.....

[qa]-tam aš-ku-[un]

ú (awil)be-el pa-ḥa-l[im]

[š]a a-wa-tam am-ru

[ú] šu-ri-pa-am ša-a-li

[a-n]a bit na-ak-ka-am-tim

[i]-ša-ap-pa-ku

ar-ḥi-iš li-ik-šu-dam-ma

šu-ri-pa-am ša-a-ti

[i-na bit na-ak-ka-am-tim li-iš-pu-uk]

"بخصوص الثلج الوفير المقدس، سيدي بعث لي، الحماية وصاحب المسؤولية العائد لهذا الأمر رأيت، وذلك الثلج إلى الكدس (مخزن الثلج) يكدس، لم يتوفر، صاحب المسؤولية الذي بموجب قوله الثلج (سد) يكدس في الكدس (مخزن الكدس)، بسرعة ليصلي، ذلك الثلج [في الكدس (مخزن الثلج) ليكدس]"^(٣٠).

يشير النص اهتمام الملك شخصياً بخزن الثلج في مخازن عن طريق ارسال اشخاص يهتموا بذلك وعلى ما يبدو ان الملك كان يأمر حكامه بارسال النجارين والحمالين إلى مدن ساكراتم وترقا عندما تكون هناك موجات برد شديدة لاعداد الترتيبات الخاصة لجمع الثلج كما في النص الآتي:

"إلى سيدي: خادمك هابدو - مالك (يقول) [] لم يذكر [سطين] تجمد اكله... التلج [سطين] على سيدي ان يكتب إلى كبري - دكان اوامر صارمه، وعلى سيدي ان يرسل ساقى خمر، وعلى الاخيريين جمع التلج في ترقا".

وتظهر الرسالة سقوط التلج في مدينة ترقا ويبدو انها كانت مصدر رئيس لجلب التلج الى العاصمة ماري^(٣١).

وفي نص رسالة اخرى ذكر فيها إلى جلب التلج من مسافة بعيدة:

"aššum šu-ri-pi-im puḥḥurim
damiq imūma ša LÚ.MEŠ ša bilātim
šu-ri-pa-am iš-tu 10 biri ištu
20 bēri izabbilūnim mārēšāqi
u ušmî mu d[i] ba....wúerma
šu-ri-pa-a[m] lipaḥḥira".

"بخصوص التلج المجمع ، انه ملائم بحيث ان رجال الملك الذين جلبوا التلج من مسافة ١٠ او ٢٠ ساعة مضاعفة مُر الوكلاء mārēšāqi و ušmî لجمع التلج"^(٣٢).

لم يكتفوا الى هذا الحد بل اشتهرت مملكة ماري بتجارة التلج وتصديره اذ كشفت ذلك بعض الرسائل الى وصول التجار العيلاميين لبلاد ماري وتجهيزهم ببعض ما يحتاجونه ومنها مادة التلج كما في النص الآتي:

"وفقاً لما كتبه لي سيدي: جهزت العيلاميين جرة من المشروب واثنين مانا سمن الاغنام السمان وكمية من التلج جلبناه لأجل سيدي"^(٣٣).

يشير النص عن مراسيم الضيافة التي اعتاد سكان الجزيرة تقديمها لضيوفهم إذ كان الشراب البارد المتلج من بين تلك التقديمات فضلا عن ذلك ولأهمية التلج وندرته كان يتم الاستيلاء عليه اثناء غزو الجيوش على المدن التي تمتلك كميات منه كما يؤكد ذلك النص الاتي:

aš-[š]um šu-ri-pi-[i]m a-ša-ar ša-n [i-m]a [n] u-uk-ku-ri-im
بخصوص التلج المستولى عليه من العدو^(٣٤).

ونلاحظ في بعض الاحيان تكون هناك توصيات من السلطة الحاكمة بعدم الاسراف في استعمال الثلج وانه يجب استعماله بانتظام ووضعه تحت الرقابة لكي لا ينفذ، مما يدعونا للقول ان ذوبان قسم من الثلج فضلا عن اساليب التبذير في ادارة استخدامه مما جعل الملوك يقومون باصدار الاوامر بعدم استنزاف جميع الاحتياطي أو المخزون من الثلج الذي جمع، ومن ثم نقله إلى ماري وبترتب الحفاظ وبصورة خاصة على ما ينبغي ان يحتاجه الناس، وهذا ما جاء على لسان الملك شمسي- ادد في رسالته الى ابنه يسمخ- ادد على النحو الاتي:

.....

šū-ri-pu-um lu-ú na-ši-ir

I lú eb-b[a] -ka ták-lam

a-na na-š[a-a]r šū-ri-pi-im

ša-a-r [i šū-ku]-un-ma

šū-r[i-pa-am a-na ša-at]-[te-ka¹].

"لتحمي الثلج، أحد الرجال الثقة تعتمد، لحماية الثلج ثبته لهذا (الأمر) الثلج لشريك (لا تسرف)..."^(٣٥).

ومن الواضح ان طريقة جمع الثلج في فصل الشتاء من خارج مدينة ماري كان يتطلب مدة زمنية طويلة، ووسائل نقل خاصة فضلاً عن عمال ماهرين، وكذلك الوسائل والأماكن الخاصة التي يتم خزن الثلج فيها، اذ يسهل استعماله في فصل الصيف، وبهذا يمكن رسم صورة واضحة عن اهتمامات الملك زمري - ليم وحرصن على توفير وسائل الراحة والبهجة التي بدورها تعبر عن الرخاء والرفاهية لمملكة ماري في عهده^(٣٦).

وما يؤيد نقل الثلج من مناطق بعيدة في العصر الاشوري القديم، فقد استعمل مقياس bēru بوصفه وحدة لقياس المسافات الطويلة^(٣٧) كما جاء ذلك سابقاً في احد النصوص المسمارية ولبيان ذلك نورد منه النص الآتي:

"šuripam ištu 10 bi-ri ištu

20 bi-ri izabbilunum".

"الحاملين يحملون لي ثلج من مسافة ١٠ بيرٍ وحتى من مسافة ٢٠ بيرٍ"^(٣٨).

لقد اشارت النصوص المسمارية كالرسائل وحوليات الملوك الاشورية إلى دور الثلج في تسهيل عملية نقل البضائع التجارية او تحرك القطعات العسكرية اذ جاء في احدى الرسائل من حاكم توشخا دور - اشور إلى الملك تجلاتبليزر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) يخبره عن الاسراع في تحريك القوات قبل سقوط الثلوج كما جاء في النص الاتي :

"..... يقول الملك سيدي: ((لم ترسل لي رسولي برعاية رسولك؟ ان هناك الكثير جداً من الجليد ولقد ارسلت كشافة لكنهم عادوا قائلين لن يمكننا الذهاب؟ وحالما يتناقص الثلج))^(٣٩).

يشير كاتب الرسالة لسيدته عن تأخير الاشخاص الذين يتم تكليفهم للبحث عن المناطق الزاخرة بالثلج ليتم توفيره لبلاد اشور ، في حين جاءتنا رسالة ثانية تبين ان احد الموظفين المدعو نابو- بيل- اوكين إلى الملك سرجون الثاني^(٤٠) (٧٢١-٧٠٥ ق.م) وهو في الحدود الميدية يخبره الاتي "نحن نفتح الطريق (ولكن) الثلج يتساقط ويمثلها والبرد أصبح قارصاً جداً..."^(٤١).

يفهم من النص ان سقوط الثلج يكون عائقاً يضاف الى الاسباب الاخرى كوعورة الطريق ووجود المتمردين الذين يحاولون سرقة القوافل التجارية المارة من تلك المناطق وعلى ما يبدو ان المناطق الجليدية في بلاد الرافدين كانت زاخرة بالثلوج اثناء الشتاء اذ جاء في الرسالة:

hu-la-a-ni ni-pt-ti i-šak-kan ku-pu-u ú-ma-la ku-ui-di-in
a-dan-niš.

"نحن نفتح الطرق (ولكن) الثلج يتساقط ويمد(ئها) والبرد اصبح قارصاً جداً"^(٤٢).

كما اشير في حملة الملك سين- اخي - اريبيا السابعة ضد العيلاميين الى أسباب توقف الجيش الاشوري اثناء تقدمه نحو بلاد عيلام بسبب ظروف المناخ السيئة ورجوعه الى نينوى.

ITI.tam-ṭi-ri EN.TE dan-nue-ru-ba-am-ma šá-mu-tum
ma-at-tum ú-šá-az-ni-na IM.ŠÈG.MEŠ šá IM.ŠÈG.MEŠ ù
šal-gi na-ah-lu na-ad-bak KUR-i a-du-ra pa-an ni-ri-ia ú-
tir-ma
a-na NINA.KI.

"في شهر المطر اصبح المناخ قارصاً جداً الغيوم الثقيلة أهطلت امطارها وثلوجها وخشيت من اتساع جداول الجبال لذا غيرت وجهتي واخذت الطريق نحو نينوى"^(٤٣).

استخدامات أخرى

يعد التلج ذات أهمية في بعض الوصفات الطبية ذات العلاقة إذ تشير إلى ان الاشوريين كانوا قد استعملوا التلج ضمن اساليبهم العلاجية وذلك بربط قطعة من التلج على موضع الألم حسبما جاء في احدى الوصفات العلاجية "اربط عليه التلج لمدة خمسة عشر يوماً ثم يشرب التلج في النبيذ وسوف يشفى"^(٤٤) وعلى ما يبدو ان الاشوريين عرفوا اهمية التلج في الوصفات العلاجية كمسكن للآلام والالوجاع وربطه على مكان الاصابة لتخدير موضع الألم عن طريق البرودة التي يحتويها التلج^(٤٥).

فضلا عن ذلك نجد استخدام التلج كمادة حافظة للمواد الغذائية سريعة التلف اذ نقرأ في رسالة موجهة الى الملك من احد موظفيه يخبره بأحوال البلاد الجيدة فضلا عن ارسال الادوات وكان من بينها السمك المثلج كآلاتي:

[a-na LUGAL be-li-ia]

[ARAD-ka^{md}30-PAB.MEŠ-SU]

[lu]šul-mu [a-na LUGAL be-li-ia]

[šul]-mu [a-na KUR-aš-šur.KI]

šul-mu a-[na]É.KUR.MEŠ-te

šul-mu a-na URU.bi-rat ša LUGAL.gab-bu

ŠA-bu ša LUGAL.EN-ia a-dan-niš lu DUG.GA

2GÚ'UN ZU KUG UD 20 MA.NA KUG.UD ku-um -AM.SI

50 TÚG.GADA.MEŠ 10 TÚG.šad-din3 DUG.LA ma-qar-te KU₆.....

"الى سيدي الملك، عبدك sin-ahhe-ereba ، السلام الى سيدي الملك بلاد اشور بسلام المعابد بسلام، كل حصون الملك بسلام عسى أن يكون سيدي الملك حقاً وزنتان من الفضة و ٢٠ مانا من الفضة عوضاً من العاج ٢٠ ثوباً، ١٠ من الاردية (رداء)، ٣ ملئ قدور من السمك المثلج....."^(٤٦).

١. عرف التلج في العراق القديم منذ عصور مبكرة تعود الى العصر السومري ، اذ ورد ذكره في اسطورة الآلهة انانا والعائدة لأحدى المراسيم الدينية .
٢. ورد التلج في النصوص المسمارية بصيغ عدة منها kūṣu, ḫalapu, šalgu, šāripu وkuṣṣu وغيرها من المفردات الاخرى لتعبر جميعها عن التلج .
٣. كان للتلج العديد من الاستعمالات منها تبريد الماء والمشروبات المختلفة فضلاً عن تسكين مواضع الالم للمصاب وخفض درجة حرارة الجسم .
٤. اهتمام الملوك بتوفير كميات من التلج وخزنها في اماكن خاصة عرفت bit šuripi اي بيت التلج .
٥. نظراً لندرة التلج في بعض الاماكن اضطر الملوك والحكام في العراق القديم لجلبها من المناطق الجبلية التي يتوفر فيها التلج ومن مسافات بعيدة ومن تلك المدن ترقا وساكراتم فضلاً عن منطقة زيرانم بوصفها مصدر مهم لتواجد التلج .
٦. تفاخر الملوك باستخدام التلج وتقديم المشروبات الباردة والمختلفة لضيوفهم في المناسبات والاحتفالات الخاصة بهم .
٧. خصص الملوك لجمع التلج العديد من الرجال الاقوياء والنجاريين والخدم ووسائل نقل خاصة في اماكن توفر التلج وذلك من أجل الحفاظ على كميات التلج المتساقطة وجمعها وارسالها الى المدن والعواصم الخاصة بهم .
٨. لأهمية التلج واستمرار توفره اصدر الملوك العديد من الاوامر للتقنين في استخدام التلج وعدم التبذير والاسراف فيه من اجل بقاءه اطول مدة ممكنة خلال ايام الصيف الحارة واحياناً كان يتم تعيين بعض المشرفين للمراقبة والاشراف على ذلك .

المصادر:

- (١) الكحلاني، محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني والصفاني، ابو ابراهيم، توضيح الافكار بمعاني تنقيح الانظار، ج٢، بيروت، ١٩٩٧، ص٢١.
- (٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، (ب.ت)، ص٥٠٠.
- (٣) الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٥، القاهرة، ١٩٨٤، ص٤٤٧.
- (٤) ابن منظور، المصدر السابق، ص٥٠٠.
- (٥) المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد، عمدة الاحكام من كلام خير الأنام، ج١، قرطبة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٤٨.

وكذلك ينظر: ابو سعيد، فؤاد بن يوسف، شرح حديث اللهم باعد بيني وبين خطاياي، مقالة - آفاق الشريعة الحرم المكي، ٢٠١٨، ص ١.

(^١) الفارابي، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ١، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٠٢.

(^٢) الفارابي، ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب، ج ٢، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٥١.

(^٣) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(^٤) الفارابي، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، المصدر السابق، ص ٩٥٠.

(^٥) الدمشقي، احمد بن مصطفى، معجم اسماء الأشياء المسمى اللطائف في اللغة العربية، ج ١، القاهرة، ١٣١٨هـ، ص ١٥.

(^{١١}) CAD, Š/3, p. 347: b.

(^{١٢}) CDA, H, p. 102.

(^{١٣}) يمكن القول ان قاعدة الابدال المكاني بين الحروف في الاكدية والعربية مطابقة تماماً في استخدام هذا المصطلح فاحياناً ما يقابل حرف ش š الاكدي حرف الئاء العربي ومثال ذلك šalgu بمعنى تلج، صقيع. ينظر: سليمان، عامر، اللغة الاكدية، الموصل، ١٩٩١، ص ١٨٩. كذلك ينظر:

CDA, Š/3 p. 102.

(^{١٤}) CAD, Š/3, p. 348: b.

(^{١٥}) الجبوري، علي ياسين، قاموس اللغة الاكدية - العربية، ابو ضي، ٢٠١٠، ص ٢٩٣.

(^{١٦}) الالهة انا: عشتار الهه الحب والجمال والحرب وحسب قوائم الالهة وانسابها تعد انا ابنة الاله سين اله القمر وامها الالهة نكال وكانت مدينة الوركاء مركزاً لعبادتها. ينظر:

Leick, G., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, ISBN, P. 87-88.

(^{١٧}) أريدو: مدينة سومرية تعرف اليوم ابو شهرين تقع في القسم الجنوبي في بلاد الرافدين وعلى بعد ٤٠ كم إلى الغرب من مدينة الناصرية وتعد المدينة مركزاً لعبادة الاله انكي/ ايا اله المياه العذبة. بصمه جي، فرج، كنوز المتحف العراقي، بغداد، ١٩٧٢، ص ٤.

(^{١٨}) الاله انكي/ ايا: اله الماء السحر والحكمة يأتي بالمرتبة الثالثة بعد الاله انو والاله انليل يتألف اسمه من مقطعين، المقطع الأول EN بمعنى سيد والمقطع الثاني KI أي الأرض فيكون معنى اسمه سيد الأرض، وتعد مدينة اريدو مقراً لعبادته. ينظر:

Leick, G., Op. Cit., P. 40.

(^{١٩}) مدينة الوركاء: عرفت المدينة في اللغة السومرية UNUG^{ki} وفي اللغة الاكدية uruk تقع على بعد ٣٠ كم جنوب شرق مدينة السماوة وشمال غرب موقع مدينة اور وعدت المدينة مركزاً لعبادة الاله انو والالهة عشتار. ينظر: اسماعيل، خالد سالم، اضواء على اصول الكتابة الصورية (الاركائية)، مجلة آداب الرافدين، العدد ٣٦، ٢٠٠٣، ص ١٦١. كذلك ينظر:

Van Buren, E.D., Symbols of the God in Mesopotamia Art, London, 1945, P. 46.

(^{٢٠}) كريمر، صموئيل نوح، الاساطير السومرية، ترجمة: يوسف داؤد عبد القادر، بغداد، ١٩٧١، ص ١٠٩.

(^{٢١}) تعد الالهة شالا الهة الجبال والتلوج وعدت زوجة الاله ادد او الاله دكان غير انها لم ترد ضمن الالهة العراقية القديمة وربما كان يعود اصلها الى مدينة حران. ينظر: باقر، طه، ديانة البابليين والآشوريين، مجلة سومر، العدد ٢، ١٩٤٦، ص ١٨.

(^{٢٢}) والجدير بالذكر ان العراقيون القدامى كانوا على علم بخاصية تبريد المياه عن طريق استخدام الجرار الفخارية كما جاء في نص لـ احيقار الحكيم "كنت لي يا بني، مثل رجل رأى رفيقه يرتجف من البرد فأخذ قربة ماء بارد وسكبها عليه...". ينظر: الجبوري، صالح سليمان رميض، أدب الحكمة في وادي الرافدين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٢٢٩.

(²³) Edzard, D. O., Gudea and His Dynasty, RIME, Vol. 3/1, Toronto, 1997, P.70-71.

(^{٢٤}) كركميش: مدينة اثرية تعرف جرابلس حالياً، تقع شمال سوريا على الضفة الغربية لنهر الفرات وتبعد حوالي ١٢٥ كم عن مدينة حلب، استطاعت بسط نفوذها على حوض نهر الفرات والسهل المجاور. ينظر: العبيدي، احمد زيدان، علاقات بلاد اشور مع الممالك الحثية في شمال سورية (٩١١-٦١٢ ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، موصل، ٢٠٠٥، ص ٣٠، ٧٠.

(^{٢٥}) ماري: تقع المدينة على الفرات الاوسط قرب البوكمال تعرف اطلالها اليوم باسم (تل الحريري)، يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد وكانت عاصمة الاموريين ورد ذكرها في جداول الملوك السومرية بوصفها السلالة الملكية العاشرة بعد الطوفان، فضلاً عن مكانة المدينة المهمة في النواحي الاقتصادية وذلك من خلال ذكرها في العديد من النصوص البابلية. ينظر: علي، احمد علي اسماعيل، تاريخ بلاد الشام القديمة، دمشق، ١٩٩٨، ص ٥٧.

(²⁶) Dossin, G., Correspondence de ŠAMSI-ADDU. ARM-V, Paris, 1950, P. 22, No. 6: 4-a.

(²⁷) Frayne, D., Old Babylonian Period (2003-1595) B.C., RIME, Vol. 4, Toronto, 1991, p. 625, No. 3: 1-8.

(^{٢٨}) ترقا: مدينة تقع على حوض الفرات الأوسط إلى الجنوب من مصب نهر الخابور تبعد حوالي (٦٠ كم) عن مدينة ماري إلى الشمال وتقع فوق تل يطلق عليه اسم (تل العشارة) تم اكتشاف اطلال هذه المدينة في عام ١٩١٠ على يد الرحالة الالمانى (ارنست هركز فيلا) الذي وجد رقيماً لمعبد الاله داکان في المدينة، من اهم حكامها هو كيري داجان حاكم ترقا وكان تابعاً لحكم الملك زمري ليم وخاضعاً له. ينظر: الحلو، عبدالله، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٧٠. كذلك ينظر: علي، محمد عبد اللطيف محمد، سجلات ماري وما تلقية من اضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي ١٨٢٠-١٧٦٠ ق.م)، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص ٦٠-٦١.

(²⁹) Sasson, J.M., Thoughts of zimir-lim Biblical Archaeologist, Paris, 1984, p. 117.

(³⁰) Jean, C.F., Letters Diverses Transcrites Et Traduites, ARM, 2, No. 91: 5-6; Rev.1-15, P.164-165.

(³¹) Heimpel, W., Letters to the king of mari, Indiana, 2003, p. 132, 342.

(³²) Dossin, G., Correspondence de ŠAMSI-ADDU. ARM-1, Paris, 1950, P.85, No.21: 8-12.

(³³) Sasson, J. M., "Instances of Mobility among mari, Artisans" BASOR, Chicago, 1968, P. 53.

(³⁴) Kupper, J.R, Correrpondance de Kibri- Dagan , ARM,3 , Paris , 1950, P.59.

(³⁵) Birot, M., Monoires de N.A. Bv., Floril egium, marianunu 2, No. 82: 22-26, Paris, 1994, p. 149.

(³⁶) Sasson, J.M., Op. Cit., p.

كذلك ينظر: اسماعيل، حلمي محروس، الشرق الأدنى القديم وحضارته، الاسكندرية، ١٩٩٧، ص ١٤١.

(³⁷) CAD, B, p. 208: b.

(³⁸) CAD, B, p. 208: b.

(³⁹) Saggs, H.W.F., The Nimrud Letters, 1952, Part 3, Iraq, 1956, Vol. 18, No. 1, p. 45.

(^{٤٠}) سرجون الثاني: ابن الملك تجلات بليزر الثالث استطاع القيام بحملة ضد بلاد اورارتو من اجل القضاء على تدخلها في شؤون الدولة الاشورية وتمكن من تدمير عاصمتها الدينية موصاصير الواقعة قرب طوب زادة شمال شرق العراق، كما استطاع سرجون من بناء عاصمة له تقع على بعد ١٥ كم تقريبا شمال مدينة نينوى عرفت باسم دور شروكين (خورسباد حاليا). ينظر:

Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. 2, USA, 1926, P. 73-78.

للمزيد ينظر: علي، قاسم محمد، سرجون الاشوري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٣.

(⁴¹) Farhan, W.M.S. Communications in the neo-Assyrian, Empire, London, 1991, p. 134.

(⁴²) Ibid, p. 134. كذلك ينظر

Kraus, F.R., Altbabylonische Briefe in Umschrift Und Ubersetzung. Leiden, 1974, No. 179.

(⁴³) Luckenbill, D.D., The Annals of Sennacherib as oriental Institute, Philadelphia, 1976, p. 41. Col. V, 7-11. كذلك ينظر

Novotny, J. and Gayson, A., kirk the Royal Inscriptions of sennacherib, King of Assyrian (704-681 B.C), Vol. 3/2 ,Indiana, 2014, P.332.

(^{٤٤}) لابات، رينيه، من الطب الآشوري، ترجمة: عبد اللطيف البديري، بغداد، ١٩٧٦، ص ٦-٢٣.

(^{٤٥}) محمود، الحاج قاسم، مائر العرب والمسلمين في علم الجراحة، التراث الشعبي، مجلد ١٢، ع ٩-١٢، ١٩٨١، ص ٩٢.

(⁴⁶) Parpola, S., State Archives of Assyria published by the Neo-Assyrian text corpus project, Vol.1, Helsinki, 1987, p.35.

ABL,568=SAA,Vol,1,No,34.

**الاثر العلمي والفكري للفقير ابو عمران الفاسي
في المغرب (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)**

أ.م.د. بان علي محمد

كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

**Assistant prof.Dr.Ban Ali Muhammad
University of Baghdad/College of Education for
Woman**

**Depart.of History
banalbayati@yahoo.com**

الأثر العلمي والفكري للفقهاء أبو عمران الفاسي في المغرب (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)

أ.م.د. بان علي محمد

الخلاصة

لمعت في تاريخ الغرب الإسلامي أسماء وشخصيات كان لها دور في خدمة العلوم الشرعية وكرست حياتها في سبيل العلم واستثمرت هذه العلوم حين جلست بين الطلاب لتبثه فيهم. ومنهم الفقيه أبو عمران الفاسي فقد تبوأ منزلة رفيعة بين علماء عصره وتفقه على يد كبار العلماء ومنهم أبو الحسن القابسي وأبو بكر الزويلي وأبو محمد الأصيلي وآخرين. وقد رحل في طلب العلم فقد كانت له رحلة مشرقية فسمع من مجموعة كبيرة من العلماء ابرزهم أبو الفتح بن أبي الفوارس وأبو الحسن علي بن إبراهيم وآخرين. وبعد استقراره بالقيروان بدأت تتوافد عليه مجاميع الطلبة من مختلف الأماكن ومنهم أبو محمد عبد العزيز التونسي وهو من مدينة اغمات، وكذلك وجاج بن زللو اللمطي وهو من السوس الأقصى فقد درسوا المذهب المالكي على يديه.

الكلمات المفتاحية: فاس ، رحلة ، طلاب، صنهاجة، فتاوى

Conclusion

In the history of the Islamic west, names and personalities who had a role in the service of Islamic sciences and devoted their lives to science and invested these sciences shined when she sat among the students to spread it among them, including the jurist Abu Imran Al-Fassi, who assumed a high position among the scholars of his time and was taught by the great scholars, including Abu Al-Hassan Al-Qabi and Abu Baker Al-Zuwaili, Abu Muhammad Al-Asili and others, and he left in the pursuit of knowledge. He had an eastern journey. He heard from a large group of scholars, most notably Abu Al-Fath bin Abi Al-Fawares, Abu Al-Hassen Ali bin Ibrahim and others. After his settlement in Kairouan, groups of students from various places began to flock to him, including Abu Muhammad Abd Al-Aziz Al-Tunisi, who is from the city of Aghmat, as well as Wajaj bin Zallo Al-Latti, who is from Al-Sus Al-Aqsa. They studied under him the Maliki school of thought.

Keywords: Fas, Rihla, Students, Sanhaja, Fatawaa

المقدمة

ان الباحث في سيرة الفقيه ابو عمران سيلمس نبوغه وتفوقه العلمي ومنهجه التربوي وأثره في ترسيخ المذهب المالكي في المغرب العربي.

لقد كان لهذا الفقيه رحلة علمية اندلسية ومغربية ومشرقية ان تجشمه عناء الرحلة في سبيل الاستزادة من الطلب والتحصيل فكان لها الاثر البارز في تكوينه العلمي. وجهده واضح في ارساء دعائم المذهب المالكي ونشره فكان له تأثير واسع، وصيت رائع وقد شغف العلماء بالأخذ عنه والرحلة اليه وقد اشتغل بالدرس والاقراء والافتاء .

وانتشرت فتاويه في المشرق والمغرب وتداولها العلماء ودونها في كتبهم النوازل والفتاوي وهي تدل على اجتهاده واستنباطه للاحكام.

ويلاحظ ايضا ان الطلبة الذين درسوا الفقه على يديه كثر وكان لهم شأن بارز ومن أبرزهم وجاج بن زئو اللمطي الذي أنشأ داراً في بلاد السوس الاقصى سماها دار المرابطين وأنتدب الاخير احد طلابه عبدالله بن ياسين ليكون فيما بعد الفقيه لدولة المرابطين وأحد أعمدتها الرئيسة في نشر الدين الاسلامي والجهاد لهذه الدولة.

واشتمل البحث على محاور عدة اهمها: اسمه ونسبه، مولده ووفاته ونشأته في فاس ورحلته العلمية وطلابه وعلاقة ابو عمران بالدولة المرابطية ومكانة ابو عمران في الفتاوي وفي الختام أسأل الله عز وجل التوفيق

١- اسمه ونسبه

موسى بن عيسى بن ابي حاج بن وليم بن الخير الغفجومي، وغفجوم فخذ من زناتة، وقال السمنطاري: من هواره أصله من فاس (السبتي، ١٩٨٣، ج٣، ص٧).

اما ابن بشكوال (الصلة، ١٩٨٩، ج٣، ص٨٨١)، فقد زاد في اسم جده وهو يحج الغفجومي الفاسي وغفجون قبيلة من زناتة.

ووقع بعض المؤرخين بخطأ في اسم جده ومنهم الزبيدي (تاج العروس، ١٩٦٥، ج١، ص٥٦٧)، ويحج بصيغة المضارع: الفاسي ابو عمران موسى بن ابي حاج فقيه مالكي.

والحميدي (جذوة المقتبس، ١٩٨٩، ج١، ص١٩٥)، قال: "موسى بن عيسى بن ابي حاج نجح الفاسي". وكذلك ابن فرحون (الديباج المذهب، ٢٠٠٣، ج١، ص٣١٧)، قال: يعرفون ببني حاج.

والاصح هو ما ذكر السمعاني (الانساب، ١٩٨٨، ج ٤، ص ٣٣٨) ابو عمران موسى بن عيسى بن يحج الفاسي وكنيته تحج ابو حاج.

والقبيلة التي ينحدر منها غفجوم فهي فخذ من زناتة وقيل من هوارة السبتي، ج ٨، ص ٥٨-٥٩. وضبطها ابن فرحون (الديباج، ج ٢، ص ٣١٧)، غفجوم بالعين المعجمة والفاء المفتوحة والجيم المضمومة قبيلة من البربر.

وهناك اختلاف في القبيلة التي ينتمي لها وهي غفجوم ويوضح لنا ياقوت الحموي (معجم البلدان، ج ٤، ٢٠٧)، انها قبيلة من البربر من هوارة من ارض المغرب، وهم ينتسبون اليها ومنهم ابو عمران موسى بن عيسى فحج بن ابي حاج ولهم بن الخير الغفجومي. وموطن القبيلة هو بلاد تادلا (*). ويظهر ذلك من خلال ابيات شعرية للشاعر المغربي ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي (ت ٦٠٩هـ / ١٢١٢م) يهجو فيها قومه بني غفجوم:

يا ابن السبيل اذا مررت بتادلا
ارض اغار فيها العدو فلن ترى
قوم طووا ذكر السماحة بينهم
ياليتني من غيرهم ولو انني
لاتنزلن على بني غفجوم
الامجاوية الصدى لليوم (**)
لكنهم نشروا لواء اللوم
من ارض فاس من بني الملجوم

(المقري، ازهار الرياض، ١٩٧١، ج ٢، ص ٣٦٥)

ومن النص الشعري يتبين ان قبيلة غفجوم مستوطنة بتادلا وتنتسب هذه القبيلة الى جراوة. اما الفاسي فانه لقب اشتهر به بعد مغادرته لمدينة فاس وقد وقع في الخطأ المؤرخ ابن الاحمر (بيوتات فاس، ١٩٧٧، ص ٤٤)، عندما أشار الى انه معروف بالقرشي "بيت بني ابي الحاج القرشي، بيتهم بيت حسب وثروة وفقه وعلم وعدالة ولهم زقاق بفاس يقال له درب ابي الحاج، منهم الفقيه الامام العلامة.. ابو عمران موسى بن ابي الحاج القرشي المعروف بأبي عمران الفاسي".

وتمت الاشارة من قبل احد الباحثين (حميتو، حياة ابي عمران، ص ١٩-٧٨)، ان الكلمة قد تعرضت الى التصحيف فقد كتبت في بعضها (القرشي) بدلا من (الفاسي) ويبدو ان السبب في ذلك يرجع الى قوة الشبه في الخط ما بين الكلمتين .

٢- مولده ووفاته

أشار القاضي عياض (ترتيب المدارك، ج ٧، ص ٢٥٢)، الى مولده، قائلا: "ومولده سنة ثمان وستين وثلاثمائة"، وأيده في ذلك ابن بشكوال (الصلة، ج ٣، ص ٨٨٢-؛ الظبي، بغية

الملمس، ج٢، ص٦٠٦-٦٠٧، قال ابو عمر بن عبد البر: ولدت مع ابي عمران في عام واحد سنة ثمان وستين وثلثمائة". وتوفي عام ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م، عن عمر ناهز الخامسة والستون (عياض، ترتيب، ج٧، ص٢٥٢).

٣- نشأته بفاس

نشأ وترعرع في مدينة فاس وعاش فترة طفولته ومدة من شبابه، ولكن لم تشر المصادر الى اي اخبار عن اهل بيته، ووصفهم عياض (لمدارك، ج٧، ص٢٤٣)، بـ"الهم عقب وفيهم نباهة". واوضح ابن الاحمر (بيوتات فاس، ص٤٤)، ان بيتهم بيت حسب وثرورة وفقه وعلم وعدالة ولا بد انه قد تلقى تعليمه الاول في فاس بمسجد القرويين وتعلم القرآن الكريم وحفظ شئ من علوم الدين.

وبعدها يبدأ ابو عمران مسيرته نحو طلب العلم وذلك بالرحلة نحو المراكز العلمية العربية الاسلامية للدراسة والتفقه على يد كبار العلماء والفقهاء.

٤- رحلته العلمية

كانت لابو عمران الفاسي رحلات علمية عديدة فقد رحل الى القيروان والاندلس والمشرق الاسلامي وحج مرات عديدة الى الديار المقدسة وفي كل مرة كان يلتقي بالعلماء وينهل من علومهم.

وقد وصفه تلميذه حاتم بن محمد قائلا: "ولم ألق أحداً أوسع منه علماً، ولا أكثر رواية" (الونشريسسي، المعيار، ١٩٨٠، ج٣، ص٢٦٨). ووصف ابو عمران الفاسي بانه ثقة (ترتيب المدارك، ج٧، ص٢٤٦).

وقد كانت أولى رحلاته العلمية نحو القيروان حسب ما اشار اليه الدباغ (الايمان، ج٣، ص١٥٩-١٦٠). اما ابرز العلماء الذين التقى بهم في رحلته للقيروان وهم:

تفقه على يد ابو الحسن القابسي (*)، وسمع من ابو بكر الزويلي (**)، وعلي بن احمد اللواتي السوسي (***) .

اما رحلة قرطبة فقد اخذ الفقه بها عند ابو محمد الاصيلي (*)، وعبد الوارث بن سفيان (**)، واحمد بن قاسم (***) .

ودخل العراق في رحلته المشرقية وسمع من مجموعة كبيرة ابرزهم ابو الفتح بن ابي الفوارس (***)، وابو الحسن علي بن ابراهيم المستملي (***)، وابو الحسن بن الحمامي (***)، وابو القاسم (***)، ودرس الاصول على القاضي ابو بكر الباقلاني (***)، وغيرهم كثيرين.

اما في الحجاز فقد التقى ودرس على يد ابو الحسن بن ابي فراس^(*****)، وابو القاسم السقطي^(*****).

وبعد هذه الرحلة العلمية الواسعة عاد الى القيروان واستوطنها وهذا ما اشار اليه تلميذه حاتم بن محمد عندما لقيه عام ٤٠٢هـ / ١٠١١م.

ان حياته العلمية توطدت بالقيروان بعد استيطانه بها، وشهرته انما طارت من هذا البلد العظيم الذي خلف فيه اساتذته الكبار، وحصلت له رياسة العلم به، فلم يكن يتقدمه احد ولا يعول الناس الا على قوله، ومنه انتشرت فتواه في الاقطار^(عبدالله، ابو عمران الفاسي، ١٩٧٠، ص ٤٩-٦٠).

وتوافد عليه الطلاب والدارسون من المغرب والاندلس للاخذ عنه والتفقه عليه . وكان يجلس في بيته الى الظهر فلا يتكلم بشئ الاخذ عنه الى ان مات^(السبتي، ترتيب، ج ٧، ص ٢٤٥).

٥- طلابه

اشتهر الشيخ بالثقة والفضل وتنافست الطلبة عليه من جميع الاماكن وتمت الاشارة الى انه قد وفد عليه الناس من اقطار المغرب والاندلس^(السبتي، ترتيب، ج ٧، ص ٢٤٦)، ومن ابرز تلاميذه الشيخ عبدالله بن رشيق القرطبي^(*) واستوطن القيروان راحلا من الاندلس صوب الشيخ ليتفقه على يديه وكان أدبيا شاعرا عفيفا^(المقري، نفح الطيب، ٢٠١٢، ج ٢، ص ٦٤٧)، واكثر شعره عنه فأنشده قائلا:

سأقطع حبلي من حبالك جاهداً وأهجر هجراً ملياً لايجز لنا عرضاً
وقد يعرض الانسان عمن يودّه ويلقى ببشر من يسر له البغضا

(ابن الابار، التكملة، ج ٢، ص ٢٣٩)

ومن تلاميذه ابو عمر احمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء التميمي (ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م)^(الاشبيلي، فهرسة، ١٩٨٩، ج ٢، ص ٤٤٠).

وقد اخذت مجاميع الطلبة تفد على الشيخ من مختلف الاماكن وهذا ما اشار اليه القاضي عياض، قائلا: "وجماعة من الفاسيين والسبتيين والاندلسيين"^(ترتيب، ج ٧، ص ٢٤٥)؛ ابن بشكوال، الصلة، ج ٣، ص ٨٨٢. ومن طلابه الذين برز شأنهم ابو محمد عبد العزيز التونسي^(**)، درس الفقه على يد ابو عمران الفاسي ودرسه للناس في مدينة أغمات^(***).

ومن المع طلابه واجاج بن زُو اللمطي^(*)، اصله من السوس الاقصى^(**)، رحل الى القيروان وتعلم على يد الفقيه ابو عمران الفاسي، وبعد رجوعه الى منطقتة بنى دارا اسماها بدار المرابطين وبعد وفاته اصبح قبره مزارا يتبرك به^(التادلي، التشوف، ص ٨٩ - ٩٠).

ومن مآثر الفقيه هي ارسال طلابه الى اماكن مختلفة ليفقهوا العباد بالدين الاسلامي الصحيح وارساء مبادئ المذهب المالكي في ارجاء المغرب الاسلامي^(ابن ابي زرع، الانيس، ١٩٩٩، ص ١٥٥).

٦ - علاقة ابو عمران بالدولة المرابطية (٤٤٨هـ - ٥٤١هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٧م)

يعود تأسيس دولة المرابطين^(***)، الى قبائل صنهاجة الصحراويين البدو المسلمين^(٤) وُلّف مجهول، الحل، ص ١٧ - ١٨). بعد ان اتحدت قبائل صنهاجة وهي: لمتونة وجدالة ومسوفة وهسكورة وجزولة، بتكوين اتحاد صنهاجي برئاسة الشيخ يحيى بن ابراهيم الجدالي وكان تقياً ورعاً ورغب في الحج^(البكري، المسالك والممالك، ٢٠٠٣، ج ٢، ص ٣٥٢) (ابن خلدون، العبر، ٢٠٠٣، ج ٦، ص ٢١٥ - ٢١٦). وفي طريق عودته من مكة المكرمة التقى بمدينة القيروان بالفقيه ابو عمران الفاسي، فسأله عن الاسلام وتعاليمه عند قبائل صنهاجة الصحراء، فشرع يحيى بمدى جهلهم بقواعد الدين الاسلامي ونظمه وهذا ماجعله يطلب من الفقيه ان يرسل معه احد طلبته لتعليم القبائل الصنهاجية مبادئ الدين الاسلامي، وعرض الفقيه الامر على طلبته لكنهم رفضوا الدخول الى الصحراء، فأرسله الى احد طلبته وهو وجاج بن زُو اللمطي الذي بنى دار المرابطين، وبالفعل توجه يحيى الى وجاج وفي هذه الدار التي يدرس بها الفقه المالكي وجد الشيخ يحيى من يدخل معه الى الصحراء ليعلم قومه وهو الفقيه عبدالله بن ياسين^(****).

٦ - مكانة ابو عمران في الفتاوى

كانت للفقيه مكانة كبيرة ومنزلة عالية في العلم، وقال احد العلماء فيه: "ولم ألق أحداً أوسع منه علماً، ولا اكثر رواية"^(السبتي، المدارك، ج ٧، ص ٢٤٦)، "من اعلم الناس واحفظهم". اما فيما يخص فتاويه فقد قالوا عنها: "طارت فتاويه في المشرق والمغرب واعتنى الناس بقوله"، "كان فقيها عالما بفنون العلم منها القرآن وعلومه والحديث وعلله ورجاله والفقه البارع، مع الورع التام"^(الدباغ، معالم الايمان، ج ٣، ص ١٦٠).

ومن فتاويه بخصوص رجل صيرّ لزوجته ارضا في بقية صداقها "ان التصيير لا يتم الابالحوز بأثر العقد وان تراخى القبض عن ذلك كان بيعا فاسدا يرد مع القيام"^(الونشريسي، المعيار، ج ٥، ص ١٥٩ - ١٦٠)، وسار من بعده اكثر القرويين .

اما عن قتل العمد قال: "وهو حقيقة القياس، لانه حق الله تعالى ليس لادمي فيه شئ" (الونشريسي، المعيار، ج ٦، ص ٥٥١).

وفي حال عدم وجود قاضي او والي في بلد او مكان ما. فقال: "أحكام الجماعة الذين تمتد اليهم الامور عند عدم السلطان نافذ منها كل ماجرى على الصواب والسداد في كل ما يجوز فيه حكم السلطان. وكذلك كل ماحكم فيه عمال المنازل من الصواب ينفذ للاقامة اياهم الحكم" (الونشريسي، المعيار، ج ١٠، ص ١٠٢-١٠٣).

واعتنى الفقهاء بأرائه، واعتمدوا على اجتهاداته وكانوا يشاورونه ويخاطبونه في بعض الاشكالات الفقهية.

جاء في المعيار " وسئل ابو عمران عن الرجل يشترط لامرأته انه كلما منعها من زيارة أحد من محارمها من الرجال، أو أحد من قرابتها من النساء، أو منعها ان تشهد لاحد منهم فرحا أو حزنا، أو تؤدي الى أحد منهم حقا في الوقت الذي يصلح ذلك فهل يجوز، أو منع أحدا ممن ذكرنا من زيارتها ومن الدخول اليها في الاوقات المذكورة، فأمرها بيدها، فتريد المرأة ان تزور أهلها عن يومين او عن ثلاثة، وأراد الزوج منعها من ذلك حتى يكون بين الزيارة والزيارة وقت بعيد، فما حد ذلك؟ وكم قرر ما يكون بين الوقتين في الزيارة؟ وهل الابوان أو كل من ذوي المحارم في الزيارة؟ أو هما معهم سواء في دخول ذوي المحارم في الشرط؟ وكيف ان حدث لاهل المرأة عرس، او مات لهم ميت؟ كم قدر ماتقيم عندهم بواجب الحق؟ وهل في الزيارة وشهود الفرح والحزن مبيت للمرأة بالليل؟ أو لا مبيت لها ان كان لها الشرط المذكور؟

فأجاب : أما شرط زيارة المرأة قرابتها ممن كان رحمه أمس كالوالدين والاخوة، كان أوجب حقا وأحرى بالتكرار، ما لم يخرج الى حدّ الاكثار، ومن بعدت رحمه من ذوي المحارم، كان الواجب لهم من الزيارة للشرط خوفا من الحنث أقل، وما في وقت موقت الاما جرت به العادات مما لا يخرج الى وجه مذموم في الشريعة، وكل ما يرفع القطيعة من الزيارة، فهو عنها، لان الاصل للرجل منع امرأته من الخروج، الا فيما لا ينكر لهما الخروج لنحو ما جرى من القول فيما أبيح للمرأة الخروج عليه كم جناز من يختص من اقاربها، فما زاد على نحو أولئك من ذوي المحارم للشرط المنعقد للتمليك، فلا ينبغي ان يدخل فيه بالقضاء، الاما لا يستيقن من القدر الذي لا يشك في انه لا يكون اقل منه من الزيارة، الا ان يتبرع الرجل خوفا من اشكال المقدر الذي يؤخذ بالاجتهاد حزرا من خطأ المجتهدين، فيختار التحفظ بأن لا يمنعها من كل ما يشك فيه هل هو مما يقضي به من الزيارة أم لا؟ ولهذا الاشكال تتأكد الكراهة في هذه الشروط مع ما ذكره أهل العلم من كراهة عقد النكاح بها، ومن كراهة

الشهادة فيه من سببها، فكل ما يتذرع به الى الشبهات حسنت حمايته، وأما الفرح والحزن فهما أحوج الى المبيت من الزيارة المطلقة، والزيارة في المصر لا يستعمل الناس المبيت فيها في الاغلب، وان كان في العرس او الموت منكر كان للزوج منعها من شهود المنكر الظاهر، اذ لا يحمل الشرط على انه قصد به المحذور، ولان ذلك من التعاون على الاثم والعدوان، والله ولي التوفيق" (المعيار، ج ٣، ص ١٠٨-١٠٩).

وقد أخذ عن أبي عمران بالضرورة ليبني عليها الاحكام" كل موضع يتعذر فيه حضور الشهود في الملاهي وغيرها فشهادة بعضهم على بعض جائزة بلا مراعاة عدالة للضرورة الداعية" (المعيار، ج ٣، ص ١٤٤) وفي رأي أبي عمران الفاسي في الاستصحاب:
سئل ابو عمران عن رجل من أهل قفصة انقطع الى سكنى سوسة ثم أشيع في قفصة موته فبكى أهله في قفصة واستفاض عندهم موته ولم تشهد بينة بموته، ولا حكم به قاض، فهل يورث وتؤدى ديونه ويقسم ماله أم لا؟
فأجاب الاستفاضة التي لا تعلم حقيقتها لا يحكم بها في تصحيح موته ولا يقسم بها ماله (المعيار، ج ١٠، ص ١٨٣).

رأي أبي عمران في قاعدة مراعاة الاختلاف:

"ان القول بمراعاة الخلاف قد عابه جماعة من الاشياخ المحققين والائمة المتقنين، فهم ابو عمران وابو عمير، وعياض، قال عياض: القول بمراعاة الخلاف لا يعضده القياس، وكيف يترك العالم مذهبه الصحيح عنده، ويفتي بمذهب غيره المضاد لمذهبه، هذا لا يسوغ له الا عند عدم الترجيح وخوف فوات النازلة، فيسوغ له التقليد. يسقط عنه التكليف في تلك الحادثة" (المعيار، ج ١٢، ص ٣٦-٣٧).

وفي بعض الفتاوي التي تخص المرأة، "سئل عن رجل صيرَ لزوجته أرضاً في بقية صداقها قبله فلم تقبضها منه الا بعد شهر أو عام أو بعد يوم من تاريخ التصيير، وكل ذلك مع امكان الحوز قبل الشهر أو العام أو اليوم، فهل يصح هذا التصيير أو يفسد لعدم التناجز فيه؟ فان قلتم بفساده لعدم التناجز فهل يفسخ ما لم يفت أو يفسخ وان فات؟ وما الذي يفوته؟ بين لنا ذلك. فأجاب: ان التصيير لا يتم الا بالحوز بأثر العقد، وان تراخى القبض عن ذلك كان بيعا فاسدا يرد مع القيام، وان فات بما يفوت به الربع كانت فيه القيمة يوم القبض" (المعيار، ج ١٥٩، ص ٥٠-١٦٠).

وسئل ابو عمران عن أخ يتصرف في موروث أخته دهرا طويلا وهي حاضرة عالمة ساكتة الى ان توفيا فقام ورثتها يطلبون الاخ بالحظ الذي لموروثتهم زغلته، فاحتج الاخ بسكوتها وسكوت

ورثتها بعدها الزمان الطويل فهل يقطع سكوتها حقها أم لا؟ فكان جواب الفقيه "اعلموا رحمكم الله بأن جماهير علمائنا اختلفت آراؤهم في السكوت فروى عيسى عن ابن القاسم أنه لا حق للاخوات في الغلة وحمل السكوت على الرضى وجعله مع الزمان الطويل كالاذان المصرح بالهبة من الاخوات لاختواتهن، وروى ابن حبيب في الواضحة عن جماعة من اصحاب مالك انهن على حقهن في الغلات وأن السكوت لا يدل على الاذن وقاله عيسى بن دينار في العتبية من رأيه ووجهه ان السكوت أمر مبهم محتمل ثبوت الحق للاخوات في الابتداء مجمع عليه فلا يسقط الحق المجمع عليه ابتداء بالامر المحتمل آخراً" (المعيار، ج ٥، ص ٢٦٢ - ٢٦٣).

وسئل عن حبس حبسا على المساكين او على المساجد فيبيع ما هو مشاع معه، فهل يؤخذ للمساكين والمساجد بالشفعة؟

كان جواب ابو عمران: "في الحبس المؤبد يبيع احدهم ان لشريكهم فيه الشفعة ولمن يأتي من العقب، فواضح الاخذ بالشفعة للمساكين والمساجد ولا اشكال فيه" (المعيار، ج ٨، ص ١١٣ - ١١٤). وعن الشركة بين معلمين احدهما اعمى والاخر بصير، فكان جوابه: "الشركة جائزة وهي بالقيروان قديما ولم اسمع فيها نظيراً، ان كان تعليمهما تلقيناً، ومنعها ان كان احدهما يعلم الكتابة والاخر تلقيناً، واختار ايضا اذا كان احدهما لا يحسن مرسوم الخط أو خطه ردياً جواز الجلوس للتعليم" (المعيار، ج ٨، ص ١٨٣).

وسئل عن الشركة الجائزة في النحل كيف تسوغ في الشرع، فكان جوابه: "لا تجوز المناصفة في النحل الا ان يبيع منها النصف ويشترط عليه خدمة النصف الاخر مدة معلومة، وكذلك نصف ما تلد لا يجوز حتى يفعل ما قدمناه" (المعيار، ج ٨، ص ١٩٣ - ١٩٤).

وسئل عن بساتين بعضها فوق بعض يسقونها ولهم نهر اجروا منه ساقية الى بستانهم يسقيها عند السقي الاول حتى ينتهي الى الاخر فأحدث الاخر بستانا لا صقا ببستانه وأراد ان يسقيه بنصيب بستانه فهل يجب له ذلك على اصحابه ان ابوا ام لا؟

فأجاب: "اما الساقية فان حفرها القوم على ان تكون بينهم بالسوية فليقسم على الاجراء فمن صار له نصيبه من الماء في حين دولته وجريته فله ان يسقي به ما احدث من بستان او غيره، وانما يمنع الانسان ان يتجاوز نصيبه فأما ان اقتصر على نصيبه فليصنع به ما شاء. وأما ان جهل من أجراه وعلى اي وجه أجره وكان عرفهم أنهم يحيون بياضهم فكل من أحيا شيئاً لحق بالبساتين القديمة كان الامر في مسألتك على عرفهم ايضا" (المعيار، ج ٨، ص ٤٠١ - ٤٠٢).

وسئل عن حمل غرارة قمح في مركبه او زيت لرجل بغير كراء ثم ادعى ضياعه هل يقبل ذلك منه ام لا؟ وكيف اذا قال له اذا وصلت لموضع كذا فبعه واشتر به كذا وحمله بكراء هل يستوي الحكم ام لا؟

فأجاب: " لا ضمان عليه في الوجه الاول لانها بضاعة وهي كالوديعة في عدم الضمان الا ان يتهم فيحلف ،وأما ان حمله على ان يبيعه ويشترى بثمنه فهو كالمستأجر على توصيله وبيعه والشراء بثمنه مما قبضه معه أولاً فهو كخياط دفع اليه ثوب على خياطته وبيعه فزعم انه ضاه قبل فراغ خياطته، وكمن استؤجر على حمل طعام لذلك البلد فادعى تلفه لضمنه وبيئنه ان مسألنا لو بدا له على حمل الطعام المستأجر عليه لحمله وبيعه وطلبه ان يحمله حتى يصل فيبيعه لم يكن من ذلك بخلاف ما لم يستأجر عليه" (المعيار، ج ٩، ص ٧٧).

وسأل عن بلد لا سلطان فيه فعدول البلد واهل العلم يقومون مقامه في اقامة الاحكام، أيجوز فعل عدوله في بيوعهم وأشريتهم ونكاحهم؟

فكان جوابه: " بأن العدول يقومون مقام القاضي والوالي في المكان الذي لا امام فيه ولا قاض. لان احكام الجماعة الذين تمت اليهم الامور عند عدم السلطان نافذ منها كل ما جرى على الصواب والسداد في كل ما يجوز فيه حكم السلطان. وكذلك كل ما حكم فيه عمال المنازل من الصواب ينفذ للاقامة اياهم الحكم" (المعيار، ج ١٠، ص ١٠٢-١٠٣).

وسئل عن من استنقذ شيئاً تعلق به حقه وحق غيره، عن له ضيعة بقفصة على يد صهره وهو بالقيروان فأجبرت ثمرتها سنين، وسافر صاحبها للحج وأجبر صهره على دفع خراجها سنين، فأخذ الدين ودفع، ثم ثبت موت صاحب الضيعة في الحج، وقامت عليه ديون كثيرة فأراد صهره أن يأخذ ما أجبر على دفعه مقدماً، وقال الغرماء عليه ديون كثيرة فأراد صهره أن يأخذ ما أجبر على دفعه مقدماً، وقال الغرماء بل أنت أسوتنا.

فكان جوابه: "ان كانت الضيعة لو لم يؤد عنها ورفع يده هلكت، فقصد فداها، فحجته قوية والا لم يكن أحق من الغرماء" (المعيار، ج ١٠، ص ٤٠٧).

وسئل عن رجل ادان ديناً في غير فساد فمات قبل ان يجد قضاءً، هل يطالب بالاخرة؟ فكان جوابه: " لا يطالب والله عز وجل قادر على ان يعوض صاحب الدين بما شاء. ومن استهلك لرجل شيئاً واجتهد في ان يقضيه على ما استهلك فلم يقدر حتى مات فهو كالذي يستدين من غير فساد. وذهب عز الدين انه ان مات ولم يقضه وهو قادر على قضائه فانه يؤخذ من حسناته ويعطى للطالب بقدر ذلك ، وان نفدت حسناته أخذ من سيئات الطالب وردت عليه. وان لم

يقدر على أداء ذلك أو كان من غصب لكنه لم يجد من أين يقضيه يفعل به ما تقدم إلا الاخذ من سيئاته فلا تحط عليه، والله سبحانه وتعالى يرضيه عنه" (المعيار، ج ١٠، ص ٤١٧).

الخاتمة

لمعت في تاريخ المغرب الاسلامي شخصيات عديدة ومنها الفقيه ابو عمران الفاسي الذي وهب حياته لدراسة العلم وتدريسه وقد صب جل اهتمامه في تحصيل العلم من خلال رحلته العلمية التي رحل بها الى الاندلس والقيروان والمشرق الاسلامي والحجاز، لان التكوين العلمي لا يستكمل الا من خلال الرحلة العلمية نحو المشرق والالتقاء بمجموعة من الشيوخ والفقهاء البارزين ولازمهم ليتعلم ويتفقه في الدين .

ومن خلال هذه الرحلة العلمية ازداد غنى بعلوم الشرع ومعارفه. ومن بعدها يستقر في القيروان ليكون مركز اشعاع ويستقطب الطلاب من مختلف المدن الاسلامية لينهلوا من علمه في القرآن والحديث والفقهاء.

لذا فقد كانت لفتيها مكانة مميزة في قلوب الناس سواء العامة او الخاصة ليس من خلال علمه فحسب بل بالاخلاق التي يتحلى بها.

المصادر

- ١- ابن الأبار، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر، (ت ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م)، التكملة لكتاب الصلة، تح: ابراهيم الابياري، ط ١، (دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩).
- ٢- ابن الاحمر، ابو الوليد اسماعيل بن يوسف، (ت ٨١٠هـ / ١١٤٠م)، بيوتات فاس الكبرى، (الرباط، ١٩٧٢).
- ٣- الادريسي، ابو عبدالله محمد بن محمد، (ت ٥٤٨هـ / ١١٤٦م)، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، صححه هنري بيريس، (الجزائر، ٩٥٧).
- ٤- الاشبيلي، ابن خير، (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م)، فهرسة، تح: ابراهيم الابياري، ط ١، (دار الكتاب المصري، ١٩٨٩).
- ٥- ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك الانصاري، (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، الصلة، تح: ابراهيم الابياري، ط ١، (دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩).
- ٦- البكري، ابو عبيدالله بن عبد العزيز بن محمد، (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ط ١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣).

- ٧-التادلي، ابو يعقوب يوسف بن يحيى، (ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م)، التشوف الى رجال التصوف، تح: احمد التوفيق، ط٢، (مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧).
- ٨-ياقوت الحموي، الامام شهاب الدين ابو عبدالله، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، قدم له محمد عبد الرحمن، ط١، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨).
- ٩-الحميدي، محمد بن فتوح بن عبدالله، (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تح: ابراهيم الابياري، ط٣، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩).
- ١٠-الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط٢، (مطبعة هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤).
- ١١-الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠)، تاريخ بغداد، (بيروت، ١٣٥٠).
- ١٢-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣).
- ١٣-ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تح: احسان عباس، ط٥، (دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩).
- ١٤-الدباغ، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري، (ت ٦٩٩هـ / ١٢٩٩)، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، (الناشر مكتبة الخانجي، مصر، ب.ت).
- ١٥-الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧)، سير اعلام النبلاء، قدم له الدكتور سيد حسين العفاني، حققه وخرج احاديثه خيرى سعيد، (القاهرة، د.ت).
- ١٦-الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق مرتضى، (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار احمد، (مطبعة الكويت، ١٩٦٥).
- ١٧-ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبدالله الفاسي، (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه: عبد الوهاب منصور، ط٢، (المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٩).
- ١٨-السبتي، القاضي عياض بن موسى بن عياض، (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط٢، (المملكة المغربية وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، ١٩٨٣).
- ١٩-السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن محمد، (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦)، الانساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر، ط١، (مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٨).

- ٢٠- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك، (ت ٧٦٤هـ / ١٠٧١م)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء احمد الارناؤوط وتزكي مصطفى، ط١، (دار احياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٠).
- ٢١- الطبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة، (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس، تح: ابراهيم الابياري، ط١، (دار الكتاب المصري، ١٩٨٩).
- ٢٢- ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد، (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، تح: علي عمر، ط١، (الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣).
- ٢٣- ابن القاضي، احمد بن محمد المكناسي، (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس، (دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣).
- ٢٤- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد، (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، ازهار الرياض في اخبار عياض، ضبط وتحقيق وتعليق، مصطفى السقا واخرون، (الرباط، ١٩٧٨).
- ٢٥- —، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، ط٦، (دار صادر، بيروت، ٢٠١٢).
- ٢٦- مؤلف مجهول، (من ق ٨هـ / ١٤م)، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط١، (الدار البيضاء، ١٩٧٩).
- ٢٧- الونشريسي، احمد بن يحيى، (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء باشراف د. محمد حجي، ط١، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١).

المراجع

- ١- حميتو، د. عبد الهادي، حياة ابو عمران الفاسي ومناقبه، بحث منشور ضمن الندوة العلمية التي نظمتها مركز الدراسات والابحاث واحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، (الرباط، ٢٠٠٩).
- ٢- كنون، عبدالله، ابو عمران الفاسي، مجلة الثقافة المغربية، عدد (١) لسنة ١٩٧٠.

References

- 1-Ibn Al-Aber, Abu Abdullah Muhammad bin Abi Baker, The Sequel to thr book Al-Salaah, edited by ,Ibrahim Al-Abyari, (Lebanese book house, 1989).
- 2-Ibn Al-Ahmar, Abu al -Walied Ismail bin Yusuf, Byutat Fez al-Kubra, Rabat 1972.
- 3-Al-Idrisi abu Abdullah Muhammad bin Muhammad , Described North and Saharan Africa, as corrected by Henry Perez, (Algeria 1957).
- 4-Al-Ashbeli, ibn Khair , Indexing , Edited by Ibrahim Al- Abyari, (The Egyptian Book House , 1989.)
- 5-Ibn Bashkwal , Abu al- Qasim khalaf bin Abd al-Malk al-Ansari, The Association , Edited by Ibrahim Al- Abyari (, the Lebanese Book House, 1989).
- 6-Al-Bakri, abu Obaidullah bin Abdul Aziz bin Muhammad , Tracts and Kingdoms, Edited by Jamal Talbah, (Dar al-Kutub al-Ilmiyya Beirut, 2003).

- 7-Al-Tadali, Abu Yaqoub Yusuf bin Yahya ,Honor to the men of Sufism ,Edited by Ahmad al-Tawfiq ,(Al-Najah Press New Casablanca 1997).
- 8-Yaqoot, al-Hamawi, Imam Shihab al-Din Abu Abdullah, The Dictionaty of Countries, Presented to him by Muhammad Abd al-Rahman, The Arab Heritage Revival House,(Beirut ,2008).
- 8-Al-Humaidi, Muhammad bin Fattouh bin Abdullah, Jadea Al-Maktbs in the History of Andalusian Scholars,(Beirut, 1989).
- 10-A-Humairi, Muhammad bin Abdul-Moneim, Al-Raed Al- Maatar in the news of the Countries, Edited by Ihsan Abbas,(Beirut, 1984).
- 11-Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad bin Ali, History of Baghdad,(Beirut ,1350).
- 12-Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad, Lessons and Diwan Al-Mubtada and Al-Khabar in the days of Arabs non- Arabs Berbers and those of their Contemporaries with the Greatest Authority,(Beirut 2003).
- 13-Iba Khalkan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad, The Deaths of Notables and the News of the Sons of time, Edited by Ihsan Abbas(, Beirut ,2009).
- 14-Al-Dabbagh, Abu Zaid Abaul Rahman bin Muhammad Al-Ansari, Maealim Alayman fi Maerifat Ahl Alqayrawan,(publisher Egypt).
- 15-Al-Dhahabi, Shams Al-Din Muhammad bin Ahmad, Biography of the Nobles, presented to him by Hussein Al-Afani,(Cairo,d.t).
- 16-Al-Zubaidi, Muhammad bin Abdul -Razzaq Mortada, Taj Alearus min Jawahir Alqamus, Edited by Abdul Sattar Ahmed,,(Kuwait,1965).
- 17-Ibn Abi Zara, Abu Al- Hassan Ali bin Abdullah Al-Fassi, Al-Anees Al-Muyreb Proud al- Qirtas in the news of the Kings os Morocco and the history of the city of Faz,(Rabat,1999).
- 18-Al-Sabti, Judge Iyadh bin use bin Ayyad, Tirtib Almidarik Wataqrib Al-masalik Limaerifat Aelam Madhhab Malka, Edited by Muhammad bin Tawit ,(Kingdom of Morocco,1983).
- 19-Al-Samani, Abu Saad Abdul Karim, Al-Ansab, presented by Abdullah Omar,(Books Foundation,1988).
- 20-Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Ibek, Al-Wafi of Deaths, Investigation and Care of Ahmad Al-Arnaout and Zaki Mustafa,(Beirut, 2000).
- 21-Al-Dabi, Ahmad bin Yahya bin Ahmed, Baghiat Almultamis in the history of the men of Andalusia, edited by Ibrahim al-Abyari,(Dar al-Kitab al-Masry,1989).
- 22-Ibn Farhoun, Ibrahim bin ali bin Mohammad, Aldibaj Almadhhab of the Doctrine in the Knowledge of Notable Scholars of the Almadhhabi, doctrine by Ali Omar,(publisher library of Religious Culture ,Cairo,2003).
- 23-Ibn al-Qadi, Ahmed bin Muhammmad ,Jadhwat Alaiqtibas of those who Came from the Media in the City of Fez,(Rabat,1973).
- 24-Al-Maqri, Shihab Al-Din Ahmed bin Muhammad, Riyadh Flowers in Iyad News, commentary by Mustafa and others, (Rabat,1978).
- 25-Nfah Altayib from the fresh twig of Andalusia, edited by Ihsan Abbas,(Beirut,2012).
- 26-Anonymous author, Al-Halal al-Mushih fi Zikr al-Akhbar al-Marrakesh, editer by Suhail Zakkar and others,(Casablanca,1979).

27-Al-Wonsharisi,Ahmed bin Yahya ,Al-Miyyar Al-Muearab Waljamie al-Maghrab ,authority of the Fatwas of the Scholars of Africa,Andalusi and Morocco,it was compiled by a group of jurists under the supervision of Muhammad Hajji,(Beirut,1981).

الهوامش:

(*) تادلا:بفتح الدال واللام من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس،(الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٤٢٥).

(**)

(*) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي كان اماما في علم الحديث ومتونه واسانيده وتوفي بالقيروان ليلة الاربعاء ثالث شهر ربيع الاخر عام ٤٠٣هـ / ١٠١٢م، (السبتي، ترتيب المدارك، ج٤، ص٦١٦) (ابن خلکان، ج٣، ص٣٢٠-٣٢١) (الدباغ، ج٢، ص١٦٨) (ابن فرحون، السديج المذهب، ج٢، ص٩٢-٩٣).

(**) احمد بن ابو بكر: (ت ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، من العلماء العباد الزهاد المتبتلين المجتهدين المبرزين مع حفظ القرآن الكريم ومعرفة تفسيره وورع. (الدباغ، معالم الايمان، ج٣، ص١٢٨-١٢٩).

(***) أبو الحسن سوسي كان فقيه بلده في وقته سمع منه أبو عمران الفاسي. (السبتي، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٠٧) (الدباغ، معالم الايمان، ج٢، ص٤٠٣).

(*) أبو محمد عبدالله بن ابراهيم الاصيلي (ت ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، كان من حفاظ مذهب مالك وهو احد شيوخ ابو عمران الفاسي. (السبتي، ترتيب المدارك، ج٧، ص٩٢).

(**) عبد الوارث بن سفيان بن حبرون، (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، وهو من شيوخه الاندلسيين من اهل قرطبة وكان شيخا صالحا عفيفا. (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، ج٢، ص٤٦٦-٤٦٧) (ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٥٥٨) (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج١٧، ص٦).

(***) أبو الفضل احمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهرتي من شيوخه الاندلسيين (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، كان شيخا صالحا زاهدا في الدنيا، منقبضا عن الناس وهو من اهل قرطبة. (ابن بشكوال، بغية الملتمس، ج١، ص٢٤٨).

(****) الامام الحافظ كان مشهورا بالحفظ والصلاح وكان يملي بجامع الرصافة من بغداد توفي عام ٤١٢هـ / ١٠٢١م. (الذهبي، د.ت، ج١٣، ص١٢٧).

(*****) الامام المحدث كان من الثقات طوف وسمع الكثير توفي عام ٣٧٦هـ / ٩٨٦م (الخطيب البغدادي، ١٣٥٠هـ، ج٤، ص١٩٦) (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٤٦).

(*****) أبو الحسن علي بن احمد بن عمر البغدادي المعروف بابن الحمامي، توفي عام ٤١٩هـ / ١٠٢٨م، كان متفردا في القراءات والحديث. (ابن الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٢٩) (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٠، ص٢٠١).

- (*****) عبد الرحمن بن عبدالله المالكي الفقيه توفي بمصر عام ٣٨١هـ/٩٩١م. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٩٧).
- (*****) الملقب بشيخ السنة ولسان الامة من اهل البصرة وسكن بغداد كان ثقة اماما بارعا يضرب به المثل بفهمه توفي عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣٦٤) (السبتي، ترتيب المدارك، ج ٧، ص ٤٤-٤٩) (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٠٦) (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٤٧).
- (*****) ابو الحسن بن ابي الحسن من كبار النيسابوريين الائمة، توفي عام ٤٢٢هـ/١٠٣٠م. (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٤٦).
- (*****) الامام المحدث الثقة جاور بمكة اربعين سنة توفي عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م. (الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٣٥-١٣٦).
- (*) اصله من قرطبة اندلسي الاصل استوطن القيروان سنين لينتقله على يد الفقيه ابو عمران توفي بمصر عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م. (ابن الابار، ١٩٨٩، ج ٢، ص ٢٣٩) (المقري، نفع الطيب، ج ٢، ص ٦٤٧).
- (**) ابو محمد عبد العزيز التونسي اصله من تونس كان ورعا متقللا من الدنيا توفي عام ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، (التادلي، التشوف، ص ٩٢).
- (***) أغمات: ناحية من بلاد البربر من ارض المغرب قرب مراكش وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٨١) (الحميري، ١٩٨٤، ص ٤٦).
- (*) واجاج بن زلو اللمطي: وهو من المصامدة من السوس الاقصى ذهب الى القيروان ودرس على يد ابو عمران الفاسي توفي عام ٤٤٥هـ/١٠٥٣م. (التادلي، التشوف، ص ٨٩).
- (**) السوس الاقصى: ومدينته تارودنت وبلاد السوس قرى كثيرة وعمارتها متصلة بعضها ببعض. الادريسي، ١٩٥٧، ص ٣٩) (ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٢) (الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٩-٣٣٠).
- (***) المرابطون: هو الاسم الذي سماهم به عبدالله بن ياسين وذلك لصبرهم ومرابطتهم على الحق. (مؤلف ١٩٧٩، ص ٢١).
- (****) عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي قتل اثناء المعارك مع برغواطة عام ٤٥١هـ/١٠٥٩م. (ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص ١٥١).

مسجد مدينة باجة (ميرتولا) في البرتغال

MESQUITA DE BEJA
(IGREJA MATRIZ DE MÉRTOLA)

ايمان سفاح كوري

أ. د. د. رفاه جاسم حمادي

كلية الاداب / جامعة بغداد

قسم الآثار

مسجد مدينة باجة (ميرتولا) في البرتغال

ايمان سفاح كوري

أ . د . رفاه جاسم حمادي

مقدمة عن تاريخ بناء المسجد

تعد مدينة باجة أقدم مدن الأندلس بنياناً وأولها اختطاطاً وإليها انتهى يوليش جاشر وهو أول من تسمى قيصر وهو سماها باجة، وتفسير باجة في كلام العجم الصلح، وحوز باجة وخطتها واسعة ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة وتعد باجة من أقدم مدائن الأندلس لأنها بنيت في أيام الأفاصرة، وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، وهي من الكور المجندة نزلها جند مصر وكان لواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين،^(١) أما مسجدها فيقع في حصن مارتلة وهو حصن منيع ومنه إلى طليطلة مرحلة ويقع على نهر بطليوس^(٢) بجزيرة الأندلس ومارتلة حالياً مدينة صغيرة في جنوب البرتغال.^(٣) ميرتلة أو مارتلة حصن من أعمال باجة وهو أحصى حصون المغرب وأمنعها من الأبنية القديمة على نهر آنا^(٤) حصن منيع ومنه إلى طليطلة مرحلة^(٥)، خارطة (١) كما اشار اليه ابن عذارى المراكشي في احداث سنة ٢٦٢ هـ " عبد الملك بن أبي الجواد، اقتعد مدينة باجة وملكها، وتحصن بحصن مارتلة، وله حظ من المنعة تشييدا وعدة. وكان معاقدا لابن مروان، صاحب بطليوس في هذا التاريخ، وابن بكر صاحب أكشونبة؛ فكانوا متأبين على من خالفهم. وعبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، اقتعد مدينتي بطليوس وماردة قد ابنتى في بطليوس حصناً"^(٦) وعبد الملك هذا موالى لابن مروان الذي بنى مدينة بطليوس وبنى مسجداً داخل الحصن وفقاً لرواية الحميري حيث يذكر " بطليوس بالأندلس من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً، وهي حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليتي بإذن الأمير عبد الله له في ذلك، فأنفذ له جملة من البناء وقطعة من المال فشرع في بناء الجامع باللبن والطابية وبنى صومعته خاصة بالحجر واتخذ مقصورة وبنى مسجداً خاصاً بداخل الحصن وابنتى الحمام الذي على باب المدينة وأقام البناء عنده حتى ابنتوا له عدة مساجد، وكان سور

بطليوس مبنياً بالتراب، وهو اليوم مبني بالكلس والجنبل وبني، في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة^(٧)، ولاسيما انه اتخذ من مدينة باجة مقراً لحكمه وتحصن في مارتلة وحسب رواية ابن عذارى السابقة الذكر وبناءً عليه يمكن القول ان المسجد المقصود بمسجد مارتلة هو احد تلك المساجد التي بناها ابن مروان قبل سنة ٢٦٢هـ. خارطة (٢)

بينما يحدّد باحثون مثل ليوبولدو توريس بالباس Leopoldo Torres Balbás^(٨) وكريستيان إيويرت Christian Ewert^(٩) تاريخ بناء الجامع في هذه المرحلة دخول الموحدّين للمدينة في سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م، ميرتولا Mértola، اليوم مدينة صغيرة في جنوب البرتغال، في مقاطعة ألينتيخو Alentejo، تقع على بعد ٥٢ كم. جنوب باجة Beja، عند ملتقى غواديانا، Guadiana، التي تبعد بمقدار ٥٥ كم بعيدا باتجاه جنوب شرق المحيط الأطلسي، وكان نهر اورياس الصغير Ojeras، مع منطقة جوليا مارتاليس Julia Myrtilis كانا يشكلان مكانا هاما لمقاطعة لوسيتان الرومانية^(١٠) اما المسجد تم تحويله الى كنيسة سنة ١٢٣٨م سميت Igreja Matriz de Mértola (الكنيسة الام) ولكنه بقي محتفظاً بالعديد من عناصره العمارية وحتى دكة المذبح الرئيسي تتجه إلى الجدار الجنوبي الشرقي وهو اتجاه القبلة في مسجد الاسلام ويتم استخدام بعض اعمدة المنقولة من معبد روماني^(١١). وقد تم المحافظة على الجدران الخارجية للمبنى من هذا المسجد القديم و أبوابه الأربعة.

تخطيط وعمارة المسجد

شكل المسجد شبه منحرف (انظر مخطط ١)، طول جدار القبلة ١٩,٠٦ م الجدار المقابل له ١٨,١٣م الجانب الشمالي الغربي ١٥,٩٢م والجدار الجنوبي الغربي ١٣,٥ م وقد ادى هذا الانحراف البسيط والبناء غير الدقيق للقبلة، والذي لم يكن مستقيماً تقاطع الزاوية اليمنى للجدارين الجانبيين مع جدار القبلة هذا. تسبب بانحراف قليل اذ يضيق المسجد في الجانب الشمالي. وينقسم المسجد كله إلى خمس بلاطات، اوسعها بلاطة المحراب. واضيقها البلاطة الجنوبية أضيق قليلا في أقصى الحدود مقابل القبلة، واربعة اساكيب^(١٢) وبدون صحن.

هناك بروز، يمتد بمقدر ٥,٥٠ متر، خارج الواجهات الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية، وهنا يجب أن نميز الارتفاع الأصلي لجدران المسجد والتي أضيفت في القرن السادس عشر. ارتفاع الجدار الأصلي ٤,١٠م في أعمال الترميم لجدار المسجد تم الكشف عن ثلاثة مداخل ضيقة يتراوح عرض كل منها من ١,١٥م إلى ١,٣م، يتوج كل منها بعقد مدبب على شكل حدوة فرس، ويتراوح ارتفاعها الحالي ٢,٧٩ إلى ٢,٨٨م. توجد هذه المداخل الجانبية على مسافات متفاوتة، دون أدنى علاقة بتوزيع اكتاف بيت الصلاة التي على الاغلب أنها أصلية. مخطط (٢)

يبلغ عرض بعض الاكتاف ٠,٨١م فقط وارتفاعها ٢,٧٠م. وفتحت ثلاثة مداخل في الجدار المقابل لها. اما المدخل الرئيسي فيقع في الجدار المقابل للمحراب، وعلى نفس محور عمق بلاطة بيت الصلاة، و تم الحفاظ على عضادات المداخل الإسلامية بالكامل تقريباً، تظهر عضاداتها مجموعة مختلطة من الكرانيت والآجر. اما العتبة ترتفع حوالي ٠,٨٠م من على الأرض كتلة من الجرانيت الرمادي كأداة تقويم وتوضع عليها، بالتناوب مع صفيين أو ثلاثة صفوف من الآجر، وثلاثة صفوف من الحجر الجيري اصغر حجماً. وفي العضادة الجنوبية الشرقية استخدم حجر مربع ابعاده ٠,٢٧م. لوحة (١)

يوضع العقد الصخري المرمم جزئياً، بشكل حدوة الفرس المدبب مباشرة على صخور مختلفة الارتفاع المرتبة بشكل افقي، الشائعة في الإنشاءات الإسبانية من الحجر والآجر، مفقودة في الجزء السفلي من القوس، يتم وضع الآجر ذي الحواف المتوازية بدون مراعاة الترتيب، كما هو معتاد ، مع فواصل بعرض مختلف وبدون الحفاظ على الاتجاه الشعاعي تماماً.

ومن ناحية أخرى لم تعد المداخل الإسلامية الأصلية على الجدار الشمالي الشرقي ظاهرة ويجب أن تفكر أنه سيكون هناك أيضاً مداخل جانبية إسلامية في الجدار الجنوبي الغربي. (١٣). مخطط (٣)

لازال المسجد يحتفظ ببعض زخارفه الإسلامية لاسيما المحيطة بالمحراب بشكل شرفات متداخلة، والتي تعود إلى الشرق القديم، هي بلا شك إسلامية. يظهر موثقة مرارا وتكرارا في مسجد قرطبة وفي مدينة الزهراء. (١٤) قبل أن نضع لتحليل العناصر الهيكلية في

بيت الصلاة ودراسة جدرانها الخارجية التي يمكن اعتبار أصلها الإسلامي أمراً مؤكداً. تم الحفاظ على المخطط شبه مربع مع عرض أكثر بقليل من العمق، منحرف قليلاً في شكل شبه منحرف في جانبه الجنوبي، يتكون بيت صلاة من خمس بلاطات، مع أربعة صفوف من العقود باتجاه القبلة. تتكون الأعمدة في أغليبتها من قطعتين أو ثلاثة قطع، لم تبقى اعمدة ودعامات بيت الصلاة على شكلها الاصلي فقد كان لا بد من تعزيز نظام الدعامات إلى حد كبير عند بناء الأقبية القوطية، ومن نظام الدعائم الخارجية الإسلامية، تم الكشف عن جزء من اثنين من الدعامات في زاوية مقابلة أمام المحراب، والتي ربما تم دمجها في دعامات، اما دعامات الجوانب الشمالية الشرقية تم اكتشافها حتى ارتفاع يصل إلى حوالي ٤.١٥ متر، بعض الدعامات الجنوبية الغربية تم ازلتها^(١٥). لوحة (٢) يعتقد توريس بالباس أنه قبل بناء قبو قوطي ، تم هدم الأعمدة الآجرية في بيت الصلاة الموحدية واستبدلت بالأعمدة الحجرية التي لا تزال محفوظة حتى اليوم^(١٦). لوحة (٣) بينما يفترض سانتوس أن أعمدة المسجد أعيد استخدامها في الكنيسة ، بنفس القواعد. ومع ذلك، فإن بعض المؤشرات تجعل الافتراض بأن الأعمدة الإسلامية ماتزال في الموقع^(١٧) كما تم الكشف عن دعامة اسلامية يبلغ ارتفاع المتبقي منها ٤٨،٠م وعرضها ٥٠،٠م في المنطقة الشمالية الشرقية من بيت الصلاة تتطابق جوانبها الاربعة تماماً وهي الدعامة الإسلامية الوحيدة التي تم الحفاظ عليها بالكامل مع قاعدتها، اما الاعمدة تسعة من الأعمدة الاثني عشر، قواعدها تشكل هيئة متجانسة يتراوح ارتفاعا بين (٣٥،٠ إلى ٤١،٠ م)^(١٨).

المحراب

يقع المحراب في الجدار الجنوبي الشرقي باتجاه القبلة مخططه مستطيل، بعرض يتراوح بين ١,١٥ إلى ١.٢٠ متر ، وفي عمق تشويهاها الحالي، حوالي ٠.٧٥ في العمق. ويغطي مكانه، غرفه الخارجية مشطوفة، قبو من دورات الاجر المرتب افقياً، يتم الحفاظ

على جزء من الزخرفة الجصية ، بشكل شرائط مسطحة متداخلة، وهو في حالة سيئة للغاية لوحدة (٤)، تعلوه نصف قبة بنيت كلها بالآجر تم تغطيتها بالجص مرة أخرى بعد عملية الترميم^(١٩) مخطط (٤) بينما يعطي Ewert وصفاً آخر للمحراب "يتكون من دخلتين يتراوح عرضه بين ٣.٥٤ م الى ٣.٥٥ م وعمقه ٠.٩٩ إلى ١ م"^(٢٠) تعلو مربعة المحراب قبة قائمة على عقود حديوية، نصف قطر القبة ٣.٤٠ متر تقريباً، وارتفاعها ٤,٢٦ م فوق الرصيف، استبدلت القبة بقبو على الطراز القوطي بعد تحويل المسجد الى كنيسة وعندما تم رفع القبة، لوحظ أن القبة، كانت في وضع خطر وتم تعزيزها بالدعامات. وعلى اليمين، بجانب المحراب، تم إنشاء غرفة صغيرة، كما هو معتاد في المساجد الإسلامية في الغرب، للحفاظ على المنبر المتقل وهي مغطاة حالياً^(٢١) فتحة مدخلها واسعة نسبياً، كما هو الحال عادة من باب حجرة المنبر في شبه الجزيرة الأيبيرية، تم توثيق حجرة مشابهة لها في المسجد الرئيسي في قرطبة وفي المرية لتخزين المنبر المتقل، الموجود بجوار المحراب مباشرة^(٢٢) في الطرف الشمالي لجدار القبلة، توجد مدخل ضيق ذات مساحة من الطوب غير مضاءة على شكل حدوة فرس عندما تم إجراء إصلاحات في الآونة الأخيرة في الكنيسة، في وسط الجدار الجنوبي الغربي لها، في الجزء السفلي من الجزء الذي يغطيه قبو ضيق، خلف مذبح جانبي، ظهرت بقايا المحراب. اذاً كان هذا جدار القبلة في مسجد ميرتولا. تقع زخرفته المشوهة، إنها تشكل سلسلة من العقود الزخرفية المتتالية المفصصة. لوحدة (٥)

إلى الاسفل من العقود ذات الأهمية الكبيرة التي فقد معظمها والتي تستند على أعمدة شبه أسطوانية، تسمح خصائص ما تبقى من المحراب الظاهر للتأكيد على أنه ينتمي إلى مسجد الموحد المتواضع الذي بني بعد (٥٥٢-٥٥٣هـ/١١٥٧-١١٥٨م)، وهو التاريخ الذي استولى فيه الموحدون على ميرتولا، وقبل ٦٣٦هـ/١٢٣٨م. يمكن مقارنة زخرفته مع المسجد الكبير في المرية وتخطيط جامع تنمال في المغرب. وفي عهد Sancho II سنة ١٢٣٨م، تم تحويل المسجد الى الكنيسة المسيحية الرئيسية، ووضع المذبح الرئيسي بجانب قوس

المدخل^(٢٣). يحتفظ المتحف الوطني للآثار في لشبونة بقطعة من شريط زخرفي من الغرانييت، لاتزال تحمل سطرين من كتابة. وحسب نيكل، فإن هذه الكتابة تعود لتلك التي تحدث عنها إيسناسيو دا فيغا في "ذكريات عن الآثار القديمة في ميرتولا *Memórias das Antiquidades de Mértola* ".
كلمات السطر السفلي بداية الآية ٢٨ من السورة ٣٦ من القرآن (سورة يس): ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ (من جُندٍ) ﴾. لوحة (٦) ومعنى النص، بالإضافة إلى كونه محفوراً على واجهة المحراب، يؤكد صلته بمسجد ميرتولا. (٢٤)

المئذنة

تقع المئذنة في الزاوية الغربية للجدار الجنوبي (جدار القبلة) البدن الرئيسي المكعب تماماً هو سمة للمئذنة في الغرب الإسلامي. المربعة المقطع. و تقسم إلى قسمين، مكعبين يعلو أحدهما الآخر، وفي القمة مجموعة العقود والتي ربما كانت من الاجر ولها من الداخل درج لولبي يؤدي الى غرفة المؤذن^(٢٥)، لوحة (٧)

وتبلغ نسبة العرض إلى الارتفاع تقريباً ١ : ٤ إلى ١ : ٥. يبلغ طول ضلعها ٤-٥م بينما يبلغ ارتفاعها على الاغلب ١٥ الى ٢٠م بفعل تحويل الجزء العلوي منها الى برجاً للأجراس، يتم تغطية أقل بقليل من الثلث العلوي بشريط أفقي، ويبدو أنه شريط وسطي، يبرز عن سمت الجدار وينتهي في الجانب الجنوبي الغربي. بنيت على قاعدة التي أقيمت عليها بالتأكيد في العصور الإسلامية، كما هو الحال دائماً في هذا النوع من مآذن الغرب الإسلامي، والجزء العلوي غرفة المؤذن، كهيئة معمارية صغيرة مستقلة، تتراجع من جميع الجوانب، والتي تتوج البرج.

وفي وصف القرن السادس عشر، لا توجد إشارة إلى وجود سقيفة أمام المدخل الرئيسي المفترض للمسجد^(٢٦). لوحة (٨)

المصادر العربية والاجنبية

- الحميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠ هـ) (الروض المعطار في خبر الأقطار، المحقق: إحسان عباس الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت دار السراج، ط ٢، ١٩٨٠ م عدد الأجزاء: ١ .
- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت: ٦٢٦ هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط ٢، ١٩٩٥ م عدد الأجزاء: ٧.
- الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالب، المعروف بالشريف الادريسي، ت ٥٦٠ هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت ط ١، ١٤٠٩ هـ عدد الأجزاء: ٢.
- ابن عذارى المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: نحو ٦٩٥ هـ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب المؤلف: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ٢.
- Torres Balbás, L., « El Mihrab almohade de Mértola », in Revista Al-Andalus, XX, 1955.
- Ewert, Christian., « La Mezquita de Mértola (Portugal) », in Cuadernos de La Alhambra, 1987.
- Según L. Chaves, Mértola Cristá Arquivo de Beja 1, 1944,
- MACIAS, Santiago; Torres, Cláudio; BOIÇA, Joaquim; BARROS, Maria de Fátima (2002): Mértola mesquita/Igreja Matriz, Mértola, Edição do Campo Arqueológico de Mértola.
- Gómez-Moreno, Ars Hisp. III, Madrid, 1951, Fig. 68.
- R. dos, Santos (o estilo manuelino, Lisboa 1952).
- L. Torres Balbás, Al-And.v: 18.
- F. Hernández Giménez, Al And.v: 24.

- L. Torres Balbás, EL Mif. IRAB ALMOHADE DE MERTOLA PORTUGAL, CRÓNICA ARQUEOLÓGICA DE LA ESPAÑA MUSULMANA, XX XVI.
- Barros, Boiça e Gabriel, 1996: p212, 318.
- Nykl, A. R., "Arabic inscriptions in Portugal", *Ars Islamica*, XI-XII, 1946.

^١ (الجَمِيرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (المتوفى: ٩٠٠ هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار، المحقق: إحسان عباس الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م عدد الأجزاء: ١ ص ٧٥.

^٢ (ومدينة بطليوس (Badajos) بفتححتين، وسكون اللام، وياء مضمومة، وسين مهملة: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة ، وهي مدينة جلييلة في بسيط الأرض وعليها سور منيع وكان لها روض كبير أكبر من المدينة في شرفها فخلا بالفتن وهي على ضفة نهر يانة وهو نهر كبير ويسمى النهر الغُور لأنه يكون في موضع يحمل السفن ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد منه قطرة فسمي الغُور لذلك وينتهي جريه إلى حصن مارتلة ومن مدينة بطليوس إلى مدينة قرطبة على الجادة ستة مراحل، حصن مارتلة فيصب في البحر المظلم ومن قلعة رباح إلى قلعة ارلية يومان، ومن مدينة شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل وكذلك من شلب إلى حصن مارتلة أربعة أيام ومن مارتلة إلى حصن ولبة مرحلتان خفيفتان، ومن بطليوس إلى اشبيلية ستة أيام ومنها إلى قرطبة ست مراحل وبطليوس من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً، وهي حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجلبتي (الجليقي) بإذن الأمير عبد الله له في ذلك. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت: ٦٢٦ هـ، معجم البلدان: دار صادر، بيروت ط ٢ ، ١٩٩٥ م عدد الأجزاء: ٧، ج ١، ص ٤٤٧،، الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي ، ت ٥٦٠ هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، (الناشر: عالم الكتب، بيروت ط ١، ١٤٠٩ هـ عدد الأجزاء: ٢، ج ٢، ص ٥٤٤-٥٤٥، الجَمِيرى المصدر السابق، ص ٩٣.

^٣ (الجَمِيرى المصدر السابق ، هامش ١، ص ٥٢١

^٤ (الحموي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤٢.

^٥ (الادريسي، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٤٤

^٦) ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو ٦٩٥ هـ ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب المؤلف:(تحقيق ومراجعة:ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال الناشر: دار الثقافة، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ٢ ج٢، ص١٣٥.

^٧) الحميري المصدر السابق ، ص٩٣.

^٨) Torres Balbás, L., « El Mihrab almohade de Mértola », in Revista Al-Andalus, XX, 1955, p. 188-195

^٩) Ewert, Christian., « La Mezquita de Mértola (Portugal) », in Cuadernos de La Alhambra, 1987, nº 9, 1973, p. 3-36.

^{١٠}) Según L. Chaves, Mértola Cristá Archivo de Beja 1, 1944, p100. & Ewert, op .cit. p7.

^{١١}) MACIAS, Santiago; TORRES, Cláudio; BOIÇA, Joaquim; BARROS, Maria de Fátima (2002): Mértola mesquita/Igreja Matriz, Mértola, Edição do Campo Arqueológico de Mértola. P; 13

^{١٢}) Ewert, op .cit. p12.

^{١٣}) Ewert, op .cit. p12-13.fig. 2

^{١٤}) Gómez-Moreno, Ars Hisp. III, Madrid, 1951, Fig. 68.

^{١٥}) Ewert, op .cit. p15.

^{١٦}) Torres Balbás, Al-And.p 20.

^{١٧}) R. dos Santos (o estilo manuelino, Lisboa 1952), p:164.

^{١٨}) Ewert, op .cit. p17.

^{١٩}) L. Torres Balbás, Al-And. 20,.

^{٢٠}) Ewert, op .cit. p28.

^{٢١}) L. Torres Balbás, Al-And. 18, p418.

^{٢٢}) F. Hernández Giménez, Al And. 24, 381.

^{٢٣}) L. Torres Balbás, EL Mif. IRAB ALMohade de Mertola Portugal, Crónica Arqueol de LA España Musulmana, XX XVI, p26-29.

²⁴) Nykl, A. R., "Arabic inscriptions in Portugal", *Ars Islamica*, XI-XII, 1946, pp. 167.fig; 9

²⁵) Barros, Boiça e Gabriel, 1996: p212, 318.

²⁶) Ewert, op .cit. p33.